صفوة شروح

نهج البلاغة

شرح ابن أبي الحديد المعتزلي

شرح الشيخ محمد عبده

تعليقات الدكتور صبحي الصالح

صفوة شروح

نهج البلاغة

- شرح ابن أبي الحديد المعتزلي
- شرح الشيخ محمد عبده
- تعليقات الدكتور صبحي الصالح

جمعه ونسّقه وضبط نصّه

عدنان التميمي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

انتشارات الإعتصام

اسم الكتاب: صفوة شروح نهج البلاغة

تأليف: ابن ابي الحديد ، محمد عبده ، صبحي الصالح

جمع و ترتيب: اركان التميمي

الناشر: انتشارات الإعتصام

العدد: ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة: الوفاء

الطبعة: الثانية

تاريخ الطبع: ١٤٢٩ هـ . ق

شابك: ٧ ـ ٢١ ـ ٧١٤٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

Email: jafar_alhosaini@yahoo.com

الجمهورية الإسلامية الإيرانية. قم المقدسة. تلفون: ٨٨٢٤٨١٩

جمهورية العراق. النجف الأشرف. تلفون: ٠٧٨٠٤٣١٦٥٢٧

جميعة حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الإعتصام

و لا يجوز إعادة طبع أو اقتباس أي جزء منه بدون اذن كتبي من دار الإعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المُقَدِّمَة

اعتاد الكاتبون عن نهج البلاغة أن يجعلوا من الحديث عن شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نافذة لهم توصلهم للحديث عن نهج البلاغة شرحاً أو تحقيقاً، أو دراسة، وهذا جزء من تقليدٍ سارَ عليه الشرّاح والمحقّقون، وهو التعريف بشخصية الكاتب وسرد نبذة عن حياته، قبل شرح كتابه أو تحقيقه. إلّا أنّ هذا الأمر ـ في اعتقادي ـ لا يليق بشخصية كشخصية أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ كيف يتسنّى لبضع سطور أن تختصر دنيا وسيعة من الفضائل، وعالَماً رحباً من الكمالات، بل أستطيع أن أقول: إنّ تعداد مناقب عليٍّ منقصة له؛ لأنّ علياً عالَم مترامي الأطراف من المناقب، وينبوع كمالات لا ينضب، وكما يقول الجواهري:

تعدادُ مجدِ المرء منقصةٌ إذا	فاقت مزاياه عن التعدادِ

وقد سُئل المتنبي عن سرّ إعراضه عن مدح عليٍّ عليه السلام فقال:

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً	إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استقام الشيء قام بنفسه	وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام نوراً مستطيلاً له من السطوع ما يستغني به عن التعريف، فإنّ (نهج البلاغة) ـ وهو المختار من روائع كلامه ـ له من الشهرة والذيوع ما يُغنيه هو الآخر عن التعريف. «ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في الناس ذكره، وتألّق نجمه، أشام وأعرق، وأنجد وأتهم، وأعجب به حيث كان، وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى، والمعنى المشرق، وما احتواه من جوامع الكَلِم، في أُسلوب

متسلوق الأغراض، محكم السبك، يعدّ في الذروة العليا من النثر العربي الرائع».*

ولقد كثرت الدراسات حول نهج البلاغة وشُرح بشروح كثيرة تنبو عن الإحصاء، ممّا يعكس أهمية (النهج) في التراث العربي والإسلامي، بل والإنساني؛ لأن خطب (النهج) تمثّل مظاهر من الأبعاد المختلفة لإنسان قد طوى مسيرة الكمال، وقيل في نهج البلاغة الكثير مما لو جُمع لصار مصنّفاً ضخماً، ومن جميل ما كتب عن نهج البلاغة تلك السطور التي جاد بها قلم الأديب العربي جورج جرداق حيث قال:

«نهج البلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتصل بالذوق الفنّي الرفيع ما بقي الإنسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر، مترابط بآياته متساوق، متفجّر بالحسن المشبوب والإدراك البعيد، متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع، متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتّى ليندمج التعبير بالمدلول، أو الشكل بالمعنى، اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالة الحدث الطبيعي الذي لابدّ له أن يكون بالضرورة على ما هو كائن عليه من الوحدة لا تفرق بين عناصرها إلا لتمحو وجودها وتجعلها إلى غير كون!

بيانٌ لو نطق بالتقريع لانقضّ على لسان العاصفة انقضاضاً! ولو هدّد الفساد والمفسدين لتفجّر براكين لها أضواء وأصوات! ولو انبسط في منطق لخاطب العقول والمشاعر فأقفل كلّ باب على كلّ حجّة غير ما ينبسط فيه! ولو دعا إلى تأمّل لرافق فيك منشأ الحس وأصل التفكير فسالك إلى ما يريده سوقاً، ووصلك بالكون وصالاً، ووحّد فيك القوى للاكتشاف توحيداً. وهو لو رعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الأبوّة وصدق الوفاء الإنساني وحرارة المحبّة التي تبدأ ولا تنتهي، أمّا إذا تحدّث إليك عن بهاء الوجود وجمالات الخلق وكمالات الكون، فإنّما يكتب على قلبك عداد نجوم السماء!

بيان هو بلاغة من البلاغة، وتنزيل من التنزيل، بيان اتصل بأسباب البيان العربي ما

(*) من مقدمة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم لشرح ابن أبي الحديد، ص ٦

كان منه وما يكون، حتّى قال أحدهم في صاحبه إنّ كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

***

صفوة شروح نهج البلاغة

ولدت فكرة صفوة الشروح من رحم حاجة ماسة لكتاب يجمع لقارئ نهج البلاغة الشروحَ المختلفة، ويقدّم له زبدة المخاض بأسلوب سهل يسير، فجاء صفوة الشروح ليأخذ على عاتقه هذه المهمة، ويختصر لقارئ النهج مسافة طويلة، ويوفّر له وقتاً ثميناً كان يقضيه في التجوال بين شروح النهج باحثاً عمّا يروّي غليله في شرح عبارة من عباراته، أو تفسير كلمة من كلماته، ليقدّم صفوة الشروح للقارئ الكريم عبارة مصطفاة من شروح ثلاثة، هي:

١ ـ شرح ابن أبي الحديد المعتزلي.

٢ ـ شرح الشيخ محمد عبده.

٣ ـ شرح الدكتور صبحي الصالح.

واختيارنا لهذه الشروح الثلاثة ليس إلغاءً لبقيّة الشروح ـ وهي كثيرة ـ بل وقع اختيارنا على هذه الشروح دون غيرها؛ لأنّها الأوفر حظاً من الشهرة والأكثر تداولاً، ويحدونا أمل كبير أن تكون الشروح الأُخر محطّة ثانية نتوقّف عندها إن شاء الله تعالى.

أمّا عن طريقة الكتاب فقد سعينا أن لا نرهق القارئ بالرموز، وأن نقدّم العبارة الملفّقة من عبارات الشرّاح الثلاث كعبارة واحدة مترابطة ومنسجمة فيما بينها، وقد نلجأ إلى استخدام كلمة أو كلمتين للربط بين الجمل مثل: «أو» و «الواو» العاطفتين، ومع ذلك قد يظهر ـ أحياناً ـ عدم الانسجام التام بين العبارات، وهذا متولّد من اختلاف أُسلوب الشرّاح، وحرصنا الشديد على عدم التلاعب بعباراتهم، إلّا ما تضطرنا إليه عملية الربط والتنسيق.

وجعلنا التفريق بين الشروح بأنواع الخطوط، حيث يستقل كل شارح بخط يميّزه عن الآخر:

فشرح ابن أبي الحديد المعتزلي بالخط الغامق.

وشرح الشيخ محمد عبده بالخط الفاتح.

وتعليقات الدكتور صبحي الصالح بالخط الصغير المائل.

وسيلاحظ القارئ قلّة هوامش الدكتور صبحي الصالح؛ والسبب في ذلك أنّ عمل الدكتور صبحي الصالح ليس شرحاً في الحقيقة، وإنّما هو عمل تنظيمي لشرح الشيخ محمد عبده ـ وقد نعبّر عنه بالشرح تسامحاً ـ ولهذا كانت هوامش الصالح متطابقة حرفيّاً مع هوامش محمد عبده ولم يشذّ عنها إلّا في موارد قليلة أثبتناها هنا.

وعمل الصالح يكمن في تقسيم الهامش الواحد إلى عدّة هوامش، فقد يجمع الشيخ عبده في الهامش الواحد شرحاً لخمس كلمات أو أكثر، فيأتي الصالح فيقسم هذا الهامش مثلاً إلى خمسة هوامش. ثم إنّ الصالح اختصر في عبارات عبده بما يجعل من الشرح شرحاً مختصراً بسيطاً سلساً، لا يكلّف القارئ عناءً ولا مشقة عند الرجوع إليه، وإن كانت شدّة الاختصار قد تؤثّر سلباً على المعنى، ومع ذلك فعمل الدكتور الصالح في ترتيب وتنظيم الهوامش عمل مشكور، مع ما أعدّه من فهارس نافعة، يضاف إلى ذلك ما بذله من جهود في سبيل ضبط النص، وهو عمل ليس بالسهل اليسير.

ضبط النصّ:

مع أنّ تحقيق اختلاف النسخ خارج عن اختصاص هذا الكتاب إلّا أننا لم نهمل المهم منه، إذ أشرنا إلى موارد الاختلاف الهامّة والتي لها تأثير واضح في المعنى، وقابلنا النسخ الثلاث مع نسخة خطيّة ثمينة قديمة ترجع إلى عام ٤٩٩هـ مكتوبة بخط ابن المؤدب، فجاء النص جامعاً لنسخ الشرّاح الثلاث مع نسخة ابن المؤدب الخطيّة، وابتغاءً للتيسير على القارئ الكريم جعلنا الإشارة إلى اختلاف النسخ داخل معقوفتين وبعبارة منسجمة مع الشرح. ومما تجدر الإشارة إليه أنّا أوردنا عبارات الشرّاح بدون التعليق عليها إلّا في موارد

قليلة افردنا لها هامشاً مستقلاً حرصاً على بقاء عباراتهم كما هي بما تحمله ـ أحياناً ـ من أفكارٍ وعقائدَ قد لا نتفق معها. وحاولنا أن يأتي النص خالياً من الأخطاء المطبعية التي لم تخل منها نسخة قطّ.

تخريج المصادر:

ممّا تشدّق به المشكّكون بنسبة نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين عليه السلام هو: عدم ذكر الرضي أسانيد الخطب التي اختارها؛ لذلك انبرى عدد من العلماء فألّفوا في أسانيد النهج وأجادوا في ذلك أيّما إجادة، وكان الرائد في هذا المجال السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب رحمه الله الذي ألّف كتابه القيّم «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» في هذا المضمار؛ ليُرجِعَ الخطب والكتب والحكم إلى أمّهات المصادر. وقد اعتمدنا على هذا الكتاب في تخريج المصادر لاستكمال الفائدة. ونحيل القارئ الكريم إلى هذا الكتاب إذا شاء التوسّع في هذا الموضوع أو أراد الاطّلاع على طبعات كتب المصادر.

كلمة أخيرة:

وأختم الحديث بما ختم به ابنُ أبي الحديد المعتزلي شرحه حيث قال: «وأنا استغفرُ الله العظيم من كلِّ ذنب يُبعِدُ من رحمته، ومن كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته، واستشفعُ إليه بمن أنصبتُ جسدي، وأسهرتُ عيني، وأعملت فكري، واستغرقْتُ طائفةً من عُمري، في شرح كلامِهِ، والتقرّب إلى اللهِ بتعظيم منزلته ومقامِه، أن يعتق رقبتي من المخلوقين، ويَكُفَّ عنّي عاديَةَ الظالمين، إنّه سميعٌ مُجيبٌ، وَحَسْبُنا اللهُ وحدهُ وصلواتُهُ على سيّدنا محمّدٍ النبيِّ وآلهِ وسلامُهُ».

أركان التميمي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الشريف الرضي

هو أبو الحسن محمد بن الحسين، يرتقي نسبه إلى موسى الكاظم، فإلى الحسين بن علي، وينتهي نسب أمّه فاطمة بنت الحسين الى أمير المؤمنين علي أبي طالب أيضاً، ولذلك لُقّب بـ «ذي الحسبين».

ولد في بغداد سنة (٣٥٩ هـ ـ ٩٧٠ م) ونشأ وتثقّف بها، وتوفّي بها يوم الأحد (٦) محرّم، سنة (٤٠٦ هـ ـ ١٠١٦ م) ودفن في داره في محلّة الكرخ، ثم نقل رفاته الى مشهد الحسين (عليه السلام) في كربلاء، كما يذكر ذلك كثير من المؤلفين.

وعند وفاته حضر إلى داره الوزير فخر الملك وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاة ومشاة، وصلّى عليه فخر الملك، ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصلّ عليه، ومضى من جزعه عليه إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام؛ لأنّه لم يستطع أن ينظُر إلى تابوته ودفنه، ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي، فألزمه بالعود إلى داره.

كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر، عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بُوَيه، ولُقّب بالطاهر ذي المناقب، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطّاهر الأوحد وولي نقابة الطالبيين خمس دفعات. وصارت النقابة فيما بعد إلى الرضي وتولّى معها إمارة الحج والمظالم.

كان الرضي ـ رحمه الله ـ عالماً أديباً، وشاعراً مُفلِقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرفاً في فنونه، «وكان متعمقاً في علوم القرآن، متبحّراً في علم

الكلام، واللغة والنحو، وقد اتخذ له داراً سمّاها «دار العلم» كان الطلبة يلازمونها، ويعيّن لهم من ماله ما يحتاجون إليه، غير أنّه، على تبحره في العلوم وثقافته المكينة، بقي في شعره متمسكاً بطريقة الأقدمين، محافظاً على أساليبهم ومعانيهم(*).

قال الشعر وهو حدث. والرضي في شعره وإن كان يسير على منوال الشعر القديم من حيث الأسلوب، إلّا أنّه ظاهر البلاغة، عالي النفس طويله، يتميّز بقوة النسج، ووضوح التعابير، وينضمّ إلى ذلك سهولة ورقّة، مع متانة ورصانة، قال عنه صاحب اليتيمة: «وهو أشعر الطالبيين، من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت: إنه أشعر قريش، لم أبعد عن الصدق».

ومما عرف به الرضي شخصيته النبيلة، فقد كان عفيفاً، شريف النفس، ذا عزّة وإباء، لم يقبل من أحدٍ صلة ولا جائزة، حتّى أنّه ردّ صلات أبيه، وقد اجتهد بنو بُويه على قبوله صلاتهم فلم يَقْبَلْها.

وكان للرضي همّة عالية، وطموح وتطلّع إلى الخلافة، إلّا أنّه لم ينلها كتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر قصيدة طويلة يفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة:

عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا ... في دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً، كلانا في المعالي مُعرق
إلّا الخلافة ميزتك فإنّني ... أنا عاطل منها وأنت مطوّق

ويروى أنّ القادر قال له عند سماع هذا البيت، على رغم أنفك الشريف.

تآليفه وكتبه:

١ ـ نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين (عليه

(*) المجاني الحديثة للأب شيخو.

السلام)، وقد فرغ من جمعه في رجب سنة أربعمائة من الهجرة.

٢ ـ خصائص الأئمة.

٣ ـ تلخيص البيان عن مجاز القرآن.

٤ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل.

٥ ـ معاني القرآن.

٦ ـ تعليق خلاف الفقهاء.

٧ ـ تعليقه على إيضاح أبي عليّ الفارسي.

٨ ـ الحسن من شعر الحسين. (المنتخب من شعر ابن الحجّاج).

٩ ـ الزيادات في شعر ابن الحجّاج.

١٠ ـ الزيادات في شعر أبي تمام.

١١ ـ مختار شعر أبي إسحاق الصابي.

١٢ ـ ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل شعراً.

١٣ ـ كتاب رسائله، في ثلاث مجلّدات.

١٤ ـ أخبار قضاة بغداد.

١٥ ـ سيرة والده الطاهر.

١٦ ـ كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر.

١٧ ـ ديوان شعره.

١٨ ـ طيف الخيال، وهي مجموعة تنسب إليه، وينسبها آخرون إلى أخيه الشريف المرتضى.

* * *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة السيد الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومَعاذاً[1] من بلائه، وسيلاً إلى جنانه[2]، وسبباً لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمّة، وسراج الأمّة، المنتخب من طينة الكرم، وسلالة المجد الأقدم[3]، ومَغرِس الفخار المُعْرِق[4]، وفرع العَلاء المثمر المورق، وعلى أهل بيته مصابيح الظُّلَم، وعِصَم الأمم[5]، ومنار[6] الدين الواضحة، ومثاقيل[7] الفضل الراجحة. صلّى الله عليهم أجمعين، صلاةً تكون إزاءً لفضلهم[8]، ومكافأةً لعملهم، وكفاءً لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع، وخوى نجم طالع[9].

---

(١) المعاذ: الملجأ.

(٢) وسيلا: جمع وسيلة: وهي ما يتقرّب به.

(٣) طينة الكرم: أصله، وسلالة المجد: فرعه.

(٤) الفخار المعرق: الطيب العرق والمنبت.

(٥) العصم: جمع عصمة، وهو ما يعتصم به.

(٦) المنار: الأعلام واحدها منارة.

(٧) المثاقيل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء، فمثاقيل الفضل زناته، والمراد أن الفضل يعرف بهم مقداره.

(٨) إزاء لفضلهم: أي مقابلة له.

(٩) خوى النجم بالتخفيف: سقط، وبالتشديد: إذا مال للمغيب، وخوت النجوم: أمحلت فلم تمطر، أخوت وخوت بالتشديد.

فإنّي كنت في عنفوان السن[1]، وغضاضة الغصن[2]، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمّة عليهم السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني[3] عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقيّة الكتاب محاجزاتُ الأيّام، ومماطلات الزمان[4]، وكنت قد بوّبتُ ما خرج من ذلك أبواباً، وفصّلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحِكَم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة، والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصلُ المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجّبين من نواصعه[5]، وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه: من خطب، وكتب، ومواعظ، وأدب. علماً أن ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب[6] الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب؛ إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرَعَ الفصاحة وموردها[7]، ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينُها؛ وعلى أمثلته حذا[8] كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدّم

---

(١) عنفوان السن: أوّلها.

(٢) غضاضة الغصن: طراوته ولينه.

(٣) حداني عليه: بعثني وحملني، وهو مأخوذ من حداء الإبل.

(٤) محاجزات الزمان: ممانعاته. ومماطلات الأيام: مدافعاتها.

(٥) البدائع: جمع بديعة وهي الفعل على غير مثال، ثمّ صار يستعمل في الفعل الحسن وإن سبق إليه مبالغة في حسنه، والنواصع جمع ناصعة، والنواصع: الخالصة، وناصع كلّ شيء خالصه.

(٦) الثواقب: المضيئة، ومنه الشهاب الثاقب. ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول إلى ما دلّت عليه فيهتدي بها إليه.

(٧) المشرع: تذكير المشرعة، وهو المورد.

(٨) حذا: اقتفى واتّبع.

وتأخروا، لأنّ كلامه عليه السلام الكلامُ الذي عليه مَسْحة[1] من العلم الإلهي وفيه عَبْقَة[2] من الكلام النبوي، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر. واعتمدت به[3] أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة، مضافةً إلى المحاسن الدَّثِرة[4]، والفضائل الجمّة. وأنّه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنّما يؤثَر[5] عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد[6]. فأمّا كلامه فهو البحر الذي لا يُساجَل[7]، والجم الذي لا يحافَل[8].

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتْنا يا جرير المجامعُ

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب[9] ثلاثة: أوّلها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ؛ فأجمعتُ[10] بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثمّ محاسن الكتب، ثمّ محاسن الحِكَم والأدب. مفرداً لكل صنف من ذلك باباً، ومفصّلاً فيه أوراقاً لتكون مقدّمة لاستدراك ما عساه يشذّ عنّي عاجلاً، ويقع إليّ آجلاً. وإذا جاء شيء من كلامه ـ عليه السلام ـ الخارج في أثناء حوار، أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض ـ في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقرّرت القاعدة عليها ـ

---

(١) عليه مسحة: أثر أو علامة. وكأنّه يريد «بهاء منه وضياء».

(٢) العبقة: الرائحة اللاصقة بالشيء والمنتشرة عنه.

(٣) اعتمدت: قصدت.

(٤) الدثرة ـ بفتح فكسر ـ: الكثيرة، وكذلك الجمّة.

(٥) يؤثر: أي ينقل عنهم ويحكى.

(٦) الشاذ الشارد: المنفرد الذي ليس له أمثال.

(٧) لا يساجل: لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء.

(٨) لا يحافل: لا يغالب في الكثرة، من قولهم: ضرع حافل: ممتلئ كثير اللبن. والمراد أنّ كلامه لا يقابل بكلام غيره لكثرة فضائله.

(٩) أقطاب: أصول.

(١٠) أجمع عليه: عزم.

نسبته إلى أليق الأبواب به، وأشدّها ملامحة[1] لغرضه. وربّما جاء فيما أختارُهُ من ذلك فصول غير متّسِقة[2]، ومحاسن كَلِمٍ غير منتظمة؛ لأنّي أورد النكت واللُّمَع[3]، ولا أقصد التتالي والنسَق[4].

ومن عجائبه، عليه السلام، التي انفرد بها، وأمِنَ المشاركةَ فيها، أنّ كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمّله المتأمّل، وفكّر فيه المتفكِّر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممّن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشكّ في أنّه كلامُ مَنْ لا حَظَّ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع[5] في كسر بيت[6]، أو انقطع إلى سفح جبل[7]، لا يسمع إلّا حسّه، ولا يرى إلّا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنّه كلامُ من ينغمس في الحرب مُصْلِتاً سيفه[8]، فيقُطّ الرقاب[9]، ويُجَدِّل الأبطال[10]، ويعود به يَنْطُفُ[11] دماً، ويقطر مُهَجاً[12]. وهو مع تلك الحال زاهد الزهّاد، وبدَلُ الأبدال[13]. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين

---

(١) الملامحة: الإبصار والنظر، والمراد هنا المناسبة والمشابهة.

(٢) المتسق: المنتظم يتلو بعضه بعضاً.

(٣) النكت: الآثار التي يتميّز بها الشيء. واللمع: الآثار المميّزة للأشياء بإضاءتها وبريقها.

(٤) النسق: التتابع والتتالي.

(٥) قبع القنفذ ـ كمنع ـ: أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه، أراد منه: انزوى.

(٦) كسر البيت: جانب الخباء.

(٧) سفح الجبل: أسفله وجوانبه.

(٨) أصلت سيفه: جرّده من غمده.

(٩) يقط الرقاب: يقطعها عرضاً. فإن كان القطع طولاً قيل: يقدّ.

(١٠) يجدل الأبطال: يلقيهم على الجدالة ـ كسحابة ـ: وهي وجه الأرض.

(١١) ينطف: من نطف كنصر وضرب، نطفاً ونطافاً: سال.

(١٢) المهج: جمع مهجة، وهي: دم القلب، والروح.

(١٣) الأبدال: قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد بدّل الله مكانه آخر. والواحد بدل أو بديل.

الأشتات[1]، وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها.

وربّما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظُ المردّد، والمعنى المكرّر؛ والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً، فربّما اتفق الكلام المختار في رواية فنُقِلَ على وجهه، ثمّ وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأوّل، إما بزيادة مختاره، أو لفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغَيْرةً على عقائل الكلام[2]. وربّما بَعُدَ العهدُ أيضاً بما اختير أوّلاً فأُعيدَ بعضُه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً.

ولا أدّعي ـ مع ذلك ـ أني أحيط بأقطار[3] جميع كلامه عليه السلام حتّى لا يشذ عنّي منه شاذ، ولا يَنِدّ نادّ[4]. بل لا أبعد أن يكون القاصر عنّي فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي[5] دون الخارج من يديّ؛ وما عليّ إلّا بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل[6]، وإرشاد الدليل، إن شاء الله.

ورأيت من بعدُ تسمية هذا الكتاب بـ «نهج البلاغة» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرّب عليه طِلابها، فيه حاجة العالم والمتعلّم، وبغية البليغ الزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شَبَهِ الخلق، ما هو بِلال كل غلّة[7]، وشفاء كلّ علّة، وجِلاء كلّ شبهة.

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة، وأتنجّزُ التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان، قبل خطأ اللسان، ومن زلّة الكَلِم، قبل زلّة القدم[8]، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) الأشتات: جمع شتيت: ما تفرّق من الأشياء.

(٢) عقائل الكلام: كرائمه. وعقيلة الحي: كريمته.

(٣) أقطار الكلام: جوانبه.

(٤) النادّ: المنفرد الشاذ.

(٥) الربقة: عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة.

(٦) نهج السبيل: إبانته وإيضاحه.

(٧) الغلة: العطش، وبلالها: ما تبل به وتروى.

(٨) زلة الكلم: الخطأ في القول، وزلة القدم: خطأ الطريق والانحراف عنه.

تنبيه

نودّ أن ننبّه القارئ العزيز مرّة أخرى إلى أنّ التمييز بين الشروح يتمّ من خلال اختلاف الخطوط، وبالشكل الآتي:

- شرح ابن أبي الحديد المعتزلي بالخطّ الغامق.
- شـــرح الشـــيخ محمد عبده بـالخط الفـاتح.
- *تعليقات الدكتور صبحي الصالح بالخط الصغير المائل.*

خطب أمير المؤمنين عليه السلام

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب

في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ من خطبة له عليه السلام (*)

يَذْكُرُ فِيهَا آبْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ آدَمَ

آلْحَمْدُ(١) لِلّٰهِ آلَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ(٢) آلْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ آلْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ آلْمُجْتَهِدُونَ، آلَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ آلْهِمَمِ(٣) وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ آلْفِطَنِ(٤)، آلَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ(٥)، وَلَا نَعْتٌ

(*) ذكرها الواسطي في كتابه (عيون المواعظ والحكم)، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب السماء والكواكب، وابن شعبة الحلبي في (تحف العقول)، والقاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم)، وابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول)، والفخر الرازي في الجزء الثاني من تفسيره.

---

(١) الحمد والمدح أخَوَان لا فرق بينهما، تقول: حَمِدتُ زيداً على إنعامه، ومدحته على إنعامه، والشكرُ أخصُّ من المدح.

(٢) المِدْحة: هيئة المدح، كالرِّكْبة هيئة الركوب.

(٣) يريد أنَّ هِمَم النُّظار وأصحاب الفكر وإن عَلَتْ فإنّها لا تدركه تعالى، ولا تحيط به.

(٤) الفطن: جمع فطنة، وغوصها: استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط دُرَّ الحقيقة، وهي وإن أبعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الأقدس.

(٥) الذي ليس لصفته حدٌّ محدود: صفته ـ هاهنا ـ: كُنْهه وحقيقته، والمعنى: ليس لكنهه حدٌّ يُعرف به. فرغ من الكلام في الذات وامتناعها على العقول إدراكاً، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة، فكل صفات الممكن لها في أثرها حدّ تنقطع إليه، كما ←

مَوْجُودٌ[1]، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ[2]. فَطَرَ[3] ٱلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ ٱلرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِٱلصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ[4]. أَوَّلُ ٱلدِّينِ مَعْرِفَتُهُ[5]، وَكَمَالُ

← نجده في قدرتنا وعلمنا مثلاً، فإنّ لكلّ طوراً لا يتعداه، أما قدرة الله وعلمه فلا حدّ لشمولهما. وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية، والنعت يقال لما يتغير، وصفاتنا لها نعوت. فحياتنا مثلاً لها أطوار من طفولية وصبا وما بعدهما، ولقوة وضعف وتوسط. وقدرتنا كذلك، وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح، أمّا صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها، ثم هي أزلية أبدية لا تعد الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال.

(١) ولا نعت موجود: أي ولا يدرك بالرسم كما تُدْرَكُ الأشياء برسومها؛ وهو أن تعرف بلازم من لوازمها، وصفة من صفاتها.

(٢) ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود: فيه إشارة إلى الرد على القائلين بمعرفة كُنْهِه عند رؤيته في الآخرة، فهو ﷺ يقول: إنّه لا وقتَ أبداً على الاطلاق تُعرف به حقيقته وكُنْهه.

(٣) *فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق*. مشتق من قوله تعالى ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [الإسراء: ٥١] و«ونشر الرياح برحمته» مشتق من قوله: ﴿يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ [الأعراف. ٥٧].

(٤) المَيَدان: التحرك والتموّج. *ميدان أرضه: تحركها بمائلها*. ووتّد ـ بالتخفيف والتشديد ـ أي ثبّت؛ أي سكّن الأرض بعد اضطرابها بما رسّخ من الصخور الجامدة في أديمها، وهو يشير إلى أنّ الأرض كانت مائرة مضطربة قبل جمودها.

(٥) أول الدين معرفته: لأنّ التقليد باطل، وأوّل الواجبات الدينية المعرفة. فأساس الدين معرفة الله، وهو قد يُعرَف بأنّه صانع العالم وليس منه بدون تنزيه، وهي معرفة ناقصة، وكمالها التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره، وهي وجوب الوجود. ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد، لأنّ الواجب لا يتعدد كما عُرِف في فن الإلٰهيات والكلام. ولا يكمل التوحيد إلّا بتمحيض السّر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه واستشراق نوره. ولا يكون هذا الإخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات؛ لأنّ معرفة الذات الأقدس ـ في نحو تلك الصفات ـ اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً، فالصفات ←

مَعْرِفَتِهِ ٱلتَّصْدِيقُ بِهِ(١)، وَكَمَالُ ٱلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ(٢)، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ ٱلْإِخْلَاصُ لَهُ(٣)، وَكَمَالُ ٱلْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ ٱلصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ ٱلْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلصِّفَةِ. فَمَنْ وَصَفَ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ(٤)، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ(٥). وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ(٦). وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ(٧)، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ(٨)، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ

← المنفية بالإخلاص صفات المصنوعين، وإلّا فللإمام كلام قد ملىء بصفاته سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

(١) وكمال معرفته التصديق به: لأن معرفته قد تكون ناقصة، وقد تكون غير ناقصة، فالمعرفة الناقصة: هي المعرفة بأن للعالَم صانعاً غير العالَم لأن الممكن لابدّ له من مؤثر، وأما المعرفة غير الناقصة فهي العلم أنّ للعالم مؤثراً واجب الوجود، وليس ممكناً، وهذا الأمر الزائد هو المكنّى عنه بالتصديق به.

(٢) كمال التصديق به توحيده: لأن العلم بأنه واجب الوجود فقط تصديق ناقص، والتصديق الأكمل هو العلم بتوحيده سبحانه.

(٣) وكمال توحيده الإخلاص له: الإخلاص له ها هنا هو نفي الجسمية والعَرَضية ولوازمهما عنه.

(٤) فمن وصف الله فقد قَرَنه: لأنّ الموصوف يُقارنُ الصفة، والصفةُ تقارنه.

(٥) ومن قرنه فقد ثنّاه: لأنّه قد أثبت قديمين، وذلك محضُ التثنية.

(٦) ومن ثنّاه فقد جزّأه: لأنّه إذا أُطلق لفظة الله تعالى على الذات والعلم القديم فقد جعل مسمّى هذا اللفظ وفائدته متجزئة، كإطلاق لفظ «الأسود» على الذات التي حلّها سواد.

(٧) لأن الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به. جهله: أي جهل أنّه منزّه عن مشابهة الماديات، مقدس عن مضارعة المركبات، وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني، وهو يستلزم صحة الإشارة إليه، تعالى الله عن ذلك.

(٨) لأنّ كل مشار إليه فهو محدود، وإنّما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة، فأنت تتوجه إليها بإشارتك، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها، فيكون محدوداً؛ أي له طرف ينتهي إليه، فمن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّ فقد عدّ؛ أي أحصى وأحاط بذلك المحدود، لأنّ الحدّ حاصر←

عَدَّهُ(١)، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ(٢)، وَمَنْ قَالَ: «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ(٣). كَائِنٌ(٤) لَا عَنْ حَدَثٍ(٥)، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ(٦)، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ(٧)، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ(٨)، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ(٩). بَصِيرٌ: إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ(١٠)، مُتَوَحِّدٌ: إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ(١١).

← لمحدوده، وإذا قلت لشيء: «فيم هو؟» فقد جعلته في ضمن شيء، ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه، وإذا قلت: «على أي شيء؟» فأنت ترى أنه مستعلٍ على شيء بعينه، وما عداه خالٍ منه.

(١) ومن حدّه فقد عدّه: أي جعله من الأشياء المحدثة.

(٢) ومن قال: «فيمَ؟» فقد ضمّنه: لأنّ من تصوّر أنّه في شيء فقد جعله إمّا جسماً مستتراً في مكان، أو عَرَضاً سارياً في محل، والمكان متضمّن للمتمكّن، والمحل متضمنٌ للعَرض.

(٣) ومن قال: «علامَ؟» فقد أخلى منه: لأنّ مَنْ تصوّر أنّه تعالى على العرش أو على الكرسي، فقد أخلى منه غير ذلك الموضع.

(٤) كائن: اسم فاعل من «كان» بمعنى وجد، كأنّه قال: موجود غير محدَث.

(٥) الحدَث: الإبداء، أي هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد، والفقرة الثانية لازمة لهذه، لأنّه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم.

(٦) موجود لا عن عدم: وجوب وجوده ونفيُ إمكانه.

(٧) مع كل شيء لا بمقارنة: أي يعلم الجزئيات والكليات، كما قال سبحانه: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧].

(٨) غير كل شيء لا بمزايلة: لأنّ البارئ يباين الموجودات مباينة منزّهة عن المكان والزمان. والمزايلة: المفارقة والمباينة.

(٩) فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة: يفعل لا بالحركة والآلة كما يفعل الواحد منّا.

(١٠) أي بصير بخلقه قبل وجودهم.

(١١) متوحّد، إذ لا سكَنَ يستأنس به، ويستوحش لفقده: العادة والعرف، على أنّه لا يقال: «متوحد» إلّا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده، فانفرد عنه، والبارئ سبحانه يطلق عليه «متوحد» في الأزل ولا موجود سواه، فتوحّده سبحانه بخلاف توحّد غيره.

أَنْشَأَ ٱلْـخَلْقَ إِنْشَـاءً، وَٱبْتَدَأَهُ ٱبْتِدَاءً[1]، بِـلَا رَوِيَّـةٍ أَجَـالَهَا[2]، وَ لَا تَـجْرِبَةٍ ٱسْتَفَادَهَا[3]، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ ٱضْطَرَبَ فِيهَا[4]. أَحَالَ ٱلْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا[5]، وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا[6]، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا[7]، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[8]، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا[9]، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَٱنْتِهَائِهَا، عَـارِفاً بِـقَرَائِـنِهَا وَأَحْـنَائِهَا[10].

---

(١) أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداء: كلمتان مترادفتان على طريقة الفصحاء والبلغاء.

(٢) الرويّة: الفكر، وأجالها: أدارها وردّدها. وفي نسخة: «أحالها» بالمهملة؛ أي صرّفها.

(٣) ولا تجربة استفادها: أي لم يكن قد خلق من قبلُ أجساماً فحصّلت له التجربة التي أعانته على خلق هذه الأجسام.

(٤) فيه ردّ على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة، ولهم فيها خَبْط طويل. وهمامة النفس ـ بفتح الهاء ـ: اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

(٥) حوّلها من العدم إلى الوجود في أوقاتها، أو هو من «حال في متن فرسه» أي وثب، وأحاله غيره: أوثبه، ومن أقرّ الأشياء في أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه. ومن رواها «أحلّ» فمعناه: جعل محل كل شيء ووقته كمحلّ الدَّين.

(٦) لاءم بين مختلفاتها: أي جعل المختلفات ملتئمات، كما قرن النفس الروحانية بالجسد الترابي. [وفي نسخة عبده والصالح: لأم]

(٧) الغرائز: جمع غريزة، وهي الطبيعة. وغرز الغرائز ـ كغرز الأضواء ـ: أي جعلها غرائز، والمراد: أودع فيها طبائعها ويجوز أن يكون من «غرزتُ الإبرة» بمعنى غرست.

(٨) الضمير في أشباحها للغرائز، أي ألزم الغرائز أشباحها أي أشخاصها، لأنّ كل مطبوع على غريزة لازمته، فالشجاع لا يكون خوّاراً مثلاً.

(٩) قوله: «عالماً بها قبل ابتدائها» إشارة إلى أنّه عالِم بالأشياء فيما لم يزل.

(١٠) جمع حِنْو بالكسر: أي الجانب، أو ما اعوجّ من الشيء بدناً كان أو غيره، كناية عمّا خفي، أو من قولهم: «أحناء الأمور» أي مشتبهاتها، وقرائنها: ما يقترن بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها أو القرائن هنا جمع قرونة، وهي النفس.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ ٱلْأَجْوَاءِ(١)، وَشَقَّ ٱلْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ ٱلْهَوَاءِ(٢)، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ(٣)، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفَةِ، وَٱلزَّعْزَعِ ٱلْقَاصِفَةِ(٤)، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ(٥)، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ(٦). ٱلْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ(٧)، وَٱلْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً ٱعْتَقَمَ مَهَبَّهَا(٨) وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ ٱلْمَاءِ

---

(١) ثم أنشأ ... : الترتيب والتراخي في قول الإمام، لا في الصنع الإلهي كما لا يخفى، والأجواء: جمع جوّ، وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والأرض. واستفيد من كلامه أنّ الفضاء مخلوق، وهو مذهب قوم. كما استفيد منه أنّ الله خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح، فاستقل عليها حتى صارت مكاناً له، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلّطها عليه، فموّجته تمويجاً شديداً، حتى ارتفع فخلق منه الأجرام العليا، وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة، منهم (تالسين الإسكندري) يقولون: إن الماء ـ أي الجوهر السائل ـ أصل كل الأجسام، كثيفها من متكاثفه، ولطيفها من شفائفه، والأرجاء: الجوانب، واحدها رجا كعصا.

(٢) السكائك: جمع سُكاكة بالضم: وهي الهواء الملاقي عنان السماء، وبابها، نحو ذؤابة وذوائب.

(٣) التيار: الموج، والمتراكم: ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار: الشديد الزخر، أي الامتداد والارتفاع. والريح العاصفة: الشديدة الهبوب، كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها.

(٤) الزعزع: الشديدة الهبوب كأنّها تزعزع كل ثابت، وكذلك القاصفة كأنّها تهلك الناس بشدة هبوبها، وتقصف: أي تحطّم كل قائم.

(٥) أمرها بردّه: أي منعه من الهبوط؛ لأنّ الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوي والسقوط، وسلّطها على شدّه: أي وثاقه، كأنّه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفل التي هي من لوازم طبعه.

(٦) قرنها إلى حده: أي جعلها مكاناً له، أي جعل حدّ الماء المذكور ـ وهو سطحه الأسفل ـ مماساً لسطح الريح التي تحمله، أو أراد من الحد المنع، أي جعل من لوازمها ذلك.

(٧) الفتيق: المفتوق، والدفيق: المدفوق.

(٨) اعتقم مهبها: جعل هبوبها عقيماً، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، وكذلك كانت هذه، لأنّها أنشئت لتحريك الماء ليس غير. والمربّ ـ مبنيّ ـ من أربّ بالمكان، مثل ألبّ به، أي لازمه، فأدام مربّها: أي ملازمتها، أو أنّ أدام من أدمتُ الدلو: ملأتُها. والمرب بكسر أوله: المكان والمحل.

ٱلزَّخَّارِ(١)، وَإِثَارَةِ مَوْجِ ٱلْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ ٱلسِّقَاءِ(٢)، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِٱلْفَضَاءِ(٣)؛ تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ(٤)، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ(٥)، وَرَمَى بِٱلزَّبَدِ رُكَامُهُ(٦). فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ(٧). فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً(٨)، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا(٩)، وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا(١٠). ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ ٱلثَّوَاقِبِ(١١)، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً(١٢)، وَقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ(١٣) مَائِرٍ.

---

(١) تصفيقه: تحريكه وتقليبه.

(٢) مخضته: حرّكته بشدة، كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده. والسقاء: جلد السخلة يجذع ليكون وعاء للّبن والماء، جمعه أسقية وأسقيات وأساق.

(٣) وعصفت به عصفها بالفضاء: يقول: إنّ الريح إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كان عصفها شديداً؛ لعدم المانع، وهذه الريح عصفت بذلك الماء العظيم عصفاً شديداً؛ كأنّها تعصف في فضاء لا ممانع فيه من الأجسام.

(٤) الساجي: الساكن، والمائر: الذي يذهب ويجيء، أو المتحرك مطلقاً.

(٥) عب عبابه: ارتفع علاه.

(٦) رُكامه: ثبجه وهضبه وما تراكم منه بعضه على بعض.

(٧) المنفهق: المفتوح الواسع.

(٨) المكفوف: الممنوع من السيلان.

(٩) عمد يدعمها: يكون لها دِعامة، أي يسندها ويحفظها من السقوط.

(١٠) الدِّسار: واحد الدُّسُر: وهي المسامير، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه.

(١١) الثواقب: المنيرة المشرقة.

(١٢) مستطيراً: منتشر الضياء، وهو الشمس، يقال: قد استطار الفجر؛ أي انتشر ضوؤه.

(١٣) الرقيم: أي لوح متحرك، سُمي الفلك رقيماً تشبيهاً باللوح؛ لأنّه مسطح.

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ[1]، مِنْهُمْ: سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ ٱلْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ ٱلْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ ٱلْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ ٱلنِّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ: أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ. وَمِنْهُمُ: ٱلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَٱلسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ. وَمِنْهُمْ: ٱلثَّابِتَةُ فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَٱلْمَارِقَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَٱلْخَارِجَةُ مِنَ ٱلْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَٱلْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ ٱلْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ. نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ[2]، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ ٱلْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ ٱلْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِٱلتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ ٱلْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِٱلْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِٱلنَّظَائِرِ.

---

(١) جعل الملائكة أربعة أقسام: الأول: أرباب العبادة، ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح، وقوله: «صافون» أي قائمون صفوفاً لا يتزايلون، أي لا يتفارقون. والقسم الثاني: الأمناء على وحي الله لأنبيائه، والألسنة الناطقة في أفواه رسله والمختلفون بالأقضية إلى العباد، بهم يقضي الله على من شاء بما شاء. والقسم الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة. ومنهم سدنة الجنان: جمع سادن وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته. والقسم الرابع: حملة العرش كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي: فهي الماسكة له، الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدود مسيره في مداره، فهي المخترقة له النافذة فيه، الآخذة من أعلاه إلى أسفله، ومن أسفله إلى أعلاه. وقوله: المارقة من السماء، المروق: الخروج. وقوله: الخارجة من الأقطار أركانهم، الأركان: الأعضاء والجوارح. والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر.

(٢) الضمير في «دونه» للعرش كالضمير في «تحته». ومتلفعون: من تلفعت بالثوب، إذا التحفت به.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ ٱلْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[١]، تُرْبَةً سَنَّهَا بِٱلْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ[٢]، وَلَاطَهَا[٣] بِٱلْبَلَّةِ[٤] حَتَّى لَزَبَتْ[٥]، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ[٦] وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى ٱسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا[٧] حَتَّى صَلْصَلَتْ[٨]، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ[٩]، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ. ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ

---

(١) الحَزْن ـ بفتح فسكون ـ: الغليظ الخشن، وحزن الأرض: وعرها. والسهل: ما يخالفه. والسبخ: ما ملح من الأرض. وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنّه مركب من طباع مختلفة، وفيه استعداد للخير والشر، والحسن والقبيح.

(٢) سنّ الماء: صبّه. والمراد صبّ عليها، أو سنها هنا بمعنى ملسها كما قال:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله: حتى خلصت؛ أي صارت طينة خالصة. وفي بعض النسخ حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت، ولعلها أظهر.

(٣) لاطها: من قولهم لطت الحوض بالطين، أي ملطته وطيّنته به. لاطها: خلطها وعجنها.

(٤) البَلّة ـ بالفتح ـ: من البلل.

(٥) لَزَبَ ـ ككَرُمَ ـ: تداخل بعضه في بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد. لَزَبت: أي التصقت وثبتت.

(٦) الأحناء: الجوانب، جمع حنو، وهو ـ بالكسر والفتح ـ كل ما فيه اعوجاج من البدن، كعظم الحَجّاج واللحي والضلع، أو هي الجوانب مطلقاً. وجبل: أي خلق.

(٧) أصلدها: جعلها صلداً، أي صُلْباً متيناً.

(٨) صلصلت: يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح، وذلك هو الصلصال.

(٩) اللام في قوله «لوقت» متعلقة بمحذوف، كأنّه قال: حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم. ويمكن أن تكون متعلقة بـ «جَبَلَ» أي جَبَلَ من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي يوم القيامة.

إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا⁽¹⁾، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا⁽²⁾، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا⁽³⁾، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ، وَٱلْأَذْوَاقِ وَٱلْمَشَامِّ، وَٱلْأَلْوَانِ وَٱلْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً⁽⁴⁾ بِطِينَةِ ٱلْأَلْوَانِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ⁽⁵⁾، وَٱلْأَشْبَاهِ ٱلْمُؤْتَلِفَةِ، وَٱلْأَضْدَادِ ٱلْمُتَعَادِيَةِ، وَٱلْأَخْلَاطِ ٱلْمُتَبَايِنَةِ: مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ، وَٱلْبِلَّةِ وَٱلْجُمُودِ، وَٱلْمَسَاءَةِ وَٱلسُّرُورِ. وَٱسْتَأْدَى ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ ٱلْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ⁽⁶⁾، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي ٱلْإِذْعَانِ بِٱلسُّجُودِ لَهُ، وَٱلْخُنُوعِ⁽⁷⁾ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ٱعْتَرَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ٱلشِّقْوَةُ⁽⁸⁾، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ ٱلنَّارِ⁽⁹⁾، وَٱسْتَوْهَنَ خَلْقَ ٱلصَّلْصَالِ⁽¹⁰⁾. فَأَعْطَاهُ ٱللَّهُ ٱلنَّظِرَةَ⁽¹¹⁾ ٱسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ،

---

(١) مَثَلَ ـ ككَرُمَ ـ: قام منتصباً. والأذهان: قوى التعقل، ويجيلها: يحركها في المعقولات.

(٢) يختدمها: يجعلها في مآربه وأوطاره، كالخدم الذين تستعملهم وتستخدمهم.

(٣) والأدوات: جمع أداة، وهي الآلة. وتقليبها: تحريكها في العمل بها فيما خلقت له.

(٤) معجوناً: صفة «إنساناً».

(٥) الألوان المختلفة: الضروب والفنون، وتلك الألوان هي التي ذكرها من الحرّ والبرد والبِلّة والجمود.

(٦) استأدى الملائكة وديعته: طلب منهم أداءها، والوديعة: هي عهده إليهم بقوله: ﴿إني خالقٌ بشراً من طين * فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين﴾ [ص: ٧١ و٧٢].

(٧) الخنوع: الخضوع، ويروى الخشوع [كما أثبته عبده في المتن] وقوله: «فقال اسجدوا ...» عطف على «استأدى».

(٨) الشقوة ـ بكسر الشين وفتحها ـ: ما حتم عليه من الشقاء، والشقاء: ضد السعادة، وهو النصَب الدائم والألم الملازم.

(٩) تعزّزه بخلقة النار: استكباره مقدار نفسه لأنّه خلق من جوهر لطيف ومادّة أعلى من مادّة الصلصال.

(١٠) استوهن: عدّه واهناً ضعيفاً. والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل أو الطين، ما لم يجعل خزفاً. والمراد من «الصلصال» هنا مادّة الأرض التي خُلق آدم عليه السلام منها. وجوهر ما خلق منه الجن ـ وهم من الجواهر اللطيفة ـ أعلى من جوهر ما خُلق منه الإنسان وهو مجبول من عناصر الأرض.

(١١) النَّظِرة ـ بفتح فكسر ـ: الإمهال والتأخير، والانتظار به حيّاً ما دام الإنسان عامراً للأرض متمتعاً ←

وَٱسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ. فَقَالَ: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾. ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ[1] نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ ٱلْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ ٱلأَبْرَارِ، فَبَاعَ ٱلْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَٱلْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَٱسْتَبْدَلَ بِٱلْجَذَلِ وَجَلاً[2]، وَبِٱلاِغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ ٱلْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ ٱلْبَلِيَّةِ[3]، وَتَنَاسُلِ ٱلذُّرِّيَّةِ[4]. وَٱصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى ٱلْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ[5]، وَعَلَى تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ

= بالوجود، فيكون من الشيطان في هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون الله جلّ شأنه قد أنجز وعده في قوله: ﴿إنك من المنظرين﴾ [الأعراف: ١٥].

(١) اغتر آدمَ عدوُّه الشيطان: أي انتهز منه غرة فأغواه، وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام، ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار.

(٢) أدخل الشيطان عليه الشك في أنّ ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهي الله له عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه، وكانت العزيمة في الوقوف عند ما أمر الله، فاستبد بها الوهن الذي أفضى إلى المخالفة. والجذل ـ بالتحريك ـ: الفرح، وقد كان في راحة الأمن بالإخبات إلى الله وامتثال الأمر، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة، وقد ذهبت عنه الغرة، وانتبه إلى عاقبة ما اقترف، فاستشعر الندم بعد الاغترار.

(٣) أهبطه من مقام كان الإلهام الإلهي لانسياق قواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الأولى، إلى مقرّ قد خلط له فيه الخير والشر، واختلط فيه الطريقان. ووُكل إلى نظره العقلي، وابتلي بالتمييز بين النجدين واختيار أي الطريقين، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين.

(٤) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التي أنزل الله فيها آدم، وهو مما ابتلي به الإنسان؛ امتحاناً لقوته على التربية، واقتداره على سياسة من يعولهم، والقيام بحقوقهم، وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم.

(٥) ميثاقهم: عهدهم، أي أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحي إليهم، ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له، أو أخذ عليهم ألا يشرّعوا للناس إلا ما يوحى إليهم.

عَهْدَ ٱللَّهِ إِلَيْهِم[١] فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَٱتَّخَذُوا ٱلْأَنْدَادَ مَعَهُ[٢]، وَٱجْتَالَتْهُمُ[٣] ٱلشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَٱقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ[٤]، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ[٥]، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ ٱلْعُقُولِ[٦]، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ ٱلْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ[٧]، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ[٨] تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُخْلِ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[٩]، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ،

---

(١) عهد الله إلى الناس: هو ما سيأتي بعبر عنه بميثاق الفطرة.

(٢) الأنداد: الأمثال، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى.

(٣) اجتالتهم: أدارتهم وصرفتهم عن قصدهم الذي وُجّهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم، وأصله من الدوران، كأنّ الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا.

(٤) واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم، وبين كل نبي ومَن بعده فترة، لا بمعنى: أرسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً.

(٥) كأنّ الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى، قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خُلِق له. وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، أي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم.

(٦) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات، وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات، وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيّون لإثارة تلك المعارف الكامنة، وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

(٧) السقف المرفوع: السماء، والمهاد الموضوع: الأرض.

(٨) الأوصاب: الأمراض أو المتاعب.

(٩) المحجة: الطريق القويمة الواضحة.

وَلَا كَثْرَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ(١) سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ(٢) عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ ٱلْقُرُونُ(٣)، وَمَضَتِ ٱلدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ ٱلْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ ٱلْأَبْنَاءُ. إِلَى أَنْ بَعَثَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ(٤)، وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ(٥)، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ(٦)، كَرِيماً مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ ٱلْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ(٧)، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي ٱسْمِهِ(٨)، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ(٩)، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ ٱلضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱلْجَهَالَةِ. ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ ٱلْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ـ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً،

---

(١) «من سابق» بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم، كما ترى ذلك في التوراة.

(٢) الغابر: الذي يأتي بعد أن يشير به السابق جاء معروفاً بتعريف من قبله.

(٣) نسلت ـ بالبناء للمجهول ـ: ولدت، وبالبناء للفاعل: مضت متتابعة.

(٤) الضمير في «عدته» لله تعالى، لأنّ الله وعد بإرسال محمد ﷺ على لسان أنبيائه السابقين، وكذلك الضمير في «نبوته»، لأنّ الله تعالى أنبأ به، وأنّه سيبعث وحياً لأنبيائه. فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة، ولما كان الله هو المخبر به أُضيفت النبوة إليه.

(٥) قوله: «مأخوذ على النبيين ميثاقه» قيل: لم يكن نبيّ قطّ إلّا وبشّر ببعث محمد ﷺ، وأُخذ عليه تعظيمه وإن كان بعدُ لم يوجد.

(٦) سماته: علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشّروا به.

(٧) متفرقة: بعث النبي والناس شتى في أديانهم.

(٨) الملحد في اسم الله: الذي يميل به عن حقيقة مسمّاه فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها.

(٩) المشير إلى غيره: الذي يشرك معه في التصرّف إلهاً آخر فيعبده ويستعين به.

بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلاَ عَلَمٍ[1] قَائِمٍ[2] - كِتَابَ رَبِّكُمْ: مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ[3]،

---

(١) العَلَم: المنار يُهتدى به.

(٢) أي أنّ الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، وقد كان من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما كان منهم، فإنّه خلّف في أمته كتاب الله تعالى حاوياً لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم.

(٣) حلاله: كالأكل من الطيبات، وحرامه: كأكل أموال الناس بالباطل، وفرائضه: كالزكاة أخت الصلاة. وفضائله: كنوافل الصّدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج في التقصير عنها، وناسخه: ما جاء قاضياً يمحو ما كان عليه الضالون من العقائد، أو إزالة السابق من الأحكام، كقوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرّماً على طاعم يطعمه..﴾ [الأنعام: ١٤٥]. ومنسوخه: ما كان حكاية عن تلك الأحكام، كقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر..﴾ [الأنعام: ١٤٦]. ورخصه: كقوله: ﴿فمن اضطرّ في مخمصة..﴾ [المائدة: ٣]. وعزائمه: كقوله: ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسمُ اللهِ عَلَيْه..﴾ [الأنعام: ١٢١]. وخاصه كقوله: ﴿يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّم ما أحلّ الله لك..﴾ [التحريم: ١]، وعامه: كقوله: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدّتهن..﴾ [الطلاق: ١]. والعبر: كالآيات التي تخبر عما أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان. والأمثال: كقوله: ﴿ضرَبَ اللهُ مثلاً عَبداً مَملوكاً..﴾ [النحل: ٧٥]. وقوله: ﴿كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ ناراً..﴾ [البقرة: ١٧]. وأشباه ذلك كثير. والمرسل: المطلق، والمحدود: المقيّد. والمحكم: كآيات الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها. والمتشابه: كقوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوق أيديهم..﴾ [الفتح: ١٠]. والموسّع على العباد في جهله: كالحروف المفتتحة بها السور. نحو: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] و ﴿الٓر﴾ [يونس: ١]. والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه: كالصلاة، فإنّها فرضت على الذين من قبلنا، غير أنّ السنّة بيّنت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها، وكلّفنا أن نؤدي الصلاة بها، فالفرض في الكتاب، وتبيين نسخه لما كان قبله في السنّة، والمرخص في الكتاب تركه: ما لم يكن منصوصاً على عينه، بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله: ﴿فاقرأوا ما تيسّر منه..﴾ [المزمل: ٢٠] وقد عينته السنّة بسورة مخصوصة في كل ركعة، فوجب الأخذ بما عينته السنّة، ولو بقينا عند مجمل الكتاب كان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لا مؤاخذة معه. والواجب بوقته الزائل في مستقبله، كصوم رمضان يجب في جزء من السنة، ولا يجب في غيره.

وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ: مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى ٱلْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي ٱلْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي ٱلسُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي ٱلسُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي ٱلْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ لِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ[1]، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ[2].

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلْحَجِّ

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ ٱلأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَهَ ٱلْحَمَامِ[3]. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ. وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ ٱلْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ ٱلأَرْبَاحَ

---

(١) ومباين بين محارمه ـ بالرفع لا بالجر ـ: خبر لمبتدأ محذوف، أي والكتاب قد خولف بين المحارم التي حظرها، فمنها كبير أوعد عليه نيرانه، كالزنا وقتل النفس، ومنها صغير أرصد له غفرانه، كالنظرة بشهوة ونحوها.

(٢) رجوع إلى تقسيم الكتاب، والمقبول في أدناه الموسع في أقصاه: كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين، وموسع في كسوتهم وعتق الرقبة.

(٣) الوَلَه: شدة الوجد على رواية: «ويَوْلَهُونَ إليهِ وَلَهَ الحمام». وروي «يألهون إليه ولوه الحمام»، [كما في نسخة عبده والصالح] أي يعكفون عليه عكوف الحمام.

فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ(١)، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

بَعد ٱنصِرَافِهِ مِنْ صِفِّينَ(٢)

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَٱسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَٱسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً(٣) إِلَى كِفَايَتِهِ: إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَئِلُ(٤) مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ(٥) أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ

(*) ذكرها ابن طلحة الشافعي في الجزء الأول من (مطالب السؤول)، والآمدي في (غرر الحكم)، والطبري في (المسترشد) ص ٧٣.

---

(١) الوفادة: الزيارة.

(٢) صِفِّين ـ كسجِّين ـ: محلة عدّها الجغرافيون من بلاد الجزيرة ما بين الفرات ودجلة، والمؤرخون من العرب عدّوها من أرض سوريا، وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء، وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا. وصفين: اسم الأرض التي كانت فيها الحرب، والنون فيها أصلية على وزن فسّيق وجِمِّير.

(٣) الفاقة: الحاجة والفقر.

(٤) وَأَلَ يئل: نجا وخلص.

(٥) الضمير في «فإنّه» للحمد المفهوم من «أحمده».

لَاشَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا[1]، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ[2] مَا يَلْقَانَا؛ فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ[3] الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ[4]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ[5]، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ[6]؛ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ[7]، وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ[8] فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي[9] الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ[10]، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ

---

(١) المصاص: خالص الشيء.

(٢) الأهاويل: جمع أهوال، والأهوال: جمع هول، فهي جمع الجمع، كما قالوا: أنعام وأناعيم. وقيل: أهاويل أصله تهاويل، وهي ما يهولك من شيء، أي يروعك، وإن جاز هذا فهو بعيد: لأنّ التاء قلّ أن تبدل همزة.

(٣) العزيمة: النية المقطوع عليها.

(٤) مدحرة الشيطان: أي تدحره، تبعده وتطرده.

(٥) العَلَم المأثور: يجوز أن يكون عنى به القرآن؛ لأن المأثور المحكيّ، ويجوز أن يريد به أحد معجزاته غير القرآن؛ فإنّها كثيرة ومأثورة. والعَلَم ـ بالتحريك ـ: ما يُهتدى به، وهو هنا الشريعة الحقة، والمأثور: المنقول عنه.

(٦) الصادع: الظاهر الجلي.

(٧) المثُلات ـ بفتح فضم ـ: العقوبات، جمع مثلة بضم الثاء وسكونها بعد الميم، وجمعها: مثولات، ومثلات، وقد تسكن ثاء الجمع تخفيفاً.

(٨) انجذم: انقطع.

(٩) السواري: جمع سارية، وهي الدعامة يدعم بها السقف.

(١٠) النَّجْر ـ بفتح النون وسكون الجيم ـ: الأصل، ومثله النِّجار، أي اختلفت الأصول، فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق، وما هو من الحق في شيء.

ٱلْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ ٱلْمَصْدَرُ(١). فَٱلْهُدَى خَامِلٌ، وَٱلْعَمَى شَامِلٌ. عُصِيَ ٱلرَّحْمٰنُ، وَنُصِرَ ٱلشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ ٱلْإِيمَانُ، فَٱنْهَارَتْ دَعَائِمُهُ(٢)، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ(٣)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ(٤)، وَعَفَتْ شُرُكُهُ(٥). أَطَاعُوا ٱلشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ(٦). بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا(٧)، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا(٨)، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا(٩). فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ(١٠)، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ(١١)،

---

(١) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة، خفية غير ظاهرة، فلا عن بينة يعتقدون، ولا إلى غاية صالحة ينزعون.

(٢) انهارت: هوت وسقطت، والدعائم: جمع دعامة، وهي ما يستند إليه الشيء ويقوم عليه، ودعامة السقف مثلاً: ما يرتفع عليه من الأعمدة.

(٣) التنكر: التغير من حال تسر إلى حال تكره، أي تبدّلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه.

(٤) درست ـ كانتدرست ـ: أي انطمست، وعفت: بمعنى درست.

(٥) الشُّرُك: قال بعضهم: الشُّرُك: الطرائق، جمع شِراك ـ ككتاب ـ وهي الطريق، والذي يفهم من «القاموس» أنها بفتحات جوادّ الطريق، أو ما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق، اسم جمع لا مفرد له من لفظه.

(٦) المناهل: جمع مَنْهل، وهو مورد الشاربة من النهر.

(٧) الأخفاف للإبل، جمع خُفّ، وهو للبعير كالقدم للإنسان.

(٨) الأظلاف للبقر والمعز، جمع ظلف بالكسر، كالخف للبعير والقدم للإنسان.

(٩) السنابك: جمع سُنْبُك ـ كقنفذ ـ: طرف الحافر.

(١٠) خير دار: هي مكة المكرمة. وشرّ الجيران: عبدة الأوثان من قريش.

(١١) قوله: «نومهم سهود، وكحلهم دموع» مثل أن يقول: جودهم بخل، وأمنهم خوف، أي لو استماحهم محمد ﷺ النومَ لجادوا عليه بالسهود عوضاً عنه، ولو استجداهم الكُحْل لكان كحلهم الذي يصلونه به الدموع، أو هم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع.

بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ[1]، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ[2].

وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ[3]، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ[4]، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ[5]، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ. بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ[6].

وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْماً آخَرِينَ

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ[7]، لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ

---

(١) قوله: «بأرض عالمها مُلْجَم» أي من عرف صدق محمد ﷺ وآمن به في تقية وخوف؛ لأنّه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لاتناشوه ونهشوه.

(٢) «وجاهلها مكرم»، أي مَنْ جحد نبوّته وكذّبه في عز ومنعة؛ لأنّه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم، فمنزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم، وهي في المقام الأعلى من نفوسهم. وهذه الأوصاف كلّها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ.

(٣) اللجأ ـ محرّكة ـ: الملاذ وما تلتجئ إليه، كالوزر ـ محركة ـ: ما تعتصم به.

(٤) العيبة ـ بالفتح ـ: الوعاء، أي أنّ حكمه وشرعه يرجع إليهم، وهم حفّاظ كتبه، يحوونها كما تحوي الكهوف والغيران ما يكون فيها. و«الكتب»: القرآن، وجمعه لأنّه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب، ويزيد عليها ما خصّ الله به هذه الأمّة.

(٥) الموئل: ما ترجع إليه، يقول: إن أمر النبي ﷺ ملتجيء إليهم، وعلمه مودع عندهم، كالثوب يودَع العيبة.

(٦) الهاء في «ظهره» ترجع إلى الدين، وكذلك الهاء في «فرائصه» وهي: جمع فَرِيصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَد من الدابة. كنّى بانحناء الظهر عن الضعف، وبإقامته عن القوة، وبهم أمنة من الخوف الذي ترتعد منه الفرائص.

(٧) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعوه، وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي؛ فإن الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه، ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور، وهو الهلاك.

أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ ٱلدِّينِ، وَعِمَادُ ٱلْيَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِيءُ ٱلْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ ٱلتَّالِي[١]. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ ٱلْوِلاَيَةِ، وَفِيهِمُ ٱلْوَصِيَّةُ وَٱلْوِرَاثَةُ؛ ٱلآنَ[٢] إِذْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

٣ـ ومن خطبة له عليه السلام*

وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ[٣]

أَمَا وَٱللّٰهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ[٤]، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنْهَا مَحَلُّ

(*) ذكرها ابن لبة الرازي في كتابه (الإنصاف في الإمامة)، وابن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد)، والقاضي عبد الجبار في (المغني)، وأبو سعيد الآبي في كتابه (نثر الدرر) و(نزهة الأديب)، والمفيد في (الإرشاد) ص ١٣٥، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص)، والطوسي في (الأمالي) ج ١ ص ٣٩٢، وغيرهم.

(١) يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم، فمن غلا في دينه وتجاوز بالإفراط حدود الجادّة، فإنّما نجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي، وتفيّؤ ظلال أعلامهم. وقوله: «وبهم يلحق التالي» يقصد به أنّ المقصّر في عمله المتباطئ في سيره ـ الذي أصبح وقد سبقه السابقون ـ إنّما يتمنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم، أي أنّه ﷺ جعلهم كمِقْنَب* يسير في فلاة، فالغالي منه ـ أي الفارط المتقدم الذي قد غلا في سيره ـ يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدوّاً، ومَنْ تخلّف عن ذلك المقنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق من أن يتخطّف.

(٢) الآن: ظرف متعلق بـ«رجع»، و«إذ» زائدة للتوكيد، سوّغ ذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة، أو أنّ «إذ» للتحقيق بمعنى «قد»، كما نقله بعض النحاة.

(٣) لقوله فيها: «أنّها شقشقة هدرت ثم قرّت» كما يأتي.

(٤) فلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر، وفي نسخة ابن أبي الحديد: لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ←

* المقنب: جماعة من الفرسان دون المئة.

الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ[1]، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ[2]. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً[3]، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً[4]، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[5]، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ[6]، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ[7]

← وتقمّصها: أي جعلها كالقميص مشتملة عليه، والضمير للخلافة، ولم يذكرها للعلم كقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] «أن محلي منها»: كما أنّ الرحا لا تدور إلّا على القطب كذلك الخلافة؛ فإنها لا تقوم إلّا بي، ولا يدور أمرها إلّا عليّ، هكذا فسّروه، وعندي أنّه أراد أنّه من الخلافة في الصميم، وفي وسطها كالقطب من الرحا.

(١) كأنّه في ذروة جبل ينحدر السيل عنه إلى الوهاد، وهذا تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي، وأنّ ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنّما يتدفق من حوضه، ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله.

(٢) ولا يرقى: أعظم في الرفعة من التي قبلها؛ لأنّ السيل ينحدر عن الهضبة والرابية وأمّا تعذّر رقي الطير فربّما يكون للقلال الشاهقة جداً أو ما هو أعلى.

(٣) سدلت دونها ثوباً، أي أرخيتُ، سدل الثوب: أرخاه، فسدلت ....: كناية عن غض نظره عنها.

(٤) طوى عنها كشحا: مال عنها. وهو مثل؛ لأنّ من جاع فقد طوى كشحه، ومن شبع فقد ملأه، فهو قد جاع عن الخلافة، أي لم يلتقمها طويت عنها كشحاً؛ أي قطعتها وصرمتها؛ والكشح: ما بين الخاصرة والجنب.

(٥) وطفقت ....: بيان لعلّة الإغضاء. والجذّاء ـ بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة ـ: بمعنى المقطوعة، ويقولون: «رَحِمٌ جذّاء» أي لم توصل «ومِنَّ جذّاء»: أي منهشّمة، والمراد هنا ليس م يؤيدها، كأنّه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنه كشحاً.

(٦) الطَّخْية: قطعة من الغيم والسحاب، وطِخْيَة ـ بطاء فخاء بعدها ياء ويثلث أولها ـ: أي ظلمة وعمياء: تأكيد للظلام الحالك واسوداده، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي. وإنّما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق.

(٧) يكدح: يكدّ مع المشقّة ويسعى سعي المجهود.

فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ*؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ ٱلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[١]، فَصَبَرْتُ وَفِي ٱلْعَيْنِ قَذىً[٢]، وَفِي ٱلْحَلْقِ شَجاً[٣]. أَرَى تُرَاثِي نَهْباً[٤]، حَتَّى مَضَى ٱلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ[٥]، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ[٦].

ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[٧]

---

(١) هاتا: بمعنى هذه، «ها» للتنبيه، و«تا» للإشارة، ومعنى «تا» ذي، وهذا أحجى من كذا، أي أليق بالحجا، وهو العقل، أحجى: ألزم، من حجي به ـ كرضي ـ: أولع به ولزمه، ومنه: هو حجيّ بكذا؛ أي جدير، وما أحجاه، وأحج به، أي أخلق به، أي رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(٢) وفي العين قذى: أي صبرت على مضض كما يصبر الأرمد.

(٣) وفي الحلق شجى: وهو ما يعترض في الحلق، أي كما يصبر مَن غصّ بأمرٍ فهو يكابد الخَنْق.

(٤) أرى تراثي نهباً: كنّى عن الخلافة بالتراث، وهو الموروث من المال.

(٥) مضى: مات. السبيل: الطريق.

(٦) أدلى بها: ألقى بها إليه، من قوله ﴿وَتُدْلُوا بها إلى الحُكّامِ﴾ [البقرة ١٨٨] أي تدفعوها إليهم رشوة، وأصله من أدليت الدلو في البئر: أرسلتها. [وعند ابن أبي الحديد: «فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده».]

(٧) الكُور ـ بالضم ـ: الرَّحل، أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل هذا البيت، في قوله:

وقد أسلي الهم إذ يعتري ... بجسرة دوسرة عاقر

والجسر: العظيم من الإبل، والدوسرة: الناقة الضخمة، وحيّان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس، وله نعمة واسعة ورفاهية والرة وكان الأعشى ينادمه. والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، وأول القصيدة:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

وجابر أخو حيان أصغر منه، ومعنى البيت: أنّ فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته←

---

* [في نسخة ابن أبي الحديد: «رَبَّهُ» بالوقف.]

فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ(١)، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ!
لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا(٢)! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ(٣) يَغْلُظُ

← وبين يوم حيان في رفاهيته، فإنّ الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. يتلو هذا البيت أبيات منها:

فـي مِـجْدل شـيِّد بـنيانه	يـزل عـنه ظـفر الطـائر
ما يجعل الجُدُّ الظَّنونُ الذي	جُنِّبَ صوبَ اللَّجِبِ الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما	يقذف بالبوصيّ والماهر

المِجْدل ـ كَمِنْبر ـ: القصر. والجُدّ ـ بضمّ أوله ـ: البئر القليلة الماء، والظنون: البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا. واللجب: المراد منه السحاب؛ لاضطرابه وتحرّكه. والفراتي: الفرات، وزيادة الياء للمبالغة. والبوصي: ضرب من السفن معرّب (بوزي)، والماهر: السابح المجيد. ووجه تمثّل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل، إذ يريد عليه السلام: شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر ومنيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهّدة، وأركان ثابتة، وسكون شامل، فانتظم أمره، ومكّنت أيامه.

(١) يستقيلها: يطلب إعفاءه منها، أي: العجب منه وهو يستقيل المسلمين من الخلافة أيام حياته فيقول: «أقيلوني» ثم يعقدها عند وفاته لآخر، وهذا يناقض الزهد فيها والاستقالة منها. رووا أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: «أقيلوني؛ فلست بخيركم» وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه: «وليتكم ولست بخيركم».

(٢) تشطّرا ضرعيها: اقتسما فائدتها ونفعهما، والضمير للخلافة. و«لشد ما تشطرا ضرعيها» جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين، فالفاء في «فصيّرها» عطف على «عقدها». و«تشطرا» مسند إلى ضمير التثنية، و«ضرعيها» تثنية ضرع، وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة. قالوا: إنّ للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر، ويقال: شطّر بناقته تشطيراً: صرّ خلفين وترك خلفين. والشطر أيضاً: أن تحلب شطراً وتترك شطراً: فتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً. سمّى شطري الضرع «ضرعين» مجازاً، وهو هنا من أبلغ أنواعه؛ حيث إنّ من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلّا تاماً ولا يجوز أن يترك لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم «التشطير» و«الاقتسام» كأنّ أحدهما ترك منه شيئاً للآخر، وأطلق على كلّ شطر «اسم الضرع» نظراً لحقيقة ما نال كلّ واحد.

(٣) في حوزة خشناء: أي في جهة صعبة المرام، شديدة الشكيمة.

كَلْمُهَا[1]، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ ٱلْعِثَارُ فِيهَا[2]، وَٱلاِعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ[3]: إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ[4]، وَإِنْ أَسْلَسَ[5] لَهَا تَقَحَّمَ[6]، فَمُنِيَ[7] ٱلنَّاسُ ـ لَعَمْرُ ٱللهِ ـ بِخَبْطٍ[8] وَشِمَاسٍ[9]، وَتَلَوُّنٍ[10] وَٱعْتِرَاضٍ[11]، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ ٱلْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ ٱلْمِحْنَةِ: حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتَّةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَاللهِ

---

(١) الكَلْم: الجرح، والكُلام بالضم [كما أثبته عبده في ج د ن]: الأرض الغليظة. وصف الكَلْم بالغِلَظ لأنّ الجُرح إذا أمعن وعَمُق فكأنّه قد تضاعف وصار جُروحاً، فسمي غليظاً. كأنّه يقول خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(٢) العثار: السقوط والكبوة. يقول: ليست هذه الجهة جَدَداً مَهْيَعاً، بل هي كطريق كثير الحجارة، لا يزال الماشي فيه عاثراً.

(٣) الصعبة من النوق: ما لم تُرْكَبْ ولم تُرَض، أي ما ليست بذلول.

(٤) أشنق البعير وشنقه كفّه بزمامه حتى ألصق ذفراه ـ العظم الناتئ خلف الأذن ـ بقادمة الرحل، أو رفع رأسه وهو راكبه، وأصله من الشِّناق وهو خيطٌ يُشدُّ به فمُ القِرْبة، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل «أسلس».

(٥) أسلس: أرخى.

(٦) تقحّم: رمى بنفسه في القحمة، أي الهلكة، وراكب الصعبة إمّا أن يشنقها فيخرم أنفها، وإمّا أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(٧) مُنِيَ الناس: ابتلوا و أصيبوا.

(٨) الخبط: السير على غير جادّة وعلى غير هدى.

(٩) الشِماس ـ بالكسر ـ: إباء ظهر الفَرس عن الركوب والنفار.

(١٠) التلوّن: التبدّل.

(١١) الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنّه يسير عرضاً في حال سيره طولاً، وإنّما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط. يقال: «بعير عُرْضيّ» يعترض في سيره لأنّه لم يتمّ رياضته، وفي فلان عرضية: أي عجرفة وصعوبة.

وَلِلشُّورَى(١)! مَتَى ٱعْتَرَضَ ٱلرَّيْبُ فِيَّ مَعَ ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ

---

(١) *أصل الشورى: الاستشارة*. وإجمال القصة: أنّ عمر بن الخطاب لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده، فأشير عليه بابنه عبد الله فقال: «لا يليها - أي الخلافة - اثنان من ولد الخطاب حسبُ عمر ما حمل» ثم رأى أن يكل الأمر إلى ستة قال: «إنّ النبي ﷺ مات وهو راض عنهم، وعليهم بعد التشاور أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين» والستة رجال الشورى هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله؛ لأنّ أمّه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور، وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لأنّ زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي؛ لأنه تيمي، وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد؛ لمكان الخلافة في أبي بكر.

وبعد موت عمر بن الخطاب اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن، وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلّا ولهم أمير، وقال: «إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن» فأقبل عبد الرحمن على علي وقال: «عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده» فقال علي: «أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي» ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه: بنعم، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد - حيث كانت المشورة - وقال: «اللهم اسمع واشهد، اللهم إنّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان» وصفق بيده في يد عثمان وقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين» وبايعه.

قالوا: «وخرج الإمام علي واجداً» فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: «والله لقد تركت علياً وإنّه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون» فقال: «يا مقداد! لقد تقصيت الجهد للمسلمين». فقال المقداد: «والله إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه». فقال عبد الرحمن: «يا مقداد، إنّي أخشى عليك الفتنة، فاتّق الله».

ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: «هذا عمل يديك» فقال: «ما كنت أظنّ هذا به، ولكن ←

ٱلنُّظَائِرِ[١]! لكنّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[٢]، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا. فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[٣]، وَمَالَ ٱلآخَرُ لِصِهْرِهِ[٤]، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٥]. إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[٦]، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ[٧]. وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ[٨] مَالَ ٱللهِ خَضْمَ ٱلإِبِلِ نِبْتَةَ ٱلرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ[٩]، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[١٠].

← لله عليّ ألّا أكلّمه أبداً. ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إنّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه، والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

(١) النظائر: جمع نظير، أي المشابه بعضهم بعضاً دونه.

(٢) أسَفّ الطائر: دنا من الأرض، يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

(٣) صغا الرجل: بمعنى مال، الصَّغْو: الميل بالفتح والكسر؛ يعني طلحة. والضغن: الضغينة.

(٤) مال الآخر لصهره: يعني عبد الرحمن مال إلى عثمان؛ لأنّ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحته، وأمّ كلثوم هذه هي أُخت عثمان من أمّه أروى بنت كُرَيز.

(٥) يشير إلى أغراض أخر يكره ذكرها.

(٦) يشير إلى عثمان، وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه، كما تراه في خبر القضية. ونافجاً حضنيه: رافعاً لهما، والحضن: ما بين الإبط والكشح، يقال للمتكبر: جاء نافجاً حضنيه، ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً.

(٧) النثيل: الروث وقضيب الدواب، والمعتلف من مادة علف: موضع العلف وهو معروف، أي لا همّ له إلّا ما ذكر، وهو الأكل والرجيع، وهذا من ممضّ الذم، وأشد من قول الحطيئة ـ الذي قيل: إنّه أهجى بيت للعرب ـ:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعُدْ فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسي

(٨) الخضم ـ على ما في «القاموس» ـ: الأكل، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخفّ من الخضم. وقيل: الخضم أكل الشيء الرَّطب، والقضمُ: أكل الشيء اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف: وهو أنهم على قَدَم عظيمة من النَّهم وشدّة الأكل وامتلاء الأفواه، والخضمة: مصدر مثله. والنبتة ـ بكسر النون ـ كالنبات في معناه.

(٩) انتكث فتله: انتقض، وأجهز عليه عمله، تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح وذففت عليه.

(١٠) البطنة ـ بالكسر ـ: البطر والأشر، وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَٱلنَّاسُ كَعُرْفِ ٱلضَّبُعِ إِلَيَّ[1]، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ ٱلْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ ٱلْغَنَمِ[2]. فَلَمَّا نَهَضْتُ بِٱلْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ[3]: كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ ٱللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَى وَٱللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا[4]. أَمَا وَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ[5]، لَوْلَا حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ[6]، وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ ٱلنَّاصِرِ[7]، وَمَا أَخَذَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ[8] ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ[9] مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى

---

(١) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام، وينثالون: يتتابعون مزدحمين. والحسنان: ولداه الحسن والحسين، وشُقّ عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية «شق عطافي» والعطاف: الرداء، وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة، والرواية الأولى أشهر. والعطفان الجانبان من المنكب إلى الورك.

(٢) ربيضة الغنم: الطائفة، أو القطعة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

(٣) الناكثة: أصحاب الجمل، والمارقة: أصحاب النهروان، والقاسطون ـ أي الجائرون ـ: أصحاب صفين. *ومَرَقت: خرجت، وفي المعنى الديني: فسقت.*

(٤) حليت: حلا الشيء في فمي يحلو، وحلي لعيني يَحْلى، وحليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزيّنت بحليّها. الزبرج: الزينة من وَشْي أو غيره، ويقال: الزبرج: الذهب.

(٥) النسمة: كل ذي روح من البشر خاصةً، والنَّسَمة محركة: الروح، وبرأها: خلقها.

(٦) الحاضر: من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره، ويمكن أنْ يريد بالحاضر مَنْ حَضره من الجيش الذي يستعين به على الحرب.

(٧) الناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.

(٨) الكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق.

(٩) السغب: الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

غَارِبِهَا[1]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[2].

قَالُوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ[3] عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هٰذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَاباً، فَأَقْبَلَ يَنظُر فِيهِ. فلمّا فرغ من قراءته قال لَهُ ابْنُ عباس: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوِ اطَّرَدَتْ[4] خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ!

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[5] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ[6].

قَالَ ابْنُ عبّاسٍ: فَوَاللهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هٰذَا الْكَلَامِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ.

قال الشريف ﷺ: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ» يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ الزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ

---

(1) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر، يقال: ألقى فلان حبل فلان على غاربه، أي تركه هملاً يسرح من غير وازع ولا مانع.

(2) عفطة العنز: ما تنثره من أنفها كالعفطة، عفطت تعفط من باب ضرب، غير أنّ أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، والأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال: «ما له عافط ولا نافط» أي نعجة ولا عنز، كما يقال: «ما له ثاغية ولا راغية» والعفطة: الحبقة أيضاً، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

(3) السواد: العراق، وسمي «سواداً» لخضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمّي الأخضر «أسود» قال الله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] يريد الخضرة.

(4) اطّردت: أي أتبعتَ الأول قولاً ثانياً، من قولهم: «اطّرد النهر» إذا تتابع جريُه. [وعند الصالح] اطّردت خطبتك: أتبعت بخطبة أخرى.

(5) الشِّقْشِقة - بكسر فسكون فكسر -: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة، قال في «القاموس»: «والخطبة الشقشقية العلوية» وهي هذه.

(6) قرّت: سكنت ثم هدأت.

رَأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا، وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئاً مَعَ صُعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ، فَلَمْ يَمْلِكْهَا. يُقَالُ: أَشْنَقَ النَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا بِالزِّمَامِ فَرَفَعَهُ، وَشَنَقَهَا أَيْضاً. ذَكَرَ ذٰلِكَ ابْنُ السِّكِّيتِ فِي «إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ». وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَشْنَقَ لَهَا» وَلَمْ يَقُلْ «أَشْنَقَهَا» لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: «أَسْلَسَ لَهَا» فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ رَفَعَ لَهَا رَأْسَهَا بِالزِّمَامِ: بِمعنى أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَطَبَ عَلَى نَاقَةٍ وَقَدْ شَنَقَ لَهَا فَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا. وَمِن الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّ «أَشْنَقَ» بِمَعْنَى «شَنَقَ» قَوْلُ عَدِيِّ بن زَيْدٍ الْعِبَادِيِّ:

سَاءَهَا مَا تَبَيَّنَ فِي الْأَيْـ ـدِي وَإِشْنَاقُهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ

٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

بَعْدَ مَقْتَلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ
فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وَ كَمَالِ يَقِينِهِ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ(١)، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ(٢)، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ(٣).

(*) ذكرها الطبري في (المسترشد) ص ٩٥، والشيخ المفيد في (الإرشاد) ص ١٤٧.

---

(١) الظلماء: الجهالة.

(٢) تسنمتم العلياء: ركبتم سنامها وارتقيتم إلى أعلاها.

(٣) بنا انفجرتم: أي دخلتم في الفجر، وروي «أفجرتم» [كما في نسخة الصالح] أي صرتم ذوي فجر، وهو أفصح وأصح؛ لأنّ انفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلّا نادراً، أمّا أفعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها، كقولهم: «أجرب الرجل» إذا صارت إبله جربى. وأمثاله كثيرة. والسرار: الليلة والليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يظهر، والمراد كنتم في ظلام حالك، وهو ظلام ←

وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ ٱلْوَاعِيَةَ[1]، وَكَيْفَ يُرَاعِي ٱلنَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ ٱلصَّيْحَةُ[2]؟! رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ ٱلْخَفَقَانُ[3]. مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ ٱلْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ[4]، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ ٱلدِّينِ[5]، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ ٱلنِّيَّةِ. أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ ٱلْحَقِّ فِي جَوَادِّ ٱلْمَضَلَّةِ[6]، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ،

← حالك، وهو ظلام الشرك والضلال ← فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا. والضمير لمحمد صلى الله عليه وآله، والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته.

(١) الوَقْر ـ بالفتح ـ: الثقل في الأذن، وهو دعاء على السمع الذي لم يفقه الواعية بالثقل والصمم. ووقرت أذنه، فهي موقورة صمّت. الواعية: الصارخة، من الوعاء، وهو الجَلَبة والأصوات، والمراد العبر والمواعظ.

(٢) كيف يُراعي النبأة: أي كيف يلاحظ ويُراعي العِبَرَ الضعيفة مَنْ لم ينتفع بالعِبَر الجليّة الظاهرة؟! والنبأة: الصوت الخفي. والصيحة هنا: الصوت الشديد، أي من أصمّته الصيحة فلم يسمعها، كيف يمكن أن يسمع النبأة فيراعيها؟! ويشير بالصيحة إلى زواجر كتاب الله ومقال رسوله، وبالنبأة إلى ما يكون منه رضي الله عنه.

(٣) ربط جأشه رباطة: اشتدّ قلبه، ومثله رباطة الجنان، أي القلب، وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك.

(٤) ما زلت أنتظر: يقول: كنت مترقّباً غدركم متفرّساً فيكم الغَرَر، وهو الغفلة، وأنكم لا تميّزون بين الحقّ والباطل، ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس له من الحقّ على مثل حاله.

أتوسّمكم: أتفرّس فيكم. حلية المغترين: أصلها الحلية الزينة، والمراد بها هنا صفة أهل الغرور.

(٥) قوله: سترني عنكم، يحتمل وجوهاً، أوضحها أنّ إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منّي مع علمي بنفاقكم، وإنّما أبصرت نفاقكم وبواطنكم الخبيثة بصدق نيّتي، وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها. ويحتمل أنْ يريد: سترني جلباب ديني، ومنعني أنْ أعرّفكم نفسي وما أقدر عليه من عسفكم. وجلباب الدين: ما يكسوه من رسومه الظاهرة.

(٦) جوادّ المضلّة: الجوادّ جمع جادّة وهي الطريق. والأرض مَضَلّة ومَضِلّة ـ بفتح الضاد وكسرها ـ: يضلّ سالكها. وللضلال طرق كثيرة؛ لأنّ كلّ ما يخرج عن الحقّ فهو باطل، وللحقّ طريق واحد مستقيم، وهو الوسط بين طرق الضلال، لهذا قال: أقمت لكم على سنن الحقّ، وهو طريقه ←

وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ[1]. اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ ٱلْعَجْمَاءَ ذَاتَ ٱلْبَيَانِ[2]! عَـزَبَ رَأْيُ ٱمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي[3]. مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ[4]، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ[5]؛ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلْجُهَّالِ وَدُوَلِ ٱلضَّلَالِ.

ٱلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ[6]. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ[7].

← الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعّبة، حيث يلاقي بعضكم بعضاً، وكلّكم تائهون، فلا فائدة في التقائكم، حيث لا يدلّ أحدكم صاحبه؛ لعدم علمه بالدليل.

(١) أماه المحتفر يميه: أنبط الماء، وتميهون: تجدون ماء من «أماهوا أركيتهم» أنبطوا ماءها، أو تستقون من «أماهوا دوابّهم» سقوا. يقول: فعلتُ من إرشادكم ما يجب على مثلي، فوقفت لكم على جادّة الحقّ حيث طرق الضلال كثيرة، وأنتم تائهون فيها تلتقطون، ولا دليل لكم، وتحتفرون لتجدوا ماءً فلا تظفرون بالماء، وهذه كلّها استعارات.

(٢) العجماء: التي لا نطق لها، أراد من العجماء رموزه وإشاراته، فإنّها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة لهم، لكنّها جليّة ظاهرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] لهذا سمّاها ذات البيان مع أنّها عجماء. *والعجماء: البهيمة* .

(٣) عزب: أي بعد، والعازب: البعيد. [وفي نسخة عبده: غرب] وغرب: غاب، أي لا رأي لمن تخلّف عنّي ولم يطعني.

(٤) ما شككت ... يقول: معارفي ثابتة لا يتطرّق إليها الشكّ والشبهة.

(٥) يتأسّى بموسى عليه السلام، إذ رموه بالخيفة، ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون، يقول: لم يكن ذلك الخوف على نفسه، وإنّما خاف الفتنة الداخلة على المكلّفين عند إلقاء السحرة عصيّهم، وكذلك أنا لا أخاف على نفسي من الأعداء الذين نصبوا ليَ الحبائل، وإنّما أخاف أن يفتتن المكلّفون بشبههم، فتقوى دولة الضلال، وتغلب كلمة الجهّال. وهو أحسن تفسير لقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧] وأفضل تبرئة لنبي الله من الشكّ في أمره.

(٦) توافق القوم على الطريق: أي وقفوا كلهم عليها، يقول: اليوم اتضح الحقّ والباطل، وعرفناهما نحن وأنتم.

(٧) يقول: إن وثقتم بي كنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلى اليقين، كمن وثق بأنّ الماء في إدواته يكون عن الظمأ أبعد ممّن لم يثق بذلك.

٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَخَاطَبَهُ ٱلْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَايِعَا لَهُ بِالْخِلَافَةِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ ٱلنَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ ٱلْمُنَافَرَةِ(١)، وَضَعُوا تِيجَانَ ٱلْمُفَاخَرَةِ(٢). أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ(٣)، أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. مَاءٌ آجِنٌ(٤)،

(*) ذكر هذه الخطبة سبط ابن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص)، والطبرسي في (الاحتجاج)، ج ١ ص ١٢٧.

---

(١) عرج عن الطريق: مال عنه وتنكّبه.

(٢) المفاخرة: أن يذكر كلّ واحد من الرجُلين مفاخرَه وفضائله وقديمه، ثمّ يتحاكما إلى ثالث. والعبارة قلب قصد به المبالغة، والقصد: ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم، وكأنّه يقول طأطئوا رؤوسكم تواضعاً، ولا ترفعوها بالمفاخرة إلى حيث نصيبها تيجانها. [وقد أثبت عبده في المتن: «وضعوا عن تيجان المفاخرة»].

(٣) أفلح من نهض: مات، شبّه الميّت المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه. ويحتمل أنّه يريد: أفلح من اعتزل هذه الدنيا، أو يريد: أفلح من طلب الرئاسة بناصر ينصره. فالمفلح أحد رجلين: إمّا ناهض للأمر بجناح، أي بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض إليه، وإمّا مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل، وذلك عند عدم الناصر، وهذا ينحو نحو قول عنترة لمّا قيل له: «إنّك أشجع العرب» فقال: «لست بأشجعهم، ولكنّي أقدم إذا كان الإقدام عزماً، وأحجم إذا كان الإحجام حزماً».

(٤) الماء الآجن: المتغيّر الفاسد، أجَنَ الماء ـ بفتح الجيم ـ يأجِن ويأجُن، بالكسر والضمّ، والإشارة إلى الخلافة، أي إنّ الإمرة على الناس والولاية على شؤونهم مما لا يهنأ لصاحبه، بل ←

وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا. وَمُجْتَنِي ٱلثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَٱلزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ[1].

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ ٱلْمَوْتِ[2]! هَيْهَاتَ بَعْدَ ٱللَّتَيَّا وَٱلَّتِي[3]! وَٱللَّهِ لَٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِٱلْمَوْتِ مِنَ ٱلطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ ٱنْدَمَجْتُ[4] عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَٱضْطَرَبْتُمُ ٱضْطِرَابَ ٱلْأَرْشِيَةِ[5] فِي ٱلطَّوِيِّ[6] ٱلْبَعِيدَةِ.

← ذلك أمر يشبه تناوله الماء الآجن ولا تحمد عواقبه كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها.

(١) الإيناع: إدراك الثمرة، يشير إلى أنّ ذلك لم يكن الوقت الذي يسوّغ فيه طلب الأمر، فلو نهض إليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى، كما أنّ الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع.

(٢) يعني: إن تكلّم ﷺ بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان، وإن سكت ـ وهم يعلمونه أهلاً للخلافة ـ يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقّه. والجزع: الخوف.

(٣) اللتيّا: تصغير «التي»، كما أنّ اللذيّا تصغير «الذي» والمعنى: أبعد أن قاسيتُ الأهوال الكبار والصغار، ومُنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة، فاللتيّا للصغيرة، والتي للكبيرة. وقد قيل إنّ رجلاً تزوّج بقصيرة سيّئة الخلق فشقي بعشرتها، ثمّ طلّقها وتزوّج أخرى طويلة، فكان شقاؤه بها أشدّ، فطلّقها وقال: «لا أتزوّج بعد اللتيا والتي» يشير بالأولى إلى الصغيرة، وبالثانية إلى الكبيرة، فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها. وقوله: «هيهات ...» نفي لما عساهم يظنّون من جزعه من الموت عند سكوته.

(٤) اندمجت: انطويت، أدمجه: لفّه في ثوب فاندمج، أي انطويت على علم والتففت عليه.

(٥) الأرشية ـ جمع رشاء ـ: الحبال في البئر البعيدة القعر.

(٦) الطويّ: جمع طويّة، البئر المطويّة بالحجارة، والبعيدة: بمعنى العميقة، أو هي ـ بفتح الطاء كعليّ ـ بمعنى السقاء، وتكون «البعيدة» نعتاً سببياً، أي البعيدة مقرّها من البئر، أو نسبة البعد في العبارة مجاز عقلي.

٦ - ومن خطبة له عليه السلام (*)

لمّا أُشيرَ عَلَيْهِ بِأَلّا يَتْبَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَلَا يَرْصُدَ لَهُمَا الْقِتَالَ (١)

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ (٢)، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا (٣) رَاصِدُهَا (٤)، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً (٥)، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي؛ فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا (٦).

(*) ذكرها الطبري في (تاريخه) في حوادث سنة ٣٦، والقاسم بن سلام في (غريب الحديث) ص ١٧٤.

---

(١) يرصد: يترقّب، أو هو رباعي من الإرصاد بمعنى الإعداد، أي ولا يعدّ لهما القتال، يقال: أرصد له بشرّ: أي أعدّ له وهيّأه.

(٢) اللّدْم: صوت الحجر أو العصا أو غيرهما، تضرب به الأرض ضرباً ليس بشديد. قال أبو عبيد: «يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضرباً غير شديد، وذلك هو اللدم، ثمّ يقول: خامري أمّ عامر، بصوت ضعيف يكرّرها مراراً، فتنام الضبع على ذلك، فيجعل في عرقوبها حبلاً ويجرّها فيخرجها» وخامري: أي استتري في جحرك ويقال: خامر الرجل منزله: إذا لزمه.

(٣) يَخْتِلَها: يخدعها.

(٤) راصدها: صائدها الذي يترقّبها. يقول: لا أقعُد عن الحرب والانتصار لنفسي وسلطاني، فيكون حالي مع القوم المشار إليهم حال الضّبع مع صائدها، فأكون قد أسلمت نفسي، فعل العاجز الأحمق، ولكنّي أحارب مَن عصاني بمن أطاعني حتّى أموت.

(٥) المُريب: الذي يكون في حال الشكّ والرّيب.

(٦) يقول: إنّ الاستئثار عليّ والتغلّب أمر لم يتجدّد الآن، ولكنّه كان منذ قُبض رسول الله ﷺ.

٧ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في ذمّ أتباع الشيطان

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً(١)، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً(٢)، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ(٣)، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ(٤)، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ(٥)، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ(٦)، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ(٧)، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

(*) ذكرها الزمخشري في (ربيع الأبرار) ص ١٠٩، واستشهد ابن الأثير بمقطع منها في (النهاية في غريب الحديث) ج ٢ ص ٥٠.

---

(١) ملاك الشيء ـ بالفتح ويكسر ـ: قوامه الذي يملك به.

(٢) يجوز أن يكون أشراكاً جمع شريك، كشريف وأشراف، أي جعلهم شركاءه، ويجوز أن يكون جمع شَرَك، كجَبَل وأجبال، وهو ما يصاد به، فكأنهم آلة الشيطان في الضلال.

(٣) باض وفرّخ: كناية عن توطّنه صدورهم وطول مكثه فيها؛ لأنّ الطائر لا يبيض إلا في عشّه، وفراخ الشيطان: وساوسه.

(٤) دبّ ودرج في حجورهم: أي ربّوا الباطل كما يربّي الوالدان الولد في حجورهما، لشدّة اتحاده بهم وامتزاجه صار كمن ينظر بأعينهم، وينطق بألسنتهم، أي صار الاثنان كالواحد.

(٥) الزلل: الغلط والخطأ.

(٦) الخَطَل: القول الفاسد وأقبح الخطأ.

(٧) يجوز: أشركه الشيطان في سلطانه، بالهمزة، وشَرِكه أيضاً؛ وبغير الهمز أفصح.

٨ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

يَعْنِي بِهِ ٱلزُّبَيْرَ فِي حَالٍ ٱقْتَضَتْ ذلِكَ

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِٱلْبَيْعَةِ، وَٱدَّعَى ٱلْوَلِيجَةَ(١). فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

٩ـ ومن كلام له عليه السلام (**)

فِي صِفَتِهِ وَصِفَةِ خُصُومِهِ. وَيُقَالُ: إِنَّهَا فِي أَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا(٢)، وَمَعَ هذَيْنِ ٱلْأَمْرَيْنِ ٱلْفَشَلُ(٣). وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ(٤)، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

(*) ذكره الشيخ المفيد في كتابه (الجمل) عن الواقدي.

(**) ذكره الواقدي في كتابه (الجمل).

---

(١) الوليجة: البطانة، والأمر يُسَرّ ويكتم. وكان الزبير يقول: «بايعتُ بيدي لا بقلبي» أو يدعي أنه أكره، ويدعي تارةً أنّه ورّى في البيعة، ونوى دخيلة. فقال ﷺ: هذا الكلام إقرارٌ منه بالبيعة، وادعاء لأمر آخر لم يُقِمْ عليه دليلاً. فإمّا أن يقيم الدليل على فساد البيعة الظاهرة، أو يعاود طاعته.

(٢) *أرعدوا وأبرقوا: أوعدوا وتهدّدوا*، يقال: «أرعد الرجل وأبرق» إذا أوعد وتهدّد.

(٣) الفَشَل: الجبن والخَوَر.

(٤) *لسنا نُرعد حتى نوقع: لا نهدّد عدوّاً إلّا بعد أن نوقع بعدوّ آخر*، فإنّا إذا أوْقَعنا بعدوّ أوعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه، وإذا أمطرنا أسلنا، أمّا أولئك الذين يقولون: «نفعلُ ونفعلُ» وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر، وهو محال غير موجود فهم كالأعدام فيما به يوعدون.

١٠ - ومن كلام له عليه السلام (*)

يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانَ، أَوْ يُكَنِّي بِهِ عَنْ قَوْمٍ

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ(١) قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ(٢)، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي(٣): مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي(٤)، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ(٥) لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(٦)، لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ(٧)، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ(٨).

(*) ذكره الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) ص ١١٨.

---

(١) يمكن أن يعني بالشيطان الشيطان الحقيقي، ويمكن أن يعني به معاوية، فإن عنى معاوية فقوله: «قد جمع حزبه...» كلام جارٍ على حقائقه، وإن عنى الشيطان، كان ذلك من باب الاستعارة.

(٢) الرَّجْل: جمع راجل، كالشُّرْب جمع شارب.

(٣) يريد أنّ بصيرته التي معه منذ زمن رسول الله ﷺ لم تتغيّر.

(٤) *ما لبّست على نفسي: ما أوقعتها في اللّبس والإبهام.*

(٥) لأُفرطنّ: من رواها بفتح الهمزة فأصله من «فَرَط» أي سَبَق، ومن رواها بضمّ الهمزة فهو من «أفرط المائدة» أي ملأها، أفرطه: ملأه حتّى فاض.

(٦) الماتح: من متح الماء، أي أنا نازح ماءه من البئر، فمالئ به الحوض، وهو حوض البلاء والفناء، أو أنا الذي أسقيهم منه.

(٧) *يصدرون عنه: يعودون بعد الاستسقاء.*

(٨) أي أنّهم سيردون الحرب فيموتون عندها، ولا يصدرون عنها، ومن نجا منهم فلن يعود إليها.

١١ - ومن كلام له عليه السلام (*)

لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ لَمَّا أَعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ(١)، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ(٢). أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ(٣). تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ(٤). ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ(٥)، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

١٢ - ومن كلام له عليه السلام (**)

لَمَّا أَظْفَرَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.

(*) ذكره الماطري في (نزهة الأبصار) والزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ٤، باب القتل والشهادة.

(**) ذكر البرقي في كتاب (المحاسن) ج ١ ص ٢٦٢ حديثاً قريباً منه في المعنى.

---

(١) تزول الجبال: خبر فيه معنى الشرط، تقديره: إن زالت الجبالُ فلا تزُل أنتَ.

(٢) الناجذ: أقصى الأضراس، أو كلّها، أو الأنياب، والناجذ واحدها، قيل: إذا عضّ الرجل على أسنانه اشتدّت أعصاب رأسه وعظامه، ولهذا يوصي به عند الشدّة ليقوى، والصحيح أنّ ذلك كناية عن الحميّة؛ فإنّ من عادة الإنسان إذا حمي واشتدّ غيظه على عدوّه عضّ على أسنانه.

(٣) أعِرْ: أمر من «أعاره» أي ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير.

(٤) أي ثبتها من «وَتَدَ، يَتِدُ».

(٥) ارم ببصرك: أي أحط بجميع حركاتهم، وغضّ النظر عمّا يخيفك منهم، أي لا يهولنّك منهم هائل، وغضّ النظر: سكّنه.

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟(١) فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ ٱلنِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ ٱلزَّمَانُ(٢)، وَيَقْوَى بِهِمُ ٱلْإِيمَانُ.

١٣ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي ذَمِّ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ(٣)؛ رَغَا(٤) فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ(٥) فَهَرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ

(*) ذكره الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٥٣، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ١ ص ٢١٧، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٣٢٨، والمسعودي في (مروج الذهب) ج ٢ ص ٣٧٧، وعلي بن إبراهيم في (تفسيره) ص ٦٥٥، وغيرهم.

(١) هوى أخيك: أي ميله ومحبّته.

(٢) يرعف بهم الزمان: يوجدهم ويخرجهم، كما يرعف الإنسان بالدم يخرجه من أنفه، أي يأتي بهم على غير انتظار.

(٣) أتباع البهيمة: يعني الجمل، وكان جمل عائشة راية عسكر البصرة، قُتلوا دونه كما تُقتل الرجال تحت راياتها.

(٤) *رغا الجمل: أطلق رُغاءه، وهو صوته المعروف.*

(٥) *عُقر: جرح أو ضربت قوائمه أو ذُبح.* ومجمل القصّة: أنّ طلحة والزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في المدينة وأتيا مكّة مغاضبين، فالتقيا بعائشة زوج النبي ﷺ فسألتهما الأخبار فقالا: «إنّا تحمّلنا هرباً من غوغاء العرب بالمدينة، وفارقنا قومنا حيارى، لا يعرفون حقّاً، ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم». فقالت: «ننهض إلى هذه الغوغاء، أو نأتي الشام»؟ فقال أحد الحاضرين: «لا حاجة لكم في الشام، قد كفاكم أمرها معاوية، فلنأت البصرة فإنّ لأهلها هوى مع طلحة»...←

دِقَاقٌ[1]، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ[2]، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[3]، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ[4] بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[5]، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا. وفي رواية: وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ[6]. وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ[7].

← فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منبه، وكان والياً لعثمان على اليمن، وعزله علي كرّم الله وجهه، وأعطى للسيّدة عائشة جملاً اسمه «عسكر»، ونادى مناديها في الناس بطلب ثأر عثمان، فاجتمع نحو ثلاثة آلاف، فسارت فيهم إلى البصرة. وبلغ الخبر علياً فأوسع لهم النصيحة. وحذرهم الفتنة، فلم ينجح النصح، فتجهز لهم، وأدركهم بالبصرة. وبعد محاولات كثيرة منه ـ يبغي بها حقن الدماء ـ انتشبت الحرب بين الفريقين، واشتد القتال. وكان الجمل يعسوب البصريين، قتل دونه خلق كثير من الفئتين، وأخذ خطامه سبعون قرشياً ما نجا منهم أحد، وانتهت الموقعة بنصر علي كرّم الله وجهه بعد عقر الجمل. وفيها قتل طلحة والزبير، وقتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل، وكانوا ثلاثين ألفاً، وقتل من أصحاب علي ألف وسبعون.

(١) أخلاقكم دقاق: يصفهم باللؤم، ودقّة الأخلاق: دناءتها.

(٢) *عهدهم شقاق: يصفهم بالغدر.*

(٣) ماؤكم زعاق: أي ملح مالح، وهذا لم يكن من العالهم إلّا أنّه ممّا تُذمّ به المدينة.

(٤) *مرتهن: من الارتهان والرهن، والمراد: مؤاخذ.*

(٥) الجؤجؤ: عَظم الصدر، وجؤجؤ السفينة: صدرها.

(٦) من «جثم» إذا وقع على صدره أو تلبّد بالأرض، *جاثمة: واقعة على صدرها*. وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين، فقد غرقت البصرة، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، ولم يبق ظاهراً منها إلّا مسجدها الجامع، ومعنى قوله: «أبعدها من السماء»، أنها في أرض منخفضة، والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع.

(٧) *اللُّجة ـ وجمعها لُجج ـ: معظم الماء.*

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ ٱللّٰهِ تُرْبَةً، أَقْرَبُهَا مِنَ ٱلْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ ٱلشَّرِّ. ٱلْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَٱلْخَارِجُ بِعَفْوِ ٱللّٰهِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا ٱلْمَاءُ، حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ ٱلْمَسْجِدِ[1]، كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

١٤ ـ ومن كلام له عليه السلام*

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ[2]. خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ[3]، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ[4]، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ[5]، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ[6].

(*) ذكره الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٥١، والشيخ المفيد في كتاب (الجمل) ص ٢١٧ نقلاً عن الواقدي، وروى ابن قتيبة فقرات منه في (عيون الأخبار) ج ١ ص ٢١٧.

---

(١) شُرَف المسجد: جمع شُرفة، وهي أعلى مكان فيه.

(٢) قريبة من الماء: أي قريبة من الغَرَق بالماء، وبعيدة عن السماء؛ فإنّ أربابَ علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون «أنّ أبعدَ موضع في الأرض عن السماء الأُبُلّة؛ وهي قصبة البصرة» وذلك موافق لقوله عليه السلام.

(٣) سفهت حلومكم: صارت سفيهة بها خِفّة وطيش، والحُلوم: جمع حِلْم وهو العقل، فهي كالعبارة التي قبلها: خفّت عقولكم.

(٤) النابل: ذو النبل، أي الضارب بالنبل، والغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام.

(٥) الأُكْلة ـ بضم الهمزة ـ: المأكول.

(٦) فريسة لصائل: أي لصائل يصول في طلب فريسته.

١٥ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

فِيمَا رَدَّهُ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَطَائِعِ عُثْمَانَ(١)

وَٱللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ ٱلنِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ ٱلْإِمَاءُ؛ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً. وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ، فَٱلْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ(٢).

١٦ ـ ومن كلام له عليه السلام (**)

لَمَّا بُويِعَ بِالْمَدِينَةِ

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ(٣)، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٤). إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ(٥) عَمَّا بَيْنَ

(*) رواه أبو هلال العسكري في كتاب (الأوائل) والقاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ٣٩٦.

(**) رواها ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ٢٢ ص ٢٣٦، والجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧٠.

---

(١) القطائع: ما يُقطعه الإمام بعضَ الرعية من أرض بيت المال ذاتِ الخراج ويُسقط عنه خراجه، ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوض الخراج. وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه *قطائعه لمعاوية ومروان، وكان الأصل فيها أن تنفق غلتها على أبناء السبيل وأشباههم*

(٢) أي أنّ من عجز عن تدبير أمره بالعدل، فهو عن التدبير بالجور أشدّ عجزاً، فإنّ الجور مظنة أن يقاوم ويصد عنه. وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس أنّ علياً خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال: ألا إنّ كل قطيعة أقطعها عثمان وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يُبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج...

(٣) الذمة: العقد والعهد، تقول هذا الحق في ذمتي كما تقول: «في عنقي» وهما كناية عن الضمان والالتزام. *ورهينة: مرهونة، من الرهن.*

(٤) الزعيم: الكفيل. يريد أنّه ضامن لصدق ما يقول، كفيل بأنّه الحق الذي لا يدافع.

(٥) العِبَر ـ بكسر ففتح ـ: جمع عِبْرة، وهي الموعظة.

يَدَيْهِ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ(١)، حَجَزَتْهُ ٱلتَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ ٱلشُّبُهَاتِ.

أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(٢). وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً(٣)، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً(٤)، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ ٱلْقِدْرِ(٥)، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا(٦).

---

(١) المثلات: العقوبات، أي من كشف له النظر في أحوال من سبق بين يديه، وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التي نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد أحوال، ملكته التقوى ـ وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها ـ فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها، فإنّ الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة العقوبة.

(٢) إنّ بلية العرب التي كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هي بلية الفرقة وصحنة الشتات، حيث كانوا متباغضين متنافرين، يدعو كلّ إلى عصبيته، وينادي نداء عشيرته، يضرب بعضهم رقاب بعض، فتلك الحالة التي هي مهلكة الأمم قد صاروا إليها بعد مقتل عثمان، بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين، ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين وأتباع كل واحد منهم، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

(٣) لتبلبلن: أي لتخلطن. تبلبلت الألسن: اختلطت.

(٤) لتغربلن: يجوز أن يكون من الغِرْبال الذي يُغَرْبَلُ به الدقيق، ويجوز أن يكون من غَرْبَلْتُ اللحم؛ أي قطعته، فعلى الأول له معنيان: الأول: الاختلاط، والثاني: استخلاص الصالح من الفاسد.

(٥) ولتساطن: من «السوط» وهو أن تجعل شيئين في الإناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا. وقوله: «سوط القدر» أي كما تختلط الأبزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، وكل ذلك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف، وتقطع الأرحام وفساد النظام.

(٦) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليه، وقصّر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس إليه.

وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[١]، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ. أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ[٢] حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا[٣]، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ[٤]، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ. حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[٥]. فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ[٦]، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ لَرُبَّمَا وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[٧].

---

(١) ما عصيتُ فلاناً وشمة: أي كلمة. وقد كان رضي الله عنه لا يكتم شيئاً يحوك بنفسه، كان آمِراً بالمعروف نهّاء عن المنكر، لا يحابي ولا يداري ولا يكذب.

(٢) الشُّمُس ـ بضمتين وضم فسكون ـ: جمع شَموس وهي من «شَمَس» ـ كنصر ـ أي منع ظهره أن يركب، حصان شموس: يمنع ظهره، وفاعل الخطيئة إنما يقترفها لغاية زيّنت له، يطلب الوصول إليها، فهو شبيه براكب فرس يجريه إلى غايته، لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا؛ فإنّها اعتساف عن السبيل واختباط في السير. لهذا شبّهها بالخيل الشُّمُس التي قد خلعت لجمها لأنّ من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتقحم به في النار.

(٣) *لُجُمُها: جمع لِجام، وهو عنان الدابة الذي تحكم به.*

(٤) تشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهر فإنّ التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادّة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية. والذلل: جمع ذَلول، وهي المَرُوْضَة الطائعة السلسلة القياد.

(٥) أي أنّ ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكل من الأمرين أهل. فللحق أقوام وللباطل أقوام.

(٦) أمِر الباطل: كثُر. ولقديماً فعل: أي لقديماً فَعَل الباطل ذلك؛ لأنّ البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها، ولئن كان الحق قليلاً بقلة أنصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل، ولعله يقهر الباطل ويمحقه، ونسبَ الفعل إلى الباطل مجازاً.

(٧) هذه الكلمة صادرة من ضجر بنفسه، استبعد ﷺ أن تعود دولة قومٍ بعد زوالها عنهم، وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله:

وَقَالُوا يَعُودُ الْمَاءُ فِي النَّهْرِ بَعْدَمَا ... ذَوَى نَبْتُ جَنْبَيْهِ وَجَفَّ الْمَشَارِعُ
فَقُلْتُ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ النَّهْرُ جَارِياً ... وَيُعْشِبُ جَنْبَاهُ تَمُوتُ الضَّفَادِعُ

قال الرضيّ ﷺ: وأقول: إنّ في هذا الكلام الأدْنى من مَواقِعِ الإحْسَانِ ما لا تَبْلُغُهُ مواقعُ الاسْتِحْسَانِ. وَإِنَّ حَظَّ العَجَبِ مِنهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ العُجْبِ بِهِ، وَفِيهِ -مَعَ الحَالِ الّتِي وَصَفْنَا- زَوَائِدُ مِنَ الفَصَاحَةِ لا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ، وَلا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إنسانٌ[1]. وَلا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إلّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ[2]. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

وَمِنْ هذِهِ الخُطْبَة

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ[3]. سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[4]، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى.

---

(١) لا يطّلع من قولهم «اطّلَعَ الأرض» أي بلغها، والفج: الطريق الواسع بين جَبَلَيْن في قبل من أحدهما.

(٢) العِرْق: الأصل، أي سلك في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها.

(٣) «شُغِل ...»: يريدُ به أنّ مَن كانت هاتان الداران أمامه لَفي شغل عن أمور الدنيا، إن كان رشيداً. و«شُغل» مبني للمجهول نائب فاعله «مَنْ»، و«الجنة والنار» مبتدأ خبره «أمامه»، والجملة صلة «مَنْ» أي كفى شاغلاً أن تكون الجنة والنار أمامك، ومن كانت أمامه الجنة والنار على ما وصف الله سبحانه فحريّ به أن تنفد أوقاته جميعها في الإعداد للجَنَّةِ والابتعاد عما عساه يؤدّي إلى النار.

(٤) يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: الأول: الساعي إلى ما عند الله، السريع في سعيه وهو الواقف عند حدود الشريعة، لا يشغله فرضها عن نفلها، ولا شاقها عن سهلها. والثاني: الطالب البطيء، له قلب تعمره الخشية، وله صلة إلى الطاعة، لكن ربما قعد به عن السابقين ميل إلى الراحة فيكتفي من العمل بفرضه، وربما انتظر به غير وقته، وينال من الرخص حظه، وربما كانت له هفوات، ولشهوته نزوات، على أنّه راجع إلى ربه، كثير الندم على ذنبه، فذلك الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهو يرجو أن يغفر له. والقسم الثالث: المقصّر، وهو الذي حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه أنّه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أنّ ذلك كل ما يطلب منه، ثم لا تورده شهوته منهلاً إلّا عبّ منه، ولا يميل به هواه إلى أمر إلّا انتهى إليه، فذلك عبد الهوى، وجدير به أن يكون في النار هوى.

ٱلْيَمِينُ وَٱلشِّمَالُ مَضَلَّةٌ[1]، وَٱلطَّرِيقُ ٱلْوُسْطَى هِيَ ٱلْجَادَّةُ[2]. عَلَيْهَا بَاقِي ٱلْكِتَابِ وَآثَارُ ٱلنُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ ٱلسُّنَّةِ. وَإِلَيْهَا مَصِيرُ ٱلْعَاقِبَةِ.

هَلَكَ مَنِ ٱدَّعَى، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرَى[3]. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[4]، وَكَفَى بِٱلْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ عَلَى ٱلتَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ[5]، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا

---

(١) «اليمين والشمال»: مثال لما زاغ عن جادة الشريعة؛ لأنّ السالك للطريق المنهج اللاحب ناجٍ، والعادل عنها يميناً وشمالاً مُعرّض للخطر.

(٢) الطريق الوسطى: مثال للشريعة القويمة، ثم أخذ يبين أنّ الجادة والطريق الوسطى وهي سبيل النجاة جاء الكتاب هادياً إليها، والسنّة لا تنفذ إلّا منها، فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادّعى أنّه على الجادة فقد كذب، ولهذا يقول: «هلك من ادّعى» أي من ادّعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده ممّا يدّعيه إلّا مجرد الدعوى فقد هلك؛ لأنّه مائل عن الجادة، وهي: الطريق.

(٣) «هلك من ادّعى، ورديَ من اقتحم» يريد هلَكَ من ادّعى وكذب، وكأنّه يقول: هلك من ادّعى الإمامة، ورديَ مَن اقتحمها وَوَلَجها عن غير استحقاق؛ لأنّ كلامه في هذه الخطبة كلّه كنايات عن الإمامة لا عن غيرها.

(٤) «من أبدى صفحته للحق هلك»: أي من كاشف الحق مخاصماً له مصارحاً له بالعداوة هلك. ويُروى «من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس» وعلى هذه الرواية يكون المعنى: مَن ظاهَرَ الحق ونصره غلبته الجهلةُ بكثرتهم، وهم أعوان الباطل، فهلك.

(٥) السنخ: الأصل، والسنخ: المنبت، يقال: «نبتت السن في سنخها» أي منبتها، والأصل لكل شيء: قاعدته وما قام عليه بقيته، فأصل الجبل مثلاً أسفله الذي يقوم عليه أعلاه، وأصل النبات جذره الذاهب في منبته، وهلاك السنخ فساده حتى لا تثبت فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس غُرِس فيه، وكل عمل ذهبت أصوله في أسناخ التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله وهو التقوى، وكما أنّ التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها وتستقي ماءها من الإخلاص، وجدير بزرع يسقى بماء التقوى أن لا يظمأ، و«عليها» في الموضعين، في معنى «معها»، وقد يقال في قوله «سنخ أصل» أنّه على نحو قول القائل إذا خاض عينيه كرى النوم، والكرى: هو النوم، والسنخ: هو الأصل، والأليق بكلام الإمام ما قدمناه.

زَرْعُ قَوْمٍ. فَٱسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ[١]، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَٱلتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي صِفَةِ مَنْ يَتَصَدَّى لِلْحُكْمِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ بِأَهْلٍ

إِنَّ أَبْغَضَ ٱلْخَلَائِقِ إِلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَى نَفْسِهِ[٢]، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ[٣]، مَشْغُوفٌ[٤] بِكَلَامِ بِدْعَةٍ[٥]، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ ٱفْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[٦].

(*) ذكره أبو طالب المكي في (قوت القلوب) ج ١ ص ٢٩٠، والهروي في (الجمع بين الغريبين)، وابن الأثير في (النهاية) مادة خبط، والقاضي النعمان في كتاب (أصول المذهب) ص ١٣٥، وابن قتيبة في (غريب الحديث)، وغيرهم.

---

(١) فاستتروا في بيوتكم: نهيٌ لهم عن العصبية والاجتماع والتحزّب، فلقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلّموا في قتله من شيعة بني أمية بالمدينة.

(٢) وكله إلى نفسه: تركه ونفسه.

(٣) الجائر: الضال العادل عن الطريق، وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع إلى حقيقة من الدين، ولا يهتدي بدليل من الكتاب، فهذا جائر عن قصد السبيل، وعادل عن جادّته.

(٤) المشغوف بشيء: المولع به حتى بلغ حبه شغاف قلبه، وهو غلافه.

(٥) كلام بدعة: ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين.

(٦) هذا الضالّ المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها، فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلّهم وأفسد عقائدهم بدعائه كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً(١)، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ(٢)، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ(٣)، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ(٤)، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ. بَكَّرَ(٥) فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ(٦)، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ(٧)، وَأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ

---

(١) قمش جهلاً: جمعه، *وأصل القمش: جمع المتفرق*، والجهل هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علماً بل قال قوم: إنّ العلم هو صورة الشيء في العقل، وهو المعلوم حقيقة، كذلك يسمى المجهول جهلاً، بل الصورة التي اعتبرت مثالاً لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق، فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعاً ولا واقع لها.

(٢) موضِعٌ في جُهّال الأمّة: مسرع فيهم بالغش والتغرير، أوضع البعير: أسرع، وأوضعه راكبه فهو مُوضِعٌ به، أي مسرع به.

(٣) قوله: «عاد في أغباش الفتنة» الأغباش: الظلمات واحدها غَبَش - بالتحريك - وأغباش الليل: بقايا ظلمته. وعادٍ بمعنى مسرع في مشيه، *من عدا يَعْدو إذا جرى*، أي أنّه يشتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصدّر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علماً وليس به. ويروى «غار في أغباش الفتنة» من «غرّهُ بغره» إذا غشّهُ وهو ظاهر.

(٤) عم: وَصْفٌ من العمى، أي جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح، وقد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في أخذه، ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه، وأوغل في النظر لفهم دقائقه، ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين.

(٥) بكّر: بادر إلى الجمع كالجاد في عمله يبكر إليه من أول النهار.

(٦) استكثر: أي احتاز كثيراً من جمعٍ - بالتنوين - أي مجموع قليله خير من كثيره إن جعلت «ما» موصولة، فإن جعلتها مصدرية كان المعنى قلّته خير من كثرته. ويروى جمع بغير تنوين، ولا بد من حذف على تلك الرواية أي من جَمْعِ شيء قلّته خيرٌ من كثرته. [وقد أثبت عبده في المتن «ما كثر»، وأثبت الصالح «ما كثره»] واكتنز: أي عدّ ما جمعه كنزاً وهو غير طائل دونيٌ خسيس.

(٧) الماء الآجن: الفاسد المتغير الطعم واللون، شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات وهي تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن لكأنّها من نوعه كما أنّ الآجن من نوع الماء، لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفئ من الأوار، والآجن يجلب العلة ويفضي بشاربه إلى البوار.

طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ قَاضِياً، ضَامِناً لِتَخْلِيصِ[1] مَا ٱلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ[2]، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى ٱلْمُبْهَمَاتِ[3]؛ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً[4] رَثّاً[5] مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ ٱلشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ ٱلْعَنْكَبُوتِ[6]، لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ. جَاهِلٌ خَبَّاطُ[7] جَهَالَاتٍ، عَاشٍ[8] رَكَّابُ عَشَوَاتٍ[9]، لَمْ يَعَضَّ عَلَى ٱلْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ[10]، يُذْرِي ٱلرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ ٱلرِّيحِ ٱلْهَشِيمَ[11]، لَا مَلِيٌّ وَٱللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ

---

(١) التخليص: التبيين.

(٢) التبس على غيره: اشتبه عنه.

(٣) المبهمات: المشكلات؛ لأنها أبهمت عن البيان كالصامت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً، ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة.

(٤) حشواً: يعني كثيراً لا فائدة فيه، وهو كلام مخرجه الذم.

(٥) الرثّ: الخَلَق البالي، ضد الجديد، أي أنه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً، بل هو حشو لا فائدة له في تبيها ثم يزعم بذلك أنه بيّنها.

(٦) الجاهل بشيء ليس على بينة منه فإذا أثبته عرضت له الشبهة في نفيه، وإذا نفاه عرضت له الشبهة في إثباته، فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفاً، ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والإصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطئ، وقد جاء الإمام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه.

(٧) خبّاط: صيغة مبالغة من «خبط الليل» إذا سار فيه على غير هدى، ومنه خَبْط عشواء، وشبّه الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر وأشار إلى التشبيه بالخَبْط.

(٨) العاشي: الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام فيكون كالتأكيد لما قبله.

(٩) العشوات: جمع عشوة ـ مثلثة الأول ـ وهي ركوب الأمر على غير هدى.

(١٠) لم يعضّ: يريد أنه لم يتقن ولم يُحكم الأمور، ومن عادة عاجم العود أي مختبره ليعلم صلابته من لينه أن يعضّه، فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعضّ بضرس قاطع أي أنّه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سوّل الوهم وصوّر الخيال ولم يعرض على محفض الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل.

(١١) الهشيم: ما يبس من النبت وتفتت، وأذرته الريح إذراء أطارته ففرقته، ويروى يذرو←

عَلَيْهِ[1]، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ، لَا يَحْسَبُ ٱلْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ ٱكْتَتَمَ بِهِ[2]، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ ٱلدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ مِنْهُ ٱلْمَوَارِيثُ[3]. إِلَى ٱللّٰهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً[4]، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ[5] مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[6]، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ[7] بَيْعاً، وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ.

← الروايات كما تذرو الريح الهشيم وهي أفصح، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] وكما أنّ الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم.

(١) «ولا مليٍ» أي لا قيّم به، المليء بالقضاء: من يحسنه ويجيد القيام عليه، وهذا لا مليء بإصدار القضايا التي ترد عليه وإرجاعها عنه مفصولاً فيها النزاع مقطوعاً فيها الحكم؛ أي غير قيّم بذلك، ولا غناء فيه لهذا الأمر الذي تصدّر له، وروى ابن قتيبة بعد قوله «لا ملي والله بإصدار ما ورد عليه»: ولا أهلٌ لما قُرِّظ به، أي مُدح به بدل «ولا هو أهل لما فُوِّض إليه»، والذي رواه ابن قتيبة من تمام كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو الصحيح الجيّد.

(٢) اكتتم به: أي كتمه وستره *لما يعلم من جهل نفسه*.

(٣) العجّ: رفع الصوت. وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور.

(٤) «إلى الله» متعلق بـ «أشكو». وفي رواية إسقاط لفظ «أشكو» فيكون «إلى الله» متعلقاً بـ «تعج» وقوله «من معشر» يشير إلى أولئك الذين عاشوا جهلاً.

(٥) أبْوَر: من البَوْر: الفاسد، بارَ الشيء: أي فسد، وبارت السلعة: أي كسدت ولم تنفق، وهو المراد هنا، وأصله الفساد أيضاً.

(٦) تُلِيَ حق تلاوته: أُخذ على وجهه وما تدل عليه جملته، وفهم كما كان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه يفهمونه.

(٧) أنفق: من النَّفاق ـ بالفتح ـ: وهو الرَّواج، وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من أهل هذا الزمان.

١٨ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ ٱلْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ ٱلْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ ٱلْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْإِمَامِ ٱلَّذِي ٱسْتَقْضَاهُمْ[1] فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ ـ تَعَالَى ـ بِٱلِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَٱسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى! أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ ٱلرَّسُولُ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ. وَذَكَرَ أَنَّ ٱلْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لَا ٱخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾. وَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ[2]، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

(*) ذكره القاضي النعمان في (دعائم الإسلام)، وابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) ج ١ ص ١٤١، والصفار في (بصائر الدرجات).

---

(١) الإمام الذي استقضاهم: الخليفة الذي ولّاهم القضاء.

(٢) الأنيق: المعجب، وآنقني الشيء أعجبني؛ يقول: لا ينبغي أن يُحمل جميع ما في الكتاب العزيز على ظاهره؛ فكم من ظاهرٍ فيه غير مرادٍ، بل المراد به أمر آخر باطن، والمراد الرد على أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وإفسادُ قول من قال: كل مجتهدٍ مصيب.

١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قَالَهُ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ(١)، وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَمَضَى فِي بَعْضِ كَلَامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فِيهِ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هٰذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ(٢). فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ(٣)، ثُمَّ قَالَ:

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ(٤)! مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ(٥)! وَاللّٰهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى(٦)، فَمَا

(*) ذكره أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني) ج ٨ ص ٥٩، وغيره.

---

(١) اسم الأشعث معدي كرب، وكان الأشعث أبداً أشعث الرأس، فسمّي الأشعث وغلب عليه حتى نُسي اسمه، وأبوه قيس الأشجّ، سمّي الأشجّ لأنّه شجّ في بعض حروبهم.

(٢) كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين، فقام رجل من أصحابه وقال: «نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أيّ الأمرين أرشد!» فصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: «هذا جزاء من ترك العقدة» فقال الأشعث ما قال، وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم والجأتموني لقبول الحكومة.

(٣) خفض إليه بصره: طأطأه.

(٤) قيل إنّ الحائكين أنقص الناس عقلاً، وأهل اليمن يُعيَّرون بالحياكة، والأشعث يمني من كندة. قال خالد بن صفوان في ذمّ اليمانيين: «ما أقول في قوم ليس فيهم إلّا حائك بُرد، أو دابغ جِلْد، أو سائس قرد، ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فأرة، ودلّ عليهم هُدهُد».

(٥) كان الأشعث في أصحاب عليّ كعبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله ﷺ، كل منهما رأس النفاق في زمنه.

(٦) أسِر مرتين: مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية، وذلك أنّ قبيلة مراد قتلت قيساً الأشجّ أبا الأشعث فخرج الأشعث طالباً بثأر أبيه، فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها←

فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ[1]. وَإِنَّ ٱمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ ٱلْأَبْعَدُ[2].

قال الرضي رحمه الله: يريدُ عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّهُ أُسِرَ في الكُفْرِ مرَّةً وفي الإسلام مرَّة.

وأمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَام: «دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ»، فأرَادَ به حَديثاً كَانَ للأشعَثِ مع خالد بن الوليد باليمامة، غرَّ فيه قومَهُ، ومكر بِهِمْ، حتّى أَوْقَعَ بهم خالدٌ. وكان قَوْمُهُ بَعْدَ ذلك يُسَمُّونَهُ «عُرْفَ النَّارِ» وَهُوَ اسْمٌ للغادر عندهم.

← كبش بن هانئ وعلي أحدها القشعم بن الأرقم وعنى أحدها الأشعث. فأخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب، فقُتل كبش والقشعم وأُسِر الأشعث وفُدِي بثلاثة آلاف بعير لم يُفْدَ بها عربي قبله ولا بعده، وأمّا أسر الإسلام له فذلك أنّ بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري لجأوا إلى الأشعث مستنصرين به، فقال: «لا أنصركم حتى تملكوني»، فتوجوه، كما يتوّج الملك من قحطان، فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين، وأمدّ أبو بكر زياداً بالمهاجر بن أبي أمية فالتقوا بالأشعث فتحصّن منهم، فحاصروه أياماً ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه، وفتح لهم الحصن فقتلوا كلّ من فيه من قوم الأشعث الذين عزلهم، وكان المقتولون ثمانمائة، ثم حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبي بكر فعفا عنه وعمّن كان معه وزوّجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة.

(١) فما فداك: لا يريد به الفداء الحقيقي لأنّه فدي في الجاهلية، وإنّما يُريد: ما دفع عنك الأسر مالُك ولا حَسَبُك.

(٢) دلالة السيف على قومه وسوق الحتف إليهم: تسليمهم لزياد بن لبيد، وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم، وإن كان الذي يُنقل عن الشريف الرضي أنّ ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالدبن الوليد في حرب المرتدين باليمامة وأنّ الأشعث دلّ خالداً على مكامن قومه، ومكر بهم، حتى أوقع بهم خالد، فإنّ ما نقله الشريف لا يتم إلّا إذا قلنا: إنّ بعض القبائل من كندة، كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة، وشاركت أهل الردة في حروبهم، وفعل بهم الأشعث ما فعل. وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوماً على ألسنة المسلمين والكافرين، وكان نساء قومه يسمينه «عُرْف النار» وهو اسم للغادر عندهم.

٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في تهويل ما بعد الموت وتعظيمه

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ(١)، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ(٢).

وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ(٣)، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللّٰهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ(٤).

(*) روى الكليني في كتاب (أصول الكافي) ج ١ ص ٤٠٥ صدر هذا الكلام.

---

(١) الوَهَل: الخوف والفزع، من «وَهِلَ الرجل يَوهَل».

(٢) «ما» مصدرية، تقديره «قريب طرح الحجاب» وذلك عند نهاية الأجل، ونزول المرء في أول منازل الآخرة، وهذا الكلام يدلّ على صحة القول بعذاب القبر.

(٣) جاهرتكم العبر: انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم. والعِبَر: جمع عبرة، والعِبْرة: الموعظة، لكنه عليه السلام أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً؛ فإنّ العِبَر التي جاهرتهم إمّا قوارع الوعيد المنبعثة عليهم من ألسنة الرسل الإلهيين وخلفائهم، وإمّا ما يشهدونه من تصاريف القدرة الربانية ومظاهر العزة الإلهية.

(٤) رسل السماء: الملائكة، أي إن قلتم لم يأتنا عن الله شيء، فقد أقيمت عليكم الحجّة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته. وشبيه بقوله عليه السلام: «لو عاينتم ما عاين من مات قبلكم» قول أبي حازم لسليمان بن عبد الملك في كلام يعظه به: إنّ آباءك ابتزّوا هذا الأمر من غير مشورة، ثم ماتوا، فلو علمت ما قالوا وما قيل لهم! فقيل: إنّه بكى حتى سقط.

٢١ - ومن كلام له عليه السلام*

في موعظة الناس

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ(١)، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ(٢) تَحْدُوكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا(٣)، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ(٤) آخِرُكُمْ.

قال الرضي ﵀: أقول: إِنَّ هذا الكَلَامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كلام اللهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِكُلِّ كَلَامٍ لَمَالَ بِهِ رَاجِحاً، وَبَرَّزَ عَلَيْهِ سَابِقاً. فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا»، فَمَا سُمِعَ كَلَامٌ أَقَلُّ مِنْهُ مَسْمُوعاً وَلَا أَكْثَرُ مَحْصُولاً. وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا(٥) مِنْ كَلِمَةٍ! وَأَنْقَعَ(٦) نُطْفَتَهَا مِنْ حِكْمَةٍ! وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كتاب «الخَصَائِصِ» عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا، وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا.

(*) ذكرها الشريف الرضي في كتاب (الخصائص) ص ٨٧.

---

(١) غاية المكلّفين هي الثواب أو العقاب، فيحتمل أن يكون أراد ذلك، ويحتمل أن يكون أراد بالغاية الموت، وإنّما جعل ذلك أمامنا؛ لأنّ الإنسان كالسائر إلى الموت، أو كالسائر إلى الجزاء، فهما أمامه، أي بين يديه.

(٢) الساعة: يوم القيامة. تحدوكم: تسوقكم إلى ما تسيرون عليه.

(٣) تخفّفوا تلْحقوا: أصله الرجل يسعى وهو غيرُ مُثْقَل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه، وقد سبق سابقون بأعمالهم إلى الحسنى، فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات، وأوزار العناء في تحصيل اللذات، ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات، فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار.

(٤) أي إنّ الساعة لا ريب فيها وإنّما ينتظر بالأول مدّة لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون، وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا، ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا، وذلك ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

(٥) الغور: العمق.

(٦) ما أنقع هذا الماء! أي ما أرواه للعطش!

٢٢ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

بَعْدَمَا اتُّهِمُوهُ بِقَتْلِ عُثْمَانَ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ(١)، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ(٢)، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ(٣).

وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً(٤). وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ(٥)، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ.

يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامَ أُجِيبَ!(٦) وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ

(*) هذه الخطبة من الخطب الطوال وما ذكره الرضي مختارها روى قسماً منها إبراهيم بن هلال الثقفي في كتاب (الغارات)، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٤، والطبري في (المسترشد) ص ٩٥، وغيرهم.

---

(١) يروى: «ذَمَرَ» بالتخفيف، و«ذمَّر» بالتشديد، وأصله الحض والحث، والتشديد دليل على التكثير، قال: ذَمَرَ حزبه، أي حثّهم وحضّهم.

(٢) الجَلَب ـ بالتحريك ـ: ما يُجلب من بلد إلى بلد، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سَلَب بمعنى مسلوب، والمراد هنا: جمع جماعة.

(٣) النِّصاب: الأصل أو المنبت، وأول كل شيء.

(٤) النَّصَف: الذي يُنْصِف، أي لم يجعلوا ذا إنصاف بيني وبينهم.

(٥) إذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى إرضاعها وذهب لبنها، يمثل به طلب الأمر بعد فواته.

(٦) يا خيبة الداعي: أي يا خيبة احضري فهذا أوانك، وكلامه مع أصحاب الجمل، والداعي هو←

وَعِلْمِهِ فِيهِمْ. فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ! وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ! هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ![1] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِٱلْحَرْبِ[2]، وَلَا أُرَهَّبُ بِٱلضَّرْبِ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

٢٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام [*]

في قِسْمَةِ ٱلْأَرْزَاقِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطْرِ ٱلْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ. فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً[3] فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً؛ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ

(*) روى فقرات من هذه الخطبة ابن واضح في (تاريخه) ج٢ ص ١٤٩، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٠.

=. أحد الثلاثة: الرجلان والمرأة، الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة. ثم قال على سبيل الاستصغار لهم والاستحقار: ممن دعا! وإلى ماذا أُجيب! أي أخبِرْ بقوم دعاهم هذا الداعي! وأقبِحْ بالأمر الذي أجابوه إليه، فما أفحشه وأرذله! و«مَنْ» استفهامية و«ما» المحذوفة الألف لدخول «إلى» عليها كذلك. وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيراً لهما.

(١) هبلتهم: ثكلتهم. والهَبول ـ بالفتح ـ من النساء: التي لا يبقى لها ولد، وهو دعاء عليهم بالموت؛ لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم، فالموت خير لهم من حياة جاهلية.

(٢) قوله: «لقد كنت وما أُهدَّد بالحرب» معناه: مازلت لا أُهدَّد بالحرب، والواو زائدة.

(٣) غفيرة: زيادة وكثرة.

لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ ٱلنَّاسِ، كَانَ كَٱلْفَالِجِ ٱلْيَاسِرِ[1] ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا ٱلْمَغْرَمُ. وَكَذٰلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْبَرِيءُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ ٱللهِ، فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ.

إِنَّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا، وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ، فَٱحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ[2]، وَٱعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلْهُ ٱللهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ[3]. نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ ٱلسُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ.

---

(١) الفالج: الظافر الفائز، فَلَج يَفْلُج ـ كنَصَر يَنْصُر ـ: ظَفَر وفاز، وفي المثل «من يأتي الحكم وحده يَفْلُج». والياسر: الذي يلعب بقداح الميسر، أي المقامر. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: كالياسر الفالج، أي كاللاعب بالقِداح المحظوظ منها، وهو من باب تقديم الصفة على الموصوف، كقوله تعالى ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] وحسنه أنّ اللفظين صفتان، وإن كانت إحداهما مرتَّبةً على الأخرى. يريد أنّ المسلم إذا لم يأتِ فعلاً دنيئاً يخجل لظهوره وذكره، ويبعث لئام الناس على التكلم به، فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة، فهو شبيه بالمقامر الفائز في لعبه لا ينتظر إلّا فوزاً، أي أنّ المسلم إذا برئ من الدناءات لا ينتظر إلّا إحدى الحسنيين: إمّا نعيم الآخرة، أو نعيم الدارين، فجدير به ألّا يأسف على فوت حظ من الدنيا؛ فإنّه إن فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة، وهو يعلم أنّ الأرزاق بتقدير رازقها، فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله إليه. وقوله: «فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه» يريد احذروا الحسد فإنّ مبعثه انتقاص صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله، وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمته فقال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] وما يفوق الكثرة من الآيات الدّالة على ذلك.

(٢) «ليست بتعذير»: أي ليست بذات تعذير، أي تقصير، فحذف المضاف، أو مصدر «عذر تعذيراً»، لم يثبت له عذر، أي خشية لا يكون فيها تقصير يتعذّر معه الاعتذار.

(٣) العامل لغير الله لا يرجو ثواب عمله من الله، وإنّما يطلبه ممن عمل له، فكأنّ الله قد تركه إلى من عمل له وجعل أمره إليه.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي ٱلرَّجُلُ ـ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ـ عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ حَيْطَةً[1] مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعْثِهِ[2]، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ[3] يَجْعَلُهُ ٱللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ.

ومنها: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا ٱلْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِٱلَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ[4]. وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ. وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ.

قال الرضيّ رحمه الله: أَقُولُ: الغَفِيرَةُ ها هنا ٱلزِّيادَةُ وَٱلْكَثْرَةُ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ للجمعِ الكثيرِ: ٱلْجَمُّ الغَفِيرُ، وَٱلجمَّاءُ الغَفِيرُ. وَيُرْوى: «عَفْوَةٌ مِنْ أَهلٍ أو مالٍ» وَالعَفْوَةُ: ٱلْخِيارُ من الشَّيءِ؛ يقال: أَكَلْتُ عَفْوَةَ الطعامِ، أَي خِيارَه. وَما أَحْسَنَ المعنى الذي أرادهُ عَلَيْهِ السَّلام بقوله: «وَمن يَقْبِضْ يدهُ عَنْ عَشِيرتِه...» إلى تمامِ الكلامِ، فإِنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَن عَشِيرَتِهِ، إِنَّما يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ واحدةٍ، فإِذا احْتاجَ إِلى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطُرَّ إِلى مرافَدَتِهِمْ[5] قَعَدُوا عن نصرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عن صَوْتِه. فَمُنِعَ تَرافُدَ الأَيدي الكثيرةِ وَتَنَاهُضَ الأَقدامِ ٱلْجَمَّةِ.

---

(١) حَيْطة ـ كبَيْعة ـ: أي رعايةً وكلاءةً، ويروى حِيْطة ـ بكسر الحاء وسكون الياء مخففة ـ: مصدر «حاطه يحوطه» أي صانه وتعطّف عليه ونحنّن.

(٢) الشَّعَث ـ بالتحريك ـ: التفرّق والانتشار.

(٣) لسان الصدق: حُسْن الذكر بالحق هو في القرابة أولى وأحق.

(٤) الخصاصة: الفقر والحاجة الشديدة. ينهى أمير المؤمنين عن إهمال القريب إذا كان فقيراً، ويحثّ على سدّ حاجته بالمال وأنواع المعاونة، فإنّ ما يبذل في سدّ حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده في غناه أو في جاهه شيئاً، ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك. ومعنى أهلكه: بذله.

(٥) المرافدة: المعاونة.

٢٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي الْحَثِّ عَلَى قِتَالِ الْخَوارِجِ عَلَى الْحَقِّ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابَطَ الْغَيَّ[١]، مِنْ إِدْهَانٍ[٢] وَلاَ إِيهَانٍ[٣]. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ[٤]، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ[٥] لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ[٦]، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلاً إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً[٧].

٢٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام **

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ[٨] عَلَيْهِ الأَخْبَارُ بِاسْتِيلاَءِ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلاَدِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلاَهُ عَلَى الْيَمَنِ، وَهُمَا: عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَسَعِيدُ بْنُ نَمْرَانَ، لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِمَا بُسْرُ بْنُ أَبِي

(*) ذكر قسماً من هذه الخطبة ابنُ الأثير في (النهاية) في مادة عصب ج٣ ص ٢٤٤.

(**) ذكرها المسعودي في (مروج الذهب) ج٣ ص ١٤٩، وابن عساكر في (تاريخه) ج١ ص٣٠٥.

(١) *خابط الغيّ: صارع الفساد، وأصل الخبط: السير في الظلام*. كأنّه جعله والغيّ متخابِطَين، يخبط أحدهما الآخر؛ وذلك أشدّ مبالغة من: «خبَط في الغيّ» لأنّه يَخبِط وَيخبِطه غيره.

(٢) الإدهان: المصانَعة والمنافَقة، ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن.

(٣) الإيهان: مصدر أوهَنْتُهُ، أي أضعَفْتُهُ. أي لا يعرض عليّ فيه ما يضعفني. والإيهان: الدخول في الوهن، وهو الليل نحو نصفه، وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة.

(٤) فرّوا من الله إلى الله: أي اهربوا إلى رحمة الله من عذابه.

(٥) نَهَجه: أوضحه وجعلَه نَهْجاً، أي طريقاً بيّناً.

(٦) عصبه بكم: ناطه وربطه بكم وجعله كالعِصابة التي تشدّ بها الرأس، أي كلّفكم به وألزمكم بأدائه.

(٧) لِفَلَجِكُم: لظفركم وفوزكم.

(٨) تواترت عليه الأخبار: مثل ترادفت وتواصلت.

أرطأةَ(١) فقامَ ﷺ علَى المِنبَرِ ضَجِراً بِتثاقُلِ أصحابِهِ عنِ الجهادِ، ومُخالفتِهِمْ لهُ في الرَّأيِ فقالَ: مَا هِيَ إلّا الكُوفَةُ(٢) أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا(٣)، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ(٤) تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ(٥) فَقَبَّحَكِ اللهُ!

وتمثّلَ بقولِ الشّاعرِ:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الإِنَاءِ قَلِيلِ(٦)

ثم قال عليه السلام:

---

(١) يقال بُسر بن أبي أرطأة وبُسر بن أرطاة، وهو عامري من بني عامر بن لؤي بن غالب سيّره معاوية إلى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرة، واستكره الناس على البيعة لمعاوية وفرّ من بين يديه والي المدينة أبو أيوب الأنصاري ثم توجه واليا على اليمن فتغلّب عليها وانتزعها من عبيد الله بن العباس وفرّ عبيد الله ناجياً من شره فأتى بُسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما وباء بإثمهما - قبح الله القسوة وما تفعل - ويُروى أنهما ذبحا في بني كنانة أخوالهما وكان أبوهما تركهما هناك وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله:

يا مَنْ أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... كالدُّرَّتين تشظّى عنهما الصَّدَفُ

يا مَنْ أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مُختَطَفُ

مَنْ ذَلّ والهةً حيرى مدلّهةً ... على صبيين ذلا إذ غدا السلف

خُبِّرتُ بُسراً وما صدّقتُ ما زعموا ... من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا

أنحى على وَدَجَي ابنيَّ مرهفةً ... مشحوذةً وكذلك الإثم يُقتَرَفُ

وتروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص.

(٢) قوله: «ما هي إلّا الكوفة»، أي ما مُلْكَتي إلّا الكوفة.

(٣) أقبضها وأبسطها: أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه.

(٤) «فإن لم تكوني...»: أي إن لم يكن لي من الدنيا مُلْك إلاّ مُلك الكوفة ذاتِ الفتن، فأبعدها الله!

(٥) الأعاصير: جمع إعصار، وهي الريح المستديرة على نفسها: قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦] الإعصار: ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود، أو كل ريح فيه العصار، وهو الغبار الكثير، وشبّه الاختلاف والشقاق بالأعاصير؛ لإثارتها التراب وإفسادها الأرض.

(٦) الوَضَرُ: بقية الدسم في الإناء وغسالة السقاء والقصعة.

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ اليَمَنَ(١)، وَإِنِّي وَاللّٰهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ(٢) بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي البَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ(٣) لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ(٤).

اللّٰهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي! اللّٰهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ المِلْحُ فِي المَاءِ(٥). أَمَا وَاللّٰهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ(٦).

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ(٧) … فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الحَمِيمِ

---

(١) قد اطّلع اليمن: أي غشيها بجيشه وغزاها وأغار عليها، وبلغها وتمكّن منها.

(٢) سيدالون منكم: سيغلبونكم وستكون لهم الدولة بدلكم بذلك السبب القوي وهو اجتماع كلمتهم، وطاعتهم لصاحبهم، وأداؤهم الأمانة، وإصلاحهم بلادهم، وهو يشير إلى أنّ هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه، ومتى فُقد ذهبت القوة والعزة بذهابه، فالحق ضعيف بتفرق أنصاره، والباطل قويّ بتضافر أعوانه.

(٣) القُعب ـ بالضم ـ: القدح الضخم، *وبفتح القاف: القدح الضخم أيضاً.*

(٤) *عِلاقة القعب ـ بكسر العين ـ: ما يعلق منه من ليف ونحوه.*

(٥) مثْ قلوبهم. أذِبْها، ماث زيدٌ الملحَ في الماء: أذابه.

(٦) هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حيٌ مشهور بالشجاعة، منهم علقمة بن فراس، وهو جِذْل الطِّعان، ومنهم ربيعة بن مكدَّم، حامي الظُّعُن حياً وميتاً، ولم يحم الحريمَ أحد وهو ميت غيره؛ عرض له فرسان من بني سُلَيم، ومعه ظعائن من أهله يحميهن وحده، فرماه نُبَيْشَة بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه وأشار إليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحي، وبنو سليم قيام ينظرون إليه، لا يتقدم أحد منهم نحوه؛ يظنونه حيّاً حتى رموا فرسه بسهم، فوثبت من تحته، فسقط وهو ميّت، وفاتتهم الظعائن.

(٧) في نسخة: «لو دعوتِ أتاكِ» بخطاب المؤنث.

ثُمَّ نَزَلَ عليه السلام مِنَ ٱلْمِنْبَرِ.

قال الرضيّ رحمه الله: أقولُ: الأرْمِيَةُ جمع رَمِيّ، وهو السحابُ. والحميمُ هاهنا: وَقتُ الصَّيفِ، وإنّما خصَّ الشاعر سحابَ الصيفِ بالذِّكر لأنّه أشدُّ جفولاً، وأسرعُ خُفُوفاً[1]؛ لأنّه لا ماءَ فيه، وإنّما يكون السحابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لامتلائِهِ بالماءِ، وذلك لا يكون في الأكثرِ إلّا زمانَ الشّتاءِ. وإنّما أراد الشاعر وَصفَهُمْ بالسُّرْعةِ إذا دُعُوا، والإغاثةِ إذا ٱسْتُغِيثُوا. والدليل على ذلك قوله: هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ.

٢٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي ذَمِّ مَنْ بَايَعَهُ بِشُرُوطٍ

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى ٱلتَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ[2] بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ[3]، تَشْرَبُونَ ٱلْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ

(*) ذكرها ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج١ ص١٥٤، والطبري في (المسترشد) ص٩٥، والثقفي في (الغارات).

(١) مصدر غريب لـ«خفّ» بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً، والمصدر المعروف خفًّا.

(٢) مُنِيخُون: مقيمون. [وفي نسخة عبده: «مُتَنَخّون»] وتنَخَّ بالمكان: أقام به.

(٣) «بين حجارة خُشْن، وحيّات صُمّ» يجوز أن يعني الحقيقة وذلك أنّ البادية بالحجاز وغيرها من أرض العرب كانت حيّات وحجارة خُشْن، فأبدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها. وقد يعني بالحجارة الخُشْن الجبال أيضاً أو الأصنام، ويجوز أن←

ٱلْجَشِبَ[1]، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. ٱلْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَٱلْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ[2].

ومنها: فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذَى[3]، وَشَرِبْتُ عَلَى ٱلشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ ٱلْكَظَمِ[4]، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ.

ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى ٱلْبَيْعَةِ ثَمَناً[5]. فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ ٱلْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ ٱلْمُبْتَاعِ[6] فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا[7]، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا[8]، وَٱسْتَشْعِرُوا ٱلصَّبْرَ[9]، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى ٱلنَّصْرِ.

← يعني به المجاز، وهو الأحسن، يقال للأعداء حيّات، ويقال للعدو أيضاً: إنه لحجرٌ خَشِن المسّ، إذا كان ألدّ الخصام. والحية الصمّاء أدهى من غير الصماء، لأنها لا تنزجر بالصوت. والخشن: جمع خشناء من الخشونة.

(١) الجَشِب من الطعام: الغليظُ الخَشِن، أو ما يكون منه بغير أُدم.

(٢) الآثام بكم معصوبة: استعارة، كأنها مشدودة إليهم، تشبيل للزومها لهم. وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة.

(٣) أغضيت: غضضت طرفي على قذى في عيني، وما أصعب أن يغمض الطرف على قذى في العين. والشجا: ما يعترض في الحلق، وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذي ألمّ به من حرمانه حقه وتألّب القوم عليه.

(٤) الكظم: مخرج النَّفَس والحلق أو الفم والكل صحيح ههنا، والمراد أنه صبر على الاختناق.

(٥) ضمير «يبايع» إلى عمرو بن العاص؛ فإنه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تمّ له الأمر.

(٦) يدُ البائع: يعني معاوية. وخزيت أمانة المبتاع (المشتري): يعني عَمْراً. خزيت: خسرت وهانت.

(٧) الأُهبة: العدّة.

(٨) شبّ لظاها: استعارة، وأصله صعود طرف النار الأعلى. والسنا: الضوء.

(٩) استشعروا الصبر: اتخذوه شعاراً، والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، يقول: لازموا الصبر كما يلزم الإنسان ثوبه الذي يلي جِلْدَه.

٢٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْجِهَادِ وَذَمِّ ٱلْقَاعِدِينَ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ، فَتَحَهُ ٱللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى، وَدِرْعُ ٱللَّهِ ٱلْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ(١) ٱلْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ(٢) أَلْبَسَهُ ٱللَّهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ، وَشَمِلَهُ ٱلْبَلَاءُ، وَدُيِّثَ بِٱلصَّغَارِ(٣) وَٱلْقَمَاءَةِ(٤)، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلْإِسْهَابِ(٥)، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ(٦)، وَسِيمَ

(*) ذكرها الجاحظ في (البيان والتبيين) ١ / ١٧٠، والدينوري في (الأخبار الطوال) ص ٢١١، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٤٤٢، والمبرد في (الكامل) ١ / ١٣، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ٢ / ٢٣٦.

---

(١) جُنته ـ بالضم ـ: وقايته، الجُنَّة: ما يُجتنّ به، أي يُستتر، كالدرع والحَجَفة.

(٢) تركه رغبة عنه: أي زهداً فيه.

(٣) دُيِّث بالصغار: مبني للمفعول، أي ذُلّل، بمعنى مُدَيَّث، أي مُذَلَّل. ومنه الدَّيُّوث: الذي لا غيرة له. والصغار: الذل والضيم.

(٤) القَماء: مصدر «قَمُؤ الرجل»: أي صار قميئاً، وهو الصغير الذليل، وقَمُؤ الرجل ـ ككَرُمَ ـ قماءً وقماءة أي ذل وصغر، وأما قَمَأ فمعناه سمن ومصدره القُمُوء والقموءة.

(٥) الإسهاب: ههنا ذهاب العقل، ويمكن أن يكون من الإسهاب الذي هو كثرة الكلام، كأنه عوقب بأنْ يكثر كلامه فيما لا فائدة تحته، وحيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة. [وأثبت عبده في المتن «وضُرِبَ على قلبه بالأَسْدَادِ» والأسداد: جمع سدّ، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

(٦) أُديل الحق منه بتضييع الجهاد: الباء هنا سببية، والمراد: أُديل الحق منه لأجل تضييعه الجهاد، أي صارت الدولة للحق بدله.

ٱلْخَسْفَ[1]، وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ[2]. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: «اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَٱللّٰهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ[3] إِلَّا ذَلُّوا» فَتَوَاكَلْتُمْ[4] وَتَخَاذَلْتُمْ، حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْغَارَاتُ[5]، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ.

فَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ[6]، قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ[7]، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[8]، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ وَٱلْأُخْرَى ٱلْمُعَاهِدَةِ[9] فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا[10] وَقُلُبَهَا[11] وَقَلَائِدَهَا

---

(١) سيم الخسف: أي أُولِيَ الخسف وكُلِّفَ إيّاهُ، والخسف: الذلّ والمشقة.

(٢) النَّصَف: الإنصاف. وفي نسخة عبده النِّصف بالكسر: وهو العَدْل. و«مُنِع» مجهول، أي حُرِمَ العدل بأن يسلط عليه من يغلبه على أمره فيظلمه.

(٣) عقر دارهم: أصل دارهم ووسطها، والعُقر: الأصل، ومنه العَقّار للنخل، كأنّه أصل المال.

(٤) تواكلتم: وَكَلَ كل منكم الأمر إلى صاحبه، أي لم يتولّه أحد منكم، بل أحاله كلّ على الآخر، ومنه يوصف الرجل بالوَكَل أي العاجز؛ لأنه يَكِل أمره إلى غيره.

(٥) شنت الغارات: فُرِّقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة، وما كان إرسالاً غير متفرق يقال فيه «سنّ» بالمهملة.

(٦) أخو غامد هو سفيان بن عوف بن المغفل الغامديّ، وغامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق؛ تهويلاً على أهله.

(٧) الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات، ويقابلها على الجانب الغربي «هيت».

(٨) المسالح: جمع مَسْلحة، وهي كالثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء.

(٩) المعاهدة: ذات العَهْد، وهي الذِّمِّيّة.

(١٠) الحِجل بالكسر: الخلخال، ومن هنا قيل للفرس محجّل، وسمي القيد حجلاً، لأنّه يكون مكان الخلخال.

(١١) القُلُب: جمع قُلْب، السوار المصمت.

وَرُعُثَهَا[1]، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِٱلِاسْتِرْجَاعِ وَٱلِاسْتِرْحَامِ[2]. ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ[3]، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ[4]، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ؛ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً[5] مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً!

فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ وَٱللّٰهِ ـ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ ٱلْهَمَّ، مِنَ ٱجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[6]، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى[7]، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى ٱللّٰهُ وَتَرْضَوْنَ![8]

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِٱلسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ ٱلْحَرِّ قُلْتُمْ: «هٰذِهِ حَمَارَّةُ ٱلْقَيْظِ[9]، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا ٱلْحَرُّ[10]»، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِٱلسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلشِّتَاءِ قُلْتُمْ: «هٰذِهِ صَبَارَّةُ ٱلْقُرِّ[11]، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ»؛ كُلُّ هٰذَا فِرَاراً مِنَ ٱلحرِّ وَٱلْقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ

---

(١) رُعُثها: جمع رِعاث، والرعاث: جمع رعثة، بالفتح ويحرك بمعنى القرط أو هو ضرب من الخرز.

(٢) الاسترجاع قولها: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام: أن تناشده الرحم.

(٣) انصرفوا وافرين، أي تامّين، على كثرتهم لم ينقص عددهم.

(٤) الكَلْم ـ بالفتح ـ: الجرح.

(٥) الأسف: التحسّر.

(٦) ترَحاً ـ بالتحريك ـ: أي همّاً وحزناً أو فقراً.

(٧) الغرض: الهدف، ينصب ليرمى بالسهام ونحوها، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون، وهم نصب لا يدفعون.

(٨) قوله: «ويعصى الله» يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهبّوا بالمدافعة.

(٩) حمّارة القيظ: شدّة الحر.

(١٠) التسبيخ: التخفيف والتسكين، يُسبَّخ عنّا الحرّ، أي يخفّ.

(١١) صبّارة الشتاء: شدّة برده، والقُرّ ـ بالضم ـ: البرد، وقيل هو برد الشتاء خاصة.

ٱلْحَرِّ وَٱلْقُرِّ تَفِرُّونَ؛ فَأَنْتُمْ وَٱللّٰهِ مِن ٱلسَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ ٱلرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ ٱلأَطْفَالِ[1]، وَعُقُولُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ[2]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَٱللّٰهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[3].

قَاتَلَكُمُ ٱللّٰهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً[4]، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي[5] غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[6] ٱلتَّهْمَامِ[7] أَنْفَاساً[8]، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِٱلْعِصْيَانِ وَٱلْخِذْلَانِ: حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: «إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِٱلْحَرْبِ». لِلّٰهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي؟[9] لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى ٱلسِّتِّينَ[10]، وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!

---

(١) لم يروِ المبرّد: «حُلوم الأطفال»، وروى عِوَضها: «يا طَغَام الأحلام»، قال: الطَّغَام: مَن لا معرفة عنده، ومنه: «طغام أهل الشام».

(٢) ربّات الحِجال: النساء، والحِجال: جمع حَجَلة، وهي بيت يزيّن بالستور والثياب للعروس.

(٣) السَّدَم: الحزن والغيظ والهم.

(٤) القَيْح: ما في القرحة من الصديد.

(٥) شحنتم صدري: ملأتموه.

(٦) النُّغَب: جمع نُغْبة، كجرعة وجُرَع لفظاً ومعنى.

(٧) التَّهمام ـ بالفتح ـ: الهمّ، وكلّ تَفعال فهو بالفتح كالتَّرداد، والتَّكرار، والتَّجوال، إلّا التِّبيان والتِّلقاء فإنّهما بالكسر.

(٨) أنفاساً: أي جرعة بعد جرعة، *والمراد أن أنفاسه أمست همّاً يجرعه*.

(٩) مراساً: مصدر مارسه ممارسة ومراساً، أي عالجه وزاوله وعاناه.

(١٠) ذرّفت على الستين: زدت، ورواها المبرد: نيّفت. وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف في المعنى وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ، انظر «الكامل» للمبرد.

٢٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في الحث على التزوّد للآخرة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ(١)، وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارُ(٢)، وَغَداً ٱلسِّبَاقَ، وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ(٣)، وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ(٤)؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ(٥)؟

(*) ذكرها الباقلاني في (إعجاز القرآن) ص ٢٢٢، والحراني في (تحف العقول) ضمن خطبة الديباج، والجاحظ في (البيان والتبيين) ج ١ ص ١٧١، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٣٦٥.

---

(١) آذنت: أعْلَمَتْ، وإيذانها بالوداع إنّما هو بما أُودع في طبيعتها من التقلّب والتحوّل، فأول نظرة من العاقل إليها يحصل له اليقين بفنائها وانقضائها، وليس وراء الدنيا إلّا الآخرة، فإن كانت الأولى مودّعة فالأخرى مشرفة. والاطّلاع من «اطّلع فلان علينا» أتانا فجأة.

(٢) المضمار: الزمان والموضع الذي تُضمَّر فيه الخيل للسباق، والضُّمْر: الهزال وخفة اللحم. وتضمير الخيل: أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل. وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني، وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة للثاني وإلّا فحقيقة التضمير إحداث الضمور: وهو الهزال وخفّة اللحم. وإنّما يفعل ذلك بالخيل لتخفف في الجري يوم السباق كما أنّنا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الأخرى.

(٣) السَّبَقة ـ بالتحريك ـ: الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها، وبالفتح: المَرّة من السبق. والشريف رواها في كلام الإمام بالتحريك أو الفتح وفسّرها بالغاية المحبوبة أو المَرّة من السبق وهو مطلوب؛ لهذا روى الضم بصيغة رواية أخرى، ومن معاني السَّبَقة ـ بالتحريك ـ الرّهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق، أي الجُعْل الذي يأخذه السابق إلّا أنّ الشريف فسّرها بما تقدم.

(٤) المنية: الموت والأجل.

(٥) البؤس: اشتداد الحاجة وسوء الحالة. ويوم البؤس: يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة. ←

أَلاَ وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ[1]، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ. وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ. أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ[2]. أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا[3]. أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ[4]، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى. أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[5]، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ؛ وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً[6].

← والعامل له: هو الذي يعمل الصالح لينجو من البؤس في ذلك اليوم.

(١) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة.

(٢) أمَرَ ﷺ بأن يكون المكلّف عاملاً أيام عدم الخوف مثل عمله وإخلاصه وانقطاعه إلى الله أيام العوارض، يقول: اعملوا لله في السرّاء كما تعملون له في الضرّاء، لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه. *والرَّهْبَة ـ بالفتح ـ: هي مصدر رَهِبَ الرجل ـ من باب علِم ـ رهباً بالفتح وبالتحريك والضم، ومعناه خاف.*

(٣) «لم أر كالجنة نام طالبها» يقول: إنّ من أعجب العجائب الذي لم يُرَ له مثيل من يؤمن بالجنة في عظمها، واستكمال أسباب السعادة فيها، كيف يطلبها وينام! ومن أعجب العجائب من يوقن بالنار، في هولها واستجماعها أسباب الشقاء، كيف لا يهرب منها وينام! أي لا ينبغي أن ينام طالب هذه ولا الهارب من هذه.

(٤) النفع الصحيح كله في الحق، فإن قال قائل: إنّ الحق لم ينفعه، فالباطل أشدّ ضرراً له، ومن لم يستقم به الهدى المرشد إلى الحق، أي لم يصل به إلى مطلوبه من السعادة، جرى به الضلال إلى الردى والهلاك.

(٥) الظعن: الرحيل عن الدنيا، وأمرنا به أمر تكوين، أي كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى، والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات.

(٦) تحرزون أنفسكم: تحفظونها من الهلاك الأبدي.

قال الرضي ﵁: (أَقُولُ): إِنَّهُ لَوْ كَانَ كلامٌ يَأْخُذُ بِالأَعْنَاقِ إِلَى ٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْـيَا، وَيَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ ٱلآخِرَةِ لَكَانَ هَذَا ٱلْكَلَامَ. وَكَفَى بِهِ قَـاطِعاً لِـعَلَائِقِ ٱلآمَـالِ، وَقَادِحاً زِنَادَ الاتِّعَاظِ وَالازْدِجار. ومن أَعْجَبِهِ قولُه عَلَيْهِ السَّلَام: «أَلَا وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ النَّار». فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخَامَةِ ٱللَّفْظِ، وَعِظَمِ قَدْرِ ٱلْمَعْنَى، وَصَادِقِ ٱلتَّمْثِيلِ، وَوَاقِعِ التَّشْبِيهِ، سِرّاً عَجِيباً، وَمَعْنىً لَطِيفاً، وَهُوَ قَوْلُه عَلَيْهِ السَّلَام «وَالسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْـغَايَةُ النَّـار» فَـخَالَفَ بَـيْنَ اللَّـفظَين لاخْتِلَافِ الْمَعْنَيَين، ولَم يَقُلْ: «والسَّبَقَة النَّار» كَمَا قَـال: «السَّـبَقَةُ الْـجَنَّةُ» لأَنَّ ٱلاسْتِبَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ، وَهَذِهِ صِفَةُ ٱلْجَنَّةِ، وَلَيْسَ هذا المعْنَى موجُوداً في النَّار، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا! فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُول: «والسَّبَقَةُ النَّارُ» بَلْ قال: «وَٱلْغَايَةُ النَّار»، لِأَنَّ الغايَةَ قَدْ يَنْتَهِي إِلَيهَا مَنْ لَا يَسُرُّهُ الانْتِهاءُ إليهَا، وَمَنْ يَسُرُّهُ ذَلِكَ فَصَلَحَ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنِ ٱلأَمْرَيْنِ مَعاً. فَهِيَ فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ كَـالْمَصِيرِ وَٱلْمَآلِ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ: «فَإِنَّ سَبْقَتَكُمْ إِلَى النَّارِ». فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ، وَغَوْرُهُ بَعِيدٌ لَطِيفٌ. وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام. وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «وَالسُّبْقَةُ ٱلْجَنَّةُ» بضمِّ السِّين. والسُّبْقَةُ عِنْدَهُمْ: ٱسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ لِلسَّابِقِ، إِذَا سَبَقَ مِنْ مالٍ أَوْ عَرَضٍ؛ وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلأَمْرِ المذْمُومِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلأَمْرِ ٱلْمَحْمُود.

٢٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ذَمِّ ٱلْمُتَخَاذِلِينَ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ(١)، كَلَامُكُمْ يُوهِي ٱلصُّـمَّ

(*) ذكرها البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٣٨٠، والقاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ٣٩١.

---

(١) أهواؤهم: آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم، والأهواء: جمع هوى، بالقصر.

ٱلصِّلَابَ[1]، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلأَعْدَاءَ!

تَقُولُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ: كَيْتَ[2] وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ[3]! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ[4]، وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ[5]، سَأَلْتُمُونِي ٱلتَّطْوِيلَ[6] دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ[7]. لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ، وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِٱلْجِدِّ. أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟

---

(١) الصم: جمع أصم، وهو من الحجارة الصلب المصمت. والصلاب: جمع صليب. والصليب، الشديد، وبابه ظَرِيف وظِراف وضَعِيف وضِعاف. ويوهيها: يضعفها ويفتتها. يقال: وهِيَ الثوب ووهي يهي وهياً من باب ضرب وحسب، تخرّق وانشقّ، أي تقولون من الكلام ما يفلق الحجر شدته وقوته ويوهي الجبال الصمُّ الصلبة، ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو.

(٢) كَيْت وكَيْت: كلمتان لا تستعمل إلّا مكرّرة؛ *إمّا مع واو العطف، وإمّا بدونها*، وهي كناية عن الحديث.

(٣) حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب الفارّ، كأنّه يسأل الحرب أن تتنحى عنه، من «الحَيَدان» وهو الميل والانحراف عن الشيء، وحيادِ مبني على الكسر كما في قولهم «فيحي فَيَاحِ» أي اتسعي، وحِمّي حمام للداهية، أي أنهم يقولون في المجلس سنفعل بالأعداء ما نفعل، فإذا جاء القتال فروا وتقاعدوا.

(٤) أي من دعاهم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعزّ دعوته؛ لتخاذلهم، فإن قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتبعوه.

(٥) الأعاليل: إمّا جمع أعلال، جمع علل، جمع علّة أو جمع أعلولة، كما أنّ الأضاليل جمع أضلولة والأضاليل متعلقة بالأعاليل، أي أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها.

(٦) *يريد بالتطويل هنا تطويل الموعد والتمطّل فيه*.

(٧) أي أنّكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه. والمطول: الكثير المطل، وهو تأخير أداء الدين بلا عذر. وقوله «لا يمنع الضيم ...» أي أنّ الذليل الضعيف البأس الذي لا منعة له لا يمنع ضيماً وإنّما يمنع الضيم القوي العزيز.

ٱلْمَغْرُورُ وَٱللَّهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ ـ وَٱللَّهِ ـ بِٱلسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ[1]، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[2]. أَصْبَحْتُ وَٱللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ. مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ. أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ!؟

٣٠ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي مَعْنَى قَتْلِ عُثْمَانَ

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً[3]، غَيْرَ أَنَّ مَنْ

(*) ذكر البلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٥ ص ٩٥ كلاماً عن علي عليه السلام قريباً من مضمون هذه الخطبة.

(١) من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الأخيب، وهو من سهام المَيْسِر الذي لا حظّ له.

(٢) السهم الأفْوَق: المكسور الفُوق، وهو مَدْخل الوتَر. والناصل: الذي لا نصل فيه، أي من رمى بهم فكأنّما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلاً؛ إذ لا نصل له.
وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام عند إغارة الضحاك بن قيس، فإنّ معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له: «سر حتى تمرّ بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى، ولا تقيمن لخيل بلغك أنّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها» وسرّحه في ثلاثة آلاف، فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، ثم لقي ابن عمر عميس بن مسعود الذهلي فقتله، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود، ونهب الحاجّ وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة، فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستنهض الناس إلى الدفاع عن ديارهم، وهم يتخاذلون، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة، ثم دعا بحجر بن عدي فسيّره إلى الضحاك في أربعة آلاف فقاتله، فانهزم فارّاً إلى الشام يفتخر بأنّه قتل ونهب.

(٣) يقول: إنّه لم يأمر بقتل عثمان، وإلّا كان قاتلاً له مع أنه بريء من قتله، ولم ينه عن قتله، أي ←

نَصَرَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَه مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنّي[1]. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ[2]، وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

٣١ـ ومن كلام له عليه السلام *

لِابْنِ الْعَبَّاسِ

لَمّا أَرْسَلَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ يَسْتَفِيئُهُ إِلَى طَاعَتِهِ[3] قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ

(*) رواه الجاحظ في (البيان والتبيين) ج ٢ ص ١١٥، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ١ ص ١١٥.

← لم يدافع عنه بسيفه ولم يقاتل دونه، وإلّا كان ناصراً له. أمّا نهيه عن قتله بلسانه، فهو ثابت وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يَذُبّا الناس عنه.

(١) «غير أنّ مَنْ نصره...» معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه؛ لأنّ الذين نصروه كان أكثرهم فُسّاقاً، كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار. فالذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه، لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول إنّي خير من الذي خذله، ولا يستطيع خاذله أن يقول أنّ الناصر خير مني، يريد أنّ القلوب متفقة على أنّ ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه.

(٢) «وأنا جامع لكم أمره...» إلى آخر الفصل، معناه أنّه فعل ما لا يجوز، وفعلتم ما لايجوز. أمّا هو فاستأثر فأساء الأثرة، أي استبد بالأمور فأساء الاستبداد، وكان عليه أن يتخلف منه حتى لا يزعجكم، وأمّا أنتم فجزعتم مما فعل، أي حزنتم فأسأتم الجزع؛ لأنّكم قتلتموه، ولم ترفقوا في جزعكم، ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم، وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى، ولا تذهبوا في الإساءة إلى حدّ القتل، ولله حكمه في المستأثر وهو عثمان، وفي الجازع وهو أنتم، فأمّا آخذه وآخذكم أو عفا عنه وعفا عنكم.

(٣) ليستفيئه إلى طاعته: أي يسترجعه، فاء أي رجع، ومنه سُمّيَ الفيء للظلّ بعد الزوال.

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّك إِنْ تَلْقَهُ[1] تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ[2]، يَرْكَبُ اَلصَّعْبَ[3] وَيَقُولُ: هُوَ اَلذَّلُولُ، وَلٰكِنِ اَلْقَ اَلزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[4]، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ اِبْنُ خَالِكَ[5]: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ[6]، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا![7]

قال الرضيّ رحمه الله: هو عَلَيْهِ السَّلام أَوّلُ مَنْ سُمِعت منه هذه الكلمة، أعني: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

٣٢ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في جور الزمان

أَيُّهَا اَلنَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ[8]، وَزَمَنٍ كَنُودٍ[9]، يُعَدُّ فِيهِ اَلْمُحْسِنُ

(*) ذكرها محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) ج١ ص ٩٠.

---

(١) يروى لن تَلْقَه تُلْفِه ـ الأولى بالقاف والثانية بالفاء ـ من «ألفاه يلفيه» وهي بمعنى تجده.

(٢) عاقصاً قرنه: أي قد عطفه، تيس أعقص: أي قد التوى قرناه على أذنيه، من «عقص شعره» إذا ضفره وفتله ولواه، وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده.

(٣) يركبُ الصعب: أي يستهين بالمستصعَب من الأمور، والصّعب: الدابة الجموح.

(٤) العريكة: الطبيعة والخلق، وأصل العرك دلك الجسد بالدباغ وغيره، يقال: لين العريكة إذا كان سَلِساً.

(٥) قوله هذا لطيف جدّاً، وهو من باب الاستمالة والإذكار بالنَّسب والرحِم، ألا ترى له في القلب من الموقع الداعي إلى الانقياد ما ليس لقوله: «يقول لك أمير المؤمنين».

(٦) عرفه بالحجاز: أطاعه فيه حيث عقد له البيعة، وأنكره بالعراق حيث خرج عليه وجَمّعَ لقتاله.

(٧) عداه الأمر: صرفه. وبدا: ظهر، و«من» هنا بمعنى «عن»، نقل ابنُ قتيبة في «أدب الكاتب»: قالوا: حدّثني فلان من فلان أي عنه، ونهيت من كذا أي عنه، وتقدير الكلام: فما صرفَك عَمّا بدا منك! أي ظَهَر، والمعنى: ما الذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها.

(٨) العنود: الجائر من «عَنَدَ يعنُد ـ كنصَرَ ـ» جار عن الطريق وعدل.

(٩) الكنود: الكفور. ويُروى وزمن شديد* أي بخيل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وإنّه لحب الخير←

---

* أثبت ابن أبي الحديد في المتن «وزمن شديد» وجعل «وزمن كنود» رواية.

مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ ٱلظَّالِمُ فِيه عُتُوّاً، لَانَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا[1]. وَٱلنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:

مِنْهُمْ مَنْ لَايَمْنَعُهُ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ[2]، وَكَلَالَةُ حَدِّهِ[3]، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[4]. وَمِنْهُمُ ٱلْمُصْلِتُ بِسَيْفِهِ، وَٱلْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ[5]، وَٱلْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ[6]، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ[7]، وَأَوْبَقَ دِينَهُ[8] لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ[9]، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ[10]، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[11]. وَلَبِئْسَ ٱلْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى ٱلدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ عِوَضاً

← لشديد﴾ [العاديات: ٨] أي أنّ الإنسان لأجل حبّه للمال بخيل، والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عدّ المحسن مسيئاً.

(١) القارعة: الخطب يقرع من ينزل به، أي يصيبه.

(٢) القسم الأول: من يقعد به عن طلب الإمارة والسلطان حقارة نفسه، فلا يجد معيناً ينصره.

(٣) كلالة حدّه: أي ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه، يقال: «كَلّ السيف كلالة» إذا لم يقطع، والمراد إعوازه من السلاح أو لضعفه عن استعماله.

(٤) النضيض: القليل، والوفر: المال، وكان مقتضى النسق أن يقول: ونضاضة وفره؛ لكنه عدل إلى الوصف تفننا.

(٥) القسم الثاني: الذي يطلب الإمارة وما هي من حقه، ويجهر بذلك فهو مصلت لسيفه، أي سال له على أعناق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل. والمعلن: المظهر.

(٦) المجلب: اسم فاعل من «أجلب عليهم» أي أعان عليهم، أجلب القوم أي جلبوا وتجمّعوا من كل أوب للحرب. والرَّجْل: جمع راجل، كالركب جمع راكب.

(٧) أشرط نفسه: أي هيّأها وأعدّها للشرّ والفساد في الأرض *أو للعقوبة وسوء العاقبة*.

(٨) أوبق دينه: أهلكه.

(٩) الحطام: المال، وأصله ما تكسر من اليبس. ينتهزه: يغتنمه أو يختلسه.

(١٠) المِقْنَب: طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وإنما يطلب قوده تعززاً على الناس وكبراً.

(١١) فرع المنبر ـ بالفاء ـ: أي علاه، وفي علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب. فهذا القسم قد أضاع دينه وأفسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ ٱلآخِرَةَ بِعَمَلِ ٱلدُّنْيَا. قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ[1]، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ[2]، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ[3]، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ[4]، وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللّٰهِ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ[5]. وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ[6]، وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِٱسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ[7] وَلَا مَغْدًى[8].

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ[9]، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[10]، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ[11]، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ[12]، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ،

---

(١) طامَن من شخصه: أي خَفَض.

(٢) قارب من خطوه: لم يسرع ومشى رويداً.

(٣) شمّر من ثوبه: قصّره.

(٤) زخرف من نفسه: حَسّن ونمّق وزيّن، والزخرف: الذهب في الأصل.

(٥) الذريعة: الوسيلة، وهذا قسم ثالث.

(٦) ضؤولة نفسه: حقارتها، والضُّؤولة ـ بالضم ـ: الضعف. وهذا هو القسم الرابع، وليس من الزهادة في ذهاب ولا إياب أي لا في فعل ولا ترك.

(٧) مَراح: مصدر ميمي من «راح» إذا ذهب في العشي.

(٨) مَغْدىً: مصدر ميمي من «غدا» إذا ذهب في الصباح.

(٩) هذا قسم خامس للناس مطلقاً، والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة، فقوله فيما سبق «فالناس أربعة أصناف» إنّما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلي ناساً، أمّا الرجال الذين غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا؛ خوفاً من الآخرة، وتذكرهم لمعادهم، فهؤلاء لا يعرفون عند العامة، وإنّما يتعرف أحوالهم أمثالهم، فكأنّهم في نظر الناس ليسوا بناس.

(١٠) الناد: المنفرد، الهارب من الجماعة إلى الوحدة.

(١١) المقموع: المقهور.

(١٢) المكعوم: من «كعمت البعير» إذا شددت فمه؛ لئلا يأكل أو يعض، وما يُشَدُّ به: كِعام ـ ككتاب ـ.

وَثُكْلَانَ مُوجَعٍ[1]، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ ٱلتَّقِيَّةُ[2]، وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ[3]، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ[4]، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ[5]، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا[6]، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ ٱلْقَرَظِ[7]، وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ[8]. وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ[9].

قال الرضي ؓ: وهذه الخُطْبَةُ رُبَّمَا نسبها من لا عِلْمَ له إلى معاوية؛ وَهِيَ من كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام الَّذي لَايُشَكُّ فِيه. وأَيْنَ الذَّهَبُ من الرَّغام[10]! وأين العذبُ من الأُجَاجِ! وقد دَلَّ على ذلك الدَّليلُ الخِرِّيتُ[11].

---

(١) الثكلان: الحزين.

(٢) أخمله: أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة. والتقية: اتقاء الظلم بإخفاء الحال.

(٣) الأجاج: الملح، أي أنّهم في الناس كمن وقع في البحر المالح، لا يجد ما يطفيء ظمأه، ولا ينقع غلته.

(٤) أفواههم ضامزة: أي ساكتة، ضمز: سكت يسكت.

(٥) القَرِحة ـ بفتح فكسر ـ: المجروحة.

(٦) أي أنّهم أكثروا من وعظ الناس حتى سئموا ذلك إذ لم يكن لهم في النفوس تأثير.

(٧) القرظ: ورق السَّلَم، أو ثمر السنط، يُدْبَغ به، وحثالته: ما يسقط منه، أي القشارة وما لا خير فيه.

(٨) الجلَم: المقص تُجزّ به أوبار الإبل، وقراضته: ما يقع من قَرْضه وقطعه. وإنّما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم؛ لما ثبت من أنّ الدنيا لم تصف إلّا للأشرار، أما المتقون الذين ذكرهم فإنّهم لم يصيبوا منها إلّا العناء، وكلّ من كان شأنه أن يأوي إلى الأشرار ويجافي الأخيار فهو أجدر بالاحتقار.

(٩) أي من كان أشدّ تعلّقاً بها منكم.

(١٠) الرّغام ـ بالفتح ـ: التراب.

(١١) الخِرّيت: الحاذق في الدلالة.

ونقدهُ النّاقدُ البَصيرُ، عَمْرُو بن بحرِ الجاحِظ، فإنّهُ ذكر هذه الخطبة في كتاب «البيان والتبيين» وذكرَ من نَسَبَهَا إلى مُعَاوِية، ثمّ تكلّم من بعدها بكلام في معناها، جملته أنّه قال: «وهذا الكلام بكلام عليٍّ عَلَيْهِ السَّلام أشبهُ وبمذهبه في تصنيف النّاسِ وفي الإخبارِ عمّا هُمْ عليه من القَهْرِ والإذلالِ، ومن التقيّةِ والخوفِ أليقُ»[1]. قَالَ: «ومتى وجدنا معاويةَ في حال من الأحوال يسلُكُ في كلامه مسلكَ الزّهّادِ، ومذاهبَ العُبّادِ!»

٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ[2]

قال عَبْدُ اللّه بنُ العبّاس: «دَخلتُ على أميرِ المؤمنينَ عليه السّلامُ بذِي قَارٍ[3]، وهو يَخْصِفُ نَعْلَهُ[4]، فقال لِي: «مَا قِيمَةُ هٰذَا ٱلنَّعْلِ؟» فقُلتُ: «لاقِيمةَ لها». فقال عليه السلام: «واللّهِ لَهِيَ أَحبُّ إِلَيَّ من إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً»، ثم خرج فخطب الناس فقال:

إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ ٱلنَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُم مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ

(*) رواها الشيخ المفيد في (الإرشاد) ص ١٥٤، وقال: خطَبَ عليه السلام هذه الخطبة بالربذة وليس بذي قار.

(١) تصنيف الناس: تقسيمهم وتبيين أصنافهم.

(٢) في وقعة الجمل.

(٣) ذو قار: بلد بين واسط والكوفة، وهو قريب من البصرة، وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس وانتصر فيه العرب قبل الإسلام.

(٤) يخصف نعله: يَخْرِزُها.

مَنْجَاتَهُمْ(١)، فَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(٢)، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ(٣).

أَمَا وَٱللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا(٤)، حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا(٥)، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا(٦)، فَلَأَنْقُبَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ ٱلْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ(٧).

---

(١) بوّأهم محلتهم: أسكنهم مَنْزلهم، فالناس قبل الإسلام كأنّهم كانوا غرباء مشردين والإسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف، فالنبي ﷺ ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الإسلام الذي كانوا قد ضلّوا عنه، وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك.

(٢) فاستقامتْ قناتهم: استقاموا على الإسلام، أي كانت قناتهم معوجّة فاستقامت. والقناة: العود والرمح، والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم.

(٣) الصفاة: الحجر الصلد الضخم، وأراد به مواطئ أقدامهم، والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة، وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل أقدامهم.

(٤) وإنْ: هذه هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف والأصل إنّه كنت... والمعنى قد كنت. والساقة: مؤخر الجيش السائق لمقدمه. أقسم أنّه كان في ساقتها حتى تولّتْ بحذافيرها والأصل في «ساقتها» أن يكون جمع سائق كحائض وحاضة، ثم استعملت لفظة «الساقة» للأخير: لأنّ السائق إنّما يكون في آخر الرّكب أو الجيش.

(٥) ولّت بحذافيرها: بجملتها وأسرها. والضمائر في «ساقتها» و«ولّت بحذافيرها» عائدة إلى الحادثة المفهومة من الحديث، وهي ما أنعم الله به من بعثة النبي ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الذلّة للعزّة. وقال الشارح ابن أبي الحديد: «الضمائر للجاهلية المفهومة من الكلام، وكونه في ساقته أنّه طارد لها.» ويضعّفه أنّ ساقة الجيش منه لا من مقاتله، فلو كانَ في ساقة الجاهلية لكان من جيشها نعوذ بالله، ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساقة جمع سائق، أي كنت في الذين يسوقونها طرداً حتى ولّت.

(٦) أي أنّه يسير إلى الجهاد في سبيل الحق.

(٧) نَقَبَ: بمعنى ثَقَبَ، كأنّه جعل الباطل كشيء قد اشتمل على الحق واحتوى عليه، وصار الحقُّ في طيّه، كالشيء الكامن المستتر فيه، فأقسم لينقبنّ ذلك الباطل إلى أن يخرُج الحقُّ من جنبه. والباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن الحق ويقوم حجاباً مانعاً للبصيرة عن الحقيقة فكأنّه شيء اشتمل على الحق فستره وصار الحق في طيه. والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق، وحال الإمام في كشف الباطل وإظهار الحق.

مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَٱللّٰهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ ٱلْيَوْمَ. وَٱللّٰهِ مَاتَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ ٱللّٰهَ ٱخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا، فَكَانُوا كَمَا قَالَ ٱلْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ ٱلْمَحْضَ[1] صَابِحاً وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ ٱلْمُقَشَّرَةَ ٱلْبُجْرَا
وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ ٱلْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ عَلِيّاً، وَحُطْنَا حَوْلَكَ ٱلْجُرْدَ وَٱلسُّمْرَا

٣٤ـ ومن خطبة له عليه السلام*

فِي ٱسْتِنْفَارِ ٱلنَّاسِ إِلَى أَهْلِ ٱلشَّامِ

أُفٍّ لَكُمْ[2]! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِوَضاً؟وَبِالذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ[3]، كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ[4]، وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ.

(*) رواها الطبري في (التاريخ) ج٦ ص ٥١، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١، ص ١٥٠، والبلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة علي عليه السلام ص ٣٨٠، والمفيد في (المجالس) ص ٧٩.

---

(١) المحض: اللبن الخالص بلا رغوة.

(٢) أُفٍّ لكم: كلمة استقذار ومهانة وتضجّر.

(٣) «دارت أعينكم» من قوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[الأحزاب: ١٩]، و دوران الأعين: اضطرابها من الجزع.

(٤) الغمرة: الواحدة من الغَمْر وهو الستر، ومن غَمْرَة الموت يدور بصره فإنّهم يريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي إليه، أي إلى المحتضر، يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[محمد: ٢٠].

يُرْتَجُ[1] عَلَيْكُمْ حِوَارِي[2] فَتَعْمَهُونَ[3]، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ[4]، فَأَنْتُمْ لاَتَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي[5]، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ[6]، وَلاَ زَوَافِرُ[7] عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ. لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ[8]! تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ[9]؛ لاَيُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ![10]

---

(١) يرتج: يغلق، تقول: رتج الباب أي أغلقه.

(٢) الحِوار: المحاورة والمخاطبة ومراجعة الكلام، والحوار بالفتح وربما بالكسر. [أثبت ابن أبي الحديد جواري بالكسر، وعبده، والصالح بالفتح].

(٣) تَعْمَهون: من العَمَه وهو التحيّر والتردد، الماضي عَمِه بالكسر، أي لا تهتدون لفهمه فتعمهون، أي تتحيرون وتترددون.

(٤) المألوسة: المخلوطة بمس الجنون، من «الأَلْس»، بسكون اللام، وهو الجنون واختلاط العقل.

(٥) ما أنتم لي بثقةٍ سَجيسَ الليالي: كلمة تقال للأبد، سجيس: أصله من «سجس الماء» بمعنى تغيّر وكدر، وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها، أي ما دام الليل ليلاً. ويقال: سجيس لا وجس ـ بفتح الجيم وضمها ـ وسجيس عجيس، كل ذلك بمعنى أبداً، أي أنهم ليسوا بثقات عنده يركن إليهم أبداً.

(٦) أي لستم بركن يُستَند إليكم، ويُمال على العدو بعزّكم وقوتكم.

(٧) زوافر: جمع زافرة، والزافرة: من البناء ركنه ومن الرجل عشيرته، زافرة الرجل: أنصاره وعشيرته؛ ويجوز أن يكون زوافر عِزّ، أي حوامل عِزّ، زفرتُ الجملَ أزفره زفراً، أي حمّلته.

(٨) سُعُر: جمع ساعر، مثل كُظَّم جمع كاظم، والمراد: أنتم موقدو الحرب لا مطفئوها. [وفي نسخة عبده: سُعْرُ نارِ الحرب] والسَّعْر ـ بالفتح ـ: مصدر سَعَرَ النار ـ من باب نَفَعَ ـ: أوقدها.

(٩) امتعض: غَضِبَ، وتمتعضون: تألمون وتغضبون.

(١٠) غُلِبَ: مبني للمجهول، والمتخاذلون: الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون.

وَآيْمُ ٱللّٰهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى،[1] وَٱسْتَحَرَّ ٱلْمَوْتُ[2]، قَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلرَّأْسِ[3].

وَٱللّٰهِ إِنَّ ٱمْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَعْرُقُ لَحْمَهُ[4]، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ[5]، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ[6]. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ[7]؛ فَأَمَّا أَنَا فَوَٱللّٰهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ[8] تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ[9]، وَتَطِيحُ ٱلسَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ[10]، وَيَفْعَلُ ٱللّٰهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَٱلنَّصِيحَةُ

---

(١) حَمِسَ ـ كفرِحَ ـ: اشتدّ وصَلُب، فهو حَمِسٌ، وأصل الوغى الصوت والجَلَبة، ثم سميت الحرب نفسها وغى، لما فيها من الأصوات والجلبة.

(٢) استحرَّ الموت: اشتد وبلغ في النفوس غاية حِدّته.

(٣) «انفرجتم انفراج الرأس»: أي كما ينفلق الرأس فيذهب نصفه يَمْنَةً ونصفه شامَةً فلا يلتئم، فإنّ الرأس إذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام.

(٤) يَعْرُقُ لَحْمَه: يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم.

(٥) فراه يفريه: مزّقه يمزّقه.

(٦) ما ضُمّت عليه الجوانح هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية. والجوانح: الضلوع تحت الترائب، ما يلي الترقوتين من عظام الصدر أو ما بين الثديين والترقوتين، يريد ضعيف القلب.

(٧) خاطب كلّ من يمكّن عدوه من نفسه كائناً من كان، ويُروى أنّه خطاب للأشعث بن قيس عندما قال له: «هلّا فعلت فِعْلَ ابن عفان» فأجابه بقوله: «إنّ فعل ابن عفان لمَخْزاة على مَن لا دين له ولا أمره...» ويمكن أن تكون الرواية صحيحة، والخطاب عام لكلّ من أمكن من نفسه، فلا منافاة بينهما.

(٨) أي لا يمكّن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية، وهي السيوف التي تنسب إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، ولا يقال في النسبة إليها مشارفي.

(٩) فراش الهام: العظام الرقيقة التي تلي القحف.

(١٠) تطيح السواعد: أي تسقط.

لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ[1]، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

٣٥- ومن خطبة له عليه السلام[*]

بَعْدَ التَّحْكِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ[2] بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ[3]، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ[4]. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ[5] مَخْزُونَ رَأْيِي[6]

(*) ذكرها البلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة أمير المؤمنين ٧ص ٣٦٥ ، والطبري في (تاريخه) ج ٦ ص ٤٦ ، في حوادث سنة ٣٧ ، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١١٩ ، وغيرهم.

---

(١) الفيء: الخراج وما يحويه بيت المال.

(٢) «الحمد لله وإن أتى الدهر...» أي أحمده على كل حال من السرّاء والضرّاء.

(٣) الخطب الفادح: الثقيل، من «فدحه الدين»: أي أثقله وعاله وبَهَظَه.

(٤) الحَدَث -بالتحريك-: الحادث، والمراد هنا ما وقع من أمر الحكمين.

(٥) نخلْت لكم: أي أخلصْتُه، من «نَخَلْتُ الدقيق بالمُنخُل».

(٦) الحكومة: حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وذلك بعد ما وقف القتال بين أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة، فإنّ جيش معاوية لما رأى أنّ الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون ردّ الحكم إلى ←

لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ(١)! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْجُفَاةِ، وَٱلْمُنَابِذِينَ ٱلْعُصَاةِ، حَتَّى ٱرْتَابَ ٱلنَّاصِحُ بِنُصْحِهِ(٢)، وَضَنَّ ٱلزَّنْدُ بِقَدْحِهِ(٣). فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ(٤):

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا ٱلنُّصْحَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ

← كتاب الله، وكانت الحرب أكلت من الفريقين، فانخدع القراء وجماعة تبعوهم من جيش علي وقالوا: «دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه» فقال لهم أمير المؤمنين: «إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا» فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها، وتكلم الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله، فاختار معاوية عمرو بن العاص، واختار أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري، فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبدالله بن عباس، فلم يرضوا. ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا، فوافقهم على أبي موسى مكرهاً بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم: أي أخلص رأيه في الحكومة أولاً وأخراً، ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه.

(١) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش، وكان حاذقاً، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء، ملكة الجزيرة، فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر» فذهب مثلاً.

(٢) يريد الناصح نفسه، أي أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن أن النصح غير نصح، وأن الصواب ما أجمعوا عليه. وتلك سنة البشر إذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه.

(٣) قوله «ضن الزند بقدحه» أي أنه لم يعن له بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم، وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه.

(٤) أخو هوازن: هو دُرَيْد بن الصِّمة. ومنعرج اللوى: اسم مكان، وأصل اللوى: من الرمل الجدد بعد الرملة. ومنعرجه: منعطفه يمنة ويسرة، وفي هذه القصيدة:

فلما عَصَوْني كنتُ منهم وقد أرى غوايتَهم أو أنني غيرُ مُهْتَدِي

ومـا أنا إلا من غَزِيَّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّة أَرْشُدِ

٣٦- ومن خطبة له عليه السلام*

في تخويف أهل النّهروان[1]

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ[2]، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ[3]، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ. قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ[4]، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ[5]. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ

(*) ذكرها ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٤٧، والطبري في (تاريخه) ج ٦ ص ٤٧، والزبير بن بكار في (الموفقيات): ص ٣٥٠.

(١) النهروان: اسم لأسفل نهر بين الخافيق وطرفاء، على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء. ويقال لأعلى ذلك النهر تامر، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته، وجهروا بعداوته، وصاروا له حرباً واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع. وهؤلاء يلقّبون بالحرورية؛ لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا فيها كانت تسمى حروراء، وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي، ويلقب بذي الثُّدَيَّة، تصغير ثدي، خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم، والعودة إلى بيعتهم، فأجابوا النصيحة برمي السهام، وقتال أصحابه كرم الله وجهه، فأمر بقتالهم، وتقدم للقتال بهذا الإنذار الذي تراه.

(٢) صرعى: جمع صريع، أي طريح، أي أني أحذّركم من اللجاج في العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين بعضكم في أثناء هذا النهر، وبعضكم بأهضام هذا الغائط.

(٣) الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الوادي. والغائط: ما سفل من الأرض.

(٤) أي صرتم في متاهة ومضلة لا يدع الضلال لكم سبيلاً إلى مستقر من اليقين، فأنتم كمن رمت به داره وقذفته، ويقال: «تطاوحت به النوى» أي ترامت، وقد يكون المعنى: أهلكتكم دار الدنيا.

(٥) احتبلكم المقدار: أوقعكم في الحبالة، فهم مقيّدون للهلاك لا يستطيعون منه خروجاً. والمقدار: القدر الإلهي.

ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْمُنَابِذِينَ[1]، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ ٱلْهَامِ[2]، سُفَهَاءُ ٱلْأَحْلَامِ[3]؛ وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[4]، وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً.

٣٧ ـ ومن كلام له عليه السلام *

يَجْرِي مَجْرَى ٱلْخُطْبَةِ[5]

وَفِيهِ يَذْكُرُ فَضَائِلَهُ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قَالَهُ بَعْدَ وَقْعَةِ ٱلنَّهْرَوَانِ

(*) رواها الصدوق في (أماليه) ص ١٣٤.

(١) نهاهم عن إجابة أهل الشام في طلب التحكيم بقوله: إنّهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا إلى حكمها... إلى آخر ما تقدم في الخطبة السابقة، وقد خالفوه بقولهم: «دعينا إلى كتاب الله فنحن أحقّ بالإجابة إليه» بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم: «لئن لم تجبهم إلى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك».

(٢) الهام: الرأس، وخِفّتها: كناية عن *الطيش* وقلة العقل.

(٣) *سفهاء الأحلام: السفهاء: الحمقى. والأحلام: العقول.*

(٤) البُجْر: الداهية والأمر العظيم والشر. ويُروى «هُجْراً» وهو المستقبح من القول. ويُروى «عُرّاً»، والعُرّ: قروح في مشافر الإبل، ويستعار للداهية. قال الراجز: «أرمي عليها وهي شيء بجر» أي داهية، ويقال: «لقيت منه البجاري» وهي من الدواهي، واحدها بجري، مثل قمري وقماري.

(٥) هذا الكلام ساقه الرضي كأنّه قطعة واحدة لغرض واحد وليس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة، كل قطعة منها في معنى غير ما للأُخرى، التقطها الرضيّ رحمه الله تعالى من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام طويل منتشر، قاله بعد وقعة النَّهروان، ذَكَرَ فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى آخر وقت، فجعل الرضيّ ما التقطه منه سَرْداً، وصار عند السامع كأنّه يقصد به مقصداً واحداً. وهو أربعة فصول؛ الأول: من قوله: «فقمت بالأمر» إلى قوله: «واستبددت برهانها» والفصل الثاني: من قوله: «كالجبل لا تحركه القواصف» إلى قوله: «حتى آخذ الحق منه» والفصل الثالث: من قوله: «رضينا عن الله قضاءه» إلى قوله: «فلا أكون أول من كذب عليه» والفصل الرابع: ما بقي.

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا[1]، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا[2]، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا[3]، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً[4]، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً. فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا[5]، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا[6].

كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ[7]، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ[8]. وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ. الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ[9]، وَالْقَوِيُّ

---

(١) أي قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمد ﷺ عنه. والفَشَل: الخَوَر والجُبْن. يصف حاله في خلافة عثمان، ومقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام الأحداث، أي أنّه قام بإنكار المنكر حين فشل القوم.

(٢) التقبّع: الاختباء، والتطلّع ضدّه، يقال: امرأة طُلَعة قُبَعة، تطلع ثم تقبع رأسها، أي تدخله كما يقبع القنفذ، أي يدخل رأسه في قبعة جلده، وقبع الرجل: أدخل رأسه في قميصه، أي أنّه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبئ القوم من الرهبة.

(٣) يقال: «تعتع فلان في كلامه» إذا تردد من عيّ أو حصر، فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه والقوم يترددون ولا يبينون.

(٤) «وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم فوْتاً» يقول: علوتُهم وفتُهم وهاؤتُهم سبْقاً، وأنا مع ذلك خافض الصوت. يشير إلى التواضع ونفي التكبر، أو كناية عن ثبات الجأش؛ فإن رفع الصوت عند المخاوف إنّما هو من الجزع. والفوت: السبق.

(٥) «فَطِرتُ بعنانها، و...» يقول: سبقتهم، وهذا الكلامُ استعارة من مُسابقة خَيْل الحلْبة، والعنان: للفرس معروف. واستبددت بالرهان، أي انفردت بالخطَر الذي وقع التراهُنُ عليه.

(٦) هذا الضمير وسابقه يعودان إلى الفضيلة المعلومة من الكلام فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٧) القواصف: الرياح الشديدة، ومثله العواصف.

(٨) المَهْمَز: موضع الهمز، وهو العيب والوقيعة، وكذلك المَغْمَز، أي لم يكن فيّ عيب أُعاب به. وهذا هو الفصل الثاني، يذكر حاله بعد البيعة أي أنّه قام بالخلافة كالجبل ....

(٩) قوله: «الذليل عندي...» أي إنّني أنصر الذليل فيعزّ بنصري حتى إذا أخذ حقّه رجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي.

عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ.

رَضِينَا عَنِ ٱللهِ قَضَاءَهُ[1]، وَسَلَّمْنَا لِلهِ أَمْرَهُ. أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَٱللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[2].

٣٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

في معنى ٱلشُّبْهَةِ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ. فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى[3]. وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى. فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ[4]، وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

(*) رواها الآمدي في (غرر الحكم) ص ٩٨ في حرف الألف بلفظ «إنّما».

(١) قوله: «رضينا ...» كلام قاله عندما تفرس في قوم عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عنه النبي ﷺ من أخبار الملاحم والغائبات.

(٢) قوله: «فنظرت ...» هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ بيّن فيه أنّه مأمور بالرفق في طلب حقّه، فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان، فبايعهم امتثالاً لما أمره النبيّ به من الرفق؛ وإيفاء بما أخذ عليه النبيّ من الميثاق في ذلك.

(٣) سَمْتُ الهدى: طريقته.

(٤) قوله: «فما ينجو من الموت ...» ليس ملتئماً مع ما قبله، فهو قطعة من كلام آخر ضمه إلى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة.

٣٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ذَمِّ الْمُتَقَاعِدِينَ عَنِ الْقِتَالِ

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ[١]، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ. لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ[٢]! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً[٣]، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً[٤]، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ[٥]، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ. دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ[٦] الْجَمَلِ الْأَسَرِّ[٧]، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ[٨]، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ؛ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

(*) ذكرها البلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة علي عليه السلام: ص ٤٠٤، وروى الطبري فقرات منها في (تاريخه) في حوادث سنة ٣٩.

---

(١) مُنِيتُ: بُلِيتُ.

(٢) تُحْمِشُكم: تُغْضِبُكم، من «أحمشه» أي أغضبه، أو من «حمشه ـ كنصره ـ»: جمعه، وحمش القوم: ساقهم بغضب.

(٣) المستصرخ: المستنصر، المستجلب مَن ينصره بصوته.

(٤) المتغوث: القائل: واغوثاه!

(٥) تَكَشَّفُ: مضارع حُذِف زائده، والأصل تَتَكَشَّفُ أي تنكشف، أي إنكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوؤنا ولا تسرنا.

(٦) الجرجرة: صوت يردّده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب.

(٧) الأسرّ: المصاب بداء السرر، وهو مرض في الكِرْكِرَة ينشأ من الدبرة.

(٨) النِّضو: البعير المهزول، والأدبر: الذي به دَبَر، والمدبور: أي المجروح المصاب بالدَّبَرة ـ بالتحريك ـ وهي العقر والجرح من القتب ونحوه.

إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»(١).

قال الرضي ﵀ : قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «مُتَذَائِبٌ» أي مُضْطَرِب؛ مِن قولهم: «تَذَاءَبَتِ ٱلرِّيحُ» أي ٱضْطَرَبَ هُبُوبُهَا، وَمِنه سُمِّيَ الذِّئْبُ ذِئْباً لِاضْطِرابِ مِشْيَتِهِ.

٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي ٱلْخَوَارِجِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ «لَاحُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ»

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَاحُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ، وَلٰكِنَّ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلّٰهِ، وَإِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ(٢)، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ ٱلْمُؤْمِنُ(٣)، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ ٱللّٰهُ فِيهَا ٱلْأَجَلَ(٤)، وَيُجْمَعُ بِهِ ٱلْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ

(*) ذكره العاملي في (كتاب الأم)، والطبري في (تاريخه) ج٦، ص ٤١، والمكّي في (قوت القلوب) ج١ ص ٥٣٠، وابن واضح في (تاريخه) ج٢ ص ١٣٦، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٣٥٢.

---

(١) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر من أعمال أمير المؤمنين، وعليها إذ ذاك من قِبَله مالك بن كعب الأرحبي.

(٢) برهان على بطلان زعمهم أنّه لا إمرة إلّا لله بأنّ البداهة قاضية أن الناس لابدّ لهم من أمير برّ أو فاجر حتى تستقيم أمورهم، وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لإحراز دينه ودنياه، وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل، ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة، وتجري سائر المصالح المذكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر، كما تدلّ عليه الرواية الأخرى وقوله أمّا الإمرة البرّة ....

(٣) يعمل فيها المؤمن، أي ليست بمانعة للمؤمن من العمل؛ لأنّه يمكنه أن يصلي ويصوم ويتصدق وإن كان الأمير فاجراً. ويستمتع فيها الكافر: أي يتمتع بمدّته.

(٤) ويبلّغ الله فيها الأجل؛ لأنّ إمارة الفاجر كإمارة البرّ، في أنّ المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقّت للإنسان.

ٱلْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ ٱلسُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخرى أنَّهُ عليه السلام لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ: حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال: أَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا ٱلتَّقِيُّ، وَأَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا ٱلشَّقِيُّ؛ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

٤١ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ٱلْوَفَاءِ وَٱلصِّدْقِ

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ ٱلصِّدْقِ،(١) وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ(٢)، وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ ٱلْمَرْجِعُ(٣)، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ ٱتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْساً(٤) وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ

(*) ذكرها ابن طلحة في (مطالب السؤول) ج ١ ص ١٧٠.

(١) التوأم: الذي يولد مع الآخر في حمل واحد، يقال: هذا توءم هذا، وهذه توءمته، وهما توأمان، وإنّما جعل الوفاء توءم الصدق؛ لأنّ الوفاء صدقٌ في الحقيقة، والصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة.

(٢) جُنّة: وقاية ودرع، أوقى منه، أي أشدّ وقاية وحفظاً.

(٣) «ولا يَغدِرُ مَن عَلِمَ كيف المرجعُ»، مَن عَلِمَ الآخرة وعلم أنّ مرجعه إلى الله وهو سريع الحساب لا يغدر؛ لأنّ الغدر يُحبِط الإيمان.

(٤) الكَيْس ـ بالفتح ـ: العقل والفِطنة والذكاء، وأهل ذلك الزمان يعدّون الغدر من العقل وحسن الحيلة، كأنّهم أهل السياسة من بني زماننا. وأمير المؤمنين يعجب من زعمهم ويقول ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أنّ الحُوّل القُلّب ـ بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين ـ أي البصير ←

ٱلْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ ٱللهُ! قَدْ يَرَى ٱلْحُوَّلُ ٱلْقُلَّبُ(١) وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ وَدُونَه مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ وَنَهْيِهِ. فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَاحَرِيجَةَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ(٢).

٤٢ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في اتِّبَاعِ ٱلْهَوَى وَطُولِ ٱلْأَمَلِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَتَانِ: ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى وَطُولُ ٱلْأَمَلِ(٣)؛ فَأَمَّا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ. وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ.

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ(٤)، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ(٥) ٱلْإِنَاءِ

(*) رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صِفّين) ص ٣، والمسعودي في (مروجه) ج ٢ ص ٤٣٦، والمفيد في (المجالس) ص ٥٠، وأبو نعيم في (حلية الأولياء): ج ١ ص ٥٦.

← بتحويل الأمور وتقليبها قد يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده، لكنه يجد دون الأخذ به مانعاً من أمر الله ونهيه، فيدع الحيلة وهو قادر عليها خوفاً من الله، ووقوفاً عند حدوده.

(١) الحوّل القلّب: الذي قد تحوّل وتقلّب في الأمور وجرّب.

(٢) التحرّج: التأثّم، أي التحرّز من الآثام، والحريجة: التقوى.

(٣) طول الأمل: هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل طلباً للراحة العاجلة، وتسلية للنفس بإمكان التدارك في الأوقات المقبلة، وهذا من أقبح الصفات. أمّا قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة، ثقة بالله ويقيناً بعونه، فهي حياة كل فضيلة وسائقة لكل مجد، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله، تحسبهم أحياء، وهم أموات لا يشعرون.

(٤) الحَذّاء: الماضية السريعة، وقطاة حذّاء: خفّ ريش ذَنَبها، ورجلٌ أحذّ، أي خفيف اليد. وقد رويت «جذّاء» بالجيم، أي انقطع خيرُها ودرّها.

(٥) الصُّبابة: البقية من الماء واللبن في الإناء. واصطبّها صابّها كقولك: أبقاها مُبقيها أو تركها تاركها.

أَصْطَبَّهَا صَابُّهَا. أَلَا وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلدُّنْيَا؛ فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ.

قال الرضيّ ﷺ: أقول: الحذّاء: السّريعة، ومن النّاس من يَرْويه: «جذّاء».

٤٣ - ومن كلام له عليه السلام *

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ٱلْبَجَلِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ[1]. وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً، وَٱلرَّأْيُ مَعَ ٱلْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا[2]، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ ٱلْإِعْدَادَ[3].

(*) رواه الخوارزمي في (مناقبه) ص ١٠٨، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٩٤، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) ص ٥٥، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ١٠٨.

---

(١) يقول ﷺ: إنه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام في البيعة له، والدخول في طاعته ولم ينقطع الأمل منهم، فاستعداده للحرب، وجمعه الجيوش، وسوقها إلى أرضهم، إغلاق لأبواب السلم على أهل الشام، وصرف لهم عن الخير إن كانوا يريدونه. فالرأي الأناة، أي التأني، ولكنه لا يكره الإعداد أي أن يعدّ كل شخص لنفسه ما يحتاج إليه في الحرب من سلاح ونحوه ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي إليها لم يبطئ في الإجابة ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها.

(٢) أرْوِدوا: أي ارفقوا، أرْوَد في السّير إرواداً، أي سار برِفق، والأناة: التثبت والتأني.

(٣) الإعداد: التهيئة، ونهيه لهم عن الاستعداد وقوله: «ولا أكره لكم الإعداد» غير متناقض؛ لأنه←

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا ٱلْأَمْرِ وَعَيْنَهُ[1]، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ فِيهِ إِلَّا ٱلْقِتَالَ أَوِ ٱلْكُفْرَ[2] بِمَا جَاءَ به مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى ٱلْأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ ٱلنَّاسَ مَقَالاً، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا[3].

٤٤ ـ ومن كلام له عليه السلام*

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ٱلشَّيْبَانِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ قَدِ ٱبْتَاعَ سَبْيَ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَأَعْتَقَهُمْ. فَلَمَّا طَالَبَهُ بِٱلْمَالِ خَاسَ بِهِ[4] وَهَرَبَ إِلَى ٱلشَّامِ[5].

(*) ذكره الطبري في (تاريخه) ٦ ص ٦٥، والثقفي في (الغارات)، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٤١١.

← كره منهم إظهار الاستعداد والجَهْر به، ولم يكره الإعداد سرّاً. ويمكن أن يقال إنّه كره استعداده نفسه، ولم يكره إعداد أصحابه؛ وهذان متغايران. وهذا الوجه اختاره القطب الراوندي.

(١) مثل تقوله العرب إذا أرادت الاستقصاء في البحث والتأمّل والفِكْر، وإنّما خصّ الأنف والعين لأنّهما أظهر شيء في صورة الوجه وهما مستلفت النظر.

(٢) وليس إلّا القتال أو الكفر؛ لأنّ النهي عن المنكر واجبٌ على الإمام، ولا يجوز له الإقرار عليه، فإن تركه فَسَقَ، ووجب عزله، وقوله «أو الكفر» من باب المبالغة، والمراد: إنّما هو القتال أو الفِسْق، فسمّى الفِسْق كفراً تغليظاً وتشديداً في الزجر عنه.

(٣) «أوجد الناس مقالاً» أي جعلهم واجدين له، ويريد من الوالي الخليفة الذي كان قبله، وتلك الأحداث معروفة في التاريخ، وهي التي أدّت بالقوم إلى التألّب على قتله. ويُروى قال ـ بالقاف ـ بدل وال، ولا أظنها إلّا تحريفاً.

(٤) خاس به يَخِيس ويخوس: أي غَدَرَ به وخان، وخاسَ فلانٌ بالعهد: أي نكث.

(٥) كان الخرّيت بن راشد الناجي أحد بني ناجية مع أميرالمؤمنين في صفين، ثم نقض عهده بعد صفين، ونقم عليه في التحكيم، وخرج يفسد الناس ويدعوهم للخلاف، فبعث إليه أمير←

قَبَّحَ ٱللّٰهُ مَصْقَلَةَ[1] فَعَلَ فِعْلَ ٱلسَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ ٱلْعَبِيدِ. فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلاَصَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ[2]. وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ[3]، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ[4].

٤٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

وَهِيَ مِنْ خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ خَطَبَهَا يَوْمَ ٱلْفِطْرِ. وَفِيهَا ذَمُّ ٱلدُّنْيَا

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ[5]، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ[6]، ٱلَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.

(*) رواه الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ج ١ ص ٣٢٧، والشيخ الطوسي في (مصباح المتهجد) ص ٤٥٨.

← المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله هو ومن انضم إليه، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدّت عليه فقتل، وقتل معه كثير من قومه، وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمس مئة أسير. ولما رجع معقل بالسبي، مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وكان عاملاً لعلي على أردشير خُره، فبكى إليه النساء والصبيان، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم، فاشتراهم من معقل بخمس مئة ألف درهم، ثم امتنع من أداء المبلغ، ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لَحِقَ بمعاوية فراراً تحت أستار الليل.

(١) قَبح الله فلاناً: أي نحّاه عن الخَيْر، فهو مقبوح.

(٢) التبكيت: كالتقريع والتعنيف، بكّته: قرّعه وعنّفه.

(٣) ميسورة: ما تيسر له.

(٤) الوُفور: مصدر وَفَرَ المال، أي تمّ، ووفوره: زيادته، والموفور: التام.

(٥) مقنوط: ميؤوس، من القنوط وهو اليأس.

(٦) مستنكف: الاستنكاف: الاستكبار.

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ[1]، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ[2]، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[3]، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ[4]، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ[5]؛ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ[6]، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ[7]، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ[8].

٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام*

عِنْدَ عَزْمِهِ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[9]، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ[10]، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ[11]

(*) رواه ابن أعثم في (الفتوح) ج ٢ ص ٤٦١، والقاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج ١ ص ٣٤٧.

(١) مُنِيَ لها الفناء: الفعل للمجهول، أي قُدِّر لها.

(٢) الجلاء: الخروج من الأوطان.

(٣) تمثيل لها بما يألفه الذوق ويروق النظر، مأخوذ من قول رسول الله ﷺ: «إنّ الدنيا حلوة خَضِرة، وإنّ الله مستخلِفُكم فيها فناظر كيف تعملون».

(٤) عجلت للطالب: أسرعت إليه.

(٥) التبست بقلب الناظر: اختلطت به محبة وعلقة.

(٦) أحسن ما بحضرتكم: أي أفضل الأشياء الحاضرة عندكم، وذلك فاضل الأخلاق وصالح الأعمال.

(٧) الكفاف من الرزق: قَدْر القُوت، وهو ما كفّ عن الناس، أي أغنى.

(٨) البلاغ: ما يُتَبَلَّغُ به، أي يقتات به.

(٩) وَعْثاء السفر: مشقّته، وأصل الوَعث المكان السّهل الكثير الدّهس تغيبُ فيه الأقدام، ويشقّ على مَنْ يمشي فيه.

(١٠) الكآبة: الحزن. والمنقلب: مصدر بمعنى الرجوع.

(١١) سوء المنظر: قُبح المرأى.

فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ. ٱللَّهُمَّ أَنْتَ ٱلصَّاحِبُ فِي ٱلسَّفَرِ، وَأَنْتَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ٱلْأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ[1]، لِأَنَّ ٱلْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَٱلْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً[2].

قَالَ ٱلرَّضِيُّ رحمه الله: وَٱبْتِدَاءُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ مَرْوِيٌّ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ قَفَّاهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِأَبْلَغِ كَلَامٍ، وَتَمَّمَهُ بِأَحْسَنِ تَمَامٍ، مِنْ قَوْلِهِ: «وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ» إِلَى آخِرِ ٱلْفَصْلِ.

٤٧ - ومن كلام له عليه السلام*

فِي ذِكْرِ ٱلْكُوفَةِ

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلْأَدِيمِ ٱلْعُكَاظِيِّ[3] تُعْرَكِينَ بِٱلنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ

(*) ذكره ابن الفقيه في كتاب (البلدان) ص ١٦٣، والزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ١.

(١) أول الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الكتب الصحيحة وأتمه أمير المؤمنين بقوله: «ولا يجمعهما غيرك ...». وذات الله تستوي عندها الأمكنة كما تستوي الأزمنة، فالحضر والسفر عندها سواء، وليس هذا الشأن لغير الذات الأقدس.

(٢) هذا الدعاء ذكره نصر بن مزاحم في كتاب «صفين»، وذكره غيره أيضاً من رواة السيرة، دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب من منزله بالكوفة متوجّهاً إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه، وذلك بعد حرب الجمل، حيث اختلف عليه معاوية بن أبي سفيان ولم يدخل في بيعته وقام للمطالبة بدم عثمان، واستهوى أهل الشام، واستنصرهم لرأيه، فعززوه على الخلاف، وسار إليه أمير المؤمنين. والتقيا بصفين، واقتتلا مدة غير قصيرة، وانتهى القتال بتحكيم الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري.

(٣) عُكاظ: اسم سوق للعرب بناحية مكة في صحراء بين نخلة والطائف، كانوا يجتمعون بها←

بِالزَّلَازِلِ[1]، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِشَاغِلٍ أَوْ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

٤٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

عِنْدَ ٱلْمَسِيرِ إِلَى ٱلشَّامِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ[2]، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ[3]، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَفْقُودِ ٱلْإِنْعَامِ، وَلَا مُكَافَإِ ٱلْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي[4]، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا ٱلْمِلْطَاطِ[5] حَتَّى يَأْتِيَهُمْ

(*) رواه ابن مزاحم المنقري في كتابه ص ١٣١، وص ١٣٢.

← في كل سنة من بداية شهر ذي القعدة ليتعاكظوا ـ أي يتفاخروا ـ كل بما لديه من فضيلة وأدب، يقيمون شهراً يتبايعون ويتناشدون شعراً، قال أبو ذؤيب:

إذا بُنِيَ القِبابُ على عُكَاظٍ ... وقامَ البَيْعُ واجتمعَ الأُلوفُ

فلما جاء الإسلام هدم ذلك، وأكثر ما كان يُباع الأديم بها، فنسب إليها، والأديم: الجلد المدبوغ، وجمع الأديم أَدَم، وقد يجمع على آدِمة كما قالوا: رغيف وأرغفة، و«تُمَدّين مدَّ الأديم» استعارة لما ينالها من العَسْف والخبط.

(١) «تُعَرَّكين» من عَرَكَتِ القومَ الحرب إذا مارستهم حتى أتعبتهم، والنوازل: الشدائد. والزلازل ها هنا: الأمور المزعجة، والخطوب المحرّكة.

(٢) وقب: دخل. وغسق: أي أظلم، واشتدت ظلمته.

(٣) خفق النجم: غاب. ولاح: ظهر.

(٤) أراد بمقدمته: صدر جيشه وأوله، ومقدمة الإنسان ـ بفتح الدال ـ: صدره.

(٥) قول الرضي: «الملطاط: السمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطىء الفرات، ويقال ذلك لشاطئ البحر» لا معنى له؛ لأنّه لا فرق بين شاطئ الفرات وشاطىء البحر، وكلاهما أمر واحد. والملطاط: حافة الوادي وشفيره وساحل البحر. [ورَدّ الشيخ محمد عبده هذا الرأي فقال:] قول ←

أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ ٱلنُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ[1] مِنْكُمْ، مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ[2]، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْقُوَّةِ لَكُمْ[3].

قَالَ ٱلرَّضِيُّ ﷺ: يَعْنِي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِٱلْمِلْطَاطِ هَاهُنَا ٱلسَّمْتَ ٱلَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ؛ وَهُوَ شَاطِئُ ٱلْفُرَاتِ. وَيُقَالُ ذٰلِكَ أَيْضاً لِشَاطِئِ ٱلْبَحْرِ. وَأَصْلُهُ مَا ٱسْتَوَى مِنَ ٱلْأَرْضِ؛ وَيَعْنِي بِـٱلنُّطْفَةِ مَاءَ ٱلْفُرَاتِ. وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ ٱلْعِبَارَاتِ وَعَجِيبِهَا.

٤٩ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

فِي صِفَاتِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَٱلْعِلْمِ ٱلإِلٰهِيِّ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ ٱلْأُمُورِ[4]، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ ٱلظُّهُورِ[5]، وَٱمْتَنَعَ

(*) رواه ابن شاكر الواسطي في كتابه (عيون الحكم والمواعظ).

← الشريف يعني بالملطاط السمت تبيين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه لا تفسير اللفظ في نفسه، وقوله: «وهو شاطىء الفرات» بيان للسمت أي الطريق، وقوله: «ويقال ذلك ـ أي لفظ الملطاط ـ» تفسير للفظ الملطاط في استعمال اللغويين، فاندفع بهذا ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى.

(١) الشرذمة: نفر قليلون.

(٢) الأكناف: الجوانب، موطنين أكناف دجلة: أي قد جعلوها وَطَناً. يقال: أوطنت البقعة.

(٣) الأمداد: جمع مَدَد وهو ما يُمَدُّ به الجيش لتقويته. وهذه الخطبة نطق بها أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين.

(٤) بطن الخفيات: علمها، يقال: بطنتُ سِرّ فلان، أي أخفيته.

(٥) الأعلام: جمع عَلَم ـ بالتحريك ـ وهو المنار يهتدى به ثم جُعل في كل ما دلّ على شيء،←

عَلَى عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ[1]؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ[2]، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ[3].

سَبَقَ فِي ٱلْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي ٱلدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ[4]. فَلَا ٱسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي ٱلْمَكَانِ بِهِ[5].

لَمْ يُطْلِعِ ٱلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ ٱلَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ ٱلْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي ٱلْجُحُودِ[6]. تَعَالَى ٱللّٰهُ عَمَّا يَقُولُهُ ٱلْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَٱلْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً!

← وأعلام الظهور: الأدلة الظاهرة التي بظهورها يظهر غيرها.

(١) «امتنع على عين البصير» يقول: إنه سبحانه ليس بمرئي بالعين، ومع ذلك فلا يمكنُ مَنْ لم يَرَهُ بعينه أن ينكره؛ لدلالة كل شيء عليه، بل لدلالته سبحانه على نفسه.

(٢) «فلا عين من لم يره تنكره» أي من لم يره لا ينكره اعتماداً على عدم رؤيته؛ لظهور الأدلة عليه.

(٣) «ولا قلب من أثبته يبصره» من أثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته، أي لا سبيل لمن أثبت وجوده أن يحيط علماً بجميع أحواله ومعلوماته ومصنوعاته، أو أراد أنه لا تُعلم حقيقة ذاته؛ كما قاله قومٌ من المحققين. وقد روي هذا الكلام على وجه آخر، قالوا في الخطبة: «فلا قلبُ مَن لم يره ينكره، ولا عين من أثبته تبصره»، وهو الأليق.

(٤) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله، وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته وإحاطته وعنايته فلا شيء، إلّا هو منه فأي شيء يبعد عنه.

(٥) «فلا استعلاؤه باعده» ليس علوه يقتضي بعدَه بالمكان عن الأجسام، ولا قربه يقتضي مساواته إياها في الحاجة إلى المكان والجهة، لأن علوَّه وقربه ليسا مكانيين.

(٦) إنّ قلب الجاحد إن أنكره فما إنكاره إلّا افتعال ممّا عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته، وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد، فلا مناص له من الإقرار في الواقع وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله.

٥٠ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في وُقوعِ الْفِتَن

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللّٰهِ، وَيَتَوَلّٰى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً[1]، عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللّٰهِ. فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ[2]، وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ[3] وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي ٱلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ ٱلْحُسْنَى.

(*) رواه البرقي في (المحاسن) في كتاب مصابيح الظلم، والتوحيدي في (البصائر والذخائر) ص ٣٢، وابن واضح في (التاريخ): ج ٢، ص ١٣٦، والكليني في (الكافي) في باب البدع والرأي.

---

(١) يستعين عليها رجال برجال. يقول ﷺ: إنّ المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها، أصلُها اتباع الأهواء، وابتداع الأحكام التي لم تعرف يخالف فيها الكتاب، وتحمل المعصية والهوى على تولّي أقوام قالوا بها، على غير وثيقة من الدّين. ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحقّ بالباطل في النظر.

(٢) المرتاد: الطالب للحقيقة، أي لو كان الحق خالصاً من ممازجة الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخلو من طلبه.

(٣) الضِّغث من الحشيش: القبضة منه، مختلط فيها الرطب باليابس، قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] يريد ﷺ أنه إن أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيهاً له من الباطل يلتبس به، وإن نظر إلى الباطل لاح كأنّ عليه صورة الحق فاشتبه به، فذلك ضغث الحق وهذا ضغث الباطل. ومصادر الأهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن إنّما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل.

٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

لمّا غلَبَ أصحابُ مُعاويةَ أصحابَهُ عليهِ السَّلامُ

علَى شريعةِ[1] الفُراتِ بصِفِّينَ ومَنَعُوهُمْ مِنَ الماءِ

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ ٱلْقِتَالَ[2]، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ[3]، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا ٱلسُّيُوفَ مِنَ ٱلدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ؛ فَٱلْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَٱلْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ[4]. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً[5] مِنَ ٱلْغُوَاةِ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَرَ[6]، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ ٱلْمَنِيَّةِ[7].

(*) رواها ابن مزاحم في كتابه (صِفّين).

(١) الشريعة: مورد الشاربة من النهر.

(٢) استطعموكم القتال، كلمة مجازية، ومعناها: طلبوا القتال منكم؛ كأنه جعل القتال شيئاً يُستطعم، أي يُطلب أكله، كما يقال فلان يستطعمني الحديث أي يستدعيه منّي ويطلبه.

(٣) أي إمّا أن تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة، وإمّا أن ترووا سيوفكم ....

(٤) ونحو هذا القول قول أبي نصر بن نباتة:

والحين الذي رأى الموت في العزّ حياةً، والعيش في الذلّ قتلا

(٥) اللُّمّة بضم اللام وتشديد الميم: الأصحاب في السفر، وبتخفيفها الجماعة القليلة مطلقاً، أو من الثلاثة إلى العشرة. والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية، ومن الثاني على الحقيقة الصريحة، وفي الأول الإشارة إلى أنّهم ليسوا بأهل حرب.

(٦) عَمّس عليهم الخبر: يجوز بالتشديد ويجوز بالتخفيف، والتشديد يعطي الكثرة ويفيدها؛ ومعناه أبهم عليهم الخبر، وجعله مظلماً، ليل عَمّاس، أي مظلم. عَمّس الكتاب والخبر ـ كنَصرَ ـ أخفاه. وعمست عليه: إذا أريته أنّك لا تعرف الأمر وأنت به عارف.

(٧) الأغراض: جمع غَرَض وهو الهدف.

٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْيَا

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ(١) وَآذَنَتْ بِٱنْقِضَاءٍ(٢)، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا(٣) وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(٤)، فَهِيَ تَحْفِزُ بِٱلْفَنَاءِ سُكَّانَهَا(٥)، وَتَحْدُوْ بِٱلْمَوْتِ جِيرَانَهَا(٦)، وَقَدْ أَمَرَّ(٧) فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً(٨). فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ(٩) كَسَمَلَةِ

(*) نقلها الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ج ١ ص ٣٢٩، وأبو نعيم في (الحلية) ج ١ ص ٧٧، والطوسي في (المصباح) ص ٤٦١ ، والمفيد في (الأمالي) ص ٨٧ .

---

(١) تصرّمت: انقطعت وفنيت .

(٢) آذنت بانقضاء: أعلَمت بذلك . [وعد عده: وآذنت بوداع]

(٣) تنكّر معروفها: جُهِل منها ما كان معروفاً وخفيِ وجهها .

(٤) حذّاء: السريعة الذهاب، ورحمٍ حذّاء: مقطوعة غير موصولة، وفي رواية جذّاء بالجيم: أي مقطوعة الدَّر والخير .

(٥) تحفز بالفناء سكانها: تُعجلهم وتسوقهم وتدفعهم. حفزه يحفزه: دفعه من خلفه. أو هو بمعنى تطعنهم من «حفزه بالرمح».

(٦) تحدُرُ بالراء من باب نصر وضرب: أي تحوطهم بالموت، وفي رواية وهي الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك فتكون الفقرة في معنى متابعتها مؤكدة لها.

(٧) أمرّ الشي: صار مُرّاً.

(٨) كدِر الماء بكسر الدال كفرِح، ويجوز كدُر بضمها كظرُف. والمصدر من الأوّل كَدَراً، ومن الثاني كُدُورة، والمعنى: تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يساغ هو معه.

(٩) السَّمَلة ـ بفتح الميم ـ: البقية من الماء تبقى في الإناء.

ٱلإِدَاوَةِ(١)، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ ٱلْمَقْلَةِ(٢)، لَوْ تَمَزَّزَهَا ٱلصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ.(٣) فَـأَزْمِعُوا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ ٱلدَّارِ(٤) ٱلْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا ٱلزَّوَالُ(٥)، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا ٱلأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا ٱلأَمَدُ. فَوَٱللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ ٱلْـوُلَّهِ ٱلْـعِجَالِ(٦)، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ(٧)، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي ٱلرُّهْبَانِ(٨)، وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مِنَ ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلَادِ، ٱلْتِمَاسَ ٱلْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُـفْرَانِ سَـيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ(٩) لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِـهِ، وَأَخَـافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وَبِٱللَّهِ لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمْ ٱنْمِيَاثاً(١٠)، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ ـمِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ

---

(١) الإداوة: المطهرة، إناء الماء الذي يتطهر به.

(٢) المَقْلة ـ بالفتح ـ: حصاة القَسْم يضعها المسافرون في إناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد أحدهم عن الآخر في نصيبه، وذلك عند قلّة الماء في المفاوز.

(٣) التمزز: تمصص الشراب قليلاً قليلاً، والصَّدْيان: العطشان. وقوله لم ينقع: أي لم يرو.

(٤) فأزمعوا الرحيل: أي عزموا عليه، يقال أزمع الأمر ولا يقال أزمع عليه، وجوّزه الفرّاء بمعنى عزم عليه وأجمع. والمراد من العزم على الرحيل: مراعاته والعمل له.

(٥) *المقدور: المكتوب*.

(٦) الوُلّه العجال: النُّوق الوالهة الفاقدة أولادها، الواحدة عَجُول، وكل أنثى فقدت ولدها فهي واله ووالهة، والوَلَه: ذهاب العقل وفقد التمييز.

(٧) هديل الحمام: صوت نوحه في بكائه لفقد إلفه.

(٨) الجؤار: صوت مرتفع، جأرتم: رفعتم أصواتكم، أثبت عنده في المتن: متبتّل الر[illegible]نا والمتبتل: المنقطع عن الدنيا للعبادة، أي تضرعتم إلى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل.

(٩) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد.

(١٠) انماث القلب، أي ذاب، وانماثت: ذابت.

مِنْهُ ـ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱلدُّنْيَا، مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ[1]، مَا جَزَتْ[2] أَعْمَالُكُمْ ـ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ[3] ـ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُم ٱلْعِظَامَ، وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ[4].

٥٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ذِكْرِ يَوْمِ النَّحْرِ وَصِفَةِ الأُضْحِيَةِ[5]

وَمِنْ تَمَامِ ٱلأُضْحِيَةِ ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا[6]، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ ٱلأُذُنُ

(*) هذه الخطبة تتبع الخطبة السابقة في نسخة ابن أبي الحديد.

(١) ما الدنيا باقية: أي مدة بقائها.

(٢) قوله «ما جزت» جواب «لو انماثت»، وقوله: «أنعمه عليكم العظام» مفعول «جزت»، أي ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم.

(٣) قوله: «ولو لم تبقوا شيئاً...» اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب.

(٤) قوله: «وهداه إياكم» عطف على «أنعمه» عطف الخاص على العام، فإنّ الهداية إلى الإيمان من أكبر النعم.

(٥) الأضحية: ما يذبح يوم النحر أي الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى، وما يجري مجراه أيام التشريق من النَّعم.

(٦) استشراف أُذنها: انتصابها وارتفاعها، أذن شَرْفاء أي منتصبة، والمعنى: تَفَقُّدُها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة، وفي الحديث «أمرنا أن نستشرف العين والأذن» أي نتفقدها وذلك من كمال الأضحية [كما في نسخة عبده] أي من كمال عملها وتأدية سنتها، وتكون «سلامة عينها» عطفاً على «أذنها». وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها. فـ «سلامة عينها» عطف على «استشراف» والتفسير الأول أمس بقوله: فإذا سلمت الأذن.

وَٱلْعَيْنُ سَلِمَتِ ٱلْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ ٱلْقَرْنِ[1] تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى ٱلْمَنْسَكِ[2].

قَالَ ٱلرَّضِيُّ ﷺ : وَٱلْمَنْسَكُ هُنَا: ٱلْمَذْبَحُ.

٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

عِنْدَ تَزَاحُمِ ٱلنَّاسِ لِبَيْعَتِهِ

فَتَدَاكُّوا[3] عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا[4]، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا[5]؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي ٱلنَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ[6] أَوِ ٱلْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ ٱلْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ

(*) ذكرها ابن الأثير في (النهاية) مادة دكك ج ٢ ص ١٢٨. راجع مصادر الخطبة (٢٦).

---

(١) العضباء: المكسورة القرن.

(٢) «تجرّ رجلها إلى المَنْسَك» كناية عن العَرجاء، ويجوز المنسَك بفتح السين وكسرها. والمنسك: المذبح. وفي صفات الأضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات من كتب الفقه.

(٣) تداكّوا: تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه.

(٤) الهيم: العطاش. ويوم وِردها: يوم شربها.

(٥) المثاني: الحِبال، جمع مَثناة ومِثناة بالفتح والكسر، وهو الحبل من صوف أو شعر يعقل به البعير.

(٦) جهاد البغاة واجب على الإمام، إذا وجد أنصاراً، فإذا أخلّ بذلك أخلّ بواجب، واستحق العقاب، وكان منابذاً لأمر الله في ترك ما أوجبه عليه فكأنّه جاحد لما جاء به رسول الله ﷺ.

مِنْ مُعَالَجَةِ ٱلْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ ٱلْآخِرَةِ.

٥٥ - ومن كلام له عليه السلام (*)

وَقَدِ ٱسْتَبْطَأَ أَصْحَابُهُ إِذْنَهُ لَهُمْ فِي ٱلْقِتَالِ بِصِفِّينَ

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ ٱلْمَوْتِ؟ فَوَٱللَّهِ مَا أُبَالِي، دَخَلْتُ إِلَى ٱلْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ ٱلْمَوْتُ إِلَيَّ(١). وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ ٱلشَّامِ! فَوَٱللَّهِ مَا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي(٢)، وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا(٣).

(*) رواه ابن مزاحم في كتاب (صفين) ص ٢٠٩، والطبري في (التاريخ) ج ٤ ص ١٢.

---

(١) رُوي أنّ أمير المؤمنين، بعدما ملك الماء على أصحاب معاوية، ساهمهم فيه رجاء أن يعطفوا إليه، ولزوماً للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام. واختلفوا في سبب التريث فقال بعضهم: «كراهة الموت» وقال بعضهم: «الشك في جواز قتال أهل الشام» فأجابهم: أمّا الموت لم يكن ليبالي به، وأمّا الشك فلا موضع له وإنّما يرجو بدفع الحرب أن يتجاوزوا إليه بلا قتال فإنّ ذلك أحب إليه من القتال على الضلال وإن كان الإثم عليهم.

(٢) تعشو إلى ضوئه: تستدلّ عليه وإن كان ببصر ضعيف في ظلام الفتن فتهتدي إليه، عشا إلى النار: أبصرها ليلاً ببصر ضعيف فقصدها.

(٣) شبه مَن عساه يلحق به من أهل الشام بمن يعشو ليلاً إلى النار؛ وذلك لأن بصائرهم ضعيفة، لهم من الاهتداء بهداه ﷺ كمن يعشو ببصرٍ ضعيف إلى النار في الليل، قال: ذاك أحبّ إليّ من أن أقتلهم على ضلالهم، وإن كنت لو قتلتهم على هذه الحالة لباؤوا بآثامهم، أي رجعوا. قال سبحانه: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ» (المائدة: ٢٩)؛ أي ترجع. وتبوء بآثامها: ترجع بها.

٥٦ ـ ومن كلام له عليه السلام *

يَوْمَ صِفِّينَ حِينَ أَمَرَ النَّاسَ بِالصُّلْحِ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا. مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ[١]، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ[٢]، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ[٣]، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا[٤]؛ أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا. فَلَمَّا رَأَى اللّٰهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ[٥]، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ[٦]، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ[٧]. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ

(*) رواه الزمخشري في (ربيع الأبرار) باب القتل والشهادة، وابن مزاحم في كتاب (صِفّين) ص ٥٢٠.

(١) لَقَمُ الطريق: الجادّة الواضحة منها أو معظم الطريق.

(٢) مضَضُ الألم: لذعته وبرحاؤه.

(٣) التصاول: أن يحمل كل واحد من القرنين على صاحبه.

(٤) التخالس: التسالبُ والانتهاب، يتخالسان: كل يطلب اختلاس روح الآخر.

(٥) الكبت: الإذلال والخذلان.

(٦) جران البعير: مقدَّم عنقه من مذبحه إلى منحره، وإلقاء الجران كناية عن التمكّن.

(٧) تبوأت المنزل: نزلته.

عُودٌ(١). وَٱيْمُ ٱللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً(٢)، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً(٣)!

٥٧ـ ومن كلام له عليه السلام *

يُخْبِرُ بِهِ عَمَّنْ يَأْمُرُ بِسَبِّهِ

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ(٤) عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ ٱلْبُلْعُومِ(٥)، مُنْدَحِقُ ٱلْبَطْنِ(٦)، يَأْكُلُ

(*) رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة علي عليه السلام والحاكم في (المستدرك) ج ٢ ص ٣٨٥، والطوسي في (الأمالي) ص ٢١٤ و ٣٤٧، وغيرهم.

---

(١) وهذه ألفاظ مجازية من باب الإستعارة؛ وهي: «استقرَّ الاسلامُ مُلقياً جِرانه» أي ثابتاً متمكناً، كالبعير يلقي بجرانه على الارض. و «متبوئاً أوطانه» جعله كالجسم المستقرّ في وطنه ومكانه. و«ما قام للدين عمود» جعله كالبيت القائم على العُمُد. «ولا اخضرّ للإيمان عود» جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان.

(٢) لتحتلبُنّها دماً، يقال لمن أسرف في الأمر: لتحتلِبنّ دماً، وأصله الناقة يُفرَط في حَلْبها فيحلب الحالب الدم، والاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن. والضمير المنصوب يعود إلى أعمالهم المفهومة من قوله: «ما أتيتم». واحتلاب الدم: تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عندما تعميهم دائرة السوء أو تحلّ قريباً من دارهم.

(٣) وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمي حيث قدم البَصْرة من قِبَل معاوية، واستنهض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة؛ فتقاعدوا.

(٤) سيظهر: سيغلب.

(٥) رحب البلعوم: واسعه، يذهب الكثير إلى أنه عليه السلام عنى زياداً، والكثير الآخر يقول إنه عنى الحجّاج، وقال قوم: إنه عنى المغيرة بن شعبة، والأشبه عندي أنّه عَنَى معاوية؛ لأنّه كان موصوفاً بالنَّهَم وكثرة الأكل وكان بطيناً، يقعُد بطنُه إذا جلس على فَخِذَيه.

(٦) مُنْدَحِق البطن: عظيم البطن بارزه كأنّه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه. وأصل اندحق بمعنى اندلق في الرحم خاصة. والدَّحوق من النوق: التي يخرج رحِمها عند الولادة.

مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ[1]! أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ[2].

٥٨ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

كَلَّمَ بِهِ الْخَوَارِجَ[3]

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[4]، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ[5]. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللّٰهِ، وَجِهَادِي مَعَ

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٢٤، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٠٠.

---

(١) لا تنافي بين الأمر بالشيء والإخبار عن أنه لا يقع، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً...﴾ [الجمعة: ٦ و ٧].

(٢) قد تسب شخصاً وأنت مُكْرَه ولحبه مستبطن فتنجو من شرّ من أكرهك. وما أكرهك على سبّه إلاّ مستعظم لأمره يريد أن يحطّ منه وذلك زكاة للمسبوب. وأمّا البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه.

(٣) زعم الخوارج خطأ الإمام في التحكيم، وغلوا فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بأنه كان كفر ثم آمن، فخاطبهم بما منه هذا الكلام.

(٤) الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء؛ وهو صغار الحصى؛ ويقال لها أيضاً حَصِبَة. والجملة دعاء عليهم بالهلاك.

(٥) آبر: يمكن أن يزاد في التفسيرات التي ذكرها الرضي لقوله ﷺ «آبر» فيقال: يجوز أن يريد: نمّام يفسد ذات البين؛ والمئبر: النميمة، وأبر فلان، أي نمّ. والآبر أيضاً: مَنْ يبغي القوم الغوائل خفية، مأخوذ من أبّرت الكلب إذا أطعمته الإبرة في الخبز. وعلى رواية «آثر» يمكن أن يُريد به ساجي باطن خُفّ البعير حيث كانوا يَسْجُون باطن الخفّ بحديدة ليقتصّ أثره؛ رجلٌ آثر وبعير مأثور.

رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِٱلْكُفْرِ! ﴿لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ[1]، وَٱرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ[2]. أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا ٱلظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً[3].

قَالَ ٱلرَّضِيُّ ﷺ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ» يُرْوَى عَلَى ثلاثةِ أوجهٍ: أحدُها: أن يكونَ كما ذَكَرْناهُ: «آبِر» بالرَّاءِ، من قولهِمْ: رَجُلٌ آبِرٌ، للذي يَأْبُرُ النَّخْلَ - أي يُصْلِحُهُ - وَيُرْوَى: «آثِرٌ» بالثَّاءِ، بثلاث نقط، يُرَاد به الذي يَأْثِرُ الحديثَ، أي يرويه ويحكيه، وهو أصحُّ الوُجُوه عندي، كأنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَام قال: لا بَقِيَ منكم مُخْبِرٌ. وَيُرْوَى: «آبِزٌ» بالزَّاي المعجمةِ، وهو الوَاثِبُ، والهَالِكُ أيضاً يُقَالُ له: آبِزٌ.

٥٩ - وقال عليه السلام

لمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ ٱلْخَوَارِجِ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ٱلْقَوْمَ قَدْ عَبَرُوا جِسْرَ ٱلنَّهْرَوَانِ

مَصَارِعُهُمْ دُونَ ٱلنُّطْفَةِ، وَٱللّٰهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ[4]، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ

---

(١) قوله ﷺ: «فأوبوا شرّ مآب» أي ارجعوا شرّ مرجع ولتقلبوا شرّ منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدّوا على أعقابكم بفساد هواكم فلن يضرني ذلك شيئاً وأنا على بصيرة في أمري

(٢) الأعقاب: جمع عَقِب بكسر القاف؛ وهو مؤخر القدم، وهذا كله دعاء عليهم.

(٣) أنذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب، والأثرة والاستبداد فيهم والاختصاص بفوائد الملك دونهم، وحرمانهم من كل حق لهم. والأثرة ههنا، الاستبداد عليهم بالفيء والغنائم واطّراح جانبهم.

(٤) هذا الخبرُ من الأخبار التي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهاره ونَقْل الناس كافة له؛ وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب. إذ ما نجا منهم إلّا تسعة تفرّقوا في البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلّا ثمانية.

قَالَ ٱلرَّضِيُّ رحمه الله: يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ ٱلنَّهَرِ، وَهِيَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ ٱلْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيراً جَمّاً، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى ذَٰلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ مُضِيِّ مَا أَشْبَهَهُ.

٦٠ـ وقال عليه السلام (*)

لَمَّا قُتِلَ ٱلْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، هَلَكَ ٱلْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ

كَلَّا وَٱللهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ[1]، وَكُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ[2] حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ.

٦١ـ وقال عليه السلام

فِي ٱلْخَوَارِجِ

لَا تُقَاتِلُوا ٱلْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ ٱلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ ٱلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ)[3].

(*) رواه المبرد في (الكامل) ج ٢ ص ١٢٠، والبيهقي في (المحاسن والمساوئ) ص ٣٨٠، في باب محاسن الصدق، والمسعودي في (مروجه) ج ٢ ص ٤١٦.

---

(١) قرارات النساء: كناية لطيفة عن الأرحام.

(٢) نَجَم: ظَهَرَ وطلع، أي كلما ظهر وطلع منهم رئيس قتل، حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين، لا يقومون بملك، ولا ينتصرون إلى مذهب، ولا يدعون إلى عقيدة شأن الأشرار الصعاليك الجهلة.

(٣) مرادهُ أن الخوارج ضلّوا بشبهة دخلت عليهم، وكانوا يطلبون الحقّ، ولهم في الجملة ←

٦٢ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

لمّا خُوِّف مِنَ الْغِيلَةِ(١)

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللّٰهِ جُنَّةً حَصِينَةً(٢)، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي؛ فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ(٣)، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ(٤).

٦٣ـ ومن كلام له عليه السلام (**)

يُحَذِّرُ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا

أَلَا إِنَّ الدُّنْـيَا دَارٌ لَا يُسْـلَمُ مِـنْهَا إِلَّا فِـيهَا(٥)، وَلَا يُنْجَى بِشَـيْءٍ كَـانَ

(*) رواه الزمخشري في (ربيع الأبرار)، وروى أوله ابن كثير في (البداية والنهاية): ج ٨ ص ١٢.

(**) ذكره الآمدي في (غرر الحكم) تحت حرف إنّ.

← تمسُّك بالدين، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها، وإن أخطأوا فيها؛ وأما معاوية فلم يكن يطلبُ الحق، وإنّما كان ذا باطل، لا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة. فهم اعتقدوا الخروج عن طاعة الإمام مما يوجبه الدين عليهم. فقد طلبوا حقاً وتقريره شرعاً فأخطأوا الصواب فيه، لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الإمرة بغير حق، وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلاً فأدركوها وليسوا من أهلها. فالخوارج على ما بهم أحسن حالاً منهم.

(١) الغيلة: القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل.

(٢) الجُنّة الدُرع: وما يُجنّ به، أي يُستتر من تُرس وغيره كالسلطا والحصن. ويعني بها ههنا الأجل.

(٣) طاش السهم، إذا صَدَف عن الغرض، أي: جاوزه ولم يصبه.

(٤) الكَلْم: الجرح.

(٥) تقدير الكلام: أنّ الدنيا دارٌ لا يُسلَم من عقاب ذنوبها إلّا فيها لأنّ العقاب المستحق إنّما ←

لَهَا[1]. ٱبْتُلِيَ ٱلنَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ[2]، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ، وَأَقَامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ ٱلظِّلِّ[3]، بَيْنَا[4] تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ[5]، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

٦٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي ٱلْإِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ

فَاتَّقُوا ٱللَّهَ عِبَادَ ٱللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[6]، وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا

(*) ذكرها ابن الجوزي في (تذكرته) ص ١٤٥، ونثر الآمدي في (الغرر والدرر).

← يَسْقُط بأحد أمرين: إمّا بثواب على طاعات أو بتوبة كاملة الشروط، وكلاهما لا يكون إلّا في دار التكاليف وهي دار الدنيا. فمن أراد السلامة من محنتها فليهيء وسائل النجاة وهو فيها إذ بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم.

(١) ليست طُرق النجاة إلّا بأعمال البرّ التي يقصد فيها وجه الله تعالى لا غير أمّا ما يفعله لأغراضه الدنيوية فليس طريقاً للنجاة.

(٢) ما أخذوه منها لها كالمال يذخر للذة ويقتنى لقضاء الشهوة، وما أخذوه لغيرها كالمال ينفق في سبيل الخيرات يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم.

(٣) إضافة الفيء إلى الظل من إضافة الشيء إلى نفسه مثل: كرى النوم، ويمكن أن يقال: من إضافة الخاص للعام والظل أعم من الفيء، لأنّ الفيء لا يكون إلّا بعد الزوال.

(٤) «بينا» أصلها «بين» فأُشبعت الفتحة، فصارت «بينا» على وزن فَعْلَى.

(٥) سابغاً: ممتداً ساتراً للأرض، وقلص: انقبض، و«حتى» هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، أي أن غاية سبوغه الانقباض وغاية زيادته النقص.

(٦) البدار: العجلة، «بادروا آجالكم بأعمالكم» أي سابقوها وعاجلوها بها، أي استكملوا ←

يَزُولُ عَنْكُمْ(١)، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ(٢)، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ(٣)، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبَهُوا(٤)، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا(٥)؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً(٦)، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً(٧)، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ ٱلْجَنَّةِ

← أعمالكم قبل حلول آجالكم.

(١) ابتاعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية الزائلة أي: اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية.

(٢) «فقد جُدَّ بكم» أي حثثتم على الرحيل وأزعجتم؛ يقال: جدُّ الرحيل، وقد جُدَّ بفلان، إذا أُزعج وحُثَّ على الرحيل، أو فقد أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون. الترحل: الانتقال، والمراد منه هنا لازمه وهو إعداد الزاد الذي لابدّ منه للراحل، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلّا زاد التقوى.

(٣) استعدوا للموت: يمكن أن يكون بمعنى «أعدُّوا» كأنّه قال: أعدُّوا للموت عُدّة، ويمكن أن يكون بمعنى الطَّلَب؛ كما تقول: استطعم، أي طلب الطعام، كأنّه قال: اطلبوا للموت عُدّة، ولا عدة له إلّا الأعمال الصالحة. وقوله: «فقد أظلّكم»: أي قرب منكم حتى كأنّ له ظلاً قد ألقاه عليكم. وهذا من باب الاستعارة.

(٤) أي كونوا قوماً حذرين إذا استنامتهم الغفلة وقتاً ما ثم صاح بهم صائح الموعظة انتبهوا من نومهم وهبّوا لطلب نجاتهم.

(٥) قوله: «وعلموا» إلى آخره أي عرفوا الدنيا أنها ليست بدار بقاء وقرار فاستبدلوها بدار الآخرة وهي الدار التي ينتقل إليها.

(٦) العَبَث: اللعب، أو ما لاغرض فيه، تعالى الله أن يفعل شيئاً عبثاً. وقد خلق الإنسان، وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل لذة دنيوية، ولا تقف رغائبها عند حدّ منها، مهما علت رتبته، فكأنها مفطورة، على استصغار كل ما تلاقيه في هذه الحياة، وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها، فهذا الباعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً، بل هو الدليل الوجداني المرشد إلى ما وراء هذه الحياة.

(٧) «لم يترككم سُدىً» أي مُهمَلين بلا راعٍ يزجركم عمّا يضركم ويسوقكم إلى ما ينفعكم، ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم.

أَوِ ٱلنَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ(١). وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا ٱللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُهَا ٱلسَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ ٱلْمُدَّةِ(٢). وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ ٱلْجَدِيدَانِ، ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ ٱلْأَوْبَةِ(٣). وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِٱلْفَوْزِ أَوِ ٱلشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ ٱلْعُدَّةِ(٤). فَتَزَوَّدُوا فِي ٱلدُّنْيَا(٥)، مِنَ ٱلدُّنْيَا، مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً(٦). فَٱتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ(٧)، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَٱلشَّيْطَانُ

---

(١) «أن ينزل به» موضعه رفع لأنّه بدلٌ من الموت، أي ليس بين الواحد منّا وبين الجنة إلّا نزول الموت به، إن كان قد أعدّ لها عدّتها، ولا بينه وبين النار إلّا نزول الموت به، إن كان قد عمل بعمل أهلها، فما بعد هذه الحياة إلّا الحياة الأخرى وهي إمّا شقاء، وإمّا نعيم.

(٢) تلك الغاية هي الأجل، وتنقصها أي تنقص أمد الانتهاء إليها، وكل لحظة تمرّ فهي نقص في الأمد بيننا وبين الأجل والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة.

(٣) يحدوه الجديدان: يسوقه الليل والنهار، والغائب المشار إليه هو الموت، وقيل: الغائب هنا هو الإنسان يسوقه الجديدان إلى داره الحقيقية، وهي الآخرة: والأول أظهر؛ لأنّ الأجل المقسوم لك إن كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان إليك ذلك المنتظر على رأس الألف وما أسرع مرورهما والانتهاء إلى الغاية، وما أسرع أوبة ذلك الغائب الذي يسوقانه إليك: أي رجوعه، والأوبة: الرجعة.

(٤) الموت هو ذلك القادم إمّا بفوز وإمّا بشقوة. وعُدّته: الأعمال الصالحات والملكات الفاضلة.

(٥) «فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا» كلام فصيح؛ لأنّ ما يتمكّن المكلّف من إحراز نفسه في الآخرة: إنّما يكتسبه في الدنيا منها، وهو التقوى والإخلاص والإيمان.

(٦) ما تحرزون به أنفسكم: أي تحفظونها به، وذلك هو تقوى الله في السرّ والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى.

(٧) قوله: «فاتّقى عبد ربّه» وما بعده أوامر بصيغة الماضي، والفاء في «فاتّقى» لبيان ماهيّة الأمر الذي يحرزُ الإنسانُ به نفسه ولتفصيل أقسامه وأنواعه، كما تقول: فعل اليوم فلانٌ أفعالاً جميلة فأعطى فلاناً، وصفح عن فلان، وفعل كذا، ويجوز أن يكون بياناً للتزود المأمور به في قوله «فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم».

مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ ٱلتَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا[1]، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا[2].

- فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً[3]، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى ٱلشِّقْوَةِ! نَسْأَلُ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ[4]، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ.

٦٥ - ومن خطبة له عليه السلام *

في تَنْزِيهِ ٱللَّهِ تَعَالَى

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً[5]، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ

(*) ذكرها الصدوق في (التوحيد) ص ١٩ و ٦٢، والآمدي في (غرر الحكم) ص ٢٣٨.

(١) يسوّفها: أي يؤجّلها ويؤخّرها، ورويت بكسر الواو وفتحها، فعلى الكسر يرجع الضمير إلى نفسه، وعلى الفتح جعله فعلَ ما لم يسمّ فاعله. وتقديره: ويمنّيه الشيطان التوبة. والتسويف: أن يقول في نفسه سوف أفعل؛ وأكثر ما يستعمل للوعد الذي لا نَجَازَ له.

(٢) قوله: «أغفل ما يكون» حال من الضمير في «عليه»، والمنية: الموت، أي لا يزال الشيطان يزين له المعصية، ويمنيه بالتوبة أن تكون في مستقبل العمر، ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه.

(٣) يكون عمره حجة عليه لأنه أوتي فيه المهلة، ومُكّن فيه من العمل، فلم ينشط له.

(٤) لا تُبطِرُه النعمة: لا تُطغيه ولا تُسدل على بصيرته حجاب الغفلة عمّا هو صائر إليه.

(٥) ما لله من وصف فهو لذاته يجب بوجوبها، فكما أنّ ذاته سبحانه لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معاً لا يسبق منها وصف وصفاً، وإن كان مفهوماً قد يشعر بالتعاقب ←

آخِراً(١)، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً(٢)؛ كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ(٣)، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ(٤)، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ(٥)، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ(٦)، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ(٧)، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ

← إذا أضيفت إلى غيره، فهو أول وآخر أزلاً وأبداً، أي هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول، وكل وجود سواه فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو في ظهوره بأدلة وجوده، باطن بكنهه، لا تدركه العقول، ولا تحول عليه الأوهام.

(١) أولاً: أي أنّه لم يزَلْ موجوداً، ولا شيء من الأشياء بموجود أصلاً؛ وآخراً أي أنه باقٍ لايزال، وكل الأشياء تعدم عدماً محضاً. ويمكن أن يُريد ﷺ أنه تعالى لا يجوز أن يكون مورداً للصفات المتعاقبة.

(٢) الظاهر: بمعنى أن الأدلة والبراهين عليه جلية واضحة، والباطن: غير مدرَك بالحواسّ الظاهرة، بل يدرك بالعقل، ويمكن أن يُفسّر الظاهر بالغالب، والباطن بالعالم.

(٣) «كلّ مسمى بالوحدة قليل» فلأنّ الواحد أقل العدد، ومعنى كونه واحداً يُباين ذلك، لأنّ معنى كونه واحداً إما نفي الثاني في الإلهية، أوكونه يستحيل عليها الانقسام، وعلى التفسيرين يُسلب عنها مفهوم القلّة. ويمكن القول أيضاً أنّ من كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه، ساقطاً لقلّة أنصاره. أمّا الوحدة في جانب الله فهي علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال، وتفردها بالعظمة والسلطان وفناء كل ذات سواها إذا اعتبرت منقطعة النسبة إليها، فوصف غير الله بالوحدة تقليل، والكمال في عالمه أن يكون كثيراً، إلّا الله فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه.

(٤) وكلُّ عزيزٍ غيرهُ ذليل: لأنّه في قبضة القضاء والقدر.

(٥) لأنّه تعالى مفيض العلوم، فهو المعلم الأول.

(٦) لأنّه تعالى قادرٌ لذاته، وغيره قادر لأمرٍ خارج عن ذاته.

(٧) الصّمم: فساد حاسة السمع. «وكل سميع غيرَهُ يَصَمُّ...» لأنّه يسمع بآلة جسمانية، وهي ذات قوة متناهية محدودة، والباري تعالى بخلاف ذلك. وكذا قوله «وكل بصير غيره يعمى ...»، فالسامعون من الحيوان والإنسان لقوى سمعهم حدٌ محدود، فما خفيَ من الأصوات لا يصل ←

يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ ٱلْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ ٱلْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ[1]. لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ[2] مُثَاوِرٍ[3]، وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ[4]، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ[5]، وَلٰكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ[6]، لَمْ يَحْلُلْ فِي ٱلْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ[7]. لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ٱبْتَدَأَ[8]، وَلَا تَدْبِيرُ مَا

← إليها فهي صماء عنه. فَيَصَمُّ ـ بفتح الصاد ـ مضارع صَمَّ إذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي يستطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها، فَيُصِمُّ بكسر الصاد: مضارع أَصَمَّ وما بعد من الأصوات عن السامع بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت إليه ذهب عن تلك القوى فلا تناله، كل ذلك في غيره سبحانه، أمّا هو جلّ شأنه فيستوي عنده الخفي والشديد، والقريب والبعيد؛ لأنّ نسبة الأشياء إليه واحدة ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء.

(١) الباطن هنا غيره فيما سبق، أي كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته، أي لا وجود له في نفسه فهو معدوم بحقيقته، وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته، بل هو باطن أبداً.

(٢) النِدّ: النظير والمثل ولا يكون إلّا مخالفاً، وجمعه أنداد مثل حِمْل وأحمال.

(٣) المثاور: المواثب والمحارب.

(٤) الشريك المكاثر: أي المفتخر بالكثرة، هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة، وروي المكابر ـ بالباء الموحدة ـ أي المفاخر بالكبر والعظمة.

(٥) الضد المنافر: أي المحاكم في الرفعة والحسب، يقال نافرته في الحسب فنفرته أي غلبته وأثبتُّ رفعتي عليه.

(٦) مربوبون: أي مملوكون. وداخرون: أذلاء، من دخر، ذلّ وصغر.

(٧) لم ينأ عنها: لم يبعد، أي لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن: أي منفصل.

(٨) «لم يَؤُدهُ خَلْق ما ابتدأه إلى قوله: «ممّا خلق» فلأنّه تعالى قادر لذاته، فهو لا يتعب ولا يعجز؛ لأنّه ليس بجسم؛ ولا قادر بقدرة محدودة. و لم يَؤُده: لم يثقله ولم يتعبه. آده الأمر: أثقله وأتعبه.

ذَرَأَ[1]، وَلاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ. وَلاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ[2]، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ[3]. اَلْمَأْمُولُ مَعَ اَلنِّقَمِ، اَلْمَرْهُوبُ[4] مَعَ اَلنِّعَمِ.

٦٦ ـ ومن كلام له عليه السلام*

يَقُولُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

مَعَاشِرَ اَلْمُسْلِمِينَ اِسْتَشْعِرُوا اَلْخَشْيَةَ[5] وَتَجَلْبَبُوا اَلسَّكِينَةَ[6]، وَعَضُّوا عَلَى اَلنَّوَاجِذِ[7]،

(*) ذكره البيهقي في (المحاسن) ص ٤٥ وابن عساكر في (تاريخ دمشق) وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ١: ١١٠.

(١) ذرأ: خلق.

(٢) ولجت عليه: دخلت، وقوله: «ولا ولَجتْ عليه شُبهة» إلى قوله: «وأمر مُبْرَم» للدلالة تعالى عالم لذاته؛ ويستحيل دخول الشبهة عليه.

(٣) مبرم: محتوم، وأصله من أبرم الحبل: جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه.

(٤) المرهوب: المخوف.

(٥) «استشعروا الخشية» أي اجعلوا الخوفَ من الله تعالى من شعاركم؛ والشِّعار من الثياب: ما يكون دون الدِّثار، وهو ما يلي الجلد، والمراد: أمرهم بملازمة الخشية والتقوى، كملازمة الشعار للجلد.

(٦) «وتجلببوا السكينة» أي اجعلوا السكينة والحلم والوقار جلباباً لكم، وتجلبب: لبس الجلباب. والجلباب: الثوب المشتمل على البدن وما تغطي به المرأة ثيابها من فوق، ولكون الخشية، أي الخوف من الله، غاشية قلبية عبر في جانبها بالاستشعار، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة، لأنّها عارضة تظهر في البدن كما لا يخفى.

(٧) «وعضّوا على النواجذ»: جمع ناجذ، وهو أقصى الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في كل شق والنواجذ بعد الأرحاء، ويسمى الناجذ ضرس الحِلْم وضرس العقل؛ لأنّه ينبت بعد البلوغ ←

فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ(١). وَأَكْمِلُوا ٱللَّأْمَةَ(٢). وَقَلْقِلُوا ٱلسُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا(٣). وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْرَ(٤)، وَٱطْعُنُوا ٱلشَّزْرَ(٥)، وَنَافِحُوا بِٱلظُّبَا(٦) وَصِلُوا ٱلسُّيُوفَ بِٱلْخُطَا(٧). وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللَّهِ(٨). وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ

← وكمال العقل، ويقال: إنّ العاضّ على نواجذه ينبُو السيف عن هامته نبواً ما، وهذا مما يساعد التعليل الطبيعي عليه، وذلك أنّه إذا عضّ على نواجذه تصلّبت الأعصاب والعَضَلات المتصلة بدماغه، وزال عنها الاسترخاء، فكانت على مقاومة السيف أقدر، وكان تأثيرُ السيف فيها أقلّ.

(١) الضمير راجع إلى المصدر الذي دلّ الفعل عليه، تقديره: فإنّ العضّ أنبى، وأنبى «أفعل»، من نبا السيف، إذا لم يقطع. والهام: جمع هامة وهي الرأس.

(٢) اللامة: الدرع. وإكمالها: استيفاؤها بأن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها. وقد يراد من اللامة آلات الحرب والدفاع.

(٣) «قلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلّها» يوم الحرب: لئلا يدومَ مكثها في الأجفان فتلحج فيها فيستصعب سلّها وقت الحاجة إليها.

(٤) «والحَظوا الخَزْر» الخزْر أن ينظر الإنسان بعينه، وكأنه ينظر بمؤخرها ومن أحد الشقين وهي أمارة الغضب، والذي أعرفه «الخَزَر» بالتحريك [كما أثبته عبده في المتن] وإن كان قد جاء مسكّناً فتسكينه جائز للسجعة الثانية، «واطعنوا الشَّزْر».

(٥) «واطعنوا» مضمومة، يقال: طعنت بالرمح أطعُن، بالضم، وطعنت في نسبه أطعَن، بالفتح، أي قدحت وقد يفتح فيهما. والطعن شزْراً، هو الطّعن عن اليمين والشمال.

(٦) نافحوا: أي ضاربوا وكافحوا، نَفْحة بالسيف، أي ضربة، ونفحت الناقة برجلها أي ضربت. والظُّبا: جمع ظُبَة، هي طَرَف السيف وحدّه.

(٧) «وصِلوا السيوفَ بالخُطا» مثل قول الشاعر:

إذا قَصُرَتْ أسيافُنا كان وصْلُها خُطانا إلى أعدائنا فَنُضارِبِ

وقال آخر:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا يوماً ونلحقها إذا لم تَلْحَقِ

إذا قصرت سُيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم، أو تكون صِلوا: من الوصل، أي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم، جمع خطوة.

(٨) «واعلموا أنكم بعين الله» أي ملحوظون بها، فهو يراكم ويعلم أعمالكم.

عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ[1]، وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ[2]؛ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي ٱلْأَعْقَابِ[3]، وَنَارٌ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ. وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً[4]، وَٱمْشُوا إِلَى ٱلْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[5]، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا ٱلسَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ[6]، وَٱلرِّوَاقِ ٱلْمُطَنَّبِ[7]، فَٱضْرِبُوا ثَبَجَهُ[8]، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[9]، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً. فَصَمْداً صَمْداً[10]! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ ٱلْحَقِّ[11]؛ ﴿وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ، وَٱللّٰهُ مَعَكُمْ وَلَنْ

---

(١) «فعاودوا الكر» أي لاتقتصروا على كرة، بل كرّوا كرةً أخرى بعدها.

(٢) الفرّ: الفرار.

(٣) «الأعقاب» أي في الأولاد، لأنّهم يعيّروا بفرار الآباء، أو يريد بها جمع عَقِب؛ وهو العاقبة وما يؤول إليه الأمر، فيكون المعنى أنّ الفرار عارٌ في عاقبة أمركم، وما يتحدث به الناس في مستقبل الزمان عنكم. وقوله: «ونار يوم الحساب» لأن الفرار من الزحف ذنبٌ عظيم.

(٤) «طيبوا عن أنفسكم نَفْساً»: وطّنوا أنفسكم على الموت ولا تكرهوه، وهوّنوه عليكم، تقول: طبت عن مالي نفساً، اذا هوّنت ذهابه، أو ارضوا ببذلها فإنّكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غداً.

(٥) سُجُحاً: أي سهلاً، والسجاحة: السهولة، ومن رواه «سمحاً» أراد سهلاً أيضاً.

(٦) السواد الأعظم: يعني به جمهور أهل الشام.

(٧) «والرواق المطنّب»، يريد به مضرِب معاوية ذا الأطناب، وكان معاوية في مضرب عليه قُبّة عالية، وحوله صناديد أهل الشام. والرّواق: الفسطاط. والمطنّب: المشدود بالأطناب جمع طُنُب - بضمتين -: حبل يشد به سرادق البيت.

(٨) ثبجُه: وَسَطه، وثبج الإنسان: ما بين كاهله إلى ظهره.

(٩) الكِسْر: جانب الخِباء وشقه الأسفل كناية عن الجوانب التي يفرّ إليها المنهزمون. وقوله: «فإنّ الشيطان كامنٌ في كسره» يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يعني به الشيطان الحقيقيّ، وهو إبليس، والشيطان الكامن في الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع، والثاني: أن يعني به معاوية وهو الأظهر للقرينة التي تؤيده، وهي قوله: «قد قدَّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً»، أي إن أجبتم وثب، وإن شجعتم نكص.

(١٠) صمدت لفلان: أي قصدت له، والصمد: القصد، أي فاثبتوا على قصدكم.

(١١) «حتى ينجلي لكم عمودُ الحق» أي يسطع نورُه وضوءُه.

يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[1]

٦٧ ـ ومن كلام له عليه السلام*

قالوا: لمّا انْتَهَتْ إلى أميرِ المُؤْمِنينَ عليهِ السّلامُ أنْباءُ السّقيفةِ[2] بعْدَ وفاةِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ، فقالَ عليهِ السّلامُ: مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ؟ قالوا: قالَتْ: مِنّا أميرٌ ومِنْكُمْ أميرٌ؛ قالَ عليهِ السّلامُ:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا مِنَ الحجّةِ عليهِمْ؟ فقالَ عليهِ السّلامُ: لَوْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ** فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمّ قالَ عليهِ السّلامُ: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قالوا: احْتَجّتْ بأنّها شجرةُ الرّسولِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ.

فقالَ عليهِ السّلامُ: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ[3]!

(*) روى صدره النويري في (نهاية الإرب) ج ٨ ص ١٦٨.

(١) لن يَتِرَكم أعمالكم: أي لن ينقصكم شيئاً من جزائها. وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين ﷺ في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات، وفي رواية نصر بن مزاحم أنه خطب في أول أيام اللقاء والحرب بصفين، وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين.

(٢) سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لاختيار خليفة له.

(٣) يريد من الثمرة: آل بيت الرسول ﷺ.

** أثبت عبده في المتن: «لو كانت الإمارة فيهم ...».

٦٨ ـ ومن كلام له عليه السلام ٥

لمّا قُلِّدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ(١) مِصْرَ فَمُلِكَتْ عَلَيْهِ وَقُتِلَ

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ(٢)؛ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ(٣)، وَلاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ(٤)، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ(٥). فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً*.

(٥) رواه الطبري في حوادث سنة ٣٦، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٤٠٤ ط الأعلمي.

---

(١) محمد بن أبي بكر: أمه أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كعب بن مالك بن لحافة بن خَثْعَم، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرتْ معه إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد، ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلَف عليها أبو بكر، فأولدها محمداً، ثم مات عنها، فخَلَف عليها عليّ بن أبي طالب، وكان محمد ربيبه وخِرّيجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيّع مذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير عليّ، وحتى قال علي ﷺ: محمد ابني من صلب أبي بكر.

(٢) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فعمّه سعد بن أبي وقاص، وأبوه عتبة بن أبي وقّاص الذي كسر رباعية رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وهاشم هو المِرْقال: سمّي المرقال؛ لأنّه كان يُرْقِلُ في الحرب إرقالاً، وهو من شيعة عليّ.

(٣) «لما خَلّى لهم العَرْصَة» يعني عرصة مصر، والعَرْصة: كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالاً للمغالبة وقد كان محمد ـ رحمه الله تعالى ـ لما ضاق عليه الأمر ترك لهم مصر وظن أنّه ينجو بالفرار، فلم ينجُ وأُخذ وقتل.

(٤) «ولا أنهزهم الفُرصة» أي ولا جعلهم للفرصة منتهزين.

(٥) «بلا ذم لمحمد ...» لما يتوهم من مدح عتبة.

---

* الربيب: ابن امرأة الرجل من غيره. وجمعه: أرِبّاء وأربّة.

٦٩ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في ذمِّ أصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى ٱلْبِكَارُ ٱلْعَمِدَةُ(١)، وَٱلثِّيَابُ ٱلْمُتَدَاعِيَةُ(٢)! كُلَّمَا حِيصَتْ(٣) مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ(٤) مِنْ آخَرَ. كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسَرٌ مِنْ مَنَاسِرِ(٥) أَهْلِ ٱلشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَٱنْجَحَرَ ٱنْجِحَارَ ٱلضَّبَّةِ(٦) فِي جُحْرِهَا، وَٱلضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا(٧). ٱلذَّلِيلُ وَٱللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ(٨).

(*) رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٣٨٤ في ترجمة عليّ ﷺ.

---

(١) البِكار: جمع بَكْر، وهو الفتيّ من الإبل. والعَمِدَة: التي قد انشدَخَتْ أسنمتها من داخلٍ وظاهرها صحيح؛ لكثرة ركوبها. ومداراتها: استعمالها بالرفق التام.

(٢) الثياب المتداعية: الخلِقة المتخرقة، أي الأسمال التي قد أخلَقت، وسميت متداعية، لأنَّ بعضها يتخرَّق فيدعو بعضَها إلى مثل حاله.

(٣) حيصت: خيطت، والحوْص: الخياطة.

(٤) تهتكت: تخرَّقت.

(٥) أطلَّ عليكم: أشرف. ومِنْسَر: قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكبير، والأفصح «مِنْسَر» بكسر الميم وفتح السين، ويجوز «مَنْسِر» بفتح الميم وكسر السين.

(٦) انجحر: دخل الجحر واستتر في بيته. والضَّبَّة: أنثى الضِّباب، وأوقع التشبيه على الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن والفرار.

(٧) الوِجار: بيت الضبع.

(٨) السهم الأفوق الناصل: المكسور الفُوق، المنزوع النصل، والفُوق: موضع الوَتَر من السهم؛ والناصل: العاري من النصل، وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا ينجده، والسهم إذا كان ←

إِنَّكُمْ وَٱللهِ لَكَثِيرٌ فِي ٱلْبَاحَاتِ[1]، قَلِيلٌ تَحْتَ ٱلرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ[2]، وَلٰكِنِّي وَٱللهِ لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي.

أَضْرَعَ ٱللهُ خُدُودَكُمْ[3]، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ[4]! لَا تَعْرِفُونَ ٱلْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ ٱلْبَاطِلَ، وَلَا تُبْطِلُونَ ٱلْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ ٱلْحَقَّ.

٧٠ ـ وقال عليه السلام *

فِي سُحْرَةِ[5] ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي ضُرِبَ فِيهِ

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ[6]، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱللَّدَدِ! فَقَالَ: «ٱدْعُ عَلَيْهِمْ»،

(*) رواه ابن سعد في (الطبقات) ٣ ص٣٦، والقالي في (ذيل الأمالي) ص ١٩٠، والأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) ص ١٦، وابن عبد ربه في (العقد الفريد)، ج ٢ ص٢٩٨، وغيرهم.

← مكسور الفوق عارياً عن النصل لم يؤثر في الرمية. فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية بعدوّهم أشبه به.

(١) الباحات: جمع باحة، وهي ساحة الدار.

(٢) الأوَد: العوج، أوِد الشيء يأوَد أوَداً أي اعوجّ، وتأوّد أي تعوّج.

(٣) أضرع الله خدودكم: أذلّ وجوهكم. ضَرَع الرجل: ذلّ، وأضرعه غيره.

(٤) أتعس جدودكم: أي أحال حظوظكم وسعودكم وأهلكها فجعلها إدباراً ونحساً. والتَّعَس: الهلاك والانحطاط والعثار.

(٥) السُّحرة ـ بالضم ـ: السحر الأعلى من آخر الليل.

(٦) ملكتني عيني: من فصيح الكلام، يريد غلبني النوم، وسنح لي رسول الله: مرّ بي كما تسنح الظباء والطير.

فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللّٰهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي[1].

قالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: يَعْنِي بِالأَوَدِ الاعْوِجاجَ. وَبِاللَّدَدِ الخِصامَ. وَهٰذا مِنْ أَفْصَحِ الكَلامِ.

٧١ـ ومن خطبة له عليه السلام*

فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِراقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ[2]، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا[3].

أَمَا وَاللّٰهِ مَا أَتَيْتُكُم اخْتِيَاراً؛ وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً[4]. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ

(*) رواها المفيد في (الإرشاد) ص ٦١، وابن دأب في (الاختصاص) ص ١٥٥، والطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٥٤.

---

(١) «شرّاً» ههنا لا يدل على أنّ فيه شرّاً، كقوله: ﴿قُلْ أذلك خير أم جنّةُ الخُلْدِ﴾ [الصافات: ١٠٢] لا يدل على أنّ في النار خيراً.

(٢) أمصلت: ألقت ولدها ميتاً.

(٣) قيمها: زوجها. وتأيمها: خلوها من الأزواج. يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام، وبدت لهم علامات الظفر بهم، جنحوا إلى السلم، إجابة لطلاب التحكيم فكان مثلهم مثل المرأة الحامل، لما أتمت أشهر حملها، ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي بل بالحادث العارضي، كالضربة والسقطة وقلّما تلقيه كذلك إلّا هالكاً، ولم يكتف في تمثيل خيبتهم في ذلك حتى قال: ومات مع هذه الحالة زوجها، وطال ذلها بفقدها من يقوم عليها، حتى إذا هلكت عن غير ولد، ورثها الأباعد السافلون في درجة القرابة ممن لا يلتفت إلى نسبه.

(٤) يقسم أنّه لم يأت العراق مستنصراً بأهله اختياراً لتفضيله إيّاهم على من سواهم، وإنّما سيق ←

تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ. قَاتَلَكُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى! فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى ٱللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ(١)! كَلَّا وَٱللَّهِ. لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا(٢)، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ(٣). لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

← إليهم بسائق الضرورة، فإنّه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة. ويروى هذا الكلام على وجهٍ آخر وهو: «ما أتيتكم اختياراً ولا جئت إليكم شوقاً» بالشين المعجمة.

(١) أخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم وزعمهم. وقد كان كرّم الله وجهه كثيراً ما يخبرهم بما لا يعرفون، ويعلمهم ما لم يعلمون، فيقول المنافقون من أصحابه: إنّه يكذب؛ يقولون مثل ذلك للنبي ﷺ، فهو يرد عليهم قولهم بأنّه أول من آمن بالله، وصدق برسوله، فكيف يجترئ على الكذب على الله أو على رسوله، مع قوة إيمانه، وكمال يقينه، ولا يجتمع كذب وإيمان صحيح.

(٢) اللهجَة - بفتح الجيم -: هي آلة النطق، يقال: فصيح اللهجة. ويمكن أن يريد بها هنا لهجة رسول الله ﷺ، ويمكن أن يعني بها لهجته هو؛ يقول: إنها لهجة غبتم عن منافعها، أي ضرب من الكلام أنتم في غيبة عنه أي بعد عن معناه ونبو طبع عما حواه فلا تفهمونه، ولهذا تكذبونه.

(٣) ويْلُمِّه: كلمة تقال للتعجب والاستعظام؛ يقال: «ويلُمه فارساً»! تكتب موصولة وأصلها «ويل امّه» مرادهم التعظيم، تقال في مقام المدح، وإن كان أصل وضعها لضده، ومثل ذلك معروف في لسانهم، يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه: «لا أبا لك». وفي الحديث: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» وقال الحسن البصريّ وهو يذكر علياً ﷺ، ويصف كونه على الحق في جميع أموره: «وما لك والتحكيم والحق في يديك، لا أبا لك». وقوله ﷺ: كيلاً: مصدره محذوف أي أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً بلا ثمن لو أجد وعاء أكيل فيه، أي لو أجد نفوساً قابلة وعقولاً عاقلة.

٧٢ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

عَلَّمَ فِيهَا النَّاسَ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

اَللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ[1] وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ[2] وَجَابِلَ الْقُلُوبِ[3] عَلَى فِطْرَتِهَا[4]: شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا[5]؛ اجْعَلْ شَرَائِفَ[6] صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ

(*) رواها ابن قتيبة في (غريب الحديث)، والثقفي في (الغارات)، والقاضي القضاعي في (دستوره) ص ١١٩، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٣٦، والسماهيجي في (الصحيفة العلوية) ص٣.

---

(١) داحي المدحوات: أي باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين، دَحَوْتُ الرَّغيفَ دَحْواً: بسطته، وبسطُها أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر، وسائر الحيوان، تتصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت إليها، بهادي الغريزة كما هو المشهود لنظر الناظر، وإن كانت الأرض في جملتها كروية الشكل.

(٢) داعم المسموكات: مقيمها وحافظها، دعمه ـ كمنعه ـ: أقامه وحفظه. والمسموكات: المرفوعات وهي السماوات، وقد يراد من هذا الوصف المجعول لها سمكاً يفوق كل سمك. والسُّمْك: الثخن المعروف في اصطلاح أهل الكلام بالعمق. ودعمه للسماوات: إقامته لها وحفظها من الهوي بقوة معنوية وإن لم يكن ذلك بدعامة حسية، قال صاحب القاموس: «المسموكات لحن والصواب مسمكات» ولعلّ هذا في إطلاق اللفظ اسماً للسماوات، أمّا لو أطلق صفة كل في كلام الإمام فهو صحيح فصيح بل لا يصحّ غيره فإن الفعل سمك لا أسمك.

(٣) جابل القلوب: أي خالقها، والجَبْل: الخَلق، وجِبِلَّة الإنسان: خِلْقَتُه.

(٤) الفطرة: الحالة التي يفطر الله عليها الإنسان، وهي أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده، يخلقه عليها خالياً من الآراء والديانات والعقائد والأهوية.

(٥) قوله «شقيها...» بدل من القلوب، أي جابل الشقي والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التي هو بها كاسب محض، فحسن اختياره يهديه إلى السعادة وسوء تصرفه يضلله في طرق الشقاوة.

(٦) الشرائف: جمع شريفة. والنوامي: الزوائد.

وَرَسُولِكَ، ٱلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ[1]، وَٱلْفَاتِحِ لِمَا ٱنْغَلَقَ[2] وَٱلْمُعْلِنِ ٱلْحَقَّ بِٱلْحَقِّ[3]، وَٱلدَّافِعِ جَيْشَاتِ ٱلْأَبَاطِيلِ[4]، وَٱلدَّامِغِ صَوْلَاتِ ٱلْأَضَالِيلِ[5]، كَمَا حُمِّلَ فَٱضْطَلَعَ[6]، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً[7] فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ[8]، وَلَا وَاهٍ[9] فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ[10]، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً[11] عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَابِسِ[12]،

---

(١) الخاتم لما سبق: أي لما تقدمه من النبوات.

(٢) الفاتح لما انغلق: كانت أبواب القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها ﷺ بآيات نبوته، وأعلن الحق وأظهره بالحق وبالبرهان.

(٣) أعلن الحق بالحق وقمع الباطل وقهر الضلال كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحمله أعباء الرسالة.

(٤) جيشاتها: جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها، والأباطيل: جمع باطل على غير قياس، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل.

(٥) الدامغ: المهلك، من دمغه إذا شجّه حتى بلغت الشجّة دماغه، والصولات: جمع صولة وهي السطوة. والأضاليل: جمع ضلال على غير قياس. والمراد الكاسر لشوكة الضلال وسطوته، وذلك بسطوع البرهان، وظهور الحجة.

(٦) «كما حمّل» يعني حمل أعباء الرسالة، فاضطلع: أي نهض بها قوياً. والضلاعة: القوة. وقد تكون الكاف في «كما حمّل» للتعليل، كما في قوله:

فقلتُ له أبا الملْحاء خذها | كما أوسعتنا بغياً وعَدْواً

(٧) المستوفز: المسارع المستعجل، والوفز: العجلة.

(٨) الناكل: الناكص والمتأخر، أي غير جبان يتأخر عند وجوب الإقدام. والقُدُم: بضمتين المشي إلى الحرب، ويقال: مضى قدماً أي سار ولم يعرج.

(٩) الواهي: الضعيف، وَهَى أي ضعف.

(١٠) واعياً: أي حافظاً وفاهماً. وعيت الحديث: حفظته وفهمته وعقلته.

(١١) ماضياً على نفاذ أمرك: أي ذاهباً في سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه.

(١٢) يقال: وَرَى الزَّنْدُ ووَرِيَ فهو وارٍ: خرجت ناره. وأوريته ووريته واستوريته. والقبس: شعلة من النار. والقابس: الذي يطلب النار. يقال قبست ناراً فأقبسني أي طلبت منها فأعطاني. والكلام تمثيل لنجاح طلاّب الحق ببلوغ طلبتهم منه، وإشراق النفوس المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره.

وَأَضَاءَ ٱلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ(١)، وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ وَٱلآثَامِ. وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ ٱلأَعْلَامِ(٢) وَنَيِّرَاتِ ٱلأَحْكَامِ(٣)، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ(٤)، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ(٥)، وَبَعِيثُكَ بِٱلْحَقِّ(٦)، وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ. ٱللَّهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ(٧)، وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ(٨). ٱللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ(٩)، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ(١٠)، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَٱجْزِهِ

---

(١) الخابط: الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة، فأضاء الطريق له: جعلها مضيئة ظاهرة فاستقام عليها سائراً إلى الغاية: وهي السعادة، فكان في ذلك أن هُديت به القلوب إلى ما فيه سعادتها بعد أن خاضت الفتن أطواراً، واقتحمتها مراراً. والخوضات: جمع خوضة، وهي المرة من الخوض

(٢) الأعلام: جمع عَلَم ـ بالتحريك ـ ما يستدلّ به على الطريق كالمنار ونحوه، والأعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها.

(٣) النيّرات: ذوات النور.

(٤) العِلْم المخزون: ما اختصّ الله به من شاء من عباده ولم يبح لغير أهل الحظوة به أن يطلعوا عليه وذلك مما لا يتعلّق بالأحكام الشرعية.

(٥) شهيدك: شاهدك على الناس كما قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١].

(٦) بعيثك: أي مبعوثك فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح.

(٧) افسح له: وسّع له ما شئت أن توسع «في ظلّك» ويمكن أن يكون مجازاً، كقولهم: فلان يشملني ظله، أي إحسانه وبرّه، ويمكن أن يكون حقيقة، ويعني به الظل المحدود الذي ذكره الله تعالى، فقال ﴿وظلٍّ مَمْدُودٍ• وماءٍ مَسْكوبٍ﴾ [الواقعة: ٣٠ـ٣١].

(٨) مضاعفات الخير: أطواره ودرجاته.

(٩) «وأعل على بناء البانين بناءه» أي اجعل منزلته في دار الثواب أعلى المنازل، أو يريد من بنائه ما شيده ﷺ بأمر ربّه من الشريعة العادلة والهدى الفاضل مما يلجأ إليه التائهون ويأوي إليه المضطهدون، فالإمام يسأل الله أن يعلي بناء شريعته على جميع الشرائع، ويرفع شأن هديه فوق كل هدي لغيره.

(١٠) إكرام المنزلة بإتمام النور، والمراد من إتمام النور: تأييد الدين حتى يعمّ أهل الأرض، ويظهر

مِنْ أَتْبَاعِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ[1]، وَمَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ[2]، وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ[3]. ٱللَّهُمَّ ٱجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ ٱلنِّعْمَةِ[4]، وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ[5]، وَأَهْوَاءِ ٱللَّذَّاتِ[6]، وَرَخَاءِ ٱلدَّعَةِ[7]، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ[8]، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ[9].

← على الدين كلّه كما وعده بذلك. وإكرام المنزلة في الآخرة؛ فقد تقدم في قوله افسح له وأجزه مضاعفات الخير.

(١) مقبول الشهادة، أي مصدَّقاً فيما يشهد به على أمّته وعلى غيرها من الأمم. أي أجزه على بعثك له إلى الخلق، وقيامه بما حمّلته، واجعل ثوابه على ذلك الشهادة المقبولة، والمقالة المرضية يوم القيامة، وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه وهو ذو منطق عدل.

(٢) «ذا منطق عَدْل» أي عادل.

(٣) «خطبة فصل» أي يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة. وفصل: أي فاصل يفصل بين الحق والباطل. وقد روي أنه ﷺ يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمّته وعلى غيرهم من الأمم فيكون كلامه الفصل، [وثبت عنه في المتن «خُطَّةِ فصل»] وخطة فصل: أي أمر فاصل.

(٤) تقول العرب: «عيش بارد»: أي لا حرب فيه ولا نزاع، لأنّ البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة. وقرار النعمة: مستقرّها حيث تدوم ولا تفنى.

(٥) مُنَى: جمع مُنْيَة -بالضم- ما يتمناه الإنسان لنفسه، والشهوات: ما يشتهيه. منى الشهوات: ما تعلّق به الشهوات من الأماني.

(٦) أهواء اللذات: ما تهواه النفوس وتستلذّه.

(٧) الرخاء: من قولهم «رجل رخي البال» أي واسع الحال. الدعة: السكون والطمأنينة.

(٨) منتهى الطمأنينة: غايتها التي ليس بعدها غاية.

(٩) التحف: جمع تحفة، وهو ما يكرم به الإنسان من البرّ واللطف. وكان ﷺ من أرخى الناس بالاً، وألزمهم للطمأنينة، وأعلاهم منزلة في القلوب، فالإمام يطلب من الله أن يدنيه منه في جميع هذه الصفات الكريمة. يدعو بأن يتّفق مع النبي ﷺ في جميع رغباته وميوله.

٧٣- ومن كلام له عليه السلام (*)

قالهُ لِمَرْوانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَة

قالوا: أُخِذَ مَرْوانُ بْنُ الْحَكَمِ أسيراً يَوْمَ الجمل فاسْتَشْفَعَ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام (١) إلى أميرِ المؤمنينَ عليه السلام فكلَّماهُ فيه فخَلَّى سَبِيلَهُ، فقالا له: يُبايِعُكَ يا أميرَ المؤمنينَ؟ فقال عليه السلام:

أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ(٢)، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ(٣). أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ(٤). وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ(٥)، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ(٦)!

(*) روى طرفاً من هذا الكلام ابن سعد في (الطبقات) ج ١، والبلاذري في (الأنساب) ص ٣٦١.

---

(١) استشفعهما إليه: سألهما أن يشفعا له عنده. وليس من الجيد قولهم استشفعت به.

(٢) كف يهودية، أي غادرة ماكرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث.

(٣) السُّبَّة: الإست، وهو مما يحرص الإنسان على إخفائه. وكنّى به عن الغدر الخفي واختاره لتحقير الغادر. وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحبقون عند ذكره استهزاء.

(٤) الإمرة: الولاية. وقوله: «كلعقة الكلب أنفه» يريد قصر المدة، وكذلك كانت مدّة خلافة مروان، فإنّه ولي تسعة أشهر. ورويت فيه زيادة وهي قوله عليه السلام في مروان: «يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صُدْغاه، وإنّ له إمرة» وكُلُّ ما أخبر به أمير المؤمنين وقَعَ كما أخبر به، وكذلك قوله «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صُدغاه» فإنّه وليَ الخلافة وهو ابن خمسة وستين في أعدل الروايات.

(٥) جمع كبش وهو من القوم رئيسهم. وفسّروا الأكبش ببني عبد الملك بن مروان هذا وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وقالوا: ولم يتولّ الخلافة أربعة أخوة سوى هؤلاء. ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشاً أبطالاً: أما عبد الملك فولي الخلافة، وولي محمد الجزيرة، وعبد العزيز مصر، وبشر العراق. وهذا التفسير أولى؛ لأنّ الوليد وإخوته أبناء ابنه، وهؤلاء بنوه لصُلْبه.

(٦) يقال لليوم الشديد: يوم أحمر. وللسَّنة ذات الجَدْب: سنة حمراء.

٧٤ ـ ومن كلام له عليه السلام

لمّا عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَاللّٰهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً(١)، ٱلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ(٢).

٧٥ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

لمّا بلغه اتّهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي(٣)؟ أَوَمَا وَزَعَ ٱلْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي!

(*) رواه ابن الأثير في (النهاية) في مادة قرف.

---

(١) يقسم بالله ليسلمن للأمر في الخلافة لعثمان، ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين، وحافظاً لهم من الفتنة، طلباً لثواب الله على ذلك، وزهداً في الإمرة التي تنافسوها ـأي رغبوا فيها ـ وإن كان في ذلك جور عليه خاصة.

(٢) أصل الزخرف: الذهب، وكذلك الزِّبْرِج، ثم أُطلق على كل مموه مزور. وأغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وَشْيٍ أو جوهر. ومن زخرفه ليس للبيان ولكن حرف جرّ للتعليل، أي أنّ الرغبة إنّما كان الباعث عليها الزُخرف والزبرج ولولا لزوم ذلك للإمارة ما كان فيها التنافس.

(٣) القَرْف: العيب، قرفتُه بكذا: عبته. ووزَع: كفّ وردَع. يقول عليه السلام: أما كان في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين، والتحرج من سفك الدماء، بغير حق ما ينهاها عن قرْفي بدم عثمان؟ خصوصاً وقد علموا أنّي كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولاً فيه؟ وحاله التي أشار إليها هي←

وَلَمَا وَعَظَهُمُ ٱللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي[1]. أَنَا حَجِيجُ ٱلْمَارِقِينَ[2]، وَخَصِيمُ ٱلنَّاكِثِينَ ٱلْمُرْتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ ٱللَّهِ تُعْرَضُ ٱلْأَمْثَالُ[3]، وَبِمَا فِي ٱلصُّدُورِ تُجَازَى ٱلْعِبَادُ.

٧٦- ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ٱلزُّهْدِ

رَحِمَ ٱللَّهُ ٱمْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا[4]، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ

(*) رواها الحرّاني في (التحف) ص ١٥٠، وابن شاكر في (عيون الحكم والمواعظ)، والزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ١ ص ٢٣١، والحصري في (زهر الآداب) ج ١ ص ٤٢.

← منزلته في الدِّين التي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته، في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الاحزاب ٣٣] وعلمها فاعل بنه، وأميّة مفعول، والتهمة -بفتح الهاء-: رميه بعيب الاشتراك في دم عثمان.

(١) «ولما...» اللام هي التي للتأكيد و«ما» موصول مبتدأ، وأبلغ خبره، والله قد وعظهم في الغيبة بأنّها في منزلة أكل لحم الأخ ميتاً.

(٢) «أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين» يعني يوم القيامة، وروي عنه ﷺ: «أنا أوّل من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالى». والحجيج -كالخصيم-: ذو الحجاج والخصومة. والمارقون: الخارجون من الدين. والمرتابون: الذين لا يقين لهم. وهو ﷺ قارعهم بالبرهان الساطع فغلبهم.

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] والأمثال: متشابهات الأعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو كرّم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله فليس للغامز عليه أن يشير إليه بمطعن ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب.

(٤) الحُكْم هنا: الحكمة، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم: ١٢]، ووعى: حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه. ودنا: قرُب من الرشاد الذي دعي إليه.

فَنَجَا[1]. رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً. ٱكْتَسَبَ مَذْخُوراً[2]، وَٱجْتَنَبَ مَحْذُوراً. رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً[3]. كَابَرَ هَوَاهُ[4]. وَكَذَّبَ مُنَاهُ[5]. جَعَلَ ٱلصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَٱلتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ. رَكِبَ ٱلطَّرِيقَةَ ٱلْغَرَّاءَ[6]. وَلَزِمَ ٱلْمَحَجَّةَ ٱلْبَيْضَاءَ. اغْتَنَمَ ٱلْمَهَلَ[7]، وَبَادَرَ ٱلْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ ٱلْعَمَلِ.

٧٧ ـ ومن كلام له عليه السلام *

فِي بَنِي أُمَيَّةَ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً، وَٱللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ ٱللَّحَّامِ ٱلْوِذَامَ ٱلتَّرِبَةَ.

(*) رواه الأصفهاني في (الأغاني) ج ١١ ص ٢٩، والأزهري في (تهذيب اللغة) ج ١٥ ص ٢٧ مادة وذم.

(١) الحُجْزة: مَعْقِد الإزار، ومن السراويل موضع التكة، والمراد الاقتداء والتمسك، وأخذ فلان بحُجزة فلان إذا اعتصم به ولجأ إليه.

(٢) اكتسب مذخوراً: كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويعدّه لوقت حاجته في الآخرة.

(٣) رمى غرضاً: قصد إلى الحق فأصابه، والغَرَض: ما يرمى بالسهام. والعوض المحرَز ههنا: الثواب.

(٤) كابر هواه: غالبه، ويروى كاثر ـ بالمثلثة ـ أي غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه.

(٥) كذّب مناه: أي أمنيّته.

(٦) الطريقة الغرّاء: البيضاء النيرة الواضحة. والمحجّة: جادة الطريق ومعظمه. والطريقة الغرّاء والمحجة البيضاء: سبيل الحق ومنهج العدل.

(٧) المَهَل: النظر والتؤدة، وهنا مدّة الحياة مع العافية، فإنه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت، أو تحل به بالغة عذاب فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته، فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل.

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: وَيُرْوَى «اَلتِّرَابُ الْوَذِمَةُ» وهو على القَلْب[1]. وقوله عليه السلام «لَيُعْطُونِّي» أي يُعطُونني من المال قليلاً كفُواق الناقة: وهو الحلبة الواحدة من لبنها. وَالْوِذَامُ التَّرِبَةُ: جمعُ وَذَمَة، وهي الحُزَّة من الكَرِش أو الكَبِد تقع في التُّراب فَتُنْفَضُ[2].

٧٨ ـ ومن كلمات له عليه السلام *

كَانَ يَدْعُو بِهَا

اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي[3]. اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي[4]. اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ[5]، وَسَقَطَاتِ

(*) روى آخر هذا الدعاء الجاحظ في (السنة المختارة).

---

(١) على القلب: أي أنّ الحقيقة الوذام التربة كما في الرواية الأولى لا التراب الوذمة؛ إذ لا معنى له، فهذه الرواية يراد منها مقلوبها.

(٢) الحُزّة ـ بالضم ـ: القطعة. وفسر صاحب «القاموس» الوذمة: بمجموع المعي والكرش.

(٣) وأيت: وعدتُ، الوأي: الوعد. وأى ـ كوعى ـ: وعد وضمن. إذا عزمت على عمل خير فكأنّك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله، فإن لم توف به فكأنّ الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته، فتكون قد أخلفته، ومخلف الوعد مسيء، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الإساءة.

(٤) تقرب باللسان مع مخالفة القلب كأن يقول الحمد لله على كل حال، ويسخط على أغلب الأحوال. أو يقول إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، وهو يستعين بغير الله، ويعظم أشباهاً ممّن دونه.

(٥) رمزات الألحاظ: الإشارة بها. والألحاظ جمع لحَظ ـ بفتح اللام ـ وهو مؤخر العين، أمّا اللحاظ ـ وهو مؤخر العين ـ فلا أعرف له جمعاً إلّا لُحُظ بضمتين.

ٱلْأَلْفَاظِ[1]، وَسَهَوَاتِ ٱلْجَنَانِ[2]، وَهَفَوَاتِ ٱللِّسَانِ[3].

٧٩ ـ ومن كلام له عليه السلام *

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيتُ أنْ لا تظفر بمُرادِك من طريق عِلْم النُّجوم» فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءُ، وَتُخَوِّفُ مِنَ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ ٱلضُّرُّ[4]؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ، وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلِاسْتِعَانَةِ بِٱللّٰهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ، وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ.

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ[5]، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ، وَٱلْمُنَجِّمُ

(*) رواه إبراهيم بن الحسن بن ديزيل في كتاب (صِفّين)، والصدوق في (عيون أخبار الرضا) ج ١ ص ١٣٨.

(١) سقطات الألفاظ: لغوها.

(٢) سهوات الجنان: غَفَلاته، [وعند عبده والصالح: شهوات الجنان] وشهواته: ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة. والجَنان: القلب.

(٣) هفوات اللسان: زلّاته.

(٤) حاق به الضرّ: أحاط به.

(٥) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها، وإنّما ينهى عمّا يسمّى «علم التنجيم» وهو العلم المبني على الاعتقاد بروحانية الكواكب، وأنّ لتلك الروحانية العلوية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصرية، وأنّ من يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد، ومعاونة من الرياضة، تكاشفه بما غُيّب من أسرار الحال والاستقبال.

كَٱلْكَاهِنِ[1]، وَٱلْكَاهِنُ كَٱلسَّاحِرِ، وَٱلسَّاحِرُ كَٱلْكَافِرِ، وَٱلْكَافِرُ فِي ٱلنَّارِ. سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللَّهِ.

٨٠ـ ومن خطبة له عليه السلام *

بعد حرب الجمل في ذمّ النساء

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ، إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ[2]، نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ. فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ.

فَٱتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي

(*) رواها سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص٨٥، وروى بعضها أبو طالب المكي في (قوت القلوب) ج ١ ص ٢٨٢.

(١) الكاهن: من يدّعي كشف الغيب. وكلام أمير المؤمنين حجّة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها. ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية.

(٢) خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سنّ معين، لا يكاد ينتهي حتى تستعدّ لحمل وولادة وهكذا، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية. فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته، وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة لكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث.

اَلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ(١).

٨١ـ ومن كلام له عليه السلام°

فِي ٱلزُّهْدِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱلزَّهَادَةُ قِصَرُ ٱلْأَمَلِ(٢)، وَٱلشُّكْرُ عِنْدَ ٱلنِّعَمِ(٣)، وَٱلتَّوَرُّعُ عِنْدَ ٱلْمَحَارِمِ(٤)، فَإِنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ(٥)، وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ

(°) رواه الصدوق في (معاني الأخبار) ص ٢٥١ وفي (الخصال) ج ١/ ١١، والبرقي في (المحاسن) ص ٢٣٤.

(١) لا يريد أن يترك المعروف لمجرّد أمرهن به. فإنّ في ترك المعروف مخالفة السنّة الصالحة خصوصاً إن كان المعروف من الواجبات، بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرّد طاعتهن، فإذا فعلت معروفاً فافعله لأنّه معروف، ولا تفعله امتثالاً لأمر المرأة. ولقد قال الإمام قولاً صدقته التجارب في الأحقاب المتطاولة، ولا استثناء مما قال إلّا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق في سموّها ما استوت به الفطن، أو تقاربت، أو أخذ سلطان من التربية طباعهن، على خلاف ما غرز فيها، وحوّلها إلى غير ما وجهتها الجبلة إليه.

(٢) قصر الأمل: توجّس الموت والاستعداد له بالعمل، وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة.

(٣) الشكر عند النعم: الاعتراف بأنّها من الله والتصرّف فيها على وفق ما شرّع.

(٤) أنت عنده في المتن: الورع، وهو الكفّ عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات. أي إذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشتبه به فضلاً عنه.

(٥) «فإنْ عزب ذلك عنكم» أي بَعُدَ عنكم وفاتكم، فأمران من الثلاثة لابدّ منهما، وهما الورع وشكر النعم، جعلهما آكد وأهمّ من قصر الأمل، أي فإن عسر عليكم أن تقصروا آمالكم، وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم، فلا يغلب الحرام صبركم، أي فلا يفتكم الركنان الآخران وهما: شكر النعم، واجتناب المحرم؛ فإن نسيان الشكر يجر إلى البطر، وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية. والبطر والفساد مجلبة للنقم في الدنيا، والشقاء في الآخرة.

ٱلنِّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْذَرَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ[1] بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ[2]، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

٨٢ـ ومن كلام له عليه السلام[*]

في صفة الدُّنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ[3]، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنِ ٱسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ ٱفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ[4]،

(*) رواه المبرد في (الكامل) ج ١ ص٨٨، والقالي في (الأمالي) ج ٢ ص١١٧، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٣ص١٧٢، وابن دريد في (المجتنى) ص ٣١.

(١) «فقد أعذر الله إليكم» أي بالغ، يريد ﷺ أنه قد أوضح لكم بالحجج النيّرة ما يجب اجتنابه، وما يجب فعله، فإن خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر. وأعذر: بمعنى أنصف، وأصله ممّا همزته للسلب، فأعذرت فلاناً سلبت عذره، أي ما جعلت له عذراً بيديه لو خالف ما نصحته به. ويقال: «أعذرت إلى فلان» أي أقمت لنفسي عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة حيث حذّرته ونصحته. ويصحّ أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضاً، بل هو الأقرب من لفظ «إليكم» ويكون الكلام على المجاز وتنزيل قيام الحجة له منزلة قيام العذر لنا.

(٢) المسفرة: الكاشفة عن نتائجها الصحيحة، وبارزة العذر: ظاهرته.

(٣) العناء: التعب.

(٤) ساعاها: جاراها سعياً. أي مَن جرى معها في مطالبها. والقصد: اهتمّ بها وجدّ في طلبها. وقوله فاتته: أي سبقته، فإنّه كلّما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها، فلا يكاد يقضي مطلوباً واحداً حتى يهف به ألف مطلوب.

وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ[1]، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ[2]، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

قَالَ ٱلرَّضِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ: أقول: وإذا تأمَّلَ المُتَأَمِّلُ قوله عَلَيْهِ السَّلام: «ومَن أبصر بها بصَّرَتْه» وجد تحته من المعنى العجيب. والغرض البعيد، ما لا تُبلَغُ غايتُه ولا يُدرَكُ غورُه. لا سِيَّما إذا قرن إليه قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ إليها أَعْمَتْهُ» فإنه يجد الفرق بين «أبصرَ بها» و«أبصرَ إليها» واضحاً نيِّراً، عجيباً باهراً.

٨٣ـ ومن خطبة له عليه السلام*

وَتُسَمَّى بِالْغَرَّاءِ، وَهِيَ مِنَ ٱلْخُطَبِ ٱلْعَجِيبَةِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ[3]، وَدَنَا بِطَوْلِهِ[4]، مَانِحِ[5] كُلِّ غَنِيمَةٍ

(*) رواها ابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٤٦، والقاضي القضاعي في الباب الثالث من (دستور معالم الحكم) ص ٥٩، وأبو نعيم في (الحلية) ج ١ ص ٧٧، والآمدي في (غرر الحكم).

---

(١) واتته: طاوعتهُ. يريد أن من قوّم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول إليها إنّما يكون بالعناء، وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم، فقد وافقته هذه الحياة وأراحته، فإنّه لا يأسف على فائت منها، ولا يبطر لحاضر، ولا يعاني ألم الانتظار لمقتبل.

(٢) أبصر بها: أي من جعلها مرآة عبرةٍ تجلو لقلبه آثار الحد في عظائم الأعمال، وتمثّل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين، وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين، فقد صارت الدنيا له بصراً، وحوادثها عبراً. وأمّا من أبصر إليها، واشتغل بها، فإنّه يعمى عن كل خير فيها، ويلهو عن الباقيات بالزائلات، وبئس ما اختار لنفسه.

(٣) الحول: القوة، علا بحوله: أي عزَّ وارتفع عن جميع ما سواه؛ لقوته المستعلية بسلطة الإيجاد على كل قوة.

(٤) الطَّول: الإفضال، دنا بطوله: أي أنّه مع علوه ـ سبحانه ـ وارتفاعه في عظمته فقد دنا وقرب من خلقه بطوله، أي عطائه وإحسانه.

(٥) المانح: المعطي، ومانح الغنيمة: معطيها والمتفضّل بها.

وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ[١]. أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ[٢]، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ[٣]، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً[٤]، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ[٥]، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ[٦]. أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ ٱلَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ[٧] وَوَقَّتَ لَكُمُ ٱلْآجَالَ[٨]، وَأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ[٩] وَأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ[١٠]، وَأَحَاطَ

---

(١) الأزل ـ بفتح الهمزة ـ: الضيق والحبس والشدة، وكاشف الشدة: المنقذ منها.

(٢) العواطف: جمع عاطفة، وهي ما يعطفك على الغير، ويدنيه من معروفك. وصفة الكرم في الجناب الإلهي وخلقه في البشر مما يعطف الكريم على موضع الإحسان.

(٣) السوابغ: التوامّ الكوامل، سَبغَ الظّلُّ إذا عمّ وشملَ.

(٤) أولاً بادياً: موضعه من سابقه كموضع قريباً هادياً. وما جاء به بعده من سوابقها فهي أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه و تعالى. فيكون أول صفة نصبت على الحال من ضمير «به» أي أصدّق بالله على أنه سابق كل شيء في الوجود فهو البادي ـ أي الظاهر ـ بذاته المظهر لغيره، ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة. والقريب الهادي جدير بأن تطلب منه الهداية. والقادر القاهر حقيق بأن يُستعان به؛ لأنه قويّ على المعونة. والكافي الناصر حريّ بأن يُتوكل عليه.

(٥) إنهاء عذره: إبلاغه. والعذر هنا: كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أُقيمت ببعثه النبي ﷺ، على أنّ مَنْ خالف شريعة الله استحقّ العقاب، ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب.

(٦) النذر: جمع نذير، أي الأخبار الإلهيه المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال، أو هو مفرد بمعنى الإنذار.

(٧) ضرب الأمثال: جاء بها في الكلام لإيضاح الحجج وتقريرها في الأذهان.

(٨) وَقّتَ الأجال: جعلها لوقتٍ مقدّر، أي في أوقات محدودة لا متقدم عنها و لا متأخر.

(٩) الرياش: ما ظهر من اللباس. ووجه النعمة فيه أنه ساتر للعورة، واقٍ من الحر والبرد. ويقال: الرياش: الخِصب والغنى. ومنه ارتاش فلان، حَسُنَت حاله، ويكون لفظ «ألبسكم» مجازاً إن فُسّر بذلك.

(١٠) «وأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ» أي جعله رفيغاً، أي واسعاً مخصِباً، يقال: رَفُغَ عيشُه رفاغةً: اتسع.

بِكُمُ ٱلْإِحْصَاءَ[1]، وَأَرْصَدَ لَكُمُ ٱلْجَزَاءَ[2]، وَآثَرَكُمْ بِٱلنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ، وَٱلرِّفَدِ ٱلرَّوَافِغِ[3]، وَأَنْذَرَكُمْ بِٱلْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ[4]. فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً[5]، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ[6]، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا. فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا[7] رَدِغٌ مَشْرَعُهَا[8]، يُونِقُ مَنْظَرُهَا[9] وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ[10] وَضَوْءٌ آفِلٌ[11] وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ[12] مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَٱطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا[13]، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا[14] وَقَنَصَتْ

---

(١) «وأحاطكم بالإحصاء» أي جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسور، لاتنفذون منه، ولاتتعدونه، ولا تشذ عنه شاذة.

(٢) «وأرصَدَ لكم الجزاء»: أعَدَّه لكم فلا محيص عنه.

(٣) الرِّفَد: جمع رِفْدَة، وهي: العطيّة والصِّلة، مثل كِسْرة وكِسَر، والروافغ: الواسعة.

(٤) الحجج البوالغ: الظاهرة المبينة.

(٥) أي قدّر، ومنه وظيفة الطعام. والمدد: جمع مدّة، أي عيّن لكم أزمنة تحيون فيها.

(٦) قرار خِبْرة ـ بكسر الخاء ـ: دار بلاء واختبار، وهي دارالدنيا وفيها الاعتبار والاتّعاظ والحساب عليها، أي على ما يؤتى من خير وشر.

(٧) رَنِقَ ـ كفرحَ ـ كَدِر، وعيشٌ رنق: أي كَدِرٌ.

(٨) مشرع رَدِغ: ذو طين ووحَل، والمشرع: مورد الشاربة للشرب.

(٩) «يُونقُ منظرُها»: يعجب الناظر. آنَقَني الشيء أعجبني. ويوبق منظرها: يُهلك

(١٠) الغُرور ـ بضم الغين ـ: ما يغترّ به من متاع الدنيا، والغَرور ـ بالفتح ـ الشيطان. والحائل: الزائل. اسم فاعل من «حال» إذا تحوّل وانتقل، أي أنّ شأنها الغرور الذي لا بقاء له.

(١١) الآفِل: الغائب الذي لا يلبث أن يظهر حتى يغيب.

(١٢) السِناد: ما يستند إليه، ودعامة يُسنَّد بها السقف.

(١٣) ناكرها: فاعل، من نكرت كذا، أي أنكرته.

(١٤) «قمصت بأرجلها»: قمصَ الفرسُ وغيره يقمِص ويقمُص قَمْصاً وقِماصاً: أي استنّ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً، ويعجن برجْليه. وقال: «بأرجلها» وإنّما للدابة رجلان، إمّا لأنّ المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع، كما في قولهم: امرأة ذات أوراك، وهما وركان. وإمّا لأنّه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد، فسماها كلها أرجلاً. ومن رواه «بأرحلها» فهو جمع رَحْل الناقة.

بِأَحْبُلِهَا(١)، وَأَقْصَدَتْ(٢) بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ ٱلْمَرْءَ أَوْهَاقَ ٱلْمَنِيَّةِ(٣)، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ ٱلْمَضْجَعِ(٤)، وَوَحْشَةِ ٱلْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ ٱلْمَحَلِّ(٥) وَثَوَابِ ٱلْعَمَلِ(٦). وَكَذٰلِكَ ٱلْخَلَفُ(٧) بِعَقْبِ ٱلسَّلَفِ، لَا تُقْلِعُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱخْتِرَاماً(٨)، وَلَا يَرْعَوِي ٱلْبَاقُونَ ٱجْتِرَاماً(٩)، يَحْتَذُونَ مِثَالاً(١٠)، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً(١١)، إِلَى غَايَةِ ٱلِانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ ٱلْفَنَاءِ(١٢). حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ ٱلْأُمُورُ(١٣)، وَتَقَضَّتِ ٱلدُّهُورُ، وَأَزِفَ ٱلنُّشُورُ(١٤)، أَخْرَجَهُمْ مِنْ

---

(١) «وتنصبت بأحبلها»: أي اصطادت وأوقعت من اغترّ بها في شباكها وحبالها.

(٢) أقصدت: قتلت مكانها من غير تأخير.

(٣) علقت به وربطت بعنقه. والأوهاق: جمع وَهَق -بالتحريك وبالتسكين-: وهو الحبل، وأوهاق المنية: أي حبال الموت.

(٤) ضنك المضجع: ضيق المرقد، والمراد القبر.

(٥) «معاينة المحل» أي الموضع الذي يُحلُّ به المكلَّف بعد الموت، ولابدَّ لكلّ مكلَّف أن يعلم عَقِيب الموت مصيره، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، و يشاهد مكانه من النعيم والجحيم.

(٦) ثواب العمل، يريد الجزاء الأعمّ الشامل للسعادة والشقاوة.

(٧) الخَلَف: المتأخرون. السَّلَف: المتقدمون. وعَقْب ههنا بالتسكين بمعنى بَعد، جئت بعقب فلان أي بعده، وأصله جَري الفرس بعد جَرْيه. يقال لهذا الفرس عَقْب حسن.

(٨) «لا تقلع المنية آخترماً» لا تقلع أي لا تكفّ، والاخترام: إذهاب الأنفس واستئصالها للأحياء.

(٩) ارعوى: كفّ عن الأمر وأمسك. والاجترام: افتعال من الجرم، وهو الذنب، *أي اقتراف السيئات*. لا يرعوي الباقون: أي لا يرجعون ولا يكفّون عن اجتراح السيئات.

(١٠) «يحتذون مثالاً» أي يقتدون، ويشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم و يقتدون بهم.

(١١) «ويمضون ارسالاً» جمع رَسَل -بفتح السين- وهو القطيع من الإبل والغنم والخيل.

(١٢) صيّور الأمر -كتنور-: آخره وما يؤول إليه، ومصيره. يريد الإمام من ذلك أنّ الدنيا لا تزال تغرّ بنيها ليأنسوا إليها بالارتياح إلى ملاذها، واستسهال احتمال آلامها، ثم تنقلب بهم إلى ما لابدّ منه وهم في غفلة لاهون.

(١٣) تصرّمت الأمور: تقطعت، ومثله «تقضّت الدهور».

(١٤) أزف: قَرُبَ ودنا. أزف النشور: قرب البعث، والضمير في «أخرجهم» إلى البعث على سبيل ←

ضَرَائِحِ ٱلْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ ٱلطُّيُورِ[١]، وَأَوْجِرَةِ ٱلسِّبَاعِ[٢]، وَمَطَارِحِ ٱلْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ[٣]، رَعِيلاً صُمُوتاً[٤]، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ ٱلْبَصَرُ[٥]، وَيُسْمِعُهُمُ ٱلدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلِاسْتِكَانَةِ[٦]، وَضَرَعُ ٱلِاسْتِسْلَامِ وَٱلذِّلَّةِ[٧]. قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ، وَهَوَتِ ٱلْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً[٨]، وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً[٩]، وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ[١٠]، وَعَظُمَ ٱلشَّفَقُ[١١]، وَأُرْعِدَتِ ٱلْأَسْمَاعُ،

← المجاز أو إلى الله تعالى. والضرائح: جمع ضريح، وهو الشَّقُّ في وسط القبر، وأصله من «ضرحه» دفعه وأبعده؛ فإن المقبور مدفوع منبوذ، وهو أبعد الأشياء عن الأحياء.

(١) الأوكار: جمع وَكْر ـ بفتح الواو ـ هو عشّ الطائر.

(٢) أوجرة السِّباع: جمع وِجار ـ بكسر الواو ـ ويجوز فتحها، وهو بيت السَّبُع والضَّبُع ونحوهما. والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين افترستهم الطيور الصائدة، والسباع الكاسرة.

(٣) مهطعين: مسرعين إلى معاده ـ سبحانه ـ الذي وعد أن يعيدهم فيه.

(٤) الرعيل: القطعة من الخيل. شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل، أي الجملة القليلة منها، لأنّ الإسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر فإنّ الانفراد من الإبطاء، ولا يدعهم يجتمعون جماً فإنّ التضام والإلتفاف إنّما يكون من الاطمئنان.

(٥) «ينفذهم البَصَر» يجاوزهم، أي يأتي عليهم ويحيط بهم، أي لا يعزب واحد منهم عن بصر الله. فهم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحدٌ عن إدراك الباريء سبحانه. وعلى كثرتهم لا يبقى منهم أحدٌ إلّا إذا دعا داعي الموت سمع دعاءه ونداءه.

(٦) اللبوس ـ بفتح اللام ـ ما يُلبس. والاستكانة: الخضوع.

(٧) الضرع: الخشوع والضعف والوهن، هذا لو جعلنا «عليهم» متعلقاً بمحذوف خبر عن لبوس وضرع، فإن جعلناه متعلقاً بالداعي بمعنى المنادي والصائح عليهم جعلنا لبوس جملة مبتداء، ويكون لبوس جمع لابس، وضرع ـ محركة ـ اسم جمع للضريع بمعنى الذليل.

(٨) هوت القلوب: خلت من المسرّة والأمل من النجاة. كاظمة: ساكتة كاتمة لما يزعجها من الفزع.

(٩) مهينمة: متخافية، ذات هَيْنمة، وهي الصوت الخفي.

(١٠) ألجم العرق: صار لجاماً وكثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق وكان كاللجام.

(١١) الشفق: الخوف والحذر. أُرعدت: عرتها الرعدة.

لِزَبْرَةِ ٱلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ ٱلْخِطَابِ[١]، وَمُقَايَضَةِ ٱلْجَزَاءِ[٢]، وَنَكَالِ ٱلْعِقَابِ[٣]، وَنَوَالِ ٱلثَّوَابِ. عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَاراً[٤]، وَمَقْبُوضُونَ ٱحْتِضَاراً[٥]، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً[٦]، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً[٧]، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً[٨]، وَمَدِينُونَ جَزَاءً[٩]، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً[١٠]. قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ[١١]، وَهُدُوا

---

(١) زبرة الداعي: صوته وصيحته، ولا يقال زبره إلّا إذا كان فيها زجر وانتهار فإنها واحدة الزبر، أي الكلام الشديد، *وفصل الخطاب: يعني الحكومة بين الله وبين عباده في الموقف.*

(٢) المقايضة: المعاوضة، أي مبادلة الجزاء الخير بالخير والشر والشرّ.

(٣) النكال: العذاب.

(٤) مربوبون: مملوكون، والاقتسار: الغلبة والقهر، أي أنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته، فهم مملوكون له بسطوة عزته، لا خيرة لهم في ذلك وإذا جاء الأجل قُبضت أرواحهم إليه بما يحضر عند الأجل من مزهقات الأرواح والقوى المسلّطة على الفناء.

(٥) أصل الاحتضار حضور الملائكة لقبض الروح، احتضر فلان: حضرته الملائكة تقبض روحه، وكانت العرب تقول: لبن محتضر، أي فاسد. يعنون أنّ الجنّ حضرته، يقال: «اللبن محتَضَر فغطّ إناءك». وجاء في بعض الروايات: «ومقبوضون اختضاراً» وهو موت الشاب غضّاً أخضر، أي مات شاباً، والرواية الأولى أحسن، لأنّها أعمّ.

(٦) الأجداث: جمع جَدَث، وهو القبر، واجتدث الرجل: اتخذ جدثاً، ويقال: جَدَف بالفاء. ومضمّنون الأجداث: مجعولون في ضمنها.

(٧) الرفات: الحطام، ويقال رفته -كنصر وضرب- أي كسره ودقه، أي فته بيده كما يفت المدر والعظم البالي.

(٨) ومبعوثون أفراداً: أي كان كل يسأل عن نفسه لا يلتفت لرابطة تجمعه مع غيره، من قوله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾[الأنعام: ٩٤].

(٩) مدينون: أي مجزيون، والدين: الجزاء، ومنه: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤].

(١٠) ومميزون حساباً: كل يحاسب على عمله منفصلاً عمّن سواه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر: ١٨]، أوهو من قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس: ٥٩].

(١١) «قد أمهلوا في طلب المخرج» أي أنظروا ليفيئوا إلى الطاعة ويخلصوا التوبة، لأنّ إخلاص التوبة هو المخرج من ربقة المعصية.

سَبِيلَ ٱلْمَنْهَجِ[1]، وَعُمِّرُوا مَهَلَ ٱلْمُسْتَعْتَبِ[2]، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ ٱلرِّيَبِ[3]، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ ٱلْجِيَادِ[4]، وَرَوِيَّةِ ٱلِارْتِيَادِ[5]، وَأَنَاةِ ٱلْمُقْتَبِسِ ٱلْمُرْتَادِ[6]، فِي مُدَّةِ ٱلْأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ ٱلْمَهَلِ[7]. فَيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً[8]، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً[9]، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً[10]! فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ تَقِيَّةَ

---

(١) المنهج: الطريق الواضح التي دلّت عليه الشريعة المطهّرة.

(٢) المستعتَب: المسترضى، ويقال أيضاً استعتبه أناله العتبى، وهي الرضى. وإنّما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنّك إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى لا ترهقه في المطالبة، بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه، أي أنّ الله فسح لهم في الآجال حتى يتمكنوا من إرضائه، وأوتوا من العمر مهلةً من ينال العتبى ـ أي الرضا ـ لو أحسن العمل. استعتبه: أناله العتبى، فهو المستعتِب والمفعول مستعتَب.

(٣) السُّدَف: جمع سُدْفة، هي القطعة من الليل المظلم في لغة أهل نجد، وأما غيرهم فيجعل السُّدْفة الضوء، وهذا اللفظ من الأضداد، ويقال: أسدف الليل، أظلم؛ وأسدف الصبح أضاء. والرِّيَب: جمع ريبة، وهي الشبهة وإبهام الأمر، وكشف ذلك بما أبان من البراهين الواضحة.

(٤) خلوا: تركوا في مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات. والجياد من الخيل: كرامها، والمضمار: المكان الذي تضمر فيه الخيل، والمدة التي تضمر فيها أيضاً. وفي رواية المضمار الخيارة أي للمضمار الذي يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلى رضوان الله سبحانه.

(٥) الروية: الفكر وإعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه، والارتياد: طلب ما يراد.

(٦) الأناة: الانتظار والتؤدة. المقتبس: متعلم العلم هنا، ولابد له من أناة ومَهَل ليبلغ حاجته، والمقتبس: المرتاد، أي الذي أخذ بيده مصباحاً ليرتاد على ضوئه شيئاً غاب عنه، ومثل هذا يتأنى في حركته خوف أن يطفأ مصباحه، وخشية أن يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع، فلذا ضرب المثل به.

(٧) المضطرب مدّة الاضطراب أي الحركة في العمل.

(٨) صائبة: غير عادلة عن الصواب. وشافية: تبرئ من مرض الجهل والهوى.

(٩) القلوب الزاكية: الطاهرة، والأسماع الواعية: الحافظة.

(١٠) الآراء العازمة: ذات العزم. الألباب: العقول، والحازمة: ذات الحزم.

مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ[1]، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ[2]، وَوَجِلَ فَعَمِلَ[3]، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ[4]، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ[5]، وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ[6]، وَأَجَابَ فَأَنَابَ[7]، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى[8]، وَأُرِيَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً. فَأَفَادَ ذَخِيرَةً[9]، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً[10]، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ[11]، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ[12]، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ

---

(١) خَشَعَ الرجل: أي خضع.

(٢) اقترف: اكتسب ومثله قرَف يقرِفُ ـ بالكسر ـ يقال: هو يقرف لعياله، أي يكسب ومنه ﴿وليقترفوا ما هم مُقْتَرِفون﴾ [الأنعام: ١١٣].

(٣) وجل: خاف، وجلاً وموجلاً بفتح الميم والجيم.

(٤) بادر: سارع.

(٥) عُبِّر: مبني للمجهول مشدد الباء، أي عرضت عليه العبر مراراً كثيرة فاعتبر: أي اتعظ.

(٦) حُذِّر: مبني للمجهول أيضاً، أي خوف من عواقب الخطايا، فازدجر: أي امتنع عنها، ويروى «وحُذِّر فحَذِر، وزُجِر فازْدَجَر» [كما في نسخة ابن أبي الحديد والصالح].

(٧) أجاب داعي الله إلى طاعته فأناب إليه: أي رجع.

(٨) احتذى: شاكل بين عمله وعمل مقتداه أي أحسن القدوة. وأُرِيَ بضم الهمزة: مبني للمجهول، أي أراه الشريعة ما يجب عليه وما يجب له، وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية، فرأى ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل.

(٩) أفاد الذخيرة: استفادها واقتناها وهو من الأضداد. أفدت المال زيداً، أعطيته إياه، وأفدت أنا مالاً، أي استفدته واكتسبته.

(١٠) استظهر زاداً: أي حمل زاداً. حمل ظهر راحلته إلى الآخرة، والكلام تمثيل.

(١١) وجه السبيل: المقصد الذي يركب السبيل لأجله.

(١٢) الجهة ـ مثلثة ـ: الناحية والجانب، وقوله ﷺ: «فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له». نصب «جهة» بفعل مقدر، تقديره: «واقصدوا جهة ما خلقكم له» بمعنى العبادة، لأنه تعالى ←

نَفْسِه[١]، وَٱسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ[٢] بِٱلتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ[٣]، وَٱلْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

ومنها: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا[٤]، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا[٥]، وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا[٦]، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا[٧]، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا[٨]، وَمُدَدِ

← قال: ﴿وماخلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدون﴾ [الذاريات ٥٦] وهو ظرف متعلق بحال من ضمير «اتّقوا» أي متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم الباقي أثره لأخلافكم.

(١) حذرنا من نفسه سبحانه أن تتعرض لما يغضبه بمخالفة أوامره ونواهيه. والكُنه: الغاية والنهاية؛ تقول: أعرفه كُنه المعرفة، أي نهايتها، أي احذروا نهاية ما حذركم ولا تقعوا في شيء ممّا يغضبه. وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا: هو البحث عن كنهه وحقيقته، فيأمرنا الإمام بالتقوى، والبعد عن البحث في حقيقته وكنهه فإنّ الوصول إلى كنه ذاته محال.

(٢) قوله: «واستحقوا منه ما أعدّ لكم» أي اجعلوا أنفسكم مستحقّين لثوابه الذي أعدّه لكم إنْ أطعتم.

(٣) يتنجّز الحاجة، يستنجحها ويطلب تعجّلها، والناجز: العاجل، والتنجّز من المكلفين بصدق ميعاده سبحانه؛ وهو مواظبتهم على فعل الواجب، وتجنّب القبيح، وبهذا التنجّز العملي يستحق ما أعدّ الله للصالحين. والحذر معطوف على التنجّز.

(٤) «لتعي ما عناها» أي لتحفظ وتفهم ما أهمّها.

(٥) لتجلو: أي لتكشف، من «جلا عن المكان» فارقه، أي تخلص من عماها، أي لتبصر. ولا تكون بصرة حقيقة حتى يفيدها الإبصار حركة إلى نافع وانقباضاً عن ضار. والعشا ـ مقصور ـ: مصدر عَشِيَ، يَعْشَى، فهو عَشٍ، إذا أبصر نهاراً ولم يبصر ليلاً.

(٦) الأشلاء: جمع شلو، وهو العضو أو الجسد، أراد ﷺ بالأشلاء ـ هنا ـ الأعضاء الظاهرة، وبالأعضاء الجوارحَ الباطنة، ولاريب أنّ الاعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة وتضمّها.

(٧) الملائمة: الموافقة. والأحناء ـ جمع حِنو بالكسر ـ: الجوانب والجهات أو كل ما اعوج من البدن، وملاءمة الأعضاء لها: تناسبها معها، و«ملاءمة» حال من الأعضاء، وملاءمة الأعضاء للجهات التي وضعت فيها أن يكون العضو في تلك الجهة أنفع منه في غيرها، نكون العين في موضعها المعروف أنفع من كونها في قمة الرأس مثلاً.

(٨) قوله «تركيب صورها»: أي أنّها في صورها المركبة كما تقول: «ركب في سلاحه»: أي متسلحاً.

عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[(١)]، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ[(٢)]، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وَ حَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ[(٣)].

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنَ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ[(٤)]. أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ[(٥)]. وَشَذَّبَهُمْ[(٦)] عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ [(٧)]، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ[(٨)]، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ[(٩)]. فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ[(١٠)] الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ[(١١)].

---

(١) بأرفاقها: أي بمنافعها، والأرفاق: جمع رِفْق ـ بالكسر ـ :المنفعة أو ما يستعان به عليها. ويروى «بأرماقها» والرَّمَق: بقية الروح. ورائدة: طالبة.

(٢) تجلّل الناس: أي تعمّهم، على صيغة اسم الفاعل من جلّله بمعنى: غطاه، أي غامرات نعمه، من قولهم: «سحاب مجلّل» أي يطبق الأرض. وهذا من باب إضافة الصفة للموصوف.

(٣) «حواجز عافيته» الحواجز: الموانع، أي في عافية تحجز وتمنع عنكم المضارّ، وفُسّر على أنّ المراد به ما يحجز العافية ويمنعها عن الزوال والعدم، ويروى «وحواجز بَليّته».

(٤) الخلاق: النصيب الوافر من الخير، والخَنَاق ـ بالفتح ـ: حبل يخنق به، وبالضم: داء يمتنع معه نفوذ النفس. وتقدير الكلام: خلّف لكم عِبَراً من القرون السالفة، منها تمتّعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم، ومنها فسحة خناقهم وطول إمهالهم، ثم كانت عاقبتهم الهلكة.

(٥) أرهقتهم المنايا: أعجلتهم: وأدركتهم بسرعة، والمرهَق: الذي أُدرك ليقتل.

(٦) شذّبهم عنها: قطعهم وفرّقهم؛ من تشذيب الشجرة، وهو تقشيرها، [وعند عبده والصالح «شذّبهم».]

(٧) تخرّمت زيد المنية: استأصلته واقتطعته، تخرّم الأجل: استئصاله واقتطاعه.

(٨) «ولم يمهدوا في سلامة البدن» أي لم يمهدوا لأنفسهم، من تمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها.

(٩) أُنُف الأوان: أوله، يقال: روضةٌ أُنُف لم تُرْعَ قبل، وكأس أُنُف: لم تُشْرَب بها قَبْلُ، وأمر أنف: مستأنف لم يسبق به قدر، والأُنف: أيضاً المشية الحسنة.

(١٠) البضاضة: رقة الجلد وامتلاؤه، رجلٌ بَضٌّ. أي ممتلئ البدن رقيق الجلد، وامرأة بضّة.

(١١) حواني الهرم: جمع حانية، وهي العلّة التي تحني شِطاط الجسد*، وتميله عن الاستقامة. والهرم: الكبر. والغضارة: طيب العيش والنعمة، والسعة والخصب.

---

* شطاط الجسد: قوامه.

وَأَهْلُ غَضَارَةِ ٱلصِّحَةِ إِلَّا نَوَازِلَ ٱلسَّقَمِ، وَأَهْلُ مُدَّةِ ٱلْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ ٱلْفَنَاءِ[1]. مَعَ قُرْبِ ٱلزِّيَالِ[2]، وَأُزُوفِ ٱلانْتِقَالِ[3]، وَعَلَزِ ٱلْقَلَقِ[4]، وَأَلَمِ ٱلْمَضَضِ[5] وَغُصَصِ ٱلْجَرَضِ[6]، وَتَلَفُّتِ ٱلاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ[7] وَٱلْأَقْرِبَاءِ، وَٱلْأَعِزَّةِ وَٱلْقُرَنَاءِ! فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ ٱلنَّوَاحِبُ[8]، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً[9]، وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ[10] ٱلْهَوَامُّ[11] جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ ٱلنَّوَاهِكُ[12] جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ[13]، وَمَحَا ٱلْحَدَثَانُ[14] مَعَالِمَهُ[15]، وَصَارَتِ ٱلْأَجْسَادُ

---

(١) آونة الفناء: جمع أوان، وهو الحَيْن، كزمان وأزمنة.

(٢) الزِّيال: مصدر زايلة مزايلة وزيالاً: فارقه.

(٣) الأزوف: الدنو والقرب.

(٤) العَلَز: قلق وخِفَّة وهلع تصيب الإنسان المريض والمحتضر.

(٥) المضض: الوجع وبلوغ الحزن من القلب.

(٦) الغُصص: جمع غُصَّة، وهي الشجا. والجريض: الرِّيق يغصّ به، جَرَّضَ بريقه، يبلع ريقه على همٌ وحزن بالجهد.

(٧) الحفدة: الأعوان والخدم، وقيل: ولد الولد والأصهار، واحدهم حافد.

(٨) النواحب: جمع ناحبة، وهي الرافعة صوتها بالبكاء، ويروى: «النوادب».

(٩) غودر: تُرك وبقي. ورهيناً: حبيساً.

(١٠) هتكت: جذبت جلدته فقطعتها.

(١١) الهوامّ: جمع هامّة، وهي ما يخاف ضرره من الحيات، وكل ذي سمّ يقتل كالعقارب ونحوها.

(١٢) النواهك: جمع ناهكة، وهي ما ينهك البدن، أي يبليه، من قولهم: نهكه السلطان، إذا بالغ في عقوبته.

(١٣) عفت: دَرَست ومحت، ويروى بالتشديد. والعواصف: الرياح الشديدة.

(١٤) *الحدثان: مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث.*

(١٥) المعالم: جمع مَعْلَم، وهو ما يستدلّ به.

شَجِبَةٌ بَعْدَ بَضَّتِهَا[1]، وَالْعِظَامُ نَخِرَةٌ[2] بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا[3]، مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا[4]، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا[5]، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا[6]!

أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ[7]، وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ[8]؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا[9]، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

---

(١) شَجِبة: هالكة، والشَّجَب: الهلاك. والبضة ـ هنا ـ الواحدة من البض، وهو مصدر بضّ الماء، إذا ترشح قليلاً قليلاً، أي بعد امتلائها حتى كأنّ الماء يترشّح منها.

(٢) نخرة: بالية.

(٣) الأعباء: الأثقال، جمع عِبْء، أي حمل.

(٤) «موقنة بغيب أنبائها» أي منكشفاً لها ما كان غائباً عنها من أخبارها وما أُعدّ لها في الآخرة، لأنّ الميت يعلم بعد موته ما يصير إليه حاله من جنة أو نار.

(٥) لا تكلف بعد ذلك زيادة في العمل الصالح فإنّه لا عمل بعد الموت، ولا يطلب منها التوبة من القبيح؛ لأنّ التكليف قد بطل.

(٦) لا تستعتب: مبني للمفعول، أي لا يطلب منها تقديم العتبى: أي التوبة من العمل القبيح أو مبني للفاعل، أي لا يمكنها أن تطلب الرضا، والإقالة من خطئها السيئ. *وزللها: خطئها، وأصله انزلاق القدم.*

(٧) القِدّة: الطريقة، ويُقال لكل فِرْقة من الناس إذا كانت ذات هوىً على حدة: قِدّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وكُنّا طرائِقَ قِدَداً﴾ [سورة الجن: ١١] ويروى: «وتركبون قُذَّتهم» قذة السهم: الريشة، والمعنى: تقتفون آثارهم وتشابهونهم في أفعالهم.

(٨) تطأون جادتهم: تسيرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء، أي يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت.

(٩) كأنّ المعنيّ أي المقصود بالتكاليف الشرعية والموجه إليه التحذير والتبشير غيرها، وقوله كأنّ الرشد ... أي مع أنّ الرشد لم ينحصر في هذا، بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى ٱلصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ[1]، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ[2].

فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ عِبَادَ ٱللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ ٱلتَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ ٱلْخَوْفُ بَدَنَهُ[3]، وَأَسْهَرَ ٱلتَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ[4]، وَأَظْمَأَ ٱلرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ[5]، وَظَلَفَ[6] ٱلزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ ٱلذِّكْرُ بِلِسَانِهِ[7]، وَقَدَّمَ ٱلْخَوْفَ لِأَمَانِهِ[8]، وَتَنَكَّبَ ٱلْمَخَالِجَ عَنْ

---

(١) أنّ مجازكم... أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض، والدحض: هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار، مكانٌ دَحْض ودَحَض، بالتحريك، أي زلَق، وأدحضته أنا أزلقته فدحض هو.

(٢) الأهاويل: الأمور المفزعة، وتارات أهواله كقوله: دفَعات أهواله. وجعلها تارات، لأنّ الأمور الهائلة إذا استمرت لم تكن في الإزعاج والترويع، كما تكون إذا طرأت تارة وسكنت تارة. والزلل: هو انزلاق القدم. والتارات: النوب والدفعات.

(٣) أنصب الخوف بدنه: أتعب، والنَّصَب: التعب.

(٤) التهجّد هنا: صلاة الليل، وأصلُه: السهر، وقد جاء التهجُّد بمعنى النوم أيضاً، وهو من الأضداد. والغِرار: قلّة النّوم، وأصله قلّة لبن الناقة؛ يُقال: غارت الناقة تغار غِراراً فهي مُغارٌ قلّ لَبَنُها. يقول: أسهره التهجّد: أي أزال قيام الليل نومه القليل فأذهبه بالمرة. ووصفه لقلّة النوم بالسهر وإنّما يوصف بالسّهَر الإنسان نفسه، من باب المجاز؛ كقولهم ليل ساهر، وليل نائم.

(٥) الهواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ. وأظمأ الرجاء ... : أي أظمأ نفسه في هاجرة اليوم، والمعنى صام رجاء الثواب.

(٦) ظَلَف: منع.

(٧) أوجف: أسرع، كأنه جعل الذّكر لشدة تحريكه اللسان مُوجِفاً به، كما توجف الناقة براكبها، والوجيف: ضرب من السَّيْر [وعند عبده: «وأرجف الذِّكْرُ»] وأرجف به أي حركه.

(٨) «قدّم الخوف لأمانه» اللام ههنا لام التعليل، أي قدّم خوفه ليأمن، أي خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة. [وعند عبده «قدّم الخوفَ لإبّانه»] وإبّان الشيء بكسر فتشديد: وقته الذي يلزم ظهوره فيه، أي أنّه خاف في الوقت الذي ينفع فيه الخوف.

وَضَحِ ٱلسَّبِيلِ[1]، وَسَلَكَ أَقْصَدَ ٱلْمَسَالِكِ[2] إِلَى ٱلنَّهْجِ ٱلْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ ٱلْغُرُورِ[3]، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ ٱلْأُمُورِ[4]، ظَافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى، وَرَاحَةِ ٱلنُّعْمَى[5]، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمَنِ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ حَمِيداً[6]، وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيداً، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ[7]، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ[8]، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ[9]، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ[10]. فَكَفَى بِٱلْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً، وَكَفَى بِٱلنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً! وَكَفَى بِٱللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً! وَكَفَى بِٱلْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً[11].

---

(١) تنكب الشيء: مال عنه. والمَخَالِج: الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه، والوَضَح ـ محركة ـ: الجادة، وعن وضح متعلق بالمخالج، أي تنكب المائلات عن الجادة.

(٢) أقصد المسالك: أقومها، وطريق قاصد: أي مستقيم.

(٣) فتله عن كذا، أي ردّه وصرفه، وهو قلب «لفت».

(٤) لم تعم عليه ـ من عمي يعمى ـ: أي لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها بحذر على غير بصيرة.

(٥) النُّعمى ـ بالضم ـ: سعة العيش ونعيمه، وظافراً حال من الضمائر السابقة العائدة على ذي لبّ، وفي أنعم متعلق براحة النعمى، وجعل اتّصافه بتلك الأوصاف في حال الظفر تمثيلاً لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها إيّاها.

(٦) العاجلة: الدنيا، وسميت معبراً لأنّها طريق يعبر منها إلى الآخرة وهي الآجلة.

(٧) بادر من وجل: أي سبق إلى خير الأعمال خوفاً من لقاء الأهوال.

(٨) أكمش: أسرع، ومثله انكمش وكمشته تكميشاً: أعجلته، والمراد جدّ السير في مهلة الحياة.

(٩) أي رغب فيما ينبغي طلبه، وذهب وانصرف عمّا يجب الهروب منه.

(١٠) نظر قُدُماً أمامه: أي ونظر ما بين يديه مقدماً لم يَثْنِ ولم يعرّج. أو أنت عينه القُدُم بضمتين: وهو السابق، أي نظر إلى ما يتقدم أمامه من الأعمال.

(١١) الكتاب: القرآن. وحجيجاً وخصيماً: أي مقنعاً لمن خالفه بأنّه جلب الهلاك على نفسه، وقد يراد من الكتاب: ما أحصى من الأعمال على العامل إذا عرض عليه يوم الحساب.

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَٱحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ[1]، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي ٱلصُّدُورِ خَفِيّاً[2]، وَنَفَثَ فِي ٱلآذَانِ نَجِيّاً[3]، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى[4]، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ ٱلْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ ٱلْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا ٱسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ[5]، وَٱسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ[6]، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ[7]، وَٱسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ ٱلْإِنْسَانِ

أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ[8]، وَشُغُفِ[9] ٱلْأَسْتَارِ، نُطْفَةً

---

(١) «أعذرَ بما أنذر» ما ههنا مصدرية، أي أعذر بإنذاره، ويجوز أن تكون بمعنى «الذي». والمعنى سلب عذر المعتذر بإنذاره إيّاه بعواقب العمل، وقامت له الحجة على الضالين بما نهج وأوضح من طرق الخير والفضيلة.

(٢) العدوّ المذكور: الشيطان، ونفذ في الصدور ... تمثيل لدقة مجاري وسوسته في الأنفس. فهو فيما يسوّله يجري مجرى الأنفاس، ويسلك بما يأتي من مسالك الأصدقاء كأنّه نجيّ يسارك وينفث في أذانك بما تظنه خيراً لك.

(٣) النجيّ: الذي يسارّه، أي يحادثه سرّاً، والجمع الأنجية، وقد يكون النجيّ جماعة مثل الصديق، قال تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيّاً﴾ [يوسف: ٨٠].

(٤) أردى: أهلك. ووعد فمنّى: أي صوّر الأماني كذباً.

(٥) القرينة ههنا: الإنسان الذي قارنه الشيطان، قال تعالى: ﴿فبئس القرين﴾ [الزخرف: ٣٨] ويجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس، يقارنها بالوسوسة. واستدرجها: أنزلها من درجة الرشد إلى درجته من الضلالة.

(٦) يقال: غَلِق الرّهن إذا لم يفتكّه الراهن في الوقت المشروط، فاستحقّه المرتهن.

(٧) أنكر ...: بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن أغواه عندما تحقّ كلمة العذاب.

(٨) «أم» هنا إمّا استفهامية على حقيقتها، كأنّه قال: أعظكُم بحال الشيطان، أم بحال الإنسان، وإمّا أن تكون منقطعة بمعنى «بل»، فبعدما بيّن وصف الشيطان انتقل لبيان صفة الإنسان.

(٩) الشُّغُف: جمع شَغاف، بفتح الشين، وأصله غلاف القلب، استعاره للمشيمة، يُقال: شغفه الحبّ، أي بلغ شغافه.

دِهَاقاً[1]، وَعَلَقَةً مِحَاقاً[2]، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً[3]، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِراً[4]؛ حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ[5]، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ[6] سَادِراً[7]، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ[8]، كَادِحاً[9] سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ[10]؛ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[11]، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً[12]، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً[13]،

---

(١) دهاقاً: متتابعاً، دهقها: أي صبّها بقوة، وقد تفسّر الدِهاق بالمملوءة، أي ممتلئة من جراثيم الحياة. ويروى «دفاقاً» من دَفَقت الماء أي صببته.

(٢) «وعَلَقَةً محاقاً» المحاق: ثلاث ليال من آخر الشهر، وسميت محاقاً لأنّ القمر يمتحق فيهنّ، أي يخفى وتبطل صورته، وإنّما جعل العَلَقَة محاقاً هنا؛ لأنّها لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعد؛ فكانت ممحوّة ممحوقة.

(٣) الجنين: الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه، واليافع: الغلام المرتفع، راهق العشرين.

(٤) يقصر: يكف عن الرذائل ممتنعاً عنها بالعقل والرويّة.

(٥) استوى مثاله: أي بلغت قامته حدّ ما قُدّرَ لها من النمو.

(٦) خبط البعير: إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئاً.

(٧) السادر: المتحير أو الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع، والموضع يحتمل كلا التفسيرين.

(٨) الماتح: الذي يستقي الماء من البئر وهو على رأسها، والمائح: الذي نزل البئر إذا قلّ ماؤها، فيملأ الدلاء. والغَرْب: الدلو العظيمة، أي لا يستقي إلّا من الهوى.

(٩) الكدح: شدة السعي والحركة.

(١٠) بدوات: جمع بداة، أي ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها دواعيه، أي ذاهباً فيما يبدو له من رغائبه، غير متقيد بشريعة، ولا ملتزم صدور فضيلة.

(١١) لا يحتسب رزية: أي لا يظنها، ولا يفكر في وقوعها، ولا يخشع من التقية والخوف من الله تعالى.

(١٢) مات غريراً: أي شاباً، ويمكن أنْ يراد به أنّه غير مجرّب للأُمور، أي مغروراً، ويروى عزيزاً بمعجمتين، أي شاباً، وهي رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم.

(١٣) عاش في هفواته ... : عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب←

لَمْ يُفِدْ عِوَضاً[1]، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً. دَهِمَتْهُ[2] فَجَعَاتُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ[3]، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ[4]، فَظَلَّ سَادِراً[5]، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ ٱلْآلَامِ، وَطَوَارِقِ ٱلْأَوْجَاعِ وَٱلْأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِٱلْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً[6]؛ وَٱلْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ[7]، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[8]، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ[9]، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ[10]، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ[11].

← زمناً يسيراً وهو مدة الأجل، ويروى أسيراً. والهفوة: الزلة.

(١) لم يُفِد عوضاً: أي لم يكتسب ولم يستفد ثواباً.

(٢) دهمته: غشيته.

(٣) غُبَّر: جمع غابر أي باقي، وغُبَّر جماحه: بقاياه. والجماح: الشِّرَّة وارتكاب الهوى، أي في بقايا تعنته على الحق وعدم انقياده له.

(٤) سَنَن مِراحه: السَّنَن: الطريقة، والمِرَاح: شدة الفرح والنشاط والبطر.

(٥) السادر ههنا غير السادر الأول، لأنه ههنا المغمى عليه كأنه سكران، ومراده ﷺ ههنا أنه بَدَأ به المرض، وذلك بعدما غشيته فجعات المنية، وهي عوارض الأمراض المهلكة التي تفضي إلى الموت.

(٦) لادمة للصدر: ضاربة له.

(٧) سكرة مُلْهِثة: تجعل الإنسان لاهثاً لشدّتها، ويروى «ملهية» [كما أثبتناها في المتن] أي تُلهي الإنسان وتُشغله.

(٨) الغمرة: الشدة تحيط بالعقل والحواس. والكارثة: القاطعة للآمال، من «كرثه الغم» اشتد عليه وبلغ منه غاية المشقة.

(٩) الأنّة ـ بفتح فتشديد ـ: الواحدة من الأنّ، أي التوجع.

(١٠) الجذبة: جذب الملك الرُّوح من الجسد، أو جذب الإنسان إذا احتضر ليُنَجَّى، أو جذبات الأنفاس عند الاحتضار.

(١١) السوقة: من سياق الروح عند الموت، من ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسياقاً، وسيق: على المجهول شرع في نزع الروح.

ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً(1)، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً(2)، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلْأَعْوَادِ(3)، رَجِيعَ وَصَبٍ(4)، وَنِضْوَ سَقَمٍ(5)، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ ٱلْوِلْدَانِ(6)، وَحَشَدَةُ ٱلْإِخْوَانِ(7)، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ(8)، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ؛ حَتَّى إِذَا ٱنْصَرَفَ ٱلْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ ٱلْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً(9) لِبَهْتَةِ ٱلسُّؤَالِ(10)، وَعَثْرَةِ ٱلِامْتِحَانِ.

وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ ٱلْحَمِيمِ(11)، وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ ٱلسَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ(12) ٱلزَّفِيرِ(13)، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ(14)، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ

---

(1) المبْلِس: الذي يَئس من رحمة الله، أبلس يبلس: يئس، فهو مبلس. ومنه سمّي إبليس. والإبلاس أيضاً: الانكسار والحزن.

(2) السَّلِس: السَّهل المقاد، لعدم قدرته على الممانعة.

(3) الأعواد ـ هنا ـ: خشب الجنازة.

(4) رجيع وَصَبٍ: الرَّجيع المعنّى الكالّ. والوصب: الوجع، الموصَّب ـ بالتشديد ـ: الكثير الأوجاع، والوصب: التعب. والرجيع من الدواب: ما رجع به من سفر إلى سفر فكلّ.

(5) النِّضو: الهزيل.

(6) الحفدة: الأعوان.

(7) حشدة الإخوان: المسارعون في التعاون، جمع حاشد، وهو المتأهّب المستعدّ.

(8) دار غربته: قبره. وكذلك: منقطع زورته، لأنّ الزيارة تنقطع عنده فلا يزار.

(9) أُقعد في حفرته: هذا تصريح بعذاب القبر. والنجي: المناجي، من تحادثه سرّاً. والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكلّفين له.

(10) بهتة السؤال: حيرته.

(11) الحميم في الأصل: الماء الحار، والتصلية: الإحراق، والمراد هنا دخول جهنم.

(12) السَّوْرة: الشدّة.

(13) الزفير: صوت النار عند توقدها.

(14) الفترة: السكون، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذّب من الألم، ولا تكون دِعة: أي راحة، حتى تزيح ما أصابه من التعب، وليست له قوة تحجز عنه وترد غواشي العذاب.

اجِزَةٌ(١)، وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ(٢)، بَيْنَ أَطْوَارِ ٱلْمَوْتَاتِ(٣)، وَعَذَابِ ٱلسَّاعَاتِ! إِنَّا بِٱللَّهِ ائِذُونَ(٤)!

عِبَادَ ٱللَّهِ، أَيْنَ ٱلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا(٥)، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا(٦)، سُلِّمُوا فَنَسُوا(٧)! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً! حْذَرُوا ٱلذُّنُوبَ ٱلْمُوَرِّطَةَ(٨)، وَٱلْعُيُوبَ ٱلْمُسْخِطَةَ.

أُولِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ(٩)، وَٱلْعَافِيَةِ وَٱلْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ(١٠) أَوْ خَلَاصٍ، وْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ(١١)! أَمْ لَا؟ ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(١٢)﴾؟، أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ، أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ، ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ،

---

(١) لا يموته يجد موتة تذهب بإحساسه عن الشعور بتلك الآلام. والناجز: الحاضر.

(٢) السِنة ـ بالكسر والتخفيف ـ: أوائل النوم، ومسْلية: ملهية عن الألم.

(٣) أطوار الموتات، أراد بها الآلام المطبقة، وكل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها. وأطوار هذه الموتات: ألونها وأنواعها.

(٤) عذتُ بفلان: استعذتُ به، أي التجأت إليه.

(٥) عُمِّروا ... : عاشوا فتنعموا.

(٦) أُنظروا: أُمهلوا فألهاهم المهل عن العمل، وذلك بعد أن علموا ففهموا، وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ويضيعوا الفرصة.

(٧) سلمت عاقباتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله في السلامة.

(٨) الذنوب المورّطة: المهلكة التي تُلقي أصحابَها في الورطة، وهي الهلاك.

(٩) ناداهم نداءً بعدالنداء الذي في أول الفصل، وهو قوله «عباد الله»، فقال: يا مَنْ منحهم الله أبصاراً وأسماعاً... .

(١٠) المناص: الملجأ والمفرّ.

(١١) المحار: المرجع، من حار يحور أي رجع بأي مرجع إلى الدنيا بعد فراقها.

(١٢) تؤفكون: تقلَبون، أي تنقلبون.

قِيدُ قَدِّهِ(1)، مُنعَفِراً عَلَى خَدِّهِ(2).

اَلْآنَ عِبَادَ اَللّٰهِ، وَاَلْخِنَاقُ مُهْمَلٌ(3)، وَاَلرُّوحُ مُرْسَلٌ(4)، فِي فَيْنَةِ اَلْإِرْشَادِ(5) وَرَاحَةِ اَلْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ اَلاِحْتِشَادِ(6)، وَمَهَلِ اَلْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ اَلْمَشِيَّةِ(7)، وَإِنْظَارِ اَلتَّوْبَةِ، وَاَنْفِسَاحِ اَلْحَوْبَةِ(8)، قَبْلَ اَلضَّنْكِ(9) وَاَلْمَضِيقِ، وَاَلرَّوْعِ وَاَلزُّهُوقِ(10)، وَقَبْلَ قُدُومِ اَلْغَائِبِ اَلْمُنْتَظَرِ(11)، وَأَخْذَةِ اَلْعَزِيزِ اَلْمُقْتَدِرِ.

قَالَ اَلرَّضِيُّ رحمه الله: وَفِي اَلْخَبَرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ لَمَّا خَطَبَ بِهَذِهِ اَلْخُطْبَةِ اِقْشَعَرَّتْ لَهَا اَلْجُلُودُ، وَبَكَتِ اَلْعُيُونُ، وَرَجَفَتِ اَلْقُلُوبُ. وَمِنَ اَلنَّاسِ مَنْ يُسَمِّي هَذِهِ اَلْخُطْبَةَ: «اَلْغَرَّاءَ».

---

(1) قِيدُ قَدِّهِ: مقدارُ قدِّه، أي طوله، والمراد ـ هاهنا ـ مضجعه من القبر، لأنّه بمقدار قامة الإنسان.

(2) المُنعفِرُ: الذي لامسَ العَفَر، وهو التراب. (وفي نسخة عبده والصالح متعفّراً)

(3) أي: اعملوا الآن وأنتم مخلّوْنَ متمكّنون لم يعقَد الحبل في أعناقكم، ولم تقبض أرواحكم. والخناق: الحبل الذي يخنق به، وإهماله عدم شدّه على العنق مدى الحياة، أي وأنتم في قدرة من العمل وسعة من الأمل.

(4) الروح يُذكّر ويؤنث.

(5) الفينة: الوقت والحال والساعة، ويروى «وفَيْنَة الارتياد» وهو الطَّلب.

(6) باحة الدار: ساحتها، والاحتشاد: الاجتماع، أي أنتم في ساحة يسهل عليكم فيها التعاون على البر باجتماع بعضكم على بعض.

(7) أُنُف المشيّة: أول أوقات الإرادة والاختيار، لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لأمكنكم.

(8) وانفساح الحوبة: أي سعة وقت الحاجة، والحَوْبة: الحاجة والأَرَب أو الحالة.

(9) الضَّنْك: الشدّة.

(10) الروع: الخوف، والزهوق: الاضمحلال.

(11) الغائب المنتظر: الموت.

٨٤ـ ومن خطبة له عليه السلام (ه)

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً لابْنِ ٱلنَّابِغَةِ(١)! يَزْعُمُ لِأَهْلِ ٱلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٢)، وَأَنِّي ٱمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ(٣)، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٤)! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا ـ وشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٥)، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ ٱلإِلَّ(٦)؛ فَإِذَا كانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ ٱلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا(٧)، فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ ٱلْقَوْمَ سَبَّتَهُ(٨).

(ه) ذكرها ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ٣ ص ١٠ وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٨٧.

---

(١) النابغة: المشهورة فيما لا يليق بالنساء، من نبغ إذا ظهر.

(٢) الدُّعابة: المُزاح واللعب.

(٣) رجلٌ تِلْعابة ـ بكسر التاء ـ: كثير اللعب.

(٤) المعافسة: المعالجة والمصارعة. أعافس: أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً، ويقال المعافسة: معالجة النساء بالمغازلة. والممارسة: كالمعافسة.

(٥) يسأل ها هنا مبني للفاعل، ويُسأل في الجملة بعدها للمفعول. يُلحِف: يلحّ في السؤال؛ قال تعالى ﴿لا يسألونَ الناسَ إلحافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(٦) الإلّ: العهد أو القرابة، والمراد أنه يقطع الرحم.

(٧) ما لم تأخذ السيوف مأخذها، أي ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرؤوس، أي هو مليٌّ بالتحريض قبل أن تلتحم الحرب، فإذا التحمت واشتدّت فلا يمكث، فهو في الحرب زاجر وآمر عظيم، أي محرِّض حاثٌّ ما لم تأخذ السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال: فإذا كان ذلك... .

(٨) السَّبّة: الإست، والسُّبّة بالضم: الإست أيضاً، تعريض له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين في واقعة صفين، فصال عليه وكاد يضرب عنقه فكشف عورته فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه. أوعاد عنه وتعالى: أن يمنح القوم سبّته.

أَمَا وَٱللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ نِسْيَانُ ٱلآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً(١)، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ ٱلدِّينِ رَضِيخَةً(٢).

٨٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

في تعظيم الله وتمجيده

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ٱلْأَوَّلُ لَاشَيْءَ قَبْلَهُ، وَٱلآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ ٱلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تُعْقَدُ ٱلْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ(٣)، وَلَا تَنَالُهُ ٱلتَّجْزِئَةُ وَٱلتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْقُلُوبُ(٤).

(*) ذكرها الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ)، وابن سبط الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٣١.

(١) الأتيّة: العطية، والمراد بالأتيّة والرضيخة ـ هنا ـ ولاية مصر.

(٢) رضخ له رضخاً: أعطاه عطاءً كثيراً أو أعطاه قليلاً، وهي الرضيخة: لما يعطى.

(٣) تُعْقَد مجاز عن استقرار حكمها، أي ليست له كيفية فتحكم بها.

(٤) في هذا الفصل على قصره ثماني مسائل من مسائل التوحيد:

الأُولى: أنّه لا ثاني له سبحانه في الإلٰهية.

الثانية: أنّه قديم لا أول له.

الثالثة: أنّه أبديّ لا انتهاء ولا انقضاء لذاته.

الرابعة: نفي الصفات.

الخامسة: نفي كونه مكيّفاً.

السادسة: أنّه غير متبعّض لأنّه ليس بجسم ولا عَرَض.

السابعة: أنّه لا يُرى ولا يدرَك.

ومنها: فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللّهِ بِالْعِبَرِ(١) النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ(٢) السَّوَاطِعِ(٣)، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ(٤) الْبَوَالِغِ(٥)، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ(٦)، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ(٧)، فَـ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

ومنها في صفة الجنّة

دَرَجَاتٌ(٨) مُتَفَاضِلاَتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا(٩).

← الثامنة: أنّ ماهيته غير معلومة.

(١) العِبَر: جمع عِبْرَة، وهي ما يُعتبر به أي يُتّعظ.

(٢) الآي: جمع آية، وهي الدليل، ويجوز أن يريد بها آي القرآن، ويجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه، وفي غرائب الحوادث في العالم.

(٣) السواطع: المشرقة المنيرة، والظاهرة الدلالة.

(٤) النذر: جمع نذير، وهو المخوِّف أو الإنذار، والمراد إنذار المنذرين.

(٥) البوالغ: جمع البالغة، غاية البيان لكشف عواقب التفريط.

(٦) مفظعات الأمور: شدائدها الشنيعة، من أفظع الأمر إذا اشتد، ويقال: أُفظع الرجل للمجهول إذا نزلت به الشدة.

(٧) «السياقة إلى الورد المورود» يعني الموت أو المحشر، والأصل فيه الماء يورد للري.

(٨) الدّرَجات: جمع درجة، وهي الطبقات والمراتب.

(٩) يبأس: يصيبه البؤس والشقاء، مضارع بئس كسمع: اشتدت حاجته.

٨٦- ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي ٱلْوَعْظِ

قَدْ عَلِمَ ٱلسَّرَائِرَ، وَخَبَرَ ٱلضَّمَائِرَ[1]، لَهُ ٱلْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَٱلْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَٱلْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ[2]، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ[3]، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ[4] قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ[5]، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ[6].

فَاللهَ ٱللهَ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ فِيمَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَٱسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ

(*) ذكرها الدينوري في (الأخبار الطوال) ص١٤٥، وابن شعبة في (تحف العقول) ص١٠٠، والبرقي في (المحاسن) ص٢٣٣.

---

(١) السرائر: جمع سَرِيرة، وهو ما يكتم من السِّرّ، وخَبَرَ الضمائر -بفتح الباء- امتحنها وابتلاها، ومن رواه بكسر الباء أراد «علم» والاسم الخُبْر -بضم الخاء- وهو العلم. والضمائر: جمع ضمير، وهو ما تضمره وتكنّه في نفسك.

(٢) المهَل: المهلة والتؤدة.

(٣) الإرهاق: مصدر أرهق، تقول: أرهقه، إذا غشيه ليقتله، وإرهاق الأجل: أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمل أي يحول بينه وبينه.

(٤) في متنفَّسه: أي في سعَة وقته.

(٥) الكَظَم بفتحهما: مخرج النَّفَس أو الحلق، والجمع أكظام، والأخذ بالكظم: كناية عن التضييق عند مداركة الأجل.

(٦) يجوز ظعنه وظعَنه، بتحريك العين وتسكينها.

ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدَىً[1] وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ[2]، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً[3]، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ ـ دِينَهُ ٱلَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ ـ عَلَى لِسَانِهِ ـ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ[4]، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلْمَعْذِرَةَ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِٱلْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

فَٱسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَٱصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ[5]، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا ٱلْغَفْلَةُ، وَٱلتَّشَاغُلُ عَنِ ٱلْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ ٱلرُّخَصُ مَذَاهِبَ ٱلظَّلَمَةِ[6]، وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمْ[7] ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ.

عِبَادَ ٱللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ[8]؛ وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ

---

(١) السُّدى: المهمَل، ويجوز بالفتح، أسديت الإبل: أهملتها.

(٢) قوله: «قد سمّى آثاركم» يفسّر بتفسيرين: أحدهما: قد بيّن لكم خيرها وشرها، أي بيّن لكم أعمالكم وحدّدها، والثاني: قد أعلى مآثركم، أي رفع منازلكم إن أطعتم.

(٣) عمّر نبيه: مدّ في أجله.

(٤) محابّه: جمع محبة، ومواضع حبّه هي الأعمال الصالحة. ومكارهه: جمع مَكْرهة، وهي ما تُكره.

(٥) اصبروا أنفسكم: اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها.

(٦) الظَلَمة: جمع ظالم.

(٧) المداهنة: النفاق والمصانعة وإظهار خلاف ما في الطوية، والادّهان مثله.

(٨) «إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه» لأنّه قد صانها من العقاب، وأوجب لها الثواب: وذلك غاية النصيحة.

أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ[1]؛ وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ[2]، وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ[3]، وَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ[4]، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ[5]، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ[6]. جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ. ٱلصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ[7]، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ[8] مَهْوَاةٍ[9] وَمَهَانَةٍ[10]. وَلَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ[11]؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ[12] فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

---

(١) «وإنَّ أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه» لأنّه ألقاها في الهلاك الدائم، وذلك أقصى ما يمكن من غشها والإضرار بها.

(٢) المغبون: المخدوع.

(٣) المغبوط: الذي يُتمنَّى مثلُ حاله واستحق تطلع النفوس إليه والرغبة في نيل مثل نعمته.

(٤) الرياء: أن تعمل ليراك الناس وقلبك غير راغب فيه.

(٥) مَنْساة للإيمان: موضع نسيانه وداعية للذهول عنه، أي داعية إلى نسيان الإيمان وإهماله.

(٦) محضرة الشيطان: موضع حضوره، وداعٍ له.

(٧) شفا منجاة: أي حَرف نجاة وخَلَاص، وشفا الشيء حرفه.

(٨) الشّرف: المكان العالي، وأشرفت عليه، أي اطّلعت من فوق.

(٩) المهواة: موضع السقوط.

(١٠) المهانة: الحقارة.

(١١) فإنّها أي المباغضة. والحالقة: أي الماحية لكل خير وبركة، والمستأصلة التي تأتي على القوم، كالحلق للشعر.

(١٢) الأمل الذي يذهل العقل وينسي ذكر الله وأوامره ونواهيه، هو استقرار النفس على ما وصلت إليه، غير ناظرة إلى تغير الأحوال، ولا آخذة بالحزم في الأعمال.

٨٧ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في صفاتِ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى

عِبَادَ اللّهِ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبادِ اللّهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ(١)، وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ(٢)؛ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ(٣)، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ(٤)، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ(٥). نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ(٦)، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً(٧)، وَسَلَكَ

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) باب العز والشرف.

---

(١) استشعر الحزن: جعله كالشعار، وهو ما يلي الجسد من الثياب. والحزن: العجز عن الوفاء بالواجب، وهو أَلِيمٌ لا يظهر له أثر في البعد عمّا يغضب الله، والمسارعة للعمل فيما يرضيه، وذلك أثر ظاهر.

(٢) تجلبب الخوف: جعله جلباباً، وهو ما يكون فوق جميع الثياب.

(٣) زهر مصباح الهدى: أضاء وتلألأ.

(٤) «أعدّ القرى ليومه» أي أعدّ ما قدّمه من الطاعات قِرىً لضيف الموت النازل به، والقرى بالكسر: ما يهيأ للضيف، وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل.

(٥) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له، ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية، وذلك هو الشديد.

(٦) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه. والعذب والفرات مترادفان.

(٧) فشرب نَهَلاً: يجوز أن يكون أراد بقوله: «نَهَلاً» المصدر، من نَهَلَ يَنْهَلُ نَهلاً، أي شرب حتى رَوِي، ويجوز أنْ يريد بالنَّهل الشرب الأول فقط، ويريد أنّه اكتفى بما شربه أولاً، فلم يحتج إلى العلل وهو الشرب الثاني.

سَبِيلاً جَدَداً[1]. قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ، إِلَّا هَمّاً وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ[2]، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ ٱلْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ ٱلْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ ٱلرَّدَى. قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ[3]، وَٱسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ[4] فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ: مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ[5]. مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ[6]، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ[7]، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ[8]،

---

(١) طريق جَدَد: لا عثار فيه لقوة أرضه، والجدَد ـ بالتحريك ـ: الأرض الغليظة، أي الصلبة المستوية ومثلها يسهل السير عليه.

(٢) الهمّ الواحد هو همّ الوقوف عند حدود الشريعة.

(٣) «قطع غِماره» يقال: بحرٌ غَمْر، أي كثير الماء، وبحار غِمار، جمع غَمْر ـ بالفتح ـ: معظم البحر، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة.

(٤) «نَصَب نفسه لله» أي أقامها.

(٥) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق سرّ الله في ذلك، فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلّا أصدره على وجهه، ولا يعرض له فرع إلّا ردّه إلى أصله.

(٦) كشّاف عَشَوات: جمع عَشْوة ـ بتثليث الأول ـ وهي الأمر الملتبس. [وأثبت عبده في المتن: كشّاف عشاوات] وعشاوات: جمع عشاوة سوء البصر أو العمى، أي أنه يكشف عن ذوي العشاوات عشاواتهم.

(٧) المعضلات: الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها.

(٨) دليل فلوات: أي يُهتدى به كما يهتدي الركب في الفلاة بدليلهم. والفلوات: جمع فلاة، الصحراء الواسعة، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق.

وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ. قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ فَٱسْتَخْلَصَهُ. فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ. قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ. فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ ٱلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ. يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا[1]، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا[2]، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[3]، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[4]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ[5]، فَٱقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ[6]، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ[7]، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَعَطَفَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ[8]، يُؤَمِّنُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ ٱلشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ، وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ؛ فَٱلصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، وَلَا بَابَ ٱلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، وَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ.

---

(١) أمّها: قصدها.

(٢) مظنة: أي موضع ظن لوجود الفائدة، ومظنة الشيء: حيث يُظنّ وجوده.

(٣) الكتاب: القرآن، «وأمكنه من زمامه» تمثيل لانقياده لأحكامه كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء.

(٤) الثَّقَل: متاع المسافر وحَشَمه، وثقل الكتاب: ما يحمل من أوامر ونواه.

(٥) آخر ... ، هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة يخالف في وصفه وصفه.

(٦) اقتبس: استفاد. وجهائل: جمع جهالة، ويراد منها هنا تصور الشيء على غير حقيقته، ولا يستفاد من الجهال إلّا ذلك.

(٧) الأضاليل: الضلالة، جمع أضلولة، ويقال: لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر، والضُّلّال ـ بضم فتشديد ـ: جمع ضال.

(٨) «قد حمل الكتاب على آرائه» يعني فسّر الكتاب وتأوّله على مقتضى هواه، وقد أوضح ذلك بقوله: «وعطف الحقّ على أهوائه»، أي حمل الحق على رغباته، أي لا يعرف حقاً إلّا إياها.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ وَ ﴿أَنَّى تُؤْفَكُونَ؟﴾(١) وَٱلْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ(٢)، وَٱلْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ(٣). فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ(٤)! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ(٥)! وَهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَقِّ(٦) وَأَعْلَامُ ٱلدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ ٱلصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ(٧)، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ ٱلْهِيمِ ٱلْعِطَاشِ(٨).

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ

---

(١) تُؤفكون: تُقلبون وتُصرفون بالبناء للمجهول.

(٢) الأعلام ـ هاهنا ـ: المعجزات، جمع عَلَم، وأصله الجبل أو الراية والمنارة، تنصب في الفلاة ليهتدى بها.

(٣) المنار: جمع منارة، والمراد هنا ما أُقيم علامة على الخير والشر.

(٤) «فأين يُتاه بكم» من التيه بمعنى الضلال والحيرة، أي أين يذهب بكم في التيه! ويقال: أرضٌ تَيهاء يتحيّر سالكها. وتعمهون: تتحيّرون وتَضِلّون.

(٥) عِترة رسول الله ﷺ: أهله الأدْنَون ونسله، وليس بصحيح أنهم رهطه وإن بعدوا. وقد بيّن رسول الله ﷺ عترته من هي، لما قال: «إني تارك فيكم الثَّقَلَين» فقال: «عترتي أهل بيتي» وبيّن في مقام آخر مَن أهلُ بيته حيث طرح عليهم الكساء، وقال حين نزلت: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]: اللهم هؤلاء أهلُ بيتي فأذهب الرجس عنهم، وأراد أمير المؤمنين بالعترة هنا نفسَه وولديه؛ والأصل في الحقيقة نفسه، لأنّ ولديه تابعان له.

(٦) «وهم أزِمّة الحق» جمع زِمام، كأنّه جعل الحق دائراً معهم حيث داروا، كما أنّ الناقة طوع زمامها، وقد نبّه الرسول ﷺ على صدق هذه القضية بقوله: «وأدِرِ الحقّ معه حيث دار».

(٧) «فأنزلوهم منازل القرآن» تحته سرٌّ عظيم، وذلك أنه أمرَ المكلَّفين بأن يُجْرُوا العِتْرة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مَجْرَى القرآن، يقول: أحلّوا عترة النبي من قلوبكم محلّ القرآن من التعظيم والاحترام، وإنّ القلب هو أحسن منازل القرآن.

(٨) «ورِدوهم وِرْد الهيم العطاش» أي كونوا ذوي حِرْصٍ وانكماش على أخذ العلم والدين منهم، كحرص الهيم الظِماء على وُرود الماء، وهلموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم: أي الإبل العطشى إلى الماء.

مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ[1]، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ[2]، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَهُوَ أَنَا -، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ[3]! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ؟ وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَ فَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي[4]، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي. فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ[5].

ومنها: حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ[6]؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا[7]، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ

---

(١) خذوا هذه القضية عنه، وهي أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور في عالم الظهور.

(٢) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها، وأكثر الحقائق دقائق.

(٣) الثَّقَل هنا: بمعنى النفيس من كل شيء. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم الثَّقَلَين: كتاب الله، وعترتي» أي النفيسين. وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن ويترك الثقل الأصغر وهو ولداه، يقال عترته قدوة للناس.

(٤) فرشتكم: بسطت لكم.

(٥) نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة وعجائب ما منحها الله تعالى، فقال: إنَّ أمرنا صعبٌ لا تهتدي إليه العقول، ولا تدرك الأبصار قعرَه، ولا تتغلغل الأفكار إليه، والتغلغل: الدخول، من تغلغل الماء بين الشجر، إذا تخللها ودخل بين أُصولها.

(٦) معقولة: محبوسة بعقال كما تعقَل الناقة.

(٧) تمنحهم: تعطيهم، والمنح: العطاء. والدَّرّ في الأصل: اللَّبن، ثم استعمل الدَّرّ في كل خير ونفع، فقيل: لا دَرّ درّه، أي لا كثَّر خيره، ويقال في المدح: لله درّه أي عمله. جعل الدنيا كناقة معقولة عليهم، مقصورة عليهم، مسخَّرة لهم، كأنهم شدّوها بعقال كالناقة تمنحهم درها، أي تمنحهم لبنها.

لِذٰلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ[1] يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً[2]، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً[3].

٨٨ـ ومن خطبة له عليه السلام[*]

فِي وَصْفِ مَا عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْخَطَأ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ لَمْ يَقْصِمْ[4] جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ[5]، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ[6]؛ وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ

(*) رواها الكليني في (الروضة) ص٦٢، والشيخ المفيد في (الإرشاد) ص ١٧٣، وفسر غريبها ابن الأثير في (النهاية) في مادة أزل.

(١) مجة من لذيذ العيش، مصدر مَجَّ الشراب من فيه، أي رمى به وقذفه، ويقال: انمجّت نقطة من القلم، أي ترشّشت، وشيخ ماجّ، أي كبير يمجّ ريقه، ولا يستطيع حبسه لكبره. [وأثبت حبده في المتن بمُجّة] ومُجة بضم الميم: واحدة المُج ـ بضمها أيضاً ـ: نقط العسل، أي قطرة عسل تكون في أفواههم كما تكون في فم النحلة، يذوقونها زماناً ثم يلفظونها، وهذا التفسير أفضل من تفسير المجة ـ بالفتح ـ بالواحدة من مصدر مج الشراب من فيه.

(٢) يتطعمونها: أي يذوقونها. وبُرْهة: أي مدة من الزمان فيها طول.

(٣) لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً: رميته، وذلك الشيء اللُفاظة واللُفاظ. أي يلفظونها كلُها لايبقى منها شيء معهم.

(٤) القَصْم: الكسر، يقصم: يهلك، يقال: قصمتُه فانقصم، وقصّمته فتقصّم، ورجل أقصم الثنيّة: أي مكسورها.

(٥) التمهيل: التأخير، ويروى «ترجاء» وهو التأخير أيضاً، والرواية المشهورة «ورخاء» أي بعد إعطائهم من سعة العيش وخِصب الحال ما اقتضته المصلحة.

(٦) جبر العظم: طيه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً، والأزْل: الضيق والشدّة.

عَتْبٍ[1] وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ[2]. وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلاَ كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ.

فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ[3]، وَلاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ[4]، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا[5]، مَفْزَعُهُمْ[6] فِي الْمُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ[7]،

---

(١) عَتْب: أي مشقة، وسمّى المشقّة عتباً، لأنّ العَتْب مصدر عَتَب عليه، أي وَجَد عليه، فجعل الزمان كالواجد عليهم، القائم في إنزال مشاقّه بهم مقامَ الإنسان ذي الموجِدَة يعتِب على صاحبه، وروي «من عَتَب» بتحريك التاء، جمع عتَبَة أي أمر كريه من البلاء، وهو الأصح. يقال: «ما في هذا الأمر رتبة ولا عتبَة» أي شدة، أي أنّكم لجديرون أن تعتبروا بأقلّ من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم، وأقلّ من الخطب العظيم الذي مرّ بكم، فكيف بمثل هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها. وروي «من عَنَت» وهو الأمر الشاقّ.

(٢) وما استدبرتم من خطب، أي ما تصرّم عنهم من حروب ووقائع. ويروى «واستدبرتم من خِصْب» وهو رخاء العيش.

(٣) يقتصّون: يتبعون.

(٤) ولا يعِفّون ـ بكسر العين وتشديد الفاء ـ: من عففت عن الشيء، إذا كففت عنه. ويروى «ولا يَعْفُون عن عيب» أي لا يصفحون.

(٥) أي يستحسنون ما بدا لهم استحبابه، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه، بدون رجوع إلى دليل بيّن، أو شريعة واضحة يثق كل منهم بخواطر نفسه، كأنّه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص.

(٦) مفزعهم: ملجؤهم.

(٧) «كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه» أي أنّهم لا يستشيرون عالماً، ولا يستفتون فقيهاً، بل مفزعهم في الأمور المشكلة إلى أنفسهم وآرائهم، وهذه هي صفات مَن يدعي العلم والفضل. ويروى بحذف «كأنّ» وإسقاطها، وهو أحسن.

قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرىً ثِقَاتٍ[1]، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

٨٩ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يَذْكُرُ حَالَ النَّاسِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ[2]، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ[3]، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ[4]، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ[5]، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ[6]، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا[7]، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَإِعْوَارٍ مِنْ

(*) ذكرها القمي في (تفسيره) ص ٣، والكليني في (الأصول) ج ١ ص ٦٩.

(١) فيما يرى: أي فيما يظنّ. وروي: «عرىً وثيقات».

(٢) الفترة بين الرسل: انقطاع الرسالة والوحي، وقد كان بين محمد ﷺ وبين عهد المسيح عليه السلام عهداً طويلاً، أكثر الناس على أنّه ستمائة سنة.

(٣) الهجعة: النومة ليلاً.

(٤) «واعتزام الفتن» من قولهم «اعتزم الفرس» إذا مرّ جامحاً. أي وغلبة من الفتن، كأنّه جعل الفِتَن معتزمة، أي مريدة مصمّمة للشّغب والهرج. ويروى: «واعتراض»، ويروى: «واعترام» [كما في نسخة ابن أبي الحديد] من العَرام، وهي الشّرّة، يقال اعترم الفرس: سطا ومال.

(٥) التلظّي: التلهّب.

(٦) كاسفة النور: قد ذهب ضوؤها، كما تكسف الشمس، ثم وصفها بالتغيّر وذبول الحال فجعلها كالشجرة التي اصفرّ ورقها ويبس ثمرها وأعور ماؤها.

(٧) هذا وما بعده تمثيل لتغيير الدنيا وإشرافها على الزوال، ويأس الناس من التمتع بها أيام الجاهلية.

مَائِهَا[1]، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ ٱلرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا[2]، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا ٱلْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ[3]، وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا ٱلسَّيْفُ[4]. فَٱعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللهِ، وَٱذْكُرُوا تِيكَ[5] ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ[6]، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ[7]، وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ[8] كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ.

وَٱللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا

---

(١) الإغوار: ذهاب الماء، فلاة غَوْراء: لاماء فيها. ومن رواه «واغورار من مائها» جعله من غار الماء، أي ذهب. [رأيت عبده والصالح: «واغورار من مائها»] واغورار الماء: ذهابه.

(٢) متجهمة لأهلها: كالحة في وجوههم، من «تجهمه» أي استقبله بوجه كريه.

(٣) ثمرها الفتنة: أي ليست لها نتيجة سوى الفتن، طعامها الجيفة: يعني أكل الجاهلية الميتة من شدة الاضطرار، أو يكون على وجه الاستعارة، أي أكلها خبيث. ويروى «الخِيفة» أي الخوف.

(٤) جعل الخوف والسيف شعارها ودثارها، فالشعار ما يلي الجسد، والدِّثار فوق الشعار، وهذا من بديع الكلام، لأنّه لما كان الخوفَ يتقدّم السيفَ والسيفُ يتلُوه، جعل الخوفَ شِعاراً لأنّه الأقربُ إلى الجسد، وجعل الدِّثار تالياً له، فالخوف باطن والسيف ظاهر.

(٥) «واذكروا تيك» إشارة إلى المؤنثة الغائبة، وهي الدنيا التي تقدّم ذكرها، أو هي الأمانة التي عرضت على الإنسان وحملها، أو تيك إشارة إلى سيئات الأعمال، وبواطل العقائد، وقبائح العوائد.

(٦) الارتهان: الاحتباس، وهم بها مرتهنون: أي محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذلّ والضعف.

(٧) «ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب» أي لم يطل العهد، والأحقاب: المدد المتطاولة، جمع حُقُب ـ بالضم وبضمتين ـ قيل ثمانون سنة، وقيل أكثر، وقيل هو الدهر. والقرون: الأُمم من الناس.

(٨) «من يوم كنتم» يروى يومَ بفتح الميم على أنّه مبني، ويروى بجرّها بالإضافة، على اختلاف القولين في علم العربية.

أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِٱلْأَمْسِ[١]، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْأَوَانِ، إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ، وَٱللّٰهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ[٢]، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ[٣] جَائِلاً خِطَامُهَا[٤]، رِخْواً بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ[٥].

---

(١) «والله ما أسمعكم» روي «ما أسمعهم»، وقوله «بدون أسماعكم بالأمس» روي «بدون أسماعهم»*. فمن رواه بهاء الغيبة في الموضعين فالكلام منتظم، ومن رواه بكاف الخطاب، قال: إنّه خاطب به مَن صحب النبيّ ﷺ وشاهده وسمع خطابه؛ لأنّ أصحاب علي عليه السلام كانوا فريقين: صحابة وتابعين، ويعضد الرواية الأولى سياق الكلام.

(٢) أصفِيتُم به: أي خصصتم به ومنحتموه، من الصفيّ وهو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة، يقال: صفيّ وصفيّة. يريد أنّ حالهم كحال من سبقهم، وأنّ من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه، ومنهم من جهل فحلّ به من النكال ما حلّ. والإمام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك، وحال السامعين في المدارك كحال السابقين، وليس هؤلاء مختصين بشيء حرمه أولئك، ولا عالمين بأمر جهلوه.

(٣) «ولقد نزلت بكم البليّة» أي المحنة العظيمة، يعني فتنة معاوية وبني أُمية.

(٤) جائلاً خطامها؛ لأنّ الناقة إذا اضطرب زمامها استصعبتْ على راكبها، ويسمى الزمام خِطاماً لكونه في مقدّم الأنف، والخطم من كلّ دابة مقدّم أنفها وفمها، والخِطام: ما جعل في أنف البعير لينقاد به. وجولان الخطام: حركته وعدم استقراره لأنّه غير مشدود، وإنّما جعلها «رخواً بطانها» لتكون أصعب على راكبها؛ لأنّه لو استرخى البطان كان الراكب في معرض السقوط عنها، وبطان القَتَب: هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة، تأخذ فيهم مآخذها، لا مانع لها ولا مقاوم.

(٥) «إنّها ظلٌّ ممدود، إلى أجل معدود» وإنّما جعلها كالظلّ لأنّه ساكن في رأي العين، وهو متحرك في الحقيقة، لا يزال يتقلّص، فهو شبيه بالدنيا.

---

* العبارة في نسخة عبده: «ما أسمعهم شيئاً... بدون أسماعهم بالأمس».

٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام°

في بَعْضِ صِفاتِ ٱلْخَالِقِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[١]، ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً[٢]؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ[٣]، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ[٤]، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ[٥]،

(°) ذكرها الواسطي في (عيون الحكم)، والآمدي في (غرر الحكم) ص ١٨٥، وابن الأثير في (النهاية) ج٢ ص ٣٤٥.

---

(١) الرويّة: الفكرة وإمعان النظر، وأصلها الهمز، روّأتُ في الأمر، ومثلها البريّة من برأ، أي خلق، والذريّة من ذرأ، أي خلق أيضاً، والمعنى: أنّه تعالى يُعرف من غير أن تتعلق الأبصار بذاته، ويخلق من غير تروٍّ فيما يخلقه.

(٢) القائم والقيوم: الثابت الذي لا يزول، وقد فُسّر على معنى قولهم: فلان قائم بأمر كذا، أي والٍ وممسك له أن يضطرب.

(٣) الأبراج: الأركان، ولا مانع أنْ يُحمل لفظ الأبراج على الأبراج الاثني عشر المعروفة في علم الهيئة.

(٤) الإرتاج: مصدر أرتج أي أغلق، أي ذات إغلاق، ومن رواه «ذاتِ رِتاج» فالرِتاج الباب المغلق، ويَبعد رواية مَن رواه «ذات أرتاج» [كما في نسخة عبده] لأن «فعالاً» قلّ أن يجمع على «أفعال»، والأرتاج: جمع رَتَج بالتحريك: الباب العظيم. ويعني بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم وبين ملائكته، ويجوز أنْ يريد بالحجب السماوات أنفسها؛ لأنّها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكة فيه.

(٥) الداجي: المظلم.

وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ[١]، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ[٢]، وَلَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ[٣]، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ[٤]، ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ[٥] وَوَارِثُهُ، وَإِلٰهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ[٦]، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ[٧] وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ[٨]، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ[٩]، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ[١٠]، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ.

---

(١) الساجي: الساكن.

(٢) الفجاج: جمع فجّ، وهو الطريق الواسع بين جبلين.

(٣) المهاد: الفراش.

(٤) الخلق: بمعنى المخلوق، وذو اعتماد: أي بطش وتصرّف بقصد وإرادة.

(٥) مبتدع الخلق: مخرجه ومنشئه من العدم المحض. ووارثه: الباقي بعده.

(٦) دائبان: تثنية دائب وهو المجدّ المجتهد، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان، وذلك كما أراد سبحانه. وروي «دائبين» [كما في نسخة ابن المؤدب] بالنصب على الحال ويكون خبر المبتدأ «يُبْلِيَانِ»، وهذه من الألفاظ القرآنية.

(٧) آثارهم: قد يريد آثار وطئهم في الأرض، أو يريد حركاتهم وتصرّفاتهم.

(٨) خائنة الأعين: ما يومي به مسارقة وخفية، أو هي ما يسارق من النظر إلى ما لا يحلّ، وتلك أخفى مما قبلها.

(٩) من الضمير: بيان لما تخفي الصدور، وذلك أخفى من خائنة الأعين.

(١٠) مستقرهم: أي في الأرحام. ومستودعهم: أي في الأصلاب، ويمكن أن يقال: أراد مستقرهم ومأواهم على ظهر الأرض، ومستودعهم في بطنها بعد الموت، ومن الأرحام والظهور: أي فيها، أو تكون «من» للتبعيض، أي للجزء الذي كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء.

هُوَ ٱلَّذِي ٱشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ[1] عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ. قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[2]، وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ[3]، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ[4]، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ. مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ[5]، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ ٱللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ، وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ ٱلسِّيَاقِ[6]، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ[7].

---

(١) يجوز نَقِمَة ونِقْمَة، مثل كَلِمَة وكِلْمَة، ولَبِنَة ولِبْنَة.

(٢) عازّه: أي غالبه ورام مشاركته في شيء من عزته. وعزّه أي غلبه.

(٣) المدمّر: المهلك. شاقّه: عاداه ونازعه، قيل: إنّ أصله من الشِّق وهو النصف، لأنّ المعادي يأخذ في شِقّ والمعادى في شِقّ يقابله.

(٤) ناواه: أي عاداه أو خالفه، وهي مهموزة، وإنّما ليّنها لأجل القرينة السجعية.

(٥) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين إظهاراً لتحقق الجزاء على العمل؛ قال تعالى: ﴿مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قرضاً حَسَناً فيُضاعِفَهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(٦) العُنف ـ بالضم ـ: وهو ضدّ الرفق، يقال: عَنُف عليه وعَنُف به أيضاً. والعنيف: الذي لا رفق له بركوب الخيل، والجمع عُنُف. أي انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد.

(٧) من لم يُعَن ـ مبني للمجهول ـ: أي من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون للفاعل، أي من لم يعن الزواجر على نفسه بالتذكير والاعتبار لم تؤثّر فيه.

٩١ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ ٱلْأَشْبَاحِ[1]، وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ ٱلْخُطَبِ

روى مسعدةُ بنُ صَدَقَةَ عن الصادقِ جعفرِ بن محمدٍ عليهما السلام، أنه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبرِ الكوفةِ، وذلك أن رجلاً أتاه، فقال: يا أميرالمؤمنين، صِفْ لنا ربّنا مثل ما نراه عياناً، لنزداد حبّاً، وبه معرفة، فغضب عليه السلام ونادى: الصلاةَ جامعةً، فاجتمع إليه الناسُ حتى غصّ المسجدُ بأهلِه، فصعِدَ المنبر وهو مغضَبٌ متغيّرُ اللّونِ، فحمدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلّى الله عليه وآله، ثم قال:

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَايَفِرُهُ ٱلْمَنْعُ وَٱلْجُمُودُ[2]، وَلَايُكْدِيهِ ٱلْإِعْطَاءُ وَٱلْجُودُ[3]، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ[4]؛ وَهُوَ ٱلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ ٱلنِّعَمِ، وَعَوَائِدِ ٱلْمَزِيدِ وَٱلْقِسَمِ؛ عِيَالُهُ ٱلْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَٱلطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ[5]. ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَٱلْآخِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ

(*) ذكرها ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٤٠٦، والصدوق في (التوحيد) ص ٣٤.

---

(١) الأشباح: الأشخاص، والمراد بهم هاهنا الملائكة، لأنّ الخطبة تتضمّن ذِكْرَ الملائكة.

(٢) يفره المنع: يزيد في ماله. والجمود: أشدّ البخل.

(٣) لا يكديه الإعطاء: لا يفقره، يقال: كَدَتِ الأرضُ تكدُو فهي كادية، إذا أبطأ نباتُها وقلّ خيرها.

(٤) «وكلّ مانع مذمومٌ ما خلاه» وذلك لأنّه تعالى إنّما يمنع مَنْ تقتضي الحكمة والمصلحة منعه. وليس كما يمنع البشر.

(٥) «وليس بما سُئل بأجودَ منهُ بما لم يُسأل» جود الباري ليس على منهاج البشر الذين يحركهم السؤال، بل جوده عامٌ في جميع الأحوال.

بَعْدُ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَٱلرَّادِعُ أَنَاسِيَّ(١) ٱلْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا ٱخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ ٱلْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ ٱلِانْتِقَالُ. وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلْجِبَالِ(٢)، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ ٱلْبِحَارِ(٣)، مِنْ فِلِزِّ(٤) ٱللُّجَيْنِ(٥) وَٱلْعِقْيَانِ(٦)، وَنُثَارَةِ ٱلدُّرِّ(٧) وَحَصِيدِ ٱلْمَرْجَانِ(٨)، مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ(٩) مَطَالِبُ

---

(١) الأناسيّ: جمع إنسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.

(٢) «تنفست عنه معادنُ الجبال» استعارة، كأنّها لمّا أخرجته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورئته الهواء، وقد أبدع الإمام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفساً، فإن أغلب ما يكون من ذلك ـ بل كلّه ـ عن تحرك المواد الملتهبة في جوف الأرض إلى الخارج، وهي في تبخرها أشبه بالنفس، كما أبدع في تسمية انفتاح الصدف عن الدّر ضحكاً.

(٣) «ضحكت عنه أصدافُ البحار» أي تفتّحت عنه وانشقّت، يقال للطّلع حين ينشقّ: الضّحك. وإنّما سُمي الضاحك ضاحكاً، لأنّه يفتح فاه.

(٤) الفِلِز ـ بكسر الفاء واللام ـ: الجوهر النفيس، واسم الأجسام الذائبة كالذهب والفضة والرصاص ونحوها. [وفي نسخة ابن المؤدب «فِلَزِّ اللُّجين»]

(٥) اللُّجين: اسم الفضة الخالصة، جاء مُصغراً، كالكُمَيت.

(٦) العِقيان: الذهب الخالص، ويقال: ما ينبت نباتاً وليس مما يحصل من الحجارة.

(٧) نثارة الدُّر: ما تناثر منه كالسُّقاطة، وتأتي «فُعالة» تارة للجيّد المختار نحو الخلاصة، وتارة للساقط المتروك نحو القُلامة.

(٨) حصيد المَرجان: محصوده، يشير إلى أن المرجان نبات وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها، كأنه أراد المتبدّد منه كما يتبدد الحبّ المحصود، ويجوز أنْ يعني به الصلْب المحكم. ويروى «وحَصْباء المرجان»، والحصباء: الحصى. والمرجان: صغار اللؤلؤ.

قال الشاعر:

أدْمَى لهَا المرجانُ صَفْحَةَ خَدِّهِ ... وبكَى عليْهَا اللؤلؤُ المكنونُ

(٩) أنفده: بمعنى أفناه، ونَفِدَ ـ كفَرِحَ ـ: أي فني.

ٱلْأَنَامِ، لِأَنَّهُ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي لَا يَغِيضُهُ(١) سُؤَالُ ٱلسَّائِلِينَ، وَلَا يُبَخِّلُهُ إِلْحَاحُ ٱلْمُلِحِّينَ(٢).

فَٱنْظُرْ أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَٱئْتَمَّ بِهِ(٣)، وَٱسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ ٱلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ ٱلْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ(٤)، فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ هُمُ ٱلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ(٥) ٱلسُّدَدِ ٱلْمَضْرُوبَةِ(٦) دُونَ ٱلْغُيُوبِ ٱلْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ ٱللّٰهُ ٱعْتِرَافَهُمْ بِٱلْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا به عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ ٱلتَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ ٱلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَٱقْتَصِرْ عَلَى ذٰلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ.

هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ ٱلْأَوْهَامُ(٧) لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ(٨)، وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ

---

(١) يَغيض ـ بفتح حرف المضارعة ـ: من غاض المتعدي، يقال: غاض الماء لازماً وغاضه الله متعدياً، ويقال: أغاضه أيضاً، وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده.

(٢) روي «ولا يُبخِلُهُ» بالتخفيف؛ تقول: أبخلت زيداً، أي صادفته بخيلاً، وأجبنته: وجدته جباناً. أمّا بخّله ـ بالتشديد ـ: فمعناه رماه بالبخل. والإلحاح: مصدر ألحّ على الأمر، أي أقام عليه دائماً، من ألحّ السحاب: إذا دام مطره.

(٣) ائتمّ فلان بفلان: جعله إماماً واقتدى به، أي اتّبعه فصِفْه كما وصفه اقتداءً به.

(٤) كِل علمه: فوّض علمه.

(٥) الاقتحام: الهُجُوم والدخول مغالبة.

(٦) السُّدد المضروبة: جمع سُدّة، وهي باب الدار، والإقرار فاعل أغناهم.

(٧) ارتمت الأوهام: ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها، أي ترامت، ارتمى القوم بالنَّبل، أي تراموا، فشبّه جَوَلان الأوهام والأفكار بالترامي.

(٨) منقطع الشيء: ما إليه ينتهي.

ٱلْمُبَرَّأُ مِنْ خَطْرِ ٱلْوَسَاوِسِ(١) أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ(٢) لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ(٣)، وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ(٤) فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ ٱلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا(٥) وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ(٦) سُدَفِ(٧) ٱلْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ(٨) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ ٱلِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ(٩)، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي ٱلرَّوِيَّاتِ(١٠) خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ

---

(١) خَطْر الوساوس ـ بتسكين الطاء ـ: مصدر خَطَر له خاطر، أي عرض في قلبه، وروي «من خطرات الوساوس» [كما أثبته عبده والصالح في المتن] والمبرّأ: المجرد. وأمّا الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنّه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وساوسه.

(٢) «تولّهت القلوب إليه»: اشتدّ عِشقها وميلها لمعرفة كنهه حتى أصابها الوَلَه، وهو الحيرة.

(٣) «لتجري في كيفية صفاته» أي لتصادف مجرىً ومسلكاً في ذلك، لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته أو كيف اتّصف سبحانه بها.

(٤) «وغَمُضَت مداخِلُ العقول» أي غمض دخولها، ودقّ في الأنظار المبهمة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقّتها وغموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى، إذ أنّها خفيت ودقت وبلغت في الخفاء والدقة إلى حدّ لا يبلغه الوصف.

(٥) ردعها ...: جواب للشرط في قوله إذا ارتمت .... وردعها: كفّها وردّها.

(٦) المهاوي: المهالك، الواحدة مَهْواة ـ بالفتح ـ، وهي ما بين جبلين أو حائطين ونحو ذلك.

(٧) السُّدَف ـ بضم ففتح ـ: جمع سدفة، وهي القطعة من الليل المظلم.

(٨) جُبِهت: رُدّت، وأصله مِنْ جَبَهْتُه، أي صَكَكْتُ جَبهتَه، والمراد: ردّت بالخيبة.

(٩) الجور: العدول عن الطريق. والاعتساف: قطع المسافة على غير جادة معلومة، وسلوك العقول في أي طريق طلباً لاكتناه ذاته، وللوقوف على ما لم تُكلَّف الوقوف عليه من كيفية صفاته، يعد جوراً وعدولاً عن الجادة، فإنّ العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهّلها للإحاطة بالحقائق الأزلية، اللهم إلّا ما دلّت عليه الآثار، وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنّة. وكنه معرفته: نائب فاعل يُنال.

(١٠) الرويّات: جمع رَويّة، وهي الفكر.

جَلَالِ عِزَّتِهِ. ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ٱمْتَثَلَهُ[1]، وَلَا مِقْدَارٍ ٱحْتَذَى عَلَيْهِ[2] مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَٱعْتِرَافِ ٱلْحَاجَةِ مِنَ ٱلْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِٱضْطِرَارِ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ[3]، وَظَهَرَتْ فِي ٱلْبَدَائِعِ ٱلَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَدَلِيلاً عَلَيْهِ؛ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً، فَحُجَّتُهُ بِٱلتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى ٱلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ[4] ٱلْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ[5]، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ[6]، وَلَمْ يُبَاشِرْ

---

(١) قوله «ابتدع الخلق» أي أوجده من العدم المحض «على غير مثال امتثله» يمكن أن يريد بـ «امتثله» مثّله، والمعنى أنّه تعالى لم يمثّل لنفسه مثالاً قبل شروعه في خلق العالم؛ ثم احتذى ذلك المثال، ويمكن أن يريد بـ «امتثله» احتذاه واتبعه. والمعنى أنّه تعالى لم يمثّل له فاعل آخر قبله مثالاً اتبعه واحتذاه وفَعَل نظيره.

(٢) لا مقدار سابق احتذى عليه: أي قاس وطبق عليه، إذ لا خالق سواه.

(٣) المِساك، بكسر الميم: ما يمسَك ويعصَم به الشيء، كالملاك ما به يملك؛ ﴿إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ [فاطر: ٤١] وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات إلى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به، وقوله باضطرار متعلق بـ «دلّنا» وعلى معرفته متعلق به أيضاً، أي دلّنا على معرفته بسبب أنّ قيام الحجة اضطرنا لذلك. وما دلّنا مفعول لأرانا. وظهرت في البدائع ... معطوف على أرانا.

(٤) الحقاق: جمع حُقّة ـ بضم الحاء ـ وهو رأس العظم عند المَفْصِل: واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد، وذلك الاستتار مما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقة الأبدان، والمراد من شبّهه بالإنسان ونحوه.

(٥) المحتجبة: المستترة، لأنّ تركيبها الباطن خفيّ محجوب، وروي «المحتجّة» أي أنها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجّة المستدلة على التدبير الحكمي من لدنه سبحانه.

(٦) غيب الضمير: باطنه، والمراد هنا العلم واليقين، أي لم يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل ←

قَلْبَهُ ٱلْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ[١]، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ ٱلتَّابِعِينَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ؛ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾! كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ[٢]، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ ٱلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[٣]، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ ٱلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ[٤] عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ[٥]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَأَنْتَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي ٱلْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[٦]، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا[٧] فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[٨].

ومنها: قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ[٩] فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ ٱلِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ

← له. وروي: «لم يُعتقَد» على ما لم يسمّ فاعله.

(١) النِّدّ: المثل.

(٢) العادلون بك: الذين جعلوا لك عَديلاً ونظيراً، فعدلوا بك غيرك أي سووه بك وشبهوك به.

(٣) نحلوك: أعطوك، وهي النِّحلة، وحِلية المخلوقين: صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، أي وصفوك بصفات المخلوقين، وذلك إنّما يكون من الوهم الذي لا يعمل إلى غير الأجسام ولواحقها دون العقل الذي يحكم فيما وراء ذلك.

(٤) قدروك: قاسوك.

(٥) القرائح: جمع قريحة، وهي القوة التي تَستنبط بها المعقولات، وأصله من قريحة البئر، وهو أوّل مائها.

(٦) أي لم تكن متناهياً محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول لتكيفك بكيفية مخصوصة.

(٧) «ولا في رَوِيّات خواطرها» أي في أفكارها.

(٨) محدوداً: ذا حدٍّ، ومُصَرَّفاً: أي قابلاً للحركة والتغير، أي تصرفك العقول بأفهامها في حدودك.

(٩) الوِجْهة: الجهة التي يتوجّه نحوها.

بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ[1]، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا[2]، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا[3] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ[4]، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ[5]، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[6]، وَنَهَجَ حُدُودَهَا[7]، وَلَاءَمَ[8] بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[9]، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً، مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ[10]، بَدَايَا[11] خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

---

(١) استصعب المركوب: لم ينقَدْ في السير لراكبه، وكلُّ مخلوق خلقه الله لأمر أراده بلغ الغاية مما أراد الله منه، ولم يقصر دون ذلك منقاداً غير مستصعب.

(٢) غريزة: طبيعة ومزاج، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل. بل هو انفعال بما له بمقتضى ذاته لا بأمر عارض.

(٣) أفادها: استفادها.

(٤) لم يعترض دونه: أي دون الخلق وإجابة دعوة الله. والريث: التثاقل عن الأمر والبطء، أي أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت إليه فطرته بدون جهل.

(٥) الأناة: تؤدة تمازجها روية في اختيار العمل وتركه. والمتلكيء: المتأخر المتعلل، يقول أجاب الخلق ربّه طائعاً مقهوراً بلا تلكؤ.

(٦) الأود: الاعوجاج.

(٧) نَهَج: عَيَّنَ ورَسَم.

(٨) لاءم بين كذا وكذا، أي جمع.

(٩) القرائن ـ هنا ـ: الأنفس، واحدتها قرونة وقَرينة، أي وصل حبال النفوس وهي من عالم النور بالأبدان وهي من عالم الظلمة.

(١٠) الغرائز: الطبائع.

(١١) بدايا ـ هنا ـ: جمع بَدِيء، أي مصنوع، أو جمع بديّة، وهي الحالة العجيبة، أبدأ الرجل، جاء بالأمر البديء، أي المعجب، والبديّة أيضاً: الحالة المبتدأة المبتكرة، ويروى «برايا» جمع بريّة.

ومنها في صفة السّماء

وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا[1]، وَلَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا[2]، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[3]، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ[4] بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا[5]، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ مُبِينٌ[6]، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا[7]، وَفَتَقَ

---

(١) الرهوات: جمع رَهْوة، وهي المكان المرتفع والمنخفض أيضاً، يجتمعُ فيه ماءُ المطر، وهو من الأضداد. والفُرَج: جمع فُرْجة، وهي المكان الخالي. يقول قد فرّج الله ما بين جرم وآخر من الأجرام السماوية ونظمها على ذلك بدون تعليق أحدها بالآخر وربطه به بآلة حسيّة.

(٢) لاحم: ألصق. والصَّدْع: الشَّقّ، أي ما كان في الجرم الواحد منها من صدع لَحَمَهُ سبحانه وأصلحه فسوّاه وذلك كما كان في بدء خلقة الأرض وانفصالها عن الأجرام السماوية وانفراج الأجرام عنها، فما تصدّع بذلك أصلحه الله ﴿أوَلَمْ يَرَ الذينَ كفروا أنَّ السمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً ففتقناهما﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(٣) وَشَّجَ، من «وشج محمله» إذا شبكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شيء، أي شبّك، ووشجت العروق والأغصان، اشتبكت، وبيننا رحم واشجة، أي مشتبكة. أي أنّه سبحانه شبّك بين كل سماء وأجرامها، وبين أزواجها: أي مثالها وقرائنها وأشباهها من الأجرام الأخرى في الطبقات العليا والسفلى عنها، بروابط الماسكة والمعنوية العامة، وهي من أعظم المظاهر لقدرته.

(٤) الهابطين والصاعدين: الأرواح العلوية والسفلية.

(٥) الحُزونة: الصعوبة، ضدّ السهولة.

(٦) قوله ناداها ... رجوع إلى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم، يقول كانت السماء هباء ماثراً أشبه بالدخان منظراً وبالبخار مادة، فتجلّى من الله فيها سرّ التكوين، فالتحمت عرى أشراجها. «وناداها بعدّ إذ هي» وروي بإضافة «بَعْد» إلى «إذ» وروي بضمّ «بعد» أي وناداها بعد ذلك إذ هي دخان، والأول أحسن وأصوب: لأنّها على الضمّ تكون دُخاناً بعد نظمه رَهَوات فروجها وملاحمة صدوعها، والحال تقتضي أنْ دخانها قبل ذلك لا بعده.

(٧) أشراجها: جمع شَرَج وهو عُرَا العَيْبَة* ، وأشرجتُ العيبة، أي أقفلت أشراجها، وأشراج الوادي: ما انفسح منه واتسع. وأشار بإضافة العرى للأشراج إلى أنّ كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به، فكلّ ماسك وممسوك، وكلّ عروة وله عروة.

* العَيْبة: وعاء من خوص و نحوه.

بَعْدَ ٱلْإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا[١]، وَأَقَامَ رَصَداً[٢] مِنَ ٱلشُّهُبِ ٱلثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا[٣]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ ٱلْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[٤]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا[٥]، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا[٦]، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا[٧]، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا. ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا[٨]، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا[٩]، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[١٠]، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا[١١]، وَرَمَى مُسْتَرِقِي ٱلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالِ[١٢] تَسْخِيرِهَا، مِنْ ثَبَاتِ

---

(١) الارتتاق: الارتتاج، بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه، وفصلها إلى أجرام بينها فُرَجٍ وأبواب، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت، أي لا فراغ فيها.

(٢) الرصد: القوم يرصدون كالحرس، وكون الرصد من الشهب في أصل تكوين الخلقة كما قال الإمام دليل على ما أثبته العلم من أنّ الشهب مقذوفات لبعض أجرام الكواكب، لما نقب وخرق من جرم غوّص بالشهاب، وذلك أمر أخر غير ما جاء في الكتاب العزيز لما جاء في الكتاب بمعنى آخر.

(٣) النقاب: جمع نَقْب، وهو الطريق في الجبل. والثواقب: المضيئات.

(٤) تمور: تتحرّك وتذهب وتجيء، والأَيْدُ: القوة، وأمسكها عن أن تمور أي تضطرب في الهواء بأيده أي بقوته، وأمرها أن تقف أي تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها، لا بمعنى أن تسكن.

(٥) مبصرة: أي جعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كلّه دائماً.

(٦) ممحوة: يمحى ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر، وفي جميع الليل أياماً منه.

(٧) مناقل مجراهما: الأوضاع التي ينتقلان فيها من مداريهما.

(٨) فلكها: هو الجسم الذي ارتكزت فيه وأحاط بها وفيه مدارها.

(٩) ناطَ بها: علّق بها وأحاطها.

(١٠) الدّراريّ: الكواكب المضيئة، نسبت إلى الدُّرّ لبياضها، واحدها دُرّيّ، ويجوز كسر الدال: مثل بحر لُجّي ولِجّي.

(١١) نجومها الصغار.

(١٢) *أذلال ـ على وزن أفعال ـ*: جمع *ذِلّ* وهو محجّة الطريق أي على الطرق، التي سخّرها فيها.

ثَابِتِهَا[١]، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا[٢]، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا[٣]، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا[٤].

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْمَلَائِكَةِ

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ ٱلصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَى[٥] مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا[٦]، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[٧]، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ[٨] تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ[٩] ٱلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ ٱلْقُدُسِ[١٠]، وَسُتُرَاتِ

---

(١) من ثبات ثابتها: يعني الكواكب التي في كُرة البروج.

(٢) مسير سائرها: يعني الخمسة والنَّيرين؛ لأنَّها سائرة دائماً.

(٣) صعودها وهبوطها: وذلك أنَّ للكواكب السيارة صعوداً في الأَوْج وهبوطاً في الحضيض، فالأوّل هو البعد الأبعد عن المركز، والثاني البعد الأقرب.

(٤) إنَّ النجوم تؤثّر سعوداً ونحوساً في الأمور الكلية نحو أنْ تقتضي حرّاً أو برداً، أو تدلّ على مرض أو قحط عام أو مطر دائم، ونحو ذلك من الأمور التي لا تخصّ إنساناً بعينه، والذي أنكره علي من أشار عليه ألّا يحارب في يوم مخصوص تأثيرَ النجوم في الأمور الجزئية كالسفر أو المقام والحرب والسلم وغيرها.

(٥) الصّفيح الأعلى: السماء وسطح الفَلَك الأعظم، ويقال لوجه كلّ شيء عريض: صفيح وصَفْحَة.

(٦) الفروج: الأماكن الخالية. والفِجاج: جمع فَجّ، والفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين.

(٧) أجوائها: جمع جَوّ، وهو ما اتّسع من الأودية، ويقال لما بين السماء والارض جَوّ. ويروى «أجوازها» جمع جَوْز، وهو وَسَط الشيء. ويروى: «أجوابها» جمع جَوْبَة، وهي الفُرْجة في السحاب وغيره.

(٨) الفجوات: جمع فَجْوة، وهي الفُرْجة بين الشيئين، تقول منه: تفاجَى الشيء، إذا صار له فَجْوة، ومنه الفُجاء، وهو تباعد ما بين عُرْقوبي البعير.

(٩) الزَّجَل: رفع الصوت.

(١٠) الحظائر: جمع حظيرة، موضع يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والابل توقياً من البرد والريح، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة. القدس ـ بضمتين أو بضم فسكون ـ: الطهر.

ٱلْحُجُبِ(١) وَسُرَادِقَاتِ ٱلْمَجْدِ(٢)، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ ٱلرَّجِيجِ(٣) ٱلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ(٤) سُبُحَاتُ نُورٍ(٥) تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ(٦) عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً(٧) عَلَى حُدُودِهَا(٨). أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لاَ يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ(٩)، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ جَعَلَهُمُ ٱللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ ٱلشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ(١٠) عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ. وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ ٱلْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ(١١) ٱلسَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً(١٢)

---

(١) السترات: جمع سترة، وهو ما يستتر به.

(٢) السرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمدّ على صحن البيت ليغطّيه.

(٣) الرجيج: الزلزلة والاضطراب.

(٤) تستك الأسماع: تنسدّ وتصم منه الآذان لشدّته.

(٥) سبحات الأنوار: طبقات نوره، وأصل السبحات الأنوار نفسها، عبارة عن جلالة الله تعالى وعظمته.

(٦) تردع الأبصار: تكفّها.

(٧) خاسئة: صاغرة، مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها.

(٨) «على حدودها» أي تقف حيث تنتهي قوتها؛ لأنّ قوتها متناهية.

(٩) «لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه» أي لا يدّعون الإلهية لأنفسهم.

(١٠) الزائغ: العادل عن الطريق.

(١١) الإخبات: التذلّل والاستكانة والخضوع والخشوع.

(١٢) أبواباً ذللاً: أي سهلة وطيئة، جمع ذلول: خلاف الصعب.

إِلَى تَمَاجِيدِهِ(١)، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً(٢) وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ(٣)، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الآثَامِ(٤)، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ(٥)، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ(٦)، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ(٧)، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ(٨)، وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ(٩)، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ(١٠)، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ

---

(١) تماجيده: الثناء عليه بالمجد.

(٢) قال بعض أهل اللغة: إنّ منارة تجمع على منار، وإن لم يذكره صاحب القاموس، وأرى أنّ مناراً ها هنا: جمع منارة بمعنى المسرجة، وهي ما يوضع فيه المصباح.

(٣) الأعلام: ما يقام للاهتداء على أفواه الطرق، ومرتفعات الأرض، والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سرّ توحيده.

(٤) المؤصرات: المثقلات. والإصر: الثقل.

(٥) ارتحلت البعير: أي ركبته. والعُقبة: النوبة، والجمع عُقَب، ومعنى «لم ترتحلهم عُقب الليالي والأيام» أي لم تؤثر فيهم نوبات الليالي والأيام وكرورها، كما يؤثر ارتحال الإنسان البعيرَ في ظهره. والليل والنهار عقبيان لتعاقبهما، أي لم يتسلّط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم، أو يغيّرهم.

(٦) النوازع: جمع نازعة، وهي النجم أو القوس، وعلى الأول المراد منها الشهب، وعلى الثاني تكون الباء في «بنوازعها» بمعنى من، أو نوازعها: شهواتها النازعة المحرّكة، وروي «نوازغها» بالغين المعجمة من نَزَغَ بينهم، أي أفسد.

(٧) ولم تعترك الظنون» لم تزدحم على يقينهم الذي عقدوه. ومعاقد: جمع معقد، محلّ العقد بمعنى الاعتقاد.

(٨) الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد والضغينة.

(٩) ما لاق، أي ما التصق.

(١٠) أثناء صدورهم: جمع ثِني، وهي التضاعيف.

ٱلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[١] بِرَيْنِهَا[٢] عَلَى فِكْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَامِ ٱلدُّلَّحِ[٣]، وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمَّخِ[٤]، وَفِي قَتْرَةِ ٱلظَّلَامِ ٱلْأَيْهَمِ[٥]. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى[٦]، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ[٧]، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[٨] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ[٩]، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ[١٠] بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَهِ

---

(١) تقترع: من الاقتراع بالسهام بمعنى ضرب القرعة، بأنْ تتناوب كلٌّ من الوساوس عليها. ويروى «فيفترع» بالفاء، أي تعلو برينها، فَرَعَه، أي علاه.

(٢) الرَّين ـ بفتح الراء ـ: الدَّنَس والغلبة وما يطبع على القلب من حجب الجهالة.

(٣) الغمام: جمع غمامة، وهي السحابة. والدُّلَّح: الثقال، جمع دالح: وهو المثقل بالماء من السحاب، جاء يدلع بحِمْله، أي جاء مثقلاً به.

(٤) الجبال الشُّمّخ: العالية الشاهقة.

(٥) في قَتْرة الظلام: أي سواده. والقَتَرة: هنا الخفاء والبطون، ومنها قالوا: «أخذه على قترة» أي من حيث لا يدري. والأيهم ـ بالياء المثنّاة ـ: الذي لا يهتدي فيه. ومنه «فلاة يَهْماء»، [وأثبت عبده في المتن «الأبهم»] والأبهم: أصله من لا يعقل ولا يفهم، وصف به الليل وصفاً للشيء بما ينشأ عنه، فإنّ الظلام الحالك يوقع في الحيرة، ويأخذ بالفهم عن رشاده.

(٦) التُّخُوم ـ بضم التاء ـ: جمع تَخْم، وهو منتهى الأرض أو القرية مثل فَلْس فُلُوس. ويروى «تَخُوم» بفتح التاء على أنها واحد، والجمع تُخُم مثل صَبُور وصُبُر.

(٧) مواضع ما خرقت أقدامهم. ومَخارِق: جمع مَخْرَق، أي موضع الخَرْق.

(٨) ريح هَفّافة: أي ساكنة طيبة، يقول: كأنّ أقدامهم التي خرقتِ الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ريحٌ ساكنة ليست مضطربة، فتموج تلك الرايات؛ بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت.

(٩) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها.

(١٠) ويروى «ووصّلت حقائق الايمان» [كما في نسخة ابن المؤدب] بالسين المشددة، يقال: وسّل ←

إِلَيْهِ(١)، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ. قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ(٢) مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاوَاتِ قُلُوبِهِمْ(٣) وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ(٤)، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ(٥)، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ(٦)، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ(٧)، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ(٨) فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ(٩) نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ(١٠)، وَلَمْ تَغِضْ(١١) رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ(١٢)،

= فلان إلى ربّه وسيلة، والوسيلة ما يتقرب به، والجمع وسل ووسائل.

(١) شدة الشوق إليه.

(٢) الرويّة: التي تروي وتطفئ العطش.

(٣) سويداوات القلوب: جمع سويداء، وهي حبّة القلب، محل الروح الحيواني من مضغة القلب.

(٤) الوشيجة في الأصل: عرق الشجرة، وهي هنا استعارة، أراد منها هنا بواعث الخوف من الله.

(٥) حَنيتُ ضلعي، أي عوجتها.

(٦) أي أنّ شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم.

(٧) الرِّبَق: جمع رِبْقَة، وهي الحبل. وربقة ـ بالكسر والفتح ـ: وهي العروة، من عُرى الربق ـ بكسر الراء ـ، وهو حبل فيه عدّة عرى تُرْبَطُ فيه البَهْم.

(٨) «ولم يتولّهم الإعجاب» أي لم يستولِ عليهم.

(٩) الاستكانة: ميل للسكون من شدّة الخوف، ثم استعملت في الخضوع.

(١٠) الدؤوب: الجد والاجتهاد، دأب في العمل: بالغ في مداومته حتى أجهده.

(١١) لم تَغِضْ: لم تنقص.

(١٢) الأسلات: جمع أسَلة: طرف اللسان ومستدقّه، أي لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره.

وَلَا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ(١)، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ(٢)، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلَا تَعْدُو(٣) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الغَفَلَاتِ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ(٤) خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ(٥). قَدِ اتَّخَذُوا ذَا العَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ(٦)، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الخَلْقِ إِلَى المَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ(٧). لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ(٨) إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ(٩). لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ(١٠) فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ(١١)، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ

---

(١) الجؤار: الصوت المرتفع بالتضرع، والهمس: الصوت الخفيّ، أي لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والإخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء إليه.

(٢) المقاوم: جمع مَقام، والمراد الصفوف.

(٣) لا تعدو: لا تسطو، من عَدَا عليه، إذا قهره وظلمه، وهو هاهنا استعارة.

(٤) «لا تنتضل الخدائع في هممهم» استعارة أيضاً من النضال، وهو المراماة بالسهام. يقال: انتضلت الإبل: رمت بأيديها في السير بسرعة.

(٥) خدائع الشهوات للنفس بما تزينه لها، أي لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً في هممهم.

(٦) فاقتهم: حاجتهم.

(٧) يمموه: قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق سواهم إلى المخلوقين.

(٨) الاستهتار: التولع، مصدر استهتر فلان بكذا، أي لازمه وأولع به.

(٩) مواد: جمع مادة، أصلها من مدّ البحر إذا زاد، وكُلّ ما أعنْتَ به غيرك فهو مادة، ويريدﷺ بها البواعث المعينة على الأعمال، أي كلّما تولّعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة.

(١٠) الشفقة: الخوف.

(١١) «فَيَنُوا» أي فيضعفوا، ونى ينى: ضعف أو تلَكّأ. والجِدّ: الاجتهاد والانكماش.

ٱلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ ٱلسَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ[1]. لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ ٱلرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ[2]، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِٱسْتِحْوَاذِ ٱلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ[3]. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ ٱلتَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ ٱلتَّحَاسُدِ[4]، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ ٱلرِّيَبِ[5]، وَلَا ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ ٱلْهِمَمِ[6]، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ، وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ[7]، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ ٱلسَّمٰوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[8] إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ[9]، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ ٱلطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

---

(١) وشيك السعي: مقاربه وهيّنه، أي أنّه لا طمع لهم في غيره فيختاروا هيّن السعي على الاجتهاد الكامل.

(٢) أي أنّهم لا يستعظمون عبادتهم، ولو أنّ أحداً منهم استعظم عبادته لأذهب خوفَه رجاءُه الذي تولّد من استعظام تلك العبادة، فيصفهم بعظم التقوى. والشفقات: تارات الخوف وأطواره، وهو فاعل نسخ، والرجاء مفعول. والوجل: الخوف أيضاً.

(٣) الاستحواذ: الغلبة.

(٤) الغِل: الحِقْد.

(٥) تشعّبتهم: تقسّمتهم وفرّقتهم، ومنه قيل للمنية شَعوب، أي مفرقة. ومصروف الريب: جمع ريبة وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق.

(٦) أخياف الهمم: أي الهمم المختلفة، وأصله من الخَيَف، وهو كَحل إحدى العينين دون الأُخرى، أو يكون المراد هنا سوافط الهمم، من الخَيف أيضاً وهو ما انحدر عن سفح الجبل، فإنّ التفرّق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمّة، بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك، وقد يكون الخيف بمعنى الناحية، أي متطرفات الهمم.

(٧) ونى: مصدر ونى ـكتعب ـأي تأنّى.

(٨) الإهاب: الجلد.

(٩) الحافد: المسرع، ومنه الدعاء: اللهم إليك نسعى ونحفد.

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْأَرْضِ وَدَحْوِهَا عَلَى ٱلْمَاءِ[1]

كَبَسَ ٱلْأَرْضَ[2] عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ[3]، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ[4]، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا[5]، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا[6]، وَتَرْغُو[7] زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا[8]. فَخَضَعَ جِمَاحُ ٱلْمَاءِ[9] ٱلْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ٱرْتِمَائِهِ[10] إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا[11]، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً[12] إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا[13]. فَأَصْبَحَ بَعْدَ

---

(١) دحوها: بسطها.

(٢) كبَسَ الأرض، أي أدخلها في الماء بقوة واعتماد شديد؛ ويقال لضرب من التمر: الكَبِيس؛ لأنه يكبَس حتى يتراصّ، وكبس النهر والبئر: أي طمهما بالتراب، وعلى هذا كان حقّ التعبير كبس بها مور أمواج، لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل.

(٣) المَوْر: التحرك الشديد، مصدر مار، أي ذهب وجاء. ومستفحلة: هائجة هَيَجان الفحول بصعب التغلب عليها، واستفحل الأمر: تفاقم واشتدّ.

(٤) زاخرة: ممتلئة، زخر الماء امتدّ جدّاً وارتفع.

(٥) الأواذي: جمع آذيّ، وهو أعلى الموج.

(٦) تصطفق: يضرب بعضها بعضاً. اصطفقت الأشجار: اهتزت بالريح. والأثباج هاهنا: أعالي الأمواج، وأصل الثَّبَج ـ بالتحريك ـ ما بين الكاهل إلى الظهر أو صدر القطاة، استعارة لأعالي الموج، والمتقاذفات التي يقذف بعضها بعضاً.

(٧) ترغو: تصوّت صوت البعير، والرغاء: صوتُ ذات الخُفّ.

(٨) الزبد: ما يظهر فوق السيل. والفحول عند هياجها: فحول الإبل إذا هاجتْ للضِّراب.

(٩) جماح الماء: صعودُه وغَلَيانه. وخَضَع: ذلّ.

(١٠) هَيْج الماء: اضطرابه، وهيّج ارتمائه، يعني تقاذفه وتلاطمه.

(١١) كلكلها: صدرها، وهو في الأصل الصدر لمستعارة لما لاقى الماء في الأرض.

(١٢) المستخذي: الخاضع، المنكسر المسترخي، وقد يُهمز، أصله من خَذَا الشيءُ، أي استرخى، وأذنٌ خذْواءُ: بيّنة الخذاء، أي مسترخية.

(١٣) تمعكت: تمرغت، مستعار من تَمَعُّك الدابة في الأرض. وكواهلها: جمع كاهل، وهو ما بين الكتفين، ويسمى الحارك.

ٱصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ[١]، سَاجِياً[٢] مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ ٱلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً[٣]، وَسَكَنَتِ ٱلْأَرْضُ مُدْحُوَّةً[٤] فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ[٥]، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَٱعْتِلَائِهِ[٦]، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ[٧] وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ[٨]، وَكَعَمَتْهُ[٩] عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ[١٠]، فَهَمَدَ[١١] بَعْدَ نَزَقَاتِهِ[١٢]، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ[١٣]. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا[١٤]،

---

(١) اصطخاب: افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت، والصَّخَب: الصياح والجَلَبة.

(٢) ساجياً: ساكناً.

(٣) الحَكَمَة ـ محركة ـ: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العِذَاران.

(٤) مدحوة: مبسوطة، قال تعالى ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ويجوز أن تكون «مدحوة» هاهنا بمعنى مقذوفة مرمية، من دحوت الحصاة، أي قذفتُها.

(٥) التيّار: أعظم من الموج، ولجّته: أعمقه.

(٦) البأو: الكِبر والفخر والزهو، وهذا الكلام استعارة؛ يقال: كَسَرت الأرضُ سَوْرة الماء الجامح كما تكسر سَوْرة بأو الرجل المتكبر المفتخر. والاعتلاء: التّيه والتكبّر.

(٧) الشُّموخ: العلوّ، والجبال الشوامخ: الشاهقة.

(٨) السموّ: العلو، وسمو غلوائه أي علّوه وتجاوز الحدّ، والغُلَواء ـ بضم الغين وفتح اللام ـ: النشاط وتجاوز الحد.

(٩) كَعَم البعير كمنع: شدّ فاه لئلا يعضّ أو يأكل، وما يُشَدّ به كِعَام ـ ككتاب ـ.

(١٠) الكِظّة ـ بالكسر ـ: ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام، ويراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع، يقول: كعمت الأرضُ الماء حال كونه مكظوظاً، لشدة امتلائه وكثرة وازدحام أمواجه.

(١١) فهمدَ: أي سكن، همدت النارُ تهمُد هُموداً، أي طفئت وذهبت البتّةَ. والخمود دون الهمود.

(١٢) النَّزَق والنَّزَقان: الخفّة والطيش، نَزِق الرجلُ ينزَق نَزَقاً، والنَّزَقات: الدفعات من ذلك.

(١٣) لبَد الشيء بالأرض، أي لصق بها ساكناً. والزَّيفان: التبختر في المشي، والزيّافة من النوق المختالة، ويروى: «ولَبَد بعد زَفَيان وثباته» والزَّفيان: شدة هبوب الريح. ومنه ناقة زَفيان: سريعة.

(١٤) أكنافها: جوانبها ونواحيها، وكنفا الطائر جناحاه.

وَحَمَلَ شَوَاهِقَ ٱلْجِبَالِ[1] ٱلشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا. فَجَّرَ يَنَابِيعَ[2] ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا[3]، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا[4] وَأَخَادِيدِهَا[5]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِٱلرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا[6]، وَذَوَاتِ ٱلشَّنَاخِيبِ ٱلشُّمِّ[7] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[8]. فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ[9] لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ[10] فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[11]، وَتَغَلْغُلِهَا[12] مُتَسَرِّبَةً فِي

---

(١) الجبال الشواهق: العالية، ومثله البُذَّخ، وباذخ أي عالٍ ورفيع، غير أنّي أجد من لفظ الباذخ معنى أخصّ وهو الضخامة مع الارتفاع. وحَمَل: عطف على أكناف.

(٢) الينابيع: جمع يُنْبُوع، وهو ما تنفجر من الأرض.

(٣) عرانين: جمع عِرْنِين ـ بالكسر ـ: أوّل الأنف تحت مجتمع الحاجبين أو ما صلب من عظم الأنف، والمراد أعالي الجبال، غير أنّ الاستعارة من ألطف أنواعها في هذا المقام.

(٤) السُّهوب: جمع سَهْب، وهو الفلاة. والبيد: جمع بيداء، وهي الفلاة أيضاً.

(٥) الأخاديد: جمع أُخدود، وهو الشقّ أو الحفر المستطيلة في الأرض، والمراد منها مجاري الأنهار.

(٦) الراسيات: الثّقال. الجلاميد: الصخور، واحدها جُلمود: وهو الحجر القاسي *والصَلْد*، والضمير للأرض كما يظهر من بقية الكلام.

(٧) الشناخيب ـ جمع شُنْخُوب ـ: رؤوس الجبال. والشُّمّ: العالية الرفيعة.

(٨) الصياخيد: جمع صَيخود، وهي الصخرة الصلبة الشديدة.

(٩) المَيَدان: التحرّك والاضطراب، وماد الرجل يميد أي تبختر.

(١٠) رسوب الجبال: نزولها، رسب الشيء في الماء، أي سَفُل فيه، وسيفٌ رَسُوب: ينزل في العظام.

(١١) «في قِطَع أديمها» جمع قِطْعة، يريد في أجزائها وأبعاضها. ويروى في «قُطَع أديمها» جمع قُطْعة، وهي القُطعة مفروزة من الأرض، ويروى «في قطْع أديمها» بسكون الطاء، والقطْع: طِنْفسة الرَّحْل، فنقل ذلك إلى هذا الموضع استعارة، كأنّه جعل الأرض ناقة، وجعل لها قطْعاً، وجعل الجبال ثابتة في ذلك القطع. وأديم الأرض: وجهها وظاهرها.

(١٢) التغلغل: المبالغة في الدخول، وتغلْغُل الماء في الشجر: دخوله وتخلله في أُصوله. وعروقه متسرّبة: أي داخلة، تسرّب الثعلبُ أي دخل السَّرَب.

جَوْبَاتِ[1] خَيَاشِيمِهَا[2]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ[3] وَجَرَاثِيمِهَا[4]، وَفَسَحَ[5] بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً[6] لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[7]. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ[8] ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا[9]، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا[10]، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا[11] وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ[12]،

---

(١) الجَوْبات: جمع جَوْبَة بمعنى الفُرجة في جبل أو غيره.

(٢) خياشيمها: جمع خيشُوم، وهو أقصى الأنف أو منفذ الأنف إلى الرأس، أو ما رقّ من الغضاريف الكائنة فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس، وضمير تغلغلها للجبال وخياشيمها للأرض، والمجاز ظاهر.

(٣) ركوب الجبال أعناق السهول: استعلاؤها عليها. وأعناقها: سطوحها.

(٤) جراثيمها ـ جمع جُرثومة، وهي أصل الشجر ـ: ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية، واستعلاء الجبال عليها ظاهر.

(٥) فَسَح: أوسع.

(٦) متنسماً: يعني موضع التنسّم.

(٧) مرافق البيت: ما يستعان به فيه وما يحتاج إليه في العيش خصوصاً ما يكون من الأماكن، أو هو ما يتمّ به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه، والطرق الموصلة إليه، والأماكن التي لابدّ منها للساكنين فيه لقضاء حاجاتهم، وما يشبه ذلك.

(٨) الأرض الجرُز: التي لانبات فيها لانقطاع المطر عنها.

(٩) الروابي: التِّلاع وما علا من الأرض.

(١٠) الجداول: الأنهار الصغار. والذريعة: الوصلة والوسيلة.

(١١) ناشئة سحاب: ما يبتدئ ظهوره. والمَوات: القَفر من الأرض، وهو ما لا يزرع.

(١٢) اللُمع: جمع لُمعة، وهي القطعة من السحاب أو غيره، والأصل القطعة من النبات مالت لليبس استعارها لقطع السحاب، والمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال لولا تأليف الله إيّاها مع غيرها.

وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ[1]، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ[2]، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[3]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ[4] فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ[5]، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ[6]، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً[7]. قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ[8]، يَمْرِي ٱلْجَنُوبُ[9] دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ[10]، وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[11]. فَلَمَّا أَلْقَتِ

---

(١) تباينها: افتراقها. والقَزَع: قطع من السحاب رقيقة واحدها قَزَعَة: وهي القطعة من الغيم.

(٢) تمخّضت: تحركت بقوة، تمخّض اللبن إذا تحرّك في الممخضة، وتمخّض الولد: تحرك في بطن الحامل، والهاء في «فيه» ترجع إلى المزن، أي تحرّكت لجة المُزْن في المُزن نفسه، ويصح أن يرجع للغمام في أول العبارة.

(٣) التمع البرق ولمع أي أضاء. وكُفَفُه*: جمع كُفّة. والكفّة كالدّارة تكون في السحاب، والأصل في الكُفّة: الحاشية والطرف لكل شيء، أي جوانبه، ومنه كُفّة الثوب؛ وهي حاشيته.

(٤) الوميض: الضياء واللّمعان. «لم ينم» أي لم يفتر ولم ينقطع، نامت النار: هَمَدت.

(٥) الكَنَهْوَر: العظيم من السحاب أو المتراكم منه، والرَّباب: الغمام الأبيض، وهو جمع الواحدة ربابة، وبه سميت المرأة الرّباب، أي لم يهدأ لمعان البرق حقاً في رُكام هذا الغمام.

(٦) المتراكم: الذي قد ركب بعضُه بعضاً.

(٧) سحّاً: صبّاً متلاحقاً متواصلاً. ومتداركاً: يلحق بعضه بعضاً من غير انقطاع.

(٨) هيدَبه: ما تهدّب منه، أي تدلّى كما يتدلّى هدبُ العين على أشفارها. والهيدب ـ كجعفر ـ: السّحاب المتدلي أو ذَيْلُهُ، وأسَفَّ الطائر: دنا من الأرض.

(٩) يَمْري: بمعنى يحلب ويستدرّ، من مَرْي الناقة: مسح على ضرعها ليحلب لبنها، ويروى: «تمرية الجَنُوب» [كما عند عبده والصالح] ويروى «تمتري الجَنُوب» وهو بمعنى تَمْري، من مريت الفرس، إذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجري، وخصّ الجنوب بذلك لأنّ عليها يكون المطر.

(١٠) الدِّرَر: جمع دِرّة، وهي كثرة اللبن وسيلانه وصبّه. والأهاضيب: جمع هِضاب، والهِضاب: جمع هَضْب: وهي حلبات القَطْر بعد القَطْر، أي دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء، وريح الجنوب تستدره الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة، فإن الريح تحركه فيصبّ ما فيه.

(١١) الدُّفَع: جمع دُفعة، ـ بالضم ـ وهي الدُّفقة من المطر. والشآبيب: جمع شؤبوب، وهي رَشّة قوية من المطر، تنزل دفعة بشدة، وكأنما ينصبّ من جانب لا من أعلى.

---

* في نسخة ابن المؤدب «كِفَفِه» والكِفّة: كلُّ شيء مستدير، ومنه كِفّة الميزان. والجمع: كِفَفٌ، وكِفاف.

ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا[(١)]، وَبَعَاعَ[(٢)] مَا ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ[(٣)] مِنَ ٱلْعِبْءِ[(٤)] ٱلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ ٱلْأَرْضِ ٱلنَّبَاتَ[(٥)]، وَمِنْ زُعْرِ ٱلْجِبَالِ ٱلْأَعْشَابَ[(٦)]، فَهِيَ تَبْهَجُ[(٧)] بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي[(٨)] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[(٩)] أَزَاهِيرِهَا[(١٠)]، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ[(١١)]

---

(١) البَرْك: الصدر، وبِوانَيها، تثنية بِوَان على «فِعال» بكسر الفاء، وهو عمود الخيمة، والجمع بُون - بالضم - ومن روى «بَوَانيها»* أراد لواصقها. والبَرْك بالفتح: في الأصل ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبِرْكة. والبواني هي أضلاع الزور. وشبه السحاب بالناقة إذا بركت، وضربت بعنقها على الأرض، ولاطمتها بأضلاع زورها، واشتبه ابن أبي الحديد في معنى البرك والبواني فأخرج الكلام عن بلاغته.

(٢) بَعاع السحب: ثقله بالمطر، وألقى السحاب بَعَاعَه: أمطر كلّ ما فيه. و«بَعَاع» معطوف على «بَرْك».

(٣) استقلّت: ارتفعت ونهضت.

(٤) العبء: الثقل والحِمْل.

(٥) هوامد الأرض، هي الأرضون التي لا نبات بها.

(٦) زُعْر: المواضع القليلة النبات، زُعْر الجبال: جمع أزعر، المراد به قلة العشب والخَلَى، وأصله من الزَّعَرِ وهو قلة شعر الرأس، والأنثى زَعْراء.

(٧) تبهج: تُسرّ وتفرح.

(٨) تزدهي: أي تتكبّر، أو تعجب، ويروى «وتُزْدَهَى بما أُلبِسَتْه».

(٩) جمع رَيْطة - بالفتح -: وهي كل ثوب رقيق ليّن.

(١٠) الأزاهير: النَّوْر ذو الألوان، جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات.

(١١) سُمِطَت به: علّق عليها السُّموط، جمع سِمْط وهو العقد. ومن رواه «شُمِّطَت» أراد ما خالط سواد الرياض من النور الأبيض كالأقحوان ونحوه، فصارت الرياض كالشعر الأشمط، والشَّمِيط من النبات ما كان فيه لون الخضرة مختلطاً بلون الزهر.

---

* في نسخة ابن المؤدب وكذلك في نسخة عبده «بَوَانيها».

بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا(١)، وَجَعَلَ ذلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ(٢)، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا(٣)، وَأَقَامَ ٱلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا. فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ(٤)، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ(٥)، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ(٦)، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ(٧)، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ(٨)، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ٱلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَٱلْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ. فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ ٱلتَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ(٩) مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِٱلْحُجَجِ(١٠) عَلَى أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً(١١)؛ حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) الناضر ذو النضارة، وهي الحسن والطّراوة. والأنوار: جمع نَوْر ـ بفتح النون ـ وهو الزهر بالمعنى المعروف، أي حلية القلائد التي علقت عليها من أزهار نباتها.

(٢) بلاغاً للأنام: أي كفاية، والبلاغ: ما يُتَبَلَّغ به من القُوت.

(٣) الآفاق: النواحي، والمنار: الأعلام.

(٤) مهّد أرضه: سوّاها وأصلحها، ومنه المهاد وهو الفراش، ومَهَدْتُ الفراشَ، أي بسطته ووطّأته.

(٥) «خِيَرةً من خلقه» الاسم من: اختاره الله، ويجوز «خِيْرَة الله» بالتسكين، والاختيار: الاصطفاء.

(٦) الجِبِلّة: الخَلْق، وجِبِلَّته: خِلْقَته.

(٧) «وأرغد فيها أُكُله» أي جعل أُكُله ـ وهو المأكول ـ رغداً، أي واسعاً طيباً.

(٨) «وأوعز إليه فيما نهاه عنه» أي تقدّم إليه بالإنذار.

(٩) بعد قبض آدم عليه السلام.

(١٠) أي جدّد العهد عندهم بها. ويروى «بل تعهّدهم» بالتشديد، والتعهّد: التحفّظ بالشيء، وهو أفصح من «تعاهدتُ» لأنّ التفاعل إنّما يكون بين شيئين؛ وتقول: فلان يتعهده صَرْعٌ.

(١١) قَرْناً فقرناً بفتح القاف، وهو أهل الزمان الواحد.

وَآلِهِ ـ حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ ٱلْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ[1]. وَقَدَّرَ ٱلأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى ٱلضِّيقِ وَٱلسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا[2] لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ ٱلشُّكْرَ وَٱلصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا. ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[3]، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا[4]، وَبِفُرَجِ[5] أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[6]. وَخَلَقَ ٱلآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِٱلْمَوْتِ أَسْبَابَهَا[7]، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا[8]، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا[9]. عَالِمُ ٱلسِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ ٱلْمُضْمِرِينَ

---

(١) «وبَلَغَ المقطع عُذْرُهُ ونُذُرُهُ»: مقطع الشيء حيث ينقطع، ولا يبقى خلفه شيء منه، أي أنّ الحُجة قد تمت على الخلق أجمعين ببعثه محمداً ﷺ وبلغ الأمر مقطعه، فلم يبقَ بعده رسولٌ يُنتظر؛ وانتهت عُذر الله تعالى ونُذُره. فعذرُه: ما بيّن للمكلّفين من الإعذار في عقوبته لهم إنْ عَصَوْه، ونُذُره: ما أنذرهم به من الحوادث.

(٢) عدّل فيها: من التعديل وهو التقويم، وروي «فعدَلَ» بالتخفيف [كما في نسخة عبده والصالح] من العدل نقيض الظلم.

(٣) العقابيل في الأصل: الحلأ، وهو قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض، والعقابيل ـ هنا ـ: الشدائد، جمع عُقْبُولة ـ بضم العين ـ. والفاقة: الفقر.

(٤) طوارق الآفات: متجدّدات المصائب، وأصلُ الطُّروق ما يأتي ليلاً.

(٥) الفُرَج: جمع فرجة، وهي التفصي من الهمّ.

(٦) الأتراح: الغموم، جمع تَرَح ـ بالتحريك ـ: الغم والهلاك.

(٧) أسبابها: حبالها.

(٨) خالجاً: جاذباً، والخلْج: الجذب، ومنه الخليج: الحبْل لأنّه يُجتذب به، وسمي خليج البحر خليجاً؛ لأنّه يجذب من معظم البحر. والأشطان: الحبال، واحدها شَطَن: الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة، وشطنتُ الفرسَ، إذا شددته بالشَّطَن.

(٩) المرائر: جمع مَرِيرة، وهو الحبل يُفتل على أكثر من طاق أو الشديد الفتْل. والأقران: جمع قَرَن ـ بالتحريك ـ وهو الحبل يُجْمَع به بعيران، وذكره لقوته أيضاً، وهذا الكلام من باب الاستعارة. وإضافة المرائر للأقران بعد استعمالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالاً.

وَنَجْوَى[1] ٱلْمُتَخَافِتِينَ[2] وَخَوَاطِرِ رَجْمِ ٱلظُّنُونِ[3]، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ ٱلْيَقِينِ[4]، وَمَسَارِقِ[5] إِيمَاضِ ٱلْجُفُونِ[6]، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ ٱلْقُلُوبِ[7]، وَغَيَابَاتُ ٱلْغُيُوبِ[8]، وَمَا أَصْغَتْ لِٱسْتِرَاقِهِ[9] مَصَائِخُ ٱلْأَسْمَاعِ[10]، وَمَصَائِفُ ٱلذَّرِّ[11]، وَمَشَاتِي ٱلْهَوَامِّ[12]

---

(١) النَّجوى: المسارّة، ويقال للسِّرِّ نفسه النَّجو.

(٢) المتخافتين: الذين يسرّون المنطق، وهي المخافتة والتخافت والخفْت. أي المكالمة سرّاً.

(٣) رَجْم الظنون: القول بالظّن، أو يريد منه ﷺ: ما يخطر على القلب أنه وقع، أو يصحّ أن يقع بلا برهان.

(٤) العُقد: جمع عُقْدة، ما يرتبط القلب بتصديقه لا يصدق نقيضه ولا يتوهمه. والعزيمات ـ جمع عَزِيمة ـ: العزائم، وهي ما يوجب البرهانُ الشرعيّ أو العقليّ تصديقَه والعملَ به، فيعقِد القلب عليها وتطمئنّ النفس إليها.

(٥) المسارق: جمع مَسْرِق: مكان مُسَارَقَةِ النظر أو زمانها أو البواعث عليها، أو من «فلان يسارق فلاناً النظر» أي يتنظر منه غفلة فينظر إليه.

(٦) الإيماض: اللمعان، أومض البصر أو البرق: إذا لمع لَمْعاً خفيفاً، وهو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون، ونسبته إلى الجفون لأنه ينبعث من بينها.

(٧) ضمنته: حوته. وأكنانُ القلوب: غُلُفها، والكِنّ: الستر، والجمع أكنان. ويروى: «أكنّة القلوب» وهي الأغطية أيضاً واحدها كِنَان.

(٨) غَيابات الغيوب: أعماقها، جمع غَيابة، وهي قَعْر البئر في الأصل ثم نقلت لكل غامض. وروي «غَبَابات» بالباء.

(٩) أصْغت: استمعت ومالت نحوه. ولاستراقه: لاستماعه في خُفية. ومصائخ الأسماع: خروقُها التي يُصيخ بها، أي يتسمّع.

(١٠) المَصَائخ: جمع مَصَاخ، مكان الإصاخة وهو ثقبة الأذن.

(١١) مصائف الذرّ: المواضع التي يصيف الذرّ فيها، أي يقيم الصيف. والذرّ: جمع ذَرّة، وهي أصغر النمل، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضمرين.

(١٢) مشاتيها: محل إقامتها في الشتاء. والهوام: جمع هامّة، ولا تقال إلّا للمَخوف من الأحناش.

وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ مِنَ ٱلْمُولَهَاتِ[1]،وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ[2]، وَمُنْفَسَحِ ٱلثَّمَرَةِ[3] مِنْ وَلَائِجِ[4] غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ[5]، وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ[6] مِنْ غِيرَانِ[7] ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَ مُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا[8]، وَمَغْرِزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ[9]، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ[10] مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ[11]، وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا[12]، وَدُرُورِ قَطْرِ ٱلسَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا[13]، وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا[14]، وَتَعْفُو ٱلْأَمْطَارُ

---

(١) المولهات: الحزينات، من النُّوق والنساء اللواتي حيل بينهنّ وبين أولادهنّ، ورجع الحنين: ترجيعه وترديده.

(٢) همس الأقدام: صوت وطئها خفياً جداً. والأسدُ الهمُوس: الخفيّ الوطء، والهمس: أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض.

(٣) منفسح الثّمرة أي موضع سعتها من الأكمام ومكان نموها، وقد روي «متفسّح» من تفسّحت الثمرة، إذا انقطعت.

(٤) الولائج: المواضع الساترة، الواحدة وليجة، كالكهف وغيره.

(٥) الغُلُف: جمع غِلاف. والأكمام: جمع كِمّ ـ بالكسر ـ وهو غطاء النّوار ووعاء الطّلْع.

(٦) منقمع الوحوش: موضع تقمّعها، أي اختفائها واستتارها.

(٧) غيران الجبال: جمع غار، وهو كالكهف في الجبل.

(٨) مختبأ البعوض: موضع اختبائها واستتارها. وسُوق الأشجار: جمع ساق، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها. وألحيتُها: جمع لحاء، وهو القشر.

(٩) مغرز الأوراق: موضع غَرْزِها فيها. والأفنان: الغصون، جمع فَنَن، وهو الغصن.

(١٠) الأمشاج: ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها، جمع مَشِيج، سميت أمشاجاً من «مَشَجَ» إذا خلط، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة، كُلٌ منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن.

(١١) مسارب الأصلاب: المواضع التي يتسرب المني فيها من الصُّلْب، أي يسيل.

(١٢) ناشئة الغيوم: أوّل ما ينشأ منها. ومتلاحمها: ما يلتصق منها بعضها ببعض ويلتحم.

(١٣) ودُرور قطْر السحاب: مصدر، من درّ يدِرّ، أي سال، وناقة دَرُور: أي كثيرة اللبن، وسحاب دَرُور: أي كثير المطر. ومُتَرَاكمها: المجتمع المتكاثف منها.

(١٤) سفت الريحُ الترابَ: ذرته أو حملته، والأعاصير: جمع إعصار، وهي ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كالعمود. وذيولها ههنا، يريد به أطرافها وما لاحف الأرض منها.

بِسُيُولِهَا[1]، وَعَوْمِ بَنَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ ٱلرِّمَالِ[2]، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى[3] شَنَاخِيبِ[4] ٱلْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ[5] فِي دَيَاجِيرِ ٱلْأَوْكَارِ[6]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ[7]، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ[8]، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[9]، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ[10]، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ[11] عَلَيْهِ أَطْبَاقُ ٱلدَّيَاجِيرِ[12]، وَسُبُحَاتُ ٱلنُّورِ[13]، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ[14]، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ[15]، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[16]، وَمَا عَلَيْهَا[17] مِنْ

---

(١) تعفو: تمحو، وما تعفو الأمطار أي ما تدرس.

(٢) وبنات الأرض: الهوام والحشرات التي تكون في الرمال، وعَوْمها فيها: سباحتها؛ ويقال لسير السفينة وسير الإبل أيضاً: عَوْم. والكثبان: جمع كَثِيب، وهو التل.

(٣) الذرى: أعلى الشيء، وذُرَها: أعاليها، جمع ذِرْوة وذُرْوة، بالكسر والضم.

(٤) الشناخيب: رؤوس الجبال.

(٥) التغريد: التطريب بالغناء، غرّد الطائر إذا طرّب بصوته. وذوات المنطق ـ ههنا ـ: الأطيار؛ وسمي صوتها منطقاً مجازاً.

(٦) الدياجير: جمع دَيْجور، وهو الظلام. والأوكار: جمع وَكْر، وهو عُشّ الطائر.

(٧) «وما أوعبته الأصداف»، أي من اللؤلؤ، وأوعَبَتْه: جمعته.

(٨) «حَضَنَتْ عليه ...»: كالعنبر ونحوه، ربته فتولد في حِضْنها كما تحضن الأنثى من الطير بيضَها.

(٩) سُدْفة الليل: ظلمته. وغشيته: غطّته.

(١٠) ذرّ: طَلَع، وذرّ عليه شارق نهار، أي ما طلعت عليه الشمس.

(١١) اعتقبت: تعاقبت وتوالت.

(١٢) الأطباق: الأغطية. والدياجير: الظلمات.

(١٣) سبحات النور: درجاته وأطواره، أي يعلم سبحانه ما تعاقب عليه الظلام والضياء.

(١٤) رَجْع كل كلمة: ما ترجع به من الكلام إلى نفسك وتردّده في فكرك.

(١٥) النَسَمة: الإنسان نفسه، وجمعها نَسَم.

(١٦) هماهِم: هُمُوم، مجاز من الهَمْهَمَة، ترديد الصوت في الصدر من الهمّ.

(١٧) «ما عليها» أي ما على الأرض.

ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ(١)، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ(٢)، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ(٣)، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ(٤)، وَلَا ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ٱبْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ(٥)، وَلَا ٱعْتَوَرَتْهُ(٦) فِي تَنْفِيذِ ٱلْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ(٧)، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

ٱللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ، وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ(٨)، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ. ٱللَّهُمَّ فَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيبَةِ(٩)، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلْآدَمِيِّينَ، وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ. ٱللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ(١٠) مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً

---

(١) قرارتها: مقرّها، وقرارة النطفة: ما يستقرّ فيه الماء من الأماكن، والنُّطفة: الماء نفسه. ويجوز أن يريد المنيّ، ويقويه ما ذكره بعده من المُضغة.

(٢) النُّقاعة: نُقرة يجتمع فيها الدم، ونقاعة الدم: ما ينقع منه في أجزاء البدن. ونقاعة عطف على نطفة، والمضغة: قطعة اللّحم، وهي عطف على نقاعة، أي يعلم مقر جميع ذلك.

(٣) السلالة في الأصل: ما استلّ من الشيء، وسميت النطفة سلالة الإنسان، لأنّها استلّتْ منه، وكذلك الولد.

(٤) الكلفة: المشقة.

(٥) العارضة: هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله.

(٦) اعتورَتْهُ: تَدَاوَلَتْهُ وتناولته.

(٧) ويروى «وأحصاهم عدّه».

(٨) المبالغة في عدّ كمالاتك إلى ما لا ينتهي.

(٩) يعني بمعادن الخيبة: البشر؛ لأنّ مادحهم ومؤملهم يخيب في الأكثر، وجعلهم مواضع الريبة، لأنّهم لا يوثق بهم في حال.

(١٠) مثوبة: ثواب وجزاء.

عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ[1].

ٱللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِٱلتَّوْحِيدِ ٱلَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهٰذِهِ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْمَمَادِحِ غَيْرَكَ. وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ[2] مِنْ خَلَّتِهَا[3] إِلَّا مَنُّكَ[4] وَجُودُكَ. فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ؛ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٩٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

لَمَّا أَرَادَهُ ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْبَيْعَةِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ[5]

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ[6]، وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ[7]، وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ

(*) ذكرها الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٣٥ بتفاوت يسير جداً.

(١) يرجو أنْ يدلّه على الأعمال التي ترضيه، وكأنّه جعلها ذخائر للرحمة وكنوزاً.

(٢) ينعَش: يرتفع، والماضي نعَش، ومنه النّعْش: لارتفاعه.

(٣) الخَلّة ـ بالفتح ـ: الفقر.

(٤) المَنّ: العطاء والنعمة والإحسان.

(٥) في أكثر النسخ: «لما أراده الناس على البيعة»، ووجدت في بعضها: «أداره الناس على البيعة»، من أدرت فلاناً على كذا، أي عالجته.

(٦) لا تثبت عليه العقول: لا تصبر له، ولا تُطيق احتماله.

(٧) أغامت الآفاق: غطّاها الغيم.

تَنَكَّرَتْ[1]، وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ، وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً.

٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

وَفيها يُنَبِّهُ أَميرُ المُؤْمِنينَ عَلى فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ ويُبَيِّنُ فِتْنَةَ بَنِي أُمَيَّةَ

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ وَٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ[2]، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[3]، وَٱشْتَدَّ

(*) ذكرها أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٦٨، وابن واضح في (تاريخه) ج ٢ ص ١٨٢.

---

(١) المحجة: الطريق المستقيمة، وتنكّرت: أي تغيرت علائمها فجُهلت ولم تُعرف. والمعنى: أنّ الشبهة قد استولت على العقول والقلوب، وجهل أكثرُ الناس محجّة الحق أين هي، وذلك أنّ الأطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس على عهد عثمان بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء. فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا في مساواة مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه، وطلبوا طائشة الفتنة؛ طمعاً في نيل رغباتهم، وأُولئك هم أغلب الرؤساء في القوم، فإنْ أقرّهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلماً، وخالف شرعاً، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة، إن لم ينالوها تحرشوا للفتنة، فأين أتجه للوصول إلى الحق على أمن من الفتن. وقد كان بعد بيعته ما تفرّس به قبلها.

(٢) فقأتها: شققتها وقلعتها، تمثيل لتغلبه عليها، جعل للفتنة عينً محدقة يهابها الناس، فأقدم هو عليها، ففقأ عينها فسكنت بعد هيجانها، وهذا من الاستعارة. وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج.

(٣) الغَيْهَب: الظلمة، وموجها: شمولها وامتدادها، والمراد: بعد ما عمّ ضلالُها لشمل، فكنّى عن ←

كَلَبُهَا[1].

فَٱسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلسَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ[2] تَهْدِي مِئَةً وَتُضِلُّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا[3] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ[4] رِكَابِهَا[5]، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً.

وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ ٱلْأُمُورِ[6]، وَحَوَازِبُ ٱلْخُطُوبِ[7]، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلسَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَسْؤُولِينَ[8]، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ[9]، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ[10]، وَكَانَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ

← الضلال بالغيهب، وعن العموم والشمول بالتموّج.

(١) «اشتدّ كَلَبُها» أي شرّها وأذاها، ويقال للقحط الشديد: كَلَب، والكَلَب: داء معروف يصيب الكلاب، فكلّ من عضّته أصيب به فجُنّ ومات، شبّه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته.

(٢) الفئة: الطائفة.

(٣) ناعقها: الداعي إليها، من نعيق الراعي بغنمه، وهو صوته، نعق بغنمه: صاح بها لتجتمع.

(٤) المُنَاخ - بضم الميم -: *محلّ البروك* من أنخت الجمل.

(٥) الركاب: الإبل، واحدتها راحلة، إذ لا واحد لها من لفظها، وجمعها رُكُب.

(٦) كرائه الأمور: جمع كريهة، وهي الشدّة في الحرب.

(٧) حوازب الأمور: جمع حازب، وهو الأمر الشديد، وحَزَبه الأمر، أي دَهمه واشتدّ عليه.

(٨) فَشِلَ: جبن.

(٩) «إذا قلّصت حربكم» يروى بالتشديد وبالتخفيف، ويروى «عن حربكم» فمن رواه مشدداً أراد انضمّت واجتمعت، وذلك لأنّه يكون أشدّ لها من تفرّقها، ومن رواها بالتخفيف أراد كثرت وتزايدت، من «قَلَصتِ البئر» أي ارتفع ماؤها الى رأسها أو دونه.

(١٠) «وشمّرت عن ساق» استعارة وكناية، يقال للجادّ في أمره: شمّر عن ساق، وذلك لأنّ سبوغ الذيل مَعْثرة.

ٱلْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ(١)، حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ ٱلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

إِنَّ ٱلْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ(٢)، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ(٣)؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ(٤)، يَحُمْنَ حَوْمَ ٱلرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً.

أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ. فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا(٥)، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا(٦)، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا(٧). وَأَيْمُ ٱللهِ(٨) لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَٱلنَّابِ ٱلضَّرُوسِ(٩): تَعْذِمُ بِفِيهَا(١٠)، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا(١١)، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا(١٢)، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ. وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلَ ٱنْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ

---

(١) لأنّ أيّام البؤس طويلة.

(٢) شَبَّهَتْ: اشتبه فيها الحق بالباطل.

(٣) يُعْرَفْنَ مُدْبِراتٍ: لأنّها تعرف بعد انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة.

(٤) ومثال ذلك فتنة الجمل، وفتنة الخوارج، كان كثير من الناس فيها في مبدأ الأمر متوقّفين، واشتبه عليهم الحال، إلى أن انقضت الفتنة، فبان لهم صاحبُ الضلالة من صاحب الهداية.

(٥) الخُطّة: الأمر، أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة، وخصَّت بليتها آل البيت لأنّها اغتصاب لحقهم.

(٦) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية.

(٧) معناه: أنّ العالِم بارتكابهم المنكر مأثوم إذ لم ينكر، والجاهل بذلك لا إثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر؛ لأنّ مَنْ لا يعلم المنكر مُنْكراً لا يلزمه إنكاره.

(٨) «وايم الله»، أصله: وايْمُنُ الله.

(٩) الناب: الناقة المسنة. والضروس: السيئة الخلق تعضّ حالبها.

(١٠) تعذم: من «عذم الفرس» إذا أكل بجفاء أو عضّ، فرسٌ عَذومٌ: يعضّ بأسنانه.

(١١) تزبن: أي تضرب، والزَّبْن: الدفع.

(١٢) درها: لبنها، والمراد خيرها.

رَبِّهِ[1]، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ[2]، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً[3]، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، وَلاَ عَلَمٌ يُرَى[4]، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ[5]، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ[6]، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً[7]، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً[8]، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ[9] لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ السَّيْفَ، وَلاَ يُحْلِسُهُمْ إِلاَّ الْخَوْفَ[10]، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ[11]، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِيهِ[12]!

---

(١) أي انتصار الأذلاء وما هو بانتصار؛ لأنّ العبد لا ينتصر من مولاه أبداً.

(٢) الصاحب من مستصحبه: التابع من متبوعه.

(٣) شوهاء: قبيحة الوجه والمنظر، وجمعها شُوه، والرجل مشوَّه ولا يقال للمذكر: أشوه، ويروى «قطعاء» أي نكراء كالمقطوعة اليد. ومخشيّة: مَخُوفة مرعبة.

(٤) عَلَم: دليل يهتدى به.

(٥) بمنجاة: أي بمعزل، وبمكان النجاة من إثمها، والنَّجاة والنَّجوة: المكان المرتفع، ولسنا فيها بدعاة، أي لسنا من أنصار تلك الدعوة.

(٦) الأديم: الجلد، وتفريجه: سلخه، وتقدّم ﷺ بأنّ الله تعالى يكشف تلك الغمّاء كانكشاف الجلد عن اللحم.

(٧) يَسُومُهم خَسْفاً: يلزمهم ويُوليهم ذلاًّ، وقوله بمن متعلق بـ«يفرجها».

(٨) العُنْف: ضد الرفق.

(٩) وكأس مصبَّرة: ممزوجة بالصَّبِر، وهو المرّ، ويجوز أن يكون «مصبّرة» مملوءة إلى أصبارها، وهي جوانبها، جمع صبر ـ بالضم والكسر ـ بمعنى الحرف: أي إلى رأسها.

(١٠) يُحلسهم: يُلبسهم، من أحلس البعير: إذا ألبسه الحِلْس ـ بكسر الحاء ـ وهو كساء يوضع على ظهره تحت البرذعة، أي لا يكسوهم إلّا خوفاً.

(١١) الجزور: الناقة المجزورة، أو البعير مطلقاً، أو الشاة المذبوحة، أي ولو مدة ذبح البعير أو الشاة.

(١٢) وهذا إخبارٌ عن ظهور المسوَّدة*، وانقراض ملك بني أمية. ولقد وقع ما أخبر به صلوات الله عليه، حتى لقد صدق قوله: «تودُّ قريش ... » فقد نقل أرباب السير كلهم أنّ مروان بن محمّد←

---

* أي بني العباس، وقد كان السواد شعارهم

٩٤ - ومن خطبة له عليه السلام (*)

في صِفَةِ الأَنْبِيَاءِ

فَتَبَارَكَ ٱللهُ(١) ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ(٢)، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ ٱلْفِطَنِ(٣)، ٱلأَوَّلُ ٱلَّذِي لَا غَايَةَ فَيَنْتَهِي، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي.

ومنها: فَٱسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ(٤) كَرَائِمُ ٱلأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ(٥)، حَتَّى أَفْضَتْ(٦) كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً(٧)، وَ أَعَزِّ ٱلأَرُومَاتِ مَغْرِساً(٨)؛ مِنَ

(*) رواها ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٤ ص ٧٤، والصدوق في (التوحيد) ص ٢٠.

← قال يوم الزّاب لما شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بإزائه في صفّ خراسان: لوددتُ أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى.

(١) «فتبارك الله» يحتمل معنيين: أحدهما أن يُراد: تبارك خَيْرُه وزادت نعمه وإحسانه، وهذا دعاء. وثانيهما أن يُراد به: تزايد وتعالى ذاته وصفاته عن أن يقاس به غيره، وهذا تمجيد.

(٢) «لا يبلغه بعدُ الهمم» أي بُعد الأفكار والأنظار، عبّر عنها بالهمم لمشابهتها إياها.

(٣) حَدْس الفطن: ظنُّها وتخمينها.

(٤) تناسختهم: تناقلتهم، ومنه نسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته، أي نقلت ما فيه، ويروى: «تناسلتهم».

(٥) السّلَف: المتقدمون، والخلف: الباقون.

(٦) أفضت: أي انتهت.

(٧) منبت ـ كمجلس ـ: موضع النبات ينبت فيه.

(٨) الأرومات: جمع أرومة، وهي الأصل. والمغرس: موضع الغرس.

ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنهَا أَنبِيَاءَهُ(١)، وَٱنتَجَبَ مِنهَا أُمَنَاءَهُ(٢)، عِترَتُهُ خَيرُ ٱلعِتَرِ(٣)، وَأُسرَتُهُ خَيرُ ٱلأُسَرِ، وَ شَجَرَتُهُ خَيرُ ٱلشَّجَرِ؛ نَبَتَت فِي حَرَمٍ(٤)، وَبَسَقَت فِي كَرَمٍ(٥)؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لايُنَالُ(٦)؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهتَدَى. سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ(٧)، وَزَندٌ بَرَقَ لَمعُهُ(٨)؛ سِيرَتُهُ ٱلقَصدُ(٩)، وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشدُ، وَكَلَامُهُ ٱلفَصلُ، وَحُكمُهُ ٱلعَدلُ؛ أَرسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ(١٠)، وَهَفوَةٍ عَنِ ٱلعَمَلِ(١١)، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلأُمَمِ(١٢).

ٱعمَلُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ ـ عَلَى أَعلَامٍ بَيِّنَةٍ(١٣)، فَٱلطَّرِيقُ نَهجٌ يَدعُو إِلَى دَارِ

---

(١) صَدَعَ: شقّ، صَدَعَ فلاناً: قصده لكرمه، أي اختصّهم بالنبوة من بين فروعها، وهي شجرة إبراهيم ﷺ.

(٢) انتجب: إصطفى واختار.

(٣) عترته: آل بيته، والأُسرة: رهط الرجل الأدنون.

(٤) «ونَبَتَتْ في حَرَمٍ»: يجوز أن يعني به مكّة، ويجوز أن يعني به المنعة والعزّ.

(٥) بسقت: ارتفعت.

(٦) لا يريد به أنّ ثمرها لاينتفع به، لأنّه ليس بمدح، وإنّما أراد أنّ ثمرها لاينال قهراً، ولا يجنى غصباً.

(٧) سَطَعَ الصبح، أي ارتفع، والسَّطيع: الصبح.

(٨) الزُّند: العود تقدح به النار.

(٩) القصد: الاعتدال والاستقامة.

(١٠) الفترة: الزمان بين الرسولين.

(١١) الهفوة: الزلة، هفوة عن العمل: زلّة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين.

(١٢) الغباوة: الجهل وقلة الفطنة.

(١٣) أعلام بيّنة: أي منار واضح، أي *تواضح الطرق البينة*.

ٱلسَّلَامِ[1]، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ[2] عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ؛ وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَٱلتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يَصِفُ فِيهَا حَالَ النَّاسِ عِنْدَ البِعْثَةِ

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ[3]، قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ[4]، وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ[5]، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلَاءُ[6]. حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ[7] مِنَ

---

(١) نهج: أي واضح وقويم. ويدعو إلى دار السلام: يوصل إليها، ودار السلام: الجنة. ويروى «والطريق نهج» بالواو، واو الحال.

(٢) مستَعْتَب ـ بفتح التاءين ـ: طلب العُتبى، أي الرضى من الله بالأعمال النافعة. «أنتم في دار مستعتَب» أي في دار يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه واستعتابه.

(٣) حاطبون في فتنة: جمع حاطب، وهو الذي يجمع الحَطَب، ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ، أو يتكلم بالغثّ والسمين: حاطب ليل؛ لأنه لا يبصر ما يجمع في حَبْله. ويروى: «خابطون» [كما في نسخة عبده، وغيرها].

(٤) واستهوتهم الأهواء: دعتهم إلى نفسها.

(٥) استزلّتهم الكبرياء: جعلتهم ذوي زلل وخطأ، فأدّت بهم للزَّلل والسقوط في المضارّ، وتأنيث الفعل على تأويل أنّ الكبرياء صفة. وفي رواية: استزلّهم «الكُبَراء» أي أضلّهم كبراؤهم وسادتهم.

(٦) استخفّتهم الجاهلية: جعلتهم ذوي خِفّة وطَيْش وخُرْق، والجاهلية حالة العرب قبل نور العلم الإسلامي، والجهلاء وصف لها للمبالغة.

(٧) زَلْزَال، بالفتح: الاسم، وبالكسر المصدر، والزلازل: الشدائد.

ٱلْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ، فَبَالَغَ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فِي ٱلنَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ، وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ.

٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَٱلْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَٱلظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَٱلْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ ٱلسَّلَامَةِ[1]؛ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ ٱلْأَبْصَارِ[2]، دَفَنَ ٱللَّهُ بِهِ ٱلضَّغَائِنَ[3]، وَأَطْفَأَ بِهِ ٱلثَّوَائِرَ[4]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً[5]. وَأَعَزَّ

---

(١) المهاد: الفراش، ولما قال: «في معادن» وهي جمع معدن، قال بحكم القرينة والازدواج: «ومَمَاهِد» وإن لم يكن الواحد منها مَمْهَداً، كما قالوا: الغدايا والعشايا. ويعني بالسلامة ههنا البراءة من العيوب، أي في نسب طاهر غير مأفون ولامعيب؛ فإنّه ولد في أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح.

(٢) الأزِمّة: جمع زمام، وانثناء الأزِمّة إليه عبارة عن تحولّها نحوه.

(٣) الضغائن: الأحقاد، جمع ضغينة، وهي الحِقْد. ودَفَنَها: أكمنها وأخفاها، فهو رسول الألفة، وأهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير، ومن لم يكن في عروة الألفة منهم فهو ـ والله أعلم ـ خارج عنهم.

(٤) الثوائر: جمع ثائرة، وهي العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضرّه إن لم يقتله.

(٥) «ألّف به إخواناً وفرّق به أقراناً» لأنّ الإسلام قد ألّف بين المتباعدين كعليّ وعمّار، وفرّق بين المتقاربين كحمزة وأبي لهب، وفرّق به أقران الألفة على الشرك.

بِهِ ٱلذِّلَّةَ[١]، وَأَذَلَّ بِهِ ٱلْعِزَّةَ. كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ[٢].

٩٧ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في توبيخ أصحابه

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ[٣]، وَهُوَ لَهُ بِٱلْمِرْصَادِ[٤]، عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ[٥]، وَبِمَوْضِعِ ٱلشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ[٦].

أَمَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِٱلْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي، وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. ٱسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ

(*) ذكرها ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج٢ ص ٢٠١، وأبو نعيم في (الحلية) ج١ ص ٧٦، وابن عساكر في (تأريخ دمشق) في ترجمة علي عليه السلام.

---

(١) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذلّ به عزّة الشرك والظلم والعدوان.

(٢) «صمته لسان» أي أن صمته عليه السلام كلامٌ وقولٌ مفيد.

(٣) أمهله: أخّره. «ولن يفوتَ أخذه» أي لا يذهب عنه أن يأخذه.

(٤) المرصاد: الطريق.

(٥) مجاز طريقه: مسلكه وموضع جوازه.

(٦) الشّجا: ما ينشب ويعترض في الحلق من عظم أو غيره، وموضع الشجا: الحلق نفسه. ومساغُ ريقه: موضع الإساغة، أسغت الشراب: أوصلته إلى المعدة، أي ممره من الحلق، والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلٰهية من الظالمين.

تَقْبَلوا[١]. شُهُودٌ كَغُيَّابٍ[٢]، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ[٣]! أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا[٤]. تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ[٥]. أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ ٱلْحَنِيَّةِ[٦]، عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ[٧].

أَيُّهَا ٱلْقَوْمُ ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، ٱلْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ ٱلشَّامِ يَعْصِي ٱللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ! لَوَدِدْتُ وَٱللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ ٱلدِّينَارِ بِٱلدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ!

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ[٨]: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ[٩]، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ!

---

(١) «نصحتُ لكم» هو الأفصح، وعليه ورد لفظ القرآن، وقول العامة: «نصحتك» ليس بالأفصح.

(٢) شهود: جمع شاهد، بمعنى الحاضر. وغيّاب: جمع غائب.

(٣) «عبيدٌ كأرباب» يصفهم بالكِبْر والتِّيه.

(٤) «أيادي سبأ» مثل يضرب للمتفرّقين، قالوا: إنّ سبأ هو أبو عرب اليمن، كان له عشرة أولاد، جعل منهم ستة يميناً له وأربعة شمالاً؛ تشبيهاً لهم باليدين، ثم تفرق، أولئك الأولاد أشدّ التفرّق.

(٥) «تتخادعون عن مواعظكم» أي تمسكون عن الاتّعاظ والانزجار، من قولهم: كان يُعطي ثم خدع، أي أمسك وأقلع، ويجوز أن يريد: تتلونون وتختلفون في قبول الموعظة.

(٦) الحنيّة: القوس، وقوله: «كظهر الحنيّة»، يريد اعوجاجهم.

(٧) أعضل، أي أعيا واستعصى واستصعب، ويروى «أيها الشاهدة أبدانهم» بحذف القوم.

(٨) إنّما لم يقل بخمس؛ لأنّ ثلاث إيجابية والإثنين سَلْبية، فأحبّ أن يفرّق بين الإثبات والنفي.

(٩) ويروى: «لا أحرار صُدُق» جمع صادق، وهذه وما بعدها هما الثنتان، وما قبلها هي الثلاثة.

تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[1]! يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ. وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ[2] أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى[3]، وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ وَقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا[4]. وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً[5].

ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَٱلْزَمُوا سَمْتَهُمْ[6]، وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ. فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً، فَإِنْ لَبَدُوا فَٱلْبُدُوا[7]، وَإِنْ نَهَضُوا فَٱنْـهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ[8]، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[9]،

---

(١) «تربتْ أيديكم» كلمة يدعى على الإنسان بها، أي لا أصبتم خيراً. وأصل «ترِبَ» أصابه التراب، فكأنّه يدعو عليه بأن يفتقر حتى يلتصق بالتراب.

(٢) إخال: أي أظنّ، والأفصح كسر الألف وهو السماع، وبنو أسد يفتحونها وهو القياس.

(٣) حمِس الوغى، بكسر الميم: اشتدّ وعَظُم، والوغى في الأصل: الأصوات والجلبة، وسميت الحرب وغىً لما فيها من ذلك.

(٤) «انفراج المرأة عن قُبُلها» أي وقت الولادة، أو عندما يشرع عليها السلاح، والمشابهة في العجز والدناءة في العمل.

(٥) «ألقطه لقطاً» يريد أنّ الضلال غالب على الهدى، فأنا ألتقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطاً من ههنا وههنا. واللَقط: أخذ الشيء من الأرض، وإنّما سمي اتباعه لمنهاج الحق لقطاً لأنّ الحق واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل.

(٦) السمت: الطريق، وهنا طريقهم أو حالهم أو قصدهم.

(٧) لَبَدَ: أقام، ولَبِدَ الشيءُ بالأرض، يلبُد -بالضم- لُبوداً: التصق بها، أي إن أقاموا فأقيموا.

(٨) في بعض النسخ «فما أرى أحداً منهم يشبههم».

(٩) «يصبحون شُعثاً غُبراً» من تقشف العبادة وقيام الليل وصوم النهار وهجر الملاذ. وشُعثاً: جمع أشعث، وهو المغبر الرأس. والغُبْر: جمع أغبر، والمراد أنهم كانوا متقشفين.

وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ[1]، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى[2] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ[3] حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ[4]، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ[5]!

٩٨ - ومن كلام له عليه السلام *

في ظُلْمِ بَنِي أُمَيَّةَ

وَاللّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ[6]، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ،

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٥١.

---

(١) تارة يسجدون على الجباه، وتارة على الخدود: تذللاً وخضوعاً، والمراوحة بين العمل: أنْ يعمل هذا مرّة وهذا مرة، ويراوح بين رجليه، إذا قام على هذه تارة وعلى هذه أُخرى.

(٢) رُكَب: جمع ركبة، موصل الساق من الرجل بالفخذ، وإنما خصّ ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أي أنهم لطول سجودهم يطول سهودهم، وكأنّ بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن النوم والاستراحة.

(٣) هَمَلَتْ أعينُهُم: سالَت، تهمُل وتهمِل.

(٤) ويروى «حتى تُبلّ جباههم» أي يبلّ موضع السجود فتبتل الجبهة بملاقاته.

(٥) مادوا: تحركوا واضطربوا وارتعدوا، إمّا خوفاً من العقاب كما يتحرك الرجل ويضطرب، أو رجاءً للثواب كما يتحرك النشوان من الطرب، والمسرور من الفرح.

(٦) الكلام في بني أمية. والمحرّم: ما حرمه الله، واستحلاله: استباحَتُهُ.

وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[1] إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ[2] سُوءُ رِعَتِهِمْ[3]، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ[4]، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

٩٩ - ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي وَصْفِ الدُّنْيَا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ[5].

(*) رواها النوري في (المستدرك) ج ١ ص ٤١١، والصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ج ١ ص ٢٧٠.

(١) بيوت المَدَر: هي البيوت المبنيّة في القرى من طوب وحجر ونحوها. وبيوت الوَبَر: الخيام، تتّخذ في البادية من وبر الإبل.

(٢) نبا به منزله: إذا ضرّه ولم يوافقه فارتحل عنه.

(٣) سوء رِعتهم: أي سوء ورعهم، ويروى «سوء رَعْيهم» [كما أثبته عبده والصالح] أي سوء سياستهم وامرتهم. وإن البيوت تسربل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجلة لينخسر العمران، ولا تتبوأ الحكومة الظالمة إلّا خراباً تنعق فيه فلا يجيبها إلّا صدى نعيقها.

(٤) «نصرة أحدكم من أحدهم» أي انتصاره منه وانتقامه.

(٥) لقد ظرّف وأبدع عليه السلام في قوله هذا، وذلك أنّ للأديان سُقماً وطبّاً وشفاءً، كما أنّ للأبدان ذلك

أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا[1]، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا. فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[2] سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً[3] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ. وَكَمْ عَسَى ٱلْمُجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا[4] حَتَّى يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ[5] مِنَ ٱلْمَوْتِ يَحْدُوهُ[6]، وَمُزْعِجٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً! فَلَا تَنَافَسُوا[7] فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا[8]، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ، وَزِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ[9]، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ. أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ[10]، وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى

---

(١) التَّرْك: الرفض، وإبلٌ رَفْض: متروكة ترعى حيث شاءت.

(٢) قوم سَفْر ـ بفتح فسكون ـ: أي مسافرون، أي أنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق، فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة.

(٣) أمّوا: قصدوا. والعَلَم: الجبل أو المنار في الطريق يهتدى به.

(٤) «وكم عسى المجري ...» أجرى فلان فرسه الى الغاية، إذا أرسلها، ثم تُقل ذلك الى كل من يقصد بكلامه معنى أو يفعل غرضاً، فقيل: فلان يجري بقوله كذا، أي يقصد كذا.

(٥) الحثيث: السريع.

(٦) يحدوه: يتبَعُهُ ويسوقه [إلي نسخة ابن الجوزي وجده «وطالبٌ حثيثٌ يحدوه في الدنيا حتى يفارقها».]

(٧) المنافسة: المحاسدة، ونفستُ عليه بكذا، أي ضَنِنتُ.

(٨) البؤس: الشدة.

(٩) النفاد: الفناء.

(١٠) مُزدَجَر: مصدر ميمي من ازدَجَر، ومعناه الارتداع والانزجار أو مزدجر مكان للازدجار والا نتداء

ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ! أَوَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيْتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ[1]، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؛ وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي! أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَاتِ، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ[2]؛ وَٱسْتَعِينُوا ٱللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

١٠٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام

فِي رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلنَّاشِرِ فِي ٱلْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَٱلْبَاسِطِ فِيهِمْ بِٱلْجُودِ يَدَهُ[3]. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[4]، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى

---

(١) بنفسه يجود: من «جاد بنفسه» إذا قارب أن يقضي نحبه، كأنه يسخو بها ويُسلمها إلى خالقها.

(٢) «عند» متعلق بـ«اذكروا». والمساورة: المواثبة، ومنه سَوّار، أي وثّاب مُعَرْبِد، كأنّ العمل القبيح ـ لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية ـ ينفر من مُقْتَرِفه كما ينفر الوحش، فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه، وهو في غائلته على مجترمه كالضاريات من الوحوش، فهو يثب على مواثبه ليهلكه، فما ألطف التعبير بالمساورة في هذا الموضع!

(٣) يده ـ ههنا ـ: نعمته.

(٤) صادعاً: أي مظهراً ومجاهراً للمشركين، فالقاً به جدران الباطل لهادِمَها.

رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ ٱلْحَقِّ[1]، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ[2]، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ[3]، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ. دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ[4]، بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ[5]، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ[6]، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللَّهُ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[7]. فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ[8]، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ[9]. فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى

---

(١) رايةُ الحقّ: الثّقلان المخلّفان بعد رسول الله ﷺ؛ وهما الكتاب والعترة.

(٢) مَرَق: خرج عن الدين، والذي يتقدم راية الحق هو من يزيد على ما شرع الله أعمالاً وعقائد يظنها مزينة للدين، ومتممة له، ويسميها بدعة حسنة.

(٣) زَهقَ الباطل: اضمحلّ وهلك.

(٤) «دليلُها مكيثُ الكلام» يعني نفسه ؑ، ومكيثُ الكلام: بطيئه، رزين في قوله، لا يبادر به عن غير روية، ورجل مكيث؛ أي رزين، والمعنى أنّه ذو أناة وتؤدة، ثم أكّد ذلك بقوله: «بطيء القيام» و «سريع إذا قام»، إذا نهض جَدّ وبالغ، فهو لا ينبعث للعمل بالطيش وإنّما يأخذ له عدّة إتمامه، فإذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى إليه مسرعاً، وكأنّه يصف بذلك حال نفسه كرّم الله وجهه.

(٥) أي أطعتموه.

(٦) أي أعظمتموه وأجللتموه، كالملك الذي يشار إليه بالإصبع، ولا يخاطب باللسان.

(٧) أخبرهم أنّهم يلبثون بعده ما شاء الله، ولم يحدده بوقت معين، ثم يطلع الله لهم مَنْ يجمعهم ويضمهم، يعني من أهل البيت ؏، وهذا إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت. وقوله: «يضمُّ نشركم» أي يصل متفرقكم.

(٨) فلا تطمعوا في غير مقبل: أي لا تطمعوا في صلاح أموركم بشيء من الرياسات التي تشهدونها وإنّما تتصلح أموركم على يد رئيس يقدمُ عليكم، مستأنف الرياسة خامل الذكر، ليس أبوه بخليفة، ولا كان هو ولا أبوه مشهورين بينكم برياسة، وهذه صفة المهدي الموعود به. والإقبال والإدبار في الجملتين لا يتواردان على جهة واحدة، فالمُقبل: بمعنى المتوجه إلى الأمر، الطالب له، الساعي إليه، والمُدْبر: بمعنى من أدبرت حاله، واعترضته الخيبة في عمله وإن كان لم يزل طالباً.

(٩) «ولا تيأسوا مِنْ مدبر» أي وإذا مات هذا المهدي وخلفه بنوه بعده، فاضطرب أمر أحدهم فلا تيأسوا وتتشككوا وتقولوا: لعلنا أخطأنا في اتباع هؤلاء؛ فإنّ المضطرب الأمر منّا سيثبت←

قَائِمَتَيْهِ(١)، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ(٢)، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ(٣).

١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

وَهِيَ إِحْدَى الْخُطَبِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْمَلَاحِمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي(٤)، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي(٥)، وَلَا تَتَرَامَوْا

(*) هذا الفصل وما يأتي بعده والذي يأتي برقم ١٢٨ كلها خطبة واحدة.

← دعائمه، وإذا زلّت إحدى رجليه ثبتت الأخرى لتثبت الأولى أيضاً. ويروى: «فلا تطعنوا في عين مقبل»، أي لا تحاربوا أحداً منّا، ولا تيأسوا من إقبال مَنْ يدبر أمره منّا.

(١) قائمتاه: رجلاه.

(٢) خوى: مال للمغيب.

(٣) وعدهم بقرب الفرج، وهذا على نمط المواعيد الإلهية بقيام الساعة، فإنّ الكتب المنزلة كلّها صرّحت بقربها وإن كانت بعيدة عندنا، لأنّ البعيد في معلوم الله قريب: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج:٧].

(٤) لا يجرمنكم: لا يحملنّكم، وشقاقي: مخالفتي وعصياني. وتقدير الكلام: «لايجرمنكم شقاقي على أن تكذبوني»، وقيل: لا يكسبنكم، والمفعول محذوف أي خسراناً، أي لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق خسراناً، ولا تعصوني ليتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة.

(٥) لايستهوينكم: أي لا يستهيمنكم، بجعلكم هائمين.

بِالْأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي[1]، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[2]، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَاللَّهِ مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ[3]. لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ[4] قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ[5]، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ[6] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[7]، فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[8]، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[9]، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ[10]، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ

---

(١) «لا تراموا بالأبصار» أي لا يلحَظْ بعضكم بعضاً؛ فعل المنكِر المكذِّب، أي لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزاً بالإنكار لما أقول.

(٢) «فَلَقَ الحبّة من البُرّ» أي شقها وأخرج منها الورق الأخضر. وبرأ النسمة: أي خلق الإنسان/ر الروح، وهذا القَسَم من مبتكراته ﷺ.

(٣) المبلِّغ والسامع هو نفسه ﷺ.

(٤) الضِّلِّيل ـ كالشِّرِّيب ـ: الكثير الضَّلال، مبالغة في الضلال، وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان؛ لأنّ هذه الصفات فيه أتمّ منها في غيره، وقيل: أنّه كنّى عن معاوية، والأوّل أرجح.

(٥) النعيق: صوت الراعي بغنمه.

(٦) «فحص براياته» من قولهم: ماله مفحَص قطاة، أي مجثمها، وفحص القطا التراب: إذا اتّخذ فيه أُفحوصاً ـ بالضم ـ: وهو مَجْثَمُهُ، أي المكان الذي يقيم فيه عندما يكون على الأرض، يريد أنّه نصب له رايات بحثت لها في الأرض مراكز، فكأنّهم جعلوا ضواحي الكوفة مفحَصاً ومجثماً لراياتهم.

(٧) كوفان: اسم الكوفة، أي أنّه كاد يصل الكوفة حيث إنّ راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها، وهو ما أشار إليه بالضواحي.

(٨) فغَرَ الفَمُ: انفتح، وفغرته، فهو لازم ومتعد، وفغرت فاغرته: فتح فاه، أي إذا فتك فتحَ فاه وقتل، كالأسد يفتح فاه عند الافتراس، والتأنيث للفتنة.

(٩) الشكيمة في الأصل: حديدة معترضة في اللجام في فم الدّابّة، ثم قالوا: فلانٌ شديد الشكيمة، إذا كان شديد المراس، عَسِر الانقياد.

(١٠) ثقلت وطأته: عظم جَوْره وظلمه.

ٱلْأَيَّامِ كُلُوحُهَا[1]، وَمِنَ ٱللَّيَالِي كُدُوحُهَا[2]. فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ[3]، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ[4]، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ[5]، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ[6]، عُقِدَتْ رَايَاتُ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُعْضِلَةِ[7]، وَأَقْبَلْنَ كَٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ، وَٱلْبَحْرِ ٱلْمُلْتَطِمِ.

هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ ٱلْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ[8]، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ[9]! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ ٱلْقُرُونُ بِٱلْقُرُونِ[10]، وَيُحْصَدُ ٱلْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ ٱلْمَحْصُودُ[11]!

---

(١) كلوح الأيام: عبوسها.

(٢) الكدوح: الآثار من الجراحات والقروح، الواحد الكَدْح، أي الخدش، المراد من قوله: «من الأيام»، ثم قال: «من الليالي» أنّ هذه الفتنة مستمرة الزمان كلّه؛ لأنّ الزمان ليس إلّا النهار والليل.

(٣) أينع الزرع: أدرك ونضج وحان قطافه، وهو اليَنْع واليُنْع، بالفتح والضم؛ مثل النَّضج والنُّضج.

(٤) «قام على يَنْعه» الأحسن أن يكون «ينع» ههنا جمع يانع كصاحب وصَحْب، ويجوز أنّه أراد المصدر، أي وقام على صفةٍ وحالةٍ هي نضجة وإدراكه.

(٥) الشقاشق: جمع الشِّقشقة، وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها: هدير.

(٦) برقت بوارقه: سيوفه ورماحه.

(٧) المعضلة: العسرة العلاج، داء معضل.

(٨) يخرق الكوفة: يقطعها. والقاصف: الريح القوية تكسر ما تمر به وتقصفه، أو هو ما اشتدّ صوته من الرعد والريح وغيرهما.

(٩) العاصف: ما اشتد من الريح، والمراد مزعجات الفتن.

(١٠) وهذا كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بني أُمية. والقرون: الأجيال من الناس، واحدها قَرْن بالفتح. يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح، وما بقي من الصلاح قائماً يُحصد، وما كان قد حُصِدَ يُحطم ويُهشم، فلا يبقى إلّا شرّ عام وبلاء تام إن لم يقم للحق أنصار.

(١١) كناية عن قتل الأمراء من بني أُمية في الحرب، ثم قتل المأسورين منهم صَبراً، وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن عليّ، وأبي العباس السفاح.

١٠٢ـ ومن خطبة له عليه السلام

تجري هذا المجرى

وَذلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ ٱلْحِسَابِ(١) وَجَزَاءِ ٱلْأَعمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ(٢)، وَرَجَفَتْ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ(٣). فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

وَمِنْهَا: فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ(٤)، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ(٥)، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً(٦)، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا(٧)، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا(٨). أَهْلُهَا قَوْمٌ

---

(١) نقاش الحساب: الاستقصاء فيه.

(٢) ألجمهم العرق: سال منهم حتى بلغ الى موضع اللجام من الدابة؛ وهو الفم.

(٣) رجفت بهم: تحركت واضطربت، والرّجفة: الزلزلة والرجّاف من أسماء البحر؛ سمي بذلك لاضطرابه.

(٤) قِطَع الليل: جمع قِطْع، وهو الظلمة.

(٥) لا تقوم لها قائمة: أي لا تنهض بحربها فئة ناهضة، ولا يتمكن أحد من القيام لها وصدّها، أو لا تقوم لتلك الفتن قائمة من قوائم الخيل، وقوائم الفرس: رجلاه، يعني لا سبيل الى قتال أهلها، ولا يقوم لها قلعة قائمة أو بيّنة قائمة بل تنهدم.

(٦) مزمومة مرحولة: أي تامّة الأدوات كاملة الآلات، كالناقة التي عليها رَحْلها وزمامها قد استعدّت لأن تُرْكَبَ.

(٧) يحفِزُها: يدفعها، أي يحثّونها ليقرّوا بها في دياركم، وفيكم يحطون الرحال.

(٨) يجهَدها: يحمل عليها في السَّير فوق طاقتها، والمراد أنّ أرباب الفتن يجتهدون في إضرام نارِها، رَجْلاً وفرساناً. فالرّجْل كنّى عنهم بالقائد، والفرسان بالراكب.

شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ(١)، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(٢)، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ(٣)، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ(٤)، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكِ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ! لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حَسَّ(٥)، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِٱلْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ، وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ(٦)!

---

(١) الكَلَب: الشدة من البرد وغيره، ومثله الكُلْبة، والكَلَب أيضاً: الشَّرّ والأذى.

(٢) السَّلَب ـ محرّكة ـ: ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب، أي ليسوا من أهل الثروة، «قليل سَلَبهم» أي همُّهم القتل لا السلب، كما قال أبو تمّام:

إن الأُسـودَ أُسـود الغـاب هِـمَّتُها يومَ الكريهة في المـسْلوبِ لا السَّلَب

(٣) وهذه من صفات المؤمنين.

(٤) وهذا إنذار بملحمةٍ تجري في آخر الزمان، وقد أخبر النبيﷺ بنحو ذلك، وقيل أنه أشار الى الملائكة، إلّا أن لفظ «أذلةٍ عند متكبرين» يبعد هذا التفسير.

(٥) الرهج: الغبار، والحَسّ ـ بفتح الحاء ـ: الجلبة والأصوات المختلطة. وكنّى بهذا الجيش عن جَدْب وطاعون يصيب أهلها حتى يبيدهم. وفسر قوم هذا الكلام بوقعة صاحب الزَّنج؛ وهو بعيد، لأنّ جيشه كان ذا حسّ ورَهج، ولأنّهعليه السلام أنذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن، ولم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتنٌ شديدة على الصفات التي ذكرها أمير المؤمنينعليه السلام.

وصاحب الزنج: هو علي بن محمد بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، ادّعى أنّه علوي من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة، وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين واستفحل أمره وانتشر أصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب، وملك «الابلة» عنوة وفتك بأهلها واستولى على عبادان والأهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز. وسلّم عاصمة ملكه ـ وكان سماها المختارة ـ بعد محاصرة شديدة، وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم.

(٦) الموت الأحمر، كناية عن الوباء والجوع، وسُمّي الموت الأحمر لشدّته، ووصف الجوع بأنّه أغبر، لأنّ الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاماً. والجوع الأغبرَ: كناية عن المَحْل والجَدْب.

١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا، ٱلصَّادِفِينَ عَنْهَا(١)، فَإِنَّهَا وَٱللّٰهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِيَ ٱلسَّاكِنَ(٢)، وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ(٣) ٱلآمِنَ. لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ(٤) بِٱلْحُزْنِ، وَجَلَدُ ٱلرِّجَالِ فِيهَا إِلَى ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهَنِ(٥)، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَٱعْتَبَرَ، وَٱعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ(٦)، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ. وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

(*) ذكرها الزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ٢ ص ٢١٩، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ٢ ص ٣٥٢، وابن طلحة في (مطالب السؤول) ج ١ ص ٢٠٢.

---

(١) الصادفين عنها: أي المعرضين، وامرأة صدوف: التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف عنك.

(٢) عمّا قليل: عن قليل، وما زائدة. والثاوي: المقيم.

(٣) المترَف: الذي قد أترفته النعمة، أي أطغته، أو المتروك يصنع ما يشاء لا يُمْنَع.

(٤) مشوب: مخلوط.

(٥) الجلَد: الصلابة والقوة. والوَهن: الضعف نفسه.

(٦) فإنّ الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنّه لم يكن، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنّه كان لم يزل، فكأنّه وهو في الدنيا من سكان الآخرة.

ومنها: اَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ(١) الْآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ(٢)، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ(٣).

ومنها: وَذلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ(٤)، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ(٥)، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ. أُولئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ السُّرَى(٦)، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ(٧).

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ(٨). أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ(٩)، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾(١٠).

---

(١) الحرث ـ هنا ـ: كل ما يُقصد ثمره لفائدة.

(٢) ما عمل له هو حرث الدنيا.

(٣) وَنَى فيه: تَراخى فيه، وهو حرث الآخرة.

(٤) نُوَمَة ـ بضم ففتح ـ: كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار في شرورهم، فإذا رأوه لا يعرفونه منهم، وإذا غاب لا يفتقدونه.

(٥) شَهِدَ: حَضَرَ.

(٦) السُّرى: السير في الليل، وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب.

(٧) وروي: «أولئك يفتح بهم أبواب رحمته، ويكشف بهم ضرّاء نقمته»، أي ببركاتهم يكون الخير ويندفع الشرّ.

(٨) كفأتُ الإناء: أي قلبتُه وكببته.

(٩) ليتبين الصادق من الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه.

(١٠) أي أنه تعالى إذا فسد الناس لا يلجئهم إلى الصلاح، لكن يتركهم واختيارهم امتحاناً لهم.

قال الرضيّ ﷺ: أمّا قوله ﷺ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ» فإنّما أرادَ به الخامِلَ الذِّكْرِ القليلَ الشرِّ. والمَسَايِيحُ: جمعُ مِسْيَاحٍ، وهو الذي يَسِيحُ بينَ الناسِ بالفسادِ وَالنمائمِ. والمَذَايِيعُ: جمعُ مِذْيَاعٍ، وهو الذي إذا سمعَ لغيرِهِ بفاحشةٍ أذاعها، وَنَوَّهَ بها. وَالْبُذُرُ: جمع بَذُورٍ، وهو الَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ[1].

١٠٤ - ومن خطبة له عليه السلام *

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ[2]، وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ[3]، يَحْسِرُ ٱلْحَسِيرُ[4]، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ[5]، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ[6]، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ

(*) تقدم مصدر هذه الخطبة تحت رقم ٢٣.

---

(١) البُذُر: جمع بَذور، وهو الذي يذيع الأسرار، وليس كما قال الرضي ﷺ فقد يكون الإنسان بَذُوراً وإنْ لم يكثُر سفهه ولم يَلْغُ منطقه، والذي في القاموس أن البَذور بالفتح: كالبذير، هو النمام.

(٢) مَنْجاتهم: نجاتهم.

(٣) «يبادر بهم الساعة» كأنّه كان يخاف أن تسبقه القيامة، فهو يبادرها بهدايتهم وإرشادهم قبل أن تقوم، وهم على ضلالهم.

(٤) الحسير: المعيا، ومنه حَسَرَ البصر، أي كَلّ، وحَسَرَ البعير: إذا أعيا وكَلّ.

(٥) الكسير: المكسور، أي أنّ من ضعف اعتقاده، أو كلّت عزيمته، فتراخى في السير على سبيل المؤمنين، أو طرقته الوساوس فهشمت قوائم همته، بزلزال في عقيدته، فإنّ النبي ﷺ كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا، ويلحق بالمخلصين، إلّا من كان ناقص الاستعداد خبيث العنصر فلا ينجح فيه الدواء فيهلك.

(٦) أي حتى يوصله إلى الغاية، وهي اعتقاد الحق وسكون النفس إلى الإسلام، وهو معنى ما سيأتي من قوله: وبوّأهم مَحلّتهم.

مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ[1]، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ. وَايْمُ اللّٰهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا[2] حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا[3]، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا[4]؛ مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ. وَايْمُ اللّٰهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ[5] حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: وَقَدْ تَقَدَّمَ مُخْتَارُ هٰذِهِ الْخُطْبَةِ، إِلَّا أَنَّنِي وَجَدْتُهَا فِي هٰذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَى خِلَافِ مَا سَبَقَ مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، فَأَوْجَبَتِ الْحَالُ إِثْبَاتَهَا ثَانِيَةً.

١٠٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي بَعْضِ صِفَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَتَهْدِيدِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَعِظَةِ النَّاسِ

حَتَّى بَعَثَ اللّٰهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيداً[6]، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ

(*) روى الشيخ المفيد طرفاً من هذه الخطبة في (الإرشاد) ص ١٦٠.

---

(١) الرّحى: رحى الحرب يطحنون بها. والقناة: الرمح. واستقامتها كناية عن صحة الأحوال وصلاحها. يقول: «فاستدارت رحاهم» أي انتظم أمرهم، لأنّ الرحا إنّما تدور إذا تكاملت أدواتها وآلاتها كلّها، وهو أيضاً معنى قوله «واستقامت قناتهم»، وكلّ هذا من باب الاستعارة، كناية عن وفرة أرزاقهم، فإنّ الرّحى إنّما تدور على ما تطحنه من الحبّ. أو كناية عن قوة سلطانهم على غيرهم.

(٢) الساقة: جمع سائق، والمراد الجاهلية، كأنّه جعلها مثل كتيبة مصادمة لكتيبة الإسلام، فحمل عليها بسيفه حتى فرّت وأدبرت، وأتبعها يسوقها وهي مولّية بين يديه.

(٣) بحذافيرها: أي كلّها عن آخرها.

(٤) «واستوسقت في قيادها» يعني الملّة الإسلامية أو الدعوة. واستوسقت: اجتمعت، ويجوز أن يعود الضمير هنا للجاهلية أيضاً، أي واجتمعت تحت ذلّ المقادة.

(٥) البَقر بالفتح: الشق، أي لأشُقّنّ جَوْفَ الباطل بقهر أهله فأنتزع الحق من أيدي المبطلين. والتمثيل في غاية من اللطف.

(٦) معنى كونه صلى الله عليه وآله «شهيداً»، أنّه يشهد على الأمة بما فعلته من طاعة وعصيان.

طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً[١]، وَأَطْهَرَ ٱلْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً[٢]، وَأَجْوَدَ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[٣]، فَمَا ٱحْلَوْلَتْ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا[٤] فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا[٥] إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا[٦]، قَلِقاً وَضِينُهَا[٧]، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ[٨]، وحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا وَٱللّٰهِ ظِلّاً مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَٱلْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[٩]، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ[١٠]، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ[١١].

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً[١٢]، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَٱلْحَاكِمِ فِي

---

(١) أنجبها: أكرمها، ومنه أنجب الرجل، أي وَلَد ولداً نجيباً.

(٢) الشيمة: الخُلق.

(٣) الديمة: مَطَرٌ يدوم في سكون. والمستمطرون: المستَجْدَوْنَ والسماحون، أي مَن يُطلَب منهم المطر، والمراد هنا النجدة والمعونة، فالنبي ﷺ أغزر الناس فيضاً للخير على طلابه.

(٤) احلولت: حَلَت.

(٥) الأخلاف: جمع خِلْف بالكسر، وهو حَلَمة الضَّرْع.

(٦) الخِطام: زِمام الناقة، وهو ما يوضع في أنف البعير لِيُقادَ به، خطمتُ البعير: زممته.

(٧) الوضين: بِطانٌ عريض منسوج من سُيور أو شَعَر، يكون للرحل كالحِزام للسَّرْج. وجولان الخطام وقلق الوضين إمّا كناية عن الهزال، فإنّ الخطام الجائل لايشتد على البعير فيجذبه. وإمّا كناية عن صعوبة القياد، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه؛ لاضطراب الرحل بقلق الوضين.

(٨) السِّدْر: شجر النبق، والمخضود: الذي خُضِد شوكه، أي قُطع، أو مثني الأغصان من ثقل الحمل، والتشبيه في اللذة.

(٩) شاغرة: خالية، وبلدة شاغرة إذا لم تمتنع من غارة أحد، أي بعد بعثة النبي ﷺ شغرت لكم الأرض، أي لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها.

(١٠) وسيوفكم مسلّطة على أهل البيت الذين هم القادة والرؤساء.

(١١) وكأنّه كان يرمز الى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله، وكأنّه يشاهد ذلك عياناً.

(١٢) الثائر: طالب الثأر، ولا يُبقي على شيء حتى يدرك ثأره، وثَأَرَهُ: طَلَبَ بدمه وقتَلَ قاتلَه.

نْ نَفْسِهِ(١)، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ! أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ لْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ! أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ!(٢)

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ(٣)، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ يْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ(٤).

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا لْمَنْزِلِ(٥) نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ(٦)، يَنْقُلُ الرَّدَى(٧) عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، رَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ! فَاللَّهَ للَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ(٨)، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ.

---

(١) الطالب بدمائنا ينال ثأره حتماً كأنّه هو القاضي بنفسه لنفسه، ليس هناك من يحكم عليه فيمانعه عن حقّه.

(٢) أي: أشدّ العيون إدراكاً ما نفذ طرفها في الخير، وأشد الأسماع إدراكاً ما حفظ الموعظة وقبِلها.

(٣) جعله متعظاً واعظاً، لأنّ مَنْ لم يتعظ في نفسه فبعيد أن يتعظ به غيرُه، وعنى بهذا المصباح نفسه ﷺ.

(٤) الامتياح: نزول البئر وملء الدلاء فيها، امتاحوا: استقُوا وانزِعوا الماء لري عطشكم ·ن عين صافية صَفَتْ من الكدر، وهي عين علومه. رُوِّقَتْ: صُفِّيَتْ.

(٥) منزل الركون إلى الجهالة والانقياد للهوى.

(٦) شفا الشيء: حَرْفُهُ. والجُرُف ـ بضمتين ـ: ما جرفته السيول وأكلته ·ن الأرض. والهاري ـ كالهائر ـ: المتهدِّم أو المُشْرِف على الانهدام، هارَ الجرفُ: انهدم، فهو هائر، أي أنّه بمكان التهور في الهلكة.

(٧) الردى: الهلاك، أي أنّه إذا نقل حمل المهلكات فإنّما ينقله من موضع من ظهره إلى موضع آخر منه، فهو حامل لها دائماً، وإنّما يتعب في نقلها من أعلاه لوسطه أو أسفله بآرائه وبدعه، فهو في كل رأي ينتقل من ضلالة إلى ضلالة حيث إنّ مبنى الكل على الجهالة والهوى.

(٨) أشكيتُ زيداً: أزلت شكايته. والشجو: الهمّ والحزن أو الحاجة، نهاهم أن يشكوا إلى مَن ←

إِنَّه لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا(١). فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ(٢)، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ(٣) الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ. وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!

١٠٦ - ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يُبَيِّنُ فضلَ الإسلامِ ويذكُرُ الرّسولَ الكريمَ ثُمَّ يلومُ أصحابَهُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى

← لا يزيل شكايتهم، ومن لا رأي له في الدين ولا بصيرة لينقض ما قد أبرمه الشيطان في صدورهم لإخوانه. ويروى «ومَنْ ينتقض برأيه ما قد أبرم لكم» وهذه الرواية أليق، أي لا تشكوا إلى مَنْ لا يدفع عنكم ماتشكون منه؛ وإنّما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق والشرع لكم، أو يكون معنى كلامه: إنّ ما تسوّله لكم الجهالات والأهواء من الحاجات، يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها، ولا تشكوها إليّ، فإنّي لا أتبع أهواءكم، ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة، ولا أستطيع أن أنقض برأيي ما أبرم لكم في الشريعة الغراء.

(١) السُّهْمَان ـ بالضم ـ: جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب، وإصدار السُّهمان: إعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئاً، وسمّاه إصداراً لأنّها كانت منعتها أربابها بالظلم في بعض الأزمان ثم ردّت إليهم، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء إلى أعطانها.

(٢) وأصل التصويح: التجفيف، صوّح النبت، أي جَفّ أعلاه، أي سابقوا إلى العلم وهو في غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون إحياءه.

(٣) مستثار: اسم مفعول بمعنى المصدر، والاستثارة: طلب الثَّوَر، وهو السطوع والظهور.

نْ غَالَبَهُ. فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ[1]، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ[2]، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِـهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَـقَلَ، وَلُـبّاً لِـمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[3]، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِـمَنِ اتَّـعَظَ، وَنَـجَاةً لِـمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُـنَّةً لِـمَنْ صَـبَرَ[4]. فَـهُوَ أَبْـلَجُ الْمَنَاهِجِ[5]، وَأَوْضَحُ الْوَلاَئِجِ[6]، مُشْـرَفُ الْـمَنَارِ[7]، مُشْـرِقُ الْـجَوَادِّ[8]، مُـضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ[9]، رَفِيعُ الْغَايَةِ[10]، جَامِعُ الْحَلْبَةِ[11]، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ[12]، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّـالِحَاتُ مَـنَارُهُ، وَالْـمَوْتُ غَـايَتُهُ[13]،

---

(١) عَلِقَهُ ـ كَعَلِمَهُ ـ: تعلّق به.

(٢) من دخله لا يحارب.

(٣) توسّم: تفرّس.

(٤) جُنَّة ـ بالضم ـ: أي وقاية وصوناً، والجُنّة: الترس.

(٥) وأبلج المناهج: معروف الطريق، بل أشدّ الطرق وضوحاً وأنورُها.

(٦) الولائج: جمع وَلِيجة، وهو المدخل إلى الوادي وغيره، وهي الدخيلة المذهب.

(٧) مُشْرَف ـ بفتح الراء ـ: هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء، ومنار الدين: هي دلائله من العمل الصالح، يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق.

(٨) الجوادّ: جمع جادّة، وهي الطريق الواضح.

(٩) كريم المِضْمار: أي إذا سُوبِق سَبَق، والمِضْمار: موضع تضمير الخيل، وزمان تضميرها.

(١٠) الغاية: الراية المنصوبة، وهي ههنا خرقة تجعل على قَصَبة وتنصب في آخر المَدى الذي تنتهي إليه المسابقة.

(١١) الحَلْبَة: الخيل المجموعة من كل صَوْب للمسابقة أو للنصرة، والإسلام جامعها يأتي إليه الكرائم والعِتاق.

(١٢) السُّبْقَة ـ بالضم ـ: جزاء السابقين.

(١٣) يريد بالموت الموت عن الشهوات البهيمية، والحياة بالسعادة الأبدية كما يعلم من قوله: «رفيع الغاية» وإلّا فالموت المعروف غاية كلّ حي، أو يكون معنى «والموت غايته»: أي الدنيا ←

وَٱلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ[1]، وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ[2].

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ[3]، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[4]، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ[5] نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِٱلْحَقِّ رَحْمَةً.

ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً[6] مِنْ عَدْلِكَ، وَٱجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ٱللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[7]، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ ٱلسَّنَاءَ[8] وَٱلْفَضِيلَةَ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ[9]، غَيْ

← سِجْن المؤمن، وبالموت يخلص من ذلك السجن، ويحظى بالسعادة الأبدية.

(١) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها سبق في الأخرى.

(٢) والجنة سُبقته: أي جزاء سُبقته، أي جزاء السابقين به، كأنه جعل الإسلام كخيل السباق التي مضمارها كريم، وغايتها رفيعة، وحَلْبتها جامعة حاوية، و.. و.. الى آخر الصفات المذكورة.

(٣) القَبَس: شعلة من النار تُقْتَبس من مُعْظم النار، ويريد أورى - أي أوقد - رسول الله ﷺ قبساً والقابس: طالب الاستصباح منها، وآخذ النار من النار، والمراد الهداية في الدين وأنّ النبي أقا طلّاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه.

(٤) أي وأنار رسول الله ﷺ عَلَماً لحابس، أي نَصَبَ لمن قد حَبَس ناقته وعَقَلَها - ضلالاً وحيرة منه فهو يخبط لا يدري كيف يهتدي إلى المنهج فيقف من السير - عَلَماً يهتدي به، أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حَيْرَته.

(٥) بعيثك: مبعوثك.

(٦) المَقْسَم: النصيب والحظ.

(٧) النُّزُل - بضمتين -: ما هُيِّئ للضيف لأن ينزل عليه.

(٨) السناء: الرفعة والشرف.

(٩) زمرته: جماعته.

خَزَايَا[1]، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ[2]، وَلَا نَاكِثِينَ[3]، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ!

قال الرضيّ رحمه الله: وَقَدْ مَضَى هٰذَا ٱلْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّنَا كَرَّرْنَاهُ هَاهُنَا لِمَا فِي ٱلرِّوَايَتَيْنِ مِنَ ٱلِاخْتِلَافِ.

وَمِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ[4]

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللّٰهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ[5]، فَمَكَّنْتُمُ ٱلظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللّٰهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِٱلشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ. وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ ٱللّٰهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ[6]!

---

(١) خزايا: جمع خَزْيان، وهو الخجل المستحي، من (خَزِيَ) إذا خجل من قبيح ارتكبه.

(٢) ناكبين: عادلين عن طريق الحق.

(٣) ناكثين: ناقضين للعهد.

(٤) هذا خطاب لأصحابه الذين أسلموا مدنَهم ونواحيهم إلى جيوش معاوية، التي كان يُغير بها على أطراف أعمال عليّ عليه السلام كالأنبار وغيرها.

(٥) أي كانت الأحكام الشرعيّة ترد إليكم منّي ومن تعليمي إياكم، ثم تصدرُ عنكم إلى من تعلّمونه إياها، ثم ترجع إليكم بأن يتعلّمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء المتعلمين.

(٦) أُقسم بالله إنّ أهل الشام لو فرّقوكم تحت كل كوكب ليجمعنّكم الله ليوم، وهو شرّ يوم لهم، أي أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين، ولن يكون في طاقتهم أن يفرّقوكم، حتى لو شتتوكم تشتيت←

١٠٧ - ومن خطبة له عليه السلام (*)

في بعض أيام صفّين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ(١)، تَحُوزُكُمُ ٱلْجُفَاةُ ٱلطَّغَامُ(٢)، وَأَعْرَابُ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ(٣)، وَيَآفِيخُ ٱلشَّرَفِ(٤)، وَٱلْأَنْفُ ٱلْمُقَدَّمُ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَا وَحَاوِحَ صَدْرِي(٥) أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ(٦)

(*) رواه الطبري في (تاريخه) في حوادث سنة ٣٧، وابن مزاحم في (صفّين) ص ٢٥٦.

← الكواكب في السماء لاجتمعتم لقتالهم، وكنّى بذلك عن ظهور المسوّدة وانتقامها من أهل الشام وبني أمية، وكانت المسوّدة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية، وقيل إنه يريد أنّ البلاء سيعمّ حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء، لجمعكم الله لشرّ يوم لهم، حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم.

(١) جولتكم: هزيمتكم. «وانحيازكم عن صفوفكم» كناية عن الهرب أيضاً.

(٢) تحوزكم: تعدل بكم مراكزكم. والجفاة: جمع جافٍ، وهو الفَدْم* الغليظ. والطَّغام: الأوغاد، وروي «الطغاة» عوض «الطغام».

(٣) اللهاميم: جمع لهموم، وهو السابق الجواد من الناس والخيل.

(٤) اليآفيخ: جمع يافوخ، وهو معظم الشيء، ذَهَبَ يافوخ الليل، أي أكثره، ويجوز أن يريد به اليافوخ، وهو أعلى الرأس، حيث يلتقي عَظْم مقدمه مع مؤخره، وهذا أليق؛ لأنه ذكر بعده الأنف والسنام.

(٥) الوَحَاوح: جمع وَحْوَحة: صوت معه بَحَحٌ يصدر عن المتألم، والمراد حُرْقة الغيظ والحزازات.

(٦) لقيته بأخَرة: أي أخيراً، الأخَرَة ـ محرّكة ـ: آخر الأمر، وجملة «أن رأيتكم» فاعل شفى.

---

* رجل فَدْم: ثقيل ألفهم غبيّ.

تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسّاً بِالنِّصَالِ[١]، وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ[٢]، تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ[٣]، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا!

١٠٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

وهي من خُطَب الملاحم[٤]

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ[٥]، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ[٦]. خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ[٧]، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ[٨]. خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) في الجزء الأوّل، باب تبدل الأحوال.

---

(١) وروي بالنضال، وهو المناضلة والمراماة. والحَسّ ـ بالفتح ـ: القتل، وروي «حشأ» بالهمز من حشأت الرجل، أي أصبت حشاه.

(٢) الشَّجر ـ كالضرب ـ: الطعن. والتأنيث في «أولاهم» و «أخراهم» للكتائب.

(٣) الهيم ـ بالكسر ـ: العطاش. وتُذاد: تُمنَع.

(٤) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الواقعة العظيمة في الحرب.

(٥) لما كانت دلائل إثبات الصانع ظاهرة ظهور الشمس وصفه ﷺ بكونه ظهر وتجلّى لخلقه، ودلّهم عليه بخلقه إياهم وإيجاده لهم.

(٦) لم يقل «لعيونهم» لأنّه غير مرئيّ.

(٧) المراد بـ«ذوي الضمائر» ذوو القلوب والخواطر الباطنية.

(٨) نفى عنه الرويّة والفكر؛ لأنّ ذلك إنّما يكون لأرباب الضمائر والقلوب أُولي النوازع المختلفة.

ومنها في ذكر النّبي صلّى الله عليه وآله

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ[1]، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ[2]، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ[3]، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ[4]، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

ومنها: طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ[5]، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ[6]، يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ: مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ.

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ[7]، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ: فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ[8]،

---

(١) شجرة الأنبياء: أولاد إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ الأنبياء منهم.

(٢) المشكاة: كوّة غير نافذة، يجعل فيها مصباح.

(٣) الذؤابة: طائفة من شعر الرأس أو الناصية أو منبتها من الرأس *.

(٤) سُرّة البطحاء: وسطها، ما بين أخشبي مكة، كانت تسكنه قبائل من قريش، ويقال لهم قريش البِطاح.

(٥) إنّما قال: «دوّار بطبّه»، لأنّ الطبيب الدوّار أكثر تجربة، أو أراد أنّه يدور على مَنْ يعالجه؛ لأنّ الصالحين يدورون على مرضى القلوب، فيعالجونهم. والمَرَاهِم: الأدوية المركّبة للجراحات والقروح.

(٦) المواسم: حدائدُ يُوسَمُ بها الخيل وغيرها، جمع مِيسم - بالكسر -: وهو المِكواة، يجمع على مواسم ومَيَاسم.

(٧) قوله: «لم يستضيئوا» يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقوّمات أمزجتهم.

(٨) انجابت: انكشفت، من قولهم: انجابت الناقة، إذا مدّت عُنُقَها للحلب، أي أنّ السرائر خضعت لنور البصائر، فهو يكشفها ويملكها. وأهل البصائر يصرفون السرائر إلى ما يريدون.

★ الذُّؤابةُ من كل شيء: أعلاه. ويقال: فلانٌ ذؤابة قومه: شريفهم والمقدّم فيهم. والعلياء: كلّ شيء مرتفع. والسماء، والشرف.

وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا[١]، وَأَسْفَرَتِ ٱلسَّاعَةُ[٢] عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا[٣].

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ[٤]، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ[٥]، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ[٦]، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً[٧]، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ!

ومنها:[٨]

رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا[٩]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[١٠]، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[١١]،

---

(١) المحجة: الطريق. والخابط: السائر على غير سبيل واضحة.

(٢) أسفرت الساعة: أضاءت وأشرقت.

(٣) المتوسِّم: المتفرِّس.

(٤) «أشباحاً بلا أرواح» أي أشخاصاً لا أرواح لها ولا عقول. «وأرواحاً بلا أشباح» يمكن أن يريد به الخفة والطيش، تشبيهاً بروح بلا جسد، ويمكن أن يعني به نقصهم.

(٥) «ونسّاكاً بلا صلاح»: نسبهم إلى النفاق.

(٦) «تجاراً بلا أرباح»: نسبهم إلى الرياء.

(٧) «أيقاظاً نُوّماً»: لأنّهم أولو يقظة، وهم غفول عن الحق كالنيام، وكذلك باقي العبائر.

(٨) هذا الكلام منقطع عمّا قبله، لأنّ الرضيّ رحمه الله كان يلتقط ما في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيذكره، ويتخطّى ما قبله، وما بعده، وهٰهنا يذكر عليه السلام ما يحدث في آخر الزمان من فتن، كظهور السفياني وغيره.

(٩) القطب ـ ههنا ـ: الرئيس الذي عليه يدور أمر الجيش. وقامت على قُطبها: تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها.

(١٠) الشُّعَب: القبيلة العظيمة، وليس التفرّق للراية نفسها، بل لنصّارها وأصحابها، أي تفرّق ذلك الجمع العظيم في الأقطار، داعين إلى أمرٍ واحد، ويروى «بِشُعَبِها» جمع شُعْبَة وهو الفرع، أي انتشرت بفروعها.

(١١) المعنى: تحملكم على دينها ودعوتها، ويجوز أن يُريد بقوله: «تكيلكم بصاعها» يقهركم ←

وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[١]، قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضِّلَّةِ[٢]. فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ[٣]، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ[٤]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ[٥]، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ[٦]، وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ ٱسْتِخْلَاصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ[٧] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ[٨]، وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ[٩]؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ. فَٱسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[١٠]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ[١١]، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[١٢]. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ

← أربابها على الدخول في أمرهم، ويتلاعبون بكم، ويرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيّال البُرّ به إذا كاله بصاعه، أو تأخذكم للهلاك جملةً كما يأخذ الكيّال ما يكيله من الحَبّ.

(١) تخبطكم بباعها: تظلمكم وتعسفكم، من «خبط الشجرة» ضربها بالعصا ليتناثر ورقها، أو من «خبط البعير بيده الأرض» أي ضربها، وعبّر بالباع ليفيد استطالتها عليهم، وتناولها لقريبهم وبعيدهم.

(٢) قائدها ليس على ملّة الإسلام بل مقيم على الضلالة.

(٣) الثُفالة: ما ثقل ـ أي بقي ـ في قَعر القِدْر من الطبيخ، والثافل: ما استقرّ تحت الشيء من كُدْرة، والمراد الأراذل والسّفلة.

(٤) النفاضة: ما يسقط بالنفض. والعِكْم ـ بالكسر ـ: العِدْل بالكسر أيضاً، والعِكم أيضاً: نَمَطٌ تجعل فيه المرأة ذخيرتها، والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض لينظف.

(٥) عركت الشيء: دلكته بقوة، والعَرْك: شديد الدَّلْك، وعَرَكه: حَكّهُ حتى عفاه. والأديم: الجلد.

(٦) الحصيد: الزرع المحصود.

(٧) البطينة: السمينة، ومعنى استخلاص الفتنة المؤمنَ أنّها تخصّ المؤمن بنكايتها وأذاها.

(٨) تتيه بكم: تجعلكم تائهين، والتائه: المتحيّر. والغياهب: الظلمات، الواحد غَيْهَب.

(٩) الكواذب ـ هنا ـ: الأماني.

(١٠) الربّانيّ: يعني به نفسه ﷺ، ورجلٌ ربّانيّ أي متألّه عارف بالربّ سبحانه.

(١١) «وأحضروه قلوبكم» أي اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده، ولا تكتفوا بحضور الأجساد.

(١٢) هتف بكم: صاح بكم.

أَهْلَهُ[1]، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ[2]، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ. فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ[3]. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ ٱلطَّاغِيَةُ[4]، وَقَلَّتِ ٱلدَّاعِيَةُ، وَصَالَ ٱلدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ[5]، وَهَدَرَ[6] فَنِيقُ[7] ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[8]، وَتَوَاخَى ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ[9]، وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ[10]، وَتَحَابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى ٱلصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً[11]، وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ ٱللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً[12]،

---

(١) الرائد: مَن يتقدم ليكشف لهم مواضع الكَلأ، ويتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته، والمثل «لا يكذب الرائد أهله»، يأمر الهداة والدعاة الذين يتفقّرن عنه، ويوصيهم بالصدق في النصيحة.

(٢) وليجمع شمله: أي وليجمع عزائمه وأفكاره لينظر.

(٣) أي فَلَقَ هذا الربانيّ لكم الأمر، كما تفلق الخرزة فيعرَف باطنها، وكما تقشر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع، وقَرَفه، أي قشره، وخصّ هذا بالذكر لأنّ الصمغة إذا قُشِرت لا يبقى لها أثر، كذا قالوا.

(٤) عظمت الطاغية: أي الطغيان، أو عظمت الفئة الطاغية. وقلّت الداعية مثله، أي الفرقة الداعية.

(٥) صال: حمل ووثب، والصِّيال والمصاولة: المواثبة.

(٦) هَدَر: ردّد صوته في حَنْجَرته.

(٧) الفنيق: فحل الإبل.

(٨) الكُظوم: الإمساك والسكوت، وإبلٌ كُظوم لا تجترّ، وقومٌ كُظُم ساكتون.

(٩) تواخى الناس: صاروا إخوة.

(١٠) تهاجروا على الدين: أي تعادَوْا وتقاطعوا، والمراد أنّ صاحب الدين مهجور عندهم.

(١١) «كان الولد غيظاً» أي لكثرة عقوق الأبناء للآباء، ولشُبوبه على العقوق، «وصار المطر قيظاً» يقال إنّه من علامات الساعة وأشراطها، ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته فإنّ الناس منصرفون عن فوائدهم، والانتفاع بما يفيض من خير، إلى إضرار بعضهم ببعض، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان !.

(١٢) تغيض: من «غاض الماء» إذا غار في الأرض وجفّت ينابيعه.

وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً[1]، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ ٱلصِّدْقُ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ[2]، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِٱللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقُلُوبِ، وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً[3]، وَلُبِسَ ٱلْإِسْلَامُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً[4].

١٠٩ - ومن خطبة له عليه السلام *

في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ. مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ[5]، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) في باب الملائكة، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٧٦.

(١) «وأوساطه أكالاً» أي طعاماً، والأجود الرواية الأخرى: وهي «آكالاً» بمد الهمزة، وروي «أُكَّالاً» بضمها [كما عند عبده والصالح]، بقوله ﷺ صار أوساط الناس طُعْمة للولاة وأصحاب السلاطين.

(٢) غار الماء: سفل لنقصه، وفاض: سال.

(٣) يصير الفاسق صديق الفاسق، كأنّ بينهم نسباً. ويعجب الناس من العفاف لقلّته وعدمه.

(٤) المراد انعكاس الأحكام الإسلامية في ذلك الزمان.

(٥) لا تطلب أحداً فيسبقك، أي يفوتك.

أَخَذْتَ(١)، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ(٢)، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ. أَنْتَ ٱلْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ(٣)، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ! وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ ٱلْآخِرَةِ!

ومنها: مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمٰوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ. هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(٤)، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ(٥)، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ

---

(١) لايَفْلِتُكَ: لا يَتَفَلَّتُ منك، والمراد: أنّ مَن أخذت لايستطيع أن يَفْلِت، كما يستطيع المأخوذون مع ملوك الدنيا أن يفلتوا بحيلة من الحِيَل.

(٢) لأنّه عالِم لذاته، ونسبة ذاته إلى كلّ الأمور واحدة.

(٣) له في العربية محملان: أحدهما أن المراد به: أنت ذو الأبد، كما قالوا: رجل داء، أي به داء، والمحمل الثاني: أنّه لمّا كان الأزل والأبد لا ينفكّان عن وجوده سبحانه جعله ﷺ كأنّه أحدهما بعينه، كقولهم أنتِ الطلاق، يريد المبالغة في البينونة.

(٤) المهين: الحقير، يريد النُطفة.

(٥) الشَعَب: التفريق، ومنه قيل للمنيّة: شَعوب، لأنّها تفرّق الجماعات. والمنون: الدهر. والرَيب: صَرْفُه، وريب المنون: حوادث الدهر نفسه، أي لم تفرقهم صروف الزمان، والمنون أيضاً المنيّة، لأنّها تمنّ المدّة أي تقطعها، والمنّ: القطع، ومنه قوله تعالى: ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنونٍ﴾[فصلت: ٨].

مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ(١) فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ، لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ(٢)، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ(٣)، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً(٤): مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً وَثِمَاراً، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا(٥)، فَلاَ ٱلدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا(٦)، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ(٧)، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ ٱلشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ(٨)، وَأَمَاتَتِ ٱلدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ

---

(١) الهوى: الحبُّ وميل النفس، وقد تكون في باطل وحق، وإنّما يُحمَلُ على أحدهما بالقرينة، والأهواء تستعمل فيهما، والمراد هنا: أنّ دواعيهم إلى طاعته وخدمته لاتنازعها الصوارف، فهي مجتمعة مائلة إلى شقّ واحد.

(٢) زَرَى عليه: عابَهُ، وزرَوْا على أنفسهم، أي عابوها.

(٣) البلاء يكون نعمة ويكون نقمةً، ويتعيّن الأول بإضافة الحسن إليه، أي ما عبدوك إلّا شكراً لنعمك عليهم.

(٤) «خلقت داراً» يعني الجنة، والمأدُبة والمأدَبة: الطعام الذي يُدعى الإنسان إليه في عرس ونحوه، والآدِب: الداعي الى طعامه، والمراد منها نعيم الجنة.

(٥) يعني الأنبياء.

(٦) جيفة هنا: يعني الدنيا.

(٧) أعشاه: أعماه.

(٨) «قد خرقت الشهوات عقله» أي أفسدته كما تخرق الثوب فيفسد.

مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى ٱلْمَأْخُوذِينَ عَلَى ٱلْغِرَّةِ[1]، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ لَهُمْ وَلَا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ[2]. فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[3]، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ[4]، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ! وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا[5]، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا[6]، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا[7]، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ[8]،

---

(١) الغِرّة: الاغترار والغَفْلة، والغارّ: الغافل، ويجوز أن يعني بقوله: «المأخوذين على الغرّة» الحداثة والشبيبة، يقول: كان ذلك في غرارتي وغِرّتي، أي في حداثتي وصباي.

(٢) أي الحسرة على ما فاتهم من الدنيا ولذّاتها، والحسرة على ما فاتهم من التوبة والندم.

(٣) ولوجاً: دخولاً.

(٤) «وبقاء من لبّه» أي لبّه باقٍ لم يُعدم، ويروى «ونقاء» بالنون، وهو النظافة.

(٥) «أغمض في مطالبها» أي تساهل في دينه في اكتسابه إياها، فلم يفرّق بين حلال وحرام، كأنّه أغمض عينيه فلا يميّز، أو أنّه كان يحتال بحيل غامضة دقيقة في تلك المطالب حتى حصّلها واكتسبها من أدق الوجوه وأخفاها فضلاً عن أظهرها وأجلاها.

(٦) أي أخذها من وجوه مباحة وذوات شبهة، وهذا يؤكد المحمل الأول في «أغمض».

(٧) التبعات: الآثام وما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقّه منها وتخطي حدود شرعه في جمعها.

(٨) المهنأ: المصدر من هَنِئَ الطعام يهنأ، وهَنُؤ يهنؤ أي صار هنيئاً، والمهنأ: ما أتاك من خير بلا مشقّة.

وَٱلْعِبءُ عَلَى ظَهْرِهِ(١)، وَٱلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا(٢)، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ(٣)، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ. فَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ، حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ(٤)، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِٱلنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ(٥)، ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ(٦)، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ(٧)، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي ٱلْأَرْضِ(٨)، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ(٩).

---

(١) العبء: الحمل والثقل، والجمع أعباء.

(٢) غلقت رهونه: استحقها مُرتَهِنُها، وأعوزته القدرةُ على تخليصها، كناية عن تعذّر الخلاص، والمعنى أنّ أمواله التي جمعها صارت مستحقة لغيره، كالرهن الذي غلق على صاحبه، وصار لغيره، وهو المرتهِن.

(٣) أصحَرَ له: من «أصحر» إذا برز في الصحراء، أي على ما ظهر له وانكشف من أمره.

(٤) خالط لسانه سمعه: شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته.

(٥) رجْع كلامهم: ما يتراجعونه بينهم من كلام.

(٦) التياطاً: أي التصاقاً به.

(٧) المستوحِش: المهموم الفزع، ويروى «أوْحشوا من جانبه» [كما في نسخة الصالح]، أي خلوا منه وأقفروا، تقول: قد أوحش المنزل من أهله، أي أقفر.

(٨) مَخَطٍّ: أي خطٍّ، سماه مخطاً لدقته، يعني اللُّحد، ويروى: «إلى محطّ» بالحاء المهملة؛ وهو المنزل، وحطّ القوم، أي نزلوا.

(٩) زَوْرَتُه: زيارته.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَٱلأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ[١]، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ ٱلسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا[٢]، وَأَرَجَّ ٱلأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا[٣]، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا[٤]، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ[٥]، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ[٦] لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا ٱلأَعْمَالِ، وَخَبَايَا ٱلأَفْعَالِ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلاَءِ، وَٱنْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلاَءِ. فَأَمَّا أَهْلُ ٱلطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ[٧] ٱلنُّزَّالُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ ٱلْحَالُ، وَلاَ تَنُوبُهُمُ ٱلأَفْزَاعُ[٨]، وَلاَ تَنَالُهُمُ ٱلأَسْقَامُ، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلأَخْطَارُ، وَلاَ تُشْخِصُهُمُ ٱلأَسْفَارُ[٩]. وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ ٱلأَيْدِيَ إِلَى ٱلأَعْنَاقِ[١٠]،

---

(١) أي تساوى الكلّ في شمول الموت والفناء لهم، فالتحق الآخر بالأوّل.

(٢) أماد السماء: حرّكها على غير انتظام، ويروى: «أمار» والمَوْران: الحركة. وفطرها: شقّها وصدّعها، وأماد: جواب إذا بلغ الكتاب...

(٣) أرجّ الأرض: أي زلزلها، وروي «رجّ الأرضَ» بغير الهمزة، وهو الأصحّ وعليه ورد القرآن: ﴿كلا اذا رُجّت الأرضُ رَجّاً﴾[الواقعة: ٤]. وأرجفها: جعلها راجفة، أي مرتعدة متزلزلة.

(٤) نسفها: قلعها من أصولها.

(٥) إخلاقهم: من قولهم: ثوب خلق، وثياب أخلاق إذا كانت الخلوقة شاملة له كله، والخلوقة: البلى، والمراد أن البلى يشملهم كما يشمل الثياب البالية.

(٦) ميّزهم: أي فصل بينهم، لجعلهم فريقين: سعداء وأشقياء.

(٧) يظعَن: يرحل.

(٨) تنوبهم الأفزاع: تعاودهم وتتناوبهم، والأفزاع: جمع فَزَع، بمعنى الخوف.

(٩) تُشخصهم الأسفار: تخرجهم من منزل إلى منزل، أشخصه: أزعجه.

(١٠) غلّ الأيدي: جعلها في الأغلال، جمع غُلّ، وهو القيد.

وَقَرَنَ ٱلنَّوَاصِيَ بِٱلْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ[١]، وَمُقَطَّعَاتِ ٱلنِّيرَانِ[٢]، فِي عَذَابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ[٣]، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ[٤]، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[٥]، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

قَدْ حَقَّرَ ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا[٦]، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا[٧]، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللَّهَ زَوَاهَا[٨] عَنْهُ ٱخْتِيَاراً[٩]، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[١٠]، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا

---

(١) السِّرْبال: القميص، والقَطِران*: الهِناء.

(٢) مقطَّعات النيران، أي ثياب من النيران، قد قطعت وفصّلت لهم، وكل ثوب يُقطّع كالقميص والجبة ونحوها، بخلاف ما لا يُقطّع كالإزار والرداء، والمقطعات أشمل للبدن وأشدّ استحكاماً في احتوائه، وقيل: المقطَّعات: قصار الثياب.

(٣) الكَلَب: الشدة، عبّر به عن هيَجاتها. والجلَب واللّجَب: الصوت المرتفع.

(٤) القصِيف: الصوت الشديد.

(٥) لا تُفصم كبُولُها: لا يكسر قيودها، الواحد كَبْل، وهو القيد. وتُفْصَم: تنقطع.

(٦) فَعّل مشدَّد للتكثير، «قتّلت» اكثر من «قَتَلْت»، فقوله ﷺ: «قد حقّر الدنيا» زيادة تحقير النبي ﷺ لها، وذلك أبلغ في الثناء، وقوله: «وصغّرها» أي وصغّرها عند غيره.

(٧) أي أهون هو بها وهوّنها عند غيره.

(٨) زَوَاها: قبضها.

(٩) اختياراً أي باختيار ورضاً من النبي ﷺ بذلك.

(١٠) الرياش والريش: اللباس الفاخر، ويقال: الريش والرياش: المال والخِصب والمعاش.

---

* القَطِران: عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثم تُطلى بها الإبل، والقِطران شديد الاشتعال.

مُقاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[1]، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وَخَوَّفَ مِنَ ٱلنَّارِ مُحَذِّراً.

نَحْنُ شَجَرَةُ ٱلنُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ ٱلرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ ٱلْمَلَائِكَةِ[2]، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ[3]، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ ٱلرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّطْوَةَ[4].

١١٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يذكرُ فيها فرائضَ الإسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ[5]؛ وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ؛ وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ؛ وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ

(*) رواها ابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٠٤، والبرقي في (المحاسن) ص ٢٣٣.

---

(١) مُعْذِراً: أي مبالغاً، ومُنْذِراً: مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره.

(٢) محط الرسالة: منزلها، ومُخْتَلَف الملائكة: موضع اختلافها في صعودها ونزولها، أي ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثاني كأنّه خَلَف للأول وهكذا.

(٣) قوله «ومعادن العلم، وينابيع الحُكْم» يعني الحكمة أو الحكم الشرعيّ. قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».

(٤) لأنّها ستحل بهم يقيناً، صاروا كالمنتظرين لها، وأيضاً فإنّهم ينتظرون الموت، وهو مقدمة العقاب، جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده.

(٥) ذروة الإسلام: أعلاه.

رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ؛ وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ ٱلذَّنْبَ(١)؛ وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ(٢)، وَمَنْسَأَةٌ فِي ٱلأَجَلِ(٣)؛ وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ(٤)، وَصَدَقَةُ ٱلعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ؛ وَصَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللّٰهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلذِّكْرِ، وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ، وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ(٥). وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى ٱلسُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ ٱلْقَصَصِ. وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ(٦)، وَهُوَ عِنْدَ ٱللّٰهِ أَلْوَمُ(٧).

---

(١) يَرْحضان الذنب: أي يغسلانه: رَحَضت الثوب، وثوب رَحيض.

(٢) مَثْرَاة في المال: أي تُكثِّره وتكثره.

(٣) مَنْسأة في الأجل: أي تَنْسَؤُه وتؤخره، مَنْسأة: مَظَنّة فيه ومَزيد، ويقال: نسأ الله في أجلك.

(٤) التكفير هو إسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبة، وأصله السَّتر والتغطية، ومنه الكافر؛ لأنّه يغطّي الحق، وسمّي البحر كافراً لتغطيته ما تحته، وسمي الفلّاح كافراً لأنّه يغطي الحب في الأرض المحروثة.

(٥) الهَدْي: السيرة، وفي الحديث: «واهدوا هَدْي عَمّار» يقال: هَدَىَ فلانٌ هَدْيَ فلان، أي سار سيرته.

(٦) لأنّه عند الموت يتأسّف ألّا يكون عَمِل بما علم، والجاهل لا يأسف ذلك الأسف.

(٧) أي أحقّ أن يُلام، لأنّه عالِمٌ ليكون استحقاقه اللوم والعقاب أشدّ، وهو أشدّ لوماً لنفسه بين يدي الله لأنّه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد.

١١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في ذمّ الدُّنيا

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ(١)، حُفَّتْ بِٱلشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِٱلْعَاجِلَةِ(٢)، وَرَاقَتْ بِٱلْقَلِيلِ(٣)، وَتَحَلَّتْ بِٱلآمَالِ(٤)، وَتَزَيَّنَتْ بِٱلْغُرُورِ. لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا(٥)، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ(٦)، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ(٧). لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَٱلرِّضَاءِ بِهَا(٨) ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ(٩) فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ(١٠) وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾.

(*) رواها القضاعي في (الدستور) ص ٥١، وابن طلحة في (المطالب) ص ١٤٤.

---

(١) خَضِرة: أي ناضرة.

(٢) تحبَّبت بالعاجلة: أي تحبَّبت إلى الناس بكونها لذّة عاجلة، والنفوس مولَعة بحبّ العاجل.

(٣) راقت بالقليل: أي أعجبت أهلها بأمر قليل ليس دائم.

(٤) تحلّت بالآمال: من الحِلْية، أي تزينت عند أهلها بما يؤمّلون منها.

(٥) الحَبْرَة: السرور والنعمة.

(٦) حائلة: متغيِّرة. ونافدة: فانية، وبائدة: منقضية، أي هالكة.

(٧) أكّالة: قتالة. وغوّالة: مهلكة، والغَوْل: ما غال، أي أهلك.

(٨) أي أنّها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله في قوله كماء... . فقوله «أن تكون» مفعول لتعدو.

(٩) فاختلط، أي فالتفّ نبات الأرض، وتكاثف به، أي بسبب ذلك الماء، ويجوز تقديره: فاختلط بنبات الأرض، لأنّه لمّا غذّاه فقد صار مختلطاً به، وعندئذٍ يجوز «فاختلط به نبات الأرض» أو «فاختلط هو بنبات الأرض».

(١٠) الهشيم: ما تهشّم وتحطّم، والنبت اليابس المكسّر، والواحد هشيمة. وتذروه الرياح: تطيره.

لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً(١)، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً(٢) إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ(٣) فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ(٤) إِلَّا هَتَنَتْ* عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ. وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً(٥) أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى(٦) أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى(٧)! لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً(٨) إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً(٩)! وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ(١٠)! غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ! وَمَنِ

---

(١) عَبْرَة ـ بالفتح ـ: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء.

(٢) كني بالبطن والظهر كناية عن الإقبال والإدبار، وقيل: لأنّ الترس بطنه إليك وظهره لعدوّك.

(٣) طلّه السحابُ يطلّه، إذا أمطره مطراً قليلاً، والطّلّ: المطر الضعيف، يقول: إذا أعطت قليلاً من الخير أعقبته بكثير من الشرّ، لأنّ التّهتان الكثير المطر.

(٤) الديمة: مطر يدوم في سكون، لا رعد ولا برق معه. والرّخاء: السعة.

(٥) حريّ: أي جدير وخليق.

(٦) اعذوذب: صار عذباً، واحلولى: صار حُلواً.

(٧) أمرّ الشيءُ: صار مُرّاً، وأوبى: صار وبيّاً، أي كثير الوباء، والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر.

(٨) الغَضارة: النعمة والسعة. والرّغَب ـ بالتحريك ـ: الرغبة والمرغوب، رَغِبت في الأمر، أي أردته.

(٩) أرهقتْهُ التعبَ: ألحقتْهُ به، يقال: أرهقه إثماً، أي حمّله وكلّفه.

(١٠) القوادم: مقاديمُ الريش، جمع قادمة، وهي الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر، والعشر التي تحتها هي الخوافي. وخصّ القوادمَ بالخوف؛ لأنّ الراكب عليها في خطر عظيم وسقوط قريب، وخصّ الجَناح بالأمن؛ لأنّه يستر ويقي البرد والأذى.

---

* هَتَنَت المُزن: انصبّت.

ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[1]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ[2]، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً[3]، وَذِي نَخْوَةٍ[4] قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً!

سُلْطَانُهَا دُوَلٌ[5]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[6]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[7]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[8]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[9]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[10]. حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ[11] سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ[12]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[13]. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ

---

(١) توبقه: تُهلكه.

(٢) أوجعته بفقد ما يعزّ عليه.

(٣) الأُبّهة: الكِبْر والعظَمَة.

(٤) النَّخوة ـ بالفتح ـ: الافتخار.

(٥) دُوَل: جمع دولة، وهي انقلاب الزمان؛ [وعند الصالح] *دُوَّل ـ بضم الدال وفتح الواو المشدّدة ـ: المتحوّل.*

(٦) الرَّنَق ـ بفتح النون ـ: مصدر رَنِقَ الماء، أي تكدّر، والرَّنِق ـ بالكسر ـ الكَدِر، وقد روي ههنا بفتح النون وكسرها، والفتح على تقدير حذف المضاف، أي ذو رَنَق.

(٧) ماءٌ أُجاج: قد جمع المرارة والمُلوحة.

(٨) الصَّبِر: عُصارة شجر مُرّ، ثم سُمّي كلُّ مرّ صبراً.

(٩) السِمام: جمع سَمّ ـ مثلّث السين ـ وللجمع سِمام وسُموم، وهو من المواد ما إذا خالط المزاجَ أفسده فقتل صاحبه.

(١٠) أسبابها: حبالها. ورمام: جمع رُمّة ـ بالضم ـ: وهي القطعة البالية من الحبل، أي ما يتمسك به منها فهو بالٍ متقطع.

(١١) في نسخة: بِعُرْضٍ، بضم العين وسكون الراء.

(١٢) موفورها منكوب: ذو الوفْر والثروة منها مصاب بالنكبة، وهي المصيبة، أي في مَعْرِض لذلك.

(١٣) المحروب: المسلوب، أي لا تحمي جاراً ولا تمنعه، من حَرَبَه حَرْباً: إذا سلب ماله.

آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً[1]، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ[2]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ[3]، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ[4]، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ[5]، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[6]، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[7]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[8]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[9]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا[10]، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ[11].

وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ[12]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنْكَ[13]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ

---

(١) العديد: العدوّ الكثير، وأعدّ منهم، أي أكثر.

(٢) ظهر قاطع: راحلة تُركَب لقطع الطريق.

(٣) أي سخت نفسها لهم بفداء.

(٤) أرهقتهم: غشيتهم، والفوادح: المثقلات، فدَحَه الدَّين: أثقله، ويروى «بالقوادح» بالقاف، [كما أثبته عبده والصالح] وهي آفة تظهر في الشجر، وصدوع تظهر في الأسنان، أي غشيتهم بما ينهكهم ويمزّق أجسادهم.

(٥) أوهقتهم: جعلتهم في الوَهَق * ـ بفتح الهاء ـ وهو حبل كالطِّوَل، والقوارع: المحن والدواهي.

(٦) ضعضعتهم: أذلتهم.

(٧) كبّتهم على مناخرهم في العفر: وهو التراب.

(٨) المناسم: جمع منسِم ـ بكسر السين ـ وهو خُفُّ البعير، أو مقدم الخف.

(٩) دان لها: خضع وأطاعها.

(١٠) أخلد إليها: ركن إليها ومال، قال تعالى: ﴿ولكنّه أخلَدَ إلى الأرض﴾ [الأعراف: ١٧٦].

(١١) أي فراق مدته لا نهاية لها.

(١٢) السَّغَب: الجوع.

(١٣) الضنك: الضيق.

---

* الوَهَقُ، والوَهْق: الحبلُ في أحد طرفيه أُنشوطةٌ يُطرح في عنق الدابّة والإنسان، حتى يؤخذ. جمعه: أوهاق. وأوهق الدابة: طرح في عنقها الوَهَق.

الظُّلْمَة(١)! أوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاّ النَّدَامَةَ! أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ! فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا(٢)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!

فَاعلموا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً(٣)، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ(٤) فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ(٥) أَجْنَانٌ(٦)، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ(٧)، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ(٨). فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ(٩) مَنْدَبَةً(١٠). إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا(١١)، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا(١٢)، جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ(١٣)، وَقَرِيبُونَ لَا

---

(١) أو نورت لهم... لم يكن لهم مما ظنوه لها إلّا ظلام، فهي لم تسمح لهم بالنور بل بالظلمة.

(٢) من لم يتهمها، أي مَنْ لم يسؤ ظنّاً بها.

(٣) لا يقال لهم رُكْبان، جمع راكب؛ لأنّ الراكب من يكون مختاراً وله التصرّف في مركوبه.

(٤) الأجداث: القبور.

(٥) الصفيح: وَجْهُ كلّ شيء عريض، والمراد وجه الأرض أو الحجارة.

(٦) الأجنان: القبور، الواحد جَنَن.

(٧) لأنّ أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب. أو في رواية: ومن التراب أكنان والأكنان: جمع كِنّ: وهو السّتر.

(٨) الرّفات: العظام البالية، المندقّة المحطومة.

(٩) لا يبالون: لا يكترثون.

(١٠) المندبة: النّدب على الميت.

(١١) جيدُوا: مُطِرُوا.

(١٢) قُحِطوا: انقطع المطر عنهم فأصابهم القَحْط.

(١٣) متقاربون لا يزور بعضهم بعضاً.

يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[1]، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ. اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا[2]، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

١١٢ - ومن خطبة له عليه السلام *

يذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً[3]؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[4]، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!

(*) رواها الواسطي في كتاب (عيون الحكم والمواعظ).

---

(١) لا يُخشى فَجْعُهُم: لا تُخاف منهم أن يُفجعوك بضرر.

(٢) جاؤوا إلى الأرض واتصلوا بها بعد ما فارقوها، وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم، فإنّهم خُلقوا منها كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]. وقوله: قد ظعنوا عنها، يشير إلى أنّهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم إمّا إلى نعيم وإمّا إلى شقاء، أو الظعن عنها هو البعث يوم القيامة ومفارقتها، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية.

(٣) التوفّي: الإماتة وقبض الأرواح.

(٤) يلج: يدخل.

١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

في التّحذير من الدُّنيا

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[1]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[2]، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا ٱللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ[3]. خَيْرُهَا زَهِيدٌ[4]، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[5]، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ ٱلزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ[6]! ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ[7]، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ كَمَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى

(*) روى الزمخشري فصلاً منها في أوائل (ربيع الأبرار)، ونثرها الآمدي في (غرره).

---

(١) «فإنّها منزلُ قُلْعَة» أي ليست بمستوطَنة، ويقال: هذا مجلس قُلعة، إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة، يقال: هم على قُلْعة، أي على رحلة، وفلان قُلعة، إذا كان ينقلع عن سرجه، ولا يثبت في الصراع.

(٢) النُّجعة ـ بالضم ـ: طلب الكَلأ في موضعه، أي ليست محطَّ الرحال ولا مبلغ الآمال.

(٣) ويروى: «على أعدائه»، والرواية المشهورة «عن أعدائه» وكلاهما مستعمل.

(٤) الزهيد: القليل.

(٥) العتيد: الحاضر.

(٦) السَّير: سير المسافر.

(٧) طَلَبكم: مطلوبكم، أي اجعلوا الفرائض من مطالبكم التي تسمون لنيلها، واسألوا الله أن يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أي أن يمنّ عليكم بالتوفيق لأداء حقه.

بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا(١). قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلْآمَالِ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللّٰهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ(٢) وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِٱلْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ(٣) عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ(٤)! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ ٱلْآجِلِ، وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ(٥)، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

---

(١) اغتَبطُوا: غبطهم غيرُهم بما آتاهم الله من الرزق.

(٢) أصله فلا تتوازرون، ولا تتناصحون، ولا تتباذلون، والتباذل: أن يجودَ بعضهم على بعض بماله ويبذله له.

(٣) «قلّة صبركم» عطف على «وجوهكم».

(٤) زُوِيَ: من «زَوَاه» إذا نحّاه.

(٥) أصل اللُّعقة: شيء قليل يُؤخذ بالمِلْعقة من الإناء، يصف دينهم بالنَّزارة والقلّة كتلك اللُّعقة، ولم يقنع بأن جعله لعقة حتى جعله على ألسنتهم فقط، أي ليس في قلوبهم. وعبر «باللَّعْقَة» عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته.

١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

وفيها مواعظ للناس

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْوَاصِلِ ٱلْحَمْدَ بِٱلنِّعَمِ، وَٱلنِّعَمَ بِٱلشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ[1]، ٱلسِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ. وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[2]. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ ٱلْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى ٱلْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ ٱلشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ ٱلشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ ٱلْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ ٱلْعَمَلَ[3]. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ[4].

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلزَّادُ وَبِهَا ٱلْمَعَاذُ: زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ

(*) رواها ابن شعبة في (تحف العقول) ص١٥٦، والقضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ٣٣.

---

(١) البطاء ـ بالكسر ـ جمع بطيئة. والسراع: جمع سريعة.

(٢) غير مُغادِرٍ: غير تاركٍ شيئاً إلا أحاط به.

(٣) قوله: «تُصعدان القول وترفعانِ العمل» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)، وروي «تُسعدان القول» بالسين، أي هما شهادتان بالقلب يعاضدان الشهادة باللسان، ويُسعدانها.

(٤) ليس كما يقول المرجئة أصحاب مقاتل بن سليمان: أنه لا يضرّ مع الشهادتين معصية أصلاً، بل يريد الشهادتين الموصوفتين بأنهما يصعدان القول، ويرفعان العمل.

مُنْجِحٌ(١). دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ(٢)، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ(٣). فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا(٤)، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ ٱللّٰهِ، إِنَّ تَقْوَى ٱللّٰهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللّٰهِ مَحَارِمَهُ(٥)، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ(٦)؛ فَأَخَذُوا ٱلرَّاحَةَ بِٱلنَّصَبِ(٧)، وَٱلرِّيَّ بِٱلظَّمَإِ، وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ(٨)، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلَاحَظُوا ٱلْأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ؛ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ(٩)، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ(١٠). يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِٱلْمَوْتِ، وَٱلصَّحِيحَ بِٱلسَّقَمِ، وَٱلنَّاجِيَ بِٱلْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ(١١). وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ

---

(١) زاد مُبلِّغ: أي يبلِّغك المقصد والغاية التي تسافر إليها، ومعاذ منجح: أي يصادف عنده النجاح.

(٢) يعني البارئ تعالى. وروي: «دعا إليها أحسن داعٍ»، أي أحسن داعٍ دعا.

(٣) وَعَاها: فهمها وحفظها، أي من وعاها عنه تعالى وعَقَلها وأجابَ تلك الدعوة، فهو خير واعٍ، وقيل: عني بقوله: «أسمع داعٍ» رسولَ الله ﷺ، وعني بقوله: «خير واعٍ» نفسَهُ؛ لأنّه أُنزل فيه: ﴿وتَعِيَهَا أُذُنٌ واعيةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] والأول أظهر.

(٤) «فاسمع داعيَها» أي لم يبق أحداً من المكلَّفين إلّا وقد أسمعه تلك الدعوة، ثم قال: «وفاز واعيَها» أي أفلح من فَهِمها وأجاب عليها.

(٥) حَمى الشيء: منعه، أي منعتهم ارتكاب محرماته.

(٦) *الهواجر: جمع هاجرة، وهي شدة حر النهار، وقد أظمئت هذه الهواجر بالصيام.*

(٧) النَّصَب: التعب، ويروى: «فاستبدلوا الراحة».

(٨) استقربوا الأجل: رأوه قريباً، والأجل هنا: المدة، وفي «فلاحظوا الأجلَ» بمعنى الموت نفسه.

(٩) فمن أسباب الفنا، كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه. يروى: «موتِر» و «موتِّر» بالتشديد.

(١٠) لا تؤسى جراحه: لا تطبّ ولا تصلح، تُوسَى: تُداوى، من «أسَوْتُ الجرح» داويته.

(١١) لا ينقع: لا يروى ولا يشتفي من العطش بالشرب.

ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى، لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غِيَرِهَا[1] أَنَّكَ تَرَى ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ[2]، وَبُؤْساً نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ، فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَى فَيْئَهَا![3] لَا جَاءٍ يُرَدُّ[4]، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ، فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ، مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِٱنْقِطَاعِهِ عَنْهُ!

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ. وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ. فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي ٱلدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ[5]. وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ. وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ. قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِٱلرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِٱلْعَمَلِ؛ فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ

---

(١) غِيَرها ـ بكسر ففتح ـ: تقلّبها. والمرحوم: الذي ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة.

(٢) من زَلّ فلان زليلاً وزُلُولاً: إذا مرّ سريعاً، والمراد انتقل، أو هو الفعل اللازم من أزل إليه نعمة: أسداها.

(٣) «أضحى فيئها» من أضحى الرجل إذا برز للشمس. والفَيء: الظلّ بعد الزوال أو مطلقاً.

(٤) الجائي: يريد به الموت.

(٥) المعنى: أنّ فيما أحلّ الله غنىً عمّا حرّم. بل الحلالُ أوسع.

أَوْلَى[1] بِكُمْ مِنَ ٱلْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَٱللّٰهِ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ ٱلشَّكُّ، وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ[2]، حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ. فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلرِّزْقِ[3]. مَا فَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. ٱلرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي، وَٱلْيَأْسُ مَعَ ٱلْمَاضِي، وَ﴿ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ[4]، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام[5]

في الاستسقاء

ٱللَّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا[5]، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا[6]، وَتَحَيَّرَتْ فِي

(٥) ذكرها الزمخشري في (ربيع الأبرار) باب السحاب، وابن الأثير في (النهاية) مادة ذهب، ومادة حدبر.

(١) طلبه: مبتدأ خبره أولى، وجملتهما خبر يكون.

(٢) دَخِلَ: خالطه فساد الأوهام.

(٣) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه، بخلاف الذي يفوت من الرزق فإنه يمكن تعويضه

(٤) حق تقاته: أي حقّ تقيّته، أي خوفه.

(٥) انصاحت: جفت أعالي بقولها ويبست من الجدب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بالتشقق، إلّا أن يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض ناراً، وتنفست في الجبال فانشقت. وتفسير بقية الألفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب.

(٦) يجوز أن يريد بقوله: «وهامت دوابّنا» معنىً غير ما فسّره الشريف الرضي رضي الله عنه به، وهو تردّدها وذهابها على وجوهها لشدة المحل، يقول: هام على وجهه، يهيم هَيْماً وهَيَماناً. *وهذا أنسب من تفسير الهيام بالعطش كما يقول الرضي في آخر الدعاء.*

مَرَابِضِهَا[1]، وَعَجَّتْ عَجِيجَ ٱلثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا[2]، وَمَلَّتِ ٱلتَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَٱلْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا! ٱللَّهُمَّ فَٱرْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ[3]! ٱللَّهُمَّ فَٱرْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا[4]! ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ ٱلسِّنِينَ[5]، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ ٱلْجَوْدِ[6]؛ فَكُنْتَ ٱلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[7]، وَٱلْبَلَاغَ[8] لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ[9] وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ[10]، أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا[11] وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِٱلسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ[12]،

---

(١) المرابض: مَبارك الغنم، واحدها مَرْبِض، وهي لها كالمَواطِن للإبل.

(٢) عَجَّت: صرخت، وصاحت بأعلى صوتها، ويحتمل الضمير في «أولادها» أن يرجع إلى الثكالى، أي كعجيج الثكالى على أولادهنّ، ويحتمل أن يرجع إلى الدوابّ، أي وعَجَّت على أولادها كعجيج الثكالى.

(٣) الآنّة: الشاة. والحانّة: الناقة، ويقال: ما له حانّة ولا آنّة.

(٤) المَوالج: المداخل، موالجها: مداخلها في المرابض.

(٥) اعتكرت: رَدِف بعضُها بعضاً.

(٦) قوله: «وأخلفتنا مخايل الجَوْد»، كلّما شِمْنا برقاً، واخلنا سحاباً، أخلَفَنا ولم يمطر، والجَوْد: المطر الغزير. ويروى: «مخايلِ الجُود» بالضم، ومَخايل: جمع مُخيلة ـ كمَعِيبة ـ وهي السحابة تظهر كأنّها ماطرة ثم لا تمطر.

(٧) المبتئس: ذو البؤس، الذى مسته البأساءُ والضرّاءُ.

(٨) البلاغ: أي الكفاية للطالب.

(٩) قال: «ومُنِعَ الغمام» فبنى الفعل للمجهول، لأنّه كره أن يضيف المنع إلى الله تعالى، وهو منبع النعم. وروي «مَنَعَ الغمام»، أي ومَنَعَ الغمامُ القطرَ.

(١٠) السَّوام: جمع سائمة، وهي البهيمة الراعية من الإبل ونحوها.

(١١) الفرق بين «تؤاخذنا» وبين «تأخذنا» أنّ المؤاخذة دون الأخذ؛ لأنّ الأخذ الاستئصال، والمؤاخذة عقوبة وإن قلّت.

(١٢) انْبَعَقَ المُزْنُ: انفرج عن المطر كأنّما هو حيّ، انشقت بطنه فنزل ما فيها.

وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ[1]، وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ[2]، سَحّاً وَابِلاً[3]، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ[4]. ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً[5] مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[6]، زَاكِياً نَبْتُهَا[7]، ثَامِراً فَرْعُهَا[8]، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ[9] بِهَا ٱلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا ٱلْمَيِّتَ مِن بِلَادِكَ! ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[10]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[11]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[12]، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا[13]، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[14]؛ مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ ٱلْمُرْمِلَةِ[15] وَوَحْشِكَ ٱلْمُهْمَلَةِ[16]. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً

---

(١) الربيع المغدق: الكثير، أغدَقَ المطَرُ: كثر ماؤه.

(٢) النبات المُونِق: المعجب، من «آنَقَني» إذا أعجبني، أو من «آنَقَهُ» إذا سرّه وأفرحه.

(٣) سحّاً: صَبّاً. والوابل: المطر الشديد، الضخم القطر.

(٤) أي يستدرك به الناس ما فاتهم من الزرع والحرث.

(٥) السقيا مؤنثة، وهي الاسم من سَقَى.

(٦) المريعة: الخصيبة.

(٧) زاكياً: نامياً.

(٨) ثامراً فرعُها، ذو ثمر، أو آتياً بالثمر.

(٩) تنعش: ترفع.

(١٠) النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض، وروي: «نجادَنا» بالنصب على أنه مفعول.

(١١) الوهاد: جمع وهدة، وهي ما انخفض من الأرض.

(١٢) الجناب: الناحية.

(١٣) يندى بها: ينتفع. والقاصية: الناحية، أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا، في مقابلة جنابنا.

(١٤) الضواحي: النواحي القريبة من المدينة العظمى أو الضواحي من «ضاحية الماء» وهي الماشية التي تشرب ضُحىً، والضَّوَاحي: جمعها.

(١٥) المُرْمِلة -بصيغة الفاعل-: الفقيرة، أرمل: افتقر ونفد زاده.

(١٦) وحشُكَ المُهْمَلَة: التي لا راعي لها ولا صاحب ولا مشفق.

مُخْضِلَةً[1]، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ ٱلْوَدْقُ[2] مِنْهَا ٱلْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ ٱلْقَطْرُ مِنْهَا ٱلْقَطْرَ[3]، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا[4] وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا[5]، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا[6]، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا[7]، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا ٱلْمُجْدِبُونَ[8]، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا ٱلْمُسْنِتُونَ[9]، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ.

قال الشريف الرضي ﷺ: قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا»، أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ ٱلْمَحُولِ، يُقَالُ: ٱنْصَاحَ ٱلثَّوْبُ، إِذَا ٱنْشَقَّ. وَيُقَالُ أَيْضاً: ٱنْصَاحَ ٱلنَّبْتُ، وَصَاحَ وَصَوَّحَ: إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ، كُلُّهُ بِمَعْنىً. وَقَوْلُه: «وَهَامَتْ دَوَابُّنَا» أَيْ عَطِشَتْ، وَٱلْهُيَامُ: ٱلْعَطَشُ. وَقَوْلُهُ: «حَدَابِيرُ ٱلسِّنِينَ» جَمْعُ حِدْبَارٍ: وَهِيَ ٱلنَّاقَةُ ٱلَّتِي أَنْضَاهَا ٱلسَّيْرُ: فَشَبَّهَ بِهَا ٱلسَّنَةَ ٱلَّتِي فَشَا فِيهَا ٱلْجَدْبُ، قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ:

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً　　عَلَى ٱلْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا

وَقَوْلُهُ: «وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا»، ٱلْقَزَعُ: ٱلْقِطَعُ ٱلصِّغَارُ ٱلْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ ٱلسَّحَابِ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا» فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: «وَلَا ذَاتَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا»، وَٱلشَّفَّانُ: ٱلرِّيحُ ٱلْبَارِدَةُ، وَٱلذِّهَابُ: ٱلْأَمْطَارُ ٱللَّيِّنَةُ. فَحَذَفَ «ذَاتَ» لِعِلْمِ ٱلسَّامِعِ بِهِ.

---

(١) مُخْضِل النبت أي تبلّه، من أخضلَهُ إذا بَلَّهُ، وروي: «مخضَلَّة» أي ذات نبات وزروع مخضَلّة.

(٢) الودْق: المطر.

(٣) يحفز: يدفع بشدّة، واذا دفع القطرُ القطرَ، كان أعظم وأغزر له.

(٤) البرق الخُلَّب: ما يُطمعك في المطر ولا مطر معه.

(٥) الجَهَام ـ بالفتح ـ: السحاب الذي لا مطرَ فيه. والعارض: ما يعترض في الأفق من السحاب.

(٦) الرباب: السحاب الأبيض.

(٧) الذِّهاب: جمع ذِهْبَة ـ بكسر الذال ـ: المطرة القليلة، وهو المراد بالليّنة في تفسير صاحب الكتاب.

(٨) المجدبون: أهل الجدْب.

(٩) المسنِتون: المقحطون، الذين أصابتهم السَّنَة، وهي المحْل والقحط الشديد.

١١٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

ينصح أصحابه

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى ٱلْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى ٱلْخَلْقِ. فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ(١) وَلاَ مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ(٢) وَلاَ مُعَذِّرٍ(٣). إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ ٱهْتَدَى.

ومنها: وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ(٤)، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ(٥)، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا، وَلاَ خَالِفَ عَلَيْهَا(٦)، وَلَهَمَّتْ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ(٧)، لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا؛

(*) ذكرها الأزهري في (تهذيب اللغة) مادة خضر، والمسعودي في (مروج الذهب) ج٣ص ١٥٠، والهروي في (الجمع بين الغريبين)، وابن الأثير في (النهاية) ج٥ ص ١٧٠ مادة وذح.

(١) وانٍ: متباطئ متثاقل.

(٢) واهن: ضعيف.

(٣) المُعذِّر: من يعتذر ولا يثبت له عذر.

(٤) الصُّعُدات ـ بضمتين ـ: جمع صَعيد بمعنى الطريق، أي لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدّة الخوف، والصعيد: التراب، ويقال: وجْه الأرض، والجمع صُعُد وصُعُدات.

(٥) الالتِدام: ضرب النساء صدورَهنّ أو وجوههن للنياحة.

(٦) لا خالف عليها: أي لا مستخلَف، والخالِف: من تتركه في أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب.

(٧) هَمّتْهُ: حزَنَتْهُ وشَغَلَتْهُ، أو أذابته وأنحلته، هممتُ الشحم، أي أذبته. ويروى: «ولأهمّت»، وهو أصحّ من الرواية الأولى؛ أهمّني الأمر، أي أحزنني.

وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ[١]، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللّٰهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ[٢].

قَوْمٌ وَٱللّٰهِ مَيَامِينُ ٱلرَّأْيِ[٣]، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ[٤]، مَقَاوِيلُ بِٱلْحَقِّ[٥]، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً[٦] عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ[٧]، فَظَفِرُوا بِٱلْعُقْبَى ٱلدَّائِمَةِ، وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ[٨]. أَمَا وَٱللّٰهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ[٩] ٱلذَّيَّالُ ٱلْمَيَّالُ[١٠]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ[١١]، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ![١٢]

---

(١) تاه عن فلان رأيه: أي عزب وضلّ.

(٢) يريد النبي ﷺ والصالحين من أصحابه.

(٣) ميامين: جمع ميمون، المبارك.

(٤) مراجيح: أي حُلماء، من «رجح» إذا ثقل ومال بغيره، والمراد الرزانة، أي رزناء الحِلم: وهو العقل.

(٥) مقاويل: جمع مِقْوال، وهو مَن يُحْسِنُ القولَ. ومتاريك: جمع متراك، المبالغ في الترك.

(٦) القُدُم ـ بضمتين ـ: المُضيّ أمام، أي سابقين ومتقدِّمين.

(٧) أوجفوا: أسرعوا، والوَجيف: ضرب من سير الخيل والإبل. وأَوْجَفَ خيلَه: سيَّرها بهذا النوع، أي أسرعوا على الطريق المستقيمة.

(٨) يقال: غنيمة باردة وكرامة باردة، أي لم تؤخذ بحرب ولا عسف*، من قولهم: «عيش بارد» أي هنيء.

(٩) هو الحجاج بن يوسف.

(١٠) الذيّال: التائه الطويل الذَّيل، المتبختر في مشيته، وأصله من «ذال» أي تبختر، وجرّ ذيله على الأرض. والميّال: الظالم.

(١١) يأكل خضرتكم: يستأصل أموالكم، ويذيب شحمتكم مثله، وكلتا اللفظتين استعارة.

(١٢) «إيه أبا وَذَحة» إيه كلمة يستزاد بها من الفعل، تقديره: زِدْ وهات أيضاً ما عندك، وضدّها إيهاً، أي كفّ وأمسك.

---

* العسف: القوة والشدة.

قال الرضيّ ﷺ: ٱلْوَذَحَة: ٱلْخُنْفَسَاءُ. وهذا القول يُومئُ به إلى الحَجَّاج، وَله مع ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعِ ذِكْرِهِ[1].

١١٧ - ومن كلام له عليه السلام

يُوَبِّخُ البُخَلَاءَ بِالْمَالِ وَالنَّفْس

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللّٰهِ عَلَى عِبَادِهِ[2]، وَلَا تُكْرِمُونَ ٱللّٰهَ فِي عِبَادِهِ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ

---

(١) قال الرضيّ ﷺ: الوَذَحَة الخُنْفَساء، ولم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب، ولا وجدتُه في كتاب من كتب اللغة، ولا أدري من أين نقل الرضيّ ﷺ ذلك! ثم إنّ المفسرين بعد الرضيّ ﷺ قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً عديدة*. ويغلب على ظنّي أنّه أراد معنىً آخر؛ وذلك أنّ عادة العرب أن تكني الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم، كقولهم: أبو الهول، وأبو المقدام، فإذا أرادت تحقيره كنّته بما يستحقر ويستهان به، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية: أبو زنّة، يعنون القِرد، فلمّا كان أمير المؤمنين ﷺ يعلمُ من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي؛ التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاء**، كنّاهُ «أبا وذحة»، ويمكن أن يكنيه بذلك لدمامته في نفسه، لأنّه كان قصيراً دميماً نحيفاً، مجدورَ الوجه.

وقد روى قوم: «إيه أبا ودجه» قالوا: واحدة الأوداج، كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف، ورواه قوم «أبا وحرة» وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر، شبّهه بها، وهذا وما قبله ضعيف، وما ذكرناه نحن أقرب إلى الصواب.

(٢) كَرُمَ الشيء ـ كحسُنَ يحسُنُ ـ أي عزّ ونفُس، أي أنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم للإيمان بالله، ثم لا تبجّلون الله، ولا تعظمونه بالإحسان إلى عباده.

---

* ذكر ابن أبي الحديد أربعة وجوه، وقال: هذا مجموع ما ذكره المفسرون، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع.

** هذا هو معنى الوذحة في كتب اللغة.

مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ[1]!

١١٨ - ومن كلام له عليه السلام*

في الصالحين من أصحابه

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلْجُنَنُ[2] يَوْمَ ٱلْبَأْسِ[3]، وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ ٱلنَّاسِ[4]، بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ[5]. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ ٱلرَّيْبِ: فَوَٱللّٰهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلنَّاسِ![6]

(*) رواه الطبري في (تأريخه) ج ٤ ص ٥٨، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٢١.

---

(١) وروي عن «أصل إخوانكم» وذلك بموت الأب، فإنّه ينقطع أصل الأخ الواشج بينه وبين أخيه، والرواية الأولى أظهر.

(٢) الجُنن: جمع جُنّة، وهي ما يُستَتر به.

(٣) البأس: الشدّة.

(٤) بطانة الرجل: خواصّه وخالصته الذي لا يطوي عنهم سرّه.

(٥) مَن ينضوي إليه من المخالفين، فإنّه إذا رأى ما عليه شيعته وبطانته من الأخلاق الحميدة، أطاعه بقلبه باطناً، بعد أن كان انضوى إليه ظاهراً.

٦) هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل؛ وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما*.

---

* كتاب الجمل للمدائني، وكتاب الجمل للواقدي.

١١٩ - ومن كلام له عليه السلام*

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ، وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكَتُوا مَلِيّاً[١]

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا بَالُكُمْ! أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

مَا بَالُكُمْ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ[٢]، وَلَاهُدِيتُمْ لِقَصْدٍ، أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ! وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ، وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى[٣]، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ[٤]. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ[٥] مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا[٦]. هٰذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ

(*) ذكره ابن الأثير في (النهاية) ج ١ ص ٢١٥، مادة الثفل.

---

(١) سكتوا مليّاً، أي ساعة طويلة. قال بعضهم: إنّ أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على أطراف أعماله بعد واقعة صفين.

(٢) سدده: وفّقه للسداد.

(٣) الكتيبة: قطعة من الجيش.

(٤) التقلقل: الحركة في اضطراب. والقِدْح: السهم قبل أن يُراش ويُنْصَل. والجَفِير: الكنانة، وقيل وعاء للسهام أوسع من الكنانة، وإنما خصّ القِدْح لأنّه يكون أشدّ قلقلة من السهم المراش حيث إنّ حدّ الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها.

(٥) استحار مدارها: اضطرب وتردّد.

(٦) الثِّفال: جلدٌ يبسط وتوضع الرحا فوقه، لتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق أو هو الحجر الأسفل من الرحى.

ٱلسُّوءِ. وَٱللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ - وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ[1] - لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[2]، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ[3] فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ؛ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ[4]. إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ[5]، مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ٱلَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ[6]. مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى ٱلنَّارِ!

١٢٠ - ومن كلام له عليه السلام *

فِي عِظَةِ النَّاسِ

تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ[7] تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ[8]، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ[9]، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ[10].

(*) هذا الكلام مروي قبل نهج البلاغة في كتاب (سُليم بن قيس) ص١٤٢، ومنثور في (غرر) الآمدي.

---

(١) حُمّ: قُدّر.

(٢) الرِّكاب: الإبل، وقربتُ ركابي: أي حزمت إبلي، وأحضرتها للركوب.

(٣) شخصت عنكم: خرجت وبعدتُ عنكم وتخليت عن أمر الخلافة.

(٤) وصفهم بعيب الناس والطعن فيهم، وأنهم يحيدون عن الحق وعن الحرب، أي ينحرفون ويروغون كما يروغ الثعلب.

(٥) الغَناء - بالفتح والمد -: النفع.

(٦) الذي حُتّم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجِبِلّته.

(٧) رواها قومٌ «لقد عَلِمْتُ» بالتخفيف وفتح العين [كابن المؤدب وعبده] والرواية الأولى أحسن.

(٨) أي تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول ﷺ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ..﴾ [الأحزاب: ٣٩] وإلى قول النبيّ ﷺ في قصة براءة: «لا يؤدي عني إلّا أنا أو رجل مني».

(٩) العِدات: جمع عِدَة بمعنى الوعد، واتمام العِدات: إنجازها.

(١٠) تمام الكلمات: تأويل القرآن.

وَعِنْدَنَا - أَهْلَ ٱلْبَيْتِ - أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ، وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ[١].

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[٢]، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى[٣] فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ[٤]، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٥]. وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ[٦]، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[٧]. أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ[٨] يَجْعَلُهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

١٢١ - ومن كلام له عليه السلام*

بَعْدَ لَيْلَةِ ٱلْهَرِيرِ

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: نَهَيْتَنَا عَنِ ٱلْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا، فَمَا نَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ:

(*) ذكره ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ١٦٥، والزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ١ ص ١٣٠.

---

(١) أبواب الحُكْم: يعني الشرعيات والفتاوى. وضياء الأمر: يعني العقليات والعقائد.

(٢) سبُله قاصدة: أي قريبة سهلة ومستقيمة.

(٣) تُبْلَى: أي تختبر.

(٤) عازِبُهُ: غائبه، أي مَنْ لم يكن من نفسه ومن ذاته زاجر عن القبيح ولم ينتفع بعقله الموهب له، الحاضر في نفسه، لبعيد أن ينزجر، وأن يرتدع بعقل غيره وموعظته؛ إذ من الأولى أن لا ينتفع بعقل غيره الذي هو غائب عن نفسه. أي ليس من صفاتها بل من صفات الغير.

(٥) عَوِزَ الشيء - كفَرِحَ -: أي لم يوجد.

(٦) حليتها حديد: يعني القيود والأغلال.

(٧) الصَّديد: ماء الجرح الرقيق والحميم.

(٨) اللسان الصالح: الذكر الحسن.

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ[1]! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى[2]، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ[3]؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِٱلشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا[4]! ٱللّٰهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ[5]، وَكَلَّتِ ٱلنَّزَعَةُ[6] بِأَشْطَانِ[7] ٱلرَّكِيِّ[8]!

أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى ٱلْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ ٱللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا[9]، وَسَلَبُوا ٱلسُّيُوفَ أَغْمَادَهَا،

---

(١) أي مَن تَرَكَ الرأيَ الوثيق، أو يريد من «العقدة» ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة.

(٢) أي لو فعلتُ ذلك لكانت هي العقدة الوثقى؛ أي الرأي الأصوب الأحزم.

(٣) أي لكن بمنْ كنت أعمل ذلك، وإلى مَنْ أخلدُ في فعله.

(٤) نَقْش الشوكة: إخراجها من العضو تدخل فيه. يقول: لا تستخرج الشوكة الناشبة في رجلك بشوكة مثلها، فإنّ أحدهما في القوة والضعف كالأُخرى. والضَّلْع: الميل. وأصل المثل «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضَلْعها معها»، يُضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مَشْرَبه.

(٥) الدَّوِي ـ بفتح فكسر ـ: المؤلم الشديد، وقد وُصِف بما هو من لفظه، كما تقول: ليلٌ أليل.

(٦) كلّت: ضعفت. والنزعة: جمع نازع، وهو الذي يستقي الماء.

(٧) الأشطان: جمع شَطَن، وهو الحبل.

(٨) الركيّ: الآبار، جمع رَكِيّة، وهي البئر، وتجمع أيضاً على ركايا. أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة.

(٩) الوَلَه: شدّة الحب حتى يذهب العقل، واللِّقاح: الإبل، والواحدة لَقوح، وهي الناقة الحَلوب، وَوَلَهُها إلى أولادها: فَزَعها إليها إذا فارقتها.

وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ[1] زَحْفاً زَحْفاً، وَصَفّاً صفّاً. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا. لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ[2]، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَى. مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ[3]، خُمْصُ ٱلْبُطُونِ[4] مِنَ ٱلصِّيَامِ، ذُبُلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ[5]، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ ٱلسَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ، أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ. فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ!

إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ[6]، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِٱلْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ[7]، وَبِٱلْفُرْقَةِ ٱلْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا[8] عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[9]، وَٱقْبَلُوا ٱلنَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ[10].

---

(١) أي أخذوا على الناس بأطراف الأرض، أي حصروهم.

(٢) يعني أنّ هؤلاء قومٌ تجرّدوا عن العلائق الدنيوية، فإذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به، وإذا مات له ميّت لم يُعزَّ عنه، وإذا قيل لهم نجا فلان فبقي حيّاً لا يفرحون؛ لأنّ أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق، ولا يحزنون إذا قيل لهم مات فلان؛ فإنّ الموت عندهم حياة السعادة الأبدية.

(٣) مُرْهُ: جمع أمْرَه، وهو على صيغة الصفة الذي يجمع على فُعْل كأحمر وحُمْر، مَرِهت عينُ فلان، إذا فسدت لترك الكُحْل، لكنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعل مَرَه العيون من البكاء من خوف خالقهم سبحانه.

(٤) خمص البطون: ضَوَامِرُها.

(٥) ذبلت شفته: جَفّت ويبستْ لذهاب الرِّيق.

(٦) يُسَنّي: يُسَهّل.

(٧) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة كأنّه يبيعهم الثانية بالأولى.

(٨) فاصْدِفوا: أي فأعْرِضوا عن وساوسه، صدف عن الأمر، يصدِف، أي انصرف عنه.

(٩) نفثاته: ما ينفث به وينفُث، بالكسر والضم: أي يخيّل ويسحر.

(١٠) اعقلوها: اربطوها والزموها واحبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيع منكم، فتخسرون.

١٢٢ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ(١)؟ فقالوا: منّا من شهد، ومنّا من لم يشهد. قال:

فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلّاً مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ(٢). ونادى الناس، فقال: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل، من جملته أن قال عليه السلام:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً(٣)، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ. فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ(٤)، إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ(٥)، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

(*) ذكره الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٧٤.

---

(١) شهد صفين: حضرها.

(٢) أي بالكلام الذي يليق به.

(٣) الغيلة: الخداع.

(٤) الناعق: المصوّت.

(٥) «إن أُجيب ضلّ» أي ازداد ضلالاً؛ لأنه قد ضلّ قبل أن يجاب.

وَلَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا[1]. وَٱللّٰهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمَّلَنِي ٱللّٰهُ ذَنْبَهَا. وَٱللّٰهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ ٱلَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ، فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللّٰهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً وَمُضِيّاً عَلَى ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ. وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ ٱلزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ، وَٱلشُّبْهَةِ وَٱلتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[2] يَلُمُّ ٱللّٰهُ بِهَا شَعَثَنَا[3]، وَنَتَدَانَى[4] بِهَا إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا!

١٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قالهُ لِأَصحابِهِ في ساحَةِ الحَرْبِ

وَأَيُّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ[5] مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ[6]، وَرَأَى مِنْ

(*) رواه ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٣٣٨، والمفيد في (الإرشاد) ص١٣٩ و١٥٩.

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم.

(٢) المراد من الخَصْلة ـ بالفتح ـ: هنا الوسيلة.

(٣) لمّ شَعَثَهُ: جمع أمره.

(٤) نتدانى: نتقارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط.

(٥) أحسّ: علم ووجد.

(٦) رَباطَةُ جأش: شدة القلب عند لقاء الأعداء، كأنّه يربط نفسه عن الفِرار، والمرويّ: رِباطة بالكسر، [كما أثبتها عبده في المتن].

أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً[1]، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ[2] بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ[3] ٱلَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[4] لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ[5]، وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِٱلسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ[6] عَلَى ٱلْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللَّهِ[7]!

وَمِنْهُ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ[8]، لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً. قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ[9]، فَٱلنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

---

(١) الفَشَل: الضعف والجبن.

(٢) فليذب: فليدفع، وذبَّ الرجل عن صاحبه، أي أكثر الذبَّ، وهو الدفع والمنع؛ وفي بعض الروايات: «فليذبّ» بالإدغام، وفي بعضها «فَلْيَذْبُبْ» بفك الإدغام.

(٣) النجدة: الشجاعة.

(٤) الحثيث: السريع.

(٥) في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه.

(٦) المِيتة ـ بالكسر ـ: هيئة الميِّت، كالجِلْسة هيئة الجالس. وقد روي: «من موتة»، وهو الأليق، يعني المرّة الواحدة، ليقع في مقابلة الألف.

(٧) الموت الذي يطلبه إنّما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش، وكما قال الشاعر:

يستطيبون مناياهم كأنّهمُ ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

(٨) الكشيش: الصوت يشوبه خَوَر، مثل الخشخشة، وكشيش الأفعى: صوتها من جلدها لا من فمها، وكشيش الضباب: صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة. يقول: لكأنّي أنظر إليكم وأصواتكم من الهلع كأنّها أصوات الضّباب المجتمعة. *والضِّباب: جمع ضبّ، وهو الحيوان المعروف.*

(٩) قد خلّيتم وطريق النجاة عند الحرب أو طريق الآخرة، وهي أن تقتحموا؛ ومتى تلوّمتم وأحجمتم هلكتم، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِدْ ... لِنَفْسي حياةً مثل أن أتقدّما

١٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في حثّ أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ[١]، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ. وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ[٢]؛ وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ[٣]، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ؛ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ[٤]؛ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ[٥]. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ[٦] مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ[٧] هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ[٨]، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافَيْهَا[٩]، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا؛ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

(*) رواه نصر بن مزاحم في (كتاب صفّين) ص٢٣٥، والطبري في (التاريخ) ج٦ ص ٩ في حوادث ٣٧.

---

(١) الدارع: لابس الدِّرع، والحاسر: الذي لا درع عليه ولا مِغفَر.

(٢) أنبى: من نبا السيف إذا دَفَعَتْهُ الصلابة من موقعه فلم يَقطَع. والهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(٣) أمَرَهم أن يتلوّوا إذا طُعنوا، لكي يتحرك السنان عن موضع الطعنة؛ فيخرج زالقاً، وإلّا خرق ونفذ، فقتل. وأمْوَر: أي أشد فعلاً للمَوْر، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ.

(٤) لأنّ الغاضّ بصرَه في الحرب لا يرتاع لهوْل ما ينظر.

(٥) الفشل: الجبن والخوف، لأنّ الجبان يرعد ويبْرق، والشجاع صامت.

(٦) الذِّمار: ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه من ماله وعرضه، وسمّي ذِماراً؛ لأنّه يجب على أهله التذمّر له، أي الغضب.

(٧) جمع حاقّة: وهي النازلة الثابتة، والأمر الصعب الشديد.

(٨) يحفّون بالرايات: أي يستديرون حولها، ويكتنفونها: يحيطون بها.

(٩) حفافيها: جانبيها.

أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ[1]، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ[2]، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ[3]، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ[4]، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ[5].

إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ[6]، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ[7]، وَالْعَارَ الْبَاقِيَ. وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. مَنْ رَائِحٌ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ! الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي[8]. الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ[9]. وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ[10] بِخَطَايَاهُمْ[11]. إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ:

---

(١) من الناس مَنْ يجعل هذه الصيغة وهي صيغة الإخبار بالفعل الماضي، في قوله: «أجزأ امرؤ قِرْنَه» في معنى الأمر؛ كأنه قال: ليُجْزِئ كلّ امرئ قِرنَه أي فليكف كل منكم قِرنه، ومنهم من قال: معنى ذلك: هلّا أجزأ امرؤ قرنه! فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها. وأجزأ، أي كفى. وقِرْنك: مقارنك في القتال ونحوه.

(٢) آسى أخاه بنفسه مؤاساةً، أي جعله أُسوة نفسه، أو قوّاه، رباعي، ثلاثيه: آسى البناء إذا قوي، ومنه الأسيّة للمحكم من البناء والدعامة.

(٣) ولا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه، ثم يتقلبان عليه فيهلكانه.

(٤) اللهاميم: السادات الأجواد من الناس، والجياد من الخيل، الواحد لُهموم.

(٥) السّنام الأعظم: يريد شرفهم وعلو أنسابهم؛ لأنّ السّنام أعلى أعضاء البعير.

(٦) مَوْجِدته: غضبه.

(٧) ويروى: «الذلّ اللاذم»؛ وهو بمعنى اللازم أيضاً.

(٨) العوالي: الرماح.

(٩) تبلى: تمتحن أخبار كلّ امرئ عما في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان فيتبين الصادق من الكاذب.

(١٠) أبْسَلَهُ: أسلمه للهلكة.

(١١) هذه الألفاظ كلّها لايتلو بعضها بعضاً، وإنّما هي منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضي ﷺ ←

يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلنَّسِيمُ[1]، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ[2]، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ[3]، وَيُنْدِرُ[4] ٱلسَّوَاعِدَ[5] وَٱلْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ[6] تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِٱلْكَتَائِبِ[7] تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ[8]، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ[9]، وَحَتَّى تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ[10]، وَبِأَعْنَانِ[11] مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[12].

قال الشريف الرضي ﷺ: الدَّعْق: الدَّقّ. أَيْ تدقّ الخيولُ بحَوَافرِهَا أَرْضَهُمْ[13]. وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ: مُتَقَابِلَاتُهَا. وَيُقَالُ: مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ، أَيْ تَتَقَابَلُ.

← واطّرح ما عداها.

(١) دِراك: أي متابع يتلو بعضُه بعضاً، يفتح في أبدانهم أبواباً، ويخرج منه النسيم، أي لسعته، والنسيم: الريح الليّنة.

(٢) فلقت الشيء: أي شققتُه.

(٣) يُطيح العظام: يسقطها.

(٤) يندرها: أي يُسقطها، ندرَ الشيء يندر نَدْراً، أي سقط، ومنه النوادر.

(٥) الساعد: من الكوع إلى المرفق، وهو الذراع.

(٦) المناسر: جمع مَنْسِر، وهو القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم.

(٧) يُرجَمُوا: أي يُغزَوا بالكتائب، جمع كتيبة وهي طائفة من الجيش، من المائة إلى الألف.

(٨) تقفوها الحلائب: جمع حلبة: الجماعة من الخيل تجتمع من كل صَوْب للنصرة، أي تتابعها طوائف لنصرها والمحاماة عنها.

(٩) الخميس: الجيش العظيم، وقيل لأربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً.

(١٠) الدَّعْق: قد فسره الرضيّ ﷺ، ويجوز أن يفسّر بأمر آخر، وهو الهيْج والتنفير، وكذلك يمكن تفسير نواحِر، بأمر آخر وهو أقصى أرضهم وآخرها، من قولهم لآخر ليلة في الشهر: ناحرة.

(١١) أعنان الشيء: أطرافه.

(١٢) المسارب: المذاهب للرّعْي، ما يسربُ فيه المال الراعي. والمسارح: ما يسرح فيه. والفرق بينهما أنّ السُّروح في أوّل النهار، وليس ذلك بشرط في السُّروب.

(١٣) دَعَقَ الطريق ـ كمنع ـ وطئه وطئاً شديداً، ودَعَقَ الغارةَ بثّها.

١٢٥ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في التّحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ ٱلرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا ٱلْقُرْآنَ. هٰذَا ٱلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ ٱلدَّفَّتَيْنِ[1]، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ ٱلرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ ٱلْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللّٰهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، فَرَدُّهُ إِلَى ٱللّٰهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِٱلصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَنَحْنُ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي ٱلتَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ ٱلْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ ٱلْعَالِمُ؛ وَلَعَلَّ ٱللّٰهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ ٱلْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ؛ وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا[2]، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ.

إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ

(*) رواه الطبري في (التأريخ) ج٦ ص ٣٧ في حوادث سنة ٣٧، وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص١٠٠، والمفيد في (الإرشاد) ص١٥٧.

(١) الدفتان: صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف. [وعند عبده والصالح: مَسْتُورٌ بين الدفتين].

(٢) الأكظام: جمع كظم أو كَظَم ـ محركة ـ مخرج النفس، والأخذ بالأكظام: المضايقة والاشتداد بسلب المهلة.

وَكَرَثَهُ[1] - مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ!؟[2] وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟[3] ٱسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِٱلْجَوْرِ[4] لَا يَعْدِلُونَ[5] بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ[6]، نُكُبٍ عَنِ ٱلطَّرِيقِ[7].

مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا[8]، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا[9]، لَبِئْسَ حُشَاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ[10]! أُفٍّ لَكُمْ[11]! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[12] يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ[13]، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلنَّجَاءِ[14]!

---

(١) كرثه: أي اشتد عليه، وبلغ منه المشقة. فإنّ الحزن بالحق مسرة لديه، والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم، وقوله «من الباطل» متعلق بأحب.

(٢) أي أين تذهبون في التيه ؟ يعني في الحيرة، وروي: «فأنّى يُتاهُ بكم»؟.

(٣) أي كيف دخل عليكم الشيطان أو الشبهة.

(٤) مُوزَعون : ملهَمون، من أوزَعَه أي أغراه، *وأصله بمعنى ألهمه*.

(٥)لا يتركونه إلى غيره، وروي «لا يعدلون به» أي لا يعدلون بالجور شيئاً آخر، أي لا يرضون إلّا به.

(٦) جفاة عن الكتاب: جمع جافٍ، وهو النابي عن الشيء، أي قد نبَوْا عن الكتاب، لا يلائمهم ولا يناسبوله، أو يريد: أجلافٌ لا أفهام لهم.

(٧) نُكُبٌ: أي عادلون، جمع ناكب وهو العائد عن الطريق.

(٨) «وما أنتم بوثيقة» أي بذي وثيقة، والوثيقة: الثقة، أو بعروة وثيقة يستمسك بها.

(٩) الزوافر: العشيرة والأنصار. «يعتصم إليها»: أي بها.

(١٠) حُشَاشُ النار: ما تحشُّ به، أي توقد. وروي «حَشاش» بالفتح، وهو الحطب الذي يلقى في النار قبل الجزل، وروي: «حُشَّاش» جمع حاشٍّ، وهو المُوقِد للنار، من «حش النار» أي أوقدها، أي لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم.

(١١) أفٍ: من الألفاظ القرآنية، والمعنى استقذار المعنيّ بالتأفيف.

(١٢) بَرْحاً: أي شدّة أو شراً، ويروى: «ترحاً» أي حزناً.

(١٣) *يوم النداء: يوم الدعوة إلى الحرب.*

(١٤) النَّجاء: المناجاة، وهي الإفضاء بالسرّ والتكلّم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر، *ويوم النجاء: يوم العتاب على التقصير.*

١٢٦ - ومن كلام له عليه السلام*

لمّا عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ ٱلنَّصْرَ بِٱلْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَٱللهِ لَا أَطُورُ بِهِ[١] مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[٢]، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي ٱلسَّمَاءِ نَجْماً[٣]! وَلَوْ كَانَ ٱلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا ٱلْمَالُ مَالُ ٱللهِ!

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ ٱلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي ٱلدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي ٱلنَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللهِ، وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ ٱللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ ٱلنَّعْلُ يَوْماً فَٱحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ، وَأَلْأَمُ خَدِينٍ[٤].

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٣، وابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٣١، والمفيد في (المجالس) ص ٩٥.

---

(١) لا أطور به من «طار يطور»: حام حول الشيء، أي ما أمرّ به ولا أقاربه، مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون.

(٢) «ما سمر سمير» يعني الدهر، أي ما أقام الدهر وما بقي.

(٣) ما أمّ نجمٌ: أي قصد وتقدّم لأنّ النجوم تتبع بعضها بعضاً.

(٤) الخدين: الصديق.

١٢٧ ـ ومن كلام له عليه السلام*

للخوارج أيضاً

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ يَدَ السَّارِقِ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ. فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[1]. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ[2] وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[3]! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ،

(*) رواه الطبري في (التاريخ) ج٦ ص ٤٨، في حوادث سنة ٣٧ بتفاوت مع رواية الرّضي.

---

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر، فأراد الإمام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رووه عن النبي ﷺ.

(٢) أي أضله، كأنه رمى به مرمىً بعيداً، لضلّ عن الطريق، ولم يهتدِ إليها.

(٣) حيّره وجعله تائهاً في بادية ضلاله.

وَٱلْزَمُوا ٱلسَّوَادَ ٱلأَعْظَمَ(١)، فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ، فَإِنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلنَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا ٱلشِّعَارِ فَٱقْتُلُوهُ(٢)، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ، فَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ ٱلاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ ٱلافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ ٱتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً(٣)، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ(٤) عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ(٥) عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ(٦)، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا ٱلْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا، فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي ٱلْحُكُومَةِ بِٱلْعَدْلِ، وَٱلصَّمْدِ(٧) لِلْحَقِّ ـ سُوءَ(٨) رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

---

(١) السواد الأعظم: أي الجماعة.

(٢) الشعار: علامة القوم في الحرب والسفر، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً، وكان شعار الخوارج أنهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديراً حوله كالإكليل، وقيل: كان شعار الخوارج «لا حكم إلا لله»، وقيل: المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة، فيريد الإمام أن كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه، عامل على التصرف بهوله، فهو واجب القتل، وإلا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين.

(٣) البُجْر: الشر والأمر العظيم.

(٤) خَتَلْتُكم: خدعتكم، خَتَلَهُ وخاتله: أي خدعه، والتخاتل: التخادع.

(٥) التلبيس: خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه.

(٦) الملأ: الجماعة من الناس.

(٧) الصَّمْد: القصد.

(٨) «سوء» مفعول لاستثناؤنا. قال: سبق شرطنا سوءَ رأيهما، لأنّا اشترطنا عليهما في كتاب الحكومة ما لا مضرّة علينا، مع تأمّله فيما فعلاه من اتباع الهوى وترك النصيحة للمسلمين.

١٢٨ ـ ومن كلام له عليه السلام *

فيما يُخْبِرُ بِهِ عَنِ المَلاحِمِ بِالبَصْرَةِ(١)

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ(٢)، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ(٣)، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ(٤)، يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

قال الشريف الرضيّ ﷺ: يُومِئُ بذلك إلى صاحب الزّنج.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ العَامِرَةِ(٥)، وَالدُّورِ المُزَخْرَفَةِ(٦) الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ(٧)

(*) هذا الفصل من خطبة طويلة خطبها ﷺ بعد حرب الجمل وقد نثر فصولاً منها الشيخ البحراني في شرحه.

---

(١) الملاحم: جمع مَلْحَمة وهي الواقعة العظيمة.

(٢) اللَّجَب: الصياح.

(٣) اللُّجُم: جمع لجام، وقَعْقَعَتها: ما يسمع من صوت واضطرابها بين أسنان الخيل.

(٤) الحَمْحَمَة: صوت البِرْذَوْن عند الشعير وعر الفرس ـ أي صوته ـ عندما يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه.

(٥) السكك: جمع سكة، وهي الطريق المستوي، وهو إخبار عمّا يصيب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من العمران على يد صاحب الزنج، وقد تقدم خبره في قيامه وسقوطه فراجعه.

(٦) الدُّور المزخرفة: المزيّنة المموّهة بالزُّخرف، وهو الذهب.

(٧) أجنحة الدور: رواشنها*، وقيل: إنّ الجناح والروشن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله وإلّا فهو الساباط، ويختلفان في أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن.

---

* الرُّوشن ـ هنا ـ: الشُّرفة، والجمع رواشِن.

ٱلنُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ ٱلْفِيَلَةِ[1]، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ[2]، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا!

ومِنْهُ، وَيُومِئُ بِهِ إِلَى وَصْفِ الأَتْرَاكِ

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ[3]، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ[4] وَٱلدِّيبَاجَ*، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ[5]، وَيَكُونُ هُنَالِكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[6] حَتَّى يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ[7].

فقالَ لهُ بعضُ أصحابِهِ: لقد أُعطيتَ يا أميرَ المؤمنين علمَ الغيبِ! فضحكَ عليه السلام وقالَ للرّجُلِ -وكان كَلْبِيّاً-: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي

---

(١) خراطيمها ما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع الشمس، أو الخراطيم: هي الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد.

(٢) أي القتيل منهم، وذلك لأنّ أكثر الزنج الذين أشار إليهم كانوا عبيداً، ولم يكونوا ذوي زوجات وأولاد، يريد به كثرتهم وأنهم كلّما قُتِل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره، فلا يظهر أثر فقده.

(٣) المِجانّ: جمع مِجَنّ، وهو التُّرس، وسُمّي مِجَنّاً، لأنّه يُستَر به، والجُنّة: السُّترة. والمُطْرَقة: التي قد أُطرِق بعضُها على بعض، أي ضُمّت طبقاتها؛ فجعل بعضها يتلو بعضاً، يُقال: جاءت الإبل مطاريق؛ أي يتلو بعضها بعضاً. والنعل المطرَّقة: المخصوفة. ويروى: «المجان المُطَرَّقة» بتشديد الراء [كما في نسخة عبده والصالح] أي كالتّرسة المتخذة من حديد مطرّق بالمطرَقة، وفي «القاموس» أي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة أي المخصوفة، وهو عجز عن التعبير، والأحسن أن يقال أي التي أُلزِق بها الطِّراق -ككتاب- وهو جلد يُقَوّر على مقدار الترس ثم يُلزَق به.

(٤) السَّرَق: شُقَق الحرير، وقيل: لا تُسمّى سَرَقاً إلّا إذا كانت بيضاً، الواحدة سَرَقة.

(٥) يعتقبون الخيل: يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها، أو يحتبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

(٦) استحرار القتل: اشتداده.

(٧) المفلت: الهارب.

---

* الدِّيباج: ضرب من الثياب سَداه ولُحمته حرير (فارسي معرّب).

عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، فَيَعْلَمُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ لِلنَّارِ حَطَباً أَوْ فِي ٱلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهٰذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا ٱللّٰهُ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللّٰهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي[1].

١٢٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في ذكر المَكَاييلِ وَالمَوازِينِ

عِبَادَ ٱللّٰهِ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ[2] مُؤَجَّلُونَ[3]، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ[4]: أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ. فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ[5]، وَرُبَّ كَادِحٍ

(*) روى الزمخشري في (ربيع الأبرار) في باب تبدل الأحوال جزءاً منها.

(١) تضطمُّ عليه جوانحي: تفتعل من الضمّ، وهو الجمع، أي وتنضم عليه جوانحي، أي تجتمع عليه جوانح صدري، ويروى: «جوارحي». والجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، وانضمامها عليه: اشتمالها على قلب يعيها.

(٢) أثوياء: جمع ثَوِيّ، وهو الضيف.

(٣) مؤجّلون: مؤخّرون إلى أجَلٍ، أي وقت معلوم.

(٤) مدينون: مُقرَضون. ومقتضَوْن: جمع مقتَضى، أي مطالَب بأداء الدين.

(٥) الدائب: المجتهد، ذو الجدّ والتعب، المداوم في العمل.

خَاسِرٌ[1]، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ ٱلْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَٱلشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالاً، وَٱلشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ ٱلنَّاسِ إِلَّا طَمَعاً. فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ[2]. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلنَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللّٰهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ ٱلْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللّٰهِ وَفْراً[3]، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ ٱلْمَوَاعِظِ وَقْراً[4]!

أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ ٱلْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَٱلْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ، وَٱلْعَاجِلَةِ ٱلْمُنَغِّصَةِ[5]! وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ[6] لَا تَـلْتَقِي بِـذَمِّهِمُ ٱلشَّـفَتَانِ[7]، ٱسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ[8]! فَـ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾!

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ[9]. أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللّٰهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ[10]، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ! هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ ٱللّٰهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ ٱللّٰهُ ٱلْآمِرِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ٱلتَّارِكِينَ لَهُ، وَٱلنَّاهِينَ

---

(١) الكادح: الساعي لنفسه بجهد ومشقة، والمراد من يقصُر سعيه على جمع حطام الدنيا.

(٢) الضمير للشيطان، وأمكنت الفريسة: أي سهلت وتيسرت.

(٣) الوفر: المال الكثير، أي بخِل ولم يؤدّ حق الله سبحانه، فكثر مالُه.

(٤) الوَقْر: الثِّقَل في الأُذن.

(٥) وروي: «المنغَّصة» بفتح الغين.

(٦) الحُثالة: السَّاقط الرديّ من كلّ شيء، والمراد قَزَم الناس وصغراء النفوس.

(٧) «لا تلتقي بذمّهم الشفتان» أي يأنف الإنسان أن يذمّهم. [وعند الصالح: لا تلتقي إلّا بذمّهم الشفتان]

(٨) ذهاباً عن ذكرهم: أي ترفعاً.

(٩) أي ليس في الناس مَنْ يزجُر عن القبيح وينزجر هو عنه.

(١٠) دار القدس: هي الجنّة. ولا يُخدَع الله عنها، لأنّه لا تخفى عليه خافية.

عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ[1]!

١٣٠ ـ ومن كلام له عليه السلام *

لِأَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللّٰهُ لَمَّا أُخْرِجَ إِلَى الرَّبَذَةِ[2]

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلّٰهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَأَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً، وَٱلأَكْثَرُ حُسَّداً. وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ ٱتَّقَى ٱللّٰهَ، لَجَعَلَ ٱللّٰهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً. لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ[3].

(*) رواه الكليني في (روضة الكافي) ص٢٠٦، واليعقوبي في (تاريخه) ج٢ص ١٢٠.

---

(١) ولست أرى في الخطبة ذكراً للموازين والمكاييل: التي أشار اليها الرضي‌ﷺ. اللّهم إلّا أن يكون قوله‌ﷺ: «وأين المتورعون في مكاسبهم»، أو قوله: «ظهر الفساد»، ودلالتهما على الموازين والمكاييل بعيدة.

(٢) الرَّبذة: موضع على قرب المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري، والذي أخرجه إليه الخليفة الثالث. وواقعة أبي ذرّ رحمه الله وإخراجه إلى الرَّبَذَة أحدُ الأحداث التي نُقِمَتْ على عثمان. واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنّقل، أنّ عثمان نفى أبا ذرّ أولاً الى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه إلى الرَّبَذة لمّا عمل بالمدينة ما كان يعمل بالشام، حيث كان يقول بين الناس وفي الطرقات: «بشّر الكافرين بعذابٍ أليم...»، وذلك بعد أن أعطى عثمانُ مروانَ بن الحكم وغيرَه بيوتَ الأموال.

(٣) لو قرضت منها: لو قطعت منها جزءاً واختصصت به نفسك، أي لو رضيت أن تنال منها.

١٣١ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في وصف الإمام الحقّ

أَيَّتُهَا ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ، وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ، ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ(١) وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلْأَسَدِ(٢)! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ ٱلْعَدْلِ(٣)، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ.(٤)

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالصَّلَاةِ.

(*) رواه ابن الجوزي في (تذكرته) ص ١٢٠، والقاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج٢ص ٥٣١.

---

(١) أظأركم: أعطفكم

(٢) الوعوعة: الصوت.

(٣) قوله: «هيهات أن أطلع بكم سِرار العدل» يفسّره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنوّرين لسرار العدل. والسِرار: آخر ليلة في الشهر، وتكون مظلمة. ويمكن عندي أن يفسّر السرار ههنا بالسُّرور: وهي خطوط مضيئة في الجبهة، كما نصّ أهل اللغة، ويقال: بَرَقَتْ أسِرّة وجهه وأسارير وجهه، فيصبح معنى كلامه ﷺ: هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل، ويبرق وجهه. ويمكن فيه أيضاً أن ينصب «سرار» ههنا على الظرفية، ويكون التقدير: هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه.

(٤) الحق لا اعوجاج فيه، ولكن قوماً خالطوه بالباطل، فهذا ما أصابه من اعوجاج.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ(١). وَلَا ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ(٢) فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلَا ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِٱلْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ(٣)، وَ لَا ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ.

١٣٢ - ومن خطبة له عليه السلام *

يَعِظُ فِيهَا وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَٱبْتَلَى(٤). ٱلْبَاطِنُ لِكُلِّ

(*) ذكرها ابن الأثير في (النهاية) ج ٥ ص ٢٣٩ مادة هبل، والآمدي في (الغرر).

---

(١) النَّهْمَة: الهمّة الشديدة بالأمر، نَهِم بكذا، فهو مَنهوم، أي مولَع به حريص عليه، ومن رواها «نَهَمَتُه» بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام، والماضي نَهِم، بالكسر.

(٢) «ولا الحائف للدول» أي الظلّام لها، والجائر عليها، من الحيْف، أي الجَوْر والظلم. والدُّوَل: جمع دُولة - بالضم - وهي المال، لأنّه يُتَدَاول أي ينتقل من يد ليد، والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل. وروي: «ولا الخائف الدوَلَ» بالخاء، ونصب «الدولَ» [كما في نسخة ابن المؤدب] أي من يخاف دول الأيام وتقلبات الدهر فيتخذ قوماً دون قوم ظهريّاً، وهذا معنى لا بأس به.

(٣) المقاطع: الحدود التي عينها الله لها، جمع مقطع، وهو ما ينتهي الحقّ إليه، أي لا تصل الحقوق إلى أربابها لأجل ما أخذ من الرشوة عليها.

(٤) الإبلاء: الإحسان والإنعام «وعلى ما أبلى»، أي على ما أعطى، يقال: قد أبلاه الله بلاءً حسناً، أي أعطاه. والابتلاء: إنزال المضرة بالإنسان على سبيل الاختبار، وقد يكون في الخير، إلّا أنّه أكثر ←

خَفِيَّةٍ(1)، وَٱلْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، ٱلْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ ٱلصُّدُورُ(2)، وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُونُ(3). وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ(4)، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا ٱلسِّرُّ ٱلإِعْلاَنَ، وَٱلْقَلْبُ ٱللِّسَانَ.

ومنها: فَإِنَّهُ وَٱللهِ ٱلْجِدُّ لاَ ٱللَّعِبُ، وَٱلْحَقُّ لاَ ٱلْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلاَّ ٱلْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ(5)، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ(6). فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ ٱلنَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ(7)، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ وَحَذِرَ ٱلإِقْلاَلَ(8)، وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ(9) وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ ٱلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ ٱلْمَنَايَا(10)، يَتَعَاطَى بِهِ ٱلرِّجَالُ ٱلرِّجَالَ(11)، حَمْلاً عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ، وَإِمْسَاكاً بِٱلأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ ٱلَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً(12)،

← ما يستعمل في الشرّ.

(1) الباطن: العالِم.

(2) تكنّ الصدور: تستر.

(3) ما تخون العيون: ما تسترقّ من اللحظات على غير الوجه الشرعيّ.

(4) بَعيثه: مصطفاه ومبعوثه.

(5) أي أنّ الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي، فلا حي إلّا وهو يعلم أنّه يموت.

(6) أعجل حاديه: أي أنّ الحادي لسير المنايا إلى منازل الأجسام لإخلائها من سكنة الأرواح قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم، وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم.

(7) لا تغتر بكثرة الأحياء، فكلّما رأيت حياً زعمت أنّك باق مثله، أو يريد: لا يغرّنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك، فتستبعد الموت اغتراراً بذلك. وسواد الناس: عامّتهم.

(8) الإقلال: الفقر.

(9) «طول» مفعول لأجله، أي كان منه ذلك لطول الأمل و... .

(10) أعواد المنايا: النعش.

(11) أي يتداولونه، تارة على أكتاف هؤلاء، وتارة على أكتاف هؤلاء.

(12) المشيد: المبني بالشِّيد، وهو الجصّ.

وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً، أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً[1]، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ[2]! فَمَنْ أَشْعَرَ ٱلتَّقْوَى قَلْبَهُ[3]، بَرَزَ مَهَلُهُ[4]، وَفَازَ عَمَلُهُ.

فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا[5]، وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا[6]، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ[7]، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً[8] لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا ٱلأَعْمَالَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ. فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ[9]، وَقَرِّبُوا ٱلظُّهُورَ[10] لِلزِّيَالِ[11].

---

(١) البور: الفاسد الهالك.

(٢) يُستعتبون: ههنا يُفسر بتفسيرين، فمن رواه بالضم - مبني للمجهول - فمعناه لا يطلب منهم الرضى. ومن رواه «يَستَعْتِبون» بالفتح (كما في نسخة الصالح) فهو من استعتَبَ فلان، أي طلب أن يُعتَب، أي يرضى. تقول: استعتبته فأعتبني: أي استرضيته فأرضاني.

(٣) أشعَرَ التقوى قلبه: جعله كالشعار له.

(٤) بَرَزَ مَهَلُه - بالرفع -: من بَرَزَ الرجلُ على أقرانه، أي فاقهم، والمهلُ: شوط الفرس والتقدم في الخير، أي فاق تقدّمه إلى الخير على ما تقدّم غيره. ومن رواه بالنصب جعل «برز» بمعنى أبرز، أي أظهر وأبان.

(٥) اهتبلوا هَبَلها: اهتَبَلَ الصيد: طلبه، أي اغتنموا وانتهزوا الفرصة، أي اغتنموا خير التقوى. والضمير في «هبلها» للتقوى لا للدنيا.

(٦) أي العمل الذي يصلح أن يكون ثمرته الجنّة.

(٧) دار مقام: أي دار إقامة.

(٨) المجاز: الطريق يجاز عليه الى المقصد.

(٩) الأوفاز: جمع وفْز - بسكون الفاء وبحركها -، وهو العجلة، أي كونوا منها على استعجال.

(١٠) الظُّهور: الرّكاب، وبنو فلان مظهرون، أي لهم ظهور ينقلون عليها الأثقال.

(١١) الزِّيال: المفارقة، وهنا فراق الدنيا.

١٣٣ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في صفة القرآن والنبيّ

وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا(١)، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا(٢)، وَسَجَدَتْ لَهُ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ ٱلأَشْجَارُ ٱلنَّاضِرَةُ(٣)، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا ٱلنِّيرَانُ ٱلْمُضِيئَةُ(٤)، وَآتَتْ أُكُلَهَا(٥) بِكَلِمَاتِهِ(٦) ٱلثِّمَارُ ٱلْيَانِعَةُ(٧).

منها: وَكِتَابُ ٱللّٰهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ(٨) نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ(٩)، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

(*) رواه الآمدي في (الغرر) ص ٨٨

---

(١) أزمّتها: لفظة مستعارة من انقياد الإبل بأزمّتها مع قائدها. ومعنى انقياد الدنيا والآخرة له نفوذ حكمه فيهما.

(٢) مقاليدها: جمع مِقلاد، وهو المفتاح.

(٣) سجود الأشجار الناضرة له: تصرّفها حَسَب إرادته.

(٤) قُضبان ـ بالضم ـ: جمع قضيب، وهو الغصن، والمعنى أنّه بقدرته أخرج من الشجر الأخضر ناراً. [وعند عبده والصالح: النيرانَ المضيئةَ] أي أنّ الأشجار أشعلت النيرانَ المضيئةَ من قضبانها.

(٥) آتت أُكلها: أعطت ما يؤكل منها.

(٦) بكلماته: أي بقدرته ومشيئته، وبأوامره التكوينية، والضمائر لله سبحانه.

(٧) اليانعة: الناضجة.

(٨) يقال: بين أظهرهم، وظهريهم، وظهرانَيهم ـ بفتح النون ـ، أي نازل بينهم. وقالت العرب ذلك ولم تقل «بين صدورهم» أرادت الإشعار بشدة المحاماة عنه. لأنّ النزيل إنما حامى القوم عنه استقبلوا شبا الأسنة وأطراف السيوف بصدورهم، وكان هو محروساً وراء ظهورهم.

(٩) لا يعيا لسانه: لا يكِلّ.

منها: أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ(١)، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ(٢). فَقَفَّى بِهِ ٱلرُّسُلَ(٣)، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ. فَجَاهَدَ فِي ٱللّٰهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ(٤).

منها: وَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ ٱلْأَعْمَى(٥)، لا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً. وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّارَ وَرَاءَهَا. فَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

مِنْهَا(٦): وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً(٧). وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا ٱلْغِنَى كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ.

---

(١) الفترة: زمان انقطاع الوحي.

(٢) «وتنازع من الألسن» كل طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها.

(٣) وقفّى به الرُسل: أتبعها به، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا على آثارهم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧] ومنه الكلام المقفّى، وسمّيت قوافي الشعر، لأنّ بعضها يتبع بعضاً.

(٤) العادلين به: الجاعلين له عديلاً، أي مثلاً.

(٥) يشير إلى أنّ من يقصر نظره على الدنيا فكأنّه لم يبصر شيئاً، فهو بمنزلة الأعمى.

(٦) هذه فصول متفرّقة إلتقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه ﷺ، وإن كان كلّ كلامه فصيحاً.

(٧) لا يجد في الموت راحة، حيث لم يهيئ من العمل الصالح الباقي، ما يكسبه السعادة بعد الموت. قال: وإنّما ذلك، ـ أي شعور الإنسان ـ بخيفة من ما بعد الموت، بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور، وتبعثه إلى خير العمل، ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه من خيفة ما وراء الموت، ولما يرشد إليه ذلك الوجدان، أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى منجاة مما يخشاه القلب، وتتوجس منه النفس. وأنّها التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه. وبهذا التفسير التأم الكلام، واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام. وقوله «كتاب الله» جملة مستأنفة، أي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه.

كِتَابُ ٱللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللَّهِ(١)، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللَّهِ(٢).

قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ(٣)، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ(٤)، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ. لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ(٥)، وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ(٦)، وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

١٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام*

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللَّهُ لِأَهْلِ هٰذَا ٱلدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ(٧)، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ، وَٱلَّذِي

(*) رواه أبو عبيد في (كتاب الأموال) ص ٢٥٢، وابن الأثير في (النهاية) ج ٤ ص ٢٥٠، مادة كنف.

---

(١) لا يختلف في الدلالة على الله وصفاته، أي لا يتناقض.

(٢) لا يأخذ بالإنسان المعتمد عليه إلى غير الله.

(٣) الغل: الحقد. والاصطلاح عليه: الاتفاق على تمكينه في النفوس.

(٤) الدِّمَن: جمع دِمْنة، وهي الحقد القديم أيضاً. ونبت المرعى عليها، أي دامت، وطال الزمان عليها حتى نبت النبات عليها. وأصل الدمن السرجين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها، وسميت بها الأحقاد لأنّها أشبه بها، قد تنبت عليها الخضر، وهي على ما فيها من قذر. وهذا كلام ينعى به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الإلهام.

(٥) الخبيث: يعني الشيطان. واستهام بكم: جعلكم هائمين، أي استهامكم. ويمكن أن يكون «استهام بكم» أي استدعى منكم أنْ تهيموا وتقعوا في التّيه والضلال، أصله: من هام على وجهه، إذا خرج لا يدري أين يذهب، أي أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة.

(٦) وتاه بكم: جعلكم تائهين حائرين.

(٧) توكّل لهم: صار وكيلاً، ويروى: «وقد تكفّل»، أي صار كفيلاً. والحوزة: الناحية أو ما يَحُوزهُ ←

نَصَرَهُمْ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ(١) دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً(٢)، وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ(٣). فَإِنْ أَظْهَرَ اللّٰهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ(٤)، وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ(٥).

١٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

وَقَدْ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ مُشَاجَرَةٌ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ(٦) لِعُثْمَانَ: أَنَا أَكْفِيكَهُ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُغِيرَةِ:

يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ(٧)، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي؟

(*) نقله أحمد بن أعثم الكوفي في (الفتوح) ج٢، ص ١٦٥.

← المالك ويتولى حفظه. وإعزازُ حوزة الدين: حمايتها من تغلّب أعدائه. يقول: إنّما الذي نصرهم في الابتداء على ضَعفهم هو الله تعالى، وهو حيٌّ لا يموت، ينصرهم ثانياً، كما نصرهم أولاً.

(١) كانفة: أي جهة عاصمة، يلجأون إليها، كنفه: أي صانه وستره، من قولك: كنفت الإبل، جعلتُ لها كنيفاً من الشجر تستتر به وتعتصم. وفي رواية «كهف» أي ملجأ، [كما أثبته ابن أبي الحديد في المتن].

(٢) مِحرباً: أي صاحب حروب.

(٣) حفَزتُ الرجل أحفِزه: دفعته من خَلفِه وسقته سوقاً شديداً. وأهل البلاء: أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الإقدام، والبلاء: هو الإجادة في العمل وإحسانه.

(٤) الرِّدء ـ بالكسر ـ: الملجأ أو العون.

(٥) مثابة: مرجعاً.

(٦) هو المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفيّ، حليف بني زهرة.

(٧) قالوا: كان نزاع بين أمير المؤمنين وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق لعثمان: ←

فَوَٱللّٰهِ مَا أَعَزَّ ٱللّٰهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ، اُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللّٰهُ نَوَاكَ[1]، ثُم ٱبْلُغْ جَهْدَكَ[2]، فَلَا أَبْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ!

١٣٦ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في أمر البَيْعَة

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً[3]، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلّٰهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ[4]. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ[5]، وَايْمُ ٱللّٰهِ لَأُنْصِفَنَّ ٱلْمَظْلُومَ وَلَأَقُودَنَّ ٱلظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[6]، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ ٱلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً.

(*) رواه الهروي في (الجمع بين الغريبين).

= «أنا أكفيكه»، فقال عليّ: يابن اللعين... ، وإنّما قال له أمير المؤمنين ﷺ: «يابن اللعين» لأنّ الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين، وقال له: «يابن الابتر» لأنّ من كان عقبه ضالّاً خبيثاً، فهو كمن لا عقب له. ويروى: «ولا أقام من أنت منهضه» بالهمزة.

(١) النوى: ههنا بمعنى الدار. ويروى: «أبعد الله نوءك» من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها، وكانوا إذا دعوا على إنسان قالوا: أبعد الله نوءك! أي خيرك.

(٢) الجَهد ـ بالفتح ـ: الغاية.

(٣) الفَلْتة: الأمر يقع عن غير تدبّر ولا رويّة، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر؛ وقد قال عمر: «كانت بيعة أبي بكر فَلْتة وقى الله شرّها».

(٤) لأنّه لا يريد من طاعتهم له إلّا نصرة الدين، وأمّا هم فإنّهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب.

(٥) اعينوني على أنفسكم: خذوها بالعدل، واقنعوها على اتّباع الهوى.

(٦) الخِزامة: حلقة من شعر تُجعَل في أنف البعير، ويُجعل الزمام فيها.

١٣٧ - ومن كلام له عليه السلام (*)

في شأن طلحة والزبير

وَٱللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلاَجَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً(١)، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ. وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلطَّلِبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ(٢). وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَسْتُ وَلاَ لُبِسَ عَلَيَّ. وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَأُ وَٱلْحُمَةُ(٣)، وَٱلشُّبْهَةُ ٱلْمُغْدَفَةُ(٤)؛ وَإِنَّ ٱلأَمْرَ لَوَاضِحٌ؛ وَقَدْ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ

(*) نقله ابن عبد البر في (الاستيعاب)، وابن الأثير في (أسد الغابة) في ترجمة طلحة.

(١) النَّصَف: الإنصاف، وعلى حذف المضاف: ذا نِصَف، أي حكماً منصفاً عادلاً يحكم بيني وبينكم.

(٢) الطَّلِبة - بكسر اللام -: ما طلبته من شيء، وهنا ما يطالب به من الثأر.

(٣) الحمَأ: الطين الأسود. وحُمة العقرب: سمّها، أي في هذه الفئة الباغية الضلالُ والفسادُ والضرر. وإذا أرادت العربُ أن تعبّر عن الضلال والفساد قالت: الحَمْء، مثله الحمأة بالتاء. ويروى فيها: «الحما»* بألف مقصورة وهو كناية عن الزُّبير، لأنّ كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء؛ واحدهم «حما»، وما كان بسبب المرأة فهم الأختان، فأما الأصهار فيجمع الجهتين معاً. وكان الزبير ابن عمة الرسول ﷺ وكان النبيﷺ أعلم علياً بأن فئة من المسلمين تبغي عليه، فيها بعضُ زوجاته وبعض أحمائه، فكنى عليّ ﷺ عن الزوجة بالحُمَة وهي سمّ العقرب أو إبرة اللاسعة من الهوام ويروى: «والحَمْء» يضرب مثلاً لغير الطيّب ولغير الصافي.

(٤) المرأة تُغْدِف وجهها بقناعها، أي تستره، وأغدف الليل، أي أظلم، يعني أنّ شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق.

* أثبت «عبده» في المتن «الحَمَا» بألف مقصورة، وقد اختلط الأمر على «الصالح» ففسّر الحماً بما فسّر به «عبده» الحما.

نِصَابِهِ(١) وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ(٢). وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً(٣) أَنَا مَاتِحُهُ(٤)، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ(٥)، وَلَا يَعُبُّونَ(٦) بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ(٧).

وَمِنْهُ: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ(٨) الْمَطَافِيلِ(٩) عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا(١٠) النَّاسَ عَلَيَّ؛ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ(١١)، وَاسْتَأْنَيْتُ(١٢) بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ(١٣)، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ(١٤) وَرَدَّا الْعَافِيَةَ.

---

(١) زاح يزيح زيحاً وزيحاناً: بَعُدَ وذهب. «عن نصابه»: عن مركزه ومقرّه، والنصاب: الأصل، أي قد انقلع الباطل عن مغرسه.

(٢) الشغب ـ بالفتح ـ: تهيّج الشر.

(٣) «لأُفرطنّ لهم حوضاً» أي لأملأنّ، أفرط الحوض: ملأه حتى فاض، والمراد حوض المنية.

(٤) المائح: المستقي من فوق، والماتح: مالىء الدِّلاء من تحت.

(٥) «لا يصدرون عنه بريّ» أي ليس كهذه الحياض الحقيقية يصدر عنها الظمآن بريّ، بل لا يصدرون عنه إلّا وهم جَزَر السيوف، ولا يعبُّون بعده حسْي لأنّهم هلكوا.

(٦) العَبّ: الشرب بلا مصّ وبلا تنفس، كما تشرب الدّابة.

(٧) الحَسي ـ بفتح الحاء وتكسر ـ: سهل الأرض يستنقع فيه الماء، أو يكون غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر، فتحفر فيه حفرة لتنزح منها ماء، وكلّما نزحت دلواً جمعت أُخرى، فتلك الحفرة حسي، يريد أنّه يسقيهم كأساً لا يتجرعون سولها.

(٨) العُوذ: النوق الحديثات النّتاج، الواحدة عائذ، وقد يقال ذلك للخَيْل والظّباء أولكل أُنثى.

(٩) المطافيل: جمع مُطْفِل: ذات الطفل من الإنس والوحش والتي زال عنها اسمُ العِياذ ومعها طِفْلُها.

(١٠) ألّبا: أي حرّضا، والتأليب: الإفساد.

(١١) طلبت منهم أن يثوبا، أي يرجعا. ويروى: «ولقد استتبتهما» أي طلبت منهما أن يتوبا.

(١٢) استأنيت بهما: من الأناة والانتظار.

(١٣) أمام الوِقاع: أي قبل المواقعة بالحرب، والوِقاع: مصدر «واقعتهم» في الحرب وِقاعاً.

(١٤) غَمَط فلان النعمة، إذا حقَرها وجَحَدها وأزرى بها غمْطاً.

١٣٨ـ ومن خطبة له عليه السلام *

يُومِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلاحِمِ[١]

يَعْطِفُ ٱلْهَوَى عَلَى ٱلْهُدَى[٢]، إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْهَوَى، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَى ٱلْقُرْآنِ، إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلرَّأْيِ[٣].

ومنها: حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا[٤]، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا[٥]، حُلْواً رَضَاعُهَا[٦]، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا[٧]. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا[٨]، وَتُخْرِجُ لَهُ

(*) رواها الآمدي في (الغرر) ص ٢٩٦.

---

(١) فيها إشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان*، وهو الموعود به في الأخبار والآثار.

(٢) «يعطف الهوى»: يقهره ويثنيه، ويجعل الهُدى قاهراً له، وظاهراً عليه. و«يعطف...» خبر عن قائم ينادي بالقرآن ويطالب الناس باتباعه وردّ كلّ رأي إليه.

(٣) أي يقهر حكم الرأي والقياس والعمل بغَلَبَة الظنّ عاملاً عمل القرآن، وهذا إشارة إلى فرق المخالفين لهذا الإمام، الذين لا يعملون بالهدى بل بالهوى، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأي.

(٤) الساق: الشدّة. والنواجذ: أقصى الأضراس أو الأنياب، وهو كناية عن بلوغ الحرب غايتها، كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ، وكناية عن شدة الاحتدام، فإنّما تبدو من الأسد إذا اشتدّ غضبه.

(٥) الأخلاف للناقة: حلمات الضرع، واحدها خِلْف، وامتلاء الأخلاف: غزارتها من الشر.

(٦) حلاوة الرضاع: استطابة أهل النجدة واستعذابهم لما ينالهم منها.

(٧) مرارة العاقبة بما يصير إليه الظالمون وبئس المصير.

(٨) إذا انتهت الحرب حاسب الوالي القائم كلّ عامل من عمال السوء على مساوئ أعمالهم، وإنّما كان ←

---

* تعتقد الشيعة أن الإمام موجود ولكنه غائب الآن وسيظهر في آخر الزمان.

ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ[1] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا[2]، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ.

مِنْهَا[3]: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِٱلشَّامِ[4]، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ[5] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[6]، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ[7]، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِٱلرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[8]، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ[9]، بَعِيدَ ٱلْجَوْلَةِ[10]، عَظِيمَ ٱلصَّوْلَةِ. وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ[11] فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَٱلْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ. فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا[12]!

← الوالي من غيرها لأنه بريء من جرمها. والوالي هنا: الإمام الذي يخلقه لله تعالى في آخر الزمان، يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم، و«يأخذ» بمعنى «يؤاخذ» من قولك: أخذته بذنبه.

(١) الأفاليذ: جمع أفلاذ، والأفلاذ جمع فِلْذ، وهي القطعة من الكبد والذهب والفضة، وهو كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم بالأمر، وقد فُسّر قوله تعالى: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢] بذلك في بعض التفاسير.

(٢) المقاليد: المفاتيح.

(٣) هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق.

(٤) نعق: من نَعَقَ الراعي بغنمه.

(٥) فحَصَ: بَحَثَ، والتقدير: فحص الناسَ براياته، أي نحّاهم وقلّبهم يميناً وشمالاً.

(٦) كوفان: اسم الكوفة. وضواحيها: ما قرب منها من القرى.

(٧) الضروس: الناقة السيئة الخُلُق تعضّ حالبها.

(٨) وفغرت فاغرته: كأنه يقول: فتح فاه، والكلام استعارة.

(٩) ثقُلت في الأرض وطأته: كناية عن الجوْر والظلْم.

(١٠) بعيد الجولة: استعارة، والمعنى أنّ تطواف خيوله وجيوشه في البلاد، أو جَوَلان رجاله في الحرب على الأقران طويل جداً لا يتعقّبه السكون إلّا نادراً.

(١١) ليشرّدنّكم: أي ليفرقنكم.

(١٢) عوازب أحلامها: ما ذهب من عقولها. عَزَب عنه الرأي، أي بَعُد.

فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي[1] لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[2].

١٣٩- ومن كلام له عليه السلام *

في وَقتِ الشُّورَى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا[3] هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى[4] فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلاَلَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

١٤٠- ومن كلام له عليه السلام **

في النَّهيِ عَنْ غَيبِ النَّاس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ[5] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ

(*) رواه الطبري في (تأريخه) ج٥ ص ٣٩ في حوادث سنة ٢٣.

(**) رواه الآمدي في (الغرر) في موضعين ص ١٣٥، ص ٣٥٩.

---

(١) يُسَنّي: يسهّل.

(٢) العقِب ـ بكسر القاف ـ: مؤخّر القدم.

(٣) قوله: عسى أن تروا ... ، ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الأمر.

(٤) تُنتضى: تسل.

(٥) الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه إليهم بالسلامة من الآثام.

الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ(1) مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ! يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ له، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

١٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في النَّهْيِ عَنْ سَمَاعِ الْغِيبَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ(2). أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِئُ السِّهَامُ، وَيُحِيلُ الْكَلَامُ(3)،

(*) رواه القاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص١٣٩، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٦ ص ٢٦.

---

(١) مما هو أعظم ...: بيان للذنوب التي سترها الله عليه.

(٢) هذا الكلام هو نهيٌ عن التسرّع إلى التصديق بما يقال من العيب والقَدْح في حق الإنسان المستور الظاهر، المشتهر بالصلاح والخير.

(٣) يُحيل الكلام: أي يكون باطلاً. أحال الرجلُ في منطقه: تكلّم بما لا حقيقة له. ويروى:←

وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ[1]، وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ[2].

فسُئِل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن معنى قولِهِ هذا، فجَمَعَ أصابعه ووضعها بَيْنَ أُذُنه وعينه ثمّ قال: ٱلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَٱلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ.

١٤٢ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

فِي وَضْعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ ٱللِّئَامِ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللّٰهِ بَخِيلٌ![3] فَمَنْ آتَاهُ ٱللّٰهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ٱلضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ[4]،

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٣، وابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٣١.

← «ويُحيك» من قولك: ما حاك فيه السيف، أي ما أثّر، وحاك القول في القلب، أخذ، يعني أنّ القول يؤثر في العِرض وإن كان باطلاً. والرواية الأُولى أشهر وأظهر.

(١) يبور: يفسد.

(٢) الأصبع مؤنثة، ولذلك قال: «أربع أصابع».

(٣) هذا الكلام يتضمّن ذمّ من يُخرج ماله الى الأقران ونحوهم، ويبتغي به المدح والسمعة، ولا يُخرجه في وجوه البّر، قال ﷺ: ليس له إلّا محمدة اللئام وثناء الأشرار، وقولهم: ما أجود يده! أي ما أسمحه.

(٤) الغارِم: مَن عليه الديون.

وَلْيَصْبِرْ(١) نَفْسَهُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلنَّوَائِبِ، ٱبْتِغَاءَ ٱلثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

١٤٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام(*)

في الإستسقاء

أَلَا وَإِنَّ ٱلأَرْضَ ٱلَّتِي تَحْمِلُكُمْ، وَٱلسَّمَاءَ ٱلَّتِي تُظِلُّكُمْ(٢)، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ(٣)، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا(٤). إِنَّ ٱللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ ٱلأَعْمَالِ ٱلسَّيِّئَةِ بِنَقْصِ ٱلثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ ٱلرِّزْقِ، وَرَحْمَةِ ٱلْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ● يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ● وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾.

(*) رواه الديلمي في (أعلام النبوة)، وابن الأثير في (النهاية) ج ١ ص ١٣٧، مادة بطن.

---

(١) يَصْبِر: يحبس.

(٢) تُظِلُّكُم: تعلو فوقكم.

(٣) الزلفة: القربة.

(٤) والكلام مجاز واستعارة، لأنّ الجماد لا يؤمر، والمعنى أنّ الكل مسخّر تحت القدرة الإلهية

فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ(١)، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ(٢)، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ(٣)! اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ. اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ(٤)، ﴿وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ(٥)، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ(٦)، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ(٧) عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعَبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ(٨)، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا(٩)، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً(١٠) مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا(١١)، كَثِيرَةَ

---

(١) استقال خطيئته: طلب الإقالة منها والرحمة.

(٢) بادر منيته: سابَقَ الموت قبل أن يدهمه.

(٣) استقبل توبته: أي استأنفها وجدّدها.

(٤) السِّنين: جمع سَنَة، وهي الجدْب والمحْل والقحط، قال تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسِّنين﴾ [الأعراف: ١٣٠].

(٥) المضايق الوَعْرة ـ بالتسكين ولا يجوز التحريك ـ: الصعبة.

(٦) أجاءتنا: ألجأتنا. والمقاحط المجدبة: السنون الممحلة، جمع مَقْحَطة.

(٧) تلاحمت: اتصلت.

(٨) واجمين: كاسفين حزينين، الواجم: الذي اشتدّ حزنُه حتى أمسك عن الكلام.

(٩) لا تخاطبنا: أي لا تدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا.

(١٠) ناقعة مُروِية: مسكّنة للعطش.

(١١) الحيا: المطر والخِصْب.

ٱلْمُجْتَنَى[1]، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ[2]، وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ[3]، وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ[4]، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ».

١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في بعثة الأنبياء

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ.

أَلَا إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً[5]؛ لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً، وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً[6]. أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا[7]، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا ٱللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا

(*) رواها الآمدي في (غرره) وبزيادة على رواية الرضي تدل أن للآمدي مصدراً غير (النهج).

(١) كثيرة المجتنى: أي كثيرة الكلأ، والكلأ: الذي يجتنى ويرعى.

(٢) القيعان: جمع قاع: الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

(٣) البطنان: جمع بطن، بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق.

(٤) تستورق الأشجار: تخرج أوراقها.

(٥) كشف الخلق: علم حالهم في جميع أطوارهم.

(٦) والعقاب بَوَاء: أي مكافأة مصدر باء فلان بفلان: أي قتل به، والعقاب: القصاص.

(٧) «أين الذين زعموا...» هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل.

يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَى.

إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

منها: آثَرُوا عَاجِلاً[1]، وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً[2]، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ[3]، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ[4]، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ[5]، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً[6] كَالتَّيَّارِ[7] لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ[8] لَا يَحْفِلُ[9] مَا حَرَّقَ.

أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَى، وَٱلْأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ[10] إِلَى مَنَارِ ٱلتَّقْوَى! أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلّٰهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ ٱللّٰهِ! ٱزْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطَامِ[11]، وَتَشَاحُّوا عَلَى ٱلْحَرَامِ[12]؛ وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ

---

(١) آثروا: اختاروا. وأخّروا: تركوا.

(٢) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم.

(٣) بَسِيء به: ألفه واستأنس به، وناقة بَسُوء: ألِفت الحالب ولا تمنعه.

(٤) طال عهده به مُذ زَمن الصِّبا حتى صار شيخاً.

(٥) خلائقه: ملكاته الراسخة في نفسه، وصُبغت به خلائقه: صارت طبعاً؛ لأنّ العادة طبيعة ثانية.

(٦) مزبِد: أي ذو زَبَد، وهو ما يخرج من الفم كالرغوة، يضرب مثلاً للرجل الصائل المقتحم.

(٧) التَّيَّار: معظم اللجّة، والمراد به هنا السَّيل.

(٨) الهشيم: دقاق الحطب.

(٩) لا يَحْفِل: لا يبالي.

(١٠) الأبصار اللامحة: الناظرة.

(١١) *ازدحموا على الحطام: استعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا، لسرعة فنائها وفسادها.*

(١٢) تشاحُّوا: تضايقوا، كل منهم يريد ألّا يفوته ذلك، وأصله الشحُّ، وهو البخل.

ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ: وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوا، وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَٱسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا!

١٤٥ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في شؤون الدنيا والناس

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا(١)، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ(٢)، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ؛ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ(٣) لَهُ جَدِيدٌ؛ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ(٤). وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

منها: وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ(٥). فَٱتَّقُوا ٱلْبِدَعَ، وَٱلْزَمُوا ٱلْمَهْيَعَ(٦).

(*) روى طرفاً من هذه الخطبة ابن شعبة في (تحف العقول)، والمفيد في (الإرشاد) ص ١٣٩.

---

(١) الغَرَض: ما ينصب ليرمى، وهو الهدف، وتنتضل فيه المنايا: تترامى فيه للسّبق.

(٢) الغصص: مصدر غَصِصْت يا فلان بالطعام، وروي: «غُصَص» جمع غُصّة، وهي الشجا.

(٣) يخلَق: يبْلى.

(٤) هذه إشارة إلى ذهاب الآباء عند حدوث أبنائهم في الأعمّ الأغلب.

(٥) البِدْعة: كل ما أُحدث مما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، والمعنى: أنّ من السنّة ألّا تحدث البدعة، فوجود البدعة عدمٌ للسنة لا محالة.

(٦) المهيع: الطريق الواضح.

إِنَّ عَوَازِمَ ٱلْأُمُورِ أَفْضَلُهَا[1]، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا[2].

١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام*

وَقَدِ اسْتَشَارَهُ عُمَرُ فِي الشُّخُوصِ لِقِتَالِ الفُرْسِ بِنَفْسِهِ

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ، وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ؛ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ، وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِٱلْأَمْرِ[3] مَكَانُ ٱلنِّظَامِ[4] مِنَ ٱلْخَرَزِ، يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ، فَإِنِ ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً[5]. وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِٱلْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِٱلِاجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْباً وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِٱلْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ[6] مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا

(*) رواه ابن أعثم في (الفتوح) ج ٢ ص ٣٧، والدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٣٤، والطبري في (تاريخه) ج ٤ ص ٢٣٧.

---

(١) عوازم الأمور: ما تقادم منها، وكانت عليه ناشئة الدين، من قولهم: عجوز عوزم: أي مسنة، فيها بقية شباب.

(٢) المحدَث: في مقابلة القديم.

(٣) القيّم بالأمر: القائم به، يريد الخليفة.

(٤) النظام: السلك ينظم فيه الخرز.

(٥) بحذافيره: أي بأصله، والحذافير: جمع حِذْفار، وهو أعلى الشيء وناحيته.

(٦) شخصت: خرجت.

وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تدعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ[1] أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ ٱلْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ، فَإِذَا ٱقْتَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ[2] عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِٱلْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِٱلنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ.

١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي الْغَايَةِ مِنْ بِعْثَةِ الرَّسُولِ

فَبَعَثَ ٱللّٰهُ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِٱلْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ[3]، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ[4] فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ

(*) رواها قبل الرضي الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٨٦ باختلاف يسير.

---

(١) العورات: الأحوال التي يخاف انتقاضها في ثغر أو حرب.

(٢) الكَلَب: الشرّ والأذى.

(٣) الأوثان: جمع وَثَن، وهو الصَّنَم، وسمي وَثَناً لانتصابه وبقائه على حالٍ واحدة، من قولك: وَثَنَ للان بالمكان، فهو واثن، وهو الثابت الدائم.

(٤) تجلّى لهم سبحانه: ظهر لهم من غير أن يُرى بالبصر.

مِنْ سَطْوَتِهِ. وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[1]، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ[2] مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ[3] إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ[4]، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ. فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ[5]، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ، فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ[6]. فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ. فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ[7]، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ[8]، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى

---

(١) المَثُلات ـ بضم الثاء ـ: العقوبات.

(٢) أبْوَر: أفسد، من بار الشيء، أي هلك. والسلعة: المتاع.

(٣) أنفق منه: أروج منه.

(٤) نبذ الكتاب: ألقاه.

(٥) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب.

(٦) لا يؤويهما: لا يضمّهما إليه، وينزلهما عنده.

(٧) الزَّبْر: الكتابة، مصدر زبرتُ أزبُر بالضم، أي كتبت، والزِّبر بالكسر: الكتاب وجمعه زبور، والزَّبور، بفتح الزاي: الكتاب المزبور.

(٨) مَثَّلوا ـ بالتشديد ـ: أي جدعوهم* بعد قتلهم. ومَثَلوا بالصالحين ـ بالتخفيف ـ [كما أثبته ابن أبي الحديد في المتن]: نكّلوا بهم. وما مصدرية. والاسم منه: المُثْلة ـ بضم الميم ـ.

---

* جدَعَه: قطع أنفه، أو طرفاً من أطرافه.

ٱللّٰهِ فِرْيَةً[1]، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ[2]. وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ[3] ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ[4] وَٱلنِّقْمَةُ. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللّٰهَ وُفِّقَ[5]، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ[6]. فَإِنَّ جَارَ ٱللّٰهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ؛ وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللّٰهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ، وَٱلْبَارِي مِنْ ذِي ٱلسَّقَمِ[7]. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَبَذَهُ. فَٱلْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[8]. فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ. هُمُ ٱلَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ ٱلدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ[9]، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ[10].

---

(١) فِرية ـ بالكسر ـ: أي كذباً.

(٢) وروي: «وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة»، والرواية الأُولى أحسن.

(٣) الموعود ههنا: الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة.

(٤) القارعة: الداهية المهلكة، والمصيبة تقرّع، أي تلقى بشدّة وقوة.

(٥) من استنصح الله: مَن أطاع أوامره.

(٦) التي هي أقوَم: يعني الحالة والخَلّة التي اتّباعها أقوم.

(٧) البارئ: المعافى من المرض. والسقم: المرض والعلّة.

(٨) «فالتمسوا ذلك عند أهله»، كناية عنه ﷺ.

(٩) أي فالدين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه، كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق.

(١٠) صامت لأنّه لا ينطق بنفسه، بل لابد له من مترجم، فهو صامت في الصورة، وهو في المعنى أنطق الناطقين، لأنّ الأوامر والنواهي والآداب كلّها مبنيّة عليه، ومتفرّعة عليه.

١٤٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى ٱللّٰهِ بِحَبْلٍ(١)، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ(٢). كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ(٣)، وَعَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ. وَٱللّٰهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا.

قَدْ قَامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُونَ(٤)! قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ ٱلسُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ. وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَٱللّٰهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ ٱللَّدْمِ(٥)، يَسْمَعُ ٱلنَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ!

(*) رواها قبل الرضي أبو مخنف في (كتاب الجمل)، ورواها المفيد في (الإرشاد) ص ١٤٢.

(١) الضمير لطلحة والزبير. وقوله لا يمتّان: أي لا يمدّان.

(٢) السبب: الحبل أيضاً.

(٣) الضَّبّ: الحقد.

(٤) المحتسبون: الذين يجاهدون حسبة لله، أي طلباً للحِسْبة، وهي الأجر.

(٥) اللدم: الضرب على الصدر والوجه عند النياحة. ومستمع اللَّدم: كناية عن الضبُع، تسمع وقع الحجر بباب جُحرها من الصائد فتنخذل وتكفّ جوارحَها إليها حتى يدخل عليها فيربطها. يقول عليه السلام: لا أكون مقرّاً بالضيم، أسمع الناعي المخبِر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه، فلا يكون عندي من الإنكار فلك، إلّا أن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم.

١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قبل موته

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، كُلُّ ٱمْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. وَٱلْأَجَلُ مَسَاقُ ٱلنَّفْسِ(١)، وَٱلْهَرَبُ منهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ ٱلْأَيَّامَ(٢) أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ، فَأَبَى ٱللّٰهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ!

أَمَّا وَصِيَّتِي، فَٱللّٰهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً(٣)، ومُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وخَلَاكُمْ ذَمٌّ(٤) مَا لَمْ تَشْرُدُوا(٥). حُمِّلَ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ(٦)، وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ. رَبٌّ

(*) سيأتي الكلام على مصادر هذا الكلام في باب (الكتب) برقم ٢٣.

(١) والأجل مَسَاق النفس: أي الأمر الذي تساق إليه، تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه.

(٢) أطردت الرجل، إذا أمرت بطرده، فالإطراد أدلّ على العزّ من الطرد، وكأنه ﷺ جعل الأيام أشخاصاً يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه، أي ما زلتُ أبحث عنه كيفية قتلي، وفي أيّ وقت، وفي أيّ أرض، يوماً يوماً، فإذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده، هكذا حتى وقع المقدور.

(٣) «والله لا تشركوا به شيئاً» الرواية المشهورة «فالله» بالنصب، وكذلك «محمداً» بتقدير فعل، لأنّ الوصية تستدعي الفعل بعدها، أي وحّدوا الله، وقد روي بالرفع [كما في نسخة عبده]، وهو جائز على المبتدأ والخبر.

(٤) خَلَاكم ذَمٌّ: كلمة جارية مجرى المثل، معناها: ولا ذمّ عليكم، فقد أعذرتم وبرئتم من الذم.

(٥) ما لم تشردوا: أي ما لم ترجعوا عن ذلك وتنفروا وتميلوا عن الحق.

(٦) [في نسخة عبده] «حُمِّل كلّ امرئٍ...» هذا وما بعده ماض قصد به الأمر.

رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ[1].

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ! إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ[2]، وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ[3]، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ[4]، وَمَهَبِّ رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ[5] فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا[6]، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا[7]. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[8]، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي[9]، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي[10]، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ، وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ[11] لِلتَّلَاقِي[12]! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

---

(١) دِينٌ قويم: أي مستقيم، وإمامٌ عليم، يعني رسول الله ﷺ.

(٢) قوله: «إن تثبت» يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه. والمزلة: محل الزلل.

(٣) دحضت القدم: زلّت وزَلَقت.

(٤) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة.

(٥) اضمحلّ: ذهب، والميم زائدة، ومنه الضَّحْل وهو الماء القليل.

(٦) متلفَّقها: مجتمعها، المنضم بعضه على بعض، أي ما اجتمع من الغيوم في الجو.

(٧) عفا: اندرس وذهب. ومخطّها: أثرها، كالخطة، مكان ما خطت في الأرض. وضمير مخطها للرياح، يريد أنّه كان في حال شأنها الزوال فزالت وما هو بالعجيب.

(٨) جثة خلاء: خالية من الروح.

(٩) ليعظكم هُدُوِّي: أي سكوني.

(١٠) «خفوت إطراقي» خَفَتَ: سَكَنَ، والخفوت: السكون، وإطراقه: إرخاؤه عينيه ينظر إلى الأرض، لضعفه عن رفع حاجبيه. وأطرافه: يداه ورجلاه ورأسه ﷺ.

(١١) مُرْصِد: اسم فاعل من أرصده... أي مُنْتَظِر.

(١٢) التلاقي ههنا: لقاء الله. ويروى: «وداعيكم» أي وداعي إياكم.

١٥٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

ويُومِئُ فِيهَا إِلى المَلاحِمِ

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً[١] ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ. فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ[٢]! يَا قَوْمِ، هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[٣]، وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ[٤]. أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ[٥]، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[٦]، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً[٧]، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[٨]، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ[٩]،

(*) رواها الطبري في (المسترشد) ص ٧٤.

---

(١) يذكر قوماً من فرق الضلال أخذوا يميناً وشمالاً، أي ضلّوا عن الطريق الوسطى، وهي الكتاب والسنة.

(٢) تباشيره: أوائله.

(٣) أي دنا وقت القيامة وظهور الفتن التي تظهر أمامها، وإبّان الشيء: وقتُه وزمانُه، والدنو: القرب.

(٤) لأنّ تلك الملاحم غير معهود مثلُها، نحو دابّة الأرض، والدجّال، وواقعة السفياني.

(٥) وهو المهديّ من آل محمد ﷺ، وأتباع الكتاب والسنة.

(٦) لِيَحُلَّ فيها: أي في هذه الفتن، رِبْقاً: أي حبلاً معقوداً، والرِّبق: حبل فيه عدة عرى كلّ عروة رَبقة ـ بفتح الراء ـ تشدّ فيه البهم. ويعتق رِقّاً، أي يستفكّ أسرى.

(٧) يصدع شَعباً: أي يفرّق جماعة من جماعات الضلال.

(٨) يشعَبُ صَدْعاً: يجمع ما تفرّق من كلمة أهل الهدى والإيمان.

(٩) «في سُتْرة عن الناس» هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الإنسان المشار إليه، وليس ذلك ←

لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ(١) أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ. ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ(٢). تُجْلَى بِٱلتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ(٣)، وَيُرْمَى بِٱلتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ ٱلصَّبُوحِ(٤).

مِنْهَا(٥): وَطَالَ ٱلْأَمَدُ بِهِمْ(٦) لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا ٱلْغِيَرَ(٧)، حَتَّى إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ(٨)، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ(٩)، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ

← بنالع للإمامية على مذهبهم*، لمن الجائز أن يخلق الله هذا الإمام في آخر الزمان، ويكون مستتراً مدة، ثم يظهر بعد ذلك الاستتار.

(١) أي هو في استتار شديد لا يدركه القائف، وهو الذي يعرف الآثار فيتبعها.

(٢) أي ليُحَرِّضَنَّ في هذه الملاحم قومٌ على الحرب وقتل أهل الضلال. ويشحذن من «شحذ السكين» أي حددها. والقَيْن: الحداد، والنَّصْل: حديدة السيف والسكين ونحوها.

(٣) «تُجلى بالتنزيل أبصارهم» يعودون إلى القرآن وتدبّره فينكشف الغطاء عن أبصارهم وتتخلّق المعارف في قلوبهم، فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله.

(٤) أي لا تزال المعارف الإلٰهية تفيض عليهم صباحاً ومساء، ويُسْقَون كأس الحكمة بالمساء بعد ما شربوه بالصباح، فالغبوق كناية عن الفيض في الأصال، والصبوح عن الفيض في الغدوات**. والمراد أنها تفاض عليهم الحكم الإلٰهية في حركاتهم وسكونهم وسرّهم وإعلانهم.

(٥) هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضيّ ﷺ. وهو وصف لفتنة ضالة قد استولت وملَكَت، وأملى لها الله سبحانه.

(٦) قوله وطال .. انتقال لحكاية أهل الجاهلية، وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم في العقوبة.

(٧) الغِيَر: أحداث الدهر ونوائبه.

(٨) أي قارب أمرُهم الانقضاء، من قولهم «اخلولق السحاب» أي استوى، وصار خليقاً أن يمطر.

(٩) أي صبا قومٌ من شيعتنا وأوليائنا إلى هذه الفتنة.

---

* يذهب الإمامية إلى أن الإمام المهدي حيٌّ يرزق الآن، ولكنه غائب مستتر يظهر في آخر الزمان.

** الغبوق في الأصل: شراب المساء. والصبوح: شراب الصباح.

حَرْبِهِمْ[1]، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللَّهِ بِٱلصَّبْرِ[2]، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ[3]، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ؛ حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ ٱلسُّبُلُ[4]، وَٱتَّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلَائِجِ[5]، وَوَصَلُوا غَيْرَ ٱلرَّحِمِ[6]، وَهَجَرُوا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ[7]، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ[8].

مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[9]. قَدْ مَارُوا فِي

---

(١) أشالت الناقة ذنبها: رفعته، أي رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة، مهادنةً لها وسلماً وكراهية للقتال، أو رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على غيرهم، أي يسعروها عليهم. ولَقاح حربهم: مصدر من لَقِحت الناقة.

(٢) الضمير في «يمنُّوا» راجع إلى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق أو للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب، والجملة جواب إذا.

(٣) من ألطف أنواع التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم.

(٤) غالتهم السُّبُل: أهلكتهم اختلاف الآراءِ والأهواء، والسُّبُلُ: الطرق.

(٥) الولائج: جمع وَليجة، وهي البِطانة يتخذها الإنسان لنفسه، والمراد: دخائل المكر والخديعة.

(٦) أي غير رحم رسول الله ﷺ.

(٧) «وهجروا السبب» يعني أهل البيت، وهذه إشارة الى قول النبي ﷺ: «خلّفتُ فيكم الثَّقَلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض»، فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ «السبب» لمّا كان النبي ﷺ قال: «حبلان» والسبب في اللغة: الحبل. وعنى بقوله: «أُمِروا بمودّته» قولَ الله تعالى: ﴿قُلْ لا أسْأَلُكُم عَلَيهِ أجراً إلّا المَوَدّةَ في القُربى﴾ [الشورى: ٢٣].

(٨) أي نقلوا الأمر من أهله إلى غير أهله.

(٩) الغمرة: الضلال والجهل، والغمرة: الشدة والمزدحم، يريد مزدحم الفتن. والضارب فيها: الداخل المعتقد لها.

ٱلْحَيْرَةِ[1]، وَذَهَلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ[2]: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ[3]، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

١٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي ٱلتَّحْذِيرِ مِنَ ٱلْفِتَنِ

وَأَحْمَدُ ٱللَّهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ ٱلشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ[4]، وَٱلِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ[5]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ. لَا يُوَازَى فَضْلُهُ[6]، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ[7]؛ وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ[8]؛ يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[9]، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ!

(*) استشهد السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ٣٣٤ بفقرات منها.

---

(١) ماروا: تحرّكوا واضطربوا، من مَار: ذهب وجاء، فكأنهم يسبحون في الحيرة كالسابح في الماء.

(٢) أي على طريقة آل فرعون، وهم أتباعه.

(٣) منقطع إلى الدنيا: لا همّ له غيرها. وراكن: مخلد إليها.

(٤) الدَّحْر ـ بالفتح ـ: الطرد، والمداحر والمزاجر: ما بها يُدْحَر ويُزْجَر، وهي الأعمال الفاضلة.

(٥) حبائل الشيطان: مكائده وأشراكه التي يُضِلّ بها البشر. ومخاتله: الأمور التي يختِلُ بها ويخدع.

(٦) لا يوازى فضله: أي لا يساوَى، آزيت فلاناً، حاذيته، ولا يجوز وازيته.

(٧) الجفوة الجافية: غِلَظ الطَّبع وبلادة الفهم.

(٨) يستذلّون الحكيم: يستضيمون العقلاء.

(٩) على فترة: على انقطاع الوحي ما بين نبوّتين، وخلوّ من الشرائع الإلهية لا يعرفون منها شيئاً لعدم الرسول المبلغ، ثم يخبّرون ويبدّلون ويتّخذون الأصنام آلهة والأهواء شريعة فيموتون كفاراً.

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ(1) أَغْرَاضُ(2) بَلَايَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ، فَٱتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ(3)، وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ(4)، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ(5)، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ(6)، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا(7). تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا كَشِبَابِ ٱلْغُلَامِ(8)، وَآثَارُهَا كَآثَارِ ٱلسِّلَامِ(9)، يَتَوَارَثُهَا ٱلظَّلَمَةُ بِٱلْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ(10)، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ ٱلتَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ(11) بِٱلْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ(12)، وَٱلْقَاصِمَةِ ٱلزَّحُوفِ(13)، فَتَزِيغُ

---

(1) ويروى: «ثم إنّكم معشر الناس».

(2) الأغراض: الأهداف.

(3) سكرات النعمة: ما تحدثه النِّعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسُّكر.

(4) البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية.

(5) القَتام: الغبار. والعشوة ـ بالضم وبكسر وبفتح ـ ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.

(6) اعوجاج الفتنة: أخذها في غير القصد، وعدولها عن المنهج.

(7) كنّى عن استحكام الفتنة بقوله: «وانتصاب قطبها، ومدار رحاها».

(8) شباب كل شيء: أوله، أي بداياتها في عنفوان وشدّة كشباب الغلام وفتوته.

(9) السِّلام ـ بكسر السين ـ: الحجارة. وآثارها في الأبدان: الرضّ والحطم.

(10) جيفة مُريحة: منتنة، أراحت: ظهر ريحُها، وأراح اللحم: أنتن، ويجوز أن تكون من أراحَ البعير، أي مات.

(11) يتزايلون: يتفرّقون.

(12) طالعها: مقدماتها، والرجوف: شديدة الرجفان والاضطراب، أو شديد إرجافها وزلزالها للناس. وسمّى الفتنة «رجوفاً»، لشدة الاضطراب فيها.

(13) القاصمة: الكاسرة، والزحوف: الشديدة الزحف، وسماها زحوفاً تشبيهاً بمشي الدُّبى الذي يهلك الزروع ويُبيدها.

قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا(١). مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ(٢)، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ(٣)! قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ(٤)، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا(٥)، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا(٦)! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ(٧)، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ(٨)، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ(٩)، وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ(١٠)، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ(١١)، وَيُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ(١٢). مِرْعَادٌ

---

(١) نجومها: ظهورها، مصدر نَجَمَ الشرّ إذا ظهر.

(٢) مَن أشرف لها: مَن صادفها وقابلها.

(٣) يتكادمون: يعضّ بعضهم بعضاً، والتكادُم: التعاضّ بأدنى الفم، كما يكدم الحمار. والعانة: القطيع من حُمر الوحش، والجمع عُون.

(٤) تغيض: تنقص وتغور.

(٥) المِسْحَل: المبرد أو المنحت، والمراد بالدق: التفتيت.

(٦) الكلكل: الصدر، وترضّهم: تدقّهم دقاً جريشاً. والرض: التهشيم.

(٧) الوحدان: جمع واحد، أي المنفردون. أي مَنْ كان يسير وحده فإنّه يهلك في غبارها، وأمّا إذا كانوا جماعة فإنّهم يضلّون. ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد، يقال: فلان أوحد زمانه، والمعنى: يضل في هذه الفتنة فضلاء عصرها وعلماء عهدها، لغموض الشبهة.

(٨) تردُ بمُرّ القضاء: أي بالهلاك والاستئصال.

(٩) عبيط الدماء: الطريّ الخالص منها، وهو كناية عن الحرب.

(١٠) *تثليم منار الدين: تكسيره*. وأصله من ثَلْم الإناء والسيف أو نحوه: كسر حرفه. *ومنار الدين: أعلامه، وهم علماؤه. وثَلْمها: قتل العلماء وهدم قواعد الدين.*

(١١) الأكياس: العقلاء، جمع كَيّس: الحاذق العاقل.

(١٢) الأرجاس: جمع رِجْس، وهو القذر والنجس، والمراد الفاسقون والأشرار.

مِبْرَاقٌ[1]، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ[2]، تُقْطَعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ! بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ[3]!

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[4]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ[5]، وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ[6]، وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ، وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ، وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ[7]، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ[8]، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ[9]، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ[10]، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ ٱلطَّاعَةِ.

---

(١) مرعاد مبراق: أي ذات وعيد وتهدّد.

(٢) عن ساقٍ: عن شدّة ومشقة.

(٣) ما يفارق الإنسان من شرّها كأنه غير مفارق له.

(٤) طللت دمه: هدرته، ومطلول: أي مُهدَر لا يُطلَب به.

(٥) يَخْتِلُون: يخدعون بالأيمان التي يعقِدونها، وبالإيمان الذي يظهرونه، وعلى رواية يُخَتِّلُون [كما في نسخة ابن المؤدب وغيره]: أي يخدعهم الظالمون بحلف الأيمان، ويغرونهم بظاهر الإيمان وأنهم مؤمنون مثلهم.

(٦) أي لا تكونوا ممّن يُشارُ إليكم في البدع كما يشار إلى الأعلام المبنية القائمة. والأنصاب: كل ما نصب ليقصد.

(٧) مدارج الشيطان: جمع مَدْرَجة، وهي السبيل التي يدرجها فيها.

(٨) مهابط العدوان: محالّهُ التي يهبط فيها.

(٩) لُعَق الحرام: جمع لُعْقة، بالضمّ، وهي اسم لما تأخذه الملعقة، واللَّعقة: المرّة الواحدة.

(١٠) إنكم بعين...، أي أنه يراكم، يقال: أنت بعين فلان، أي أنت بمرأى منه، وهذا من باب الاستعارة؛ قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في صفات الله وصفات أئمة الدين

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ. لَا تَسْتَلِمُهُ ٱلْمَشَاعِرُ(١)، وَلَا تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاقِ ٱلصَّانِعِ وَٱلْمَصْنُوعِ، وَٱلْحَادِّ وَٱلْمَحْدُودِ، وَٱلرَّبِّ وَٱلْمَرْبُوبِ. ٱلْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَٱلْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ(٢)، وَٱلسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ(٣)، وَٱلْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ(٤)، وَٱلشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ، وَٱلْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ(٥)، وَٱلظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَٱلْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْقَهْرِ لَهَا، وَٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ ٱلْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِٱلْخُضُوعِ لَهُ، وَٱلرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ(٦)، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ ٱسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ»، فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

(*) روى الكليني في (أصول الكافي) ج ١: ١٣٩ فقرات عديدة منها، وذكرها الآمدي في (غرره): ٢٣٢.

---

(١) لا تستلمه المشاعر: أي لا تصل إليه الحواس.

(٢) النَّصَب ـ محرّكة ـ: التعب.

(٣) الأداة: الآلة.

(٤) تفريق الآلة: تفريق الأجفان وفتح بعضها عن بعض.

(٥) البائن: المنفصل عن خلقه.

(٦) مَنْ وَصَفَهُ: أي من كيّفه بكيفيات المحدثين.

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ(١)، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ(٢)، وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ(٣)، وَٱسْتَبْدَلَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ(٤) ٱنْتِظَارَ ٱلْمُجْدِبِ ٱلْمَطَرَ(٥). وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ(٦)، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ(٧)؛ وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِٱلْإِسْلَامِ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ(٨). ٱصْطَفَى ٱللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ(٩). لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ ٱلنِّعَمِ(١٠)، وَمَصَابِيحُ ٱلظُّلَمِ. لَا تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلَّا

---

(١) هذه الخطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه، وقد طلع طالع، يعني عَوْد الخلافة إليه.

(٢) لاح: بدا.

(٣) «واعتدل مائل» إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان. واستبدل الله بعثمان علياً وشيعته، وبأيام ذاك أيام هذا.

(٤) الغِيَر ـ بكسر ففتح ـ: صروف الحوادث وتقلباتها، انتظرها لعلّما يقوم حق وينتكس باطل.

(٥) هذا الكلام يدلّ على أنه قد كان يتربّص بعثمان الدوائر، ويرتقب حلول الخطوب بساحته، ليليَ الخلافة. ليس لحظٍّ دنيويّ يريد، فهو الذي طلّق الدنيا، بل ليقيم الدين الذي أمره الله بإقامته، ولا سبيل الى ذلك إلّا بولاية الخلافة. ويجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة.

(٦) أي يقومون بمصالحهم، وقيّم المنزل: هو المدبّر له.

(٧) عرفاء: جمع عريف، وهو النقيب والرئيس.

(٨) جِماعُ الشيء: مجمعه.

(٩) يعني بظاهر عِلم وباطن حِكَم، القرآن، الذي مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكره غرائبَ وعجائبَ لم تكن عنده من قبل.

(١٠) المرابيع: الأمطار التي تجيء في أول الربيع فتكون سبباً لظهور الكلأ، أو المكان ينبت نبته في أول الربيع، وكذلك تدبّر القرآن سبب للنعم الدينية وحصولها.

بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ. قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ[1]، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ. فِيهِ شِفَاءُ ٱلْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ ٱلْمُكْتَفِي.

١٥٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في صفة الضّال

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللّٰهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ[2]، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ[3]، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ[4].

منها: حَتَّى إِذَا كَشَفَ[5] لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً[6]، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً[7]. فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

(*) رواها ابن شعبه في (تحف العقول) ص ١٠٨، والكليني في (الكافي) ج ٥ ص ٨٢.

(١) «قد أحمى حماه، وأرعى مرعاه» الضمير يرجع إلى الله تعالى، أي قد أحمى لله حماه، من «أحمى المكان»: جعله حمى لا يقرب، والمراد: أعزّ الله الإسلام ومنعه من الأعداء، ومن دخل فيه وصار من أهله متّعه الله بخيراته وأباحه رعي ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد.

(٢) قوله: «وهو في مهلة» كلام في ضال غير معين، ويهوي: يسقط.

(٣) السبيل القاصد: الطريق المؤدية إلى المطلوب.

(٤) يُطلق لفظة الإمام على الخليفة، أو الأُستاذ، أو الدين، أو الكتاب.

(٥) فاعل «كشف» هو الله تعالى.

(٦) قال: «استقبلوا مدبراً» أي استقبلوا أمراً كان في ظنّهم مدبراً عنهم، وهو الشقاء والعذاب.

(٧) «واستدبروا مقبلاً» تركوا وراء ظهورهم ما كانوا خُوّلوه من الأولاد والأموال والنعم.

وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي[1]، هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَٱنْتَفَعَ بِٱلْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي[2]، وَٱلضَّلَالَ فِي ٱلْمَغَاوِي[3]، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ[4]، وأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ[5] فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ[6] ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مِمَّا لَابُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ؛ وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛ وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَٱمْهَدْ لِقَدَمِكَ[7]، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ! وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللّٰهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ، ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ[8]، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِٱللّٰهِ

(١) جعل نفسه شريكة لهم في هذا التحذير، ليكونوا إلى الانقياد له أقرب، ومن الإباء والنُّفرة أبعد.

(٢) المهاوي: جمع مَهْواة، وهي الهوّة التي يتردّى فيها.

(٣) المغاوي: جمع مَغْواة، وهي الشبهة التي يُغوَى بها الناس، أي يضلّون، ويذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق.

(٤) أي لا تكن عجَلتك كثيرة، فإذا كانت لك فلتكن شيئاً يسيراً.

(٥) أنعم الفكر: دقّق، من «أنعمت سَحْقَ الحجر»، وقيل: إنّه مقلوب «أمعن».

(٦) النبي الأُمّيّ: إمّا الذي لا يُحسن الكتابة أو المنسوب إلى أمّ القرى، وهي مكة.

(٧) مَهَدَ: بَسَط، فامهد: أي سوِّ ووَطِّئ.

(٨) عزائم الله: هي موجباته، والأمر المقطوع عليه.

فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يُعِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ[1]، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[2]، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. أَعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ[3].

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا؛ إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[4]. إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

١٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي فَضَائِلِ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ

وَنَاظِرُ قَلْبِ ٱللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ[5]، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ[6] وَنَجْدَهُ[7]. دَاعٍ دَعَا[8]،

(*) روى السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ٢١٧ بعض هذه الخطبة، والآمدي في (الغرر) ص ٣٢٤ و٣٣١.

(١) عرّه بكذا يَعرّه عرّاً، أي عابه ولطّخه. أو يروم بلوغ حاجةٍ من أحد بإظهار بدعة في الدين. [وفي نسخة عبده: يَعِزَّ].

(٢) يستنجح: أي يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع في الدين.

(٣) رَمَزَ بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل. ورُوي «المَثَل» واحد الأمثال.

(٤) مستكينون: خاضعون لله عزوجل، استكان الرجلُ، أي خَضَعَ وذلّ.

(٥) ناظِرُ القلب: استعارة من ناظر العين، وهو النقطة السوداء منها، والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمده، أي غايته ومنتهاه.

(٦) الغَوْر: ما انخفض من الأرض، أي يدرك باطن أمره وظاهره.

(٧) النَّجْد: المرتفع من الأرض، ومنه قولهم للعالم بالأمور: «طلّاع أنجُد».

(٨) موضع «داعٍ» الرفع، لأنّه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: «في الوجود داعٍ دعا، وراعٍ رعى».

وَرَاعٍ رَعَى، فَٱسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَٱتَّبِعُوا ٱلرَّاعِيَ(١).

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ(٢)، وَأَخَذُوا بِٱلْبِدَعِ دُونَ ٱلسُّنَنِ، وَأَرَزَ ٱلْمُؤْمِنُونَ(٣)، وَنَطَقَ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ ٱلشِّعَارُ(٤) وَٱلْأَصْحَابُ، وَٱلْخَزَنَةُ وَٱلْأَبْوَابُ(٥)؛ وَلَا تُؤْتَى ٱلْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

منها: فِيهِمْ كَرَائِمُ ٱلْقُرْآنِ(٦) وَهُمْ كُنُوزُ ٱلرَّحْمٰنِ(٧). إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا(٨). فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ(٩) وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَٱلنَّاظِرُ بِٱلْقَلْبِ، ٱلْعَامِلُ بِٱلْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ:

---

(١) يعني بالدّاعي رسول الله ﷺ وبالراعي نفسه (عليه السلام).

(٢) هذا كلامٌ متصل بكلام لم يحكِه الرضيّ، وهو ذكر قومٍ من أهل الضّلال قد كان أخذ في ذمّهم.

(٣) أرَزَ يأرِزُ: أي انقبض وثبت، وأرزت الحية: لاذت بجحورها ورجعت إليه.

(٤) «نحن الشعار والأصحاب» يشير إلى نفسه، والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرها إليه ومراده الاختصاص برسول الله ﷺ.

(٥) «الخزنة والأبواب» يمكن أن يعني به خزنة العلم وأبواب العلم، لقول النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأتِ الباب» وقوله ﷺ فيه: «خازن علمي» و «وعَيبة علمي». ويمكن أن يريد خزنة الجنة وأبواب الجنة، أي لا يدخل الجنة إلّا مَن وافى بولايتنا، فقد جاء في حقّه الخبر الشائع المستفيض: إنّه قسيم النار والجنة.

(٦) قوله: «فيهم» يرجع الى آل محمد ﷺ، وكرائم الإيمان: جمع كريمة، وهي المنفسات منه، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات والقرآن كريم كلّه وهذه كرائم من كرائم.

(٧) «وهم كنوز الرحمن» لأنّ الكنز مال يدّخر لشديدة، أو مُلمّة تلمّ بالإنسان، وكذلك هم قد ذُخروا لإيضاح المشكلات الدينية على المكلّفين.

(٨) إنْ سكتوا لم يكن سكوتهم عن عيٍّ يوجب كونَهم مسبوقين، لكنّهم ينطقون حُكْماً، ويصمُتون حلماً، أو لم يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت، أي يهاب سكوتهم فلم يجرؤ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه.

(٩) الرائد: الذاهب من الحي يرتاد لهم المرعى.

أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ. فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَٱلسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ[1] فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ. وَٱلْعَامِلُ بِٱلْعِلْمِ كَٱلسَّائِرِ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟! وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ، طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ، وَقَدْ قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلصَّادِقُ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ[2] وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ». وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ[3].

١٥٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يذْكُرُ فيها بَديعَ خلْقَةِ الخُفّاشِ[4]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ[5]، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ

(*) رواها السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ٣٣٤.

---

(١) ويروى: «كالسابل على غير طريق»، والسابل: طالب السبيل.

(٢) إنّ الله يحب... ، أي يحب من المؤمن إيمانه ويبغض ما يأتيه من سيئات الأعمال ولا يفيده ذلك الحب مع هذا البغض إلّا عذاباً يتطهر به من خبث أعماله، ويحب من الكافر عمله إن كان حسناً، ويبغض ذاته لالتياثها بدنس الكفر، ولا ينتفع بالعمل المحبوب إلّا نفعاً في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم، فلا يكمل للإنسان حظه من السعادة إلّا إذا كان مؤمناً طيب العمل.

(٣) أمرّ الشيء: أي صار مُرّاً.

(٤) الخفّاش مأخوذ من الخَفَش، وهو ضعف في البصر خِلْقة، والرجلُ أخفش.

(٥) انحسرت الأوصاف: كلّت وأعيت وانقطعت. وردعت: كفّت.

ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً[1] إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ. هُوَ ٱللَّهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ. أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى ٱلْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً. خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ[2]، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلاَمُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ. وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا[3] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[4]، وَأَكَنَّهَا[5] فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بُلَجِ ٱئْتِلاَقِهَا[6]، فَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِٱلنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا[7]، وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[8]، وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ[9]. فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا،

---

(١) المساغ: المسلك.

(٢) يقبضها الضياء: أي يقبض أعينها.

(٣) العَشا ـ مقصوراً ـ: سوء البصر وضعفه.

(٤) سُبُحات إشراقها: جلاله وبهاؤه، وسُبُحات النور: درجاته وأطواره.

(٥) أكنّها: سترها.

(٦) بُلَج ائتلاقها: البلج ـ بالتحريك ـ: الضوء ووضوحه، جمع بُلْجة، وهي أول الصبح. والائتلاق: اللمعان.

(٧) الحِداق: جمع حَدَق العين.

(٨) الإسداف: مصدر أسدف الليل، أي أظلم.

(٩) الدُّجُنّة: الظلمة، وغَسَق الدجُنّة: شدتها.

وَبَدَتْ أَوضَاحُ نَهَارِهَا[1]، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[2]، أَطْبَقَتِ ٱلأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[3]، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْهُ مِنَ ٱلْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا[4]. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَٱلنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلطَّيَرَانِ. كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلآذَانِ[5]، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ[6]، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاماً[7]. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا[8]، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا، لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ. لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ. وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ[9]!

---

(١) الأوضاح: جمع وَضَح، وقد يُراد به حليٌّ يعمل من الدراهم الصِّحاح، أو يراد منه الدراهم الصحاح نفسها وإن لم يكن حُليّاً. وهو هنا بياض الصبح.

(٢) الضِّباب: جمع ضَبّ الحيوان المعروف. ووجارها: بيتها والوِجار: الجُحْر.

(٣) مآقيها: جمع مأقٍ، وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٤) تَبَلَّغَتْ: اكتفت أو اقتاتت.

(٥) شظايا: جمع شظيّة، وهي الفلقة من الشيء. شظايا الآذان: أقطاع منها، أي كأنها مؤلّفة من شقق الآذان.

(٦) القَصَبة: عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح، وقد يكون مجرداً من الزغب في بعض الحيوانات مما ليس بطائر، كبعض أنواع القنفذ أو الفيران له قصب محدد الأطراف يرمي به معانده، كما يرمي النابل، ويعرف بالفأر الأمريكي.

(٧) أعلامة أي رسوماً ظاهرة.

(٨) لما يرقا. عبر بلمّا إشارة إلى أنهما ما رقّا في الماضي ولا هما رقيقان، فهو نفي مستمر إلى وقت الكلام في أي زمن كان.

(٩) خلا تقدّمه من سواه لحاذاه.

١٥٦ ـ ومن كلام له عليه السلام*

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَفْعَلْ(١)، وَإِنْ أَطَعْتُمُونِي، فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ(٢). وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ(٣)، وَلَو دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ(٤). وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللّٰهِ!

منه:(٥) سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ(٦)، أَنْوَرُ السِّرَاجِ. فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ(٧)، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ

(*) روى بعضها الطبرسي في (الاحتجاج) ج١ ص ٣٢٦، والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٨ص ٢١٥.

---

(١) يعتقل نفسه على الله: يحبسها على طاعته.

(٢) لأنّ التكليف صعب وترك الملاذّ العاجلة شاقّ شديد المشقّة.

(٣) الضِغن: الحقد. والمِرجل: قِدْر كبيرة. والقين: الحداد، أي كغَلَيان قِدْر من حديد، أي أنّ ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فإنّه يغلي ما دام يصنع.

(٤) لو دعاها أحد لتصيب من غيري غرضاً من الإساءة والعدوان ما أتت إليّ ـ أي فعلت بي ـ لم تفعل، لأنّ حقدها كان عليّ خاصة.

(٥) هو الآن في ذكر الإيمان.

(٦) أي واضح الطريق.

(٧) وبالدنيا...: أي أنّه إذا رهب الموت، وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سبباً في حرص الإنسان على الفائدة من حياته، فلا يضيع عمره بالباطل، وبهذا يحرز الآخرة.

ٱلْجَنَّةُ[١]، وَتُبْرَزُ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ[٢]، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى[٣].

مِنْهُ: قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ[٤]، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ[٥]. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا. وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ[٦]. وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللَّهِ، فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ[٧]، وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَا يَزِيغُ[٨] فَيُسْتَعْتَبَ[٩]، وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ[١٠]، وَوُلُوجُ

---

(١) تزلف لهم: تقدّم لهم وتقرّب إليهم.

(٢) المَقْصَر: المحبس، لا مقصر لي عن كذا، لا محبس ولا غاية لي دونه، أي لا مستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون إليها.

(٣) أرقل: أسرع. والمضمار: حيث تستبق الخيل، أي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه.

(٤) شخصوا من بلد كذا: خرجوا. ومستقرّ الأجداث: مكان استقرارهم بالقبور، وهي جمع جَدَث.

(٥) مصائر الغايات: جمع مصير، ما يصير إليه الإنسان من شقاء وسعادة، والكلام في القيامة.

(٦) إنّما قال ذلك، لأنّ كثيراً من الناس يكفّ عن نهي الظلمة عن المنكر خوفاً منهم أن يقتلوه، أو يقطعوا رزقه، وينبغي حمل كلامه ﷺ على حال السلامة وغلبة الظنّ بعدم ترتب الضرر.

(٧) ماء ناقع: يقطع الغلّة، أي يقطعها ويُروي منها، نَقَعَ العطش: إذا أزاله.

(٨) يزيغ: يميل.

(٩) يُستعتب: يطلب منه العتبى وهي الرضا، أو من أعتب، إذا انصرف، والسين والتاء للطلب أو زائدتان، أي لا يميل عن الحق فينصرف، أو يطلب منه الانصراف عنه.

(١٠) أخلقَهُ: ألبسه ثوباً خلقاً: أي بالياً، وكثرة الرد: كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة، أي أن القرآن دائماً في أثوابه الجدد، رائق لنظر العقل وإن كثرت تلاوته، لانطباقه على الأحوال المختلفة في الأزمنة المتعددة، وليس كسائر الكلام كلّما تكرر ابتذل وملته النفس.

ٱلسَّمْعِ(١). مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنَا عَنِ ٱلْفِتْنَةِ، وَهَلْ سَأَلْتَ عَنْهَا رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الٓمٓ • أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا، وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ، مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ بِهَا(٢)؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: «أَبْشِرْ فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ(٣) مِنْ وَرَائِكَ؟» فَقَالَ لِي: «إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟»(٤) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَىٰ وَٱلشُّكْرِ(٥). وَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ

---

(١) ولوج السمع: دخول الآذان والمسامع.

(٢) فقلت يا رسول الله... أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكيّة والسؤال كان بعد أحد، ووقعته كانت بعد الهجرة، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الإمام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون «العنكبوت» مكيّة بجميع آياتها، والذي أراه أنّ علمه بكون الفتنة لا تنزل، والنبيّ بين أظهرهم كان عند نزول الآية في مكة، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين، واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك، ثم بعد ما خفّت الوطأة، وصفا الوقت لاستكمال العلم، سأل هذا السؤال، فالفاء لترتيب السؤال على العلم، والعلم كان ممتداً إلى يوم السؤال، فهي لتعقيب قوله لعلمه، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها، وإن امتد زمن ما قبلها سنين، تقول تزوج فولد له، وحملت فولدت.

(٣) حيزت عني الشهادة: أي منعت عني فلم أنلها.

(٤) على أية حالة يكون صبرك إذا هيئت لك الشهادة.

(٥) قوله: «من مواطن البشرى» هذا شأن أهل الحق يستبشرون بالموت في سبيل الحق فإنّه الحياة الأبدية.

بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ[1]، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ[2] بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ.

١٥٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

لِلْحَثِّ عَلَى التَّقْوَى

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ[3] مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ؛ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ[4]، مُتَظَاهِرَةٌ

(*) فسر غريب هذه الخطبة ابن الأثير في (النهاية) ج ٢ ص ٥١٠ مادة شول.

(١) الأهواء الساهية: الغافلة.

(٢) السحت: الحرام.

(٣) لأنّ أول الكتاب العزيز: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] والقرآن هو الذكر، وسبباً للمزيد لقوله تعالى: ﴿لَئِن شكرتُم لأزيدنّكم﴾ [إبراهيم: ٧] والحمد ههنا هو الشكر.

(٤) أمور الدهر: أي مصائبه، لأنّه ـ كما كان من قبل ـ يرفع ويضع، ويغني ويفقر، ويوجد ويعدم، فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة. وروي: «متسابقة» [كما في نسخة عبده] أي شيء منها قبل الشيء، كأنها خيلٌ تسابق في مضمار، كأنّ كلاً منها يطلب النزول قبل الآخر، فالسابق منها مهلك، والمتأخر لاحق له في مثل أثره.

أَعْلاَمُهُ[1]. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ[2] تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ[3] بِشَوْلِهِ[4]، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ[5]، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ[6]، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ. فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ[7]. أَلاَ وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[8]، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ[9] فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ[10]، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ. فَتَزَوَّدُوا فِي

---

(١) متظاهرة أعلامه: أي دلالاته على سجيّه التي عامل النّاس بها قديماً وحديثاً أو هي الرايات كنى بها عن الجيوش. ومتظاهرة: يقوي بعضها بعضاً.

(٢) الساعة: القيامة. وحَدْوُها: سَوْقها وحثّها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها.

(٣) الزاجر: الذي يزجر الإبل بسوقها. والحدو: سَوْقها والغناء لها.

(٤) الشَّوْل: النُّوق التي خَفَّ لبنها وارتفع ضَرْعها، وأتى عليها من نَتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة. والمعنى أنّ سائق الشَّوْل يعسف بها ولا يتّقي سَوْقها كما يتّقي عندما يسوق العِشار*.

(٥) الارتباك: الاختلاط، ارتبك الرَّجل في الأمر، أي نشب فيه ولم يكد يتخلّص منه.

(٦) وروي: «ومدّت له شياطينه» ومعناه الإمهال.

(٧) لا يُحْرِزُ: أي لا يحفظ.

(٨) حُمَة الخطايا: سمّها، فكأنّه جعل سمّ الخطايا سارياً في الأبدان، والتقوى تقطع شريانه، والحُمَة في الأصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع بها، والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس.

(٩) انتصب «اللهَ اللهَ» على الإغراء. وفي متعلقة بالفعل المقدَّر وتقديره: راقبوا.

(١٠) وهي أنفسهم.

---

* العِشار من الإبل: التي مضى على حملها عشرة أشهر.

أَيَّامِ ٱلْفَنَاءِ[1] لِأَيَّامِ ٱلْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِٱلظَّعْنِ[2]، وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِٱلسَّيْرِ. أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِٱلدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِٱلْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ[3]!

عِبَادَ ٱللّٰهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ. عِبَادَ ٱللّٰهِ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ.

ٱعْلَمُوا ـ عِبَادَ ٱللّٰهِ ـ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ[4]، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ[5]، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ[6] يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ. لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ[7]، وَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ. يَذْهَبُ ٱلْيَوْمُ

---

(١) أيام الفناء: يريد أيام الدنيا.

(٢) وأُمرتم بالظَّعن: أي أُمرتم بهجْر الدنيا، ويجوز «الظَّعْن» بالتسكين، والمراد بالظعن والمأمور به ههنا: السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة، وهذا ما حثنا الله عليه، والمراد بالمسير الذي لا ندري متى نؤمر به هو مفارقة الدنيا. والأمر في الأول خطابي شرعي وفي الثاني فعلي تكويني.

(٣) تَبِعَتُهُ: ما يتعلق به من حق الغير فيه.

(٤) الرَّصَد: يريد به رقيب الذمّة وواعظ السرّ الروحي الذي لا يغفل عن التنبيه ولا يخطئ في الإنذار والتحذير حتى لا تكون من مخطئ خطيئة إلا ويناديه من سرّه مناد يعنفه على ما ارتكبه، ويعيبه على ما اقترف، ويبين له وجه الحق فيما فعل، ولا تعارضه علل الهوى، ولا يخفف مرارة نصحه تلاعب الأوهام، وأي حجاب يحجب الإنسان عن سرّه.

(٥) لأنّ الأعضاء تنطق في القيامة بأعمال المكلّفين، وتشهد عليهم.

(٦) وحفّاظ صدق: يعني الملائكة الكاتبين.

(٧) الرِّتاج: الباب العظيم إذا كان مُحْكَم الغَلْق.

بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ ٱلْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ[1] وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ. فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ ٱلصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ[2]، وَٱلسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ ٱلْأَبَاطِيلُ[3]، وَٱضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ ٱلْعِلَلُ[4]، وَٱسْتَحَقَّتْ بِكُمُ ٱلْحَقَائِقُ[5]، وَصَدَرَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَٱتَّعِظُوا بِٱلْعِبَرِ، وَٱعْتَبِرُوا بِٱلْغِيَرِ، وَٱنْتَفِعُوا بِٱلنُّذُرِ.

١٥٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي فَضْلِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ[6]، وَٱنْتِقَاضٍ مِنَ ٱلْمُبْرَمِ[7]؛ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[8]، وَٱلنُّورِ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ. ذٰلِكَ ٱلْقُرْآنُ

(*) فسر غريب هذه الخطبة ابن الأثير في (النهاية) مادة عذر.

(١) منزل وحدته: هو القبر.

(٢) الصيحة: نفخة الصُّور، والمراد الصيحة الثانية، لقوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩].

(٣) زاحت: بعدت وانكشفت.

(٤) اضمحلت: تلاشت وذهبت.

(٥) استحقت: أي حقَّت ووقعت.

(٦) الهجعة: النَّومة الخفيفة، وقد تستعمل في النَّوم المستغرَق أيضاً، وهي المرة من الهجوع، وهو النوم ليلاً، والمراد نوم الغفلة في ظلمات الجهالة.

(٧) المُبرَم: المُحكَم، من أبرَمَ الحبلَ إذا أحكمَ فَتْلَه، والمبرَم: أي الحبل المفتول. وانتقاض الأحكام الإلهية التي أُبرمت على ألسنة الأنبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها.

(٨) الذي بين يديه: التوراة والإنجيل.

فَٱسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

ومنها: فَعِنْدَ ذٰلِكَ[1] لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[2] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ ٱلظَّلَمَةُ تَرْحَةً[3]، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً. فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ نَاصِرٌ[4]. أَصْفَيْتُمْ بِٱلْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ[5]، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ[6]، وَسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ ٱلصَّبِرِ وَٱلْمَقِرِ[7]، وَلِبَاسِ شِعَارِ ٱلْخَوْفِ، وَدِثَارِ ٱلسَّيْفِ[8]. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا ٱلْخَطِيئَاتِ[9]، وَزَوَامِلُ ٱلْآثَامِ[10]. فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ ٱلنُّخَامَةُ[11]، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً، مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ[12]!

---

(١) الإشارة بذلك لحالة الاختلاف ومخالفة القرآن بالتأويل.

(٢) بيت مَدَر ولا وَبَر: كناية عن أهل الحاضرة والبادية.

(٣) التَّرحة: الحزن.

(٤) هذا إخبارٌ عن مُلك بني أُميّة بعده، وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم في الأرض.

(٥) أصفيتهُ بكذا: آثرته به وخصصتُه، وصفية المغنم: شيء كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة.

(٦) أوردتموه غير ورده: أنزلتموه عند غير مستحقه.

(٧) الصَّبر: عصارة شجر مرّ. والمَقِر: السمّ أو المرّ.

(٨) شعارهم الخوف، لأنّه باطن في القلوب، ودثارهم السَّيْف لأنّه ظاهر في البدن، كما أنّ الشِّعار ما كان إلى الجسد والدِّثار ما كان فوقه. والسيف يكون أشبه بالدثار إذا عمّت إباحة الدم بأحكام الهوى فلا يكون لبدن ولا لعضو منه انفلات عنه.

(٩) مطايا الخطيات: حوامل الذنوب.

(١٠) الزوامل: جمع زاملة، وهي بعير يستظهر به الإنسان يحمل متاعه عليه.

(١١) نَخِمَ ـ كفَرِحَ ـ: أخرج النّخامة من صدره فألقاها، والنخامة ـ بالضمّ ـ: ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد المُخاطيّة.

(١٢) الجديدان: الليل والنهار.

١٥٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في حُسْنِ مُعَامَلَةِ الرَّعِيَّةِ

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ(١)، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ٱلذُّلِّ(٢)، وَحَلَقِ ٱلضَّيْمِ(٣)، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ.

١٦٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في عَظَمَةِ اللهِ

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ(٤).

ٱللّٰهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي؛ حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ. حَمْداً يَمْلَأُ مَا

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) في باب اليأس والقناعة.

---

(١) أحطت بجُهدي من ورائكم: حميتكم وحضنتكم. والجُهد ـ بالضم ـ: الطاقة.

(٢) الرِّبَق: جمع رِبْقة، وهي الحبل يُربَق به البَهْم*.

(٣) حَلَق: جمع حَلْقة.

(٤) لا عن عجزٍ وذلّ، كما يعفو الضعيف عن القويّ.

---

* البَهْم: جمع بَهْمة، وهي الصغير من الضأن (الذكر والأنثى في ذلك سواء).

خَلَقْتَ، وَيَبْلُغ مَا أَرَدْتَ[1]. حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ[2]. حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ. فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ[3] وَلَا نَوْمٌ. لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ. أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ[4]، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ[5] الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً[6]، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً[7]، وَسَمْعُهُ وَالِهاً[8]، وَفِكْرُهُ حَائِراً[9].

مِنْهَا: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللّٰهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ[10] مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ

---

(١) أي هو غاية ما تنتهي إليه الإرادة.

(٢) «ولا يُقْصَرُ دونك» لا يحبس، أي لا مانع من وصوله إليك، وروي «ولا يقصُر» من القُصور، وروي «ولا يقصّر» من التقصير.

(٣) السِّنَة: أوائل النوم.

(٤) ذَرَأْتَ: خلقت.

(٥) المَوْر ـ بالفتح ـ: الموج.

(٦) الحسير: المتعَب.

(٧) المبهور: المغلوب، والمنقطع نفسه من الإعياء.

(٨) الواله: المتحيّر، من الوله وهو ذهاب الشعور.

(٩) روي: «وفكره جائراً» بالجيم، أي عادلاً عن الصواب.

(١٠) لم يقل: والله العظيم، تأكيداً لعظمة الباري سبحانه، لأنّ الموصوف إذا تُرك واعتمد على الصفة حتى صارت كالاسم كان أدلّ على تحقّق مفهوم الصفة، كالحارث والعباس.

فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ. وَكُلُّ رَجَاءٍ -إِلَّا رَجَاءَ ٱللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ(١)، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ(٢) -إِلَّا خَوْفَ ٱللَّهِ- فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ(٣).

يَرْجُو ٱللَّهَ فِي ٱلْكَبِيرِ، وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي ٱلرَّبَّ! فَمَا بَالُ ٱللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً(٤). وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ(٥)، آثَرَهَا عَلَى ٱللَّهِ، فَٱنْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

---

(١) المدخول: المغشوش غير الخالص، أو هو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل.

(٢) الخوف المحقق: هو الثابت الذي يبعث على البعد عن المخوف والهرب منه، وهو في جانب الله ما يمنع عن إتيان نواهيه، ويحمل على إتيان أوامره، هرباً من عقابه وخشية من جلاله.

(٣) الخوف المعلول: هو ما لم يثبت في النفس، ولم يخالط القلب، وإنّما هو عارض في الخيال، يزيله أدنى الشواغل، ويغلب عليه أقلّ الرغائب، فهو يرد على الوهم ثم يفارقه ثم يعود إليه، شأن الأوهام التي لا قرار لها، فهو معلول: من «علّه يعلّه» إذا شربه مرة بعد أخرى، ومراد الإمام: أن الراجي لعبد من العبيد يظهر رجاؤه في سعيه واهتمامه بشأن من رجاه، وموافقته على أهوائه، وكذلك الخائف من أمير أو سلطان يرى أثر خوفه في تهيبه، والامتناع من كلّ ما يحرّك غضبه، بل ما يتوهم فيه أنّه غير حسن عنده، لكنهم في رجاء الله يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، مع أنّهم يرجون الله في سعادة الدارين، ويخالفونه في شقاء الأبد، فيعطون للعبيد ما لا يعطون لله.

(٤) خوف بعضهم من بعض كالنقد المعجّل، وخوفهم من خالقهم ضِمَارٌ ووعد. والضِّمار: ما لا يرجى من الوعود والديون، أي ما كان مسوّفاً به من الوعود.

(٥) كبُر -بالضمّ- يكبُر: أي عَظُم فهو كبير وكُبَار بالتخفيف، فإذا أفرط قيل: «كُبَّار» بالتشديد، فأمّا كَبِر بالكسر فمعناه أسنّ، والمصدر منهما كِبَراً بفتح الباء.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ[1]، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا[2]، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا[3]، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ[4] عَنْ زَخَارِفِهَا[5].

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وَٱللّٰهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ[6] بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ[7] لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُودَ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ[8]، وَقَارِئِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ[9]، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: «أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا!» وَيَأْكُلُ قُرْصَ ٱلشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

---

(١) الأسوة: القدوة.

(٢) المخازي: جمع مَخْزاة، وهي الأمر يستحَى من ذكره لقبحه. والمساوئ: العيوب.

(٣) الأكناف: الجوانب.

(٤) زوي: أي قبض.

(٥) زخارف: جمع زُخرف، وهو الذهب.

(٦) الصفاق: هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو هو ما بين الجلد والمصران، أو جلد البطن كلّه، وشفيفه: رقيقه الذي يستشفّ ما وراءه.

(٧) التشذّب: التفرّق. وانهضام اللحم: تحلل الأجزاء وتفرقها.

(٨) المزامير: جمع مزمار، وهو الآلة التي يزمّر فيها، ويقال: إنّ داود أُعطِي من طيب النغَم ولذّة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه، والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته.

(٩) سفائف الخوص: جمع سفيفة، وهي المنسوجة منه، وسفّ من سَفّ الخُوص؛ إذا نسجه، وهذا الذي ذكره ﷺ عن داود في فقره قبل أنْ يملّكه.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ ٱلْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِٱللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي ٱلشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا[1]، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فَتَأَسَّ[2] بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ، - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ[3]. قَضَمَ ٱلدُّنْيَا قَضْماً[4]، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً. أَهْضَمُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا كَشْحاً[5]، وَأَخْمَصُهُمْ[6] مِنَ ٱلدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ[7]، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً[8] لِلَّهِ تَعَالَى وَمُحَادَّةً[9] عَنْ أَمْرِ ٱللَّهِ تَعَالَى!

---

(١) ظِلاله: جمع ظِلّ بمعنى الكِنّ والمأوى، ومن كان كِنّه المشرق والمغرب فلا كِنّ له.

(٢) تأسَّ: أي اقْتَدِ.

(٣) المقتصّ لأثره: المتّبع له.

(٤) قَضَم الدنيا: تناول منها قَدْر الكَفاف، كأنّه لم يتناول منها إلّا على أطراف أسنانه ولم يملأ منها فمه، وأصل القَضْم: أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان. وروي «قَصَم» بالصاد، أي كسر.

(٥) رجلٌ أهضَم: بيِّن الهضَم: إذا كان خميصاً لقلة الأكل، من الهضم وهو خمص البطن، أي خلوها وانطباقها من الجوع. والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخلفي.

(٦) أخمَصُهم: أخلاهم.

(٧) وروي: «وحقّر شيئاً فحقَره» بالتخفيف.

(٨) الشقاق: الخلاف.

(٩) المحادّة: المعاداة والمخالفة في عناد.

وَلَقَدْ كَانَ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَأْكُلُ عَلَى ٱلْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ[1]، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ٱلْعَارِيَ[2]، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ[3]، وَيَكُونُ ٱلسِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ ٱلتَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ ٱلدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا[4]». فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[5]، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً. فَأَخْرَجَهَا مِنَ ٱلنَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ[6]، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ. وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ[7]، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ[8]. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ ٱللَّهُ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ ـ وَٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ـ بِٱلْإِفْكِ ٱلْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ

---

(١) خَصَفَ النّعل: خرزها.

(٢) الحمار العاري: ما ليس عليه بَرْذَعة ولا إكاف.

(٣) أردف خلفه: أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه.

(٤) في هذا دليل على أن الرسم على الورق والأثواب ونحوها لا يمنع استعماله، وإنّما يتجافى عنه بالنظر تزهّداً وتورّعاً.

(٥) الرياش: الزينة واللباس الفاخر.

(٦) أشخصها: أبعدها.

(٧) خاصته: اسم فاعل في معنى المصدر، أي مع خصوصيته وتفضله عند ربّه.

(٨) عظيم الزلفة: منزلته العليا من القرب إلى الله. وزوى الدنيا عنه: قبضها وأبعدها.

ٱلنَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ[1]، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَلَماً لِلسَّاعَةِ[2]، وَمُبَشِّراً بِٱلْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِٱلْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصاً[3]، وَوَرَدَ ٱلآخِرَةَ سَلِيماً. لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ. فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ[4]!

وَٱللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي[5] هٰذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: أُغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَى[6]!

١٦١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في صفةِ النبيِّ وأهلِ بَيْتِهِ واتّباعِ دينِهِ

ٱبْتَعَثَهُ بِٱلنُّورِ ٱلْمُضِيءِ[7]، وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي[8]، وَٱلْكِتَابِ

---

(١) فتأسى: خبر يريد به الطلب، أي فليقتد مقتد بنبيه.

(٢) العَلَم ـ بالتحريك ـ: العلامة، أي لأنّ بعثه دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده.

(٣) خميصاً: أي خالي البطن، كناية عن عدم التمتع بالدنيا.

(٤) العَقِب ـ بفتح فكسر ـ: مؤخر القدم، ووطء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه، نَقْفوه خطوة خطوة حتى كأنّنا نطأ مؤخر قدمه.

(٥) المِدرعة ـ بالكسر ـ: ثوب من صوف.

(٦) اغرب عني: إذهب وأبعد. والمثل معناه: إذا أصبح النائمون وقد رأوا السائرين واصلين إلى مقاصدهم، حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم، أو إذا أصبح السائرون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه، حمدوا سراهم، وإن كان شاقاً، حيث أبلغهم إلى ما قصدوا. والسُّرَى: السير ليلاً.

(٧) بالنور المضيء: أي بالدين أو بالقرآن.

(٨) المنهاج البادي: أي الظاهر.

ٱلْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ[1]، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ؛ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ[2]، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ[3]، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ[4]. عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَٱمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ[5]. أَظْهَرَ بِهِ ٱلشَّرَائِعَ ٱلْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ ٱلْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلْأَحْكَامَ ٱلْمَفْصُولَةَ[6]. فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ[7]، وَيَكُنْ مَآبُهُ[8] إِلَى ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ[9].

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ تَوَكُّلَ ٱلْإِنَابَةِ إِلَيْهِ[10]، وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ[11].

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا ٱلنَّجَاةُ غَداً، وَٱلْمَنْجَاةُ أَبَداً.

---

(١) أُسرته: أهله، والأسرة: رهط الرجل الأدنون.

(٢) أغصانها معتدلة: كناية عن عدم الاختلاف بينهم في الأمور الدينية.

(٣) ثمارها متهدّلة: أي متدلّية، دانية للاقتطاف، كناية عن سهولة اجتناء العلم منها.

(٤) طَيْبة: اسم المدينة المنوّرة، كان اسمها يثرب فسمّاها رسول الله ﷺ طَيْبة. ومما أكفر الناسُ به يزيدَ بن معاوية أنّه سمّاها «خبيثة» مراغمة لرسول الله ﷺ.

(٥) أي تتلافى ما فسد في الجاهلية من أديان البشر، من تلافاه: تداركه بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم.

(٦) بيّن به الأحكام التي هي الآن مفصولة عندنا وواضحة لنا لأجل بيانه لها، أو المفصولة: التي فصلها الله، أي قضى بها على عباده.

(٧) الكبوة: السقطة، مصدر كبا الجواد، إذا عثر فوقع على الأرض.

(٨) المآب: المرجع.

(٩) العذاب الوبيل: ذو الوبال، وهو الهلاك.

(١٠) الإنابة: الرجوع.

(١١) من أول الخطبة إلى هنا زيادة في بعض النسخ.

رَهَّبَ فَأَبْلَغَ[1]، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[2]؛ وَوَصَفَ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللّٰهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللّٰهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ ٱللّٰهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا[3]، لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَٱحْذَرُوهَا حَذَرَ ٱلشَّفِيقِ ٱلنَّاصِحِ[4]، وَٱلْمُجِدِّ ٱلْكَادِحِ[5]. وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ[6]، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ[7].

فَٱحْذَرُوا ـ عِبَادَ ٱللّٰهِ ـ حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، ٱلنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ[8]، وَٱلطَّرِيقَ جَدَدٌ[9]، وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ[10].

---

(١) الضمير يرجع إلى الله سبحانه، أي خوّف المكلّفين فأبلغ في التخويف.

(٢) أسبَغ: أي أحاط بجميع وجوه الترغيب.

(٣) أي كفّوا عن أنفسكم الغمّ لأجلها والاشتغال بها، يقال: غضضت فلاناً عن كذا أي كففته، قال تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

(٤) الشفيق: الخائف. والناصح: الخالص.

(٥) المجد: المجتهد. والكادح: المبالغ في سعيه، أي فاحذروها على أنفسكم لأنفسكم كما يحذر الشفيق الناصح على صاحبه، وكما يحذر المجدّ الكادح.

(٦) تزايلت: تفرّقت. والأوصال: المفاصل أو مجتمع العظام وتفرقها كناية عن تبددهم وفنائهم.

(٧) المحاورة: المخاطبة والمناجاة، وروي: «ولا يتجاورون» بالجيم.

(٨) العَلَم: ما يستدلّ به في المفازة.

(٩) الجَدَد: المستوي المسلوك، طريق جَدَد أي سهل واضح.

(١٠) السبيلُ قَصْد: أي مستقيم.

١٦٢ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ: «كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ؟» فَقَالَ:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ(١)، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ(٢)، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ(٣)، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الاسْتِبْدَادُ(٤) عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَوْطاً(٥)، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً(٦) شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ

(*) رواه الصدوق في (الأمالي) ص٣٦٨ و(العلل) الباب ١١٩، كما رواه الطبري في (المسترشد) ص ٦٤.

---

(١) الوَضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرحل، فكثر تململ الجمل، وقل ثباته في سيره، ويقال للرجل المضطرب في أموره: إنّه لقلق الوضين.

(٢) الإرسال: الإطلاق والإهمال، ويرسل في غير سَدد، أي يتكلّم في غير قصد وفي غير صواب. ويطلق لسانه بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته. والسَّدَدُ والاسْتداد: الاستقامة والصواب.

(٣) ذِمامة الصهر: حرمته، والذمامة: الحماية والكفاية، ويروى: «ماتّة الصِّهر» أي حرمته ووسيلته. والصِّهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج، وإنّما قال ﷺ له: «ولك بعد ذِمامة الصِّهر» لأنّ زينب بنت جَحش زوج رسول الله ﷺ كانت أسدية، وأُمها أُميّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهي بنت عمة رسول الله ﷺ، والمصاهرة المشار إليها هي هذه.

(٤) الاستبداد بالشيء: التفرّد به.

(٥) النَّوْط: الالتصاق والتعلّق.

(٦) الأثَرَة: الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

آخَرِينَ(١)، وَٱلْحَكَمُ ٱللهُ، وٱلْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِـهِ ... وَلٰكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ ٱلرَّوَاحِلِ(٢)

وَهَلُمَّ ٱلْخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ(٣)، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ(٤)، وَلَا غَرْوَ وَٱللهِ(٥)، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ(٦)!

حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ(٧)، وجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً(٨). فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ ٱلْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ

---

(١) شَحَتْ: بخلت. وسَخَتْ: جادت، ويعني بالنفوس التي سَخَتْ نفسَه، وبالنفوس التي شحت نفوسَ أهل الشورى بعد مقتل عمر، وعلى قول الإمامية أنها نفوس أهل السقيفة.

(٢) البيت لامرئ القيس، قاله عندما كان جاراً لخالد بن سدوس، فأغار عليه بنو جديلة، فذهبوا بأهله فشكا لمجيره خالد، فقال له: «أعطني رواحلك ألحق بها القوم»، فأردّ إبلك وأهلك، فأعطاه، وأدرك خالد القوم فقال لهم: «ردّوا ما أخذتم من جاري»، فقالوا: «ما هو لك بجار»، فقال: «والله إنّه جاري وهذه رواحله»، فقالوا: «رواحله؟» فقال: «نعم» فرجعوا إليه، وأنزلوه عنهن، وذهبوا بهن. والنّهب: الغنيمة. وصيح: أي صاحوا للغارة. وحَجراته: جمع حَجْرة: الناحية، ووجه التمثيل ظاهر.

(٣) يقول عليه السلام: ولكن هيهات ذكر الخطب، فحذف المضاف. والخطب: الحادث الجليل، وعظيم الأمر وعجيبه، يعني الأحوال التي أدّت إلى أن صار معاوية منازعاً في الرئاسة ونداً له.

(٤) قال: «فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه» يشير إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدّم مَن سلف عليه، فلم يقنع الدّهر له بذلك حتى جعل معاوية نظيراً له فضحك عليه السلام من تصرّف الدّهر وتقلّبه.

(٥) «ولا غرو والله» أي ولا عَجَب والله. «ويستفرغُ العجب» أي يستنفده ويفنيه.

(٦) الأود: الاعوجاج.

(٧) الفَوّار والفَوّارة من الينبوع: الثقب الذي يفور الماء منه بشدّة، يعني ما تقدّم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما له، وما شفع ذلك من معاوية وعمرو وشيعتهما.

(٨) جَدَحوا: أي خلطوه ومزجوه وأفسدوه، والشُرب: النصيب من الماء. والوبيء: ذو الوباء والمرض، يريد به الفتنة التي يردونها نزاعاً له في حقه، كأنّها ماء خلط بالمواد السامّة القاتلة.

عَلَى مَحْضِهِ[1]؛ وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى[2]، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

١٦٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي الْخَالِقِ جَلَّ جَلالُهُ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ[3]، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ[4]، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ[5]. لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ[6]، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ[7]، هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ. حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا

(*) روى بعضها أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٧٢، والواسطي في (عيون الحكم والمواعظ).

---

(١) الحق المحض: الخالص الذي لا يمازجه باطل، كاللبن المحْض الذي لا يخالطه شيء من الماء.

(٢) وان لا يزالوا مفتونين فلا تمت نفسك غمّاً عليهم.

(٣) المهاد هنا: الأرض، وأصله الفراش. وساطحه: باسطه، *وجاعله سطحاً سهلاً*، ومنه تسطيح القبور خِلاف تَسْنيمها.

(٤) الوهاد: جمع وَهْدة، ما انخفض من الأرض. وسيلها: مجرى السَّيْل فيها وتسييل الوهاد بمياه الأمطار، وتخصيب النجاد بأنواع النبات.

(٥) النجاد: جمع نجد، ما ارتفع منها. ومخصبها: مروّضها وجاعلها ذوات خِصْب.

(٦) لأنّه لو كان لأوّليته ابتداء لكان محدثاً.

(٧) إذ لو صحّ عليه العَدَمُ لكان لعدمه سبب، فكان وجوده موقوفاً على انتفاء سبب عدمه، والمتوقّف على غيره يكون ممكن الذات. وقوله «هو الأول لم يَزَل، والباقي بلا أجل» تأكيد لهذين المعنيين.

إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا[1]. لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِـ«حَتَّى»[2]. ٱلظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّ؟»[3] وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَ؟»[4] لَا شَبَحٌ فَيَتَقَصَّى[5]، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِٱفْتِرَاقٍ[6]، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ[7]، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ[8]، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ[9]، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ[10]، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ[11]، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ[12]، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ

---

(١) الإبانة ههنا: التمييز والفصل، والضمير في له: يرجع إليه سبحانه، أي تمييزاً للذاته تعالى عن شبهها أي مشابهتها. وإبانة: مفعول لأجله يتعلّق بحدّ، أي حدّ الأشياء تنزيهاً للذاته عن مماثلتها.

(٢) لأنّ متى للزمان وحتى للغاية وواجب الوجود يرتفع عن الزمان، ولا غاية له.

(٣) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر.

(٤) أي جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميّز هو سبحانه عنها، إذ لا حدّ له، أي لا يقال في ماذا بطن؟

(٥) الشبح: الشاخص، ويتقصّى: يُطلب أقصاه [في نسخة عبده: ولا شبح فيتقضّى] أي: ليس بجسم فيفنى بالانحلال.

(٦) لأنّ هذه الأمور كلّها من خصائص الأجسام، وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها.

(٧) شخوص لحظة: أن تسكن العين فلا تتحرك.

(٨) ولا كرور لفظة: أي رجوعها.

(٩) ازدلاف الرّبوة: تقربها من النظر، وظهورها له، لأنّه يقع عليها قبل المنخفضات، أو يريد صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع.

(١٠) الداجي: المُظلم

(١١) الغَسَق: الليل. وساج: أي ساكن لا حركة فيه.

(١٢) «يتفيّأ عليه» يتقلّب ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر، وأخذه في النقص إلى المحاق، وأصل التفيؤ للظل نسخ نور الشمس، ولما كان الظلام بالليل عاماً كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه.

ٱلنُّورِ فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ[1]، وَتَقْلِيبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ. قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ[2]، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ[3] ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ[4]، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ[5]، وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ[6]، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ[7]. فَٱلْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ[8]. لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ[9]، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِٱلْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِٱلْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى.

---

(١) «وتعقبه» الهاء ترجع إلى القمر، أي وتسير الشمس عقبه في كروره، وأفوله، أي غيبته. والكرور: الرجوع بالشروق.

(٢) قوله: «قبل كلّ غاية» متعلق بيخفى على معنى السلب، أي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كلّ غاية، أي يعلمه قبل... ، ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية، أي هو موجود قبل كلّ غاية.

(٣) نَحَلَهُ القول ـ كَمَنَعَه ـ: نسبه إليه، أي عمّا ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرّفون لها.

(٤) صفات الأقدار: جمع قدْر ـ بسكون الدال ـ وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر.

(٥) نهايات الأقطار: أي الجوانب، ونهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة.

(٦) التأثّل: التأصّل، مجدٌ مؤثّل أي أصيل، وبيت مؤثّل أي معمور، وكانَ أصل الكلمة أن تبنى الدار بالأثْل، وهو شجر معروف.

(٧) تمكّن الأماكن: ثبوتها واستقرارها.

(٨) لم تكن مواد متساوية في القدم والأزلية وكان له أثر التصوير والتشكيل فقط بل خلق مادة بجوهرها، وأقام لها حدّها، أي ما به امتازت عن سائر الموجودات وصوّر منها ما صوّر من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها.

(٩) أي لا يمتنع عليه ممكن، إذا قال للشيء كن فيكون.

منها: أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ[1]، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ[2]، فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ[3]﴾، وَوُضِعْتَ ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ[4] * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ[5]﴾، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ[6]، تَمُورُ[7] فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً[8]، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً؛ ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا[9]، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ[10]!

هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!

---

(١) السويّ: المستوي الخِلقة غير ناقص.

(٢) المُنشأ: المبتدَع، مفعول من «أنشأ» أي خلق وأوجد. المرعيّ: المحوط المحفوظ.

(٣) أي كان ابتداء خلقك من سُلالة، وهي خلاصة الطين، لأنّها سُلّت من بين الكَدَر، و«فُعالة» بناء للقلّة، كالقُلامة، والسُلالة من الشيء: ما انسلّ منه. والنطفة: مزيج ينسل من البدن المؤلف من عناصر الأرض المخلوطة بالمواد السائلة، فالمزاج البدني أشبه بالمزاج الطيني، بل هو منه بنوع اتّقان وإحكام.

(٤) قال: «ووضعتَ في قرار مكين» والكلام الأول لآدم الذي هو أصلُ البشر، والثاني للذرّيته، والقرار المكين: الرحِم.

(٥) إلى قدرٍ معلومٍ: أي مقدَّراً طوله وشكله أو مبلغ المدة المحددة للحمل.

(٦) إلى أجل مقسوم: مدة حياته.

(٧) تمُور: تتحرك.

(٨) لا تحير: من قولهم: «ما أحار جواباً» ما ردّ، أي لا تستطيع دعاء.

(٩) يعني الدنيا.

(١٠) أي أعلمك بموضع الحَلَمة عند طلبك للرضاع فالتقمتها بفمك.

١٦٤ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَشَكَوا مَا نَقَمُوهُ عَلَى عُثْمَانَ، وَسَأَلُوهُ مُخَاطَبَتَهُ عَنْهُمْ، وَاسْتِعْتَابَهُ لَهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

إِنَّ ٱلنَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ[1]، وَوَٱللّٰهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ[2]، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ.

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ. وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ ٱلْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا[3]، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا. فَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَٱللّٰهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ ٱلطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ ٱلدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

(*) رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ج ٥ ص ٦٠، والطبري في (تأريخه) في حوادث سنة ٣٤.

---

(١) استسفروني: جعلوني سفيراً ووسيطاً بينك وبينهم.

(٢) أي من هذه الأحداث خاصة.

(٣) الوشيجة: عروقُ الشجرة وهنا: اشتباك القرابة، وإنّما كان عثمان أقرب وشيجة لرسول الله لأنّه من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي ﷺ، أما أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي، وعمر من بني عدي بن كعب ثامن أجداده ﷺ. وأمّا أفضليته عليهما في الصهر: فلأنّه تزوج ببنتي رسول الله رقية وأم كلثوم توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية، ولذا سمي «ذا النورين». وغاية ما نال الخليفتان أنّ النبي تزوج من بناتهما.

فَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللّٰهِ عِنْدَ ٱللّٰهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً. وَإِنَّ ٱلسُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ. وَإِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللّٰهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِٱلْإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ ٱلرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ(1) فِي قَعْرِهَا». وَإِنِّي أُنْشِدُكَ ٱللّٰهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً(2).

فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً(3) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ ٱلسِّنِّ، وَتَقَضِّي ٱلْعُمُرِ(4).

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ ٱلنَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: مَا كَانَ بِٱلْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

---

(١) ربطه فارتبط، أي شدّه وحبسه.

(٢) مَرِج الدين: أي فسد. والمَرْج: الخلط.

(٣) السَّيِّقة: ما استاقه العدوّ من الدواب، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان.

(٤) [أثبت ابن أبي الحديد في المتن: جَلال السّن] والجُلال ـ بالضم ـ: الجليل، أي بعد السن الجليل، أي العمر الطويل.

١٦٥ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ[١]، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ[٢]؛ وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ[٣] فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. وَمَا ذَرَأَ[٤] مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ[٥]، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا[٦]، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا[٧]، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ[٨]، وَمُرَفْرِفَةٍ[٩] بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ[١٠] ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ، وَٱلْفَضَاءِ

(*) رواها الزمخشري في الجزء الأول من (ربيع الأبرار)، وفسّر ابن الأثير في (النهاية) غريبها.

---

(١) المَوات: ما لا حياة فيه، وأرض موات أي قَفر.

(٢) الساكن ـ هنا ـ كالأرض والجبال، وذو الحركات كالنار والماء الجاري والحيوان.

(٣) نَعَقَتْ: من نَعَقَ بغنمه: صاح.

(٤) ذرأ: خلق.

(٥) أخاديد الأرض: شقوقها، جمع أُخْدُود.

(٦) الخروق: جمع خرق، الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. وفجاجها: جمع فجّ وهو الطريق بين الجبلين، وقد يستعمل في متسع الفلا.

(٧) رواسي أعلامها: أثقال جبالها، والأعلام: جمع عَلَم ـ بالتحريك ـ: وهو الجبل.

(٨) يصرفها الله في أطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيره، واستخدامه لها فيما خلقها لأجله.

(٩) مرفرفة: من رفرف الطائر، بسط جناحيه.

(١٠) المخارق: جمع مخرق، الفلاة، وشبه الجو بالفلا للسعة فيهما.

الْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ، فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[1]، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ[2] خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً[3]، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً[4]، وَنَسَقَهَا[5] عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ[6] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ. فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ[7] لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.[8]

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ[9]، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ[10]، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَى رَأْسِهِ[11]، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ

---

(١) الحقاق: جمع حُق ـ بالضم ـ مجتمع المفصلين. واحتجاب المفاصل: استارها باللحم والجلد.

(٢) عَبَالة الحيوان: كثافة جَسده، والعبالة: الضخامة.

(٣) الخفوف: سرعة الحركة. ويسمو: يرتفع.

(٤) الدفيف للطائر: طيرانه فُوَيق الأرض، أو أن يحرك جناحيه ورجلاه في الأرض، يقال: عُقاب دَفُوف.

(٥) نسقها: رتبها.

(٦) الأصابيغ: جمع أصباغ، وأصباغ: جمع صِبغ ـ بالكسر ـ وهو اللون أو ما يصبغ به.

(٧) القالب: مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره، والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون.

(٨) قوله: «قد طوّق» أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فإنه يخالف سائر بدنه، كأنه طوقٌ صِيغَ لحليته. وروي: «قد طورق لون» أي على لون، كما تقول: طارقت بين الثوبين.

(٩) نضّد: رتَّب، والتنضيد: النظم والترتيب.

(١٠) قوله «أشرج قصبه»: القصب ههنا: عروق الجناح، وأشرجها: ركّب بعضها في بعض، أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر، وإذا مشى إلى أنثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب بعد طيّه.

(١١) سما به: أي ارتفع به، أي رفعه، ومطلاً على رأسه، أي مشرفاً عليه كأنه يظلله.

نُوتِيُّهُ[١]. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ[٢]، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ[٣]. يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ[٤]، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ[٥] أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ[٦] لِلضِّرَابِ[٧]. أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ[٨]، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ[٩]، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ[١٠]، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى ٱلدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ[١١]، لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ[١٢]!

---

(١) القلع: شراع السفينة، وجمعه قلاع. والداريّ: جالب العطر في البحر من دارين، وهي فُرضة بالبحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند. والنُّوتيّ: الملّاح، وجمعه نواتيّ. وعَنَجه: عطفه وجذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه.

(٢) يختال: من الخُيَلاء، وهي العُجْب.

(٣) يميس: يتبختر. وزَيَفانه: تبختره، ومنه ناقة زَيّافة أي مختالة، وأصل الزَّيَفان التبختر، ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالاً.

(٤) يُفضي: أي يسافد أنثاه كما تسافد الديكة، جمع ديك.

(٥) الأرّ: الجماع. ومَلاقحه: أدوات اللقاح وأعضاؤه، وهي آلات التناسل.

(٦) أرّ الفحول: أي أرّاً مثل أرّ الفحول ذات الغُلْمة والشَّبَق، والمغتلمة: على صيغة اسم الفاعل، من اغتلم إذا غلب للشهوة.

(٧) الضراب: لقاح الفحل لأُنثاه.

(٨) أي إنّه لم ينقل ذلك عن إسناد قد يضعّف ويتداخله الطعن، بل قال ذلك عن عيان ومشاهدة. يقول: إن لم يكفك الخبر فإنّي أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول.

(٩) تسفحها: تصبّها، وترسلها أوعية الدمع، وروي «تنشجها مدامعه» من النشيج، وهو صوت الماء وغليانه من زِقّ أو قِدر.

(١٠) ضفة الجفن: استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه. وتَطْعَم ذلك ـ كتعلم ـ: تذوقه كأنّها ترشفه.

(١١) لقاح الفحل: ماء التناسل يلقح به الأنثى. والمنبجس: النابع من العين.

(١٢) «لما كان ذلك بأعجب» أي لو صحّ ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأُنثاه حيث قالوا: إنّ مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأُنثى تتناوله من منقاره. والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة، ومنشأ الزعم ←

تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ(١)، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ(٢) وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ(٣). فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ(٤) ٱلْأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ(٥)، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ(٦) بِٱلْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ(٧)، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ(٨). وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِٱلْحُلِيِّ(٩) فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِٱللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ(١٠).

يَمْشِي مَشْيَ ٱلْمَرِحِ ٱلْمُخْتَالِ(١١)، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً

← في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم: أخفى من سفاد الغراب.

(١) قَصَبُهُ: عظام أجنحته، والمدَاري: جمع مِدْرَى، وهو في الأصل القَرْن، ويقال المِدْرَى لشيء كالمِسَلَّة تُصلِحُ بها الماشطة شُعُور النساء، قال ابن الأثير: «المدرى والمدراة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه، يسرّح به الشعر المتلبّد ويستعمله من لا مشط له»، شبّه عظام أجنحة الطاووس بمدارَى من فضّة لبياضها.

(٢) شبّه ما أنبت الله عليها من تلك الدّارات والشموس التي في الرّيش بخالِص العِقْيان، وهو الذّهب أو ما ينمو منه في معدنه. والدارات: هالات القمر.

(٣) فِلَذ: جمع فلذة بمعنى القطعة.

(٤) ما أنبت: معطوف على قصبه، والتشبيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش.

(٥) جَنِيٌ: أي مجتنى جمع كلّ زهر لأنّه جمع كلّ لون، يقول: إن شبّهته بنبات الأرض قلت: إنّه قد جُنِيَ من زهرة كلّ ربيع في الأرض لاختلاف ألوانه وأصباغه.

(٦) المضاهاة: المشاكلة.

(٧) موشي الحُلَل: ما دُبّج بالوشي وهو الأرقم الملوّن، المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل.

(٨) العَصْب: بُرود اليمن.

(٩) الحُلِيّ: جمع حَلْي، وهو ما تلبسه المرأة من الذهب والفضة.

(١٠) نطِقَت باللّجين: جعلت الفضّة كالنّطاق لها. والمكلَّل: ذو الإكليل، المزين بالجواهر، فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها.

(١١) المَرِح: المعجب والمختال الزاهي بحسنه.

لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ[1]، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[2]؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً[3] بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ[4] كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ[5]. وَقَدْ نَجَمَتْ[6] مِنْ ظُنْبُوبِ[7] سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ[8]، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ[9] خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ[10]، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَٱلْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ[11]، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ

---

(١) السِّرْبال: اللباس مطلقاً أو هو الدرع خاصة.

(٢) الوشاح: نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى، كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها، ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح.

(٣) زَقَا: صَوَّت. مُعوِلاً: صارخاً، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين - أي يفصح - عن استغاثته من كراهة قوائمه، أي ساقيه.

(٤) قوائمه حُمْش: دِقاق، جمع أحمش، أي دقيق.

(٥) الدِّيكة الخِلاسيّة: هي المتولّدة من الدجاج الهنديّ والفارسيّ. يقول ﷺ: إنّ الطاووس يَزْهو بنفسه ويتيه إذا نظر في أعطافه، ورأى ألوانه المختلفة، فإذا نظر إلى ساقَيْه وَجَم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه، فصاح صياح العويل لحزنه وذلك لدقة ساقيه ونُتوء عُرقوبَيْه.

(٦) نَجَمَتْ: ظهرتْ ونبتت.

(٧) الظُّنبوب: حَرْف الساق، وهو هذا العظْم اليابس.

(٨) الصِّيصية في الأصل: شوكة الحائك التي يسوّي بها السَّدَاة واللُّحمة، ونُقِل الى صِيصِيَة الدِّيك لتلك الهيئة، وهي الشوكة التي في رجله.

(٩) العُرْف: الشعر المرتفع من عُنقه على رأسه. والقُنْزُعة: واحدة القنازع، وهي الشَّعر حوالي الرأس، والخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي.

(١٠) موشّاة: ذات وشي، ومنقوشة.

(١١) مغرزها: الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن، لونه كلون الوسمة، وهي نبات يختضب به، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة.

صِقَالٍ(١)، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ(٢)، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ(٣)، أَبْيَضُ يَقَقٌ(٤)، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ(٥). وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ(٦)، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ(٧) وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ(٨)، فَهُوَ كَٱلْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ(٩)، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ(١٠)، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ(١١).

وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ(١٢)، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى(١٣)، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً،

---

(١) الصقال: الجلاء.

(٢) المتلفّع: الملتحف. والمِعْجَر: وهو ما تشدُّه المرأة على رأسها كالرِّداء، فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى تردّه إلى الطرف الأول، فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها، وهو معنى التلفّع ههنا. والأسحم: الأسود.

(٣) الأقحوان: البابونج * الأبيض وجمعه أقاح.

(٤) أبيض يَقَق: خالص البياض.

(٥) يأتلق: يلمع.

(٦) قِسط: نصيب.

(٧) علاه: أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه.

(٨) البصيص: البريق، وبصّ الشيء: لَمَع، والرونق: الحسن.

(٩) الأزاهير: جمع أزهار، وهو جمع زهر.

(١٠) تربّها الأمطار: تربّيها وتجمعها، يقول عليه السلام: كأنَّ هذا الطائر ملتحف بملحفة سوداء، إلّا أنّها لكثرة رونقها يتوهّم أنّه قد امتزج بها خضرة ناضرة، وقلّ أن يكون لون إلّا وقد أخذ هذا الطائر منه بنصيب، فهو كأزاهير الربيع، إلّا أنَّ الأزهار تربّيها الأمطار والشموس، وهذا مستغنٍ عن ذلك.

(١١) القَيْظ: الحر.

(١٢) ينحسر من ريشه: ينكشف فيسقط، من حسره أي كشفه، ويروى: «يتحسّر».

(١٣) تترى: أي شيئاً بعد شيء وبينهما فترة. «وينبتُ تباعاً» أي لا فترات بينهما.

---

* البابونج: جنس نباتات عشبية يستعمل في الصباغة أو التداوي، (معرّبة).

فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلأَغْصَانِ[1]، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً[2] حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً[3]، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[4]، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ[5]، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ[6]، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ! وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَٱلأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ[7] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ[8]، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً؛ وَأَعْجَزَ ٱلأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ! وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ[9] وَٱلْهَمَجَةِ[10] إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْفِيَلَةِ! وَوَأَى[11] عَلَى نَفْسِهِ أَلاَّ

---

(١) ينحتّ: يتساقط، وانحتاتُ الورق: تناثرها.

(٢) نامياً: زائداً.

(٣) الخضرة الزَّبرجديّة: منسوبة الى الزَّبرجد، ولفظة «الزبرجد» تارة تستعمل له، وتارة لهذا الحَجر الأحمر المسمّى «بلخش».

(٤) عسجديّة: ذهبية، العسجد: الذهب.

(٥) عمائق الفِطَن: البعيدة القَعْر، جمع عميقة.

(٦) القريحة: الخاطر والذهن.

(٧) بهَرَ: غَلَبَ، بهر العقول: قهرها فردّها.

(٨) جلّاه: أظهره وكشفه، ويروى بالتخفيف.

(٩) أدمج القوائم: أحكمها، كالحبل المدمّج الشديد الفَتْل، أو أودعها فيها. والذرّة: النملة الصغيرة، وقوائمها: أرجلها.

(١٠) الهَمَجَة: واحدة الهمج، وهو ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم.

(١١) وَأَى: وَعَدَ، والوأي: الوعد.

يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ[1] مَوْعِدَهُ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ[2] نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[3] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ[4] مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِٱلْفِكْرِ فِي ٱصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[5] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ[6] ٱلْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[7]، وَطُلُوعِ تِلْكَ ٱلثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[8]، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[9] فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا[10]، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِٱلْأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ[11]، وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ.

---

(١) الحِمام: الموت.

(٢) رميت ببصر قلبك: أي أفكرت وتأملت.

(٣) عَزَفَتْ نفسُك: كرهتْ وزهدت. عزفت الإبل: اشتكت بطونها من أكل العزف، وهو الثمام، أي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الإبل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الإبل من أكل الثمام.

(٤) الزخارف: جمع زُخرف، وهو الذهب وكلّ مموّه.

(٥) اصطفاق الأشجار: تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت. [وفي نسخة ابن أبي الحديد اصطفاف الأشجار] واصطفاف الأشجار: انتظامها صفّاً.

(٦) الكثبان: جمع كثيب، وهو التل.

(٧) الأفنان: جمع فَنَن - بالتحريك - وهو الغصن.

(٨) غُلُف - بضمتين -: جمع غلاف. والأكمام: جمع كِمّ - بكسر الكاف - وهو وعاء الطلع وغطاء النوار.

(٩) تُجْنَى: تُقطف. [وفي نسخة عبده: تَجنى] من جناه جنواً: عطفه.

(١٠) لا يترك له مُنْيَة أصلاً لأنّه يكون قد بلغ نهاية الأماني.

(١١) المُصفّقة: المصفّاة، والعسل المصفّق: المصفّى.

قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ[1]، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِٱلْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ[2] لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا[3]، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ ٱلْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ!

في تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب[4]

قال الرضي ﷺ قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «يؤُزُّ بِمَلَاقِحِهِ» الأَزُّ: كِنَايَةٌ عَنِ ٱلنِّكَاحِ، يُقَالُ: أَزَّ ٱلرَّجُلُ ٱلْمَرْأَةَ يَؤُزُّهَا، إِذَا نَكَحَهَا. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ». ٱلْقَلْعُ: شِرَاعُ ٱلسَّفِينَةِ. وَدَارِيٌّ: منسوب إِلَى دَارِينَ، وهي بلدة عَلَى ٱلْبَحْرِ يُجْلَبُ منها ٱلطِّيبُ. وَعَنَجَهُ: أي عَطَفَهُ، يقال: عَنَجْتُ ٱلنَّاقَةَ، أَعْنُجُهَا إذا عَطَفْتَهَا. وَٱلنُّوتِيُّ: ٱلْمَلَّاحُ. وقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ»، أَراد جَانِبَيْ جُفُونِهِ. وَٱلضَّفَّتَانِ: ٱلْجَانِبَانِ. وقوله: «وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ»، ٱلْفِلَذُ: جمع فِلْذَةٍ، وَهِيَ ٱلْقِطْعَةُ. وقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ» ٱلْكِبَاسَةُ: ٱلْعِذْقُ[5]. وَٱلْعَسَالِيجُ: ٱلْغُصونُ، وَاحدها عُسْلُوجٌ.

---

(١) قوله: «قوم...» أي هم قوم، أي نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره.

(٢) المونقة: المعجبة.

(٣) زهقت نفسه: مات.

(٤) هذا التفسير غير موجود في بعض النسخ.

(٥) العِذْق للنخلة كالعنقود للعنب: مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العُرْجون.

١٦٦ - ومن خطبة له عليه السلام *

في الحثّ على التآلف

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ(١)، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ(٢)، وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ: كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ(٣)، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

منها: افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ(٤)، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ(٥)، أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ(٦)، كَمَا يَجْتَمِعُ

(*) رواها قبل الرضيّ سليمُ بن قيس في (كتابه) ص ٨٩، والمفيد في (الإرشاد) ص ٣٧٣.

---

(١) لِيَتَأَسَّ: أي لِيَقْتَدِ.

(٢) روي: «تتفقهون» بتاء الخطاب.

(٣) القَيْض: القشرة العليا اليابسة على البيضة، والأداحي: جمع أدحى، وهو مبيض النعام في الرمل، شبّههم ببيض الأفاعي في الأعشاش، يُظَنّ بيض القطا فلا يُكسر، وحضانه يُخرج شرّاً لأنّه ينقض عن أفعى. واستعار لفظة «الأداحي» للأعشاش مجازاً لأنّ الأداحي لا تكون إلّا للنعام تدحوها بأرجلها وتبيض فيها، ودَحْوها: توسيعها. وكذلك الإنسان الجاهل الجافي صورته الإنسانية تمنع من إتلافه، ولا ينتج الإبقاء عليه إلّا شرّاً، فإنّه بجهله يكون أشدّ ضرراً على الناس من الثعبان بسمه.

(٤) عن أصلهم: أي عنّي بعد مفارقتي.

(٥) «فمنهم آخذ بغصن» أي يكون منهم مَن يتمسّك بمن أُخلّفه بعدي من ذرية الرسول.

(٦) قال: إنّ هؤلاء القوم الثابت على عقيدته فينا وغير الثابت سيجمعهم الله تعالى لشرّ يوم لبني أمية.

قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ[١]؛ يُؤَلِّفُ ٱللّٰهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ ٱلسَّحَابِ[٢]، ثُمَّ يَفْتَحُ ٱللّٰهُ لَهُمْ أَبْوَاباً. يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ[٣] كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ[٤]، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ[٥]، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ[٦]، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ[٧] رَصُّ طَوْدٍ[٨]، وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ[٩]، يُذَعْذِعُهُمُ ٱللّٰهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ[١٠]، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ[١١]، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ[١٢]. وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ[١٣] بَعْدَ ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ[١٤] عَلَى ٱلنَّارِ.

---

(١) القَزَع ـ محرّكاً ـ: القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزَعة ـ بالتحريك ـ.

(٢) الرُّكام: السحاب المتراكم، وركمت الشيء أركُمه، إذا جمعتُه وألقيتُ بعضه على بعض.

(٣) مستثارهم: موضع ثورتهم.

(٤) سيل الجنتين: هو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته، فدمّر جنّاتهم، وحول نعيمهم شقاء.

(٥) قارة: وهي الجُبيل الصغير، وما اطمأن من الأرض.

(٦) الأكمة: التَّلْعَة من الأرض.

(٧) سَنَنه: أي طريقه.

(٨) الطود: الجبل العظيم، والمقصود الجمع. والرصّ: يراد به الارتصاص، أي الانضمام والتلاصق، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال.

(٩) حِدَاب أرض: جمع حَدَبة أو جمع حَدَب ـ بالتحريك ـ، ما غلظ من الأرض في ارتفاع.

(١٠) الذعذعة: التفريق، وذعذعة الشرّ: إذاعته. وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء.

(١١) «ثم يسلكهم ينابيع في الأرض» أي أنهم يسرّون دعوتهم وينفثونها في الصدور حتى تثور ثائرتها في القلوب كما تفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك في قيام الهاشميين على الأمويين في زمن مروان الحمار.

(١٢) أي يفرّقهم الله تعالى في بطون الأودية وغوامض الأغوار، ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ من قوم حقوق آخرين، ويمكّن منهم قوماً من ملك قوم وديارهم.

(١٣) الضمير في أيديهم لبني أمية.

(١٤) الألية: الشحمة.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ ٱلتِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً(١)، بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ ٱلأَدْنَى(٢)، وَوَصَلْتُمُ ٱلأَبْعَدَ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ ٱلدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ ٱلاِعْتِسَافِ(٣)، وَنَبَذْتُمُ ٱلثِّقْلَ ٱلْفَادِحَ عَنِ ٱلأَعْنَاقِ(٤).

١٦٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في أوّل خلافته

إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ(٥) تَقْصِدُوا(٦).

(*) رواها الطبري في (تأريخه) ج٥ ص ١٥٧ في حوادث سنة ٣٥.

(١) لَيُضَعَّفَنَّ لكم التيه: يعني الضلال، يضعّفه لكم الشيطان وأنفسكم، ولَتَزادنّ لكم الحيرة أضعاف ما هي لكم الآن.

(٢) الأدنى يعني نفسه، والأبعد يعني معاوية، ويروى: «إن اتبعتم الراعي لكم».

(٣) الاعتساف: سلوك غير الطريق.

(٤) الفادح: الثِّقَل، فدحه الدَّيْن: أثقله.

(٥) اصدفوا عن سَمْتِ الشر: أي أعرضوا عن طريقه، صَدَفَ: أعرَضَ. والسمت: الجهة.

(٦) تقصدوا: أي تعدلوا وتستقيموا، والقصد: العدل.

ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ. إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[1]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِٱلْإِخْلَاصِ وَٱلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[2]. فَٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِٱلْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ[3]. فَإِنَّ ٱلنَّاسَ أَمَامَكُمْ[4]، وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ[5] مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[6].

ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ ٱلْبِقَاعِ وَٱلْبَهَائِمِ. وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

---

(١) غير مدخول: أي لا عيب ولا نقص فيه.

(٢) أي جعل الحقوق مرتبطة بالإخلاص والتوحيد لا تنفك عنه، لأنّ الإخلاص والتوحيد داعيان إلى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم.

(٣) بادره: عاجله، أي عاجلوا أمر العامة بالإصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فإذا انقضى عملكم في شؤون العامة، فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة. وفي تقديم الإمام أمر العامة على أمر الخاصة دليل على أنّ الأول أهم ولا يتم الثاني إلّا به، وهذا ما تضافرت عليه الأدلّة الشرعية وإن غفل عنه الناس في أزماننا هذه. وسمّى الموت الواقعة العامة لأنّه يعمّ الحيوان كلّه، ثم سمّاه خاصة أحدكم لأنّه وإن كان عاماً إلّا أنّ له مع كل إنسان بعينه خصوصية زائدة على ذلك العموم.

(٤) فإنّ الناس أمامكم: أي سبقوكم، وروي: «فإن البأس أمامكم» يعني الفتنة. والرواية الأولى أظهر.

(٥) تحدُوكم: تسوقكم.

(٦) أي إنّما ينتظر ببعث الموتى المتقدّمين أن يموت الأواخر أيضاً، ليبعث الكلّ في وقت واحد.

١٦٨ ـ ومن كلام له عليه السلام*

بَعْدَ مَا بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ:

«لَوْ عَاقَبْتَ قَوْماً مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عُثْمَانَ؟[١]» فَقَالَ عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ[٢]، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَا هُمْ هؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ[٣]، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ[٤] يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ!

إِنَّ هذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً[٥]. إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هذَا ٱلْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هذَا وَلَا هذَا، فَٱصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ ٱلنَّاسُ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمَحَةً[٦]؛ فَٱهْدَءُوا عَنِّي[٧]، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً[٨]،

(*) رواه الطبري في (تأريخه) ج ٥ ص ١٥٨ حوادث سنة ٣٥.

---

(١) أجلب عليه: أعان عليه.

(٢) على حد شوكتهم: شدتهم أي لم تنكسر سَوْرتهم.

(٣) العِبْدان: جمع عَبْد.

(٤) وهم خِلالكم: أي بينكم. يسومونكم ما شاؤوا: يكلّفونكم.

(٥) مادة: أي عوناً ومَدَداً.

(٦) مسمحة: اسم فاعل من أسمح، أي ذلّ وانقاد، أو جاد وكرم، كأنّها لتيسرها عند القدرة تجود عليه بنفسها فيأخذها متيسرة.

(٧) فاهْدَءُوا عنّي: أي فاسكتوا.

(٨) ضعضعه: هدمه حتى الأرض.

وَتُسْقِطُ مُنَّةً[1]، وَتُورِثُ وَهْناً[2] وَذِلَّةً. وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ[3]

١٦٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ إِلَى الْبَصْرَةِ

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ، وَأَمْرٍ قَائِمٍ[4]، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ[5]. وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ[6] الْمُشَبَّهَاتِ[7] هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا. وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ[8]، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ[9] وَلَا مُسْتَكْرَهٍ

(*) رواها الطبري في (تأريخه) ج٦ ص ١٦٣.

---

(١) المُنّة: القوة والقدرة.

(٢) الوهن: الضعف.

(٣) «فآخر الدواء الكي» أي الحرب، لأنّها الغاية التي ينتهي أمر العصاة إليها، وهم طلحة والزبير وقد سارا الى البصرة.

(٤) أمرٌ قائم: أي مستقيم ليس بذي عَوَج.

(٥) إلا من كان في طبعه عوج جُبِلَ عليه فحتّم عليه الشقاء الأبدي.

(٦) المبتَدعات: ما أُحدث ولم يكن على عهد الرسول.

(٧) المشبَّهات: التي تشبه السُّنن وليست منها، أي المشبهات بالسُّنن، وهي البِدَع الملبسة ثوب الدين، المشبهة به، هي المهلكة إلّا أن يحفظ الله منها بالتوبة. ورُوي «المشبِّهات» بالكسر، أي المشبِّهات على الناس. ويروى: «المشتبهات» أي الملتبسات، لا يُعرف حقُّها من باطلها.

(٨) أي مَنْ عصمه الله بالطاف يمتنع لأجلها عن الخطأ.

(٩) ملوّمة: من لَوّمَهُ، مبالغة في لامه، أي غير ملوم عليها بالنفاق. ويروى: «غير ملويّة» أي معوجة، من لَوَيْتُ العود.

بِهَا[1]. وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلامِ، ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبداً، حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ[2].

إِنَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي[3]، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هذَا الرَّأْيِ[4] انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ[5]، فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ[6].

١٧٠ ـ ومن كلام له عليه السلام *

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، لَمَّا قَرُبَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْهَا، لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ؛ فَبَيَّنَ لَهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «بَايِعْ»، فَقَالَ: «إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ، وَلا أُحْدِثُ حَدَثاً حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ»، فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ

(*) رواه الطبري في (تأريخه) في حوادث سنة ٣٦، الزمخشري في (ربيع الأبرار) باب الجوابات المسكتة.

---

(١) ولا مستكره بها: أي ليست عن استكراه.

(٢) أي حتى ينقبض وينضمّ ويجتمع، ويأرز: يرجع.

(٣) وقد تمالأوا: قد اجتمعوا، وتساعدوا على سَخْطة إمارتي: على كراهيتها وبغضها. والسّخطة: الكراهة وعدم الرضا، والمراد من هؤلاء من انتقض عليه من طلحة والزبير والمنضمين إليهما.

(٤) فيالة الرأي ـ بالفتح ـ: ضعفه، ورجلٌ فِيلُ الرأي: أي ضعيفه.

(٥) أفاءها عليه: أرجعها إليه، وردّها عليه، فاء يفيء: رجع.

(٦) النّعْش: مصدر نعش أي رفع، ولا يجوز: «أنعش».

بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ[1]، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ[2]، فَخَالَفُوا إِلَى ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ[3] مَا كُنْتَ صَانِعاً؟

قَالَ: «كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ». فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَٱمْدُدْ إِذاً يَدَكَ».

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: «فَوَاللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وَٱلرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ ٱلْجَرْمِيِّ[4].

١٧١ - ومن كلام له عليه السلام *

لَمَّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ ٱلْقَوْمِ بِصِفِّينَ

ٱللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ[5]، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ[6]، ٱلَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ

(*) ذكره ابن مزاحم في كتابه (صِفّين) ص ٢٣٢، والطبري في (تأريخه) في حوادث سنة ٣٧.

---

(١) مساقط الغيث: المواضع التي يسقط الغيث فيها.

(٢) الكلأ: النبت إذا طال وأمكن أن يُرعى، وأول ما يظهر يسمى الرُّطَب، فإذا طال قليلاً فهو الخلا، فإذا طال فهو الكلأ، فإذا يبس فهو الحشيش.

(٣) المعاطش والمجادب: مواضع العطش والجدب، وهو المحْل. ولا شيء ألطفُ ولا أوضح من المثال الذي ضربه ﷺ، وهو حجّة لازمة لا مدفع لها.

(٤) الجرميّ: منسوب إلى بني جَرْم بن رَبّان، من حِمْيَر.

(٥) السقف المرفوع: السماء.

(٦) الجو المكفوف: السماء أيضاً، والمكفوف اسم مفعول من «كَفَّه» إذا جمعه وضمّ بعضه إلى بعض. والجو: ما بين الأرض والأجرام العالية. وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه، ولا يعد جنسه. وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجويّة، ولكنها مكفوفة عن الأرض، لا تسقط عليها حتى يريد الله إحداث أمر فيها. والكلام الآتي صريح في أنّ الكواكب السيارة، كالشمس والقمر، تختلف أي يخلف بعضها بعضاً في الجو فهو مجال سيرها، وميدان حركاتها.

وَٱلنَّهَارِ[1]، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ؛ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[2] مِنْ مَلاَئِكَتِكَ، لاَ يَسْأَمُونَ[3] مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَٱلأَنْعَامِ، وَمَا لاَ يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى؛ وَرَبَّ ٱلْجِبَالِ ٱلرَّوَاسِي ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ ٱعْتِمَاداً[4]، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا ٱلْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ[5]؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَٱرْزُقْنَا ٱلشَّهَادَةَ، وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ. أَيْنَ ٱلْمَانِعُ لِلذِّمَارِ[6]، وَٱلْغَائِرُ[7] عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ[8] مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ[9]! ٱلْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ[10]!

---

(١) «جعلته مغيضاً لليل والنهار»: أي غَيْضة لهما، وهي في الأصل الأَجَمة يجتمع إليها الماء، فتسمّى غَيْضة ومغيضاً وينبت فيها الشجر، كأنّه جعل الفَلَك كالغَيضة، والليل والنهار كالشجر النابت فيها. ووجه المشاركة أنّ الغيضة أو المغيض يتولّد منهما الشجر، وكذلك الليل والنهار يتولّدان من جَرَيان الفَلَك، أو جعلته مغيضاً: من غاض الماء إذا نقص، كأنّ هذا الجو منبع الضياء والظلام، وهو مغيضها كما يغيض الماء في البئر.

(٢) السبط: أي القبيلة أو الأمّة.

(٣) لا يسأمون: لا يملّون.

(٤) اعتماداً: أي معتمداً، أي ملجأ يعتصمون بها إذا طردتهم الغارات من السهول، وكما هي كذلك للإنسان هي أيضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها، لأنّهم يجعلونها كالمساكن لهم، ولأنّها أُمهات العيون ومنابع المياه باعتماد الخَلْق على مرافقهم ومنافعهم عليها.

(٥) سدّدنا للحق: أي صوّبنا إليه، من قولهم: «سهم سديد» أي مصيب.

(٦) الذِّمار: ما يحامى عنه، وما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته.

(٧) الغائر: ذو الغَيْرة، من غار على امرأته أو قريبته لئن يمسّها أجنبي.

(٨) نزول الحقائق: نزول الأُمور الشديدة كالحرب ونحوها، والحقائق: وصف لا اسم، يريد النوازل الثابتة التي لا تندفع بل لا تقلع إلّا بملزمات الهمم.

(٩) الحفاظ: الوفاء ورعاية الذمم، و«من أهل الحفاظ» بيان للمانع والغائر.

(١٠) العار وراءكم: أي إن رجعتم القهقرى هاربين، والجنّة أمامكم إن أقدمتم على العدو مجاهدين.

١٧٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في مَنْ رَمَاهُ بِالْحِرْصِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي لاَ تُوَارِي سَمَاءٌ(١) عَنْهُ سَمَاءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً(٢).

مِنْهَا: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هٰذَا اَلْأَمْرِ يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ(٣)، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاَللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ(٤). فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ(٥) بِالْحُجَّةِ فِي اَلْمَلَإِ اَلْحَاضِرِينَ هَبَّ(٦) كَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

(*) ذكرها الطبري في (المسترشد) ص ٨٠

(١) لا تواري: لا تَحْجُب.

(٢) هذا الكلام يدل على إثبات أرضين بعضها فوق بعض، كما أنّ السماوات كذلك، ويمكن تأويل كلامه عليه السلام مع الرأي الآخر القائل بأنها أرض واحدة بأن يقال: إنّها أرضٌ واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة.

(٣) هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى وبعد مقتل عمر، والذي قال له: «إنّك على هذا الأمر لحريص» سَعْد بن أبي وقاص، مع روايته فيه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وهذا عجيب. وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر.

(٤) ضَرْب الوجه: كناية عن الردّ والمنع.

(٥) وروي: «فلما قَرَعته» بالتخفيف [كما عند عبده]، أي صدمته بها، من قرعه بالعصا ضربه بها.

(٦) [في نسخة عبده والصالح] هَبَّ: من هبيب التيس، أي صياحه، أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنّه مخبول لا يدري ما يقول، كما تقول: استيقظ وانتبه، كأنّه كان غافلاً ذاهلاً عن الحجة فهبّ لمّا ذكرتُها.

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ(١) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي(٢)، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ(٣).

مِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللَّهِ(٤) ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَمَا تُجَرُّ ٱلْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى ٱلْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللَّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا(٥)، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي ٱلطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِٱلْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى

---

(١) استعديك: أطلب أن تُعديَني عليهم وأن تنصف لي منهم. [وفي نسخة عبده: أستعينك] أي أستنصرك وأطلب منك المعونة.

(٢) قطعوا رحمي: لم يرعَوْا قربه من رسول الله ﷺ.

(٣) قال: لم يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن الدعوى، ولكنّهم أخذوه وادّعوا أنّ الحقّ لهم وأنّه يجبُ عليّ أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوه معترفين بأنّه حقّي، فكانت المصيبة به أخفّ وأهون، أو يريد: أنّهم اعترفوا بفضله، وأنّه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق أن يأخذه، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره، عقدوا له الأمر، وقالوا للإمام: «في الحق أن تتركه»، فتناقض حكمهم بالحقيّة في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلّا لمن توفرت فيه شروطه. واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه ﷺ بنحوٍ من هذا القول، نحو قوله: «ما زلتُ مظلوماً منذ قبضَ الله رسولَه حتى يوم الناس هذا»، وقوله: «اللّهمّ أخزِ قريشاً فإنّها منعتني حقّي وغصبتني أمري»، وقوله وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: «هلمّ فلنصرُخْ معاً، فإنّي ما زلتُ مظلوماً».

(٤) حُرمة رسول الله ﷺ كناية عن الزوجة، وكذلك حبيس رسول الله ﷺ.

(٥) حبيس: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأمّ المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنّها في حياته.

عَامِلِي بِهَا، وَخُزَّانِ[1] بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا. فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[2]، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَٱللّٰهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ[3]، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ[4]!

١٧٣ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي رَسُولِ اللّٰهِ والأَجْدَرِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللّٰهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ[5]، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ ٱلْإِمَامَةُ لَا

(*) أورد بعض هذا الكلام أبو جعفر الإسكافي في رسالته (نقض العثمانية)، وابن شعبة في (تحف العقول).

---

(١) خزان: جمع خازن.

(٢) قتلوهم صَبْراً: أي بعد الأسر، والقتل صبراً: أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت.

(٣) معتمدين: قاصدين.

(٤) قوله: «دع ما أنهم ...» أي لم يحل لي قتلهم بقتل مسلم واحد عمداً، فدع من أعمالهم ما زاد على ذلك، وهو أنهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم فذلك مما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم، و«ما» مثل «لو» في قولهم يعجبني لو أنّ فلاناً يتكلم، ومثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّه لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فهي زائدة أو مساعدة على سبك الجملة بالمصدر.

(٥) الشغب: تهييج الفساد. واستعتب: طلب منه الرضا بالحق.

تَتَعَهَّدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ ٱلنَّاسِ. فَمَا إِلَى ذَٰلِكَ سَبِيلٌ، وَلَٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ[1]، وَآخَرَ مَنَعَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ[2].

أُوصِيكُمْ ـ عِبَادَ ٱللَّهِ ـ بِتَقْوَى ٱللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللَّهِ. وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ[3]، وَلَا يَحْمِلُ هَٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَٱلصَّبْرِ[4] وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ ٱلْحَقِّ. فَٱمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[5].

أَلَا وَإِنَّ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمُ ٱلَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ، وَلَا ٱلَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى ٱلدَّارِ ٱلَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا؛ وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ

---

(١) كمن يدعي الخلافة لنفسه.

(٢) كمَن يمتنع من الطاعة.

(٣) أهل القِبْلَة: من يعتقد بالله، وصدّق ما جاء به محمد ﷺ، ويصلي معنا إلى قبلة واحدة.

(٤) أي لا يحمل علم الحرب ورايتها، لقتال أهل القبلة إلّا أهل العقل والمعرفة بالشرع، وهم الإمام ومن معه، أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله.

(٥) أي إذا اتفق أهل الحل والعقد، من المسلمين، على إنكار شيء، عدلنا إلى حكمهم وغيرنا حكمنا متى كان اتفاقهم لا يخالف نصاً شرعياً، أي لستُ كعثمان أُصرّ على ارتكاب ما أُنهى عنه، بل أُغيّر كلّ ما ينكره المسلمون، ويقتضي الحال والشرع تغييرَه. فالغِير ـ بكسر ففتح ـ: اسم للتغيير أو التغيّر.

ٱلْأَمَةِ[1] عَلَى مَا زُوِيَ[2] عَنْهُ مِنْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ بِٱلصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ ٱللَّهِ، وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ ٱللَّهُ بِقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ!

١٧٤ - ومن كلام له عليه السلام (*)

فِي مَعْنَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ ٱللَّهِ

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِٱلْحَرْبِ[3]، وَلَا أُرَهَّبُ بِٱلضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ ٱلنَّصْرِ. وَٱللَّهِ مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ[4] إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ[5]، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ ٱلْأَمْرُ[6]، وَيَقَعَ ٱلشَّكُّ. وَوَٱللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً

(*) رواه الطوسي في (الأمالي) ص ١٧٢، وفسّر ابن الأثير في (النهاية) غريبَ هذه الخطبة.

(١) الخنين: صوت يخرجُ من الأنف عند البكاء، وأضافه إلى الأمة، لأنّ الإماء كثيراً ما يُضرَبْن فيبكين، ويسمع الخنين منهنّ، ولأنّ الحرة تأنف من البكاء والخنين.

(٢) زُوِيَ: قُبِضَ.

(٣) أي خُلِقْتُ ووجدتُ وأنا بهذه الصفة، كما تقول: خلقني الله وأنا شجاع.

(٤) يشرح حالَ طلحة. ومتجرداً: كأنّه سيف تجرّد من غمده.

(٥) أحرص عليه: أي على دم عثمان، بمعنى سفكه.

(٦) يلبس: رباعي من قولهم «أمر ملبس» أي مشتبه، ويَلتبِس أي يشتبه.

مِنْ ثَلاثٍ[1]: لَئِنْ كَانَ آبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ[2]، وَأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ آلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ[3]، وَآلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ[4]. وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ آلْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، وَيَرْكُدَ جَانِباً[5]، وَيَدَعَ آلنَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ آلثَّلاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

١٧٥ ـ من خطبة له عليه السلام*

فِي الْمَوْعِظَةِ

أَيُّهَا آلْغَافِلُونَ غَيْرُ آلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَآلتَّارِكُونَ آلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ[6]. مَا لِي أَرَاكُمْ

(*) رواها الآمدي في (الغرر) ص ١٩١ في حرف اللام بلفظ «لو».

(١) قسّم حالَ طلحة، الى ثلاثة أقسام: إمّا أنّه كان يعتقد حلّ دم عثمان، فلِمَ ينصر إنساناً حلال الدم، وإمّا أنّه كان يعتقد حرمته فكان يجب أن ينهنِهَ عنه الناس، أي يكفّهم، وإن كان شاكّاً، فقد كان يجب عليه أن يعتزل الأمر.

(٢) يوازر: ينصر ويعين. والمنابذة: المراماة، والمراد المعارضة والمدافعة، مراده ﷺ أنه إن كان عثمان ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله، يحامي عنهم، ويمنعهم ممّن يروم دماءهم ومعلوم أنه لم يفعل ذلك، وإنّما وازرهم حيث كان عثمان محصوراً.

(٣) نهنه عن الأمر: كفّه وزجره عن إتيانه.

(٤) المعذرين فيه: المعتذرين عنه فيما نقم منه.

(٥) ويَرْكُد جانباً: يسكن في جانب عن القاتلين والناصرين.

(٦) التاركون: أي يتركون الواجبات. ومعنى الأخذ منهم انتقاصُ أعمارهم ـ تطويها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة ـ وانتقاص قواهم، واستلاب أحبابهم وأموالهم. فالمأخوذ منهم صفة للتاركين.

عَنِ ٱللّٰهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ(١) أَرَاحَ بِهَا(٢) سَائِمٌ(٣) إِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ(٤)، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٥)، وَإِنَّمَا هِيَ كَٱلْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى(٦)، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا(٧)، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا(٨). وَٱللّٰهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ(٩) وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(١٠). أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ(١١). وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ، وَٱصْطَفَاهُ عَلَى ٱلْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً،

---

(١) النَّعَم ـ محركه ـ: الإبل أو هي والغنم.

(٢) أراح بها: ذهب بها، وأصل الإراحة: الانطلاق في الريح، فاستعمله في مطلق الانطلاق.

(٣) السائم: الراعي، وسائمة، أي راعية، وذلك أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يُسيمُها راعيها.

(٤) المرعى الوبيّ: ذو الوَباء والمرض.

(٥) المشرب الدَّويّ: ذو الداء الوبيل بفسد الصحة، أصله من الدوا ـ بالقصر ـ أي المرض.

(٦) المُدَى: جمع مُدْيَة، وهي السّكين، أي معلوفة للذبح لا تعرف ماذا يُراد بها، وتظنّ أنّ ذلك العلف إحسان إليها على الحقيقة.

(٧) تحسب يومها دهرها: أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً لما بعد يومها، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع، وتظن أنّ ذلك العلف والإطعام كما هو حاصلٌ لها ذلك اليوم يكون حاصلاً لها أبداً. وهذا كلام كأنّه ثوب فصل على أقدار أهل هذا الزمان.

(٨) شبعها أمرها: أي تظن أنّه ليس أمرُها وشأنُها إلّا أن يطعمها أربابُها لتشبع وتحسُن وتسمن، ليس يريدون بها غير ذلك.

(٩) بمخرجه: أي من أين يخرج، وأين يلج: أي يدخل.

(١٠) أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تُفَضّلوني على رسول الله ﷺ، بل أخاف أن تدّعوا فيّ الإلهية، كما ادّعته النصارى في المسيح.

(١١) مفضيه: أصله من «أفضى إليه» خلا به، والمراد أنّي موصله إلى أهل اليقين ممن لا تُخشى عليهم الفتنة.

وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنِّي وَٱللّٰهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

١٧٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

فِي النَّهْيِ عَنِ البِدْعَةِ

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللّٰهِ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللّٰهِ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللّٰهِ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِٱلْجَلِيَّةِ(١)، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا(٢)، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ ٱلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِٱلْمَكَارِهِ، وَإِنَّ ٱلنَّارَ حُفَّتْ بِٱلشَّهَوَاتِ».

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللّٰهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ(٣)، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ

(*) روى بعض هذه الخطبة الزمخشري في (ربيع الأبرار) باب الجوابات المسكتة، والكليني في (الكافي) ج ٢ ص ٤٤٣، والبرقي في (المحاسن) في كتاب الأشكال والقرائن.

---

(١) أعذر إليكم: أوضح عذره في عقابكم إذا خالفتم أوامره. بالجليّة: أي بالأعذار الجلية، والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الإلهية.

(٢) محابه من الأعمال: أي الطاعات التي يحبها. ومكارهه منها: أي القبائح التي يكرهها منهم.

(٣) أي لا شيء من طاعة الله إلا وفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه، ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيواني فتشتهي النفوس إتيانه.

شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱمْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ[1]، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ[2]، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلنَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً[3] وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوىً.

وَٱعْلَمُوا ـ عِبَادَ ٱللّٰهِ ـ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ[4]، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا[5]، وَمُسْتَزِيداً لَهَا[6]. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ. قَوَّضُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا تَقْوِيضَ ٱلرَّاحِلِ[7]، وَطَوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي لَا يَغُشُّ، وَٱلْهَادِي ٱلَّذِي لَا يُضِلُّ، وَٱلْمُحَدِّثُ ٱلَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدىً، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمىً.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[8]، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنىً، فَٱسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ[9]، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنَ

---

(١) نزع عنه: انتهى وأقلع، فإن عُدّي بإلى كان بمعنى اشتاق.

(٢) قمع هَوَى نفسه: أي قهره.

(٣) أبعد منزعاً: أي نزوعاً بمعنى الانتهاء، والكف عن المعاصي.

(٤) الظَّنُون: البئر التي لا يدرى أفيها ماء أم لا، فالمؤمن لا يصبح ولا يمسي إلّا وهو على حَذَرٍ من نفسه، غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها، ولا يثق بنفسه إذا وسوست له بأنّها أدّت حقّ ما فرض عليها.

(٥) زارياً عليها: عائباً.

(٦) مستزيداً: طالباً لها الزيادة من طيبات الأعمال.

(٧) التقويض: نزع أعمدة الخيمة وأطنابها، والمراد أنّهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره، أي مراحله ومسافاته.

(٨) أي فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة.

(٩) اللأواء: الشِّدّة.

أَكْبَرِ ٱلدَّاءِ: وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ، وَٱلْغَيُّ وَٱلضَّلَالُ. فَٱسْأَلُوا ٱللَّهَ بِهِ(١)، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ. وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ(٢)، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ(٣). فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ(٤) وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَٱسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ(٥)، وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ(٦)، وَٱسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

ٱلْعَمَلَ ٱلْعَمَلَ، ثُمَّ ٱلنِّهَايَةَ ٱلنِّهَايَةَ، وَٱلِاسْتِقَامَةَ ٱلِاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ ٱلصَّبْرَ ٱلصَّبْرَ، وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ! إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ(٧). وَإِنَّ لَكُمْ عَلَمًا فَٱهْتَدُوا

---

(١) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه، وأقبلوا داعي الله بالرغبة في اقتفاء هديه، وهو المراد من حبه، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله.

(٢) شفاعة القرآن: نطق آياته بانطباقها على عمل العامل.

(٣) مَحَلَ به ـ مثلث الحاء ـ: كاده بتبيين سيئاته عند السلطان، وقال عنه ما يضرّه، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله، كأنه جعل القرآن يَمْحَل يوم القيامة عند الله بقوم، أي يقول عنهم شرّاً، ويشفع عند الله لقوم، أي يثني عليهم خيراً.

(٤) الحارث: المكتسب، والحرْث: الكسب. وحَرَثة القرآن: المتاجرون به إلى الله.

(٥) أي إذا أشار عليكم بأمر وأشارت عليكم أنفسكم بأمر يخالفه فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم.

(٦) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشّوا أهواءكم، أي ظنّوا فيها الغش، وارجعوا إلى القرآن.

(٧) المراد بالنهاية والغاية أن يموت الإنسان على توبة من فعل القبيح والإخلال بالواجب.

بِعَلَمِكُمْ[1]، وَإِنَّ لِلإِسْلامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ[2]. وَاخْرُجُوا إِلَى ٱللّٰهِ مِمَّا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ[3]، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ[4]. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ[5].

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ ٱلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ[6]. وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللّٰهِ[7] وَحُجَّتِهِ، قَالَ ٱللّٰهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللّٰهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ[8] أَنْ لَا تَخَافُوا، وَلَا تَحْزَنُوا، وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وَقَدْ قُلْتُمْ: ﴿رَبُّنَا ٱللّٰهُ﴾. فَٱسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا[9]، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا[10]، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا[11]، فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ ٱللّٰهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

---

(١) أمرهم بالاهتداء بالعلَم المنصوب لهم، وإنّما يعني نفسه ﷺ، أو يريد به القرآن.

(٢) غايته: هي أداء الواجبات، واجتناب المقبّحات.

(٣) خرج إلى فلان من حقّه: أداه، فكأنّه كان حبيساً في مؤاخذته فانطلق، إلّا أنّ «من حقّه» في العبارة بيان لما افترض، ومعمول «اخرجوا» مقدّر مثله.

(٤) الوظائف: ما قدّر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات والأحوال، كالصوم والصلاة والزكاة.

(٥) لأنّه إذا شهد لهم فكأنّه أثبت لهم الحجّة، فصار محاجّاً عنهم. وحجيج: من حج، إذا أقنع بحجته. والإمام كرّم الله وجهه بعلوّ منزلته من الله يشهد للمحسنين ويقوم بالحجّة عن المخلصين.

(٦) يلمح به إلى الخلافة. تورّد: هو تفعّل كتنزّل، أي ورد شيئاً بعد شيء، والمراد من القضاء الماضي ما قُدّر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث.

(٧) عِدَة الله ـ بكسر ففتح مخفف ـ: هي وعده، أي لا تخرجوا منها.

(٨) تتنزّل عليهم الملائكة: عند الموت، أو في القبر، أو عند النشور.

(٩) لا تمرقوا منها: مرق السهمُ إذا خرج من الرميّة مروقاً.

(١٠) لا تبتدعوا: لا تحدثوا ما لم يأت به الكتاب والسنّة.

(١١) لا تخالفوا عنها: تقول: خالفت عن الطريق، أي عدلتُ عنها.

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ ٱلْأَخْلَاقِ(1) وَتَصْرِيفَهَا(2)، وَٱجْعَلُوا ٱللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْزُنِ ٱلرَّجُلُ لِسَانَهُ(3)، فَإِنَّ هٰذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ(4) بِصَاحِبِهِ، وَٱللّٰهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ. وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ(5)، وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ. لِأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ نَقِيُّ ٱلرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ ٱللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ: وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ ٱلنَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ(6)، وَلٰكِنَّ ٱلْحَلَالَ مَا أَحَلَّ ٱللّٰهُ، وَٱلْحَرَامَ مَا حَرَّمَ ٱللّٰهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلْأُمُورَ

---

(1) تهزيع الأخلاق: تغييرها، وأصل الهَزْع، الكسر، أسدٌ مهزِّع: يكسر الأعناق ويرضّ العظام، وتهزيع الشيء: تكسيره، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه، والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه، فهو نهي عن حطم الكمال بمعول النقص.

(2) تصريف الأخلاق: من صرفته إذا قلبته، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق، وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً.

(3) ليخزُن ـ كينصُر ـ: أي ليحفظ لسانه وليحبسه.

(4) الجموح: من «جمح الفرس» إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه.

(5) لسان المؤمن تابع لاعتقاده، لا يقول إلّا ما يعتقد، والمنافق يقول ما ينال به غايته الخبيثة، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى فيكون قلبه تابعاً للسانه.

(6) البدع التي أحدثها الناس لا تغيّر شيئاً من حكم الله.

وَضَرَّسْتُمُوهَا[١]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتْ ٱلْأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْوَاضِحِ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا أَعْمَى. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللّٰهُ بِٱلْبَلَاءِ وَٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ، وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[٢]، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. فَإِنَّ ٱلنَّاسَ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً[٣]، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ[٤] سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ. وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللّٰهِ ٱلْمَتِينُ[٥]، وَسَبَبُهُ ٱلْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ[٦]، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ[٧]، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ[٨] غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ أَوِ ٱلْمُتَنَاسُونَ[٩]. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَٱذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ: «يَٱبْنَ آدَمَ، ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ[١٠]».

---

(١) ضرّستموها: أي جرّبتموها، ضرّسته الحرب: جرّبته، ورجل مضرّس.

(٢) الإتيان من الأمام: كناية عن الظهور، كأنّ التقصير عدوّ قويّ يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يغر فيأخذه أخذ العزيز المقتدر، عند ذلك يعرف من الحق ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف.

(٣) الشرعة: المنهاج.

(٤) البرهان: الحجّة.

(٥) إنّما جعله حبْل الله، لأنّ الحبل ينجو من تعلّق به من هوّة، والقرآن ينجو من الضلال مَن يتعلّق به. وجعله متيناً ـ أي قويّاً ـ لأنّه لا انقطاع له أبداً، ومتُن الشيء ـ بالضم ـ أي صَلُب وقوِيَ.

(٦) وفيه ربيع القلب: لأنّ القلب يحيا به كما تحيا الأنعام برَعي الربيع.

(٧) ينابيع العلم، لأنّ العلم منه يتفرّع، كما يخرج الماء من الينبوع ويتفرّع إلى الجداول.

(٨) الجِلاء: مصدر جلوْتُ السيف، يقول: لا جِلاء لصدأ القلوب من الغفلات إلّا القرآن.

(٩) وروي «الناسون المتناسون» [كما أثبتها عبده في المتن].

(١٠) الجواد القاصد: السهل السيْر، لا سريع يتعَب بسرعته، ولا بطيء يفوتُ الغرض ببطئه، أو جواد قاصد: مستقيم أو قريب من الله والسعادة.

أَلَا وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ. فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُغْفَرُ فَٱلشِّرْكُ بِٱللّٰهِ، قَالَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾. وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ(١). وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً.

ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِٱلْمُدَى(٢)، وَلَا ضَرْباً بِٱلسِّيَاطِ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ(٣). فَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللّٰهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ(٤)، وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ! وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ(٥)، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَٱشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

---

(١) الهنات ـ بفتح الهاء ـ: جمع هَنة ـ محركة ـ: وهي الشيء اليسير والعمل الحقير. والمراد به صغائر الذنوب.

(٢) المُدى: جمع مُدْية، وهي السكّين. والسِياط: جمع سَوْط.

(٣) ولكنّه العذاب الذي يعد الجرح والضرب صغيراً بالنسبة إليه.

(٤) من يحافظ على نظام الأُلفة والاجتماع وإن ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة، وشق عليه ما تكلّفه به من الحق، فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة، وإن نال بذلك حقّاً باطلاً، وشهوة وقتية، فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الأبدي. ومتى كانت الفرقة، عمّ الشقاق وأحاطت العداوات وأصبح كلّ واحد عرضة لشرور سواه، فمحيت الراحة وفسدت حال المعيشة.

(٥) قوله: «لمن لزم بيته» ترغيب في العزلة عن إثارة الفتن واجتناب الفساد، وليس ترغيباً في الكسالة وترك العامة وشأنهم، فقد حثّ أمير المؤمنين في غير هذا الموضع على مقاومة المفاسد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٧٧ - ومن كلام له عليه السلام (*)

في مَعْنَى الْحَكَمَيْنِ

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ(١) عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ(٢)، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ(٣)، فَتَاهَا عَنْهُ(٤)، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا(٥). وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا(٦) وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا(٧)، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

(*) رواه الطبري في (تأريخه) في حوادث سنة ٣٧.

---

(١) الملأ: الجماعة.

(٢) يُجَعْجِعَا: يحبسا نفوسهما وآراءهما عند القرآن، جعجعت: حبست، من جعجع البعير: إذا برك، ولزم الجعجاع: أي الأرض.

(٣) التبع - محرّكاً -: التابع للواحد والجمع.

(٤) فتاها عنه: أي عدلا وضلّا، وتركا الحق على عِلم منهما به.

(٥) الدأب: العادة، [وفي نسخة الصالح: والاعوجاج رأيهما].

(٦) «سوء» مفعول سبق، أي أنّ استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا: لا تحكموا إلّا بالعدل، كان سابقاً على سوء الرأي وجور الحكم، فهما المخالفان لما شُرِط عليهما لا نحن. ويصحّ أن يكون مفعول استثناؤنا، والمعنى أننا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئا رأياً ولا يجورا حكماً، فيقبل حكمهما إلّا أن يجورا ويسيئا.

(٧) والثقة في أيدينا: أي نحن على برهان وثقة من أمرنا، فعبر بالثقة عن الحجّة القوية والسبب المتين في رفض حكمهما.

١٧٨ - ومن خطبة له عليه السلام*

خَطَبَهَا بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ[١]، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ[٢]، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ[٣]، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ[٤]، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ[٥] عَلَى الصَّفَا[٦] وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ[٧] فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ[٨].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ[٩]، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ

(*) رواها ابن شاكر الليثي في (عيون الحكم والوعظ)، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب تبدل الأحوال، وفسّر ابن الأثير في (النهاية) غريب هذه الخطبة.

(١) لا يشغله أمر، لأنّه لا يغيب عنه شيء أصلاً، ولا يعجز عن شيء أصلاً.

(٢) لأنّ كنه ذاته غير معلوم، وإنّما المعلوم منه إضافات أو سُلوب.

(٣) لا يعزب عنه أمرٌ من الأمور، لا يفوته عِلْم شيء أصلاً.

(٤) السوافي: التي تَسفي التراب، أي تَذْرُوهُ، جمع سافية من «سَفَت الريح التراب والورق» أي حملته.

(٥) دبيب النمل: أي حركتها عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس.

(٦) الصفا ـ مقصوراً ـ: جمع صفاة، الحجر الأملس الضخم.

(٧) الذرّ: صغار النمل، ومَقِيلها: محلّ استراحتها ومَبِيتها.

(٨) طَرْف الأحداق: مصدر «طرَف البصر» إذا انطبق أحدُ الجفنين على الآخر. طَرْف الحَدَقة: تحريك جَفْنَيها. والحدقة ـ هنا ـ: العين.

(٩) غير معدول به: غير مسوّىً بينه وبين أحد، عَدَلَ بالله: جعل له مِثْلاً وعَديلاً.

دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ(١)، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ(٢)، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبَى(٣) مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ(٤)، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ(٥) كَرَامَاتِهِ(٦)، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى(٧)، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى(٨).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا(٩)، وَلَا تَنْفَسُ(١٠) بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ(١١) مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا(١٢)، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقِ

---

(١) تكوينه: خَلْقه للخلق جميعاً.

(٢) الدُّخلة: باطن الأمر.

(٣) المجتبى: المصطفى.

(٤) العِيمة ـ بكسر العين ـ: المختار من المال، واعتامَ: أخذها، فالمُعتام: المختار لبيان حقائق توحيده، وتنزيهه.

(٥) العقائل: الكرائم، جمع عقيلة، وهي كريمة كلّ شيء من الناس والإبل وغير ذلك، ويقال للدُّرّة عقيلة البحر.

(٦) الكرامات: ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عاليات.

(٧) أشراط الهدى: علاماته ودلائله.

(٨) الغربيب: الأسود الشديد السواد، وغِربيبُ الشيء: أشدّه سواداً، فغربيب العمى: أشدّ الضلال ظلمةً، ويُجلى به غربيب العمى: تُكشَفُ به ظُلَم الضلال.

(٩) المخلِد: الراكن والمائل إليها، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

(١٠) تَنفَس: تضنّ، أي لا تضنّ الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفائسه ولا تحرص عليه، بل تهلكه.

(١١) نعمة غضّة: أي طريّة ناضرة، والغضّ: الناضر.

(١٢) اجترحوها: أي اكتسبوها، واجترحَ الذنبَ: اكتسبه وارتكبه.

مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ[1] مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ[2]، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ[3]، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ[4]، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ[5] إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ. وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ[6]، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ.

١٧٩ ـ ومن كلام له عليه السلام *

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلِبُ الْيَمَانِيُّ[7] فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟» فقال عليه السلام: «أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى!»[8] فقال: «وَكَيْفَ تَرَاهُ؟» فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ،

(*) رواه ابن الجوزي في (التذكرة) ص ١٥٧، والمفيد في (الإرشاد) ص ١٣١، و(الاختصاص) ص ٢٣٦.

(١) الوَلَه: كالتحيّر يحدث عند الخوف أو الوجد.

(٢) الشارد: الذاهب.

(٣) أي في أمر جاهليّة لغَلَبة الضلال والجهل على الأكثرين منهم، فكنّى بالفترة عن جهالة الغرور، او أراد في فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً على انحطاط هممكم وتباطئكم عن جهاد عدوكم

(٤) خَطَب بهذه الخطبة في أول خلافته، والأُمور التي مالوا فيها عليه: اختيارهم عثمان وعدولهم عنه يوم الشورى.

(٥) ولئن رُدّ عليكم أمركم: أي أحوالكم التي كانت أيام رسول الله ﷺ من صلاح القلوب والنيّات إنكم سعداء.

(٦) الجُهد ـ بالضم ـ: الطاقة، ثم قال: لو شئت لذكرتُ سبب التحامل عليّ وتأخري عن غيري، ولكنّي لا أشاء ذلك، ولا أستصلح ذكره.

(٧) الذِّعلب في الأصل: الناقة السريعة، ثم نُقل فسمّي به إنسان.

(٨) «أفأعبد ما لا أرى» مقام رفيع لا يصلح أن يقوله غيره ﷺ، ثم قال: إنها رؤية البصيرة، لا رؤية البصر. وروي «لا تراه العيون بمشاهدة العيان» (كما أثبته عبده في المتن).

وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ. قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ[1]، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بِلَا رَوِيَّةٍ[2]، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ[3]، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ[4]. لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْخَفَاءِ[5]، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْجَفَاءِ[6]، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِٱلْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِٱلرِّقَّةِ. تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ[7]، وَتَجِبُ ٱلْقُلُوبُ[8] مِنْ مَخَافَتِهِ.

١٨٠ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في ذمّ العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ٱبْتِلَائِي[9] بِكُمْ أَيَّتُهَا

(*) رواها ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات)، والطبري في (تأريخه) حوادث سنة ٣٨.

---

(١) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص السواد. وذات الله مبرأة من المادة وخواصها، فنسبة الأشياء إليها سواء وهي في تعاليها، فهي مع كلّ شيء وهي أعلى من كلّ شيء، فالبُعد بُعْدُ المكانة من التنزيه.

(٢) الرَوِيَّة: الفكرة يرتئي الإنسان بها ليصدر عنه ألفاظ سديدة دالّة على مقصده.

(٣) بلا هِمّة: أي بلا عَزْمٍ والهِمّة: الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجرّ نقصاً وأوجب هماً وحزناً.

(٤) الجارحة: العضو البدني.

(٥) لأنّ العرب إذا قالوا لشيء: إنّه لطيف، أرادوا أنّه صغير الحجم. والباريء تعالى لطيف لا بهذا الاعتبار بل باعتبار أنّه لا يُرى لعدم صحّة رؤية ذاته، وباعتبار أنّه لطيفٌ بعباده.

(٦) الجفاء: الغِلَظ والخشونة.

(٧) تعنو الوجوه: أي تخضع وتذلّ.

(٨) تجبُ القلوب. أي تخفق، ووَجَبَ القلب يجب وَجِيباً ووَجَباناً: خفق واضطرب، وأصله من وَجَبَ الحائط: أي سقط. ويروى: «توجل القلوب» أي تخاف، وَجِلَ: خاف.

(٩) ويروى: «على ما ابتلاني».

ٱلْفِرْقَةُ ٱلَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ. إِنْ أُهْمِلْتُمْ خُضْتُمْ[1]، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ[2]، وَإِنِ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ[3] إِلَى مُشَاقَّةٍ[4] نَكَصْتُمْ[5]. لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ[6]! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ ٱلْمَوْتُ أَوِ ٱلذُّلُّ لَكُمْ[7]! فَوَٱللّٰهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي -وَلَيَأْتِيَنِّي- لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[8]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ[9].

لِلّٰهِ أَنْتُمْ[10]! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ! وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ[11]! أَوَ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ

---

(١) أُهمِلتم: خُلّيتم وتركتم، ويروى: «أُمْهِلتم» [كما في نسخة عبده والصالح] أي أُخّرتم، وخُضْتُم أي في الكلام الباطل.

(٢) خُرْتُم: أي ضعفتم وجبنتم، والخَوَرُ: الضعف. ويجوز أن يكون «خرتم» أي صحتم، كما يخور الثور، ومنه قوله تعالى: ﴿عِجلاً جَسَداً له خُواراً﴾ [طه: ٨٨] ويروى: «جُرْتُم» أي عدلتم عن الحرب فراراً.

(٣) أُجِئْتُم: أُلجئتم.

(٤) المشاقة: المقاطعة والمصارمة، والمراد بها الحرب.

(٥) نكصتم: أحجمتم ورجعتم القهقرى.

(٦) المعروف في التقريع: لا أبا لكم، ولا أبا لك، وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله، فتلطّف الإمام بتوجيه الدعاء أو الذمّ لغيرهم.

(٧) دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، الموت أو الذل، لأنّه نظير الموت في المعنى ولكنّه دونه في الصورة.

(٨) القِلى: البغض، وقالٍ: أي كاره.

(٩) غير كثير بكم: أي أنّي أفارق الدنيا وأنا في قلّة من الأعوان، وإن كنتم حولي كثيرين، ويدل عليه قوله فيما بعد «لله أنتم».

(١٠) لله أنتم: أي لله سعيكم أو عملكم.

(١١) الحميّة: الأنفة. وشحذتُ النصل: أحددته.

مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ ٱلطَّغَامَ[1] فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ[2] وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ -وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلَامِ[3] وَبَقِيَّةُ ٱلنَّاسِ- إِلَى ٱلْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ! إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ[4]، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ ٱلْمَوْتُ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ[5]، وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ[6]، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ[7]، لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ[8]، أَوِ ٱلنَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!

وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ[9] مِنَ ٱلْجَهْلِ بِٱللّٰهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ[10]!

---

(١) الجُفاة: جمع جافٍ، أي غليظ. والطَّغام ـ بالفتح ـ: أراذل الناس.

(٢) المعونة: ما يعطى للجند لإصلاح السلاح، وعلف الدواب، زائداً على العطاء المفروض والأرزاق المعيَّنة لكلٍّ منهم.

(٣) التريكة: بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها، والمراد أنتم خلف الإسلام وعوض السلف.

(٤) يريد أنّه لا يوافقكم مني شيء لا ما يرضى ولا ما يسخط.

(٥) دارستكم الكتاب: أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً.

(٦) فاتحتكم: مجردّة فتح بمعنى قضى، فهو بمعنى قاضيتكم: أي حاكمتكم. والحِجاج: المحاجة، أي قاضيتكم عند الحجّة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام، وعرفتكم الحق الذي كنتم تجهلونه، وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجّونه وتطرحونه.

(٧) مججْتُ الشراب من فمي: أي رميت به، يقول: ما كانت عقولكم تنفر عنه من الأمور الدينيّة أوضحته لكم حتى عرفتموه.

(٨) «لو» للتمني كأنّه يقول ليت الأعمى...

(٩) «أقرِبْ بقومٍ» أي ما أقربهم من الجهل! كما قال تعالى: ﴿أسمِعْ بهم وأبصِر﴾ [الكهف: ٢٦].

(١٠) ابن النابغة: عمرو بن العاص.

١٨١ ـ ومن كلام له عليه السلام *

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ * قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ ﷺ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: «أَأَمِنُوا[١] فَقَطَنُوا[٢]، أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا»[٣]؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ[٤]! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ[٥]، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ[٦]، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ[٧]، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى[٨]،

(*) رواه الطبري في (تأريخه) ج ٦ ص ٦٥، في حوادث سنة ٣٨.

---

(١) أمنوا: اطمأنوا.

(٢) قطنوا: أقاموا، قَطَن الرجلُ بالمكان، يقطُنُ ـ بالضمّ ـ: أقام به وتوطّنه، فهو قاطن، والجمع قُطّان.

(٣) ظَعَنوا: رحلوا.

(٤) قيل سُميت ثمود لقلّة مائها، من الثَّمَد وهو الماء القليل.

(٥) أُشرعت: سُدِّدت وصُوِّبت نحوهم، أشرعتُ الرمح الى زيد، أي سدّدته نحوه.

(٦) صبّت السيوفُ على هاماتهم: استعارة من صَبَبْتُ الماء، والهامات: الرؤوس.

(٧) استفلّهم الشيطان: وجدهم مَفْلولين، فاستزلّهم، أو دعاهم للتفلّل وهو الانهزام عن الجماعة، هكذا فسروه، ويمكن عندي أن يريد أنّه وجدهم فلّاً، لا خير فيهم، والفلّ في الأصل: الأرض لا نبات بها لأنّها لم تُمطَر. ويروى: «استفزّهم»، أي استخفّهم.

(٨) حَسْبُهم بخروجهم: كافيهم من الشر خروجهم... والباء زائدة، وإن جعل حسب اسم فعل بمعنى اكتف كانت الباء في موضعها أي فليكتفوا من الشرّ والخطيئة بذلك فهو كفيل لهم بكل شقاء.

---

* القوم المذكورون هنا هم الخريت بن راشد الناجي وأصحابه من بني ناجية.

وَٱرْتِكَاسِهِمْ فِي ٱلضَّلَالِ وَٱلْعَمَى[1]، وَصَدِّهِمْ[2] عَنِ ٱلْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ[3].

١٨٢ـ ومن خطبة له عليه السلام *

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ[4]، قالَ خَطَبَنَا بِهٰذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ، وَهُوَ قَائِمٌ على حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيُّ[5]، وعليه مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ[6]، وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِن لِيفٍ. وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ[7] فقالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ ٱلْخَلْقِ[8]، وَعَوَاقِبُ ٱلْأَمْرِ! نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ

(*) روى الزمخشري بعضها في (ربيع الأبرار) باب التفاضل والتفاوت، والليثي في (عيون الحكم والمواعظ).

---

(١) الارتكاس في الضلال: الرجوع والانقلاب والانتكاس.

(٢) صدّهم: أعرضهم.

(٣) الجماح في التّيه: الغلوّ والإفراط، مستعار من جماح الفرس، وهو أن يغلب الفرس راكبه، والمراد تعاصيهم في التيه، أي الضلال.

(٤) هو نوف بن فضالة التابعي البكالي نسبة إلى بني بكال، بطن من حمْيَر، ضبطه بعضهم بتشديد الكاف، كشدّاد.

(٥) جعدة بن هبيرة هو ابنُ أُخت أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّه أم هانئ بنت أبي طالب. كان فارساً شجاعاً، فقيهاً. وولي خُراسان لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، مع أمّه أمّ هانئ، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزِّبَعْرى إلى نجران.

(٦) المِدْرعة: ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية، قميص ضيق الأكمام، قال في القاموس: «ولا يكون إلّا من صوف» وتَدرَّع: لبسها.

(٧) الثَّفِنَة ـ بكسر بعد فتح ـ: ما يمس الأرض من البعير عند البروك، ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود.

(٨) مصائر الأمور: جمع مَصير، ومعناه المرجع.

إِحْسَانِهِ، وَ نَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي[1] فَضْلِهِ وَٱمْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً. وَنَسْتَعِينُ بِهِ ٱسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ[2]، مُذْعِنٍ لَهُ بِٱلْعَمَلِ وَٱلْقَوْلِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً[3]، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً[4]، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي ٱلْعِزِّ مُشَارَكاً[5]، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً. وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ[6]، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ ٱلتَّدْبِيرِ ٱلْمُتْقَنِ، وَٱلْقَضَاءِ ٱلْمُبْرَمِ. فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ[7]، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ[8] وَلَا مُبْطِئَاتٍ. وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِٱلطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ ٱلطَّيِّبِ، وَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

---

(١) النوامي: جمع نام، بمعنى زائد.
(٢) الطَّول: الإفضال.
(٣) أناب إليه: أقبل وتاب.
(٤) خَنَعَ: ذل وخضع، والإذعان: الانقياد والطاعة.
(٥) لأنّ أباه يكون شريكه في العزّ، بل أعزّ لأنّه علّة وجوده. وسرّ الولادة حفظ النوع فلو صحّ لله أن يلد لكان فانياً يبقى نوعه في أشخاص أولاده، فيكون موروثاً هالكاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
(٦) يتعاوره: يتداوله ويتبادل عنه، أي لم تختلف عليه زيادة أو نقصان.
(٧) موطّدات: أي ممهدات مثبتات في مداراتها على ثقل أجرامها.
(٨) المتلكئ: المتوقف، والتلكّؤ: التوقف والتباطؤ.

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الأَقْطَارِ(١). لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ(٢) سُجُفِ(٣) اللَّيْلِ المُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ(٤) سَوَادِ الحَنَادِسِ(٥) أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمٰوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ القَمَرِ(٦)، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوادُ غَسَقٍ دَاجٍ(٧)، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ(٨)، فِي بِقَاعِ الأَرَضِينَ المُتَطَأْطِئَاتِ(٩)، وَلَا فِي يَفَاعِ(١٠) السُّفْعِ(١١) المُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ(١٢) فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الغَمَامِ(١٣). وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا

---

(١) الفِجَاج: جمع فَجّ، وهو الطريق في الجبل.

(٢) ادلهمامُ سواد الليل: أي شدّة ظلمته. وقد روى بعض «ادلهمامَ» بالنصب، وجعله مفعولاً، «وضوءُ نورها» بالرفع وجعله فاعلاً، وهذه الرواية أحسن.

(٣) السُّجف: جمع سِجْف، وهو السِّتر، ويجوز فتح السين.

(٤) الجلابيب: جمع جِلْبَاب، ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه مِلْحَفَة. ووجه الاستعارة فيها ظاهر.

(٥) الحَنادس: جمع حِنْدِس ـ بكسر الدال ـ: الليل المظلم.

(٦) شاعَ: تفرّق، والتلألؤ: اللّمَعان.

(٧) الغسق: الظلمة، والدّاجي: المظلم.

(٨) الساجي: الساكن، ووصف الليل بالسكون وصف له بصفة المشمولين به فإنّ الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها بالنهار.

(٩) المتطأطئات: المنخفضات.

(١٠) اليفاع: التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض.

(١١) السفع: جمع سفعاء، السوداء، يضرب إلى الحمرة، والمراد منها الجبال، عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر عن بعد.

(١٢) ما يجلجل به الرعد: صوته، والجلجلة والتجلجل: صوت الرعد.

(١٣) تلاشت: اضمحلت، وأصله من لَشِيء بمعنى خسّ بعد رفعة، وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التي ترى عند لمعانه.

عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ[1] ٱلْأَنْوَاءِ[2] وَٱنْهِطَالُ ٱلسَّمَاءِ[3] وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ ٱلذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا[4]، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ. لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ[5]، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ[6]، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ[7]، وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ[8]، وَلَا يُوصَفُ بِٱلْأَزْوَاجِ[9]، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ[10]، وَلَا يُدْرَكُ بِٱلْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِٱلنَّاسِ. ٱلَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وَأَرَاهُ

---

(١) العواصف: الرياح الشديدة، وإضافتها للأنواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادة.

(٢) الأنواء: جمع نَوْء. أحد منازل القمر، يعدّها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلةٌ ويظهر عليه أخرى، والمغيب والظهور عند طلوع الفجر. وكانوا ينسبون المطر لهذه الأنواء فيقولون مطرنا بنوء كذا المصادفة هبوب الرياح وهطول الأمطار في أوقات ظهور بعضها حتى جاء الإسلام فأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب في الحوادث الأرضية تأثيراً روحانياً.

(٣) الانهطال: الانصباب، والسماء هنا: المطر.

(٤) أي موضع سحب النملة الصغيرة وجرّها.

(٥) الوهم هنا: الفكرة والتوهم.

(٦) لا يشغَلُه سائل: كما يشغل السؤال منّا مَنْ يسألونه، لإحاطة علمه وقدرته.

(٧) النائل: العطاء.

(٨) الأين: المكان.

(٩) الأزواج: القُرَناء والأمثال، أي لا يقال: ذو قرناء، ولا هو قرين لشيء، ويراد من هذا نفي الاثنينية والتعدد عنه جلّ شأنه، أو يريد لا يوصف بصفات الأزواج، وهي الأصناف: قال سبحانه: ﴿وأنبتنا فيها من كلِّ زَوْجٍ بَهيج﴾ [ق: ٧]

(١٠) لا يخلق بعلاج أي أنه لا يشبه المخلوقات في احتياج وجودها إلى معالجة ومزاولة، لأنه بذاته واجب الوجود سبحانه، والعلاج لا يكون إلّا بين شيئين أحدهما يقاوم الآخر فيتغلب الآخر عليه، والله لا يعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون.

مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ[1]. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا ٱلْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ[2]، فَصِفْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَجُنُودَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ ٱلْقُدُسِ[3] مُرْجَحِنِّينَ[4]، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ[5] أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ. وَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِٱلصِّفَاتِ ذَوُو ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِٱلْفَنَاءِ. فَلَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ ٱلَّذِي أَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ[6]، وَأَسْبَغَ[7] عَلَيْكُمُ ٱلْمَعَاشَ. فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى ٱلْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ، مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ[8]. فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ[9]، وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ[10] ٱلْفَنَاءِ

---

(١) اللَّهَوَات: جمع لَهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(٢) المتكلّف: هو شديد التعرّض لما لا يعنيه، أي إن كنت أيها المتعرّض لما لا يعنيك، من وصف ربّك، صادقاً في دعوى القدرة على وصفه، فصف أحد مخلوقاته، فإذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشدّ عجزاً.

(٣) حُجرات القدس: جمع حُجْرة، وهي الغرفة.

(٤) مرجَحِنّين: مائلين الى جهة «تحت» خضوعاً لجلال الباري سبحانه، ارجحنّ الحَجر، إذا مال هاوياً، والمُرْجَحِن: المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً، كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته.

(٥) متولّهة عقولهم، أي حائرة أو متخوّلة.

(٦) الرياش: اللباس الفاخر.

(٧) أسبغ: أوسع.

(٨) الزُّلفة: القرب.

(٩) الطُعمة: المأكلة، أي ما يؤكل، والمراد رزقه المقسوم.

(١٠) القِسيّ: جمع قَوْس.

بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ ٱلدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلسَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا ٱلنَّبِيِّينَ، وَأَطْفَئُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ[1]! أَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا بِٱلْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا ٱلْأُلُوفَ، وَعَسْكَرُوا ٱلْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا ٱلْمَدَائِنَ!

ومنها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا[2]، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا،

---

(١) سُئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضيّ عن آبائه إلى جدّه الحسين فقال: «إنّهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرسّ من بلاد المشرق، هو نهر أرس في بلاد آذربيجان، وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمى دوشاب، يقال غرسها يافث بن نوح، وكان اسم الصنوبرة «شاه درخت»، وعدّة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة، اسم الأولى أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندارمز، والسادسة فروردين، والسابعة اردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادية عشرة مهر، والثانية عشرة شهريور، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الأشجار، ويأمرهم بعبادة الله، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل، حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ، ثم نزعوا منها الماء، واحتفروا حفرة في قعرها، وألقوا نبيهم فيها حيّاً، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات، فعاقبهم الله بإرسال ريح عاصفة، ملتهبة، سلقت أبدانهم، وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متّقدة، فذابت أجسادهم، وهلكوا، وانقلبت مدائنهم».

(٢) فسّرت الإمامية هذا الكلام بالمهديّ المنتظر عندهم، والصوفية بوليّ لله في الأرض، والفلاسفة فسروه بالعارف. وليس يبعد عندي أنّه يريد به القائم من آل محمد ﷺ في آخر الوقت، وليس في الكلام ما يدل على وجوده الآن*، وقد اتفق المسلمون على أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه. لبس جنّة الحِكْمة: أي قمع عن المشتهيات، وقطع علائق النفس عن المحسوسات، فإنّ ذلك مانع للنفس أن يصيبها سهام الهوى. وجنّة الحِكْمة: ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع. وأصل الجُنّة الوقاية، ومنه الدِّرع والمِجنّ، وما يُتّقى به.

---

* تعتقد الشيعة الإمامية أنّ المهديّ من آل محمد ﷺ حيّ يُرزق الآن وسيظهر في آخر الزمان.

وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ[1]، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ[2]، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ[3]، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ[4]، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ[5] إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ. وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[6].

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ[7]، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟! أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ

---

(١) «هو مغترب إذا اغترب الإسلام»، يقول هذا الشخص يُخْفِي نفسَه ويحملها إذا اغتربَ الإسلام، واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجَوْر على الصلاح والعدل.

(٢) قال: «وضربَ بِعسيب ذَنَبه، وألصق الأرض بجرانه»، أي إذا صار الإسلام غريباً مقهوراً، وصار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بِعَسِيبه، وهو أصل الذَّنَب. ويلصق جِرانه ـ وهو صدره ـ في الأرض، فلا يكون له تصرّف ولا نهوض. فهو مع الإسلام فإذا صار الإسلام غريباً اغترب معه لا يفضلّ عنه. والضمير في «ضرب» للإسلام، وهذا كناية عن التعب والإعياء، يريد ضعف. والجران: مقدم عنق البعير من المذبح إلى المنحر، والبعير أقلّ ما يكون نفعه عند بروكه. وإلصاق جِرانه بالأرض كناية عن الضعف كسابقه.

(٣) الصفات للشخص المذكور، والضمير يرجع إلى الله سبحانه. وبقية: تابع لمغترب، وضمير حجّته وأنبيائه لله المعلوم من الكلام.

(٤) بثثتُ لكم المواعظ: فرّقتها ونشرتُها.

(٥) الأوصياء: الذين يأتمنُهم الأنبياء على الأسرار الإلهية.

(٦) حدوتكم: سقتكم كما تُحدَى الإبل، فلم تستوسقوا، أي لم تجتمعوا. استَوْسَقَت الإبل: اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض.

(٧) يطأ بكم الطريق: أي يحملكم على المِنْهاج الشرعي.

ٱللَّهِ ٱلْأَخْيَارُ[1]، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ ٱلدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَفْنَى!

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً[2]؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ ٱلرَّنْقَ[3]! قَدْ ـ وَٱللَّهِ ـ لَقُوا ٱللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا ٱلطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟[4] وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ[5]؟ وَأَيْنَ ذُو ٱلشَّهَادَتَيْنِ[6]؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ[7]، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ![8]

قال: ثُمَّ ضربَ عَلَيْهِ ٱلسَّلام بيده على لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفةِ ٱلكريمةِ، فأطالَ ٱلبُكاءَ، ثُمَّ قالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

أَوِّهِ[9] عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوُا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ!

---

(١) أزمِعَ الرحال: أي ثبت عزمهم عليه.

(٢) يقول: لم يضرّ إخواننا القتلى بصفين كونهم اليوم ليسوا بأحياء حياتنا المشوبة بالغُصَص.

(٣) الرنْق ـ بكسر النون وفتحها وسكونها ـ: الكَدِر.

(٤) عمّار بن ياسر من السابقين الأولين. [ستأتي ترجمته في باب الحكم ص ٨٥٠].

(٥) هو الصحابي أبو الهيثم بن مالك بن التَّيهان، ممن شهد بدراً، والأكثر أنه أدرَكَ صِفّين، وشهدها مع عليّ ﷺ، وقتل بها.

(٦) ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الخطْميّ الأنصاري جعل رسول الله ﷺ شهادته كشهادة رجلين؛ لقصة مشهورة. شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وكانت رايةُ بني خَطْمة بيده يوم الفتح. شهد صِفّين مع عليّ بن أبي طالب ﷺ، فلما قُتِل عمّار قاتل حتى قُتِل.

(٧) تعاقدوا على المنيّة: جعلوا بينهم عقداً، وروي «تعاهدوا»، ويعني بهم الذين قتلوا معه من الصحابة، كابن بُدَيل، وهاشم بن عتبة، وغيرهما.

(٨) وأُبرِد برؤوسهم إلى الفَجَرة: حُمِلت رؤوسهم مع البريد إلى الفسقة للبشارة بها، والفجرة ههنا: أمراء عسكر الشام.

(٩) «أَوِّهِ» ساكنة الواو مكسورة الهاء، كلمة شكوى وتوجّع.

أَحْيَوُا ٱلسُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِٱلْقَائِدِ فَٱتَّبَعُوهُ[1].

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا، فَمَنْ أَرَادَ ٱلرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ.

قَالَ نَوْفٌ: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، وَلِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ[2] رَحِمَهُ اللهُ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ[3] فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ، وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ. فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيَهَا، تَخْتَطِفُهَا الذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ![4]

١٨٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

فِي قُدْرَةِ اللهِ وَفَضْلِ الْقُرْآنِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ[5]. خَلَقَ ٱلْخَلَائِقَ

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ١ باب النار، وفسر غريبها ابن الأثير في (النهاية) مادة يفن.

---

(١) وثقوا بالقائد، يعني نفسه.

(٢) قيس بن سعد بن عُبادة الخزرجي، صحابي يكنّى أبا عبد الملك، وكان طوالاً جداً سبطاً شجاعاً جواداً، وأبوه رئيس الخزرج، وكان قيس من كبار شيعة أمير المؤمنين ﷺ، شهد معه حروبه كلّها.

(٣) أبو أيوب الأنصاري، الخزرجي، من بني النّجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً من مكّة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، ثم انتقل إليها، ويوم المؤاخاة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مُصعب بن عمير، قال أبو عمر في «الاستيعاب»: إنّ أبا أيوب شهد مع عليّ ﷺ مشاهده كلّها.

(٤) الاختطاف: أخذك الشيء بسرعة، ويروى: «تتخطّفها». ويقال: إنّ هذه الخطبة آخر خطبة لأمير المؤمنين ﷺ قائماً.

(٥) المنصبة: التعب.

بِقُدْرَتِهِ، وَٱسْتَعْبَدَ ٱلْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ[1]، وَسَادَ ٱلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ ٱلَّذِي أَسْكَنَ ٱلدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا[2]، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ[3] بِمُعْتَبَرٍ[4] مِنْ تَصَرُّفِ[5] مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا[6]، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ، مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ. كَمَا ٱسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ[7]، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً.

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ

فَٱلْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ[8]، حُجَّةُ ٱللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ[9]، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ـ صَلَّى

---

(١) استعبدت فلاناً: اتخذته عبداً.

(٢) الضرّاء: الشدة.

(٣) قوله: «وليهجموا عليهم» هجمتُ على الرجل: دخلت عليه بَغْتَةً.

(٤) مُعْتَبَر: مصدر بمعنى الاعتبار والاتّعاظ.

(٥) التصرّف: التبدّل.

(٦) المصاح: جمع مصحة، بمعنى الصحة والعافية. يقول ﷺ: ليدخلوا عليهم بما في تصريف الدنيا من الصحة والسَّقَم، وما أحلّ وما حرّم على طريق الابتلاء. كأنّ الناس في غفلة عن سرّ تعاقب الصحة والمرض على بدن الإنسان حتى نبهتهم رسل الله إلى أنّ هذا ابتلاء منه سبحانه ليعرف الإنسان عجزه وأنّ أمره بيد خالقه.

(٧) استحمد: أي كما طلب من خلقه أن يحمدوه.

(٨) لأنّه من حيث هو حروف وأصوات صامتٌ، ومن حيث تضمّنه الأخبار والأمر والنهي وغيرها كالناطق.

(٩) ارتهنَ عليهم أنفسهم: حبس نفوسهم في ضنك المؤاخذة حتى يؤدّوا حقّ القرآن من العمل ←

ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ ٱلْهُدَى بِهِ.

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ، أَوْ تَدْعُوا إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ[1]، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ ٱلرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ[2].

قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى ٱلشُّكْرِ، وَٱفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ ٱلذِّكْرَ[3]، وَأَوْصَاكُمْ بِٱلتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ[4].

فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ[5]، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ[6]، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ. إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذٰلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً.

← به فإن لم يفعلوا لم يخلصوا بل يهلكوا، فكأنّه جعلها رَهْناً على الوفاء بميثاقهم

(١) أي أنّ الأدلة واضحة، وليس مراده الأمر بالتقليد.

(٢) قوله: «وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم»، يعني كلمة التوحيد «لا إله إلّا الله»، قد قالها الموحّدون من قبل هذه الملّة، لا تقليداً، بل بالنّظر والدليل، فقولوها أنتم كذلك.

(٣) أي افترض عليكم أنْ تذكُروه وتشكُروه بألسنتكم.

(٤) الله تعالى غير محتاج، ولكنّه لمّا بالغ في الحثّ والحضّ على التقوى، جعله كالمحتاج الى شيء.

(٥) أي يعلم أحوالكم، يقال: «فلان بعين فلان» إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

(٦) الناصية: مقدّم شعر الرأس؛ أي هو قادر عليكم، متمكّن من التصرّف فيكم، كالإنسان القابض على ناصية غيره.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ ٱلْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ ٱلظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ[1]؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

فَبَادِرُوا ٱلْمَعَادَ، وَسَابِقُوا ٱلْآجَالَ، فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلْأَمَلُ[2]، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلْأَجَلُ[3]، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ ٱلرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[4]، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ[5]، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِٱلِارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِٱلزَّادِ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ ٱلرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى ٱلنَّارِ، فَٱرْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَٱلْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَٱلرَّمْضَاءِ[6] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً[7] إِذَا غَضِبَ عَلَى ٱلنَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ.

---

(١) معنى «اصطنعها لنفسه» إعظامها وإجلالها.

(٢) يوشِك ـ بكسر الشين ـ: فعل مستقبل، ماضيه: «أوشك» أي أسرع.

(٣) يَرْهَقُهُم بالأجل: أي يَغْشاهم بالمنية، ورهِقَه الأمر ـ بالكسر ـ: فاجأه.

(٤) أي أنكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي ندم المهملون على فواتها وسألوا الرجعة إليها كما حكى الله عنهم إذ يقول الواحد منهم: ﴿ربِّ ارجعون. لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩ و ١٠٠].

(٥) بنو سبيل: أرباب طريق مسافرون.

(٦) الرّمضاء: الأرض الشديدة الحرارة، والرَّمَض: شدة وقع الشمس على الرّمل وغيره.

(٧) مالك: هو الموكّل بالجحيم.

أَيُّهَا ٱلْيَفَنُ ٱلْكَبِيرُ(١)، ٱلَّذِي قَدْ لَهَزَهُ(٢) ٱلْقَتِيرُ(٣)، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا ٱلْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ ٱلنَّارِ بِعِظَامِ ٱلْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ(٤) حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ ٱلسَّوَاعِدِ(٥)! فَٱللَّهَ ٱللَّهَ مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي ٱلصِّحَّةِ قَبْلَ ٱلسُّقْمِ، وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ ٱلضِّيقِ، فَٱسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ(٦) مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا(٧). أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ(٨) فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ . فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ(٩)؛ ٱسْتَنْصَرَكُمْ «وَلَهُ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ»، وَٱسْتَقْرَضَكُمْ «وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ»، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ ﴿يَبْلُوَكُمْ(١٠) أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ .

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللَّهِ فِي دَارِهِ. رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ

---

(١) اليَفَن ـ بالتحريك ـ: الشيخ الكبير المسن.

(٢) لَهَزَهُ: أي خالطه.

(٣) القَتير: الشيب، وأصله رؤوس المسامير في الدُّروع سمّي تبراً.

(٤) نَشِبَتْ: عَلِقَت. والجوامع: جمع جامعة، وهي الغُلّ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(٥) السواعد: جمع ساعد، وهو الذراع.

(٦) فكاك الرقاب: عتقها قبل أن تغلَق رهائنها.

(٧) غَلِقَ الرهنُ: استحقه صاحب الحق، وذلك إذا لم يُمكن فكاكه في الوقت المشروط.

(٨) خذوا من أجسادكم: أي أتعبوها بالعبادة حتى تنحل.

(٩) القُلّ: القِلّة.

(١٠) يبلوكم: يختبركم.

مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً[١]، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً[٢] وَنَصَباً. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ!

١٨٤ ـ ومن كلام له عليه السلام*

قالَهُ لِلْبُرْجِ بْنِ مُسْهِرٍ الطَّائِيِّ[٣]، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ: «لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ

اُسْكُتْ قَبَحَكَ ٱللَّهُ[٤] يَا أَثْرَمُ[٥]، فَوَٱللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً[٦] شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ[٧] ٱلْبَاطِلُ، نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ ٱلْمَاعِزِ[٨].

(*) رواه أبو هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) ص ٢٨٥.

(١) الحسيس: الصوت الخفي، حسيس النّار: صوتها.

(٢) اللغوب: النَّصَب، لَغِب لَغْباً ولُغُوباً أعيي أشدّ الإعياء. والنَّصَب: التعب أيضاً.

(٣) البرج بن مُسهِر شاعر مشهور من شعراء الخوارج، نادى بشعارهم بحيث يسمعه أمير المؤمنين عليه السلام، فزجره.

(٤) قَبَحك الله: لفظة معناها كَسَرك، يقال: قبحتُ الجوزة، أي كسرتها، وقيل قَبَّحه: نحّاه عن الخير. [وفي نسخة عبده قَبَّحك].

(٥) الثرم ـ محرّكاً ـ: سقوط الثنية من الأسنان، وكان البُرج ساقطَ الثنيّة، فأهانه بأن دعاه به.

(٦) الضئيل: النحيف المهزول، كناية عن الضعف، ضَؤُل الرجل، بالضم ضآلة: نَحُفَ.

(٧) نَعَرَ: أي صاح.

(٨) نَجَمْتَ: ظَهَرْتَ وَبَرَزْتَ، والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرفٍ ولا شجاعة ولا قدم.

١٨٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في صفة خلق بعض الحيوانات

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ[١]، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ[٢]، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ. الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ[٣]. الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ[٤]، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ[٥]، وَقَائِمٌ لَا

(*) رواها الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٣٠٥، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب دواب البر والبحر.

---

(١) الشواهد ههنا يريد بها الحواس، وسمّاها «شواهد» إمّا لحضورها، أو لشهادتها على ما تدركه وتثبته عند العقل.

(٢) المشاهد ـ ههنا ـ: المجالس والنوادي، يقال: «حضرت مشهد بني فلان» أي ناديهم ومجتمعهم.

(٣) قوله ﷺ: «وباشتباههم على أن لا شبه له» هذا دليل صحيح، وذلك لأنّه إذا ثبت أنّ جسماً ما محدث، ثبت أنّ سائر الأجسام محدثة؛ لأنّ الأجسام متماثلة، ولمّا كان الباري تعالى ليس بمحدَث فليس بمشابه لشيء منها.

(٤) *واحد لا بعدد: أي لا يتكون من أجزاء*، لأنّ وحدته ذاتية، وليست صفة زائدة عليه.

(٥) الأمد: الغاية، وهو «دائم لا بأمد» لأنّه تعالى ليس بزمانيّ، ولا داخل تحت الحركة والزمان، وهذا أيضاً من دقائق العلم الإلهيّ، والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به، ولكنّ هذا الرجل كان ممنوحاً من الله تعالى بالفيض المقدّس والأنوار الربّانيّة.

بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ ٱلْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ[1]، وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ[2]. لَمْ تُحِطْ بِهِ ٱلْأَوْهَامُ[3]، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ مِنْهَا[4]، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا[5]. لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ ٱمْتَدَّتْ بِهِ ٱلنِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ ٱلْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً؛ بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ[6]، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ[7]، وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ؛ فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا[8]، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ ٱلِاهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ[9] ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

---

(١) أي تتلقاه تلقياً عقلياً، ليس كما يتلقى الجسمُ الجسمَ بمشاعره وحواسّه وجوارحه، والمراد بتلقيه سبحانه ههنا تلقي صفاته، لا تلقي ذاته. والمُشاعرة: انفعال إحدى الحواس بما تحسّه من جهة عُروض شيء منه عليها.

(٢) المرائي: جمع مرئيّ، وهو الشيء المدرَك بالبصر، أو جمع مَرْآة ـ بالفتح ـ: وهي المنظر، أي تشهد له مناظر الأشياء، لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار، وهي تشهد بوجوده لأنّه لولا وجوده لما وُجدت، وليس ذلك كشهادتها بوجود الأبصار، لأنّها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها.

(٣) الأوهام ـ ههنا ـ: العقول.

(٤) أي وبالعقول وبالنظر علمنا أنّه تعالى يمتنع أن تدركه العقول.

(٥) أي حاكَمَ العقولَ المدعية أنّها أحاطت به إلى العقول السليمة، فحَكَمت له سبحانه على العقول المدعية، فهو بعد ما تجلّى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه.

(٦) أي ليلزم العباد بالحجج البيّنة على ما دعاهم إليه من الحق.

(٧) الفَلَج: النُّصرة والظفر، وأصله سكون اللام، وحرّكه ليوازن بين الألفاظ، وظهوره: علوّ كلمة الدين.

(٨) صادعاً: مظهراً مجاهراً، وأصله الشقّ.

(٩) الأمراس: الحِبال، جمع مَرَس ـ بالتحريك ـ وهو جمع مَرَسة بالتحريك ـ وهو الحبل.

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ، وَلٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ(١). أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ(٢)، وَسَوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ(٣)!

ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا(٤)، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا(٥)، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا(٦)؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا(٧)؛ لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ(٨)، وَلَا يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ(٩)، وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ(١٠)، وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ(١١)! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي

---

(١) مَدْخُولة: معيبة.

(٢) فَلَقَ: شقّ وخلق.

(٣) البَشَر: جمع بَشَرة، وهي ظاهر الجلد الإنساني.

(٤) ويروى: «وضُنَّت على رزقها» أي بخلت.

(٥) جُحرها: بيتها.

(٦) الصَّدَر ـ محرّكاً ـ: الرجوع بعد الورود، أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها.

(٧) قوله بوِفْقِها ـ بكسر الواو ـ: أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها. (وعند ابن أبي الحديد) «رزقُها وِفْقُها» أي بقدر كفايتها.

(٨) المنّانُ: من أسماء الله تعالى العائد إلى صفاته الفعلية، أي هو كثير المنّ والإنعام على عباده.

(٩) الدّيان: المُجازي للعباد على أفعالهم.

(١٠) الصفا: الحجر الأملس لا شقوق فيه.

(١١) الجامس: الجامد.

مَجَارِي أَكْلِهَا، وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا[١]، وَمَا فِي ٱلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً! فَتَعَالَى ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ[٢] فِي مَذَاهِبِ[٣] فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ[٤]، وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ. وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ، وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ، وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ. وَكَذٰلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ، وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ. فَٱنْظُرْ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ، وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ، وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ، وَٱخْتِلَافِ هٰذَا ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ ٱلْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ، وَطُولِ هٰذِهِ ٱلْقِلَالِ[٥]، وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ ٱللُّغَاتِ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ. فَٱلْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ ٱلْمُقَدِّرَ، وَجَحَدَ ٱلْمُدَبِّرَ!

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَٱلنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِٱخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا[٦] إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ٱدَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا[٧]. وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ![٨]

---

(١) الشَّرَاسِيف: مَقَاطُ الأضلاع، وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(٢) ضَرَبْتَ: بمعنى سِرْتَ.

(٣) المذاهب: الطرق.

(٤) أي أنّ دقة التفصيل في النملة على صغرها، والنخلة على طولها، تدلّك على أنّ الصانع واحد.

(٥) القِلال: جمع قُلّة، وهي رأس الجبل.

(٦) لم يلجأوا: لم يستندوا.

(٧) أوعاه: كوعاه بمعنى حفظه.

(٨) المراد عموم الفعليّة لا خصوص الجناية، أي مستحيل أن يكون الفعل من غير فاعل.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي ٱلْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ[1]، وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ[2]. يَرْهَبُهَا[3] ٱلزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا[4]، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا[5]، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً. فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي يَسْجُدُ لَهُ ﴿مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِٱلطَّاعَةِ إِلَيْهِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً! فَٱلطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ؛ أَحْصَى عَدَدَ ٱلرِّيشِ مِنْهَا وَٱلنَّفَسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى ٱلنَّدَى وَٱلْيَبَسِ[6]، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهٰذَا غُرَابٌ، وَهٰذَا عُقَابٌ. وَهٰذَا حَمَامٌ. وَهٰذَا نَعَامٌ. دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِٱسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ. وَأَنْشَأَ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ فَأَهْطَلَ[7] دِيَمَهَا[8]، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا[9]. فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا

---

(١) أي جعلهما مضيئتين كما يضيء السراج. وقمراوين: أي مضيئتين، كأنّ كلاً منهما ليلة قمراء أضاءها القمر. يقال: حدقة قمراء أي منيرة، كما يقال: ليلة قمراء، أي نيرة بضوء القمر.

(٢) المِنْجَلان: رِجْلاها، شبّههما بالمناجل لعوجهما وخشونتهما، والمِنْجَل ـ كمِنْبَر ـ: آلة من حديد معروفة يُقْبَض بها الزرع.

(٣) يرهبها: يخافها.

(٤) ذبّها: دفعها.

(٥) نزواتها: وثباتها، نزا عليه: وثب.

(٦) المراد من الندى هنا مقابل اليَبَس ـ بالتحريك ـ فيعمّ الماء، كأنّه يريد أنّ الله جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء، ومنه ما لا يمشي إلّا في الأرض اليابسة.

(٧) الهَطْل ـ بالفتح ـ: تتابع المطر والدمع.

(٨) الدِيَم ـ كالهِمَم ـ: جمع دِيمة، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٩) تعديد القِسَم: إحصاء ما قدّر منها لكل بقعة.

بَعْدَ جُدُوبِهَا[١].

١٨٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام (●)

فِي التَّوْحِيدِ ،وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ أُصُولِ الْعِلْمِ مَا لاَ تَجْمَعُهُ خُطْبَةٌ

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ[٢]، وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلاَ صَمَدَهُ[٣] مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ[٤]، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ.[٥] فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَةٍ. مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَةٍ. غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَةٍ. لاَ تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلاَ تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ[٦]؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ[٧]، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ،

(●) رواها الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٩٩، والكليني في (الكافي) ج ١ ص ١٣٨.

---

(١) جُدوب الأرض: يَبَسها لاحتجاب المطر عنها.

(٢) جعله كيْفاً: جعله ذا هيئة وشكل، أو ذا لونٍ وضوء، أو غيرهما من أقسام الكيف.

(٣) الصَّمد في اللغة العربية: السيّد، والصمد أيضاً الذي لا جوف له، وصار التصميد في الاصطلاح العرفيّ عبارة عن التنزيه، وصَمَدَه: قَصَده.

(٤) أي كلّ معروف بالمشاهدة والحس فهو مصنوع، أو كلّ معروف الذات بالكُنْه مصنوع، لأنّ معرفة الكُنْه إنّما تكون بمعرفة أجزاء الحقيقة، فمعروف الكُنْه مركّب، والمركّب مفتقر في الوجود لغيره، فهو مصنوع.

(٥) أي وكلّ شيء يتقوّم بغيره فهو معلول.

(٦) تَرْفِدُهُ ـ تنصره ـ: أي تعينه، لأنّنا نفعل بالآلات وهو سبحانه قادر لذاته فاستغنى عن الآلة، ونحن إذا قدّرنا أجلْنا أفكارنا، وهو سبحانه على خلاف ذلك.

(٧) لأنّه سبحانه ليس بزمان ولا قابل للحركة، فذاته فوق الزمان والدهر.

وَٱلِابْتِدَاءَ أَوَّلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ ٱلْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ[1]، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ[2]، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ[3]. ضَادَّ ٱلنُّورَ بِٱلظُّلْمَةِ، وَٱلْوُضُوحَ بِٱلْبُهْمَةِ[4]، وَٱلْجُمُودَ بِٱلْبَلَلِ[5]، وَٱلْحَرُورَ بِٱلصَّرَدِ[6]. مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[7]، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا،

---

(١) المشاعر: الحواس، والمَشْعَر ـ كمَقْعَد ـ: محلّ الشعور، أي الإحساس، فهو الحاسّة. وتَشعيرها: إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد، وهو ما يسمى بالإحساس. فالمشعر من حيث هو مَشْعر منفعل دائماً ولو كان الله يشعر لكان منفعلاً، والمنفعل لا يكون فاعلاً، وقد قلنا إنّه هو الفاعل بتشعير المشاعر، وهذا بمنزلة أن يقال: إنّ الله فاعل في خلقه فلا يكون منفعلاً عنهم كما يأتي التصريح به، وإنّما خصّ باب الشعور بالذكر ردّاً على من زعم أنّ لله مشاعر.

(٢) لأنّه تعالى لمّا دلّنا بالعقل على أنّ المتضادّات إنّما تتضاد على موضوع تقوم به دلّنا بذلك على أنّه تعالى لا ضدّ له، لأنّه يستحيل أن يكون قائماً بموضوع يحلّه كالمتضادات، وعقده التضاد بين الأشياء دليل على استواء نسبتها إليه فلا ضدّ له، إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئاً لاختصّ إيجاده بما يلائمها لا بما يضادها فلم تكن أضداد.

(٣) لأنّه تعالى لمّا قرن بين العَرَض والجوهر، وبين كثير من الأعراض، مقارنةً يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر علمنا أنّه لا قرينَ له سبحانه، لأنّه لو قارن شيئاً لاستحال انفكاكه عنه. فكان محتاجاً إليه، والمقارنة بين الأشياء في نظام الخلقة دليل أنّ صانعها واحد، إذ لو كان له شريك لخالفه في النظام الإيجادي فلم تكن مقارنة. والمقارنة هنا: المشابهة.

(٤) «الوضوحَ بالبُهْمة» يعني البياض والسواد.

(٥) «الجمودَ بالبَلَل» يعني اليبوسة والرطوبة.

(٦) الصَّرَد ـ محرّكاً ـ والصُّرْد: البرد، أصلها فارسية، «الحرور بالصَّرْد» يعني الحرارة والبرودة. والحرور ـ ههنا ـ: الريح الحارّة، وهي بالليل كالسموم بالنهار.

(٧) متعادياتها: كالعناصر. قال ﷺ: إنّه تعالى مؤلِّف بين هذه المتباعدات، المتعاديات، المتباينات، وليس المراد من تأليفه بينها جمعه إيّاها في مكان واحد، وكيف وذلك مستحيل في نفسه، بل هو سبحانه مؤلف لها في الأجسام المركّبة حتى خلع منها صورة مفردة، هي المِزاج.

مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[١]. لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ ٱلْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا[٢]، وَتُشِيرُ ٱلْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا. مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» ٱلْقِدْمَةَ، وَحَمَتْهَا «قَدُ» ٱلْأَزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» ٱلتَّكْمِلَةَ[٣]! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ[٤]، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ[٥]، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ ٱلْحَرَكَةُ وَٱلسُّكُونُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ[٦]، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ ٱلْأَزَلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَالْتَمَسَ ٱلتَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ ٱلنُّقْصَانُ، وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ ٱلْمَصْنُوعِ فِيهِ[٧]، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ[٨]، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ ٱلِامْتِنَاعِ[٩] مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ.

---

(١) مُتَدَانياتها: كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج، أو يريد أنّ كلّ جسم مركّبٌ من العناصر المختلفة الكيفيّات المتضادّة الطبائع، فإنّه سينحلّ ويتفرّق.

(٢) لأنّ الأدوات كالجوارح، إنّما تحدّ ما كان مثلها من ذوات المقادير، والأدوات أي آلات الإدراك التي هي حادثة ناقصة، كيف يمكن لها أن تحدّ الأزلي المتعالي عن النهاية في الكمال، وكذلك إنّما تُشير الآلات ـ وهي الحواس ـ إلى ما كان نظيراً لها في الجسمية ولوازمها.

(٣) منذ، وقد، ولولا، فواعل للأفعال قبلها. و «منذ» لابتداء الزمان، و «قد» لتقريبه، ولا يكون الابتداء والتقريب إلّا في الزمان المتناهي، وكلّ مخلوق يقال فيه: «قد وجد ووجد منذ كذا» وهذا مانع للقدم والأزليّة، وكلّ مخلوق يقال فيه: «لولا خالقه ما وجد» فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره.

(٤) أي بهذه الأدوات وهي حواسنا، تجلّى للعقول وعُرِف، وبها عرفنا استحالة أن يُعرَف بغير العقل.

(٥) وبها امتنع عن نظر العيون: أي بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من أنّها لا تدرك إلّا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن إدراك العيون التي هي نوع من تلك الأدوات.

(٦) لتفاوَتَتْ ذاتُه: أي لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزّأت حقيقته، فإنّ الحركة والسكون من خواصّ الجسم وهو منقسم، ولصار حادثاً فإنّ الجسم بتركّبه مفتقر لغيره.

(٧) لأنّ آية المصنوع كونه متغيراً متنقلاً من حال إلى حال.

(٨) أي لو كان الباري متحرّكاً لكان دليلاً على غيره.

(٩) المراد بسلطان الامتناع وجوب الوجود والتجريد وكونه ليس بمتحيّز ولا حال في المتحيّز.←

ٱلَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْأُفُولُ[١]. لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً[٢]، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً[٣]. جَلَّ عَنِ ٱتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ ٱلنِّسَاءِ. لَا تَنَالُهُ ٱلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ ٱلْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي ٱلْأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ ٱلضِّيَاءُ وَٱلظَّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَجْزَاءِ[٤]، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ ٱلْأَعْرَاضِ، وَلَا بِٱلْغَيْرِيَّةِ وَٱلْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا ٱنْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا أَنَّ ٱلْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ[٥]، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ. لَيْسَ فِي ٱلْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ[٦]، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[٧]، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ[٨]، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ:

← و«خرَج» عطف على قوله «لا يجري عليه السكون»، وسلطان الامتناع: هو سلطان العزّة الأزلية.

(١) الأُفول: من «أفل النجم» إذا غاب.

(٢) المراد بالمولود: المتولّد عن غيره، سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولّد النبات عن العناصر، ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين.

(٣) تكون بداية وجوده يوم ولادته.

(٤) أي لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا.

(٥) تُقلّه: أي ترفعه. وتُهويه: أي تحطّه وتسقطه.

(٦) والج: أي داخل.

(٧) اللّهَوات ـ بفتح الهاء ـ: جمع لَهاة، وهي اللحمة في سقف أقصى الفم.

(٨) لا يتحفّظ: أي لا يتكلّف الحفظ ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥].

«كُنْ فَيَكُونُ»، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ: وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ[1] أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً.

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ اَلصِّفَاتُ اَلْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ[2] بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ اَلصَّانِعُ وَاَلْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ اَلْمُبْتَدَعُ وَاَلْبَدِيعُ. خَلَقَ اَلْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ اَلْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اَشْتِغَالٍ[3]، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ[4]، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ اَلْأَوَدِ وَاَلِاعْوِجَاجِ[5]، وَمَنَعَهَا مِنَ اَلتَّهَافُتِ[6] وَاَلِانْفِرَاجِ[7]. أَرْسَى أَوْتَادَهَا[8]، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا[9]، وَاَسْتَفَاضَ عُيُونَهَا[10]، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا[11]؛ فَلَمْ يَهِنْ[12] مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ

---

(١) كلامه: أي الألفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله باعتبار ما دلّت عليه، وهي حادثة عند عموم الفرق ما خلا جماعة من الحنابلة، أو المراد بالكلام هنا ما أُريد في قوله تعالى: ﴿قُلْ لو كَانَ البَحْرُ مِداداً لكلِمَاتِ رَبِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنفَدَ كلِماتُ رَبِّي...﴾ [الكهف: ١٠٩] وهو على ما قال بعض المفسّرين أعيان الموجودات.

(٢) «ولا يكون» عطف على «تجري».

(٣) ليس كالواحد منّا يمسك الثقيل فيشتغل بإمساكه عن كثير من أموره.

(٤) «وأرساها» جعلها راسية على غير قرار تتمكّن عليه، بل واقفة بإرادته التي اقتضت وقوفها.

(٥) الأوَد: الاعوجاج، والاعوجاج: عطف تفسير على الأود.

(٦) التهافت: التساقط قطعة قطعة.

(٧) الانفراج: الانشقاق.

(٨) الأوتاد: جمع وتد، ويراد به هنا الجبل.

(٩) الأسداد: جمع سَدّ، وهو الجبل.

(١٠) استفاض عيونها: بمعنى أفاض، أي جعلها فائضة.

(١١) خدّ أوديتها: أي شقّها.

(١٢) يَهِن: من «الوهن» بمعنى الضعف، أي لم يضعف.

مَا قَوَّاهُ. هُوَ ٱلظَّاهِرُ(١) عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ(٢) لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَٱلْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ ٱلسَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِن نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ. هُوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ ٱلدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا(٣) وَسَائِمِهَا،(٤) وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا(٥)، وَمُتَبَلِّدَةِ(٦) أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا(٧)، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً(٨)

---

(١) الظاهر: الغالب القاهر.

(٢) الباطن: العالم الخبير.

(٣) المُراح ـ بضم الميم ـ: النَّعم تُردُّ إلى المَراح ـ بالفتح أيضاً ـ وهو الموضع الذي تأوي إليه النَّعم، وهو اسم مفعول من «أراح الإبل» ردها إلى المَراح، وليس المُراح ضد السالم، بل أحدهما هو الآخر، وضدهما المعلوفة.

(٤) السائم: الراعي، يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه.

(٥) الأسناخ: الأصول، جمع سِنْخ بالكسر، وهو الأصل، والمراد منها الأنواع، أي الأصناف الداخلة في أنواعها.

(٦) المتبلِّدة: أي الغبية.

(٧) الأكياس: جمع كيِّس ـ بالتشديد ـ وهو العاقل الحاذق.

(٨) الخاسئ: الذليل.

حَسِيرَةً[1]، عَارِفَةٌ بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةٌ بِٱلْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةٌ بِٱلضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا! وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا. كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ.

عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ ٱلسُّنُونَ وَٱلسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا ٱللّٰهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ. بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى ٱلِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا. لَمْ يَتَكَأَّدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ[2]، وَلَمْ يَؤُدْهُ[3] مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ[4] وَخَلَقَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ[5]، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[6]، وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِٱنْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَٱلْتِمَاسٍ،

---

(١) الحسير: الكالُّ المُعْيي.

(٢) لم يتكأده: لم يشق عليه، وأصله من العقبة الكؤود، وهي الشاقة.

(٣) ولم يؤده: أي لم يثقله.

(٤) برأه: مرادف لـ «خلقه».

(٥) النِّدّ ـ بالكسر ـ: المِثْل. والمكاثرة: المغالبة بالكثرة، يقال: «كاثره فكثره» أي غلبه.

(٦) المثاور: المواثب المهاجم.

وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنىً وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

١٨٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في ذِكْرِ المَلاحِمِ

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ(١) وَفِي ٱلأَرْضِ مَجْهُولَةٌ(٢). أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَٱنْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَٱسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ ٱلسَّيْفِ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ ٱلدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ(٣). ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ ٱلْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ ٱلْمُعْطِي(٤). ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ(٥)،

(*) رواها أبو الحسن المدائني في كتاب (صِفّين)، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب المال والكسب.

---

(١) الإمامية تقول: معناه العدّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ، وغيرهم يقول: «إنّه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله في الأرض».

(٢) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل في الأرض فجهلهم أهلها، وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السماوات العلى فعرفهم سكانها، أي الملائكة المعصومون. أعلمهم الله تعالى بأسمائهم.

(٣) لفساد المكاسب واختلاط الحرام بالحلال.

(٤) أي حيث يكون الخير في الفقراء، ويعمّ الشرّ جميع الأغنياء، فيعطي الغني سرفاً وتبذيراً، وينفق الفقير ما يأخذ من مال الغني في وجهه الشرعي، أو لأنّ أكثر من يُعطي في ذلك الزمان يكون ماله حراماً، ثم أكثرهم يقصد الرياء والسمعة، وأمّا المعطَى فيكون فقيراً ذا عيال، يصرف المال في قوت عياله، فيكون أعظم أجراً، أو لأنّه يأخذ المال على وجه الصدقة قد فوّت عليه صرفه في القبائح والمحظورات.

(٥) أي يصير الكذب لكم عادة، والإحراج: التضييق. وروي من غير «إحواج» بالواو، أي من غير ←

ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ[1] غَارِبَ[2] ٱلْبَعِيرِ. مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ! وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ![3]

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ[4] ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ[5]، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ[6]، وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ[7]، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا[8]، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ ٱلسِّرَاجِ فِي ٱلظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا[9]. فَٱسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

← أن يُحوجكم إليه أحد. وهذا الكلام غير متصل بما قبله، وهذه عادة الرضيّ رحمه الله يلتقط الكلام التقاطاً، وقبل هذا الكلام ما ينال شيعته من البؤس والقنوط ومشقّة انتظار الفرج.

(١) القَتَب ـ محرّكاً ـ: الأكاف*.

(٢) الغارِب: ما بين العُنُق والسَّنام.

(٣) هذا حكاية كلام شيعتِه وأصحابه.

(٤) الأزِمّة ـ كأئِمّة ـ: جمع زِمام، وإلقاء الأزمّة: ترك اعتماد القبيح.

(٥) هذه كناية عن ارتكاب القبيح وما يوجب الإثم والعقاب. والظهور هنا: الإبل. والأثقال: المآثم. والكلام تجوّز عن ترك الآراء الفاسدة التي يقاد بها قوم يحملون أثقالاً من الأوزار.

(٦) لا تصدّعوا: أي لا تفرقوا، ولا تختلفوا على إمامكم فتفسح عاقبتكم لتذموها، و«غبّ فعالكم» أي عاقبته.

(٧) فَوْر النار: غليانها واحتدامُها وارتفاع لهبها، أي لا ترموا بأنفسكم في الفتنة التي تقبلون عليها، ويروى: «ما استقبلكم».

(٨) أميطوا: أي تنحّوا عن طريقها، وميلوا عن وجهة سيرها، وخلّوا لها سبيلها التي استقامت عليها.

(٩) أي دخل في ضوئها.

---

* القَتَب: الرَّحْلُ الصغير على قدر سنام البعير، وجمعه أقتاب.

١٨٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في الوصيّة بالتقوى

أُوصِيكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بِتَقْوَى اللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ(١). فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ(٢) لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ(٣) فَأَمْهَلَكُمْ! وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ(٤)، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ، فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ. حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ(٥)، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً. أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ(٦)، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ. وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا(٧)، وَأَضَاعُوا

(*) رواها أبو منصور الثعالبي في (الإعجاز والإيجاز) ص ٣١.

(١) البلاء: الإحسان، *وأصله للخير والشر، ولكنه هنا بمعنى الخير*.

(٢) أعورتم: أي انكشفتم وبدتْ عوراتكم، وهي المقاتل. تقول: «أعور الناس» إذا بدت مقاتله.

(٣) لأخذه: أي أن يأخذكم بالعقاب.

(٤) أغفله: سها عنه وتركه.

(٥) إنّما يقال: «ركب ونزل» حقيقةً لمن فعل بإرادته.

(٦) أي أوطنوا قبورهم التي كانوا يوحشونها، أوطَن المكان: اتّخذه وطناً. وأوحشه: هجره حتى لا أنيس منه به.

(٧) «واشتغلوا بما فارقوا» أي اشتغلوا وهم في القبور بما فارقوه من الأموال والقينات، لأنها أذىً وعقاب عليهم في قبورهم، ولولاها لكانوا في راحة، ويجوز أن يريد أنهم اشتغلوا أيّام حياتهم من الأموال والمنازل بما فارقوه، وأضاعوا من أمر آخرتهم ما انتقلوا إليه.

مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالاً، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

فَسَابِقُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ ـ إِلَى مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا[1]، وَٱلَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَٱلْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ ٱلسَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ فِي ٱلشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِي ٱلسَّنَةِ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِي ٱلْعُمُرِ!

١٨٩ ـ ومن كلام له عليه السلام*

في الإيمانِ وَوُجُوبِ الْهِجْرَةِ

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ[2] بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ. فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ[3]، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ. وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا

(*) رواه أبو منصور الثعالبي في (الإعجاز والإيجاز) ص ٣٢، والصفار في (البصائر) ص ٣١.

(١) المنازل التي أمروا بعمارتها: المقابر*، وعمارتها: الأعمال الصالحة.

(٢) العواري: جمع عارية، أي أنّه وإنْ كان في القلب إلّا أنّ حكمه حكم العارية في البيت، فإنّها بعرضة الخروج، كناية عن كونه زعماً بغير فهم.

(٣) إذا ارتبتم في أحد وأردتم البراءة فلا تسارعوا لذلك وانتظروا به الموت عسى أن تدركه التوبة. وينبغي أن يُحمل هذه البراءة على البراءة المطلقة، وإلّا يجوز أن نبرأ من الفاسق وهو حيّ.

* لعل الأنسب أن تفسر المنازل هنا بالمنازل التي في الجنة، لا بالمقابر.

ٱلْأَوَّلِ[1]. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ ٱلْإِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا[2]. لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ[3]، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ[4]، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ[5].

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي[6]، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ[7]، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا[8] فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا[9]، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

---

(١) هذا الكلام يختصّ به أمير المؤمنين عليه السلام وهو من أسرار الوصيّة، لأنّ الناس يروُون عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا هجرة بعد الفتح» والهجرة التي أشار إليها أمير المؤمنين ليست تلك الهجرة، بل هي هجرة الى الإمام، قال: إنّها قائمة على حدّها الأوّل ما دام التكليف باقياً، أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الإسلام ورضي الإسلامَ ديناً، وهو المراد بمعرفة الحجّة الآتي في الكلام، فلا يجوز لمسلم أن يقيم في بلاد حرب على المسلمين، ولا أن يقبل سلطان غير المسلم، بل تجب الهجرة، إلّا إذا تعذّر عليه ذلك، لمرض أو عدم نفقة، فيكون من المستضعفين المعفو عنهم، وقول النبي صلى الله عليه وآله «لا هجرة بعد الفتح» محمول على الهجرة من مكة.

(٢) استَسَرَّ الأمرَ: كتمه. والإمّة: الحالة، ويضمها الطاعة. أي أنّ الهجرة فرضت على المكلّفين لمصلحتهم، وإلّا لا حاجة به إلى مضمر إيمانه في بلاد الكفر، ولا إلى معلنه في ديار الإسلام.

(٣) أي لا يصحّ أن يعدّ الإنسان من المهاجرين إلّا بمعرفة إمام زمانه.

(٤) ويروى: «مستصعِب» بكسر العين.

(٥) أحلام: عقول.

(٦) اجمع الناس كلّهم على أنّه لم يقلْ أحدٌ من الصحابة ولا من العلماء «سلوني» غير علي عليه السلام.

(٧) قوله: «فلأنا بطرق...» فالقصد به أنّه في العلوم الملكوتيّة والمعارف الإلهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية، وفي تلك تظهر مزية العقول العالية والنفوس الرفيعة، وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر.

(٨) شَغَرَ برِجْله: رفعها، ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها، من قولهم: «بلدة شاغرة برجلها» أي معرّضة للغارة ولا تمتنع عنها.

(٩) تطأ في خطامها: أي تتعثر فيه، كناية عن إرسالها وطيشها وعدم قائد لها.

١٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في الأمر بالتقوى

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ(١)، عَزِيزَ ٱلْجُنْدِ، عَظِيمَ ٱلْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ(٢) جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ. فَٱعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً(٣) ذِرْوَتُهُ(٤). وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ(٥)، وَٱمْهَدُوا(٦) لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ، وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ! وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ(٧)، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ(٨)، وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ(٩)،

(*) روى الآمدي طرفاً من هذه الخطبة في (الغرر) ص ٥٠ و١٠٨.

---

(١) وظائف حقوقه: الواجبات المؤقّتة كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان.

(٢) قاهرَ اعداءه: حاربهم، وروي: «وقهّر أعداءه».

(٣) المَعْقِل ـ كمَسْجِد ـ: الملجأ وما يُعْتَصم به.

(٤) ذروته: أعلاه.

(٥) مبادرة الموت: سبقه بالأعمال الصالحة، و«في غمراته» حال من الموت، والغمرات: الشدائد.

(٦) مَهَدَ ـ كمنع ـ: معناه هنا عَمِلَ، يريد: اتخذوا مهاداً، وهو الفراش، وهذه استعارة.

(٧) الأرماس: جمع رَمْس، وهو القبر، وأصله اسم للتراب.

(٨) الإبلاس: مصدر «أبلس» أي خاب ويئس، والإبلاس أيضاً: الانكسار والحزن.

(٩) المُطَّلَع ـ بضم فتشديد مع فتح ـ: المنزلة التي منها يشرف الإنسان على أمور الآخرة، وهي منزلة البرزخ، وأصل المَطّلَع موضع الاطّلاع من ارتفاع إلى انحدار.

وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ، وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ[1]، وَٱسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ[2]، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ[3]، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ[4].

فَاللَّهَ ٱللَّهَ عِبَادَ ٱللَّهِ! فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ[5]، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[6]. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا[7]، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا[8]، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[9]، وَٱنْصَرَفَتِ[10] ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا[11]، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً[12]، وَسَمِينُهَا غَثّاً[13]، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ[14] وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[15]،

---

(١) اختلاف الأضلاع: دخول بعضها في موضع الآخر من شدّة الضغط.

(٢) استكاك الأسماع: صَمَمُهَا من التراب أو الأصوات الهائلة.

(٣) الضريح: اللحد، وغمّ الضريح: ضيق القبر وكَرْبه.

(٤) الرَّدْم: السدّ. والصفيح: الحجر العريض، والمراد ما يسدّ به القبر.

(٥) السَّنَن: الطريق، أي طريق معروفة تفعل بكم فعلها بمن سبقكم

(٦) القَرَن ـ محرّكاً ـ: الحبل، يقرن به البعيران. كناية عن القرب وأن لابدّ منها.

(٧) الأشراط: العلامات، وأشراط الساعة: علاماتها.

(٨) أزفت: قربت. والأفراط: جمع فَرَط ـ بسكون الراء ـ وهو العَلَم المستقيم يهتدى به، أي بدلائلها. وأفراطها: وهم المتقدّمون السابقون من الموتى، ومن روى «بإفراطها» فهو مصدر أفرط في الشيء.

(٩) الكلاكل: الصدور، جمع كلكل، وهو الصدر، كناية عن الأثقال.

(١٠) انصرفت: أي ولّت، ويروى: «وانصرمت» أي انقضت [كما في نسخة عبده والصالح].

(١١) الحِضْن ـ بكسر الحاء ـ: مادون الإبط إلى الكَشْح.

(١٢) الرّث: الخلق البالي.

(١٣) الغثّ: الهزيل.

(١٤) مقام ضنك: أي ضيق.

(١٥) شديد كَلَبُها: أي شرّها وأذاها، والكَلَب ـ محرّكاً ـ: أكل بلا شبع.

عَالٍ لَجَبُهَا[1]، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا[2]، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا[3]، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا[4]، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً﴾. قَدْ أُمِنَ ٱلْعَذَابُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ؛ وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ. ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً[5]. فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً[6]، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَاباً، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ. فَٱرْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ. وَمَدِينُونَ[7] بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تُنَالُونَ[8]، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ. ٱسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

---

(١) اللَّجَب: الصوت والصياح أو الاضطراب.

(٢) التغيظ: الهيجان. والزفير: صوت توقّد النار.

(٣) ذكت النار: اشتدّ لهيبها. وَقُودها ها هنا ـ بضم الواو ـ: الحدَث، ولا يجوز الفتح لأنّ «وَقود» هو ما يوقد به كالحطب ونحوه، وهذا لا يوصف بأنّه ذاكٍ.

(٤) «عَم قرارُها»: أي لا يُهتَدى فيه لظلمته ولأنّه عميق جداً. [وأثبت عبده في المتن: «غمٌ قرارُها»] وغَمٍ: صفة من «غمّه» إذا غطاه، أي مستور قرارها المستقرّ فيه أهلها.

(٥) لا يريد من التوحّش النفرة من الناس، والجفوة في معاملتهم، بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون إليها. ويروى «وكأنّ ليلهم نهار».

(٦) المآب: المرجع.

(٧) مدينون: مجزيّون.

(٨) تُنالون ـ بضم التاء ـ: تُعطَوْن، يُقال: أنلت فلاناً مالاً، أي منحته، وروي: «تَنالون» بالفتح [كما عند عبده والصالح].

ٱلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ[1]، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ[2] وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللّٰهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللّٰهِ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ[3]، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً[4].

١٩١ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في وَصِيَّتِهِ بِالزُّهْدِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْفَاشِي[5] فِي ٱلْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَٱلْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَٱلْمُتَعَالِي جَدُّهُ[6].

(*) رواها الآمدي في (غرره) ص ٨٧ في حرف الألف بلفظ «إنّ» المشدّدة.

---

(١) لزوم الأرض: كناية عن السكون، وليس هذا تثبيطاً لهم عن حرب أهل الشام بل موجَّه لخاصته الذين كانوا يطّلعون على ما عند قوم من أهل الكوفة من نفاق فيرومون قتلهم وقتالهم فنهاهم عن ذلك، أو أنّه ينصحهم به عند عدم توفّر أسباب المغالبة، وينهاهم عن التعجّل بحمل السلاح تثبيتاً لقول يقوله أحدهم في غير وقته، ويأمرهم بالحكمة في العمل لا يأتونه إلّا عند رجحان نجحه.

(٢) وروي بإسقاط الباء من قوله: «بأيديكم».

(٣) الإصلات: مصدر «أصلت» أي سَلَّ، وإصلاتُ السيف: سَلُّه.

(٤) هذه الخطبة من أعيان خطبه ﷺ، ومن ناصع كلامه، وفيها من صناعة البديع الرائقة المستحسَنة البريئة من التكلّف ما لا يخفى، وقد أخذ ابنُ نُباتة الخطيب كثيراً من ألفاظها فأودعها خطبه.

(٥) الفاشي: الذائع والمنتشر.

(٦) الجَدّ ـ ههنا ـ: العظمة.

أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلتُّؤَامِ[١]، وَآلَائِهِ[٢] ٱلْعِظَامِ. ٱلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ بِمَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ ٱلْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ[٣]، بِلَا ٱقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا ٱحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ، وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ٱبْتَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ[٤]، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ[٥] ٱلْحَيْنِ[٦]، وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ[٧].

عِبَادَ ٱللّٰهِ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللّٰهِ حَقَّكُمْ[٨]، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِٱللّٰهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى ٱللّٰهِ[٩]، فَإِنَّ ٱلتَّقْوَى فِي

---

(١) التؤام: جمع توءم على فَوْعل، وهو الولد المقارن أخاه في بطن واحد، وكلّ واحد من الولدين توءم، وهما توءمان، وجاء في جمعه «تُؤَام» على وزن فُعال، وهي اللفظة التي وردت هنا، وهو جمع غريب نادر.

(٢) الآلاء: النعم، وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل.

(٣) الحُكم ـ هنا ـ: الحكمة.

(٤) «يضربون في غَمْرة» أي يسيرون في جَهل وضلالة، والضرب: السير السريع، ضَرَبَ في الماء: سبح، وضرب في الأرض: سار بسرعة وأبعد. والغَمْرة: الماء الكثير والشدّة، والمراد هنا إمّا شدّة الفتن وبلاياها أو شدّة الجهل ورزاياه.

(٥) الأَزِمّة: جمع زِمام، ما تقاد به الدّابة.

(٦) الحَيْن ـ بفتح الحاء ـ: الهلاك.

(٧) الرَّين ـ بفتح الراء ـ: الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب، وقيل: هو الطّبع والدنس، والتغطية والحجاب، وهو هنا حجاب الضلال.

(٨) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] يريد أنّ التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه، ومعينة على رضائه.

(٩) أي أُوصيكم بأنْ تستعينوا بالله على التقوى بأن تدعوه ليعينكم عليها، وأُوصيكم أنْ تستعينوا بالتقوى على لقاء الله ومحاكمته وحسابه.

ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ[1]، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ. مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ[2]. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَٱلْغَابِرِينَ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً[3]. إِذَا أَعَادَ ٱللَّهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى[4]. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا[5]، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولَـٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾. فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا[6]، وَأَلِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا[7]، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ[8]، وَٱرْحَضُوا[9] بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا

---

(١) الجُنّة ـ بضم الجيم ـ: الوقاية وما يستتر به، وبفتحها دار الثواب.

(٢) مُسْتَوْدَع التقوى: هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله؛ لأنّه مستودع الأعمال.

(٣) الغابر ـ هنا ـ: الباقي، وهو من الأضداد، يستعمل بمعنى الباقي وبمعنى الماضي.

(٤) أسدَى: منح وأعطى *وأرسل معروفه*، «وسأل عمّا أسدى»: أي سأل أرباب الثروة عمّا أسدى إليهم من النّعم.

(٥) «فما أقلَّ من قبلها»: يعني ما أقلّ من قبل التقوى العارضة نفسها على الناس.

(٦) *الإهطاع: الإسراع، أهطع البعير: مدّ عنقه وصوّب رأسه*. أهطعوا: أسرعوا، ويروى: «فانقطعوا بأسماعكم إليها» أي فانقطعوا إليها مصغين بأسماعكم.

(٧) وألِظُّوا بجدّكم: أي ألحّوا، والإلظاظ: الإلحاح في الأمر. «وبجدُكم» أي باجتهادكم، جددتُ في الأمر جدّاً بالغت واجتهدت، ويروى: «وأكظُوا بجِدّكم» [كما في نسخة عبده] والكِظاظ ـ ككتاب ـ: الممارسة وطول الملازمة، وفعلُه كَكَتَبَ.

(٨) أشعِرُوها قُلوبَكم: اجعلوها شعاراً لقلوبكم، وهو ما دون الدّثار وألصق بالجسد منه، أو يريد: اجعلوها علامةً لقلوبكم، أو يريد: أخرجوا قلوبكم بها من أشعار البدن، أي طهّروا القلوب بها.

(٩) رَحَضَ ـ كمَنَعَ ـ: غسل، ارحَضُوا بها: أي اغسلوا، وثوب رَحِيض ومَرحوض، أي مغسول.

ٱلْحِمَامَ[1]، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا[2]. أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا[3]، وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً[4]، وَإِلَى ٱلْآخِرَةِ وُلَّاهاً[5]. وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا. وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا[6]، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا[7]، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[8]، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[9]، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ. أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ ٱلْعَنُونُ[10]، وَٱلْجَامِحَةُ[11] ٱلْحَرُونُ[12]، وَٱلْمَائِنَةُ[13] ٱلْخَؤُونُ[14]، وَٱلْجَحُودُ

---

(١) الحِمام ـ ككِتاب ـ: الموت.

(٢) أي لا تكونوا عبرة يتعظ بسوء مصيركم من أطاع التقوى وأدى حقوقها.

(٣) تصَوَّنوا: تحفَّظوا.

(٤) النُزّاه: جمع نازِه، العفيف النفس المتباعد عمّا يوجب الذمّ.

(٥) الوُلّاه: جمع وَالِهٍ: المشتاق ذو الوجْد حتى يكاد يذهب عقله، والحزين على الشيء حتى يناله.

(٦) الشَيْم: النظر إلى البرق انتظاراً للمطر، «شامَ البرقَ» نظر إليه أين يمطر. والبارق: السحاب، أي لا تنظروا لما يغرّكم من مطامعها.

(٧) الأعلاق: جمع عِلْق ـ بالكسر ـ: بمعنى النفيس.

(٨) خالب: خادع، برق خالب وخُلَّب: لا مطرَ فيه.

(٩) محروبة: مسلوبة منهوبة.

(١٠) شبهها بالمرأة المومِس تتصدّى للرجال تريد الفجور. والمتصدية: المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها، ومن الدواب ما تمشي معترضة خابطة. والعَنُون ـ بفتح فضم ـ: مبالغة من «عنّ» إذا ظهر، ومن الدواب المتقدمة في السير، شبّه الدنيا بالمرأة المتبرّجة المستميلة، أو بالدابة تسبق الدواب وإن لم يدم تقدمها، أو الخابطة على غير طريق.

(١١) الجامحة: شبّهها بالدابّة ذات الجماح، وهي التي لا يُستطاع ركوبها لأنّها تعثر بفارسها وتغلبه.

(١٢) الحَرُون: التي إذا طلب بها السير وقفت.

(١٣) المائنة: الكاذبة، من «مان» أي كذب.

(١٤) الخؤون: مبالغة في الخيانة، شبّهها بامرأة كاذبة خائنة.

ٱلْكَنُودُ[1]، وَٱلْعَنُودُ ٱلصَّدُودُ[2]، وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ[3]. حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْـزَالٌ[4]، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ[5]، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ[6]. أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ[7]، وَلَحَاقٍ[8] وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا[9]، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[10]، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا؛ فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ[11]، وَلَفَظَتْهُمُ[12] ٱلْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ[13]: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[14]، وَلَحْمٍ

---

(١) جحد الشيء: أنكره وهو به عالم، وكَنَد النعمة: كفرها.

(٢) العَنُود: الناقة تعدل عن مرعى الإبل وترعى ناحية. والصَّدود: المعرضة، كثيرة الصدّ والهجر.

(٣) الحيود: مبالغة في الحيد بمعنى الميل، «حادت الناقة» مالت. والميود: من «ماد» إذا اضطرب، مادت: مالت، يريد بهذه الأوصاف أنّ الدنيا في طبيعتها لزم فمن سالمها حاربته، ومن حاربها سالمته.

(٤) الوطأة: كالضَّغطة، وأصلها موضع القدم. والزلزال: الشدّة العظيمة.

(٥) الحَرَب ـ بالتحريك ـ: سلب المال.

(٦) العطب: الهلاك.

(٧) «على ساق وسياق»: أي قائمون على ساقٍ استعداداً لما يتنظرون من آجالهم. يقال: «قامت الحرب على ساق» أي على شدّة، والسياق: مصدر «ساق فلاناً» إذا أصاب ساقه، أي ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم، فينكبّوا للموت على وجوههم، أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح من «ساق المريض سياقاً».

(٨) اللحاق للماضين، والفراق عن الباقين.

(٩) تحيّر المذاهب: حيرة الناس فيها.

(١٠) المَهارب أعجزت الناس عن الهروب؛ لأنها ليست كما يرونها مهارب، بل هي مهالك.

(١١) أسلمتهم المعاقل: لم تحفظهم.

(١٢) لفظتهم: رمت بهم.

(١٣) المحاول: المطالب، أو المَحاول: جمع مَحال ـ فتح الميم ـ أو محالة بمعنى الحذق وجودة النظر، أي لم يفدهم ذلك خلاصاً.

(١٤) أي فمنهم ناجٍ من الموت، مَعْقور: أي مجروح، أو هو من «عقَرَ الشاةَ والبعيرَ» إذا ضرَب ساقَه بالسيف وهو قائم.

مَجْزُورٍ[1]، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ[2]، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ[3]، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ[4]، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ[5]، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ[6]، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ[7]، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ[8]، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[9]. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[10]! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[11]. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[12].

---

(١) لحم مجزور: أي قتيل قد صار جَزَراً للسباع، أو المسلوخ أخذ عنه جلده.

(٢) شِلْو مذبوح: العضو من أعضاء الحيوان المذبوح أو الميت، أو الشِلْو ـ هنا ـ: البدن كلّه.

(٣) مسفوح: مسفوك.

(٤) عاضّ على يديه: أي ندماً.

(٥) صافق بكفّيه: أي تسفاً أو تعجباً.

(٦) المُرْتَفِق بخدَّيه: واضع خديه على مرفقيه، ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين، وهو جالس على أَلْيَتيه. وهذه الأوصاف كناية عن الندم على التفريط والإفراط.

(٧) الزاري على رأيه: المقبّح له، اللائم لنفسه عليه.

(٨) الغيلة: أي الشرّ الذي أضمرته الدنيا في خداعها أو يكون بمعنى الاغتيال، يقال: «قتله غيلة» أي خديعة.

(٩) المناص: المهرب، «ولاتَ حينَ مناص» أي ليس الوقت وقت التملّص والفرار. ويكون المناص أيضاً بمعنى الملجأ والمفزع، أي ليس هذا حين تجد مفزعاً ومعقلاً تعتصم به.

(١٠) هيهات: اسم للفعل ومعناه بَعُد، والتاء في «هيهاتَ» مفتوحة مثل كيفَ، وأصلها هاء، وناس يكسرونها على كلّ حال بمنزلة نون التثنية. وقد تبدل الهاء همزة، فيقال «أيهات» مثل: هراق وأراق.

(١١) البال: القلب والخاطر، «ومضت الدنيا لحالها وبالها» كلمة تقال فيما انقضى، ومعناها: مضى بما فيه إن كان خيراً وإن كان شرّاً، والمراد ذهبت على ما تهواه لا على ما يريد أهلها.

(١٢) المراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض وهم البشر، والمعنى أنّهم لا يستحقون أن يتأسّف عليهم، وقيل: أراد المبالغة في تحقير شأنهم؛ لأنّ العرب تقول في العظيم القدر يموت: بكته السماء، وبكته النجوم. فنفى عنهم ذلك، وقال: ليسوا ممن يقال فيه مثل هذا القول.

١٩٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

في ذمّ الكِبْر، وتُسمّى هذه الخُطبةُ بالقاصِعَة[1]

وهيَ تَتَضمَّنُ ذمَّ إبليسَ لَعَنَهُ اللهُ. عَلَى استِكبارِهِ وتَرْكِهِ السُّجُودَ لآدمَ عليه السلام، وأنَّهُ أوّلُ مَنْ أظهَرَ العَصَبيَّةَ[2] وتَبِعَ الحَميَّةَ، وتَحْذِيرَ النّاسِ مِن سُلُوكِ طَريقَتِهِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ، وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمىً[3] وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَٱصْطَفَاهُمَا[4] لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلَائِكَتَهُ ٱلْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ:

(*) رواها الزمخشري في (ربيع الأبرار) ج ١ ص ١١٣، والماوردي في (أعلام النبوة) ص ٩٧.

---

(١) يجوز أن تسمى هذه الخطبة «القاصعة» من قولهم: «قَصَعت الناقة بجرّتها»، وهي أن تردّها الى جوفها، أو تخرجها لتملأ فاها، فلمّا كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مردّدة من أولها الى آخرها شبّهها بالناقة تقصع الجِرّة. ويجوز أن تسمّى القاصعة لأنّها كالقاتلة لإبليس وأتباعه، من قولهم: «قَصَعتُ القملة» إذا هشمتها وقتلتها. ويجوز أن تسمّى القاصعة لأنّ المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته، فيكون من قولهم: «قصع الماء عطشه» أي أذهبه وسكّنه. ويجوز أن تسمّى القاصعة لأنّها تتضمّن تحقير إبليس وأتباعه وتصغيرهم، من قولهم: «قصعتُ الرجلَ» إذا امتهنته وحقرته.

(٢) العَصَبية: الاعتزاز بالعصبة، وهي قوم الرجل الذين يدافعون عنه، واستعمال قوّتهم في الباطل والفساد فهي هنا عصبية الجهل، كما أنّ الحمية حمية الجاهلية، أمّا التناصر في الحق والحمية عليه فهو أمر محمود في جميع أحواله، والكبر على الباطل تواضع للحق.

(٣) الحِمَى: ما حَمَيْتَه عن وصول الغير إليه والتصرّف فيه.

(٤) اصطفاهما: اختارهما.

﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعْتَرَضَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ ٱللَّهِ إِمَامُ ٱلْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ، ٱلَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ ٱللَّهَ رِدَاءَ ٱلْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ ٱلتَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ ٱلتَّذَلُّلِ. أَلَا يَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ ٱللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ سَعِيراً؟!

وَلَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[1]، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ[2]، لَفَعَلَ. وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى فِيهِ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ[3] مِنْهُمْ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ[4]، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ[5]. فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ[6]؟ كَلَّا، مَا كَانَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً. إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيْنَ ٱللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ

---

(١) الرُّواء: المنظر الحسن.

(٢) العَرْف: الريح الطيبة.

(٣) الخُيلاء ـ بضم الخاء وكسرها ـ: الكِبْر.

(٤) جَهْده: اجتهاده وجِدّه، والجهيد: أي المستقصى.

(٥) «عن» متعلق بـ«أحبط» أي أضاع عمله بسبب كبر ساعة.

(٦) أي يسلم من عقابه، وكأنّه استعمل سَلِمَ بمعنى ذهب أو فات فأتى بـ«على».

هَوَادَةً[1] فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. فَٱحْذَرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ عَدُوَّ ٱللّٰـهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ[2]، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ[3]، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ. فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ[4]، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ ٱلشَّدِيدِ[5]، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[6]، فَـ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ[7]، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ. صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ[8]، وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ. حَتَّى إِذَا ٱنْـقَادَتْ لَـهُ ٱلْـجَامِحَةُ مِـنْكُمْ[9]،

---

(١) الهوادة: الموادعة والمصالحة واللين والرخصة.

(٢) العَدْوى: ما يُعدي من جَرَبٍ أو غيره، يُعديكم بدائه: أن يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يُعدي الأجربُ السليمَ، والضمير لإبليس.

(٣) «يَسْتَفِزّكم» أي يستخفّكم أو يستنهضكم لما يريد. فإنْ تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله، أي رُكْبانه، وَرَجْلِه: أي مُشاته، والمراد أعوان السوء. [وفي نسخة الصالح: ورَجِله] والخيل: الخيّالة. والرَّجْل: اسم جمع لراجل كركْب لراكب. والكلام خرج مخرج المثَل، شبّهت حاله في تسلّطه على بني آدم بمن يُغير على قومٍ بخيله ورجله ليستأصلهم، وقيل: «بصوتك» أي بدعائك إلى القبيح، وخيله ورجله: كلّ ماشٍ وراكب من أهل الفساد من بني آدم.

(٤) فوّقت السهم: جعلت له فُوقاً، وهو موضع الوَتَر، وهو كناية عن الاستعداد.

(٥) النزع في القوس: مدّها، و«أغرق النازع» إذا استوفى مدّ قوسه، وقوله: « وأغرق إليكم بالنَّزْع» أي استوفى مدّ القوس وبالغ في نَزْعها ليكون مرماه أبعدَ، ووقع سهامه أشدّ.

(٦) قوله: «ورماكم من مكان قريب» لأنّه كما جاء في الحديث: «يجري من ابن آدم مجرى الدمُ، ويخالط القلب»، ولا شيء أقرب من ذلك.

(٧) أي قال إبليس هذا القول قَذْفاً بغيب بعيد، والقذف في الأصل: رمي الحجر وأشباهه، والغيب: الأمر الغائب.

(٨) صدّق إبليسَ في توعّده بني آدم بالإغواء أُولئك الغشماء أبناء الحمية الجاهلية.

(٩) أي الأنفس الجامحة أو الأخلاق الجامحة، أي استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم، وهو المراد بالجامحة.

وَٱسْتَحْكَمَتِ ٱلطَّمَاعِيَةُ[1] مِنْهُ فِيكُمْ. فَنَجَمَتِ فِيهِ ٱلْحَالُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ[2]، ٱسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ[3]، فَأَقْحَمُوكُمْ[4] وَلَجَاتِ ٱلذُّلِّ[5]، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ[6] ٱلْقَتْلِ، وَأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ ٱلْجِرَاحَةِ[7]، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ[8]، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ[9] ٱلْقَهْرِ إِلَى ٱلنَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً[10]، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ ٱلَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[11]. فَٱجْعَلُوا

---

(١) الطماعية: الطمع.

(٢) قوله: «فنجمت فيه الحال» أي ظهرت، أي بعد أن كانت وسوسة في الصدور وهمساً في القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح، وقد روي: «فنجمت الحال من السرّ الخفيّ» [كما في نسخة عبده والصالح].

(٣) دَلَفَ بجنوده: تقدّم بهم، و«دَلَفَتْ الكتيبة في الحرب»: تقدمت.

(٤) أقحموكم: أدخلوكم بغتة.

(٥) الوَلَجات: جمع وَلَجَة ـ بالتحريك ـ وهي موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر وغيره.

(٦) الوَرطة: الهلَكة.

(٧) أوطأه: أركبه. وإثخان الجراحة: المبالغة فيها، أي أركبوكم الجراحات البالغة، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا.

(٨) واعلم أنّه لمّا ذكر الطعن نسبه إلى العيون، ولمّا ذكر الحزّ وهو الذبح نسبه إلى الحلوق، ولمّا ذكر الدقّ وهو الصدم الشديد أضافه إلى المناخر، وهذا من صناعة الخطابة التي علّمه الله إياها بلا تعليم، وتعلّمها الناس كلّهم بعده منه.

(٩) الخزائم: جمع خِزَامَة، وهي حلقة من شعر توضع في وَتَرة أنف البعير فيشدّ فيها الزمام.

(١٠) «فأصبح» أي إبليس. وقوله: «وأورى ...» أي أشدّ قدحاً للنار في دنياكم لإتلافها، وبالجملة فهو أضرّ عليكم بوسواسه من إخوانكم في الإنسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين، أي مجاهرين لهم بالعداوة.

(١١) متألّبين: أي مجتمعين.

عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[1]، وَلَهُ جَدَّكُمْ[2]. فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ[3]، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ[4]. يَقْتَنِصُونَكُمْ[5] بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[6]، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ[7]، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ[8]. فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ[9] مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي ٱلْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ[10]، وَنَزَغَاتِهِ[11] وَنَفَثَاتِهِ[12]. وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ ٱلتَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ ٱلتَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ ٱلتَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ؛ وَٱتَّخِذُوا ٱلتَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[13] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ

---

(١) حدَّكم: أي غضبكم وحدتكم وبأسكم.

(٢) له جَدَّكم - بفتح الجيم -: أي قطعكم، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه. وجِدَّكم - بكسر الجيم - [كما أثبته ابن أبي الحديد في المتن]: من «جددت في الأمر جداً» أي اجتهدت فيه وبالغت.

(٣) وقع في حَسَبكم: أي عاب حسبكم وهو الطين، فقال: إنَّ النّار أفضلُ منه.

(٤) أي جمع خيّالته وفرسانه وألّبها [وعند تصالح برجله].

(٥) يقتنصونكم: يتصيّدونكم.

(٦) البَنان: أطراف الأصابع، وهو جمعٌ واحدته بنانة، ويجمع في القلّة على بنانات، ويقال: بنان مخضَّب، لأنَّ كلّ جمع ليس بينه وبين واحده إلّا الهاء فإنّه يذكّر ويوحّد.

(٧) حَومة الشيء: معظمه وأشدّ موضع فيه وأكثر ما يستعمل في حومة القتال والبحر والرمل.

(٨) الجَولة: الموضع الذي تجول فيه.

(٩) كَمَنَ في قلوبكم: استتر، ومنه الكمين في الحرب.

(١٠) النخوة: التكبّر والتعاظم.

(١١) النَّزْغة: المرّة من «النزغ» بمعنى الإفساد.

(١٢) النَّفْثة: النفخة.

(١٣) المَسْلَحة: الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو السلاح، والمسلحة: خيل معدّة للحماية والدفاع.

إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ[1] مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَبِ*، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ، وَنَفَخَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ ٱلَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللَّهُ بِهِ ٱلنَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي ٱلْبَغْيِ[2]، وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ، مُصَارَحَةً[3] لِلَّهِ بِٱلْمُنَاصَبَةِ[4]، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْمُحَارَبَةِ. فَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ[5] ٱلشَّنَآنِ[6]، وَمَنَافِخُ ٱلشَّيْطَانِ[7]، ٱلَّتِي خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ ٱلْمَاضِيَةَ، وَٱلْقُرُونَ

---

(١) نهاهم أن يكونوا كقابيل الذي حسد أخاه هابيل فقتله، وهما أخوان لأب وأم، وإنّما قال: «ابن أمّه» لذكر الأمّ دون الأب، لأنّ الأخوين من الأمّ أشدّ حنوّاً ومحبة والتصاقاً من الأخوين من الأب، لأنّ الأمّ هي ذات الحضانة والتربية.

(٢) أمعنتم: بالغتم فيه، من «أمعن في الأرض» أي ذهب فيها بعيداً.

(٣) مصارحة لله : أي مكاشفة.

(٤) المناصبة : المعاداة.

(٥) المَلاقِح: جمع مُلْقِح ـ كمُكْرَم ـ: الفحول التي تلقح الإناث وتستولد الأولاد**.

(٦) الشَنآن: البغض.

(٧) منافخ الشيطان: جمع منفخ، وهو مصدر أيضاً من «نفخ»، ونفخ الشيطان ونفثه واحد، وهو وسوسته وتسويله.

---

* في نسخة عبده والصالح: عداوة الحسب.

** ردّ ابن أبي الحديد هذا الرأي على الراوندي، وقال: «والصحيح أن ملاقح ـ ههنا ـ جمع مَلقح، وهو المصدر من «لقحت» كضربت مَضرباً وشربت مَشرباً.

ٱلخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا[1] فِي حَنَادِسِ[2] جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي[3] ضَلاَلَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ[4]، سُلُساً فِي قِيَادِهِ[5]. أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيهِ[6]، وَتَتَابَعَتِ ٱلْقُرُونُ عَلَيْهِ[7]، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ[8].

أَلاَ فَٱلحَذَرَ ٱلحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! ٱلَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ[9]، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا ٱلْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ[10]، وَجَاحَدُوا ٱللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلاَئِهِ[11]. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ ٱلْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ ٱعْتِزَاءِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ[12].

فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً. وَلاَ

---

(١) أعنَقُوا: من «أعنقت الثريا» غابت، أي غابوا واختفوا.

(٢) الحَنَادِس: جمع حندس ـ بكسر الحاء ـ الظلام الشديد.

(٣) المَهَاوي: جمع مهواة، الهوّة التي يتردّى فيها الصيد.

(٤) الذُلُل: جمع ذلول، من الذُّل ـ بالضم ـ ضد الصعوبة، و«ذللاً» حال من الضمير في «أعنقوا» أي أسرعوا منقادين لسوْقه إياهم. والسياق ـ هنا ـ السوق.

(٥) السُّلُس ـ بضمتين ـ: جمع سَلِس ـ ككَتِف ـ: السهل، والقياد من أمام كالسوق من خلف.

(٦) أي أنّ الحمية والفخر والكبر والعصبية مازالت القلوب متشابهة متماثلة فيها.

(٧) القرون: جمع قَرْن ـ بالفتح ـ وهي الأمّة من الناس.

(٨) أي كبر في الصدور حتى امتلأت به وضاقت عنه لكثرته.

(٩) أي جهلوا أنفسهم، ولم يفكّروا في أصلهم من النُّطَف المستقذرة من الطين المنتن، قال الشاعر:

مـا بـال مـن أوّله نُـطْفَةٌ وجـيـفةٌ آخـرُه يَـفْخَرُ

(١٠) الهجينة: الفعلة القبيحة. والتهجين: التقبيح، أي أنهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم.

(١١) الآلاء: النعم.

(١٢) اعتزاء الجاهلية: قولهم يا لَفلان! وتفاخرهم بأنسابهم، كلّ منهم يعتزي ـ أي ينتسب ـ إلى أبيه وما فوقه من أجداده، وكثيراً ما يجرّ التفاخر إلى الحرب، وإنّما تكون بدعوة الرؤساء، فهم سيوفها.

تُطِيعُوا ٱلْأَدْعِيَاءَ(١) ٱلَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ(٢)، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ آسَاسُ(٣) ٱلْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ ٱلْعُقُوقِ(٤). ٱتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، ٱسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ(٥). فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ(٦)، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

فَٱعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ ٱلْأُمَمَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ(٧)، وَٱتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ(٨)، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ(٩)، وَٱسْتَعِيذُوا بِٱللهِ مِنْ لَوَاقِحِ ٱلْكِبْرِ(١٠)، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ ٱلدَّهْرِ.

فَلَوْ رَخَّصَ ٱللهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ. فَأَلْصَقُوا بِٱلْأَرْضِ

---

(١) الأدعياء: جمع دَعِيّ، وهو من ينتسب إلى غير أبيه، والمراد منهم الأخسّاء المنتسبون إلى الأشراف، والأشرار المنتسبون إلى الأخيار، أو يريد الذين ينتحلون الإسلام ويبطنون النفاق.

(٢) شربتم بصفوكم كَدَرَهم: أي خلطوا صافيَ إخلاصكم بكَدَرِ نفاقهم، وبسلامة أخلاقكم مرضَ أخلاقهم.

(٣) آساس ـ بالمد ـ: جمع أساس، دِعامة الشيء. [وفي نسخة عبده والصالح: أساس].

(٤) الأحلاس: جمع حِلْس ـ بالكسر ـ: كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقيل لكلّ ملازم أمر: هو حلس ذلك الأمر. والعقوق: العصيان.

(٥) ويروى: «ونثّاً في أسماعكم» من «نثّ الحديث»، أي أفشاه.

(٦) النَّبْل ـ بالفتح ـ: العقوبات.

(٧) المَثُلات ـ بفتح فضم ـ: العقوبات.

(٨) مَثاوي: جمع مثوى، بمعنى المنزل، ومنازل الخدود: مواضعها من الأرض بعد الموت.

(٩) مصارع الجُنُوب: مطارحها على التراب.

(١٠) لواقح الكِبْر: محدثاته في النفوس.

خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ[1]، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ[2]، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ. قَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللّٰهُ بِٱلْمَخْمَصَةِ[3]، وَٱبْتَلاَهُمْ بِٱلْمَجْهَدَةِ[4]، وَٱمْتَحَنَهُمْ بِٱلْمَخَاوِفِ، وَمَحَّصَهُمْ بِٱلْمَكَارِهِ[5]. فَلَا تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ[6] جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ، وَٱلاِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ ٱلْغِنَى وَٱلْإِقْتَارِ*، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِمَا ـ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ[7]، وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ، وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَٱلذُّلِّ! فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ[8]» إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ!

---

(١) عفّر وجهه: ألصقه بالعفر.

(٢) خفضوا أجنحتهم: ألانوا جانبهم.

(٣) المَخْمَصة: الجوع.

(٤) المَجْهَدة: المشقّة.

(٥) ومحّصَهُم: أي طهّرهم، وروي «مخَضَهم» [كما عند عبده والصالح] أي حرّكهم وزلزلهم، ومَخض اللبن: تحريكه ليخرج زُبْده، والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية.

(٦) لا تجعلوا كثرة الأولاد ووفرة الأموال دليلاً على رضاء الله، والنقص فيهما دليلاً على سخطه، فقد يكون الأول فتنة واستدراجاً، والثاني ابتلاء.

(٧) مدارع الصوف: جمع مِدْرَعة، وهي كالكساء، وتدرّع الرجل وتمدرع إذا لبسها.

(٨) تقول: هذا سوار المرأة، والجمع أسورة، وجمع الجمع أساورة.

---

* في نسخة عبده والصالح: الاكتثار بدل الإقتار.

وَلَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ ٱلذِّهْبَانِ[1]، وَمَعَادِنَ ٱلْعِقْيَانِ[2]، وَمَغَارِسَ ٱلْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ ٱلسَّمَاءِ، وَوُحُوشَ ٱلْأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ ٱلْبَلَاءُ[3]، وَبَطَلَ ٱلْجَزَاءُ، وَٱضْمَحَلَّتِ ٱلْأَنْبَاءُ[4]، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ ٱلْمُبْتَلَيْنَ[5]، وَلَا ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ ٱلْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ ٱلْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا[6]. وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى ٱلْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَسْمَاعَ أَذىً[7].

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ ٱلرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ، لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى ٱلْخَلْقِ فِي

---

(١) الذِّهبان ـ بكسر الذال وبضمه ـ: جمع ذهب.

(٢) العِقيان: الذهب أيضاً، أو نوع من الذهب ينمو في معدنه.

(٣) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء، أي ما به يتميز الخبيث من الطيب، ولم يبق محلّ للجزاء على خير أو شرّ، فإنّ الفعل اضطراري وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة، ثم لا يكون للقابلين دعوة لأنبياء أجور المبتلين: أي الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره؛ لاستهوانهم مع من قبل بالسطوة.

(٤) اضمحلّت الأنباء: تلاشت وفنيت. والأنباء: جمع نَبأ، وهو الخبر، أي لسقط الوعد والوعيد وبطلا.

(٥) المبتَلَيْن ـ بفتح اللام ـ: جمع مبتلىً، كالمعطَيْن والمرتَضَيْن، جمع معطىً ومرتضى. [وعند عبده والصالح: المبتلين ـ بكسر اللام ـ].

(٦) فإنّ الخضوع بالرهبة يسمى إذا ذاك إيماناً مع أنّ الإيمان في الحقيقة هو الإذعان والتصديق، فلا يكون معنى الاسم لازماً له، ومَن يسمّى مؤمناً أو مسلماً حينئذٍ فإنّ تسميته مجاز لا حقيقة؛ لأنّه ليس بمؤمن إيماناً من فعله وكَسْبه، بل يكون مُلجأً إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات المعظمة.

(٧) خصاصة: فقر وحاجة.

ٱلاعْتِبَارِ[1]، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ ٱلاِسْتِكْبَارِ. وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَـهُمْ، أَوْ رَغْـبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً[2]، وَٱلحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَٱلخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَٱلاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَٱلاِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ.

وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلبَلْوَى وَٱلاِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلمَثُوبَةُ وَٱلـجَزَاءُ أَجْـزَلَ[3]. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ - صَلَوَاتُ ٱللّٰـهِ عَـلَيْهِ - إِلَـى ٱلآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ[4] لَا تَـضُرُّ وَلَا تَـنْفَعُ، وَلَا تُـبْصِرُ وَلَا تَسْـمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ «ٱلحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً»[5]. ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلأَرْضِ حَجَراً،[6] وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلدُّنْـيَا مَـدَراً[7]، وَأَضْـيَقِ بُـطُونِ ٱلأَوْدِيَـةِ قُـطْراً[8]. بَيْنَ

---

(١) أي أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها، فلو كان الأنبياء كالملوك في البطش لم يشقّ على المكلّف الانزجار عن القبائح كما يشقّ عليه لو تركها لقبحها لا لخوف السيف، وكان البُعد عن الاستكبار لخوف السيف أعظم من البُعد عنه إذا تُرك لقبحه. وأبعد للناس: أي أشدّ توغلاً بهم في الاستكبار؛ لأنّ الأنبياء يكونون قدوة في العظمة والكبرياء حينئذٍ.

(٢) فكانت النيات مشتركة: أي لأنّ الإيمان لم يكن خالصاً لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة.

(٣) المثوبة: أي الثواب. وأجزل: أكثر، والجزيل: العظيم.

(٤) الأحجار هي الكعبة.

(٥) جعله للناس قياماً: أي عِماداً، وفلان قيام أهله، أي يقيم شؤونهم.

(٦) أوعرُ بقاعِ الأرض حجراً: أي أصعبها، ومكان وعر: صعب المسلك أو المقام.

(٧) النّتائق: جمع نتيقة، البقاع المرتفعة، ومكّة مرتفعة بالنسبة لما انحطّ عنها من البلدان، والأصل: «امرأة مِنْتاق» أي كثيرة الولادة، ويقال: «ضيعة مِنْتاق» أي كثيرة الرّيع، فجعل ﷺ الضياع ذوات المدَر التي تُثار للحرث نتائق، وقال: إنّ مكّة أقلّها صلاحاً للزرع، لأنّ أرضها حجرية. والمَدَر: قطع الطين اليابس أو العلك الذي لا رمل فيه، وأقلّ الأرض مدراً لا ينبت إلّا قليلاً.

(٨) القُطر: الجانب.

جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[1]، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ[2]، وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ؛ لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ[3]، وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ ـ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ[4]، فَصَارَ مَثَابَةً[5] لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ[6]، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ[7]. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلأَفْئِدَةِ[8]، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ[9]، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ[10]، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً[11]، يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ[12]،

---

(١) رمالٌ دمِثة: سهلة ليّنة يضعف السير فيها والاستنبات منها، وكلّما كان الرمل أسهل كان أبعد عن أن ينبت.

(٢) عيون وشلة: أي قليلة الماء، والوَشَل: الماء القليل.

(٣) لا يزكو: لا ينمو، أي لا تزيد الإبل فيها، أي لا تسمن، والخُفّ ـ ههنا ـ الإبل، والحافر: الخيل والحمير، والظِّلْف: الشاة، تعبير عن الحيوان بما ركبت عليه قوائمه، أي ليس حولها مرعىً يرعاه الغنم فتسمَن.

(٤) أي يقصدوه ويحجّوه، وعِطفَا الرَّجل: جانباه، يقال: اثنى عِطْفَه إليه: مال وتوجه إليه.

(٥) مثابة: أي يُثاب إليه ويُرجع نحوه مرةً بعد أُخرى.

(٦) النُّجعَة: طلب الكلأ في الأصل، ثم سمي كلّ مَنْ قصد أمراً يروم النفع منه منتجعاً، فمنتجع الأسفار: محلّ الفائدة منها، ومكّة صارت بفريضة الحج داراً للمنافع التجارية، كما هي دار لكسب المنفعة الأُخروية.

(٧) مُلْقى: مصدر ميمي من «ألقى» أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم.

(٨) ثمرة الفؤاد: سويداء القلب، «وتهوي إليه» تشوّقه وتحنّ نحوه وتسرع سيراً إليه، والثمار: جمع ثمرة، والمراد هنا الأرواح.

(٩) المفاوز: جمع مفازة، الفلاة لا ماء بها، سُمّيت مفازة إمّا لأنّها مهلكة، من قولهم: «فوّز فلان» أي هلك، وإمّا تفاؤلاً بالسلامة والفوز. والسحيقة: البعيدة.

(١٠) المَهَاوي ـ كالهوّات ـ: منخفضات الأراضي. والفِجاج: الطرق الواسعة بين الجبال.

(١١) أي يحرّكهم الشوق نحوه إلى أن يسافروا إليه، فكنّى عن السفر بهزّ المناكب، أو يريد: يحرّكوا مناكبهم، أي رؤوس أكتافهم لله، وواحد المناكب منكب، وهو مجمع عظم العضد والكتف.

(١٢) «يهلّلون»: يقولون: لا إله إلّا الله، وروي: «يهلّون لله» أي يرفعون أصواتهم بالتلبية ونحوها.

وَيَرْمُلُونَ[1] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً[2] لَهُ. قَدْ نَبَذُوا ٱلسَّرَابِيلَ[3] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ ٱلشُّعُورِ[4] مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ٱبْتِلَاءً عَظِيماً، وَٱمْتِحَاناً شَدِيداً، وَٱخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً[5] بَلِيغاً، جَعَلَهُ ٱللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ[6] ٱلْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[7]، جَمِّ ٱلْأَشْجَارِ[8]، دَانِيَ ٱلثِّمَارِ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَى[9]، مُتَّصِلَ ٱلْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ[10]، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ[11]، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ[12]، وَزُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ، عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ. وَلَوْ

---

(١) الرَّمل: السعي فوق المشيء قليلاً دون الجري.

(٢) الأشعث: المنتشر الشعر مع تلبّد فيه. والأغبر: من علا بدنَه الغبار، أي لا يتعهدون شعورهم ولا ثيابهم ولا أبدانهم.

(٣) السَّرابيل: الثياب، «قد نبذوا السرابيل»: رموا ثيابهم وقمصانهم المخيطة، أي صار البيت هو الغاية التي هي الغرض والمقصد، وعنده تلقى الرّحال، أي تحطّ الإبل عند ظهورها، ويبطل السفر، لأنّهم قد انتهوا إلى الغاية المقصودة.

(٤) إعْفاء الشعور: تركها بلا حلق ولا قصّ.

(٥) التمحيص: التطهير من «محصْتُ الذهب بالنار» أي صفّيته، والتمحيص: الامتحان والاختبار.

(٦) المشاعر: معالم النُّسك.

(٧) القرار: المطمئن من الأرض.

(٨) جمّ الأشجار: كثيرها.

(٩) البُنى: جمع بُنْيَة ـ بضم الباء وكسرها ـ: ما ابتنيته، وملتفّ البنى: كثير العمران.

(١٠) البُرّة: الواحدة من البُرّ، وهو الحنطة، والسمراء: أجودها.

(١١) الأرياف: جمع ريف، وهو الخِصْب والمرعى في الأصل، وهو ههنا السّواد والمزارع، ومحدقة: محيطة، من «أحدقت الروضة» صارت ذات شجر.

(١٢) العِراص: جمع عرصة، الساحة ليس بها بناء. والمُغْدِقة: الغزيرة، من «أغْدَق المطرُ» كثر مَاؤه، والغدق: الماء الكثير.

كَانَ ٱلْإِسَاسُ ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا(١)، وَٱلْأَحْجَارُ ٱلْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ(٢)، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُصَارَعَةَ ٱلشَّكِّ فِي ٱلصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ ٱلرَّيْبِ مِنَ ٱلنَّاسِ(٣)، وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ ٱلشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ ٱلْمَجَاهِدِ(٤)، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ ٱلْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً(٥) إِلَىٰ فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً(٦) لِعَفْوِهِ.

فَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي عَاجِلِ ٱلْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ ٱلظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ ٱلْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ ٱلْعُظْمَىٰ وَمَكِيدَتُهُ ٱلْكُبْرَىٰ ٱلَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ ٱلرِّجَالِ(٧) مُسَاوَرَةَ ٱلسُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً(٨)، وَلَا تُشْوِي أَحَداً(٩)، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ(١٠).

---

(١) الإساس ـ بكسر الهمزة ـ: جمع أُسّ ـ مثلثها ـ أو أساس.

(٢) وروي «مضارعة الشك» ومعناه مقارنة الشك ودنوّه من النفس.

(٣) معتلَج الريب: أي اعتلاجه، ومُعتلَج مصدر ميمي من «الاعتلاج» والاعتلاج: الالتطام، اعتلجت الأمواج التطمت، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس.

(٤) المجاهد: جمع مَجْهدة، وهي المشقّة.

(٥) فُتُحاً: أي مفتوحة واسعة.

(٦) ذُلُلاً: أي سهلة.

(٧) تُساورُ قلوبَ الرجال: تواثبها وتُغالبها.

(٨) ما تكدِي: ما تردُّ عن تأثيرها، من قولك: «أكدى حافر الفرس» إذا بلغ الكُدية، وهي الأرض الصُّلبة، فلا يمكنه أنْ يحفر.

(٩) لا تشوي أحداً: لا تخطئ المَقْتل وتصيب غيره، وهو الشَّوَى، والشوى: الأطراف، كاليد والرجل، يقال: «أشْوَتِ الضربة» أي أخطأت المقتل.

(١٠) الطِمْر: الثوب الخَلَق.

وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ ٱللّٰهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[1] بِٱلصَّلَوَاتِ وَٱلزَّكَوَاتِ. وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[2]. وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ. وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ. وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ. وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ[3]. وَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِٱلتُّرَابِ تَوَاضُعاً[4]، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِٱلْأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِٱلْمُتُونِ[5] مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ[6].

أُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ[7]، وَقَدْعِ[8] طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلَاءِ[9]، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ[10]؛ فَإِنَّكُمْ

---

(١) أي حراسة الله للمؤمنين بالصلوات و الناشئة عن ذلك، فهذه الفرائض لتخليص النفوس من تلك الرذائل.

(٢) الأطراف: الأيدي والأرجل.

(٣) الخُيلاء: التكبّر.

(٤) عتاق الوجوه: كرامها، وهو جمع عتيق من «عَتُق» إذا رقّ بشَرُه.

(٥) المتُون: الظهور.

(٦) المسكنة: أشدُّ الفقر، وهذا نوع من تحكيم الفقراء في أموال الأغنياء، وتسليط لهم عليهم، وفيه إضعاف لكبر الأغنياء.

(٧) القمْع: القهر، والنّواجم: جمع ناجمة، وهي ما يظهر ويطلع من الكبر وغيره، من «نجم» إذا طلع وظهر.

(٨) القَدْع: الكفّ والمنع.

(٩) التمويه: التلبيس من «موّهت النحاس» إذا طليته بالذهب ليخفى.

(١٠) تَليطُ وتلُوط: أي تلصق، و«لاط الشيءُ بقلبي» أي التصق. وقوله: «غيركم» أي إلّا أنتم فإنّكم تتعصبون لا عن حجّة تقبلها السفيه، ولا عن علّة تحتمل التمويه.

تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

وَأَمَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ[1] ٱلْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ[2]، فَـ﴿قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ ٱلْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ ٱلْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ، ٱلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ[3] وَٱلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ[4]، وَيَعَاسِيبِ ٱلْقَبَائِلِ[5]، بِٱلْأَخْلَاقِ ٱلرَّغِيبَةِ[6]، وَٱلْأَحْلَامِ[7] ٱلْعَظِيمَةِ، وَٱلْأَخْطَارِ[8] ٱلْجَلِيلَةِ، وَٱلْآثَارِ ٱلْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ ٱلْحَمْدِ مِنَ ٱلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ[9]، وَٱلْوَفَاءِ بِٱلذِّمَامِ[10]، وَٱلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَٱلْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَٱلْأَخْذِ بِٱلْفَضْلِ، وَٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْبَغْيِ، وَٱلْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَٱلْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَٱلْكَظْمِ

---

(١) المُتْرَف ـ على صيغة اسم المفعول ـ: الذي أطغته النعمة، والمتوسّع له في النعم يتمتع بما يشاء من اللذات.

(٢) آثار مواضع النعم: ما ينشأ عنها من التعالي والتكبّر. وعلّة إبليس والأمم المترفة وإن كانت فاسدة إلّا أنّها شيء في جانب ما تتعلل به القبائل في مقاتلة بعضها بعضاً.

(٣) تفاضلت فيها: أي تزايدت. والمُجداء: جمع ماجد.

(٤) النُجداء: الشجعان، واحدهم نَجيد. وبيوتات العرب: قبائلها.

(٥) يعاسيب القبائل: رؤساؤها، واليعسوب في الأصل: ذَكَر النحل وأميرها، ويستعمل مجازاً في رئيس القوم كما هنا.

(٦) الأخلاق الرغيبة: المَرْضِية المرغوبة، والرغيبة: الخصلة يُرغب فيها.

(٧) الأحلام: العقول.

(٨) الأخطار: الأقدار.

(٩) الجوار ـ بالكسر ـ: المجاورة، بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم.

(١٠) الذِمام: العهد.

لِلْغَيْظِ، وَٱجْتِنَابِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ. وَٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِٱلْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ[1] بِسُوءِ ٱلْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ[2]. فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ[3]، فَٱلْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ[4]، وَزَاحَتِ ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ[5]، وَمُدَّتِ[6] ٱلْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَٱنْقَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ ٱلِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ[7]، وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَٱلتَّوَاصِي بِهَا. وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ[8]، وَأَوْهَنَ[9] مُنَّتَهُمْ[10]؛ مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي[11].

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ[12]

---

(١) المَثُلات: العقوبات.

(٢) ذميم الأفعال: ما يُذمّ منها.

(٣) تفاوت: اختلاف وتباين. وحاليهم: من سعادة وشقاء.

(٤) لزمت العزة به شأنهم: أي كان سبباً في عزتهم وما يتبعها من الأحوال الآتية.

(٥) زاحت الأعداء: بعدت. وله، أي لأجله.

(٦) مُدّت: أي انبسطت.

(٧) «من الاجتناب» بيان لأسباب العزة وبعد الأعداء وانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة.

(٨) الفِقْرة ـ بالكسر والفتح ـ: واحدة فِقَر الظهر، ما انتظم من عَظْم الصُّلْب من الكاهل إلى عَجْز الذَّنَب. ويقال لمن قد أصابته مصيبة شديدة: قد كُسرت فِقرته.

(٩) أوْهَنَ: أي أضعف.

(١٠) المُنّة ـ بضم الميم ـ: القوّة.

(١١) تخاذل الأيدي: ألّا ينصُر الناس بعضهم بعضاً.

(١٢) التمحيص: التطهير والتصفية أو الابتلاء والاختبار.

وَٱلْبَلَاءِ! أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً[1]، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً[2] وَأَضْيَقَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَالاً. ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ[3] عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ[4]، فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً[5]، وَقَدْ بَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللهِ لَهُمْ، مَا لَمْ تَذْهَبِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ[6] مُجْتَمِعَةً، وَٱلْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً[7]، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ[8]، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ! فَٱنْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ[9] ٱلْأُلْفَةُ، وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا

---

(١) الأعباء: الأثقال، واحدها عِبْء.

(٢) أجهد العباد: أتعبهم.

(٣) الفراعنة: العتاة، وكلّ عاتٍ فرعون.

(٤) أي جرعوهم عُصارته، والمُرار: شجر مرٌّ تتقلص منه شفاه الإبل إذا أكلته، واستعير شرب المرار لكلِّ مَنْ يلقى شديد المشقّة. [وعند ابن أبي الحديد وجرّعوهم جُرَعَ المُرار].

(٥) أئمة أعلاماً: أي يُهتَدى بهم، كالعَلَم في الفَلاة.

(٦) الأملاء: جمع مَلأ، بمعنى الجماعة والقوم.

(٧) الأيدي المترادفة: المتعاونة.

(٨) أرباباً: سادات. وأقطار الأرضين: نواحيها.

(٩) وتشتت: تفرّقت.

مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ[1]، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ[2] فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

فَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. فَمَا أَشَدَّ ٱعْتِدَالَ[3] ٱلْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ ٱشْتِبَاهَ ٱلْأَمْثَالِ![4]. تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ ٱلْأَكَاسِرَةُ وَٱلْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ[5]. يَحْتَازُونَهُمْ[6] عَنْ رِيفِ[7] ٱلْآفَاقِ، وَبَحْرِ ٱلْعِرَاقِ[8]، وَخُضْرَةِ ٱلدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ ٱلشِّيحِ[9]، وَمَهَافِي ٱلرِّيحِ[10]، وَنَكَدِ ٱلْمَعَاشِ[11]، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ[12]، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ[13]، أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَاراً[14]،

---

(١) غضارة النعمة: الطيّب الليّن منها.

(٢) قصص الأخبار: حكايتها وروايتها.

(٣) الاعتدال هنا: التناسب.

(٤) الاشتباه: التشابه، أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض، وإنّ حالكم لشبيهة بحال أولئك فاعتبروا بهم.

(٥) أرباباً: أي ملوكاً، وكانت العرب تسمي الأكاسرة أرباباً.

(٦) يحتازونهم عن الريف: يبعدونهم عنه.

(٧) الريف: الأرض ذات الخِصْب والزرع، والجمع أرياف، أرافت الأرض أي أخصبت.

(٨) بحر العراق: دجلة والفرات، أمّا الأكاسرة فطردوهم عن بَحْر العراق، وأمّا القياصرة فطردوهم عن ريف الآفاق، أي عن الشام.

(٩) منابت الشِّيح: أرض العرب، والشِّيح: نَبْت معروف.

(١٠) مهافي الريح: المواضع التي تهفو فيها، أي تهبّ، وهي الفيافي والصحاري.

(١١) نكد المعاش: ضيقه وقلّته، والنَكَد ـ بالتحريك ـ أي الشدّة والعسر.

(١٢) تركوهم عالةً: أي فقراء، جمع عائل، والعائل: ذو العَيْلة، والعَيْلة: الفقر.

(١٣) الدَّبَر ـ بالتحريك ـ: القرحة في ظهر الدابة. والوَبَر: شعر الجمال، وهو للبعير بمنزلة الصوف للضأن والشَّعر للمعز، والمراد أنّهم رعاة.

(١٤) قوله: «أذلّ الأمم داراً»: لعدم المعاقل والحصون المنيعة فيها.

وَأَجْدَبِهِمْ قَرَاراً[1]، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا[2]، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا. فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ؛ فِي بَلَاءِ أَزْلٍ[3]، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ[4]! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ[5]، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ[6]. فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً[7]، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا[8]، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ[9] فِي عَوَائِدِ[10] بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَاكِهِينَ[11]. قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ[12]، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ[13] عِزٍّ غَالِبٍ،

---

(١) الجدب: المحْل، وأجدبهم قراراً؛ لعدم الزرع والشجر والنخل بها.

(٢) لا يأوون: لا يلتجئون ولا ينضمّون؛ إذ لم يكن فيهم داعٍ إلى الحق فيأوون إليه، ويعتصمون بمناصرة دعوته.

(٣) بلاء أَزْلٍ: على الإضافة، والأَزْل ـ بفتح الهمزة وسكون الزاي ـ: الشدة والضيق.

(٤) أطباق جهل: جمع طَبَق، أي جهل متراكم بعضُه فوق بعض.

(٥) مَوْؤُودَة: من «وَأَدَ بنته» أي دفنها وهي حيّة، وكان بنو إسماعيل من العرب يفعلون ذلك ببناتهم.

(٦) غارات مشنونة: متفرقة، وشنّ الغارة عليهم؛ صبّها من كلّ وجه، وهي أصعب الغارات.

(٧) هو نبينا ﷺ.

(٨) الجداول: الأنهر.

(٩) التفّت الملّة بهم: أي كانوا متفرّقين فالتفّت ملّة محمّد ﷺ بهم، أي جمعتهم بعد تفرقهم، وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة إليهم، يقال: «التفّ الحبلُ بالحطَب» أي جمعه، و«التفّ الحطب بالحبل» أي اجتمع به. وروي «والتفّت الملّة»، والرواية الأولى أصحّ.

(١٠) العوائد: جمع عائدة، وهي المنفعة، ما يعود على الناس من الخيرات والنعم.

(١١) فاكهين: ناعمين، وروي «فكهين» [كما في نسخة عبده والصالح] أي أشرين أو راضين، طيبة نفوسهم.

(١٢) تربعت الأمور بهم: أي قامت، من «رَبَع بالمكان» أي أقام به.

(١٣) الكنَف: الجانب.

وَتَعَطَّفَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَيْهِمْ[1] فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ ٱلْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ ٱلْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ. لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ[2]، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ[3]!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ ٱلطَّاعَةِ[4]، وَثَلَمْتُمْ[5] حِصْنَ ٱللَّهِ ٱلْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ[6]. فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ ٱلْأُلْفَةِ ٱلَّتِي يَتَقَلَّبُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَاباً[7]، وَبَعْدَ ٱلْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً[8]. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِٱسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: ٱلنَّارَ وَلَا ٱلْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا[9] ٱلْإِسْلَامَ عَلَى

---

(١) تعطّفت الأمور عليهم: كناية عن السيادة والإقبال، يقال: «قد تعطّف الدهر على فلان» أي أقبل حظّه وسعادته، بعد أن لم يكن ذلك.

(٢) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم، يقال: «لا يغمز له قناة» أي هو صلب، والقَناة: الرمح، وغَمْزُها: جَسُّها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك.

(٣) الصَّفاة: الحجر الصلد، وقَرْعها: صدمها لتكسر. وهو مَثَل لمن لا يُطمع في جانبه لعزته وقوّته.

(٤) نفضتم أيديكم: كلمة تقال في اطّراح الشيء وتركه، وهي أبلغ من أن تقول: «تركتم حبلَ الطاعة» لأنّ نفضها إشعار وإيذان بشدّة الاطّراح والإعراض.

(٥) ثَلَمْتم: خرقتم.

(٦) الباء في قوله «بأحكام الجاهلية» متعلقة بـ«ثلمتم»، أي ثلمتم حصن الله بأحكام الجاهلية.

(٧) أي صرتم من أعراب البادية الذين يكتفي في إسلامهم بذكر الشهادتين وإن لم يخالط الإيمان قلوبهم، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين.

(٨) المُوالاة: المحبة. والأحزاب: المتفرّقون المتقاطعون.

(٩) أكفأتُ الإناء وكفأته: لغتان، أي كببتُه.

وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ[1] ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللّٰهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ ٱلْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ، وَلَا مُهَاجِرِينَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا ٱلْمُقَارَعَةَ بِٱلسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللّٰهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللّٰهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقُرُونَ ٱلْمَاضِيَةَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ ٱللّٰهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي[2].

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ. أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللّٰهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ[3] وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ[4] وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ[5]

---

(١) هو ميثاق الأخوة الدينية.

(٢) التناهي: مصدر تناهى القوم عن كذا، أي نهى بعضهم بعضاً، يقول: لعن الله الماضين من قبلكم، لأنّ سُفَهَاءهم ارتكبوا المعصية، وحلماءهم لم ينهوهم عنها.

(٣) النَّكْث: نقض العهد، والناكثون أصحاب الجمل، والقاسطون: الجائرون عن الحق، وهم أهل الشام بصفّين، والمارقون: الذين مرقوا من الدين، أي خرجوا منه، وهم الخوارج.

(٤) دوّختهم: أي أضعفتهم وأذللتهم.

(٥) شيطان الردهة: قال قوم: إنّه ذو الثُّدَيَّة صاحب النهروان، من رؤساء الخوارج، وُجِد مقتولاً في ردهة، وقال قوم: شيطان الردهة أحد الأبالسة المَرَدة من أعوان عدوّ الله إبليس. وعَضَدَ كلٌّ فريق رأيَه بخبرٍ عن النبيّ ﷺ، والرَّدْهة: شبه نُقْرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ(١) سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ(٢)، وَرَجَّةُ صَدْرِهِ(٣)، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ. وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللّٰهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ(٤) إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً(٥).

أَنَا وَضَعْتُ فِي ٱلصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ(٦)، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ(٧). وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ(٨). وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ(٩).

وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللّٰهُ بِهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ

---

(١) الصَّعْقَة: الغشية تصيب الإنسان من الهول. وقال قوم ومنهم الجوهريّ صاحب «الصحاح»: إنّ ذا الثُّدَيَّة لم يُقتَل بسيف، ولكنّ الله رماه يوم النهروان بصاعقة.

(٢) وجبة القلب: اضطرابه وخفقانه.

(٣) رَجّة الصدر: اهتزازه وارتعاده.

(٤) لأُدِيلَنّ منهم: لأمحقنهم، ولتكونن الدَّوْلة لي عليهم، «أُدِلت من فلان» أي غلبته وقهرته، وصرت ذا دولةٍ عليه.

(٥) أي لا يفلت مني إلّا من يتفرّق في أطراف البلاد، ويتشذّر: يتمزّق ويتبدّد، ومنه قولهم: «ذهبوا شَذَرَ مَذَرَ».

(٦) بكلاكل العرب: الباء زائدة. والكلاكل: الصُّدُور، الواحد كلكل، عبّر بها عن الأكابر. والمعنى أنّي أذللتهم وصرعتهم الى الأرض.

(٧) نواجم قرون ربيعة ومضر: الظاهرة الرفيعة، مَن «نجم منهم وظهر»، يريد بها أشراف القبائل. و «قرون» مضاف و«ربيعة» مضاف إليه.

(٨) العَرْف: الريح الطيبة الذكية.

(٩) الخَطْلَة: واحدة الخَطَل ـ كالفَرْحَة واحدة الفَرَح ـ وهو الخطأ ينشأ عن عدم الرويّة.

مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ.

وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ(١)، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِٱلِاقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ(٢) فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ(٣) ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ، مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ».

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلَأُ(٤) مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ: «إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللّٰهُ لَكُمْ ذٰلِكَ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِٱلْحَقِّ؟»

---

(١) الفَصِيل: ولد الناقة.

(٢) حِراء ـ بكسر الحاء ـ: جبل على القرب من مكّة.

(٣) الرَنّة: الصوت.

(٤) الملأ: الجماعة.

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ[1]، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ[2]، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ[3]، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ، قَالُوا - عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً -: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَالُوا - كُفْراً وَعُتُوّاً -: فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ، وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا! - يَعْنُونَنِي - وَإِنِّي

---

(١) لا تفيئون: لا ترجعون.

(٢) القَليب - كأمير -: البئر، والمراد منه قَلِيب بَدْر، طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، كعُتْبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس، وعمرو بن هشام بن المغيرة المكنّى أبا جهل، وغيرهم، طُرِحوا في قَليب بدْر بعد انقضاء الحرب. ومن يحزب الأحزاب أبو سفيان، والأحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه ﷺ في وقعة الخندق.

(٣) القصف والقصيف: الصوت الشديد. وحديث الشجرة كثيرٌ مستفيض، وهو من معجزات الرسول ﷺ.

لِمنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ[1]، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ ٱلأَبْرَارِ، عُمَّارُ[2] ٱللَّيْلِ، وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ. مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ؛ يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ؛ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ، وَلاَ يَغُلُّونَ[3] وَلاَ يُفْسِدُونَ. قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ.

١٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

فِي وَصْفِ ٱلْمُتَّقِينَ

رُوِيَ أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلام يقال له همّام[4]، كان رجلا عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين: صِفْ لي المُتَّقين حتّى كأنّي أنظر إليهم، فتثاقل ﷺ عن جوابه[5]. ثم قال:

يَا هَمَّامُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَأَحْسِنْ: فَـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

فلم يقنع هَمَّامٌ بهذا القول حتّى عَزَمَ عليه، فحمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -، ثم قال عَلَيْهِ ٱلسَّلاَم:

(*) رواها سليم بن قيس في (كتابه) ص ٢١١، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ٢ ص ٣٥٢.

---

(١) سيماهم: علامتهم ومثله «سيمياء».

(٢) عُمّار: جمع عامر، أي يَعْمُرونه بالسهر للفكر والعبادة.

(٣) يَغُلّون: يخونون.

(٤) هو همّام بن شُريح بن يزيد، كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه، وكان ناسكاً عابداً.

(٥) تثاقل عن جوابه، أي أبطأ لِتَزَمّ عليه، أي أصرّ وقطع، وتثاقل لأنّه عَلِم المصلحة في ذلك، أو لحضور مَن لا يُحب أن يجيبَ وهو حاضر، أو أنّ تثاقله يشد شوق همّام إلى سماعه.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ ٱلصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ ٱلِاقْتِصَادُ[1]، وَمَشْيُهُمُ ٱلتَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ[2]، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ[3]. نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ، كَٱلَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ[4]. وَلَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى ٱلثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ. عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا[5]، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ[6]، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ[7]

---

(١) ملبسهم الاقتصاد: أي ليس بالثمين جداً، ولا بالحقير جداً، أو يريد أنهم لا يأتون من شهواتهم إلّا بقدر حاجاتهم في تقويم حياتهم فكان الإنفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم لكنّهم يتوسعون في الخيرات.

(٢) غضّوا أبصارهم: خفضوها وغمضوها.

(٣) الأوهام ـ ههنا ـ: العقول.

(٤) يعني أنّهم طابوا نفساً في البلاء كطيب أنفسهم في الرخاء، فإذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنّهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنّهم في بلاء، ولا يبطرون ولا يتجبّرون.

(٥) أي هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما، فكأنّهم في نعيم الأولى وعذاب الثانية، رجاء وخوفاً، وهذا مقام جليل، ومثله قوله ﷺ في حقّ نفسه: «لو كُشفَ الغطاء ما ازددتُ يقيناً».

(٦) نحافة أجسادهم من الفكر في صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم له.

(٧) تجارةٌ مربحةٌ: أي تجارتهم تجارة مربحة، يقال: أربحت التجارة، إذا أفادت ربحاً.

يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا ٱللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً[1]، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ[2]. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ. وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ[3] وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ[4]، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ[5]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ[6] وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ[7].

وَأَمَّا ٱلنَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ[8]، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ[9]. وَيَقُولُ: لَقَدْ

---

(١) الترتيل: التبيين والإيضاح، وهو ضدّ الإسراع والعَجَل.

(٢) استثار الساكن: هيّجه، وقارئ القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل فهو دواؤه، أو هو إشارة إلى البكاء، فإنّه دواء الحزين.

(٣) زفير النّار: صوتها، أي صوت توقّدها

(٤) شهيقها: الشديد من زفيرها، كأنّه تردد البكاء، أو نهيق الحمار. أي أنّهم من كمال يقينهم بالنار يتخيّلون صوتها تحت جدران آذانهم، فهم من شدّة الخوف، قد حنوا ظهورهم، وسقطوا الانحناء على أوساطهم.

(٥) حَنَيْتُ العود: عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصّلاة.

(٦) مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض.

(٧) يطلبون الى الله: أي يسألونه، وفكاك الرقاب: خلاصها.

(٨) القِداح: السهام، واحدها قِدْح، وهو السهم قبل أن يراش. وبراه: نحته، أي رقّق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت.

(٩) كانت العرب تقول للكرام من النّاس، قليلي المأكل والمشرب، والقصي اللباس الرضيع، ذوي الأجسام النحيفة: مراض من غير مرض، ويقولون أيضاً للمرأة ذات الطرْف الغضيض الفاتر: مريضة من غير مرض.

خُولِطُوا، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ[1]، لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ[2]. إِذَا زُكِّيَ[3] أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي! اَللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»! فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ، أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنًى[4]، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ[5]، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ[6]. يَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ. يُمْسِي وَهَمُّهُ ٱلشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ ٱلذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلرَّحْمَةِ. إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[7] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى[8]، يَمْزُجُ ٱلْحِلْمَ بِٱلْعِلْمِ، وَٱلْقَوْلَ بِٱلْعَمَلِ.

---

(١) خولِطوا: أي أصابتهم جِنّة. يقال: خُولط في عقله: أي مازَجَهُ خَلَلٌ فيه. والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله، أي مازجهم خوف عظيم تولّهوا لأجله، فصاروا كالمجانين.

(٢) مشفقون: خائفون من التقصير فيها ألّا تُقبل، وإلى هذا نظر أبو تمام، فقال:

يتجنّب الآثام ثم يخافها | فكأنّما حسناتُهُ آثامُ

(٣) زُكِّي: مدحه أحد.

(٤) قصداً: أي اقتصاداً.

(٥) التجمّل: التظاهر باليسر عند الفاقة، أي الفقر.

(٦) التحرّج: عد الشيء حَرَجاً، أي إثماً، أي تباعداً عن طمع.

(٧) أي إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشقّ عليها من الطاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة.

(٨) ما لا يزول هو الآخرة، وما لا يبقى هو الدنيا.

تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ[1]، قَلِيلاً زَلَلُهُ[2]، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ[3]، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ[4]، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. اَلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي اَلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي اَلذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي اَلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ اَلْغَافِلِينَ[5]. يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيداً فُحْشُهُ[6]، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي اَلزَّلاَزِلِ وَقُورٌ[7]، وَفِي اَلْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي اَلرَّخَاءِ شَكُورٌ. لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ[8]. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَ يُضِيعُ مَا اَسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ[9]، وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي اَلْبَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ اَلْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ[10]، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اَللهُ

---

(١) تراه قريباً أملُه: أي ليست نفسه متعلّقة بما عظُم من آمال الدنيا، وإنّما قُصارى أمره أن يؤمّن القوت والملبس.

(٢) قليلاً زلله: أي خطؤه.

(٣) منزوراً أكله: أي قليلاً.

(٤) حَرِيزاً: أي حصيناً.

(٥) أي إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكر له بقلبه، وإن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصراً على تحريك اللسان مع غفلة القلب.

(٦) بعيداً فُحشُه: ليس يعني به أنّه قد يفحش تارة، ويترك الفحش تارات، بل لا فحش له أصلاً، فكنّى عن العَدَم بالبعد، لأنّه قريب منه. والفُحْش: القبيح من القول.

(٧) في الزلازل: أي الشدائد المُزعِجة. والوقور: الذي لا يضطرب، أي لا تحرّكه الخطوب الطارقة.

(٨) لا يأثم...: أي لا تحمله المحبة على أن يرتكب إثماً لإرضاء حبيبه.

(٩) لا يُنابِز بالألقاب: أي لا يدعو غيره باللقب الذي يكره ويشمئز منه.

(١٠) أي لا يحزن لفوات الكلام، لأنّه يَرى الصَّمْت مغنماً لا مغرماً.

هُوَ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ(١). أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِن نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قال: فصعِقَ همّامٌ صَعقةً كانت نَفْسُهُ فيها(٢). فقال أميرُ المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ:

أَمَا وَٱللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قال: هٰكَذَا تَصْنَعُ ٱلْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا!

فقال لَهُ قائِلٌ: فما بالُكَ يا أميرَالمؤمنين؟(٣) فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ:

وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ ٱلشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!(٤)

١٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يصف فيها المُنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ(٥) مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ. وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَلِحَبْلِهِ ٱعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ

(*) رواها اليماني في (الطراز) ج ٢ ص ٣٠٨.

(١) لأنّه يُتعب نفسه بالعبادة، والناس لا يلقون منه عَنَتاً ولا أذى.

(٢) «فصَعِقَ همّام»: أغمي عليه ومات. «وكانت نفسه فيها»: أي مات.

(٣) فما بالك لا تموت مع انطواء سرّك على هذه المواعظ البالغة ؟ وهذا سؤال الوقح البارد.

(٤) نفثَ الشيطان على لسانك: أي تكلّم بلسانك، أصله النفخ بالفم، وهو أقل من التَّفل.

(٥) ذادَ عنه: حمى عنه، وذاد: طرد، والمصدر الذِّياد.

ٱللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ(١)، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ(٢)، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ ٱلْأَدْنَوْنَ(٣)، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ ٱلْأَقْصَوْنَ(٤)، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا(٥)، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا(٦)، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا(٧)، مِنْ أَبْعَدِ ٱلدَّارِ، وَأَسْحَقِ ٱلْمَزَارِ(٨).

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ ٱلنِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ وَٱلزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ(٩)، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِنَاناً(١٠)، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ(١١)، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ(١٢). قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ(١٣)، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ(١٤).

---

(١) الغَمْرة: ما ازدحم وكثر من الماء، وكذلك من الناس، والجمع غِمار، والغمرة هنا: الشدّة.

(٢) الغصة: الشجا.

(٣) تلوّن: أي تقلّب له الأدنون: أي الأقربون، فلم يثبتوا معه.

(٤) تألّب: أي اجتمع على عداوته الأقصون: أي الأبعدون.

(٥) خلعت العرب أعنّتها: جمع عِنان، وهو حبل اللجام، أي خرجت عن طاعته فلم تنقد له بزمام، أو المراد: أنها خلعت الأعنّة سرعة إلى حربه فإنّ ما لا يمسكه عنان يكون أسرع جرياً.

(٦) الرواحل: جمع راحلة، وهي الناقة، أي ساقوا ركائبهم إسراعاً لمحاربته.

(٧) أنزلت بساحته عداوتها: أي حَرْبها، فعبّر عنها بالعداوة، لأنّ العداوة سببُ الحرب.

(٨) أسحق المزار: أبعده، مكان سحيق، أي بعيد، والسُّحق: البعد.

(٩) الزّالّون: من زلّ، أي أخطأ. والمُزِلّون: من «أزلّه» إذا أوقعه في الخطأ.

(١٠) يفتنّون يتشعّبون فنوناً، أي ضروباً، يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً.

(١١) يعمدونكم: أي يهدّونكم ويفدحونكم، «ويعماد» أي بأمر فادح وخطب مؤلم، وأصل العَمْد انشداخ سَنام البعير، أو يريد من يَعْمِدونكم: أي يقيمونكم بكل عماد، والعِماد: ما يُقام عليه البناء، أي إذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم.

(١٢) يرصدونكم: يعدّون المكائد لكم، ويقعدون لكم بكلّ طريق ليحوّلوكم عن الاستقامة. والمِرْصاد: محل الارتقاب.

(١٣) قلب دوٍ: أي فاسد من داءٍ أصابه، دَوِيّة: أي مريضة، من الدّوَى ـ بالقصر ـ وهو المرض.

(١٤) الصِّفاح: جمع صَفْحة الوجه، وهي ظاهرة. ونقاوتها: صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها.

يَمْشُونَ ٱلْـخَفَاءَ(١)، وَيَدِبُّونَ ٱلضَّرَاءَ(٢). وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ ٱلدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ(٣)، حَسَدَةُ ٱلرَّخَاءِ(٤)، وَمُؤَكِّدُو ٱلْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُو ٱلرَّجَاءِ. لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ(٥)، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ(٦)، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ(٧). يَتَقَارَضُونَ ٱلثَّنَاءَ(٨)، وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا(٩)، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا(١٠)، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى ٱلطَّمَعِ بِٱلْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ(١١)

---

(١) يمشون مشي المستتر.

(٢) الضَّرَاء: شجر الوادي الملتف، وهذ مَثَلٌ يضرب لمن يختلُ صاحبَه، يقال: هو يدبُّ له الضَّراء، أي يمشون على هيئة دبيب الضَّراء: أي يسرون سريان المرض في الجسم، أو سريان النقص في الأموال والأنفس والثمرات.

(٣) الداء العَياء ـ بالفتح ـ: الذي أعيا الأطباء، ولا يمكن الشفاء منه.

(٤) حَسَدَة: جمع حاسد، أي يحسدون على السعة والنعم، وإذا نزل بلاء بأحدكم أكّدوه وزادوه، وإذا رجى أحد شيئاً أوقعوه في القنوط واليأس. ولقد أحسن أبو الطيّب في قوله يذمّ البشر:

وكأنّا لَمْ يَرْضَ فينا بريب الدّ ... هـرِ حتّى أعانه مَنْ أعانَا

كُلّما أنبت الزمانُ قَنَاةً ... ركّب المرءُ في القناةِ سِنانا

(٥) الصريع: المطروح على الأرض، أي أنهم كثيراً ما خدعوا أشخاصاً حتى أوقعوهم في الهلكة.

(٦) يصف خلابة ألسنتهم وشدّة مَلَقِهم، فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنّع.

(٧) الشَّجْو: الحزن، أي يكون باكياً وتصنعاً متى أرادوا، عند أهل كلّ حزن ومصاب.

(٨) يتقارضون: كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه، مأخوذ من القَرْض، كأنّ كلاًّ منهم يسلف الآخر دَيناً ليؤديه إليه، وكلّ يعمل للآخر عملاً يرتقب جزاءه عليه.

(٩) الإلحاف في السؤال: الاستقصاء فيه، ألحفوا: بالغوا في السؤال والحّوا.

(١٠) إن عذلوا: أي لاموا، كشفوا: أي فضحوا من يلومونه.

(١١) أي لتنفق سِلْعَتُهم، وينفقون: أي يروّجون، وأصله الثلاثي نَفَقَ يَنْفُقُه من النَّفاق ـ بالفتح ـ ضد الكساد.

أَعْلَاقَهُمْ(١). يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ(٢)، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ(٣). قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ(٤)، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ(٥)، فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ(٦)، وَحُمَةُ النِّيرَانِ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

١٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَى نَبِيِّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ(٧) الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ(٨) عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ(٩). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

---

(١) الأعلاق: جمع عِلْق، وهو السلعة الثمينة والشيء النفيس، والمراد ما يزينونه من خدائعهم.

(٢) يقولون فيشبّهون: أي يشبّهون الحقّ بالباطل فيرقعون الشُّبَه في القلوب.

(٣) التمويه: التزيين، وأصله أن تطلي الحديدة بذهب يحسّنها.

(٤) يهوّنون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم الفاسدة، ثم بعد أن ينقادوا لهم يُضلعون عليهم المضائق: أي يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون.

(٥) أضلعوا المضيق: أمالوه، وجعلوه ضَلَعاً، أي معوَجّاً، أي جعلوا المسلك الضيّق معوَجّاً بكلامهم وتلبيسهم، فإذا أسلكوه إنساناً اعوجّ لاعوجاجه.

(٦) اللُّمَة: الجماعة. والحُمَة: السم، والإبرة تلسع بها العقرب ونحوها، والمراد لهيب النيران، وكنّى عن إحراق النار بالحمة للمشابهة في المضرّة.

(٧) المُقَل: جمع مُقْلة، وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، وأضافها للعقول مجازاً.

(٨) ردع: زجر ودفع. وهَمَاهِمُ النفوس: أفكارها وما يهمهم به عند التمثل والروية في الأمر، وأصل الهمهمة، صُوَيتٌ يسمع، لا يفهم محصوله. أو هَمَاهِمُ النفوس: همومها في طلب العلم.

(٩) العِرْفان: المعرفة. وكُنْه الشيء: نهايته وأقصاه.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ(١)، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ(٢)، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ(٣)، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً(٤)، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ(٥)، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ(٦)، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ. وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ؛ لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ(٧)، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ(٨)، وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ(٩)، وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ(١٠)، وَلاَ يَلْوِيهِ(١١) شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلاَ تُولِهُهُ(١٢) رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلاَ يُجِنُّهُ(١٣) الْبُطُونُ عَنِ

---

(١) المناهج: السُّبُل الواضحة. والطامسة: كالدارسة، من طَمَسَ: أي انمحى واندرس.

(٢) صَدع بالحقّ: بيّن، وأصله الشقّ يظهر ما تحته.

(٣) القصد: الاعتدال في كلّ شيء.

(٤) الهمَل: الإبل بلا راعٍ، وقد أهمَلْتُ الإبل: أرسلتها سدىً.

(٥) استفتحوه: إسألوه الفتح على أعدائكم، واستنجحوه: اسألوه النجاح في أعمالكم.

(٦) استمنحوه: إلتمسوا منه العطاء والمِنْحَة، وهي العطيّة.

(٧) ثَلْم السيف: كسر جانبه، مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء.

(٨) الحباء: العطيّة لا مكافأة.

(٩) استنفده: جعله نافد المال لا شيء عنده.

(١٠) استقصاه: أتى على آخر ما عنده، والله سبحانه لا نهاية لما لديه من المواهب.

(١١) لا يَلْوِيه: أي لا يميله.

(١٢) تُولِهُهُ: تُذْهِلُهُ.

(١٣) يُجِنُّه: يستره. وكأنّه يريد رضي الله عنه: أنّ صور الموجودات حجاب بين الوهم وسبحات ←

ٱلظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ ٱلظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ(١). لَمْ يَذْرَإِ ٱلْخَلْقَ بِٱحْتِيَالٍ(٢)، وَلَا ٱسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ(٣).

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ ٱللّٰهِ، بِتَقْوَى ٱللّٰهِ، فَإِنَّهَا ٱلزِّمَامُ وَٱلْقِوَامُ(٤). فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَٱعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ ٱلدَّعَةِ(٥)، وَأَوْطَانِ ٱلسَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ ٱلْحِرْزِ(٦)، وَمَنَازِلِ ٱلْعِزِّ. فِي ﴿يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ﴾، وَتُظْلِمُ لَهُ ٱلْأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ ٱلْعِشَارِ(٧)، وَيُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ ٱلشُّمُّ ٱلشَّوَامِخُ(٨)، وَٱلصُّمُّ ٱلرَّوَاسِخُ(٩)، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا(١٠) سَرَاباً(١١)

← وجهه، وعلو ذاته مانع للعقل عن اكتناهه فهو بهذا باطن، ومع ذلك فالأشياء بذاتها لا وجود لها وإنما وجودها نسبتها إليه، فالوجود الحقيقي البريء من شوائب العدم وجوده، فالوجودات أشعة ضياء الوجود الحق، فهو الظاهر على كلّ شيء، وبهذا تبين الأوصاف الآتية.

(١) دانَ: جازى وحاسَبَ ولم يحاسبه أحد.

(٢) ذرأ: أي خَلَق، والاحتيال: التفكّر في العمل وطلب التمكّن من إبرازه ولا يكون إلّا من العجز.

(٣) الكلال: الملل من التعب.

(٤) التقوى: زمام يقود للسعادة، والزمام: المقود. وقوام: أي عيش يحيا به الأبرار.

(٥) الأكنان: جمع كِن ـ بالكسر ـ: ما يستكن به. والدَّعَة: خَفَض العيش وسَعته.

(٦) المعاقل: الحصون، جمع مَعْقِل، وهي الملجأ. والحِرْز: الحفظ.

(٧) الصُّرُوم: جمع صِرْمة ـ بالكسر ـ : وهي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر، أو فوق العشرين إلى الثلاثين، أو الأربعين أو الخمسين. والعِشار: جمع عُشَراء، وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر. وتعطيل جماعات الإبل: إهمالها من الرَّعْي، والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه.

(٨) الشُّمّ: جمع أشمّ، أي رفيع. والشامخ: المتسامي في الارتفاع.

(٩) الصُّمّ: جمع أصمّ، وهو الصلب المصمت، أي الذي لا تجويف فيه. والراسخ: الثابت.

(١٠) الصَّلْد: الصُّلْب الأملس.

(١١) السراب: ما يخيله ضوء الشمس كالماء، خصوصاً في الأراضي السَّبِخة وليس بماء.

رَقْرَقاً(١)، وَمَعْهَدُهَا(٢) قَاعاً(٣) سَمْلَقاً(٤)، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

١٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ(٥)، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ،(٦) وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ ٱللهِ، بِتَقْوَى ٱللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ(٧)، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ(٨)، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ(٩). تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ ٱلسَّفِينَةِ(١٠) تَقْصِفُهَا ٱلْعَوَاصِفُ(١١) فِي لُجَجِ ٱلْبِحَارِ(١٢)، فَمِنْهُمُ ٱلْغَرِقُ ٱلْوَبِقُ(١٣)، وَمِنْهُمُ ٱلنَّاجِي

(*) رواها الآمدي في (غرره) في حرف الألف بلفظ «إنّ» المشددة.

---

(١) الرقْرَق: المضطرب.

(٢) معهدها: المحل الذي كان يعهد وجودها فيه.

(٣) القاع: ما اطمأن من الأرض.

(٤) السَمْلَق: الصفصف المستوي، أي تنسف تلك الجبال ويصير مكانها قاعاً صفصفاً: أي مستوياً.

(٥) الضمير في بعثه للنبي ﷺ، أي بعث الله سبحانه محمداً ﷺ في زمان الفترة.

(٦) المنار الساطع: المرتفع، سطع الصُّبحُ سطوعاً: ارتفع.

(٧) الشُّخوص: الذهاب والانتقال إلى بعيد، دار شخوص: دار رحْلة، شَخَصَ عن البلد: رحل عنه.

(٨) الظاعن: المسافر.

(٩) القاطن: المقيم. وبائن: مبتعد منفصل.

(١٠) وتميد بأهلها: تتحرك وتميل، والمَيَدان: حركة واضطراب، أي تضطرب اضطراب السفينة.

(١١) تقصفها العواصف: تخربها بشدة، أي تكسرها الرياح الشديدة القوية.

(١٢) اللُجج: جمع لجّة، وهي معظم البحر.

(١٣) الوَبِق: الهالك، أي منهم من هلك عند تكسّر السفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة فخلص ←

عَلَى بُطُونِ ٱلْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ ٱلرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!

عِبَادَ ٱللهِ، ٱلْآنَ فَٱعْلَمُوا، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ(١)، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَٱلْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ(٢)، وَٱلْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ(٣)، وَٱلْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ ٱلْفَوْتِ(٤)، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ(٥).

١٩٧ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي بَيَانِ اخْتِصَاصِهِ بِالنَّبِيِّ

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(٦) ـ أَنِّي

(*) رواه المفيد في الأمالي باختلاف يسير، والآمدي في حرف الواو من (الغرر) ص ٢٤٣.

← محمولاً على بطون الأمواج كأنّ الأمواج، في انتفاعها كالحيوان المتقلب على ظهره وبطنه للأعلى. وتَحْفِزه: أي تلفعه. ومصير هذا الناجي أيضاً إلى الهلاك بعد طول العناء.

(١) لأنّ المحتَضر يُعتقل لسانه، ويكون سقيم البدن.

(٢) لَدْنَة: أي لينة، أي والأعضاء في لين الحياة يمكن استعمالها في العمل حيث تكون في الشيخوخة يابسة.

(٣) المُنْقَلَب: مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه الحياة.

(٤) المرهَق: الذي أُدرك ليقتل، وأرهقه الشيء: أعجله فلم يتمكّن من فعله. والفوت: ذهاب الفرصة بحلول الأجل.

(٥) اعملوا عملَ مَنْ يشاهد الموت حقيقة، لا عمل مَنْ ينتظره انتظاراً.

(٦) استحفظوا الكتاب: كلّفوا حفظَه وحراسته، والمستحفَظون: اسم مفعول، أي الذين أودعهم النبي ﷺ أمانة سرّه وطالبهم بحفظها.

لَمْ أَرُدَّ عَلَى ٱللّٰهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ(١) سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي ٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا ٱلْأَبْطَالُ(٢)، وَتَتَأَخَّرُ ٱلْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللّٰهُ بِهَا(٣).

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللّٰهِ - صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي(٤) وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ - صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ ٱلدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ(٥): مَلَأٌ يَهْبِطُ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ(٦)، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي(٧) هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ(٨)، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ(٩). فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟(١٠)

فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ(١١)، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ؛ فَوَٱلَّذِي لَا إِلَهَ

---

(١) لم يرد على الله ورسوله: لم يعارضهما في أحكامهما، والظاهر أنّه يرمز إلى أمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديبيّة عند سَطْرِ كتاب الصلح، فإنّ بعض الصحابة أنكر ذلك.

(٢) وهذا مما اختصّ ﷺ بفضيلته غير مدافع، ثبت معه في أُحد وحُنين عندما فرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ مَنْ كان بعث بها من قبله. والمواساة بالشيء: الإشراك فيه، فقد أشرك النبي في نفسه، ولا تكون بالمال إلا أن يكون كفافاً فإن أعطيت عن فضل فليس بمواساة. قالوا: والفصيح في الفعل آسيته، كما رجّحه ابن أبي الحديد، ولكنّ نطق الإمام حجّة.

(٣) النجدة: الشجاعة، ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف.

(٤) يقال: إنّ رسول الله ﷺ قاء دماً يسيراً وقت موته، وإنّ علياً ؑ مسح بذلك الدم وجهه.

(٥) ضجيج الدار كان بالملائكة النازلين والعارجين. والأفنية: جمع فِناء - بكسر الفاء -: ما اتّسع أمام الدار.

(٦) الملأ: الجماعة، يهبط قوم ويصعد قوم. والعروج: الصعود.

(٧) يعني أنّي سمعت ذلك ولم يسمعه غيري من أهل الدار.

(٨) الهينمة: الصوت الخفي، وحديث الهينمة رواه خَلْق كثير من المحدثين.

(٩) الضريح: الشقّ في القبر.

(١٠) مراده: أنّه أحقّ بالخلافة بعده، وأحقّ الناس بالمنزلة منه.

(١١) البصيرة: ضياء العقل. كأنّه يقول فاذهبوا إلى عدوكم محمولين على اليقين الذي لا ريبة فيه.

إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ ٱلْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ ٱلْبَاطِلِ[1]. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

١٩٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في فضل الإسلام والقرآن

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ[2] فِي ٱلْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ، وَٱخْتِلَافَ ٱلنِّينَانِ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ[3]، وَتَلَاطُمَ ٱلْمَاءِ بِٱلرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللَّهِ[4]، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ[5]، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللَّهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ[6]. فَإِنَّ تَقْوَى ٱللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ

(*) سبق مصدرها تحت رقم ١٠٤.

---

(١) المَزَلَّة: مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة، كالمزلقة: موضع الزَّلَق.

(٢) العجيج: رفع الصوت، وكذلك العَجّ، وفي الحديث: «أفضل الحجّ العَجّ والثَّجّ»، أي التلبية وإراقة الدمّ، وعجيج، أي صوت، ومضاعفة اللفظ دليل على تكرير التصويت.

(٣) النِّينان: جمع نُون، وهو الحوت، واختلافها هنا: إصعادها وانحدارها.

(٤) نجيب الله: منتجبه ومختاره.

(٥) سفير وحيه: رسول وحيه، والجمع سفراء، مثل فقيه وفقهاء.

(٦) وإليه مرامي مفزعكم: إليه تفزعون وتلجأون، ومرمى المفزَع: ما يدفع إليه الخوف وهو الملجأ أي وإليه ملاجئ خوفكم.

أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ[1] وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[2]، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ. فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ[3]، وَدَخِيلاً[4] دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ[5]، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً[6] لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ[7]، وَجُنَّةً[8] لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ[9]، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ[10]، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ[11]، فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ[12]، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ[13] نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِٱلتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ ٱلشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا[14]، وَٱحْلَوْلَتْ[15] لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا[16]،

---

(١) ويُروى: «وجلاء عَشَا أبصاركم» [كما في نسخة عبده والصالح].

(٢) الجأش: القلب، وما يضطرب في القلب عند الفزع أو التهيّب أو توقّع المكروه.

(٣) الشِّعار: أقرب إلى الجَسَد من الدِّثار.

(٤) الدَّخيل: ما خالط باطن الجسد، وهو أقرب من الشعار.

(٥) لطيفاً بين أضلاعكم: أي في القلب.

(٦) المنهل: الماء يرده الوارد من الناس وغيرهم.

(٧) الدَّرَك ـ بالتحريك ـ: اللحاق، والطَّلِبة ـ بالكسر ـ: المطلوب.

(٨) الجُنّة ـ بالضم ـ: الوقاية.

(٩) جاء في الخبر: «إنّ العمل يُضيء قبر صاحبه كما يُضيء المصباحُ الظلمةَ».

(١٠) السَّكن: ما يُسْكَن إليه.

(١١) نَفَساً لكرب مواطنكم: أي سعة ورَوْحاً.

(١٢) مكتنفة: محيطة.

(١٣) الأُوار ـ بالضم ـ: حرارة النار ولهيبها.

(١٤) عَزَبت ـ بالزاي ـ: غابت وبعُدت.

(١٥) احلولت: صارت حلوة.

(١٦) تراكُمها: اجتماعها وتكاثفها.

وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا[1]، وَهَطَلَتْ[2] عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ[3] قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ[4] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا[5]، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[6]. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ[7]، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ[8].

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ[9]، وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ[10]، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ[11]، وَهَدَمَ أَرْكَانَ

---

(١) أسهلت: صارت سهلة، والإنصاب: مصدر، بمعنى الإتعاب، بعد إنصابها، أي بعد إتعابها لكم.

(٢) هطلت: سالت.

(٣) قحوطها: قلّتها.

(٤) تحدّبت عليه: عطفت وحنّت.

(٥) نضب الماء نضوباً: غار وذهب في الأرض، ونضوب النعمة: قلتها أو زوالها وانقطاعها.

(٦) وَبَل المطر: صار وابلاً، وهو أشدّ المطر وأكثره، يقال وبلت السماء: أمطرت مطراً شديداً. وإرذاذها: إتيانها بالرَّذاذ، وهو ضعيف المطر، أرذّت ـ بتشديد الذال ـ إرذاذاً مطرت مطراً ضعيفاً في سكون، كأنّه الغبار المتطاير.

(٧) عَبِّدوا أنفسكم: أي ذلّلوها، ومنه طريق معبّد.

(٨) أدّوا المفترَض عليكم من العبادة، يقال: خرجت إلى فلان من دَيْنه، أي قضيته إياه.

(٩) اصطناع الشيء على العين: الأمر بصنعته تحت النظر خوف المخالفة في المطلوب من صنعته. و«اصطنعه على عينه»: كلمة تقال لمن يشتدّ الاهتمام به، يقول: اصنع لي كذا على عيني، أي اصنعه صنعة كاملة كالصنعة التي تصنعها وأنا حاضر أشاهدها بعيني. والمراد هنا تشريع الدين وتكميله على حسب علم الله الأعلى وتحت عنايته بحفظه، ووجه التجوّز ظاهر.

(١٠) أصفاه خيرةَ خلقه: أي آثر به خيّرة خلقه. وخِيَرَه ـ بفتح الياء ـ: أفضل ما يضاف إليه، أي وآثر هذا الدين بأفضل الخلق وهو خاتم النبيين، ليبلّغه للناس، أو هم المسلمون.

(١١) مُحادّيه: جمع مُحادّ وهو الشديد المخالفة.

ٱلضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ(١)، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ(٢). ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ(٣)، وَلَا جَذَّ(٤) لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ(٥) لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ(٦)، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ(٧)، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ(٨)، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ(٩)، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ(١٠)، وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا(١١)، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا(١٢)، وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ(١٣) ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا(١٤)،

---

(١) الرُّكن: العزّ والمنعة.

(٢) أتأق الحياض: ملأها، وتَئِقَ الحوضُ: امتلأ. ومواتحه: الدّلاء، وبمتح بها، أي يسقى بها، أو المواتح: جمع ماتح، وهو نازع الماء من الحوض.

(٣) العفاء: الدروس والاضمحلال.

(٤) الجذّ: القطع.

(٥) الضَّنْك: الضيق.

(٦) الوعوثة: رخاوة في السهل تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشي فيه.

(٧) الوضَح: البياض.

(٨) العَوَج ـ بفتح العين ـ: فيما ينتصب كالنخلة والرمح. والعِوَج ـ بكسرها ـ: فيما لا ينتصب، كالأرض والرأي والدّين.

(٩) العَصَل: الالتواء والاعوجاج يصعب تقويمه، ناب أعصل وشجرة عصلة، وسهام عُصْل.

(١٠) وَعث الطريق: تعسّر المشي فيه. والفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(١١) الأسناخ: جمع سِنْخ، وهو الأصل. وأساخها في الأرض: أدخلها فيها، وأصل ساخ: غاص في لين وخاض فيه.

(١٢) غزُرت: كثرت. وشُبّت نيرانها: أوقدت.

(١٣) المنار: ما ارتفع لتوضع عليه نارٌ يُهتدى إليها.

(١٤) السُّفّار ـ بضم فتشديد ـ: ذوو السفر، أي يهتدي إليه المسافرون في طريق الحق.

وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا[1]، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا[2]. جَعَلَ ٱللّٰهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ[3]، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ، مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ، مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ، عَزِيزُ ٱلسُّلْطَانِ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ[4]، مُعْوِذُ ٱلْمَثَارِ[5]. فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْحَقِّ، حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ[6]، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ[7]، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ[8]، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ[9]، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ[10]، فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[11]، وَتَصَرُّمٍ[12] مِنْ أَهْلِهَا، وَٱنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا[13]، وَٱنْتِشَارٍ مِنْ

---

(١) الأعلام: ما يوضع على أوليات الطرق أو أوساطها ليدلّ عليها. فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها، أو «قُصِد بها فِجاجُها» أي قصد بنصب تلك الأعلام اهتداء المسافرين في تلك الفجاج.

(٢) وروي: «ورُوّادها» جمع رائد، وهو الذي يسبق القوم فيرتاد لهم الكلأ والماء.

(٣) الذُّروة: أعلى السنام والرأس وغيرهما.

(٤) مُشرِف المنار: مرتفعه.

(٥) مُعوِذ من أعوذه ـ بالذال ـ كأعاذه بمعنى ألجأ. ويجد هذه «مُعوز المثار» من أعوزه الشيء، وأعوزه الشيء: احتاج إليه فلم ينله. والمثار: مصدر من «ثار الغبار إذا هاج»، أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين لما استطاع لثباته، ولالتجأه إلى مشقّة لقوّته ومتانته.

(٦) الاطّلاع: الإتيان: اطلع فلان علينا، أي أتانا.

(٧) الضمير في «بهجتها» للدنيا.

(٨) الساق: الشدّة، والمعنى: انكشفت عن شدّة عظيمة فأفزعتهم.

(٩) المهاد: الفراش، وخشونة المهاد: كناية عن شدّة آلامها.

(١٠) أزف منها قياد: أي قرب انقيادها الى التقضّي والزوال.

(١١) الأشراط ـ جمع شرط ـ: أي علامات انقضائها.

(١٢) التصرّم: التقطّع.

(١٣) الانفصام: الانقطاع، وإذا انفصمت الحَلْقة انقضت الرابطة.

سَبَبِهَا[1]، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا[2]، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا[3].

جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ[4]، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ. ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ[5]، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ[6]، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَاناً[7] لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[8]، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ[9]، وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ[10]، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[11]. وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ[12]، وَعُيُونٌ

---

(١) انتشار الأسباب: تبددها حتى لا تُضبط.

(٢) عَفاء الأعلام: اندراسها.

(٣) ويروى: «من طِوَلها» والطِّوَل: الحبل.

(٤) عاد إلى ذكر النبي ﷺ فقال: جعله سبحانه بلاغاً لرسالته: أي ذا بلاغ، والبلاغ: التبليغ، فحذف المضاف.

(٥) لا تخبو: لا تنطفئ.

(٦) المِنهاج: الطريق الواسع. والنَّهج ـ هنا ـ: السلوك. ويُضِلُّ رباعي، أي لا يكون من سلوكه إضلال.

(٧) الفرقان: ما يُفَرَّق به بين الحق والباطل.

(٨) بُحْبُوحة المكان: وسطه.

(٩) الرياض: جمع روضة، وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب. والغُدْران: جمع غَدِير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل. والمراد أنّ الكتاب مجمع العدالة تلتقي فيه متفرقاتها.

(١٠) الأثافي: جمع أُثفيّة، وهي الأحجار توضع عليها القِدْر، فشكل مثلث، أي عليه قام الإسلام.

(١١) غيطان الحق: جمع غائط أو غَوْط، وهو المطمئن من الأرض، أي أنّ هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو.

(١٢) لا يَنْزِفه: أي لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون.

لَا يَنْضُبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ[1]، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ[2]، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا ٱلسَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا ٱلْقَاصِدُونَ[3]. جَعَلَهُ ٱللهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ[4]، وَمَحَاجَّ[5] لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً[6] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ[7]، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً[8] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ[9]، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[10]، وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ[11]، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى[12]، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى[13].

---

(١) لا يَنْضُبُها: أي ينقصها. والماتحون: جمع ماتح، نازع الماء للحوض.

(٢) المناهل: مواضع الشرب من النهر. ولا يَغيضها: من «أغاض الماء» نقصه. ويروى: «لا يُغيضها» بالضمّ، وهي لغة ليست بالمشهورة.

(٣) آكام: جمع أَكَمة، وهو الموضع يكون أشدّ ارتفاعاً ممّا حوله، وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجراً، فطرق الحق تنتهي إلى أعالي هذا الكتاب، وعندها ينقطع سير السائرون إليه، لا يتجاوزونها، والمتجاوز هالك.

(٤) الضمير يرجع الى القرآن. والربيع ههنا: الجدول، ويجوز أن يريد المطر في الربيع.

(٥) المحاجّ: جمع محجّة، وهي جادة الطريق.

(٦) المَعْقِل: الملجأ.

(٧) انتحله: دانَ به، وجعله نِحْلَته.

(٨) الفَلْج: الظفر والفوز.

(٩) أي أنّ القرآن ينجّي يوم القيامة مَنْ كان حاملاً له في الدنيا، بشرط أن يعمل به.

(١٠) معنى إعماله، اتّباع قوانينه والوقوف عند حدوده. ولمن توسّم: لمن تفرّس.

(١١) الجُنّة ـ بالضم ـ: ما به يتقى الضرر. واستَلأمَ: أي لبس اللأْمَة، وهي الدِرْع أو جميع أدوات الحرب، أي أنّ من جعل القرآن لأمةَ حربه لمدافعة الشُّبه والتوقّي من الضلالة، كان القرآن وقاية له.

(١٢) وَعَى: حَفِظَ.

(١٣) قضى: حكم وفصل.

١٩٩ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

كَانَ يُوصِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَعَاهَدُوا[١] أَمْرَ ٱلصَّلاَةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فإِنَّهَا ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾. أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ • قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾. وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ[٢]، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ ٱلرِّبَقِ[٣]، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْحَمَّةِ[٤] تَكُونُ عَلَى بَابِ ٱلرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلدَّرَنِ[٥]! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ، مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ،

(*) رواه الكليني في كتاب الجهاد من (الكافي) ج ٥ ص ٣٦.

---

(١) ويروى: «تعهّدوا»، يقال: تعاهدت ضيعتي وتعهّدتها، وهو القيام عليها، وأصله من تجديد العهد بالشيء، والمراد المحافظة عليه.

(٢) الحتّ: نثر الورق من الغصن، حتّ الورقَ عن الشجرة: قشره، وانحاتّ، أي تناثر.

(٣) الربَق ـ بالكسر ـ: حبل فيه عدّة عرى كلّ منها رِبقة أي إطلاق الحبل ممن ربط به فكأنّ الذنوب ربَق في الأعناق والصلاة تفكّها منه.

(٤) الحمّة: كلّ عين تنبع بالماء الحار يُستشفى بها من العلل. وقد روي في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: «أيسرّ أحدكم أن يكون على بابه حمة يغتسل منها كلّ يوم خمسة مرات فلا يبقى من درنه شيء ؟» قالوا: «نعم»، قال: «إنّها الصلوات الخمس». وهذا الخبر من الأحاديث الصحاح.

(٥) الدرن: الوسخ.

يَقُولُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ﴾. وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَصِباً بِٱلصَّلَاةِ[١] بَعْدَ ٱلتَّبْشِيرِ لَهُ بِٱلْجَنَّةِ، لِقَوْلِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ، وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ[٢].

ثُمَّ إِنَّ ٱلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ ٱلصَّلَاةِ قُرْبَاناً[٣] لِأَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ ٱلنَّارِ حِجَازاً[٤] وَوِقَايَةً. فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ[٥]، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ ٱلنَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِٱلسُّنَّةِ، مَغْبُونُ ٱلْأَجْرِ[٦]، ضَالُّ ٱلْعَمَلِ، طَوِيلُ ٱلنَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْمَبْنِيَّةِ، وَٱلْأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّةِ[٧]، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ ٱلطُّولِ ٱلْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ، أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ، لَامْتَنَعْنَ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ

---

(١) نَصِباً ـ بفتح فكسر ـ: أي تَعِباً.

(٢) «ويُصْبِرُ نَفْسَه» من الصبر، وروي: «ويَصْبِر عليها نفسه» أي يحبس.

(٣) القُربان: اسم لما يتقرّب به من صدقة، أو غيرها.

(٤) ومن النار حِجازاً: أي مانعاً.

(٥) أي من أعطى الزكاة، فلا تذهب نفسه مع ما أعطى، تعلقاً به، ولهفاً عليه. واللهفة: الحسرة.

(٦) مَغْبون الأجر: منقوصه.

(٧) المدْحُوَّة: المبسوطة.

وَنَهَارِهِمْ(١). لَطُفَ بِهِ خُبْراً(٢)، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ(٣).

٢٠٠ ـ ومن كلام له عليه السلام*

فِي مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

وَٱللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنّي، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ، وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ(٤)، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ(٥). وَٱللّٰهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِٱلْمَكِيدَةِ(٦)، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِٱلشَّدِيدَةِ(٧).

(*) رواه الكليني في (أصول الكافي) ج ٢ ص ٣٣٦، ص ٣٣٨.

---

(١) مقترفون: أي مكتسبون.

(٢) الخُبْر ـ بضم الخاء ـ: العِلْم. والله لطيف العلم بما يكسبه الناس، أي دقيقه، كأنّه ينفذ في سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر في مسامّ الأجسام، بل هو أعظم من ذلك.

(٣) العيان ـ بكسر العين ـ: المعاينة والمشاهدة.

(٤) الغُدَرَة ـ على «فُعَلة» ـ: الكثير الغدر. والفُجَرة والكُفَرة: الكثير الفجور والكفر. ويروى [كما ورد في نسخة كل من ابن المؤدب وعبده]: «ولكن كلّ غَدْرة فَجْرة، وكلّ فَجْرة كَفْرة» على «فَعْلة» للمرة الواحدة.

(٥) قوله: «لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة»، حديث صحيح مرويّ عن النبيّ ﷺ.

(٦) لا أُستغفَل بالمكيدة: أي لا تجوز المكيدة عليّ، كما تجوز على ذوي الغفلة.

(٧) لا أُستغمَز ـ مبني للمجهول ـ: أي لا أُستضعف بالقوة الشديدة. والمعنى لا يستضعفني شديد القوة. والغَمَز ـ محركة ـ: الرجل الضعيف.

٢٠١ ـ ومن كلام له عليه السلام*

في النَّهي عن الاعْوِجاجِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ ٱلْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ[١]، فَإِنَّ ٱلنَّاسَ ٱجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ[٢]، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ ٱلنَّاسَ ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطُ[٣]، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللَّهُ بِٱلْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِٱلرِّضَا. فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾. فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ[٤] بِٱلْخَسْفَةِ خُوَارَ ٱلسِّكَّةِ ٱلْمُحْمَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ[٥].

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، مَنْ سَلَكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي ٱلتِّيهِ[٦]!

(*) رواه النعماني في (الغيبة) ص ٢٠٨، والبرقي في (المحاسن)، والطبري في (المسترشد) ص ٧٦.

---

(١) الاستيحاش: ضدّ الاستئناس، وكثيراً ما يحدثه التوحّد وعدم الرفيق.

(٢) المائدة: هي مائدة الدنيا، فلا تغرنّكم رغباتها، فتنضم بكم مع الضالين في محنتها، فذلك متاع قليل.

(٣) أي يجمعهم في استحقاق العقاب، فإنّ الراضي بالمنكر كفاعله، ومن لم ينه عنه فهو به راض.

(٤) خارَت: صوّتت كخُوار الثور.

(٥) السِكّة المحماة: حديدة المِحراث إذا أُحْمِيت في النار فهي أسرع غَوْراً في الأرض الخوّارة، أي السهلة اللينة، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان في الأرض من جذور النبات، يشتد الصوت كلّما اشتدت السرعة.

(٦) التيه: المفازة يتحيّر سالكها.

٢٠٢ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ(١)

اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي، وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي ٱلتَّأَسِّي(٢) لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ(٣) مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ(٤)، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ(٥)، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ. فَـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ!(٦) أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ(٧)، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ(٨) ٱبْنَتُكَ

(*) رواه البخاري في (صحيحه) ج ٤ ص ٢٤٧ في كتاب بدء الخلق.

---

(١) قول الرضي رحمه الله: «عند دفن سيدة النساء» فلأنّه قد تواتر الخبر عنه ﷺ أنّه قال: «فاطمة سيدة نساء العالمين» إمّا هذا اللفظ بعينه، أو لفظ يؤدّي هذا المعنى.

(٢) يريد بـ«التأسي» الاعتبار بالمثال المتقدم.

(٣) الفادح: المثقِل.

(٤) التعزّي: التصبّر.

(٥) «ملحودة قبرك» أي الجهة المشقوقة من قبرك، واللّحد: الشقّ في جانب القبر.

(٦) الوديعة والرهينة، عبارة عن فاطمة، ويريد من «الرهينة» أنها كانت عنده كالعوض من رؤية رسول الله ﷺ.

(٧) ينقضي بالسهاد: وهو السهر.

(٨) «ستنبئك»: ستعلمك.

بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا(١). فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ(٢)، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ. هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ(٣). وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ(٤) وَلاَ سَئِمٍ(٥)، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

٢٠٣ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ(٦)، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ(٧)، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ.

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ للهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلاَ تُخْلِفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ.

(*) رواه المفيد في (الإرشاد) ص ١٣٩.

---

(١) هضمها: ظلمها.

(٢) إحفاء السؤال: الاستقصاء فيه، فأحفها السؤال: أي استقصِ في مسألتها.

(٣) قوله: «هذا ولم يَطُل العهد، ولم يخلُ منكَ الذِّكر» أي لم يُنسَ.

(٤) القالي: المبغض.

(٥) ولا سئم: أي لا ملول، من السآمة، وهي الضجر.

(٦) دار مجاز: أي يُجاز فيها إلى الآخرة، ومنه سمّي المجاز في الكلام مجازاً، لأنّ المتكلّم قد عبَر الحقيقة إلى غيرها.

(٧) دار القرار: دار الاستقرار الذي لا آخر له.

٢٠٤ ـ ومن كلام له عليه السلام*

كَانَ كَثِيراً مَا يُنَادِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَجَهَّزُوا[١] رَحِمَكُمُ اللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ[٢] عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[٣]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ[٤] نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[٥]، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ[٦]، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ[٧]، وَمُضْلِعَاتُ الْمَحْذُورِ[٨]. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى[٩].

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدَّم بخلاف هذه الرِّواية.

(*) رواه المفيد في (الإرشاد) ص ١١٠، والصدوق في (الأمالي).

---

(١) تجهّزوا لكذا: تهيأوا له.

(٢) العرجة: التعريج، وهو الإقامة، وعرّج فلان على المنزل، إذا حبس عليه مطيّته، أي اجعلوا ركونكم إليها قليلاً.

(٣) العقبة الكؤود: الشاقّة المصعد، الصعبة المرتقى.

(٤) مَلاحِظ المنية: منبعث نظرها.

(٥) دانية: قريبة. [وفي نسخة ابن أبي الحديد: دانية، أي جائية.]

(٦) المخلب للسَّبُع بمنزلة الظُّفر للإنسان. ونَشِبَتْ: علقت بكم.

(٧) أفظع الأمرُ: جاوز المقدار شدّة.

(٨) مضلعات المحذور: الخطوب التي تُضلِع. أي تجعل الإنسان ضليعاً، أي معوّجاً. ومن رواها بالظاء، مظلعات، أراد الخطوب التي تجعل الإنسان ضالعاً، أي يغمز في مَشْيه لثقلها عليه.

(٩) استظهروا: استعينوا.

٢٠٥ - ومن كلام له عليه السلام (*)

كلّم به طلحة والزُّبير بعد بيعته بالخلافة

وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً(١)، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً(٢). أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَوْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟!

وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ(٣)، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ(٤)، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ

(*) رواه أبو جعفر الإسكافي في كتاب (نقض العثمانية).

(١) نقمتما: أي غضبتما.

(٢) أرجأتما: أخرتما. أي نقمتما من أحوالي اليسير، وتركتما الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه، وليس هذا اعترافاً بأنّ ما نقماه موضع طعن، ولكنه على جهة الجدل والاحتجاج.

(٣) الإربة: الحاجة والغرض والطلبة.

(٤) الأسوة - ههنا -: التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال، وكان ذلك قد أغضبهما على ما روي.

عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هذَا عُتْبَى[1]. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثمّ قال عليه السلام: رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

٢٠٦ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفّين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ[2]، وَلكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا[3] وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ[4] وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ[5].

(*) رواه الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٥٥، وابن مزاحم في كتابه (صِفّين) ص ١٠٣.

---

(١) العُتبى: الرِّضا، أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحلّ لي في الشرع ارتكابه.

(٢) السبّ: الشتم، والتسابّ: التشاتم، ورجلٌ سُبَّة، أي يسبه الناس، ورجل سُبَبَة، أي يسبّ الناس. وقد كانوا يشتمونهم بالآباء والأُمهات، ومنهم مَن يطعن في نسب قوم منهم، ومنهم مَنْ يذكرهم باللؤم، ومنهم من يعيّرهم بالجبن والبخل وبأنواع الأهاجي التي يتهاجى بها الشعراء، فنهاهم عند ذلك وقال: الأصوب أن تصِفُوا لهم أعمالهم، وتذكروا حالهم.

(٣) حقنت الدم: منعت أن يسفك، أي ألهمهم الإنابة إلى الحق، فإنّ فيه حقن للدماء.

(٤) ارعوى عن الغيّ: رجع وكفّ، والارعواء: النزوع عن الغيّ والرجوع عن وجه الخطأ.

(٥) لَهِجَ: أي أُولع به وثابر عليه.

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام (*)

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

اَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي[١]، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ[٢] بِهٰذَيْنِ ـ يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ـ عَلَى ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

قَالَ الرَّضِيُّ ـ: قَوْلُه عَلَيْهِ السَّلَام: «امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ» من أعلى الكلام وأفصحه.

٢٠٨ ـ ومن كلام له عليه السلام (**)

قاله لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهِكَتْكُمُ ٱلْحَرْبُ[٣]، وَقَدْ، وَٱللهِ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ[٤]. وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ[٥].

(*) رواه الطبري في (تاريخه) ج ٦ في حوادث سنة ٣٧.

(**) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ٤٨٤، والمسعودي في (مروج الذهب) ج ٢ ص ٤٠٠.

---

(١) املكوا: أي احجُروا عليه، كما يَحجُر المالك على مملوكه، وخذوه بالشدة، وأمسكوه لئلا يَهُدّني ـ أي يهدمني ـ ويقوّض أركان قوتي بموته في الحرب.

(٢) أنفس به: أي ضنّ به، أي أبخل بالحسن والحسين عن الموت.

(٣) نهكتكم: أدنفتكم وأهلكتكم، نَهِكَتْه الحمّى: أضعفته، أي كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب فجبنتم مع أنها في غيركم أشد تأثيراً.

(٤) «وقد أخذت منكم وتركت»: أي لم تستأصلكم.

(٥) «وهي لعدوّكم أنهك»: لأنّ القتل في أهل الشام كان أكثر.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً[1]. وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!

٢٠٩ - ومن كلام له عليه السلام*

بِالْبَصْرَةِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْعَلاءِ بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِيِّ[2]
- وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ - يَعُودُهُ، فَلَمَّا رَأَى سَعَةَ دَارِهِ قَالَ:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ! وَبَلَى، إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ[3]، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[4]، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ!

فَقَالَ لَهُ الْعَلاءُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عاصمَ بْنَ زِيَادٍ. قَالَ: وَمَا لَهُ؟ قَالَ: لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا. قَالَ: عَلَيَّ بِهِ. فلما جاءَ، قال عليه السلام: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ[5]!

(*) رواه أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) ج ١ ص ٥٣١، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ١ ص ٣٢٩.

---

(١) قد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم بإجابتهم فكأنّهم أمروه ونهوه فامتثل لهم.

(٢) العلاء بن زياد الذي ذكره الرضيّ رحمه الله لا أعرفه، ولعل غيري يعرفه. وإنّ الذي رويته عن الشيوخ، ورأيته بخط الخشاب رحمه الله: الربيع بن زياد الحارثي الذي افتتح بعضَ خُراسان.

(٣) الضيف: لفظ يقع على الواحد والجمع، وقد يجمع فيقال: ضيوف وأضياف.

(٤) أي توقعها في مظانّ استحقاقها، يقال أطْلَعَ الحقَّ مَطْلَعَهُ: أي أظهره حيث يجب أن يظهر.

(٥) «يا عُدَيّ نفسه» تصغير «عدوّ»، وقد يمكن أن يراد به التحقير المحض ههنا، أو يريد به الاستعظام لعداوته لها، ويمكن أن يخرج مخرج التحنّن والشفقة، كقولك: يا بنيّ.

لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ[1]! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى ٱللَّهَ أَحَلَّ لَكَ ٱلطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى ٱللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ[2]!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك![3]

قال: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ ٱلْحَقِّ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ ٱلنَّاسِ[4]، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِٱلْفَقِيرِ فَقْرُهُ[5]!

٢١٠ ـ ومن كلام له عليه السلام *

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر[6]، فقال عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهَماً. وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً

(*) ذكره التوحيدي في (الإمتاع والمؤانسة) ج ٣ص ١٩٧، والطبري في (المسترشد) ص ٣٠.

(١) الخبيث يعني الشيطان، جملك هائماً ضالاً.

(٢) في هذا الكلام بيان أنّ لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء القصد فيها.

(٣) طعام جَشِب: أي غليظ، وقيل: إنّه الذي لا أُدمَ معه.

(٤) «يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس»: أي يشبّهوا ويمثّلوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد، وصرف الأموال في وجوه الخير، ومنافع العامة، وتسلية للفقير على فقره.

(٥) تبيّغ الدم بصاحبه: أي هاج به، وقيل: أصل «يتبيّغ» يبغَى، فقُلِبَ، مثل جَذَبَ وجَبَذَ.

(٦) الخبر ـ هنا ـ: الحديث المروي عن النبي ﷺ.

فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ»[1]. وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِٱلْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِٱلْإِسْلَامِ. لَا يَتَأَثَّمُ[2] وَلَا يَتَحَرَّجُ[3]، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ[4]، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ. وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللّٰهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ. ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ ٱلضَّلَالَةِ، وَٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱلنَّارِ بِٱلزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ ٱلنَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ ٱلدُّنْيَا، وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللّٰهُ، فَهٰذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ.

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ[5]، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ،

---

(١) تبوأت المنزل: نزلته.

(٢) التأثم: الكف عن موجب الإثم، والتحرج مثله، لا يتأثم: أي لا يخاف الإثم.

(٣) لا يتحرّج: لا يخشى الوقوع في الحرج، وهو الجُرم.

(٤) لقف: تناول وأخذ عنه.

(٥) وهِم: غلط وأخطأ.

فَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ ٱلنَّاسِخَ. فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى ٱللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَلَمْ يَهِمْ[1]، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ ٱلنَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[2]، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ، وَٱلْمُحْكَمَ وَٱلْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ[3].

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ٱلْكَلَامُ، لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَيَحْمِلُهُ ٱلسَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ، وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَٱلطَّارِئُ[4]، فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَحَفِظْتُهُ.

فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ فِي ٱخْتِلَافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

---

(١) لم يهم: أي لم يخطئ ولم يظن خلاف الواقع.

(٢) جنّب عنه: أي تجنّب.. أخذ عنه جانباً.

(٣) أي عرف المتشابه من الكلام، وهو ما لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم. ومحكم الكلام: أي صريحه الذي لم ينسخ.

(٤) الطارئ: الطالع عليهم.

٢١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام*

في عَجِيبِ صَنْعَةِ الكَوْنِ

وَكَانَ مِنِ ٱقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَحْرِ ٱلزَّاخِرِ(١) ٱلْمُتَرَاكِمِ(٢) ٱلْمُتَقَاصِفِ(٣)، يَبَساً(٤) جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ(٥) أَطْبَاقاً(٦)، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ٱرْتِتَاقِهَا، فَٱسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ(٧)، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ يَحْمِلُهَا ٱلْأَخْضَرُ(٨) ٱلْمُثْعَنْجِرُ(٩)، وَٱلْقَمْقَامُ(١٠) ٱلْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ

(*) رواها الزمخشري في جلد الأول من (ربيع الأبرار) باب السماء والكواكب.

---

(١) البحر الزاخر: الذي قد امتدّ جداً وارتفع، زَخَرَ البحر زُخوراً، وتَزَخَّرَ: طمَى وامتلأ.

(٢) المتراكم: المجتمع بعضُه على بعض.

(٣) المتقاصف: الشديد الصوت.

(٤) اليَبَس: المكان يكون رطباً ثم ييبس.

(٥) الضمير في «منه» يرجع الى ماء البحر في أظهر النظر، ويمكن أن يرجع الى اليَبس.

(٦) الأطباق: طبقات مختلفة في تركيبها إلّا أنّها كانت رتقاً يتصل بعضها ببعض ففتقها سبعاً وهي السماوات. وقف كُل منها حيث مكّنه الله على حسب ما أودع فيه من السرّ الحافظ له فاستمسكت له بأمر الله التكويني، وقامت على حدّه، أي حدّ الأمر الإلهي، وليس المراد من البحر هذا الذي نعرفه، ولكن مادة الأجرام قبل تكالفها فإنّما كانت مائرة أشبه بالبحر، بل هي البحر الأعظم.

(٧) فاستمسكت: أي وقفت وثبتت.

(٨) الأخضر: البحر، يسمى بذلك لأنّه يصف لون السماء فيُرى أخضر، أو لأنّه يُرى أسود لصفائه فيطلقون عليه لفظ الأخضر.

(٩) المُثْعَنْجِر: معظم البحر وأكثر مواضعه ماء.

(١٠) القَمْقام ـ بفتح القاف وتضم ـ: البحر أيضاً، وهو مسخّر لقدرة الله تعالى. وحَمْلُه للأرض: إحاطته بها كأنّها قارّة فيه.

الجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ[1] جَلَامِيدَهَا[2]، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا[3] وَأَطْوَادَهَا[4]، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا[5]، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا[6]، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ[7] أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا[8]، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا[9] فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا[10]، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[11]، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[12]، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً[13]، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا[14]،

---

(١) جَبَل: خلق.

(٢) الجلاميد: الصخور الصُلْبة، جمع جُلمود.

(٣) النُّشُوز: جمع نَشْز، ما ارتفع من الأرض. ومتونها: جوانبها.

(٤) أطوادَها: جبالها. ويروى [كما في نسخة عبده والصالح]: أطوادِها بالجرّ عطفاً على متونها.

(٥) فأرساها في مراسيها: أثبتها في مواضعها، ورسا الشيء يرسُو: ثبت.

(٦) ألزمها قراراتها: أمسكها حيث استقرّت.

(٧) رسَت: أي رسخت فيه.

(٨) فأنهد جبالَها: أي أعلاها، كأنّ النشوز والمتون والأطواد كانت في بداية أمرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز، ولا شامخة الارتفاع عن السهول، حتى إذا ارتجّت الأرض بما أحدثت يد القدرة الإلهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول، فانفصلت كلّ الانفصال، وامتازت بقواعد سائخة أي غائصة في المتون من أقطار الأرض.

(٩) أساخ قواعدها: أي غيّبَ قواعد الجبال في جوانب أقطار الأرض.

(١٠) مواضع الأنصاب: جمع نُصُب، وهو ما جعل عَلَماً يُشهد فيُقصَد، فإنّ الجبال إنّما تشامخت من مرتفع الأرض.

(١١) قُلّة الجبل: أعلاه. وأشهقها: جعلها شاهقة، أي عالية بعيدة الارتفاع.

(١٢) أطال أنشازها: أي مدّ متونها المرتفعة في جانب الأرض.

(١٣) أرّزها: أثبتها فيها. وروي: «وآرزها» بالمد من قولهم: شجرة آرزة، أي ثابتة في الأرض.

(١٤) تميد: تتحرك، أي أنّ الأرض على حركتها المخصوصة بها سكنت عن أن تميد أي تضطرب بأهلها وتتزلزل بهم إلّا ما يشاء الله في بعض مواضعها لبعض الأسباب.

أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا[1]، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا[2].

فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا[3]، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً[4]، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ[5] رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي[6]، وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ[7]، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ[8]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾.

٢١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في استنهاض أصحابه إلى جهاد أهل الشام

اَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّكُوصَ[9] عَنْ نُصْرَتِكَ،

---

(١) تَسِيخ: تنزل وتهوي.

(٢) زوالها عن مواضعها: تحوّلها عن مركزها المعيّن لها.

(٣) أجمدها: أي جعلها جامدة. وأكنافها: جوانبها.

(٤) المهاد: الفراش وما تهيّئه لنوم الصبي.

(٥) بحر لُجي: كثير الماء، منسوب إلى اللُّجّة، وهي معظم البحر.

(٦) لا يجري ـ هنا ـ: لا يسيل في الهواء.

(٧) الكركرة: تصريف السحاب إذا جمعته بعد تفريق، وأصله «يكرّر» من التكرير. تُكَرْكِره: تذهب به وتعود. والرياح العواصف: الشديدة الهبوب.

(٨) الذوارف: أي السحب المواطر. وشبه اشتمال السحاب على خلاصة ماء البحر وهو بحاره بمخضها له، كأنه لبن تخرج زبده اللّوَارِف، جمع ذارفة، من «ذرف الدمع» إذا سال.

(٩) النكوص: التأخر.

وَٱلْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَـا أَكْـبَرَ ٱلشَّـاهِدِينَ شَـهَادَةً[1]، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمٰوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَـعْدُ ٱلْـمُغْنِي عَـنْ نَصْرِهِ، وَٱلْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

٢١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في تَمْجِيدِ اللّٰهِ وَتَعْظِيمِهِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ ٱلْمَخْلُوقِينَ[2]، ٱلْغَالِبِ لِمَقَالِ ٱلْوَاصِفِينَ[3]، ٱلظَّـاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَٱلْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ، ٱلْعَالِمِ بِلَا ٱكْتِسَابٍ وَلَا ٱزْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، ٱلْمُقَدِّرِ لِـجَمِيعِ ٱلْأُمُـورِ بِـلَا رَوِيَّـةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، ٱلَّذِي لَا تَغْشَاهُ ٱلظُّلَمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِٱلْأَنْوَارِ[4]، وَلَا يَرْهَقُهُ لَـيْلٌ[5]، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ[6]، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِٱلْإِبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِٱلْإِخْبَارِ.

---

(١) نستشهدُك عليه: أي نسألك أن تشهد عليه، ووصفه تعالى بأنّه أكبر الشاهدين شهادةً، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ...﴾ [الأنعام: ١٩] [وفي نسخة عبده: فإنا نستشهدك يا أكبر الشاهدين..] وهو النبيّ ﷺ أو القرآن.

(٢) شَبَه ـ بالتحريك ـ: أي مشابهة. ويجوز شَبَه وشِبْه، والرّواية ههنا بالفتح.

(٣) «الغالب لمقال الواصفين»: أي أنّ كُنْه جلاله وعظمته لا يستطيع الواصفون وصفه وإن أطنبوا وأسهبوا.

(٤) لا يغشاه ظلام: لأنّه ليس بجسم، ولا يستضيء بالأنوار، كالأجسام ذوات البصر.

(٥) لا يرهقه ليل: أي لا يغشاه.

(٦) ولا يجري عليها نهار: لأنّه ليس بزمانيّ.

ومِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ[1]، وَقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ[2]، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ[3]، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[4]، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

٢١٤ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في صفة الرسول والعلماء

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ[5]، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ[6] جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ

(*) روى الآمدي بعض هذه الخطبة في (الغرر).

---

(١) أرسله بالضياء: أي بالحق أو بالقرآن.

(٢) الرتق: سدّ الفتق، والمفاتق: مواضع الفتق، وهي ما كان بين الناس من فساد، وفي مصالحهم من اختلال. فرتق به المفاتق: أي أصلح به المفاسد.

(٣) ساور به المغالب: ساورتُ زيداً أي واثبته.

(٤) الحزونة: ضدّ السهولة، والحزْن: ما غلظ من الأرض. والسّهل: ما لان منها، واستعير للأخلاق وغيرها. أي وثب بالنبي ﷺ كلّ من يغالب الحق، والمراد ـ هنا ـ سهّل به خشونة الأخلاق الرديئة والعقائد الفاسدة بتهذيب الطباع، وتنوير العقول حتى سرح به الضلال، أي أبعده عن يمين السالكين نهج الاعتدال وشمالهم، وكأن يريد جانبي الإفراط والتفريط، والإبعاد تجنبهما. ولزوم العدل الوسط.

(٥) الضمير في «أنّه» يرجع الى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة، ولم يذكره الرضيّ.

(٦) النسخ: النقل، ومنه نسخت الكتاب، ونَسْخُ الخلقَ: نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فِرَقاً. يقول: كلّما قسم الله تعالى الأب الواحد الى ابنين، جعل خيرهما وأفضلهما لولادة محمد ﷺ.

عَاهِرٌ(١)، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ. أَلَا وَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً(٢)، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ بِهِ ٱلْأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ(٣)، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ(٤)، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ. يَتَوَاصَلُونَ بِٱلْوِلَايَةِ(٥)، وَيَتَلَاقَوْنَ بِٱلْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ(٦)، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ(٧)، لَا تَشُوبُهُمُ ٱلرِّيبَةُ(٨)، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ(٩). عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ(١٠)، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ(١١) وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى(١٢)،

---

(١) لم يسهم: لم يضرب فيه عاهر بسهم، أي بتصيب، والعاهر: ذو العَهَر، وهو الفجور والزنا، والفاجر كالعاهر ههنا، وأصل الفجور: الميل. وضرب في الشيء: صار له نصيب منه.

(٢) العِصَم: جمع عِصْمة، وهي ما يعتصم به. وبعِصَم الطاعات: الإخلاص لله وحده.

(٣) الكِفاء: الكافي أو الكفاية.

(٤) المستحفَظين ـ بصيغة اسم المفعول ـ: الذين أُودعوا العلم ليحفظوه.

(٥) يتواصلون بالولاية: يتواصلون وهم أولياء، أو يتواصلون بالقلوب لا بالأجسام. والولاية: الموالاة والمصافاة.

(٦) الرَّوِيّة: فعيلة بمعنى فاعلة، أي يروي شرابها من ظمأ التباعد والنفرة بكأس المعرفة والأُنس بالله.

(٧) رِيّة: الواحدة من الري، وهي زوال العطش، يقال من أين ريّكم ؟ أي من أين ترتوون الماءَ ؟

(٨) لا يخالطهم الريب والشك في عقائدهم ولا تسرع الغيبة فيهم بالإفساد لامتناعهم عن الاغتياب وعدم إصغائهم إليه.

(٩) لا تخالطهم الظِنّة والتُهمة، ولا تسرع فيهم الغيبة، لأنّ أسرارهم مشغولة بالحق على الخلق.

(١٠) الضمير في «عَقَد» يرجع إلى الله تعالى، أي على هذه الصفات عَقَد الخالق تعالى خِلقَتِهم وخُلُقهم، أي أنّه وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات، وأحكم صلتهما بها حتى كأنّهما معقودان بها.

(١١) أي ليس حبُّهم ومواصلتهم بعضهم بعضاً إلّا في الله.

(١٢) أي مَثَلُهم مثل الحب الذي يُنتقى للبَذْر، يستصلح بعضه، ويسقط بعضه، أي كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر، فإنّ البذر يعتنى بتنقيته ليخلص ←

فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ ٱلتَّخْلِيصُ(١)، وَهَذَّبَهُ ٱلتَّمْحِيصُ(٢).

فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا(٣)، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا(٤). وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً(٥). فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ(٦)، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ(٧). فَطُوبَى(٨) لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ(٩)، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ(١٠)، وَأَصَابَ سَبِيلَ ٱلسَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ(١١)، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ ٱلْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ(١٢)، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، وَٱسْتَفْتَحَ ٱلتَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ(١٣). فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ، وَهُدِيَ نَهْجَ ٱلسَّبِيلِ.

← النبات من الزوان، ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض، فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها.

(١) قد ميّزه التخليص: قد فرّق الانتقاء بين جيده ورديئه.

(٢) التهذيب: التنقية. والتمحيص: الاختبار.

(٣) الكرامة ـ هنا ـ: النصيحة، أي اقبلوا نصيحة لا أبتغي عليها أجراً إلّا قبولها.

(٤) القارعة: داهية الموت أو القيامة تأتي بغتة، والمراد هنا: الموت.

(٥) «حتى» غاية للقصر والقلّة، فقصير الأيام وما بعده ينتهي باستبدال المنزل بمنزل آخر.

(٦) فليصنع لمتحوّله: أي فليمهّد ما يجب إعداده للموضع الذي يتحوّل إليه، تقول: اصنع لنفسك، أي اعمل لها.

(٧) معارف المنتقَل: المواضع التي يعرف الانتقال إليها، يقال: معارف الدّار: أي ما يعرفها المتوسّم بها، مثل معاهد الدار ومعالمه.

(٨) «طوبى» هي «فُعْلَى» من الطّيب، قلبوا الياء واواً للضمّة قبلها.

(٩) فأطاع مَنْ يهديه: أي قَبِل مشورة الناصح الآمر له بالمعروف، والناهي له عن المنكر.

(١٠) وتجنّب من يُرديه: أي يُهلكه بإغوائه وتحسين القبيح له.

(١١) أي باستنارته بإرشاد من أرشده وطاعة الهادي الذي أمره قبل أن تغلق أبواب الهدى بالموت.

(١٢) أي قبل أن يحضره الموت فلا تقبل توبته.

(١٣) الحَوْبة: الإثم. وإماطته: إزالته.

٢١٥ ـ ومن دعاء له عليه السلام (*)

كَانَ يَدعُو بِهِ كَثِيراً

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً(١)، وَلاَ مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ(٢)، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي(٣)، وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي(٤)، وَلاَ مُلْتَبِساً عَقْلِي(٥)، وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ اَلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي(٦). أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً، ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ اَلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي. وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَنِي(٧)، وَلاَ أَتَّقِيَ إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِي.

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي

(*) رواه السيد ابن باقي في (الاختيار).

---

(١) «ميتاً» حال من المجرور و«أصبح» تامة.

(٢) «ولا مضروباً على عروقي بسوء»: أي ولا أبْرَص، والعرب تكنّي عن البرص بالسّوء. وأراد بعروقه أعضاءَه.

(٣) دابري: أي عقبي ونسلي، والدابر في الأصل: التابع، لأنّه يأتي دُبراً، وكنّى بقطعه عن الدواهي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل.

(٤) «ولا مستوحشاً من إيماني»: أي ولا شاكّاً في إيماني، لأنّ من شكّ في حقيقة استوحش منها.

(٥) «ولا ملتبساً عقلي»: ولا مختلطاً عقلي.

(٦) عذاب الأمم من قِبلَ المسخ والزّلزلة والظلمة ونحو ذلك.

(٧) أي لا أستطيع أن أرزق نفسي أمراً، ولكنّك الرازق، ولا أدفع عن نفسي محذوراً من المرض والموت إلاّ ما دفعته أنت عنّي.

سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ!

اَللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي(١)، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي! اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ(٢)، أَوْ تَتَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا(٣) دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

٢١٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام *

خَطَبَهَا بِصِفِّينَ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ(٤)، وَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ(٥)، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ

(*) رواها الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٥٢.

---

(١) هذه الدعوة كدعوة النبي ﷺ: «اللَّهمَّ متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، واجعله الوارث منّا» أي لا تجعل موتنا متأخراً عن ذهاب حواسّنا. ومن دعاء علي بن الحسين: اللَّهمَّ احفَظْ عليَّ سمعي وبصري، إلى انتهاء أجَلي.

(٢) نُفْتَتَن: نصاب بفتنة تُضِلُّنا عن الدين، وروي «تَفْتَتِنَ» بفتح حرف المضارعة. [كما في نسخة عبده.]

(٣) وروي: أو تتابع. [كما في نسخة عبده والصالح] والتتابع: ركوب الأمر على خلاف الناس، ويراد به هنا الإسراع إلى الشر واللجاجة.

(٤) الحق الذي له عليهم هو وجوب طاعته، والذي لهم عليه هو وجوب معدلته فيهم.

(٥) أي أنّ كلَّ أحدٍ يصف الحق والعدل، يقول: لو وُلِّيت لعدلت، فهو بالوصف باللسان وسيع، وبالفعل ضيّق، يتسع القول في وصفه، حتى إذا وجب على الإنسانِ الواصف له، فرّ من أدائه، ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها.

لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ[1] وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ[2]. ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا[3]، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَ لَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ[4].

وَ أَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللّٰهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِٱسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ[5]، فَصَلَحَ بِذٰلِكَ ٱلزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ

---

(١) عادَ إلى تقرير الكلام الأول، وهو وجوب الحقّ له وعليه، فيقول: لا يجري الحق لأحدٍ إلّا وجرى عليه، ولا يجري عليه إلّا وجرى له، لا استثناء في ذلك بين الموجودين وإلّا لكان أحقهم بذلك الباري سبحانه، وتقدير الكلام لكنّه يُستحق عليه أمور كالواحد منا، ولكنّه ﷺ حذف هذا الكلام المقدّر أدباً وإجلالاً لله تعالى.

(٢) أي ما هو أهله من المزيد.

(٣) تتكافأ في وجوهها: تتساوى، وهي حقّ الوالي على الرعيّة، وحق الرعيّة على الوالي.

(٤) حقوق العباد التي يكافىء بعضها بعضاً، ولا يستحق أحد منها شيئاً إلّا بأدائه مكافأة ما يستحقه، هي من حقوقه تعالى أيضاً.

(٥) *أذلال الطريق: جمع ذِلّ ـ بكسر الذال ـ: مجراه ووسطه.* وجرت أمور الله أذلالها، وعلى أذلالها: أي وجوهها. والسُّنن: جمع سُنّة.

ٱلْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ[1]، ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ، وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ[2]، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ[3]، فَعُمِلَ بِٱلْهَوَى، وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ[4]، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ[5]، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ. فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِٱلتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ، وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَا ٱللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ. وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ ٱللَّهُ مِنْ حَقِّهِ[6]، وَلَا ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ[7] ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذٰلِكَ[8]، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ ٱلثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

---

(١) أجحف الوالي برعيته: ظلمهم.

(٢) الإدغال في الأمر: إدخال ما يفسده فيه.

(٣) محاجّ السُّنن: جمع مَحَجّة، وهي جادّة الطريق وأوسطها.

(٤) كثرت عِلل النفوس: أي تعللها بالباطل.

(٥) «لا يُستَوحَش لعظيم»: أي إذا عطل الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب لتعوّدها على تعطيل الحقوق وأفعال الباطل.

(٦) «بفوق أن يُعان ...»: أي بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة، أي يستغني عن المساعدة.

(٧) اقتحمته العيون: احتقرته وازدرته.

(٨) بدون أن يعين: أي أعجز أن يساعد غيره.

إِنَّ مِنْ حَقِّ من عَظُمَ جَلَالُ اللّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذٰلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ(١). وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعمَةُ اللّهِ عَلَيْهِ(٢)، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ. فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللّهِ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللّهِ عَلَيْهِ عِظَماً.

وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ(٣)، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ. وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ(٤)، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللّهِ ـ كَذٰلِكَ. وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ(٥)، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي(٦)

---

(١) «كلّ» فاعل «يصغر». أي يصغر عنده كلّ ما سوى الله لعظم ذلك الجلال الإلٰهي، وهذا مقام جليل من مقامات العارفين، وهو استحقار كلّ ما سوى الله تعالى.

(٢) وأحقّ المعظمين لله بتصغير ما سواه هو الذي عظمت نعمة الله عليه.

(٣) أصل السخف: رقة العقل وغيره، أي ضعفه، والمراد أدنى حالة للولاة أن يظن بهم الصالحون أنّهم يحبّون ويبنون أمورهم على أساس الكبر.

(٤) كره الإمام أن يخطر ببال قومه كونه يحب الإطراء، أي المبالغة في الثناء عليه، فإنّ حقّ الثناء لله وحده فهو ربّ العظمة والكبرياء.

(٥) يقول عليه السلام: إنّ مَن يكره الإطراء والثناء، قد يحب ذلك بعد البلاء والاختبار، ولو فرضنا أنّ ذلك سائغ، لم يجز لكم أنْ تثنوا عليّ في وجهي ولا جاز لي أن أسمعه منكم. والبَلاء ـ هنا ـ: إجهاد النفس في إحسان العمل.

(٦) «لإخراجي» متعلق بـ«تثنوا». [وفي نسخة عبده والصالح: التَّقِيَّة] والتَّقِيَّة: الخوف، والمراد لازمه، وهو العقاب. و«من» متعلق بـ«إخراجي»، أي: إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في حقٍّ من الحقوق، أو قضاء فريضة من الفرائض، فلا تثنوا عليّ لذلك فإنّما وفيت نفسي، وعملت لسعادتي، على أنّي ما أدّيت الواجب عليّ في ذلك، وما أجزل هذا القول وأجمعه.

نَفْسِي إِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ ٱلْبَقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا[1]، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا. فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ[2]، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ، وَ لَا تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ[3] وَ لَا تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي. فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ ٱللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي[4]، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ بِٱلْهُدَى[5]، وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَى.

---

(١) أي أنّه قد بقيت عليّ بقيّة لم أفرُغ من ادائها، واذا لم يتمّ البلاء الذي فرضنا أنّ الثناء يحسن بعده، لم يحسن الثناء.

(٢) ينهاهم عن مخاطبتهم له بألقاب المعظمة كما يلقّبون الجبابرة، وعن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على الرأي صواباً أو خطأً كما يفعل مع أهل البادرة، أي الغضب.

(٣) المُصَانعة: المُداراة، وصانعه إذا أتى ما يرضيه وإن كان غير راضٍ عنه. يقول‌ﷺ: لا تصانعوني بالمدح والإطراء عن عمل الحق.

(٤) يقول لا آمن من الخطأ في أفعالي إلّا إذا كان يسّر الله لنفسي فعلاً هو أشدّ ملكاً له مني فقد كفاني الله ذلك الفعل فأكون على أمن من الخطأ فيه.

(٥) ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه‌ﷺ، لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه يشير إلى القوم الذين يخاطبهم.

٢١٧ - ومن كلام له عليه السلام (*)

فِي التَّظَلُّمِ مِنْ قُرَيْشٍ

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ(١) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي(٢)، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي(٣)، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ(٤)، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ(٥)، وَلَا ذَابٌّ(٦) وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ(٧) بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى(٨)، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا(٩)، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ(١٠).

(*) رواه الكليني في كتاب الرسائل من (الكافي).

---

(١) أستعديك: أستعينك، والعدوى: طلبك إلى والٍ ليُعديك على مَنْ ظلمك، أي ينتقم لك منه.

(٢) قطعوا رحمي: قطعوا قرابتي، أي أجروني مجرى الأجانب، ويجوز أن يُريد أنّهم عدّوني كالأجنبيّ من رسول الله ﷺ، ويجوز أن يريد أنهم جعلوني كالأجنبيّ منهم: لا ينصرونه، ولا يقومون بأمره.

(٣) أكفأوا إنائي: قلبوه وكبّوه، والمعنى أُضيعت حقوقه.

(٤) أي لو وليت أنت كانت ولايتك حقّاً، وإن وُلّي غيرُك كانت ولايته حقّاً. وروي «نأخذه» بالنون.

(٥) الرافد: المُعين.

(٦) الذابّ: الناصر والمدافع.

(٧) ضننت بهم: أي بخلت بهم.

(٨) القذى: ما يقع في العين، وأغضيت على كذا: صَبرت.

(٩) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه، يريد به غصة الحزن.

(١٠) الوخز: الطعن الخفيف، وروي: «من حزّ الشِّفار» [كما في نسخة «ب»] والحزّ: القطع، والشِّفار: جمع شَفْرة، وهي حدّ السيف والسكّين.

قَالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إِلَّا أَنِّي ذَكَرْتُهُ هَا هُنَا لِاخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ.

٢١٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَ أَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً؛ وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ[1]، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

٢١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

لَمَّا مَرَّ بِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ[2]
وَهُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ

(*) رواه الأصفهاني في (الأغاني) ج ١ ص ٢٤٦، والمبرد في (الكامل) ج ١ ص ١٢٦.

(١) «وطائفةً عضّوا على أسيافهم» كناية عن الصّبر في الحرب وترك الاستسلام. وروي: «وطائفةٌ» بالرفع [كما في نسخة عبده والصالح]، والتقدير: ومنهم طائفة. والعضّ على السيوف: مجاز عن ملازمة العمل بها.

(٢) عبدالرحمن بن عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أُمية بن عبد شمس، تابعي، وليس بصحابي، أبوه من مُسلمة الفتح، ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حُنين، استعمله عليها، فلم يزل أميرها حتى قُبض رسولُ الله ﷺ.

قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ[1]، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ[2]، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ[3] فَوُقِصُوا دُونَهُ.

٢٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

فِي وَصْفِ السَّالِكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ[4]، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ[5]، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ[6]، وَبَرَقَ لَهُ

(*) رواه الآمدي في (غرره) ص ٢٣٣.

(١) الوِتر: الثأر. وقد قال القطب الراوندي في شرح نهج البلاغة: «يعني طلحة والزبير، كانا من عبد مناف» [وكذلك قال عبده في شرحه للعبارة] وهذا غلط قبيح، لأنّ طلحة من تَيْم بن مرّة، والزبير من أسد بن عبد العزّى بن قصي، وليس أحد منهما من بني عبد مناف، وولد عبد مناف أربعة: هاشم وعبد شمس ونوفل وعبد المطلب، فكلّ مَنْ لم يكن من ولد هؤلاء الأربعة فليس من ولد عبد مناف.

(٢) أفلته الشيء: خلص منه فنجاة. وجُمَح: قبيلة عربية كان من أعيانها ـ أي عظمائها وسادانها ورؤسائها ـ جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجمل ولم يصبهم ما أصاب غيرهم. ومن هذه القبيلة صفوان بن أمية بن خلف واسمه عبد الله، وعبد الرحمن بن صفوان. [وأثبت ابن أبي الحديد في متنه]: «وأفلتتني أعيارُ بني جُمَح» والأعيار: الحمير، وكان من بني جمح يوم الجمل جماعة هربوا، ولم يقتل منهم إلّا اثنان هما: عبد الرحمن بن وهب بن أُسيد، وعبد الله بن ربيعة بن درّاج.

(٣) أتلعوا أعناقهم: رفعوها، ورجلٌ أتلَع: طويل العنق. والضمير يرجع إلى قريش. ومعنى كلامه: رفعوا أعناقهم ومدوها لتناول أمر: وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة، فوُقِصوا ـ أي كسرت أعناقهم ـ دون الوصول إليه، وُقِصَ الرّجل، إذا اندقّت عنقه.

(٤) يصف العارف بأنّه قد أحيا قلبه بمعرفة الحقّ سبحانه، وأمات نفسه بالمجاهدة. وإحياء العقل بالعلم والفكر والنعوذ في الأسرار الإلهية. وإماتة النفس بكفّها عن شهواتها.

(٥) الجليل: العظيم. ودقّ: أي صغر حتى خفي أو كاد، أي حتى نَحَل بدنُه الكثيف.

(٦) لطف غليظُه: تلطّفت أخلاقه وصفتْ نفسه.

لَامِعٌ كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ[1]، فَأَبَانَ لَهُ ٱلطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ ٱلسَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ[2] إِلَى بَابِ ٱلسَّلَامَةِ، وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَٱلرَّاحَةِ، بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ[3].

٢٢١ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قَالَهُ بَعْدَ تِلَاوَتِهِ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[4]

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ[5]! وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ[6]! وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ[7]! لَقَدِ اسْتَخْلَوْا

(*) رواه ابن شاكر الليثي في كتاب (عيون الحكم والمواعظ).

---

(١) بروق اللامع من نور المقام الإلهي يوضّح طريق السعادة.

(٢) لا يزال السالك ينتقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام آخر من مقامات الكمال، وهذا هو التدافع من باب إلى باب حتى يصل إلى أعلى ما يمكن له، وهناك سعادته ومقر نعيمه الأبدي.

(٣) أي كانت الراحة الكليّة والسعادة الأبديّة مستمرة من ذلك التعب الذي تحمله.

(٤) اختلف المفسرون في تأويل هاتين الآيتين، فقال قوم: المعنى أنكم قطعتم أيام عمركم في التكاثر بالأموال والأولاد، حتى أتاكم الموت، فكنّى عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر. وقال قوم: بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم، ثم تفاخروا بأسلافهم الأموات، وهذا هو التفسير الذي يدلّ عليه كلام أمير المؤمنين عليه السلام. وألهاه عن الشيء: صرفه عنه باللهو. أي صرفكم عن الله اللهوُ بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كلّ منكم مزايا أسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر.

(٥) «ما أبعده» أي لا فخر في ذلك، وإنّما الفخر بتقوى الله وطاعته، والمَرام: الطلب بمعنى المطلوب.

(٦) «وزوراً ما أغفله» إشارة إلى المتفاخرين، جعلهم كالزائرين لقبورهم. الزَّوْر ـ بالفتح ـ: الزائرون وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم وتلك غفلة، فإنّما ينالون الشرف بما يكون من موجباته في ذواتهم فما أبعد ما يرومون بغفلتهم. والزَّوْر: اسم للواحد والجمع كالضَّيْف.

(٧) «وخطراً ما أفظعه» إشارة إلى الموت أي: ما أشدّه!

مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ[١] وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ[٢].

أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ؟! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ[٣]، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ. وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ[٤] أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ[٥].

لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ[٦]، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ[٧]. وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ[٨]، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا

---

(١) أراد ﷺ بـ«استخلوا» ذكر من خلا من آبائهم، أي من مضى؛ يقال: هذا الأمر من الأمور الخالية، وهذا القرن من القرون الخالية، أي الماضية. واستخلى في حديثه، أي حدّث عن أمور خالية، والمعنى أنّه استعظم ما يوجبه حديثهم عما خلا وعمّن خلا من أسلافهم وآثارهم من التذكير، فقال: أيّ مذكر وواعظ في ذلك! وروي: أي مذكَر بمعنى المصدر، كالمعتقد بمعنى الاعتقاد. ويمكن أن يكون معنى استَخلَوْهم أي وجدوهم خالين. والمُدَّكر: مصدر ميمي من الادكار بمعنى الاعتبار، أي أخلوا أسلافهم من الاعتبار، ثم قلب المعنى في عبارة الإمام فكان أخلوا الإدكار من آبائهم مبالغة في تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم، و«أيّ» صفة لمحذوف تقديره مدكراً.

(٢) تَنَاوَشُوهم: تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها، والمراد ذكروهم وتحدثوا عنهم، فكأنّهم تناولوهم.

(٣) «يرتجعون منهم أجساداً»: أي يذكرون آباءهم، فكأنّهم ردّوهم إلى الدنيا. وخَوَت: خلَت وسقط بناؤها وخلت من أرواحها.

(٤) الجناب: الفِناء.

(٥) أحجَى: أقرب للحجى، أي العقل، فإنّ موت الآباء دليل الفَناء، ومَنْ عاقبته فناء فكيف يفتخر؟!

(٦) أي لم ينظروا النظر المفضي إلى الرؤية، لأنّ أبصارهم ذات عَشْوة، وهو مرض يصيب العين ينقص به الإبصار.

(٧) «وضربوا بهم في غَمْرة جهالة»: أي وضربوا من ذكر هؤلاء الموتى في بحر جهلٍ، والضرب هنا استعارة، أو يكون من الضرب بمعنى السير.

(٨) الربوع: المساكن، ويمكن أن يريد بالديار والربوع القبورَ. والخاوية: المتهدمة.

فِي ٱلْأَرْضِ ضُلَّالاً(١)، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً(٢). تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ(٣)، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ(٤)، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا(٥)، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا(٦)، وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ(٧). أُولٰئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ(٨)، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ(٩)، ٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ ٱلْعِزِّ(١٠)، وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ(١١) مُلُوكاً

---

(١) الضُّلَّال ـ كعشّاق ـ: جمع ضالّ. ضُلّالاً: أي هالكين. ومنه قوله تعالى: ﴿وقالوا أئذا ضَلَلْنا في الأرض أئنا لفي خَلْقٍ جديد﴾ [السجدة: ١٠].

(٢) «وذهبتم في أعقابهم»: أي بعدهم «جهالاً»، لغفلتكم وغروركم.

(٣) هام: جمع هامة، أعلى الرأس.

(٤) «تستنبتون في أجسادهم»: أي تزرعون النبات في أجسادهم، وروي: «تستثبتون»، بالثاء (كما في نسخة عبده) أي تحاولون إثبات ما تثبتون من الأعمدة والأوتاد والجدران في أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجها بالأرض التي تقيمون فيها ما تقيمون.

(٥) «وترتعون فيما لفظوا»: لَفَظْتُ الشيءَ: رميتُه من فمي، ويجوز أن يريد به أنّكم تأكلون ما خلّفوه وتركوه، أو يريد أنّكم تأكلون ما ينبت في أجزاء ترابيّة خالطها الصديد* الجاري من أفواههم.

(٦) أي وتسكنون في المساكن التي لم يعمروها بالذكر والعبادة، أو يريد أنّهم فارقوها وأخلوْها، فأطلق على الخلوّ والفراغ لفظ «الخراب» مجازاً.

(٧) بَواكٍ: جمع باكية. ونوائح: جمع نائحة. يريد أنّ الأيّام والليالي تشيّع رائحاً إلى المقابر وتبكي وتنوح على الباقين الذين سيلتحقون بهم عن قريب، وبكاء الأيام على السابقين واللاحقين حفظها لما يكون من مصايبهم.

(٨) السلف: المتقدمون. والغاية: الحدّ الذي يُنتهى إليه، وهو الموت.

(٩) الفَرط والفُرّاط: جمع فارط، القوم يسبقون الحيّ إلى المنهل. والمَناهِل: مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلاً.

(١٠) مَقاوِم العزّ: دعائمه، جمع مِقْوَم، وأصلها الخشبة التي يمسكها الحرّاث.

(١١) حلبات الفخر: جمع حلْبَة، وهي الدفعة من الخيل تجمع للسباق، أو هي الخيل تجتمع للنصرة من كلّ أوب.

---

* الصديد: القيح المختلط بالدم.

وَسُوَقاً[1]. سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ[2] سَبِيلاً سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِـي فَـجَوَاتِ قُـبُورِهِمْ جَـمَاداً لَا يَنْمُونَ[3]، وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ[4]؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ، وَلَا يَـحْزُنُهُمْ تَـنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِٱلرَّوَاجِفِ[5] وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ[6]. غُـيَّباً لَا يُـنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ[7]، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَأُلَّافاً فَافْتَرَقُوا[8]، وَ مَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ[9]، وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً[10] بَدَّلَتْهُمْ بِٱلنُّطْقِ خَرَساً، وَبِٱلسَّمْعِ صَمَماً، وَبِٱلْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّـهُمْ

(١) السُّوَق: جمع سُوقة، أي الرعيّة.

(٢) البرزخ: الحاجز بين شيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فيجوز أن يريد به القبر، أو يريد به الوقت بين حال الموت إلى حال النشور، والأول أقرب إلى مراده.

(٣) الفَجَوات: جمع فجوة، وهي الفرجة، والمراد منها شقّ القبر. ولا يَنْمُون: من النمو وهو الزيادة من الغذاء، ويروى: «ولا يَنِمُّون»، من النميمة، وهي الهمس والحركة.

(٤) ضِماراً: يقال لكلّ ما لا يُرجى من الدَّين والوعد، وكلّ ما لا تكون منه على ثقة: ضِمار.

(٥) لا يَحْفِلون ـ بكسر الفاء ـ: لا يبالون. والرواجِف: جمع راجفة، الزلزلة توجب الاضطراب، أي لا يكترثون بالزلازل.

(٦) «ولا يأذنون للقواصف»: أي لا يسمعون الأصوات الشديدة. يأذنون: يستمعون. والمصدر منه الأذن بالتحريك.

(٧) جمع الغائب غُيَّب وغَيَب، وكلاهما مرويٌّ ههنا، أراد أنّهم شهود في الصورة، وغير حاضرين في المعنى.

(٨) أُلّافاً ـ على فُعّال ـ: جمع آلِف؛ كالطُّرّاق جمع طارِق، والكُفّار جمع كافِر. ويروى: آلافاً وكمالي نسخة عبده والصالح: جمع أليف، أي مؤتلف مع غيره.

(٩) صَمَّ يَصَمّ ـ بالفتح فيهما ـ: خرس عن الكلام، وخرس الديار: عدم صعود الصوت من سكانها.

(١٠) يريد كأس المنون

فِي أَرْتِجَالِ ٱلصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ[1]. جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ. بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى ٱلتَّعَارُفِ[2]، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ[3]، وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ[4]. لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً[5]. شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا[6]. فَكِلْتَا ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ[7] فَاتَتْ مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا[8] بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا. وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ[9]، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ.

---

(١) ارتجال الصفة: وصف الحال بلا تأمّل، فالواصف لهم بأول النظر يظنّهم صرعوا من السُّبات، أي النوم. *وصرعى: جمع صريع، أي هالك.*

(٢) العُرى: جمع عروة، وهي مقبض الدلو والكوز مثلاً، وبليت: رثّت وفنيت، والمراد زوال نسبة التعارف بينهم

(٣) كلّ واحدٍ منهم موصوف بالوحدة، وهم مع ذلك مجتمعون.

(٤) أي وكلّ واحد منهم في جانب الهجر وهم مع ذلك أهل خُلّة ومودة، أي كانوا كذلك.

(٥) الجديدان: الليل والنهار، فإن ذهبوا في نهار فلا يعرفون له ليلاً أو في ليل فلا يعرفون له نهاراً.

(٦) قوله ﷺ: «شاهدوا من أخطار دارهم» المعنى أنّه شاهَدَ المتقون من آثار الرحمة وأماراتها، وشاهَدَ المجرمون من آثار النقمة وأماراتها عند الموت، والحصول في القبر أعظم مما كانوا يسمعون في الدنيا.

(٧) الغايتان: غاية الشقيّ منهم وغاية السعيد، وهما النار والجنة. والمَبَاءة: مكان التبوّء والاستقرار، والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة، وقد مدت الغاية: أي أُخّرت عنه في الدنيا إلى مرجع يفوق في سعادته أو شقائه كلّ غاية سما إليها الخوف والرجاء.

(٨) عيّوا: عجزوا.

(٩) رجعت فيهم أبصار العبر: نظرت إليهم بعد الموت نظرة ثانية، والعِبَر: جمع عِبْرة، *وهي ما يُعتبر به ويُتّخذ موعظة.*

فَقَالُوا: كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ[١]، وَخَوَتِ ٱلْأَجْسَادُ ٱلنَّوَاعِمُ[٢]، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٱلْبِلَى[٣]، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ ٱلْمَضْجَعِ[٤]، وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ[٥]، وَتَهَدَّمَتْ عَلَيْنَا ٱلرُّبُوعُ ٱلصُّمُوتُ[٦]، فَٱنْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً.

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ[٧] أَسْمَاعُهُمْ بِٱلْهَوَامِّ فَٱسْتَكَّتْ[٨]، وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِٱلتُّرَابِ فَخَسَفَتْ[٩]، وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[١٠]، وَهَمَدَتِ[١١] ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا،

---

(١) كَلَحت الوجوه كُلُوحاً، وهو تكشّر في عُبوس، والنواضِر: النواعم الحسنة البوَاسم.

(٢) «وخوت الأجسادُ النواعِم»: خلت من دمها ورطوبتها وحشوتها، أو سقطت وتهدّمت بنيتها وتفرّقت أعضاؤها.

(٣) الأهدام: جمعُ هِدْم، وهو الثوب البالي أو المرقع.

(٤) تكاءدَنا: شقّ علينا.

(٥) توارثنا الوحشة: كأنّه لمّا مات الأب فاستوحش أهله منه، ثم مات الابن فاستوحش منه أهله أيضاً، صار كأنّ الابن ورث تلك الوحشة من أبيه كما تورث الأموال.

(٦) تهدّمت علينا الربوع: يقال: تهدّم فلانٌ غضباً، إذا اشتدّ غضبه، ويجوز أن يكون تهدّمت أي تساقطت. وروي: «وتهكّمت» بالكاف [كما أثبتها عبده والصالح في المتن] وهي كقولك: «تهدّمت» بالتفسيرين جميعاً. والرَّبْع: أماكن الإقامة. ويعني بالربوع الصموت، القبور لأنّها لا نطق فيها.

(٧) ارتسخ: مبالغة في «رسخ»، ورسخ الغدير: نش ماؤه، أي أخذ في النقصان ونضب، أي نضب مستودع قوة السماع، وذهبت مادته بامتصاص الهوام، وهي الديدان هنا.

(٨) استكّت: أي ضاقت وانسدّت، واستكّت الأذن: صمّت.

(٩) خسفت: أي غارت وذهبت في الرأس، وخَسَفَ عينَ فلانٍ: فقأها.

(١٠) ذلاقة الألسن: حدّتها في النطق.

(١١) هَمَدت: سكنتْ وخمدتْ.

وَعَاثَ[١] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىً[٢] سَمَّجَهاَ[٣]، وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلآفَةِ إِلَيْهَا[٤]. مُسْتَسْلِمَاتٍ[٥] فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ[٦]، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ[٧]، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ[٨]، وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي[٩]. فَكَمْ أَكَلَتِ ٱلأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ[١٠]، وَأَنِيقِ لَوْنٍ[١١]، كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ[١٢] وَرَبِيبَ شَرَفٍ[١٣]! يَتَعَلَّلُ بِٱلسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ[١٤]، وَيَفْزَعُ إِلَى ٱلسَّلْوَةِ[١٥] إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ[١٦]، وَشَحَاحَةً[١٧] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى

---

(١) عاث: أفسد.

(٢) البلى: التحلل والفناء.

(٣) سمّج الصورة تسميجاً: قبّحها، أي أفسد الفناء في كلّ عضو منهم فقبحه.

(٤) «وسهّل طرق الآفة إليها»: وذلك أنّه إذا استولى العنصر الترابيّ على الأعضاء قوي استعدادها للاستحالة من صورتها الأُولى إلى غيرها.

(٥) مستسلمات: أي منقادة طائعة غير عاصية.

(٦) أشجان القلوب: همومها، والأشجان: جمع شَجَن، وهو الحزن، و«لرأيت»: جواب «لو مثّلتهم».

(٧) الأقذاء: جمع قَذىً، وهو ما يسقط في العين ليؤذيها.

(٨) أي لا تنتقل الى حسن وصلاح.

(٩) الغَمْرة: الشدّة.

(١٠) رجل عزيز: أي حدث، وعزيز الجسد، أي طريّ.

(١١) أنيق اللون: معجب اللون رائق الحسن.

(١٢) غذيُّ تَرَف: قد غُذِي بالترف، وهو التنعم المطغي، والغَذِيّ: اسم بمعنى المفعول أي مغذّى بالنعيم.

(١٣) ربيب شَرَف: أي قد رُبّي في الشرف، والربيب: بمعنى المربى، ربّه يربّه أي ربّاه.

(١٤) يتشاغل بأسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه.

(١٥) ويفزع الى السَّلْوة: يلتجئ إليها، والسلوة: انصراف النفس عن الألم بتخيل اللذة.

(١٦) ضَنّاً: أي بخلاً. وغضارة العيش: نعيمه ولينه وطيبه.

(١٧) شحاحة: بخلاً.

ٱلدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ(١)، فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ(٢)، إِذْ وَطِئَ ٱلدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ(٣)، وتَقَضَتِ ٱلْأَيَّامُ قُوَاهُ(٤)، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ٱلْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ(٥)، فَخَالَطَهُ بَثٌّ(٦) لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ(٧)، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ(٨)، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ(٩)، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ ٱلْحَارِّ بِٱلْقَارِّ(١٠)، وَتَحْرِيكِ ٱلْبَارِدِ بِٱلْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ ٱلطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ(١١)؛ حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ(١٢)،

---

(١) يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه: كناية عن الفرح بالعمر والعيشة.

(٢) عيش غَفول: قد غفل عن صاحبه، فهو مستغرق في العيش لم ينتبه له الدّهر فيكدّر عليه وقته. ووصف العيش بالغفلة لأنّه إذا كان هنيئاً يوجبها.

(٣) أي إذا أوطأه الدهر حَسَكه، والهاء في «حَسَكه» ترجع الى الدهر، والحسك: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، ورقه كورق الرجلة أو أدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب وهو تمثيل لمس الآلام.

(٤) قُواه: جمع قوّة، وهي الطِيرة من موالي الحبل.

(٥) الحُتوف: المهلكات، وأصل الحتف: الموت. مِنْ كَثَبٍ ـ بالتحريك ـ: أي قُرْب، أي توجهت إليه المهلكات على قرب منه.

(٦) البَثّ: الحزن. والبثّ أيضاً: الأمر الباطن الدخيل.

(٧) نجيّ الهمّ: المُناجي، الذي يناجيك ويسارّك.

(٨) *الفترات: جمع فترة، وهي العلة من الزمن، ويريد بفترات العلل* أوائل المرض وانحطاط القوّة أي تولّد فيه الضعف بسبب العلل حال كونه أشد أنساً بصحته من جميع الأوقات السابقة.

(٩) «آنس» حال من الضمير فيه.

(١٠) القارّ: هنا البارد.

(١١) اعتدل بممازج: أي ما طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع ليعدلها إلّا وساعد كلّ طبيعة على تولّد الداء.

(١٢) لأنّ معلّلي المرض إذا رأوا أمارات الهلاك فترت هممتهم. وكذلك «ذَهَل ممرّضه»، لأنّ الممرّض إذا أعيا عليه المرض، وانسدّت عليه أبواب التدبير يَذْهَل. ومُعَلّل المريض: من ←

وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ[1]، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ ٱلسَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ[2]، فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ[3]، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ[4]، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى[5] ٱلْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا[6]، وَتَرْكِ ٱلْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ[7]، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[8]، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ[9]! وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ[10]! مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ[11]، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ[12]. وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[13].

← يسليه عن مرضه بترجية الشفاء، كما أن ممرضه: من يتولّى خدمته في مرضه لمرضه.

(١) تَعَايَا أهله: أي اشتركوا في العجز عن وصف دائه.

(٢) «وتنازعوا دونه شَجِيّ خبر يكتمونه»، أي تخاصموا في خبر ذي شجى، أي خبر ذي غُصّة يتنازعونه وهم حول المريض سراً دونه، وهو لا يعلم نجواهم. [وفي نسخة عبده والصالح: شجيَّ خبرٍ].

(٣) هو لما به: أي هو مملوك لعلته فهو هالك، قد أشفى على الموت.

(٤) المُمَنّي: مخيّل الأُمنية. والإياب: الرجوع، آب فلان إلى أهله، أي عاد.

(٥) الأُسى: جمع أُسوة، وهو ما يتأسى به الإنسان.

(٦) أي سرعان ما يفارقها؛ لأنَّ مَنْ كان على جناح طائر، فأوشك به أن يسقط!

(٧) العارض: يعني الموت، ومن غُصَصِه: جمع غُصّة، وهو ما يعترض مَجْرَى الأنفاس.

(٨) «فتحيّرت نوافذ فطنته»: أي تلك الفطنة النافذة تحيّرت عند الموت، ونوافذ فطنته: ما كان من أفكار نافذة، أي مصيبة للحقيقة.

(٩) عَيِيَ: عجز لضعف القوة المحركة للسان.

(١٠) تصامَّ عنه: أظهر الصَمم، لأنّه لا حيلة له.

(١١) «من كبير كان يعظّمه»: نحو صُراخ الوالد على الولد والولد يسمع ولا يستطيع الكلام.

(١٢) «وصغير كان يرحمه»: نحو صراخ الولد على الوالد، وهو يسمع ولا قدرة له على جوابه.

(١٣) تعتدل: أي تستقيم عليها بالقبول والإدراك، أي لغفلتهم عنها لا تتناسب عند عقولهم فيدركوها.

٢٢٢ ـ ومن كلام له عليه السلام*

قالَهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ:

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ ٱلذِّكْرَ(١) جِلَاءً لِلْقُلُوبِ(٢)، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ ٱلْوَقْرَةِ(٣)، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ ٱلْعَشْوَةِ(٤)، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ ٱلْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ(٥) ـ فِي ٱلْبُرْهَةِ بَعْدَ ٱلْبُرْهَةِ(٦)، وَفِي أَزْمَانِ ٱلْفَتَرَاتِ(٧)، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ(٨)، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ. فَٱسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي ٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَفْئِدَةِ(٩)، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ(١٠). مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ(١١)، وَبَشَّرُوهُ بِٱلنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً(١٢)

(*) روى صدر هذا الكلام الآمدي في (غرره) ص ٨١ بحرف الألف بلفظ «إنّ» المشدّدة.

---

(١) الذكر: استحضار الصفات الإلهية.

(٢) جلاء ـ بالكسر ـ: من جلا السيف يجلوه إذا صقله وأزال من صدأه.

(٣) الوَقرة: الثقل في الأذن.

(٤) العَشْوة: من العشا في العين، أي: ضعف البصر.

(٥) عزت آلاؤه: كرمت وعظمت.

(٦) البرهة من الدهر: المدة الطويلة.

(٧) الفَترة بين العملين: زمان بينهما يخلو منهما، والمراد أزمنة الخلوّ من الأنبياء مطلقاً.

(٨) وناجاهم في فكرهم: ألهمهم.

(٩) استصبح: أضاء مصباحه، أي أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم ـ .

(١٠) الفَلَوات: المفازات والقفار.

(١١) أخذ القصد: أي ركب الاعتدال في سلوكه.

(١٢) «مَن أخذ يميناً أو شمالاً»: أي ضلّ عن الجادّة.

دَلُّوا إِلَيْهِ اَلطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ اَلْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ اَلظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ اَلشُّبُهَاتِ. وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ اَلدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ اَلْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ[1] عَنْ مَحَارِمِ اَللّٰهِ، فِي أَسْمَاعِ اَلْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ[2] وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا اَلدُّنْيَا إِلَى اَلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ اَلْبَرْزَخِ فِي طُولِ اَلْإِقَامَةِ فِيهِ[3]، وَحَقَّقَتِ اَلْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[4]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ اَلدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى اَلنَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ اَلْمَحْمُودَةِ[5]، وَمَجَالِسِهِمُ اَلْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ[6]، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ[7]، فَضَعُفُوا عَنِ اَلِاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً[8]، وَتَجَاوَبُوا

---

(١) يهتفون بالزواجر: يصوّتون بها، هتف به: صاح ودعا، وهتفت الحمامة: صاتت.

(٢) القِسْط: العدل. ويأتمرون به: يمتثلون الأمر.

(٣) «في طول الإقامة» حال من أهل البرزخ.

(٤) العِدَات ـ جمع عِدَة بكسر ففتح مخفف ـ: «الوعود» أي كأنّما القيامة كشفت لهم عن الوعود التي وعد بها الأخيار والأشرار.

(٥) مقاوم ـ جمع مَقام ـ: مقاماتهم في خطاب الوعظ.

(٦) الدواوين: جمع ديوان، وهو مجتمع الصحف. والدفتر: ما يكتب فيه أسماء الجيش وأهل الأعطيات.

(٧) الأوزار: جمع وِزْر، الحمل، ويراد به هنا: الذنوب، أي نسبوا ما صدر عنهم إلى تقصير هممهم عن أداء الواجب عليهم، ولم يحولوه على ربّهم فجعلوا الأوزار حملاً على ظهورهم، فأحسّوا بالضعف عن الاستقلال بها، أي القيام بحملها.

(٨) النشيج: صوت البكاء، ونشج الباكي ينشج نشيجاً: غصّ بالبكاء في حلقه.

نَحِيباً(١)، يَعِجُّونَ(٢) إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَٱعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدىً، وَمَصَابِيحَ دُجىً، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ(٣)، فِي مَقْعَدٍ ٱطَّلَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ. يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ ٱلتَّجَاوُزِ(٤). رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ ٱلْأَسَى قُلُوبَهُمْ(٥)، وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ(٦)، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ(٧)، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ ٱلرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ ٱلْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ(٨)

٢٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام *

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً(٩)، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً(١٠). لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً

(*) ذكره الآمدي في (الغرر) ص ٢٣٢، والسيد اليماني في (الطراز) ج ٢ ص ٢٧٢.

(١) النَّحِيب: أشدّ البكاء، وتجاوبوا به: أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون.

(٢) عجّ يعجّ: صاح ورفع صوته، فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ.

(٣) المقعد: موضع القعود.

(٤) تنسّم النسيم: تشمّمه. والرَّوْح: النسيم، أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له.

(٥) الأسى: الحزن.

(٦) يَدٌ قارعة: تطرق باب الرحمة، وهذا الكلام مجاز.

(٧) المنادح: المواضع الواسعة، جمع مندوحة، وهي كالمُنْدَحة، والمُتَّدَح: المتسع من الأرض.

(٨) الحسيب: المحاسب.

(٩) الحجّة الداحضة: الباطلة، ودَحَضَت الحجّةُ: بَطَلَت. وأدحض: خبرٌ لمبتدأ محذوف هو الإنسان.

(١٠) المعذِرة: العذر.

بِنَفْسِهِ[1]. يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[2]، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ! أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ! فَلَرُبَّمَا تَرَى ٱلضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ ٱلشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ[3]، أَوْ تَرَى ٱلْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ[4] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ، وَهِيَ أَعَزُّ ٱلأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ[5]، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ[6] بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ[7] سَطَوَاتِهِ! فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى[8] ٱلْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ[9] فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ، إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ[10] بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَتَعَالَى[11] مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ! فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَا

---

(١) أبرح فلان جهالة، أو شجاعة، أو لؤماً، أو أتى بالبرح من ذلك، أي بالشديد العظيم وأبرح بنفسه: أي أعجبته نفسه بجهالتها.

(٢) البُلُول: مصدر بَلّ الرجل من مرضه بُلولاً: إذا برئ وحسنت حاله بعد هُزال.

(٣) الضاحي لحرّ الشمس: البارز، من ضَحَا ضَحْواً وضُحُوّاً: برز في الشمس.

(٤) داءٌ ممض: أي مؤلم، ويُمِضّ جسده: يبالغ في نهكه.

(٥) بَيَات النقمة: طروقها ليلاً، أي خوف أن تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك، وقد وقعت بمعاصيك في طرق سطواته، وتعرّضت لانتقامه.

(٦) تورّط: وقع في الورطة، وهي الهلاك، وأصل الورطة أرضٌ مطمئنة لا طريق فيها.

(٧) المدارج : الطرق والمسالك.

(٨) الكَرَى ـ بالفتح والقصر ـ: النوم.

(٩) تمثّل: تصور، واذكر عند إعراضك عن الله إلى لهوك أنّه مقبل عليك بنعمه.

(١٠) يتغمدك: أي يغمرك ويسترك بعفوه.

(١١) الضمير في «تعالى» لله.

تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ(١)، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَأَيْمُ ٱللَّهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ ٱلصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي ٱلْقُدْرَةِ(٢)، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِئِ ٱلْأَعْمَالِ. وَحَقّاً أَقُولُ! مَا ٱلدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلٰكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتِ(٣)، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ(٤). وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَٱلنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ(٥)، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ. وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا(٦) فِي ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ، وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ ٱلشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَٱلشَّحِيحِ بِكَ(٧)! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً(٨) وَإِنَّ ٱلسُّعَدَاءَ بِٱلدُّنْيَا غَداً هُمُ ٱلْهَارِبُونَ مِنْهَا ٱلْيَوْمَ.

---

(١) طَرَفَ عَيْنَهُ: أطبق جفنيها، والمراد من المَطْرَف: اللحظة يتحرك فيها الجفن، و «في نعمة» يتعلق بلطفه.

(٢) «متوازيين في القُدرة»: أي متساويين، وروي: «متوازنين».

(٣) العظات ـ جمع عظة ـ: المواعظ، وهو منصوب على نزع الخافض، أي كاشفتك بالعظات، والمعنى: أنّ الدنيا ما خبّأت عن بصرك شيئاً من تقلّباتها المفزعة، ولكن غفلت عمّا ترى، ولقد كاشفتك، وأظهرت لك العظات. وروي: «العظاتُ» بالرفع على أنّه فاعل [كما في نسخة عبده]، وروي: «كاشفتك الغطاء».

(٤) آذنتك: أعلمتك، وعلى سواء، أي على عَدْل وإنصاف.

(٥) «ربّ ناصح لها عندك متهم»: ربّ حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص.

(٦) تعرّفتها: طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها.

(٧) الشحيح بك: البخيل بك على الشقاء والهلكة.

(٨) وطّنه: اتّخذه وطناً.

إِذَا رَجَفَتِ ٱلرَّاجِفَةُ(١)، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ(٢)، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسِكٍ أَهْلُهُ(٣)، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يَجْرِ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ(٤)، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ!

فَتَحَرَّ(٥) مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ(٦)؛ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ(٧)؛ وَشِمْ بَرْقَ ٱلنَّجَاةِ(٨)؛ وَٱرْحَلْ مَطَايَا ٱلتَّشْمِيرِ(٩).

(١) الراجفة: النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفاً.

(٢) حقّت القيامة: وقعت وثبتت بعظائمها.

(٣) المَنْسِك ـ بكسر السين ويجوز فتحها ـ: الموضع الذي تذبح فيه النسائك، وهي ذبائح القربان. والمَنْسَك: العبادة أو مكانها.

(٤) اختلف الرواة في هذه اللفظة، فرواها قومٌ «فلم يَجْرِ» وهو مضارع «جرى يجري»، أي لم يكن في ديوان حسابه ذلك اليوم صغير ولا حقير إلّا بالحقّ والإنصاف، وروي «فلم يَجُزْ» مضارع «جاز يجوز»، أي لم يسغ ولم يرخص ذلك اليوم لأحد من المكلّفين في حركة من الحركات، وإلّا ما فعله بحق، (وفي نسخة عبده والصالح) يُجْزَ ـ من الجزاء ـ: مبني للمجهول ونائب فاعله: «خَرْقُ بَصَرٍ» و «هَمْسُ قدم»، أي لا تجازَى لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلّا بحق، وذلك بعدل الله، والهمس: الصوت الخفي.

(٥) تَحَرَّ: من التحري، أي أطلب ما هو أحرى وأليق لأن يقوم به عذرك، وتحرّيت كذا أي توخّيته وقصدته واعتمدته.

(٦) ما يبقى لك هو العمل الصالح فخذه من الدنيا التي لا تبقى لها.

(٧) تيسّر لسفرك: هيئ أسباب السفر، ولا تترك لذاك عائقاً.

(٨) الشَّيْم: النظر إلى البرق، شام البرق: لَمَحَهُ.

(٩) رحلتُ مطيتي، إذا شددت على ظهرها الرَّحل. والتشمير: الجدّ والانكماش في الأمر.

٢٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في التبرّؤ من الظلم

وَٱللّٰهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ ٱلسَّعْدَانِ(١) مُسَهَّداً(٢)، أَوْ أُجَرَّ فِي ٱلْأَغْلَالِ مُصَفَّداً(٣)، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ(٤)، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَى قُفُولُهَا(٥)، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَى حُلُولُهَا! وَٱللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً(٦) وَقَدْ أَمْلَقَ(٧) حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً(٨)، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ(٩)، غُبْرَ(١٠) ٱلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ،

(*) رواه السبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ١٥٥، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب الخير والصلاح.

---

(١) كأنه يريد من الحسك الشوك. والسَّعْدان: نبتٌ ذو شوك، وهو من أفضل مراعي الإبل، تُشبّه به حلمة الثدي.

(٢) المسهّد: الممنوع النوم، وهو السهاد، من «سَهّده» إذا أسهره.

(٣) الأغلال: القيود والمصفّد: المقيّد.

(٤) الحُطام: عروض الدنيا ومتاعها، شبّه ـ لزواله ـ بما يتحطّم من العيدان وينكسر.

(٥) القفول: الرجوع. ويريد من النفس نفسه ـ كرّم الله وجهه ـ أي كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع إلى الفناء رجوعها. والثرى: التراب.

(٦) هو عقيل بن أبي طالب ﵁ أخو أمير المؤمنين ﵇ لأمّه وأبيه، وكان بنو أبي طالب أربعة: طالب، وعقيل، وجعفر، وعليّ وهو أصغرهم سِنّاً، وأعظمهم قَدْراً، بل أعظم الناس بعد ابن عمه قَدْراً.

(٧) أملَقَ: افتقر أشدّ الفقر.

(٨) استماحني: طلب منّي أن أعطيه صاعاً من الحنطة، والبُرّ: القمح.

(٩) شُعْث: جمع أشعث، وهو من الشعر المتلبّد بالوسخ.

(١٠) الغُبْر ـ بضم الغين ـ: جمع أغبر، متغير اللون شاحبه، وقيل: هو النبلج، أي النيلة.

كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[1]، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي[2]، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[3] مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً[4]، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا[5]، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا[6]. فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ[7]! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ[8]، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى[9]!

وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا[10]، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[11]، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ[12] أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ

---

(١) العِظْلِم: نبت يصبغ به ما يراد اسوداده، ويقال: هو الوَسمة.

(٢) أصغيت إليه: أملت سمعي نحوه.

(٣) القياد: ما يُقادُ به كالزمام، وأتبع قياده: أطيعه وأنقاد له.

(٤) أحميتُ الحديدة في النار فهي محماة، ولا يقال: حَمَيت الحديدة.

(٥) الدَنَف ـ بالتحريك ـ: المرض، وذي دنف، أي ذي سقم مؤلم.

(٦) من ميسمها: من أثرها في يده، والمِيسَم ـ بكسر الميم وفتح السين ـ المكْواة.

(٧) ثَكِلَ ـ كفَرِحَ ـ: أصاب ثُكْلاً ـ بالضم ـ وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد. والثواكل: النساء، دعاء عليه بالموت لتألمه من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملاً ـ وهو تناول شيء من بيت المال زيادة عن المفروض له ـ يوجب الوقوع في نار سجرها ـ أي أضرمها ـ الجبّار وهو الله للانتقام ممن عصاه.

(٨) أحماها إنسانها: أي صاحبها، وسَجَرها: أوقدها وأحماها. والسَّجور: ما يُسجر به التنور.

(٩) لظى: اسم جهنم

(١٠) أهدى له الأشعث بن قيس نوعاً من الحلواء تأنّق فيه، لغرض دنيويّ كان في نفس الأشعث، فردّها أمير المؤمنين، ولولا ذلك لقبلها. وقال: «ملفوفة في وعائها» لأنه كان طبقاً مغطّى.

(١١) «شَنِئْتُها» أي أبغضتها ونفرت منها.

(١٢) الصِّلة: العطية لا يُراد بها الأجر، بل يراد بها وصلة التقرب إلى الموصول. والصدقة هنا←

عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ(١)! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ(٢)! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي(٣)! أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ(٤)! وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ(٥) مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا(٦).

مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى! نَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ(٧)، وَقُبْحِ ٱلزَّلَلِ(٨)، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

← هي صدقة التطوع.

(١) أراد بقوله: «أهل البيت» الأشخاص الخمسة: محمداً، وعلياً، وفاطمة، وحسناً، وحسيناً: فهؤلاء خاصة دون غيرهم من بني هاشم محرّم عليهم الصلة وقبول الصدقة، وأما غيرهم من بني هاشم فلا يُحرم عليهم إلّا الزكاة الواجبة خاصّة.فإن قلت: فكيف كان الحسن والحسين عليهما السلام يقبلان صلة معاوية؟ قلت: كلّا لم يقبلا صلته، ومعاذ الله أن يقبلاها! وإنّما قبلا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقّهما من بيت المال.

(٢) هبلتك الهبول: أي ثكلتك أمُّك، والهَبُول: التي لها عادة بثُكْل الولد، أي لا يعيش لها ولد.

(٣) «عن دين الله» متعلق بـ«تخدعني».

(٤) المختبط: المصروع، وذو جِنّة: مَن به مسٌّ من الشيطان، والذي يهجرُ: هو الذي يهذي من مرض. يقول: أمختبط في رأسك فاختل نظام إدراكك، أم أصابك جنون، أم تهجر، أي تهذو بما لا معنى له.

(٥) جُلْب الشعيرة ـ بضم الجيم، وكسرها ـ [كما في نسخة عبده]: قشرتها، والجُلب والجُلبة أيضاً جليدة تعلو الجرح عند البرء، وأصل الجلب غطاء الرحل فتجوّز في إطلاقه على غطاء الحبة.

(٦) تقضَمها ـ بفتح الضاد ـ والماضي قَضِم ـ بالكسر ـ قَضِمَتِ الدابةُ الشعيرَ من باب عَلِمَ ـ: كسرته بأطراف أسنانها.

(٧) سبات العقل: نومه.

(٨) الزلل: السقوط في الخطأ.

٢٢٥ ـ ومن دعاء له عليه السلام*

كَانَ يَدْعُو بِهِ

اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ(١)، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ(٢). فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ(٣)، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ: ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢٢٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام**

فِي التَّنْفِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ(٤)، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ. لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا(٥). أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ(٦). اَلْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ.

(*) رواه السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ١٢٩.

(**) رواها المتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٣ ص ٥١١، وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ١٢٢.

---

(١) صيانة الوجه: حفظه من التعرض للسؤال، يقول ﷺ: «صن وجهي باليسار» أي استره بأن ترزقني يَساراً وثروة، استغني بهما عن مسألة الناس، واليسار: الغنى.

(٢) بذل الجاه بالإقتار: إسقاط المنزلة من القلوب، يقول ﷺ: «ولا تبذل جاهي بالاقتار»، أي لا تسقط مروءتي بين الناس بالفقر. والإقتار: الفقر.

(٣) فأسترزق: ترتيب على البذل بالإقتار؛ فإنّه لو افتقر لطلَب الرزق من طلّاب رزق الله وهم الناس.

(٤) بالبلاء محفوفة: قد أحاط بها البلاء من كلّ جانب.

(٥) النُّزّال ـ بالضم وتشديد الزاي ـ: جمع نازل.

(٦) تارات: جمع تارة، وهي المرّة الواحدة، ومتصرّفة: متنقلة متحوّلة.

وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ[١]، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا[٢].

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ[٣]، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً[٤]؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً[٥]، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً[٦]. فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ[٧]، وَالنَّمَارِقِ[٨] الْمُمَهَّدَةِ[٩]، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ[١٠]، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا[١١]، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ[١٢]، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ

---

(١) مستهدِفة ـ بكسر الدال ـ: منتصبة مهيّأة للرمي، وروي: «مستهدَفة» بفتح الدال [كما في نسخة الصالح]، كأنّها قد استهدفها غيرُها، أي جعلها أهدافاً.

(٢) الحِمام ـ بالكسر ـ: الموت.

(٣) أنتم وما تتمتعون به قيام على سبيل الماضين إلى نهايته وهو الفناء.

(٤) بعد الآثار: طول بقائها بعد ذويها.

(٥) راكدة: ساكنة، وركود الريح كناية عن انقطاع العمل وبطلان الحركة.

(٦) آثارهم عافية: أي مندرسة.

(٧) المشيّدة: العالية.

(٨) النمارق: الوسائد، جمع نُمْرُقة، تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة، أي البساط، ولعلّه المراد هنا.

(٩) الممهّدة: المفروشة، و«الصخور» مفعول «استبدلوا».

(١٠) لطأ بالأرض ـ كمنع وفرح ـ: لصق. والقبور المُلْحَدة: ذوات اللحود، من «ألحد القبر»: جعل له لحداً، أي شقاً في وسطه أو جانبه.

(١١) أي بنيت لا لتسكن الأحياءُ فيها كما تبنى منازل أهل الدنيا. وفِناء الدار: ساحتها وما اتّسع أمامها. و«بناء الفناء بالخراب» تمثيل لما يتخيله الفكر في ديار الموتى من الفناء الدائم إلى نهاية العالم.

(١٢) متشاغلين بما شاهدوا من عقبى أعمالهم.

تَزَاوُرٍ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ ٱلْبِلَى[1]، وَأَكَلَتْهُمُ ٱلْجَنَادِلُ وَٱلثَّرَى[2]! وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ[3]، وَٱرْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ[4]، وَبُعْثِرَتِ ٱلْقُبُورُ[5]: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ[6]، وَرُدُّوا إِلَى ٱللّٰهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ، وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[7].

٢٢٧ ـ ومن دعاء له عليه السلام*

يَلْجَأُ فِيهِ إِلَى ٱللهِ لِيَهْدِيَهُ إِلَى ٱلرَّشَادِ

ٱللّٰهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ ٱلْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ[8]، وَأَحْضَرُهُمْ بِٱلْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ

(*) رواه السماهيجي في (الصحيفة العلوية الأولى)، والشيخ الطوسي في (مصباحه) ص ٢٤٩.

---

(١) الكَلْكَل: هو صدر البعير، كأنّ البِلَى ـ بكسر الباء ـ أي الفناء جمل برك عليهم فطحنهم.

(٢) الجنادل: الحجارة، والثرى: التراب.

(٣) ولقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم، وحبستم في ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن.

(٤) تناهى به الأمر: وصل إلى غايته، والمراد انتهاء مدّة البرزخ.

(٥) بُعثرت القبور: قُلِب ثراها وأخرج موتاها.

(٦) تَبْلُوه: أي تخبره لتقف على خيره وشرّه. و﴿تَبْلُو كُلُّ نفس ما أسلفت﴾ اي تخبر وتعلم جزاء أعمالها.

(٧) ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ [يونس: ٣٠]: بطل عنهم ما كانوا يدّعونه ويكذبون فيه من القول بالشركاء وأنّهم شفعاء.

(٨) أنِسَ: ضد وحشَ، والإيناس: ضد الإيحاش، وكان القياس أن يقول: إنك آنس المؤنسين، وآنس: أشدّ أنساً، فقلوب الأولياء أشدّ أنساً بالله من كلّ أليف، فالله آنس الموجودات عندها،←

عَلَيْكَ[1]. تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ[2]، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ[3]. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[4]. إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى ٱلاِسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

ٱللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي[5]، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي[6]، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي[7]، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ[8]، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ[9]. ٱللَّهُمَّ ٱحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ[10].

← وهو أشدّ النصراء حضوراً بما يكفي المعتمدين عليه.

(١) أحضرهم بالكفاية: أي أبلغهم إحضاراً لكفاية المتوكّلين عليه وأقومهم بذلك.

(٢) تشاهدهم في سرائرهم: أي تطلع على غيبهم.

(٣) البصائر: العزائم.

(٤) الملهوف: المضطر يستغيث ويتحسّر، وقلوبهم إليك ملهوفة: أي صارخة مستغيثة.

(٥) فههت عن مسألتي: عَيِيت، والفَهّة والفَهَاهَة: العيّ، فَهِهَ ـ كفرح ـ: عَيَّ فلم يستطع البيان.

(٦) الطِّلْبة ـ بكسر الطاء ـ: المطلوب. ويروى: «أو عمهت» والعَمَه: التحيّر والتردّد، وأرض عَمْهاء: لا أعلام بها.

(٧) المَرَاشد: مواضع الرشد.

(٨) النُّكر: العجب أو المنكر.

(٩) البِدْع ـ بالكسر ـ: المبتدع، والأمر يكون أوّلاً، أي الغريب غير المعهود، ومنه: ﴿قل ما كنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الاحقاف: ٩].

(١٠) اعتراف منه بالتقصير، فلو عامله الله بالعدل لاشتدّ عليه الهول فالتجأ إلى العفو. ومثل قوله هذا قول المروانيّة للهاشميّة لما قُتل مروان: ليسعنا عدلُكم، قالت الهاشميّة: إذن لا نبقي منكم أحداً، لأنكم حاربتم عليّاً ﷺ، وسممتم الحسن ﷺ، وقتلتم الحسين وزيداً وابنه، وضربتم عليّ بن عبد الله، وخنقتم إبراهيم الإمام في جراب النورة، قالت: قد يسعنا عفوكم، قالت: أمّا هذا فنعم

٢٢٨ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

يُرِيدُ بِهِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ

لِلّٰهِ بِلَادُ فُلَانٍ(١)، فَلَقَدْ قَوَّمَ ٱلْأَوَدَ(٢)، وَدَاوَى ٱلْعَمَدَ(٣)، وَأَقَامَ ٱلسُّنَّةَ، وَخَلَّفَ ٱلْفِتْنَةَ(٤)! ذَهَبَ نَقِيَّ ٱلثَّوْبِ، قَلِيلَ ٱلْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا(٥)، وَسَبَقَ شَرَّهَا(٦). أَدَّى إِلَى ٱللّٰهِ طَاعَتَهُ، وَٱتَّقَاهُ بِحَقِّهِ(٧). رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ(٨)، لَا يَهْتَدِي بِهَا ٱلضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ ٱلْمُهْتَدِي.

(*) رواه الطبري في (تاريخه) ج ٥ ص ٤٨.

---

(١) لله بلاد فلان: أي لله البلاد التي أنشأته وانبتته. ويروى: لله بلاءُ فلان، (كما في نسخة عبده والصالح) أي لله ما صنع! وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب. وقال الراوندي في شرحه: إنه ﷺ مَدح بعض أصحابه بحسن السيرة، وأنّ الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله ﷺ من الاختيار والأثَرة. وهذا بعيد؛ لأنّ اللفظ ظاهر في أنّه يمدح والياً ذا رعية وسيرة.

(٢) الأَوَد: العِوَج، وقَوّمَ الأَوَدَ: عدل الاعوجاج.

(٣) العَمَد: الفضاخ سنام البعير، ومنه يقال للعاشق: عميد القلب ومعموده، والعَمَد ـ بالتحريك ـ: العلة.

(٤) خَلّف الفتنة: تركها خلفاً، لا هو أدركها ولا هي أدركته.

(٥) أصاب خيرَها: أي خير الولاية.

(٦) سبق شرها: أي مات أو قتل قبل الأحداث والاختلاط الذي جرى بين المسلمين.

(٧) اتقاه بحقه: أي بأداء حقه والقيام به.

(٨) متشعبة: متباينة مختلفة، عبارة عن الاختلاف.

٢٢٩ ـ ومن كلام له عليه السلام *

في وصف بيعته بالخلافة ،وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ[١] تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ[٢] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى ٱنْقَطَعَتِ ٱلنَّعْلُ، وَسَقَطَ ٱلرِّدَاءُ، وَوُطِئَ ٱلضَّعِيفُ[٣]، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ ٱلنَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ٱبْتَهَجَ بِهَا ٱلصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ[٤]، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ[٥].

٢٣٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام **

في الوصية بالتقوى

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[٦]، وَنَجَاةٌ مِنْ

(*) رواه المفيد في كتاب (الإرشاد) ص ١٢٤، وفي كتاب (الجمل) ص ١٢٨.

(**) فسر غريب هذه الخطبة ابن الأثير في (النهاية) في مادة «خلس» و«هبل» و«حدم».

(١) التداكّ: الازدحام الشديد، كأنّ كلّ واحد يدكّ الآخر، أي يدقّه.

(٢) الإبل الهيم: العطاش، جمع هَيْمَاء، كعَيْناء وعين.

(٣) قوله: «حتى انقطع النّعل وسقط الرداء» شبيه بقوله في الخطبة الشّقشقية: «حتى لقد وُطئ الحَسَنان وشُقّ عِطفاي».

(٤) هَدَج يهدج: مشى مشياً ضعيفاً مرتعشاً. تحامل نحوها العليل: تكلّف المشي على مشقّة.

(٥) الكَعَاب: الجارية التي قد نَهَد ثديُها، و«حَسَرتْ إليها الكَعَاب»: كشفت عن وجهها حِرْصاً على حضور البيعة، لتعقدها بلا استحياء لشدّة الرغبة والحرص على إتمام الأمر لأمير المؤمنين. والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأنّ الأمة بايعته مختارة.

(٦) عِتْقٌ من كلّ ملكة، هو مثل قوله ﷺ: «التوبة تجبُّ ما قبلها» أي كلّ ذنب موبق يملك ←

كُلُّ هَلَكَةٍ(١)، بِهَا يَنْجَحُ ٱلطَّالِبُ، وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ، وَتُنَالُ ٱلرَّغَائِبُ.

فَٱعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ(٢)، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ(٣)، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ(٤). وَبَادِرُوا بِٱلْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً(٥)، أَوْ مَرَضاً حَابِساً(٦)، أَوْ مَوْتاً خَالِساً(٧). فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ(٨). زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ(٩)، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ(١٠). قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ(١١)،

← الشيطان فاعله ويستحوذ عليه، فإنّ تقوى الله تعتق منه. والمَلَكة -بالتحريك-: الرق، أي عِتْقٌ من رقّ الشهوات والأهواء.

(١) الهلكة -بالتحريك-: الهلاك.

(٢) والعمل يرفع: أي اعملوا في دار التكليف، فإنّ العمل يوم القيامة غير نافع. والواو واو الحال.

(٣) والحال هادئة: أي ساكنة ليس فيها ما في أحوال الموقف من تلك الحركات الفظيعة، نحو تطاير الصحف ونطق الجوارح.

(٤) والأقلام جارية: يعني أنّ التكليف باقٍ، وأن الملائكة الحفَظة تكتب أعمال العباد، بخلاف يوم القيامة فإنّه يبطل ذلك، ويُستغنى عن الحفظة لسقوط التكليف.

(٥) وبادروا: أي اسبقوا بأعمالكم حلول آجالكم التي تنكّسكم: أي تقلبكم من الحياة إلى الموت «عمراً ناكساً» يعني الهرم، من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [يس ٦٨].

(٦) الحابس: المانع من العمل.

(٧) الخالس: المختطف.

(٨) الطِّيّات: جمع طِيّة بالكسر، وهي منزل السفر أو القصد أي يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها.

(٩) القِرْن -بالكسر-: الكفؤ في الشجاعة، والتسمية تبكيت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات، كأنّه يقول: إذا كنتم أقوياء فالموت كفؤ لكم غير مغلوب.

(١٠) الواتر: الجاني والقاتل، وهو الموت لا يطالب بالقصاص على جنايته.

(١١) أعلقتكم حبائله: جعلتكم معتلِقين فيها، أوقعتكم فيها فاقتنصتكم، وهي جمع حبالة: المصيدة من الحبال، ويروى «عَلِقَتْكم» بغير همز.

وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ[1]، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[2]، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ[3]، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[4]، فَيُوشِكُ[5] أَنْ تَغْشَاكُمْ[6] دَوَاجِي[7] ظُلَلِهِ[8]، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ[9]، وَحَنَادِسُ[10] غَمَرَاتِهِ[11]، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ[12]، وَدُجُوُّ[13] إِطْبَاقِهِ[14]، وَخُشُونَةُ مَذَاقِهِ[15]. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ[16]، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ[17]، وَعَفَّى آثَارَكُمْ[18]، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ

---

(١) تكنّفتكم غوائله: أحاطت بكم دواهيه ومصائبه.

(٢) أقصدتكم: أصابتكم، أقصده: رماه بسهم فأصاب مقتله، والمعابل: نِصال عِرَاض، الواحدة مِعْبَلة ـ كمِكْنَسة بكسر الميم ـ وهي: النصل الطويل العريض.

(٣) العَدْوة ـ بالفتح ـ: العُدْوان، عَدْوته: ظُلْمه.

(٤) نَبْوته: مصدر نَبَا السيف، إذا لم يؤثّر في الضريبة.

(٥) يوشك: يقرب.

(٦) تغشاكم: تحيط بكم.

(٧) الدّواجي: الظُّلَم، الواحدة داجية.

(٨) الظُّلَل: جمع ظُلّة، وهي السحابة.

(٩) الاحتدام: الاضطرام والاشتداد.

(١٠) الحنادس: الظلمات، جمع حِنْدِس ـ بكسر الحاء والدال ـ: الظلمة الشديدة.

(١١) الغَمرات: الشدائد.

(١٢) إرهاقه: مصدر أرهقته، أي أعجلته، ويروى: «إزهاقه» بالزاي [كما أثبتها عبده].

(١٣) الدُّجُوّ: الإظلام.

(١٤) الأطباق: جمع طَبَق، والمعنى: تكاثف ظلماتها طبق فوق طبق.

(١٥) ويروى «جشوبة مذاقه» [كما أثبتها عبده والصالح في المتن] وهي غلظ الطعام وخشونته.

(١٦) النجيّ: القوم يتناجون.

(١٧) النديّ: القوم يجتمعون في النادي للمشاورة.

(١٨) عَفّى الآثار: محاها.

تُرَاثكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ[1] خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ. فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ. وَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا[2]، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[3]، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً[4]، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلاَ يَحْفِلُونَ[5] مَنْ بَكَاهُمْ، وَلاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ[6]، لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُهَا[7].

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَّادِ

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا[8]، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ[9]، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ

---

(١) التراث: الميراث، والحميم: الصديق.

(٢) الدِرّة ـ بالكسر ـ: اللبن، احتلبوا دِرّتها: فازوا بمنافعها، كما يحتلب الإنسانُ اللبنَ.

(٣) الغِرّة ـ بالكسر ـ: الغفلة، أي أصابوا منها غفلة فتمتعوا بلذاتها، وأفنوا العدد الكثير من أيامها، وجعلوا جديدها خَلَقاً قديماً بطول أعمارهم.

(٤) الأجداث: القبور.

(٥) يَحفِلُون: يبالون.

(٦) ما ألبست إلا نزعت عمن ألبسته.

(٧) لا يَرْكُدُ: أي لا يسكن.

(٨) أي هم من أهلها في الظاهر وليسوا من أهلها؛ لأنّه لا رغبة عندهم في ملاذّها ونعيمها، فكأنّهم خارجون عنها.

(٩) أي بما يرونه أصلح لهم، ويجوز أن يريد أنّهم قد أبصروا المآل، فعملوا فيها على حسب ما يشاهدون من دار الجزاء. وبادروا فيها ما يحذرون، أي سابقوه، يعني الموت. بادَرَ المحذُورَ: سبقه فلم يصبه.

أَهْلِ ٱلآخِرَةِ(١)، وَيَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

٢٣١ ـ ومن خطبة له عليه السلام(*)

خَطَبَهَا بِذِي قَارٍ(٢)، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ

ذَكَرَهَا ٱلْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ «ٱلْجَمَلِ»

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ(٣)، وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ ٱللهُ بِهِ ٱلصَّدْعَ(٤)، وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ(٥)، وَأَلَّفَ بِهِ ٱلشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي ٱلأَرْحَامِ، بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ(٦) فِي ٱلصُّدُورِ، وَٱلضَّغَائِنِ(٧) ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ(٨).

(*) رواها المفيد في (الإرشاد) ص ١١٥، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٢٧.

---

(١) تَقَلّب أبدانهم: أي تتقلب، أي أنّ أبدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة؛ لأنّهم لا يخالطون إلّا أهلَ الدين ولا يجالسون أهل الدنيا. وهو بين ظهرانيهم: أي بينهم حاضراً ظاهراً.

(٢) ذي قار: اسم موضع قريب من البصرة، وفيه كانت وقعة للعرب مع الفرس قبل الإسلام.

(٣) صَدَعَ بما أمر به: أي جهر، وأصل الصَّدْع الشقّ، والضمير في «صَدَعَ» للنبي ﷺ.

(٤) لمّ به: جمع، لمّ الصَّدْعَ: لَحَمَ المنشقّ فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الانهدام.

(٥) الفتق: نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض. والرتق: خياطتها ليعود ثوباً، أي جمع الله به متفرق القلوب ومتشتت الأحوال.

(٦) العداوة الواغرة: ذات الوَغْرة، وهي شدة الحرّ. والواغرة: الداخلة.

(٧) الضغائن: الأحقاد.

(٨) القادحة: المشتعلة، و«القادحة في القلوب» كأنّها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمِقْدَحة.

٢٣٢ - ومن كلام له عليه السلام *

كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ زَمْعَةَ[1]، وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ،
وَذٰلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً، فَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ[2]، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ[3]، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

٢٣٣ - ومن كلام له عليه السلام **

فِي إِفْحَامِ اللِّسَانِ عَنِ الْكَلَامِ

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ[4] مِنَ ٱلْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ، وَلَا

(*) رواه الآمدي في (غرره) في حرف الألف بلفظ «إنّ» المشدّدة.

(**) رواه الزمخشري في الجزء الأول من (ربيع الأبرار).

(١) هو عبدالله بن زَمْعَة بن الأسود، كان شيعةً لعلي عليه السلام ومن أصحابه، أبوه الأسود قُتِل يوم بدر كافراً، وذكره أمية بن أبي الصلت في رثاءه لقتلى بدر:

عَيْن بكّي لنوفلٍ ولعمرو ... ثم لا تبخلي على زَمَعَة

(٢) الفيء: الخراج والغنيمة. *والأصح فيه كما قال الشافعي وغيره أنه مختص بما أُخذ من مال الكفار بغير قتال.* وشَرِكه ـ كعَلِمَه ـ: شاركه. والجَنَاة ـ بفتح الجيم ـ: ما يُجْنى من الشجر، أي يُقطف.

(٣) الجَلْب: المال المجلوب، و«جَلْب أسيافهم» أي ما جلبته أسيافهم وساقته إليهم.

(٤) بَضْعة من الإنسان: قطعة منه.

يُمْهِلُهُ[1] ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ. وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ[2]، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ[3].

وَٱعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ ـ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ قَلِيلٌ، وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ[4]، وَٱللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ[5]، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِنُهُمْ مُمَاذِقٌ[6]، لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ[7].

---

(١) الهاء في «يسعده» ترجع الى اللسان، والضمير في «امتنع» يرجع إلى الإنسان. والهاء في «لا يمهله» ترجع إلى اللسان، والضمير في «اتسع» يرجع إلى الإنسان، والتقدير: فلا يسعد اللسانُ القول إذا امتنع الإنسان عن أن يقول، ولا يمهل اللسان النطق إذا اتسع للإنسان القول. والمعنى: أنّ اللسان آلة للإنسان، فإذا صرفه صارفٌ عن الكلام لم يكن اللسان ناطقاً، وإذا دعاه داعٍ إلى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه، إذ أنّ اللسان آلة تحرّكها سلطة النفس فلا يسعد بالنطق ناطق امتنع عليه ذهنه من المعاني فلم يستحضرها، ولا يمهله النطق إذا هو اتّسع في فكره، بل تنحدر المعاني إلى الألفاظ جارية على اللسان قهراً عنه، فسعة الكلام تابعة لسعة العلم.

(٢) تنشبت عروقه، أي علقت وثبتت، وروي: «انتشبت». والمراد من «العروق» الأفكار العالية والعلوم السامية.

(٣) التهدّل: التدلّي، وتهدّلت: أي تدلّت علينا فاظلّتنا، والمراد من «الغصون» وجوه القول في فصاحته وصفاته الفاعلة في النفوس.

(٤) كَلّ لسانه: نبا عن الغرض، وإذا مرنت الأسماع على سماع الكذب نبا عنها لسان الصدق فلم يصب منها حظّاً.

(٥) عارم: شرس، سيئ الخلق.

(٦) المُماذق: من يمزج وده بالغش وهو من صنف المنافقين.

(٧) هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام عندما أمر ابن أخته جَعْدة بن هبيرة المخزوميّ أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر، فحصِر ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنّم ذروة المنبر، وخطب خطبة طويلة، ذكر الرضي رحمه الله منها هذه الكلمات.

٢٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

رَوَى ذِعْلِبُ الْيَمَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ[١] قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ، وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ»:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ[٢]، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً[٣] مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ[٤] وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ[٥] تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ[٦]. فَتَامُّ الرُّوَاءِ[٧] نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ[٨] قَصِيرُ الْهِمَّةِ،

(*) رواه اليماني في (الطراز)، والزمخشري في (ربيع الأبرار).

---

(١) ذعلب وأحمد وعبدالله ومالك رجال من رجال الشيعة ومحدّثيهم.

(٢) طينهم: جمع طينة يريد عناصر تركيبهم، وهذا الفصل عندي لا يجوز أن يحمل على ظاهره، والذي أراه أنّ لكلامه ﷺ تأويلاً باطناً، وهو أن يريد به اختلاف النفوس المدبّرة للأبدان وكنّى عنها بقوله: «مبادىء طينهم» لأنّها لمّا كانت الماسكة للبدن من الانحلال، صارت كالمبدأ وكالعلة له، فإذا فارقت عند الموت افترقت العناصر، وانحلّت الأجزاء، فرجع اللطيف منها إلى الهواء، والكثيف إلى الأرض.

(٣) الفِلْقَة ـ بكسر الفاء ـ: القطعة من الشيء.

(٤) سَبَخ الأرض: مالحها.

(٥) الحزن ـ بفتح الحاء ـ: الخشن، ضد السهل.

(٦) فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم وكذلك تباعدهم بتباعدها.

(٧) الرُّواء: المنظر الجميل.

(٨) مادّ القامة: طويلها.

وَزَاكِي ٱلْعَمَلِ[1] قَبِيحُ ٱلْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ ٱلْقَعْرِ بَعِيدُ ٱلسَّبْرِ[2]، وَمَعْرُوفُ ٱلضَّرِيبَةِ[3] مُنْكَرُ ٱلْجَلِيبَةِ[4]، وَتَائِهُ ٱلْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ ٱللُّبِّ، وَطَلِيقُ ٱللِّسَانِ حَدِيدُ ٱلْجَنَانِ[5].

٢٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قَالَهُ وَهُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَتَجْهِيزَهُ

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي[6] يَا رَسُولَ ٱللهِ! لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلْإِنْبَاءِ[7] وَأَخْبَارِ ٱلسَّمَاءِ[8]. خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ[9].

(*) رواه الزجاج في (أماليه) ص ١١٢.

---

(١) يريد بزكاء أعماله حسنَها وطهارتها.

(٢) «قريب القعر بعيد السَّبْر» أي قد يكون الإنسان قصيراً، ولكنه دنمية بافعة، والمراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه، فليست بطنه بمديدة ولا مستطيلة، وإذا سبرته واختبرت ما عنده وجدته لبيباً فَطِناً، لا يوقَف على أسراره ولا يدرك باطنه.

(٣) الضريبة: الطبيعة.

(٤) الجليبة: الخلُق الذي يتكلّفه الإنسان ويستجلبه، مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلّف الشجاعة.

(٥) لمّا فرغ من الأخلاق المتضادة ذكر بعدها ذي الأخلاق المتناسبة، فقال: «وتائه القلب متفرق اللّب» وهذان الوصفان متناسبان لا متضادان، وكذلك «طليق اللسان حديد الجنان» وهما متضادان للوصفين قبلهما، فالأولان في الذم، والآخران في المدح.

(٦) أي بأبي أنت مفدّىً وأمّي.

(٧) الإنباء: الإخبار، مصدر «أنبأ ينبئ» وروي: «والأنباء» بفتح الهمزة (كما أثبتها عبده في النص) جمع «نبأ» وهو الخبر.

(٨) أخبار السماء: الوحي.

(٩) أي خصّت مصيبتُك أهلَ بيتك، وعمّت هذه المصيبة أيضاً الناس حتى استوى الخلائق ←

وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ ٱلنَّاسُ فِيكَ سَوَاءً. وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِٱلصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ ٱلْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ ٱلشُّؤُونِ(١)، وَلَكَانَ ٱلدَّاءُ مُمَاطِلاً(٢)، وَٱلْكَمَدُ(٣) مُحَالِفاً، وَقَلَّا لَكَ(٤)! وَلٰكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ(٥)، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! ٱذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَٱجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!

٢٣٦ ـ من كلام له عليه السلام*

ٱقْتَصَّ فِيهِ ذِكْرَ مَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ
النَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لِحَاقِهِ بِهِ

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعَرْجِ(٦). في كلام طويل.

(*) رواه ابن الأثير في (النهاية) ج ٥ مادة وطأ.

← كلّهم فيها، فهي مصيبة خاصة بالنسبة، وعامّة بالنسبة. أو يريد أنّ النبي ﷺ خصّ أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه وهو برسالته عام للخلق فالناس في النسبة إلى دينه سواء.

(١) لأنفدنا: أي لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه، وهي منابع الدمع مع الرأس.

(٢) «ولكان الداء مماطلاً» أي مماطلاً بالبرء، أي لا يجيب إلى الإقلاع.

(٣) الكَمَد: الحزن، ومحالفته: ملازمته.

(٤) قلّا: فعل ماض متصل بألف التثنية، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك.

(٥) «ما» خبر لكن، أي لكنّه الموت الذي لا يملك ردّه... ، وما حتم وقوعه فلا يفيد الأسف عليه؛ لأنّ الأسف وضع في النفوس لمداركة الفائت والحذر من الآتي.

(٦) العَرْج: منزل بين مكة والمدينة، إليه يُنسب العَرْجيّ الشاعر. (وعند عبده والصالح: العَرَج)

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ»، مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى غَايَتَيِ الْإِيجَازِ وَالْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى خَبَرَهُ[1] - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنِ انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. فَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ.

٢٣٧ - ومن خطبة له عليه السلام*

فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْعَمَلِ

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ[2]، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ[3]، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ[4]، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى[5]، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى[6]، قَبْلَ أَنْ يَجْمُدَ الْعَمَلُ[7]، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ[8]، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ[9]. فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ

(*) رواها الآمدي في (الغرر) ص ٥٤ حرف الألف.

---

(١) أُعطى: بالبناء للمجهول.

(٢) في نَفَس البقاء: في سعته، تقول: «أنت في نَفَسٍ من أمرك» أي في سَعَة.

(٣) الصحف منشورة: أي وأنتم بعد أحياء، وصحف الأعمال منشورة لكتابة الصالحات والسيئات.

(٤) بسط التوبة: قبولها، أي والتوبة مبسوطة لكم غير مقبوضة عنكم.

(٥) المدبر يدعَى: أي من يدبر عنكم عن الخير يُدعى إليه، والمعرض عن الطاعة يدعى إليها.

(٦) المسيء يُرجى: أي يرجى عوده وإقلاعه، ويُرجى إحسانه ورجوعه عن إساءته.

(٧) «قبل أن يَجْمُدَ العمل» استعارة مليحة؛ لأنّ الميت يجمد عمله ويقف، ويروى: «يَخْمُدَ» [كما أثبتها عبده والصالح في المتن] من «خمدت النار» وخمود العمل: انقطاعه بحلول الموت، والأول أحسن.

(٨) ينقطع المَهَل: أي العمر الذي أُمهلتم فيه.

(٩) لأنّ الإنسان عند موته تصعد حفَظَته إلى السماء، لأنّه لم يبق لهم شغل في الأرض، وصعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة.

لِنَفْسِهِ(١)، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ(٢)، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ(٣) وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ(٤). امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا(٥) إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

٢٣٨ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ(٦)، عَبِيدٌ(٧) أَقْزَامٌ(٨)، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ(٩)، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ

(*) تقدم مصدر هذا الكلام تحت رقم ٢٦.

(١) المعنى: أنّ من يصوم ويصلي فإنّما يأخذ بعض قوّة نفسه مما يلقى من المشقة لنفسه، أي عُدّة وذخيرة لنفسه يوم القيامة. وأخذ من حيّ لميت، أي من حال الحياة لحال الموت. و «أخذ» أمر بصيغة الماضي، أي فليأخذ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله «فاعملوا» أي لو عملتم لأخذ امرؤ، وأخذه من نفسه: تعاطي الأعمال الجليلة لنفسه، أي لتسعد بها نفسه. والحي والميت هو المرء نفسه ولكنّه في حياته قادر على العمل فإذا مات فليس له إلّا ما أخذه من حياته.

(٢) من فانٍ: أي حياة فانية وهي الدنيا، لباقٍ وهو الآخرة، وهكذا الذاهب والدائم.

(٣) امرؤ خاف...: أي الناجي هو أمرؤ خاف الله فأدّى الواجب عليه له وللناس، وهو في مهلة الحياة تمتدّ به إلى أجله.

(٤) منظور: أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره وينبهه على عمله.

(٥) زمّها: أي قادها بقيادها.

(٦) الجُفاة ـ بضم الجيم ـ: جمع جافٍ، أي غليظ فظ. والطَّغام ـ كسَحاب ـ: أوغاد الناس.

(٧) العبيد كناية عن دنيّ الأخلاق، يقال للأشرار واللئام: عبيد وإن كانوا أحراراً.

(٨) الأقزام: جمع قَزَم ـ بالتحريك ـ: أرذال الناس وسفلتهم.

(٩) جُمعوا من كلّ أوب: أي ناحية.

شَوْبٍ[1]، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ[2]، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ. لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّأُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ[3].

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ[4]، وَإِنَّكُمُ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ[5]. وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ قَيْسٍ[6]

---

(١) الشَّوْب: الخلط. «من كلّ شوب» أي من فِرَقٍ مختلطة، كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء.

(٢) أي أنهم على جهل فينبغي أن يفقّهوا ويؤدّبوا ويعلّموا فرائضهم ويمرّنوا على العمل بها، وهم سفهاء الأحلام فينبغي أن يولّى عليهم، أي يقام لهم الأولياء ليلزمهم بمصالحهم ويعملوا لهم ويأخذوا على أيديهم فلا يبيحون لهم التصرّف من أنفسهم وإلّا جرّتهم إلى الضرر بالجهل والسفه.

(٣) تبوأوا الدار: أي نزلوا المدينة المنورة، كناية عن الأنصار الأولين. ومعنى قوله «تبوؤا الدار والإيمان» سكنوهما، وإن كان الإيمان لا يُسكن كما تُسكن المنازل، لكنهم لما ثبتوا عليه، واطمأنوا سمّاه منزلاً ومتبوّأ.

(٤) أي إنّ أهل الشام اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبّونه، وهو عمرو بن العاص و «مما يحبّون»، الذي يحبه أهل الشام هو الانتصار على أهل العراق. وكان ابن العاص أقربَهم إلى بلوغ ذلك، والوصول إليه بمكره وحيلته وخداعه. [وأثبت عبده في المتن: ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تكرهون. وإنّما عهدكم ...].

(٥) واخترتم لأنفسكم أبا موسى الأشعري، وهو أقرب الناس ممّا تكرهونه، والذي يكرهه أهل العراق استيلاء أهل الشام عليهم. وكان أبو موسى أقرب الناس إلى وقوع ذلك وأبو موسى الأشعري ـ وهو عبدالله بن قيس ـ لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخديعة فيكون أقرب إلى موافقة الأعداء على أغراضهم، وهو ما يكرهه أصحاب أمير المؤمنين، خصوصاً وقد عهدوه بالأمس ـ أي عند إعداد الجيش للحرب ـ يقول: إن الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسي، وشيموا ـ أي أغمدوا ـ السيوف ولا تقاتلوا، يثبط بذلك أصحابَ عليٍّ عن الحرب.

(٦) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري، اختلف الرواة في أنه من مهاجرة الحبشة أم لا؟ والصحيح أنّه ليس منهم، ولكنّه أسلم ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدِم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ، فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من←

بِالْأَمْسِ(١) يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقاً(٢) فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ. فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الْعَبَّاسِ(٣)، وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ(٤)، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ(٥).

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى(٦)، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى(٧)؟

← أرض الحبشة، فوافَوْا رسول الله ﷺ بخيبر، فظنّ قوم أن أبا موسى قدم من الحبشة مع جعفر. كان أبو موسى والياً على الكوفة في زمن عثمان، فلما قُتل عزله عليّ عليه السلام عنها، فلم يزل واجداً على عليّ عليه السلام.

(١) أنتم بالأمس ـ يعني في واقعة الجمل ـ قد سمعتم أبا موسى ينهى أهل الكوفة عن نصرتي، ويقول لهم: «هذه هي الفتنة التي وُعدنا بها، فقطّعوا أوتار قِسِيِّكم وشيموا سيوفكم» أي أغمدوها، فإن كان صادقاً فما باله سار إليّ وصار معي في الصفّ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التُّهمة.

(٢) إن صحّ قول أبي موسى إنّها فتنة، ولم يكرهه أحد على الدخول فيها فقد أخطأ بمسيره إليها، وكان عمله خلاف عقيدته، ومن كان شأنه ذلك فلا يصلح للحكم، وإن كان كاذباً في ما يقول فقد كان عارفاً بالحق ونطق بالباطل، فهو منهم، ويخشى أن يكون منه مثل ذلك في الحكم.

(٣) قوله: «فادفعوا ...» أي اختاروا ابن عباس حَكَماً، فإنّه كفؤ لعمرو بن العاص.

(٤) «وخذوا مهل الأيام»: أي اغتنموا سَعَة الوقت، وخذوا مهل الأيام في فسحتها، فاستعدوا فيها بجميع قواكم، وتوفير عددكم، وتجنيد جيوشكم.

(٥) قواصي الإسلام: ما بَعُد من الأطراف والنواحي، و «حوطوا قواصي الإسلام»: أي احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها، واجعلوا كلّ قاصية لكم لا عليكم.

(٦) هذا يدل على أن الخطبة بعد انقضاء أمر التحكيم، حيث بعث معاوية السرايا الى أعمال أمير المؤمنين عليه السلام.

(٧) رمي الصَّفاة ـ بفتح الصاد ـ: كناية عن طمع العدو فيما باليد. رمي فلانٌ صَفاة فلانٍ. إذا دهاه بداهية، وأصل ذلك الصخرة الملساء، لا يؤثر فيها السهام ولا يرميها الرامي، إلّا بعد أن سَهَل غيرها، يراد منها القوة وما يحميه الإنسان. يقول: قد بلغت غاراتُ أهل الشام حدودَ الكوفة ـ مقر الخلافة ـ وذلك لا يكون إلّا بعد الإثخان في غيرها من الأطراف.

٢٣٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام (*)

يَذْكُرُ فِيهَا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ(١). يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ(٢). لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ(٣) وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وَهُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ(٤)، وَوَلَائِجُ ٱلاعْتِصَامِ(٥). بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ(٦)، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ(٧). عَقَلُوا ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ(٨)، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

(*) هذا فصلٌ من الخطبة ١٤٨، وقد تعرضنا لمصادرها.

---

(١) يقول: «بهم يحيا العلم ويموت الجهل» فسمّاهم حياة ذاك، وموت هذا، نظراً إلى السببية.

(٢) حُكْم منطقهم: حكمة منطقهم. [وعند عبده والصالح: حِكَمِ منطقهم].

(٣) لا يخالفون الحق: لا يعدلون عنه.

(٤) دعائم الإسلام: أركانه.

(٥) ولائج: جمع وليجة، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقّياً من مفترس.

(٦) نِصاب الحق: أصله، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين، فكأنّ الحق نصل ينفصل عن مقبضه ويعود إليه. عاد الحقُّ إلى نصابه: رجع إلى مستقرّه وموضعه.

(٧) انزاح الباطل: زال. وانقطاع لسان الباطل عن مَنْبِتِه ـ بكسر الباء ـ: أي عن أصله، مجاز عن بطلان حجّته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه.

(٨) «عقلوا الدينَ عقلَ وِعاية» أي عرفوا الدين معرفة مَن وعى الشيء وفهمه وأتقنه. ورعاية: أي رعوا الدين وحفظوه وحاطوه ليس كما يعقله غيرهم عن سماع ورواية، لإنّ مَن يروي العلم ويسنده الى الرجال كثير، ومَن يحفظ العلم حفظ فَهم وإدراك أصالةً لا تقليداً قليل. فالرعاية وهي ملاحظة أحكام الدين، وتطبيق الأعمال عليها، هي العلم بالدين حقيقة، أمّا السماع والرواية مجردين عن الفهم والرعاية فمنزلتهما لا تخالف منزلة الجهل إلّا في الاسم.

٢٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

قالهُ لعَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاس

وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ بِيَنْبُعَ[1]، لِيَقِلَّ هَتْفُ[2] النَّاسِ بِاسمِهِ لِلْخِلافَةِ[3]، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً[4] بِالْغَرْبِ[5]، أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ[6]! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً[7].

(*) رواه المبرد في (الكامل) ج ١ ص ١١، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٣٤.

---

(١) ينبُع: اسم موضع، كان فيه نخلٌ لعليّ بن أبي طالب، وهو الآن بلد صغير من أعمال المدينة.

(٢) هَتْف الناس باسمه: نداؤهم ودعاؤهم، وأصله الصوت، يُقال: هتف الحمام يهتف هتفاً، وهتف زيد بعمرو هُتافاً، أي صاح به، وقوس هتّافة وهتفى، أي ذات صوت.

(٣) كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة، أي ينادون به وعثمان محصور، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج، ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية.

(٤) الناضح: البعير يُستقى عليه. نَضَحَ الجَمَلُ الماءَ: حمله من بئر أو نهر ليسقي به الزرعَ، فهو ناضح، والكلام تمثيل للتسخير.

(٥) الغَرْب ـ بفتح فسكون ـ: الدلو العظيمة.

(٦) «أقبِل وأدبِر» (وأثبت عبده في المتن: «أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ»)، أي يقول لي ذلك كما يقال للناضح، وقد صرّح العباس بن مرداس بهذه الألفاظ فقال:

أراكَ إذا أصبحتَ للقومِ ناضحاً ... يُقالُ له بالغَرْبِ أدْبِرْ وأقْبِلِ

(٧) بالغت في الدفاع عنه حتى خشيت أن أكون آثماً في ذلك، لأنّه لا يستحق الدفاع عنه لجرائمه وأحداثه، وهذا تأويل مَن ينحرف عن عثمان، ويحتمل أن يريد: لقد دفعتُ عنه حتى كدت أن أُلقيَ نفسي بالتهلكة، وأن يقتلني الثائرون عليه فأكون آثماً.

٢٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام (*)

يَحُثُّ فِيهِ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ

وَٱللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ(١)، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ(٢)، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ(٣)، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ(٤). فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ(٥)، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ(٦). لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ(٧). مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ(٨)! وَأَمْحَى ٱلظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ(٩)!

وصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ
مَصَابِيحِ ٱلدُّجَى وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

(*) رواه الآمدي في (غرره) ص ٣٠٨.

---

(١) مُسْتَأْدِيكم: طالب منكم أداء شكره.

(٢) أمره: سلطانه في الأرض يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهيه.

(٣) مُمْهِلكم: أي معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدود بالأجل. وأصل المضمار المكان تضمّر فيه الخيل، أي تحضر للسباق، وهو هنا كناية عن مدة العمر.

(٤) لتتنازعوا: أي تتنافسوا في سَبْقِهِ. والسَّبَق: الخط يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة. شبّه الآجال المضروبة للمكلّفين بالمضمار المحدود لخيل تتنازع فيه السبق.

(٥) العُقَد: جمع عُقْدة. والمآزر: جمع مِئْزر. وشدّ عُقَد المآزر كناية عن الجد والتشمير، فإنّ من شدّ العقدة أمن من انحلالها فيمضي في عمله غير خائف.

(٦) نهى ﷺ عن كثرة الأكل، لأنّ الإنسان الكثير الأكل لا يطوي فضول خواصره لامتلائها، والقليل الأكل يأكل في بعضها ويطوي بعضها. ويمكن أن يريد معنى آخر وهو ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفّوا في العمل ولا يعوقكم شيء عن الإسراع في عملكم.

(٧) «لا تجتمع عزيمة ووليمة»: أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ.

(٨) «ما» تعجبية، أي ما أشدّ نقضاً لعزيمة النهار بعزم السائر على قطع جزء من الليل في السير، فإذا جاء الليل غلبه النوم فنقض عزيمته.

(٩) الظُّلَم: جمع ظُلْمة، متى دخلت محت تذكار الهمّة التي كانت في النهار، فهو يريد من الظُّلَم التي ينام فيها، لا كلّ الظُّلَم. والتذاكير: جمع تُذْكار.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رسائل أمير المؤمنين عليه السلام

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله
ووصاياه لأهله وأصحابه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ من كتاب له عليه السلام*

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ، جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ[١] وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ[٢].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ ٱلنَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ[٣]، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ. وَكَانَ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ ٱلْوَجِيفُ[٤]، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا ٱلْعَنِيفُ. وَكَانَ مِنْ

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٦٧، والزمخشري في (ربيع الأبرار) باب العداوة والبغضاء.

---

(١) قوله: «جبهة الأنصار» يمكن أن يريد جماعة الأنصار؛ فإنّ الجبهة في اللغة الجماعة، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم؛ لأنّ جبهة الإنسان أعلى أعضائه، وليس يريد ها هنا بني قَيْلة*، بل الأنصار ها هنا الأعوان.

(٢) وسنام العرب: أي أهل الرفعة والعلوّ منهم؛ لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير، فشبههم بالجبهة من حيث الكرم، وبالسنام من حيث الرفعة.

(٣) الاستعتاب: طلب العُتبى، وهي الرّضا، واستعتابه: استرضاؤه. قال: كنت أُكثر طلبَ رضاه، وأُقلّ عتابه وتعنيفه على الأُمور، وأمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه.

(٤) الوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل سريع، وهذا مَثَلٌ للمشمّرين في الطعن عليه، حتى إنّ السَّير السريع أبطأ ما يسيران في أمره، والحداء العنيف أرفق ما يحرّضان به عليه. وجملة «أهون سيرها الوجيف» خبر كان، أي أنّهما سارعا لإثارة الفتنة عليه. والحِدَاء: زجر الإبل وسَوْقها.

---

* قيلة: هي قيلة أمّ الأوس والخزرج.

عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ[1]، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ[2]، وَبَايَعَنِي ٱلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ ٱلْهِجْرَةِ[3] قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا[4]، وَجَاشَتْ جَيْشَ ٱلْمِرْجَلِ[5]، وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَى ٱلْقُطْبِ[6]، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

٢ - ومن كتاب له عليه السلام (*)

إِلَيْهِمْ بَعْدَ فَتْحِ ٱلْبَصْرَةِ

وَجَزَاكُمُ ٱللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي ٱلْعَامِلِينَ

(*) نقله المفيد في (كتاب النصرة) ص ٢١٥ عن كتاب (الجمل) للواقدي.

---

(١) قيل: إنّ عائشة أمّ المؤمنين أخرجت نعلي رسول الله ﷺ، وقميصه، من تحت ستارها، وعثمان على المنبر، وقالت: «هذان نعلا رسول الله، وقميصه، لم تبل، وقد بدّلتَ من دينه، وغيّرتَ من سنّته» وجرى بينهما كلام المخاشنة، فقالت: «أقتلوا نعثلاً» تشبّهه برجلٍ معروف.

(٢) فأتيح: أي قُدِّرَ له قوم فقتلوه.

(٣) دار الهجرة: المدينة.

(٤) قوله: «قد قلعت بأهلها وقلعوا بها» الباء في الأول زائدة وفي الثاني بمعنى «من» يقول: فارقت أهلها وفارقوها، ومنه قولهم: «هذا منزلُ قُلْعة» أي ليس بمستوطَن، و«قلع المكان بأهله» نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم.

(٥) جاشت: اضطربت وغلَت، والجَيْش: الغليان. والمِرجل: القِدْر، أي فعليكم أن تفتدوا بأهل دار الهجرة؛ فقد خرجوا جميعاً لقتال أهل الفتنة.

(٦) القطب: هو نفس الإمام، قامت عليه فتنة أصحاب الجمل.

بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

٣ـ ومن كتاب له عليه السلام*

كَتَبَهُ لِشُرَيْحِ بْنِ الْحَارِثِ قَاضِيهِ(١)

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً، وَقَالَ لَهُ:

بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً.

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً(٢)، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ.

(*) رواه سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٨٥، والقاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٣٥.

---

(١) هو شُريح بن الحارث بن المتجع الكنديّ، وقيل: إنّه حَليفٌ لكِنْدة من بني الرائش، ويكنّى أبا أميّة. استعمله عمر على القضاء بالكوفة، فلم يزل قاضياً ستين سنة، ثمّ استعفى الحجّاج من العمل فأعفاه، فلزم منزله إلى أن مات.

(٢) شاخصاً: ذاهباً مبعداً.

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هٰذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِالدِّرْهَمِ فَمَا فَوْقُ، وَالنُّسْخَةُ هٰذِهِ:

«هٰذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ. اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ(١). وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ(٢). اشْتَرَى هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ(٣). فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ(٤)، فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ(٥)، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ(٦) وَنَجَّدَ(٧)،

---

(١) خِطّة الهالكين ـ بكسر الخاء ـ: وهي الأرض يختطّها الإنسان، أي يُعْلِم عليها علامة بالخطّ؛ ليعمرها، ومنه خطط الكوفة والبصرة.

(٢) يشرع: أي يفتح في الحد الرابع.

(٣) الضراعة: الذلّة.

(٤) الدرك ـ بالتحريك ـ: التبعة، والمراد منه ما يضرّ بملكية المشتري أو منفعته بما اشترى ويكون الضمان فيه على البائع.

(٥) مبلبل الأجسام: مهيج داءاتها المهلكة لها.

(٦) شيّد: رفع البناء. وزخرف البناء: أي ذهّب جدرانه بالزّخرف، وهو الذهب.

(٧) نجّد: فرّش المنزل بالوسائد وزيّنه، والنّجّاد: الذي يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما، والتنجيد: التزيين بذلك، ويجوز أن يُريد بقوله: «نجّد» رفع وعلا، من النّجْد، وهو المرتفع من الأرض.

ٱدَّخَرَ وَٱعْتَقَدَ(١)، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصُهُمْ(٢) جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ ٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ ٱلْأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ ٱلْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا»(٣).

٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ فَذَاكَ ٱلَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ(٤) ٱلْأُمُورُ بِٱلْقَوْمِ إِلَى ٱلشِّقَاقِ وَٱلْعِصْيَانِ فَٱنْهَدْ(٥) بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ

(*) رواه السبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص).

---

(١) اعتقد: جعل لنفسه عُقدة كالضيعة أو الذخيرة من المال الصامت، واعتقد المال: اقتناه.

(٢) «إشخاصهم» مبتدأ مؤخر خبره «على مبلبل الأجسام» أي إذا لحق المشتري ما يوجب الضمان فعلى مبلبل الأجسام إرساله هو والبائع الى موقف الحساب ... . *ومعنى إشخاصهم: إرسالهم وترحيلهم حتى يحضروا بأشخاصهم*

(٣) وموضع الاستحسان في هذا الفصل ـ وإن كان كله حسناً ـ أمران: الأوّل: أنّه نظرَ إليه نظر مغضب؛ إنكاراً لابتياعه داراً بثمانين ديناراً، وهذا يدلّ على زهد شديدٍ في الدنيا واستكثار للقليل منها. الثاني: أنّه أملى عليه كتاباً زهدياً وعظياً، مماثلاً لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك، ولم نسمع عن أحدٍ من الصحابة أنّه نقل صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر كما قد نظمه هو ﷺ، ولا غرو فما زال سبّاقاً إلى العجائب والغرائب!

(٤) توافى القوم: وافى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم، أي وإن اجتمعت أهواؤهم إلى الشقاق.

(٥) انْهَدْ: أي انهض.

مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ[1]؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ[2] مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

٥ - ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَامِلُ أَذْرَبِيجَانَ[3]

وَإِنَّ عَمَلَكَ[4] لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ[5]، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً[6] لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ[7]، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ[8]. وَفِي يَدَيْكَ

(*) نقله ابن مزاحم في كتابه (صفين) ص ٢٠، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢، ص ٩١.

---

(١) تقاعس: أي أبطأ وتأخر.

(٢) المتكاره: الذي يخرج إلى الجهاد من غير نيّة بصيرة، وإنّما يخرج كارهاً مرتاباً، متثاقلاً بكراهة الحرب، وجوده في الجيش يضرّ أكثر مما ينفع.

(٣) أذربيجان: اسمٌ أعجميٌّ غير مصروف، والنسبة إليه أذرِيّ بسكون الذال.

(٤) عملك: أي ما وليت لتعمله في شؤون الأمّة.

(٥) الطُّعمة ـ بضم الطاء ـ: المأكلة.

(٦) مسترعىً: يرعاك من فوقك، وهو الخليفة.

(٧) يقال: «افتاتَ فلان على فلان» إذا فعل بغير إذنه ما سبيلُه أن يستأذنه فيه، وأصله من الفَوْت وهو السَّبْق، كأنّه سبقه إلى ذلك الأمر. وتفتات: أي تستبدّ، وهو افتعال من الفوت. يقول ﷺ: إنّ عملك لم يُجعل لك أكلاً، لكنّه أمانة في يدك وعنقك للمسلمين، وفوقك سلطان أنت له رعيّة، فليس لك أن تفتاتَ في الرعية الذين تحت يدك.

(٨) «ولا تخاطرْ إلّا بوثيقة» أي لا تُقدِم على أمر مَخوفٍ فيما يتعلّق بالمال الذي تتولاّ إلّا بعد أن تتوثّق لنفسك، يقال: أخذ فلان بالوثيقة في أمره، أي احتاط.

مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ تَعَالَى، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ[1] حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ[2]، وَٱلسَّلَامُ[3].

٦ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَةَ

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا ٱلشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى ٱتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ ٱللّٰهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ، لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ ٱلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى[4]، فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَٱلسَّلَامُ.

(*) ذكره ابن مزاحم في كتابه (صِفّين) ص ٢٩، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٩٣.

---

(١) خُزّان ـ بضم فتشديد ـ: جمع خازن، والمراد الحافظ.

(٢) أي ربّما تحمد خلافتي وولايتي عليك، وتصادف منّي إحساناً إليك. والولاة: جمع والٍ، من «ولي عليه» إذا تسلّط. يرجو أن لا يكون شرّ المتسلّطين عليه، ولا يحقّ الرجاء إلّا إذا استقام.

(٣) هذا الكتاب كتبه إلى الأشعث بعد انقضاء الجمل.

(٤) تجنّى ـ كتولّى ـ: ادّعى الجناية على مَن لم يفعلها.

٧ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ[١]، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ[٢]، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ[٣]، وَكِتَابُ[٤] امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً[٥]، وَضَلَّ خَابِطاً[٦].

وَمِنْ هذَا الْكِتَابِ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ[٧]، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ[٨]. الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ[٩].

(*) نقله ابن أعثم الكوفي في (الفتوح) ج ٢ ص ٤٣١، والمبرد في (الكامل) ج ١ ص ١٩٣.

---

(١) موعظة موصّلة: أي مجموعة الألفاظ من ها هنا وها هنا، ملفّقة من كلام مختلف وصِلَ بعضه ببعض على التباين، كالثوب المرقع، وذلك عيبٌ في الكتابة والخطابة.

(٢) الرسالة المحبّرة: المزيّنة بالألفاظ، ونمّقتها: حسّنت كتابتها؛ كأنه ﷺ يشير إلى أنّه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف والتصنّع. والتنميق: التزيين أيضاً.

(٣) أمضيتها: أنفذتها وبعثتها.

(٤) «كتاب» عطف على «موعظة».

(٥) هَجَر الرّجل: أي هَذى في كلامه ولغا. واللاغط: ذو اللغط، وهو الصوت والجَلَبة.

(٦) خَبَط البعير فهو خابط، إذا مشى ضالاً فخبط بيديه كلَّ ما يَلْقاه، ولا يتوقّى شيئاً. وهذا كتاب كتبه عليٌّ ﷺ جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفّين، بل في أواخرها.

(٧) لا يُثنّى فيها النظر: لا يعاود ولا يراجع ثانية.

(٨) لا يستأنف فيها الخيار: ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لغيرهم.

(٩) المُرَوِّي فيها مُداهِنٌ: أي الذي يرتئي ويبطئ عن الطاعة ويفكر هل يقبلها أو ينبذها، وأصله من الروِيّة. والمداهن: المنافق.

٨ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى جرير بن عبد الله البجلي[1] لمّا أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ[2]، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ[3]، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ[4]، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ[5]، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ[6]، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ. وَالسَّلَامُ.

(*) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفين) ص ٥٥، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٣٢.

---

(١) قد تقدّم ذكر جرير بن عبد الله البجلي [ص ١١٦ من هذا الكتاب].

(٢) أي لا تتركه متلكّئاً متردّداً، يُطمعك تارة ويؤيسك أُخرى، بل احمله على أمرٍ يَفصِل، إمّا البيعة، أو أن يأذن بالحرب، والفصل: الحكم القطعي.

(٣) الأمر الجزم: المقطوع به، وأصل الجزْم القطع.

(٤) حربٌ مُجْلية: تُجْلي المقهورين فيها عن ديارهم، أي تُخرجهم.

(٥) سِلْم مخزية: أي فاضحة، وهو الصلح الدال على العجز والخطل في الرأي الموجب للخزي، وإنّما جعلها مخزية لأنّ معاوية امتنع أولاً من البيعة، فإذا بايع بأن دَخَل في السِّلْم فقد دخل تحت الهَضْم؛ وذلك هو الخِزْي.

(٦) فانبذ إليه أي اطرح إليه عهد الأمان وأعلنه بالحرب، والفعل من باب ضرب، وأصله العهد والهدنة وعقد الحِلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين، ثم يبدو لهما في ذلك فيستقلان الى الحرب فينبذ أحدهما إلى الآخر عهده، كأنّه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه أحدهما يوم الحرب وأبطله. فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة. ونسخ قريبة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها.

٩ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَةَ

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا[١]، وَٱجْتِيَاحَ أَصْلِنَا[٢]، وَهَمُّوا بِنَا ٱلْهُمُومَ[٣]، وَفَعَلُوا بِنَا ٱلْأَفَاعِيلَ[٤]، وَمَنَعُونَا ٱلْعَذْبَ[٥]، وَأَحْلَسُونَا ٱلْخَوْفَ[٦]، وَٱضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ[٧]،

(*) ذكره البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٢٨٢، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٣٣٥.

---

(١) قَوْمُنا: يعني قريشاً. يحكي معاملتهم للنبي ﷺ في أول البعثة.

(٢) الاجتياح: الاستئصال والإهلاك، ومنه الجائحة وهي الشدّة، أو الفتنة التي تجتاح المال أو الأنفس.

(٣) همّوا الهموم: قصدوا نزولها.

(٤) الأفاعيل: جمع أفعولة، الفَعْلة الرديئة، يقال لمن أثروا آثاراً منكرة: فعلوا بنا الأفاعيل، وقلّ أن يقال ذلك في غير الضرر والأذى.

(٥) منعونا العذب: أي العيش العذب، والعذب: هنيء العيش، لا أنهم منعوهم الماء العَذْب، وإنْ نُقل أنهم مُنِعوا أيام الحصار في الشِّعْب من الماء العذب.

(٦) أحلسونا الخوف: أي ألزمونا، والحِلْس: كساء رقيق يكون تحت بردعة البعير. وأحلاس البيوت: ما يُبسَط تحت حُرّ الثياب، وفي الحديث: «كن حِلْس بيتك» أي لا تخالط الناس واعتزل عنهم، فلمّا كان الحِلْس ملازماً ظهرَ البعير، وأحلاس البيوت ملازمة لها. قال: «وأحلسونا الخوف» أي جعلوه لنا كالحِلْس الدائم.

(٧) «واضطرونا الى جبل وعر» ألجأونا. والجبل الوَعْر: الصعب الذي لا يرقى إليه. مَثَل ضربه ﷺ لخشونة مُقامهم وشَظَف منزلهم، وكناية عن مضايقة قريش لشعب أبي طالب، حيث جاهروهم بالعداوة، وحلفوا لا يزوّجونهم، ولا يكلّمونهم، ولا يبايعونهم، وكتبوا على ذلك عهدهم، عداوة للنبي ﷺ. ويجوز أن يكون حقيقةً لا مثلاً؛ لأنّ الشِّعب الذي حصروهم فيه مَضيق بين جبلين.

وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ. فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ[1]، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ[2]. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ[3]. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ[4] مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ[5] يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ[6].

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ[7]، وَأَحْجَمَ النَّاسُ[8]، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ[9]، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ[10]، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ

---

(١) «فعزم الله لنا» أي قضى اللّٰهُ لنا أن نذبّ عن حوزته، ووفّقنا لذلك، وجعلنا عازمين عليه. والحوْزَة: الناحية، وحوزة الملك: بَيْضته، والمراد من الحوزة هنا الشريعة الحقّة.

(٢) رمى من وراء الحُرْمة: جعل نفسه وقاية لها يدفع السوء عنها، فهو من ورائها، أو هي من ورائه. والرمي عنها: المناضلة والمحاماة، والضمير في «حوزته» و«حرمته» راجع الى النبي ﷺ، وقد سبق ذكره، وهو قوله: «نبينا»، ويروى «والرّمْيَا» [وأثبت ابن أبي الحديد في المتن: «والرمي من وراء حومته»] وحومة الماء والرمل: معظمه.

(٣) يحامي عن الأصل: أي يدافع عن محمّد ﷺ ويذبّ عنه حميّةً ومحافظة على النسب.

(٤) خلو: أي خالٍ.

(٥) الحِلْف: العهد.

(٦) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم، إمّا بتحالفهم مع بعض القبائل أو بالاستناد إلى عشائرهم.

(٧) احمرّ البأس: كلمة مستعارة، أي اشتدت الحرب حتى احمرّت الأرض من الدم، فجعل البأس هو الأحمر مجازاً، كقولهم: الموت الأحمر.

(٨) احجم الناس: أي كفّوا عن الحرب وجَبُنوا عن الإقدام.

(٩) حَرّ الأسنة ـ بفتح الحاء ـ: شدّة وقعها.

(١٠) عبيدة ابن عمه، وحمزة عمه، وجعفر أخو الإمام. ومُؤْتة ـ بضم الميم ـ: بلد في حدود الشام.

لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ ٱسْمَهُ[١] مِثْلَ ٱلَّذِي أَرَادُوا مِنَ ٱلشَّهَادَةِ، وَلٰكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ.

فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي[٢]، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي ٱلَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ ٱللّٰهَ يَعْرِفُهُ. وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ[٣] وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ[٤] عَنْ غَيِّكَ[٥] وَشِقَاقِكَ[٦]، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوؤُكَ وِجْدَانُهُ[٧]، وَزَوْرٌ[٨] لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ[٩]، وَٱلسَّلَامُ لِأَهْلِهِ[١٠].

---

(١) «وأرادَ مَنْ لو شئتُ لذكرت اسمَه» يعني به نفسه.

(٢) أي بقدمٍ مثل قدمي جَرَتْ وثَبَتَتْ في الدفاع عن الدين، إشارة إلى معاوية في الظاهر، وإلى مَنْ تقدَّم عليه من الخلفاء في الباطن. والسابقة: فضله السابق في الجهاد. وأدلى إليه برَحِمِه: توسَّلَ، وبماله دفعه إليه، وكلا المعنيين صحيح.

(٣) «فلم أره يسعُني»: أي لم أرَ أنه يحلّ لي دفعهم إليك، و«أره» من الرأي لا من الرؤية.

(٤) تَنْزِعُ ـ كتضرب ـ: أي تنته، ونزع فلانٌ عن كذا، أي فارقه وتركه.

(٥) الغيّ: الجهل والضلال.

(٦) الشِّقاق: الخلاف.

(٧) الوِجْدان: مصدر وجدت كذا، أي أصبته.

(٨) الزَّوْر: الزائر والزائرون.

(٩) اللُّقيان: مصدر لقيت، تقول: لقيته لقاءً ولقياناً. والمراد الضمير في «لقيانه» باعتبار اللفظ.

(١٠) قال: «والسلام لأهله» لم يستجز في الدين أن يقول له: «والسلام عليك»؛ لأنّه عنده فاسق لا يجوز إكرامه، فقال: «والسلام لأهله» أي على أهله.

١٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعاوية أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ(١) مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا(٢)، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا. دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ(٣) عَلَى مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ(٤)، فَاقْعَسْ(٥) عَنْ هذَا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ(٦)، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ(٧)، وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ(٨)، وَإِلاَّ تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ(٩). فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ

(*) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) في ترجمة معاوية.

(١) الجلابيب: جمعُ جِلْباب، وهو الثوب فوق جميع الثياب كالمِلْحفة.

(٢) تبهّجتْ بزينتها: صارت ذاتَ بهجة، أي زينة وحُسْن، والضمير فيه وفيما بعده للدنيا.

(٣) يُوشِك: يسرع، ويقفك واقف، يعني الموتَ.

(٤) يُروى: «ولا ينجيك مِجَنٌّ» [كما في نسخة عبده والصالح] والرواية الأُولى أصحّ. والمِجَنّ: التُرْس. أي يوشك أن يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقي منها بترس.

(٥) اقعَسْ: تأخّر.

(٦) أُهبة الحساب: عُدّته، وتأهّب: استعدّ وجمع الأُهْبة أُهَب.

(٧) «شمِّر لما قد نزل بك»: أي جِدَّ واجتهد وخِفَّ، ومنه رجل شَمَّرِيّ بفتح الشين، وتُكسر.

(٨) الغواة: جمع غاوٍ، وهو الضال، وهم قرناء السوء يزيّنون الباطل ويحملون على الفساد.

(٩) يقول: وإن كنت لا تفعل ما قد أمرتُك ووعظتُك به فإنّي أعرّفك من نفسك ما أغفلتَ معرفته، أي أنبهك بصدمة القوة إلى ما لم تتنبه من نفسك، فتعرف الحق وتقلع عن الباطل.

مِنكَ مَأْخَذَهُ[1]، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى ٱلرُّوحِ وَٱلدَّمِ.

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ ٱلرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ[2]، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ[3]، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ ٱلشَّقَاءِ. وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً[4] فِي غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيَّةِ[5]، مُخْتَلِفَ ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ[6].

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى ٱلْحَرْبِ فَدَعِ ٱلنَّاسَ جَانِباً، وَٱخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ[7]، وَٱلْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ[8] وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَٰلِكَ ٱلسَّيْفُ مَعِي، وَبِذَٰلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي، مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلْمِنْهَاجِ ٱلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ[9]، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

---

(١) المترفُ: من أترفته النعمة، أي أطغته. «وقد أخذ الشيطان منك مأخذه» أي تناول الشيطانُ منك لُبّك وعقلك، ويروى «مآخذه» بالجمع.

(٢) يقال: لفلان قدمُ صِدْقٍ أي سابقة وأثرة حسنة.

(٣) باسق: عالٍ.

(٤) تمادى: تَفاعل، من «المَدى» وهو الغاية، أي لم يَقِف بل مَضَى قُدُماً.

(٥) الغِرَّة: الغَفْلة أو الغرور. والأُمنية: طمع النَّفس، وما يتمناه الإنسان ويؤمل إدراكه.

(٦) مختلف السريرة والعلانية: منافق.

(٧) المَرِين على قلبه: المغلوبُ عليه، من قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] وهو اسم مفعول من «رانَ ذنبُهُ على قلبه» غلب عليه فغطّى بصيرته. وقيل: الرَّيْن: الذنب على الذنب.

(٨) جد معاوية لأمه عتبة بن أبي ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة بن أبي سفيان. وشدخاً: أي كسراً. قالوا: هو الكسر في الرطب، وقيل: في اليابس، أو كسرُ الشيء الأجوف.

(٩) المنهاج: هو طريق الدين الحق، لم يدخل فيه أبو سفيان ومعاوية إلا بعد الفتح كرهاً.

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً(١) بِدَمِ عُثْمَانَ! وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ(٢) فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً. فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ(٣)، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ(٤)، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ(٥).

١١ ـ ومن وصية له عليه السلام*

وَصَّى بِهَا جَيْشاً بَعَثَهُ إِلَى الْعَدُوِّ

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ(٦) فِي قُبُلِ

(*) رواها الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٦٦، وابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ١٢٣.

(١) الثائر: طالب الدم، وثأر به: طلب بدمه.

(٢) قوله: «قد علمتَ حيثُ وقع دمُ عثمانَ فاطلبْهُ من هنالك» يريد به إن كنت تطلبُ ثأرَك من عند مَن أجلَب وحاصر، فالذي فَعَل ذلك طلحةُ والزبير، وإن كنت تطلبه ممّن خَذَل، فاطلبْه من نفسك فإنّك خذلته؛ وكنتَ قادراً على أن ترفده وتُمِدَّه بالرجال.

(٣) تضجّ: تصوّت، وقوله: «وكأنّي بجماعتك يدعونني جزعاً من السيف إلى كتاب الله تعالى» تفرّس فيما يكون من معاوية وجنده، وكان الأمر كما تفرّس الإمام عليه السلام، وهي فراسةٌ نبويّة صادقة، وهذا عظيم، أو يكون إخباراً عن غَيْبٍ مفصّل، وهو أعظمُ وأعجب.

(٤) الجاحدة: المنكرة.

(٥) الحائدة: العادلة عن الحق، أي عن البيعة بعد الدخول فيها، من «حاد عن الشيء» إذا مال عنه وعدل عنه إلى سواه.

(٦) المُعَسكر: موضع العَسْكَر، وحيث ينزله.

ٱلْأَشْرَافِ(١)، أَوْ سِفَاحِ ٱلْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ ٱلْأَنْهَارِ(٢)، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً(٣). وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ ٱثْنَيْنِ(٤)، وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ(٥)، وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ(٦)، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ(٧). وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ(٨)، وَعُيُونَ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ(٩). وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَٱنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَٱرْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَٱجْعَلُوا ٱلرِّمَاحَ كِفَّةً(١٠)، وَلَا تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً(١١)

---

(١) الأشراف: جمع شَرَف ـ محرّكة ـ: العلو والعالي، وقُبُلها: ما آستقبلك منها، وقيل الأشراف: قِمَام الجبال. وسفاح الجبال: أسافلها حيث يَسفَح منها الماء.

(٢) أثناء الأنهار: ما انعطف منها، واحدها ثِني. والمعنى: أنّه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عالٍ كالهضاب العظيمة، أو الجبال، أو منعطف الأنهار؛ لتكون كالخنادق لهم: ليأمنوا بذلك العدو، وفسّر ذلك بقوله: «كيما يكون لكم رِدءاً» والرِّدء: العون.

(٣) ودونكم مَرَدّاً: أي حاجزاً بينكم وبين العدوّ. والمردّ ـ بتشديد الدال ـ: مكان الردّ والدفع.

(٤) أمرهم أن تكون مقاتلتهم ـ وهي مصدر «قاتل» ـ من وجه واحدٍ أو اثنين، أي لا تتفرّقوا.

(٥) صياصي الجبال: أعاليها وما كان منها بمنزلة الحصون، وأصل الصياصي: القرون، ثم استُعير ذلك للحصون؛ لأنّه يُمتنع بها كما يمتنع ذو القَرْن بقَرْنه.

(٦) المناكب: المرتفعات، والهضاب: جمع هَضْبة ـ بفتح فسكون ـ: الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه.

(٧) أي لئلا يأتيكم العدوّ إمّا من حيث تأمنون، أو من حيث تخافون.

(٨) المقدِّمة ـ بكسر الدال ـ: وهم الذين يتقدّمون الجيش، أصله مقدّمة القوم، أي الفرقة المتقدمة.

(٩) الطلائع: طائفة من الجيش تُبعَث لتعلم منها أحوال العدوّ. وقال ﷺ: المقدّمة عيون الجيش، والطلائع عيون المقدمة، فالطلائع إذن عيونُ الجَيْش.

(١٠) أي آجعلوها مُستديرة حولكم كالدائرة، وكلّ ما استدار كِفّة ـ بالكسر ـ نحو كِفّة الميزان، وكلّ ما آستطال كُفّة ـ بالضم ـ نحو: كُفّة الثوب، وهي حاشيته.

(١١) الغِرار ـ بكسر الغين ـ: النوم الخفيف. والمضمضة: أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام، تشبيهاً بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجّه، وهو أدقّ التشبيه وأجمله.

١٢ ـ ومن وصية له عليه السلام*

وَصَّى بِهَا مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ(١)
حِينَ أَنفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَدِّمَةً لَهُ

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ(٢)، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ(٣)، وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ(٤)، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً. فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ(٥). فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ(٦)، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ

(*) روى طرفاً من هذه الوصية ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ١٩٨.

(١) مَعْقِل بن قيس، من رجال الكوفة وأبطالها، وله رياسة وقَدَم، ومن شيعة عليّ عليه السلام، حارب المستوْرِد بن عُلَّفة الخارجيّ، فقتل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه بدِجلة.

(٢) البَرْدَين: الغَداة والعَشيّ، وهما الأبْرَدان أيضاً، أي وقت اعتدال الأرض والهواء من حر النهار والمراد أن يَرفُق بالنّاس ولا يكلّفهم السير في الحرّ.

(٣) غوِّر بالناس: انزل بهم القائلة، والمصدر التغويرُ، ويقال للقائلة وهي وقت اشتداد الحر: الغائرة.

(٤) رَفِّه في السير: أي دَع الإبلَ تَرِدُ رِفْهاً، وهو أن ترِدَ الماءَ كلَّ يوم متى شاءت ولا تُرهقها وتجشّمها السّير، ويجوز أن يكون من قولك: رَفُهتُ عن الغريم، أي نفّستُ عليه.

(٥) الظَّهر: وهي الإبل، وبنو فلان مُظهِرون، أي لهم ظَهر ينقُلون عليه.

(٦) أي فإذا وقفتَ ثقَلك ورَحلك لتسير فليكن ذلك حين ينبطح السَّحَر، أي حين يتّسع ويمتدّ وينبسط، وهو مجاز عن استحكام بعد مضيّ مدة منه وبقاء مدة، وأصل الانبطاح السَّعة، ومنه الأبطح بمكة. وانفجر الفجرُ: انشقّ.

ٱلْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ ٱلْبَأْسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي[1]. وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ[2] عَلَىٰ قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

١٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام *

إلى أميرَيْنِ من أمراءِ جيشِه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىٰ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا[3] مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ[4]، فَٱسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَٱجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً[5]. فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ[6] وَلَا سَقْطَتُهُ[7] وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ[8]، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَىٰ مَا ٱلْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

(*) ذكره الطبري في (تاريخه) ج ٥ ص ٢٣٨، وابن مزاحم في (صفّين) ص ١٣٥.

---

(١) أمرهﷺ أن يكون على حالٍ متوسطة بين الدنو من العدو دنو من يريد أن يُنشِب الحرب، وبين أن يبعد منهم بُعدَ من يهاب الحرب، وهي البأس، حتى يأتيه الأمر من أمير المؤمنين ﷺ.

(٢) الشَّنَآن ـ بسكون النون وتحريكها ـ: البغض.

(٣) في حَيِّزِكُما: في ناحيتكما، والحَيِّز: ما يتحيّز فيه الجسم أي يتمكّن، والمراد مقرّ سلطانها.

(٤) مالك النَّخعي، كان فارساً شجاعاً، رئيساً من أكابر الشّيعة وعُظمائها، شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين ﷺ ونصرِه، وقال فيه بعد موته: رحم الله مالِكاً فلقد كان لي كما كنتُ لرسول الله ﷺ.

(٥) الدرع: ما يلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب والطعن. والمجن: التّرس، أي اجعلاه حامياً لكما.

(٦) الوَهْن: الضعف.

(٧) السَّقطة: الغَلطة والخطأ.

(٨) أحزم: أقرب للحزم، وهذا الرأي أحزم من هذا، أي أدخل في باب الحزم والاحتياط، وهذا أمثل من هذا أي أفضل وأولى وأحسن.

١٤ ـ ومن وصية له عليه السلام*

لعسكره بصفّين قبل لقاء العدوّ

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ(١)، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً(٢)، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ(٣)، وَلَا تَهِيجُوا ٱلنِّسَاءَ بِأَذىً(٤) وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَى وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ: إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِٱلْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ(٥)، وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفِهْرِ(٦) أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ(٧)، فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ(٨) مِنْ بَعْدِهِ.

(*) رواها الطبري في (تاريخه) في حوادث ٣٧، والمسعودي في (مروجه) ج ٢ ص ٣١، وغيرهم.

---

(١) نهى أصحابه عن البغي والابتداء بالحرب.

(٢) المُعْوِر ـ كمُجْرِم ـ: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها، واعتصم منك في الحَرْب بإظهار عوْرته لتكفّ عنه، وأصله «أعْوَرَ» أبدى عورته.

(٣) الإجهاز على الجريح، هو إتمام قتله.

(٤) «ولا تهيجوا النساء بأذى»: أي لا تحرّكوهنّ.

(٥) هذا حكم الشريعة الإسلامية، لا ما يتوهمه جاهلوها من إباحتها التعرّض لأعراض الأعداء، نعوذ بالله.

(٦) الفِهْر ـ بالكسر ـ: الحَجَر على مقدار ما يدقّ به الجوز أو بملء الكف.

(٧) الهِراوة ـ بالكسر ـ: العصا أو شبه الدبوس من الخشب.

(٨) «عقبه» عطف على ضمير «يعير».

١٥ـ وكان عليه السلام يقول *

إذا لقي العدوّ مُحارِباً

اَللّٰهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ ٱلْقُلُوبُ[١]، وَمُدَّتِ ٱلْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانُ[٢]. اَللّٰهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ ٱلشَّنَآنِ[٣]، وَجَاشَتْ[٤] مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ[٥]. اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾.

١٦ـ وكان عليه السلام يقول **

لأصحابه عِنْدَ الحَرْب

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ[٦]، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ[٧]، وَأَعْطُوا ٱلسُّيُوفَ

(*) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ٢٣١، والمفيد في (النصرة) ص١٨٢.

(**) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ٢١٥، وروى الكليني فقرات منه في (فروع الكافي) ج٥ ص ٤١.

(١) أفضت القلوب: أي دَنت وقَرُبَت، وانتهت ووصلت، ويجوز أن يكون «أفضت» أي بسرّها.

(٢) أنضيت: أُبليت بالهزال والضعف في طاعتك.

(٣) صَرّح: انكشف. والشنآن: البغضة، والمعنى صرّح القوم بما يكتمون من البغضاء.

(٤) جاشت: تحرّكت واضطربَت.

(٥) المراجل: جمع مِرْجل، وهي القِدْر. والأضغان: الأحقاد، واحدها ضِغْن، وهو الحقد.

(٦) قال: «لا تستصعبوا فَرّة تفرّونها بعدها كرّة، وإنّما استصعبوا فَرّة لا كرّة بعدها» وهذا حضٌّ لهم على أن يكرّوا ويعودوا الى الحرب إن وقعتْ عليهم كَسْرةٌ.

(٧) الجَوْلة: هزيمة قريبة ليست بالممعنة.

حُقُوقَهَا، وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا[1]، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ[2] عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ[3]، وَالضَّرْبِ الطِّلَخْفِيِّ[4]، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ[5]، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ.

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلٰكِنِ اسْتَسْلَمُوا[6]، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

١٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام *

إلى معاويةَ جواباً عنْ كتابٍ منْهُ إليه

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ[7]، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا

(*) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ٤٧١، والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ص ٥٣، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١١٧، وغيرهم.

---

(١) وطّئوا: مهّدوا للجنوب: جمع جَنْب. مصارعها: أماكن سقوطها، أي إذا ضربتم فاحكموا الضرب ليصيب، فكأنكم مهّدتم للمضروب مصرعه.

(٢) اذمُروا أنفسكم: من ذمَره على كذا أي حضّه عليه.

(٣) الطّعن الدَّعْسيّ: الذي يُحشى به أجواف الأعداء، وأصل الدَّعس: الحشو، دَعسْتُ الوعاء: حشوْته. والدعسي: اسم من الدعس، أي الطعن الشديد.

(٤) ضرب طِلَخْفِي: بكسر الطاء وفتح اللام، أي شديد. (وعند عبده «الطِّلَّخْفِيّ» بفتحتين فسكون)

(٥) إماتة الأصوات: انقطاعها بالسكوت، أمرهم بها لأنّ شِدّة الضَوْضاء في الحرب أمارة الخوف والوَجَل.

(٦) أقسم أنّ معاوية وعَمْراً ومن والاهما ما أسلموا ولكن استسلموا خوفاً من السيف ونافقوا.

(٧) كتب معاوية إلى عليٍّ يطلب منه أن يترك له الشام، و يدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب، و لم يبق منهم إلّا حشاشات أنفس: جمع حُشاشة، بقية الروح، و يخوّفه بإستواء العدد في رجال الفريقين، و يفتخر بأنّه من أمية، وهو وهاشم من شجرة واحدة، فأجابه أمير المؤمنين بما ترى.

وَقَوْلُكَ: إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ(١) بَقِيَتْ. أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَى ٱلنَّارِ(٢). وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى ٱلشَّكِّ مِنِّي عَلَى ٱلْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ ٱلشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذٰلِكَ نَحْنُ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا ٱلْمُهَاجِرُ كَٱلطَّلِيقِ(٣)، وَلَا ٱلصَّرِيحُ كَٱللَّصِيقِ(٤)، وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَٱلْمُبْطِلِ، وَلَا ٱلْمُؤْمِنُ كَٱلْمُدْغِلِ(٥). وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ(٦).

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا ٱلذَّلِيلَ(٧). وَلَمَّا أَدْخَلَ ٱللَّهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي ٱلدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ ٱلسَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ

---

(١) ويُروى «إلّا حُشاشة نَفْس» بالإفراد، و هو بقيّة الرُّوح في بدن المريض.

(٢) ورُوي: «ألا ومَن أكله الحقّ فإلى النار» و هٰذه الرواية أليق من الرواية المشهورة: لأنّ الحقّ يأكل أهلَ الباطل، وعلى الرواية المشهورة يكون التقدير «أعداء الحقّ» و «أعداء الباطل».

(٣) الطليق: الذي أُسِرَ فأُطلق بالمنّ عليه أو الفدية، و أبو سفيان و معاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح، و المهاجر: من آمن في المخافة و هاجر تخلّصاً منها.

(٤) الصريح: صحيح النسب في ذوي الحسب، واللصيق: مَن ينتمي إليهم و هو أجنبي عنهم. و الصراحة و الالتصاق بالنسبة إلى الدين، فالصريح: مَن أسلَم اعتقاداً و إخلاصاً، و اللّصيق له: مَنْ أسلَم تحتَ السيف أو رغبةً في الدنيا.

(٥) المدغل: المفسد.

(٦) ما عابَ أميرُ المؤمنين عليه السلام معاويةَ بأنّ سَلَفه كفّار فقط، بل بكَوْنه متبعاً لهم.

(٧) أي إذا فَرَضْنا تَساوِيَ الأقدام في مآثِر أسلافكم كان في أيدينا بعدُ الفضلُ عليكم بالنبوّة التي نَعَشْنا بها الخاملَ، و أخملنا بها النّبيه. ونعشنا: رفعنا.

نَصِيباً[١]، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً، وَٱلسَّلَامُ.

١٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبّاسٍ وهو عامِلُهُ على البَصْرَةِ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ[٢]، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالإِحْسَانِ[٣] إِلَيْهِمْ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ[٤]، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ[٥]، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ[٦] فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً[٧]، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ

(*) روى أبو هلال العسكري في (الصناعتين) فقرات منه، والباقلاني في (إعجاز القرآن) ج ١ ص ١٠٣.

(١) ما كتب عليه السلام إليه هذه الرسالة إلّا بعد أن صار للشيطان فيه أوفرُ نصيب، و المراد نهيُه عن دوام ذلك و استمرارِه.

(٢) مَهْبِط إبليس: موضع هُبوطه، و مَغْرِس الفِتَن: موضع غَرْسِها، ويُروى « ومُعَرَّس الفتن» وهو الموضع الذي تنزِل فيه القومُ آخر اللَّيل للاستراحة، يقال: عَرَّسوا وأعْرَسوا.

(٣) فحادِثْ أهلَها: أي تعهّدْهم بالإحسان، من قولك: حادثت السيفَ بالصِّقال.

(٤) التنمّر للقوم: الغِلْظة عليهم، والمعاملة لهم بأخلاق النَّمر، من الجرأة والوثوب، وكان عبد الله بن عباس قد اشتدّ على بني تميم؛ لأنّهم كانوا مع طلحة والزبير يوم الجمل فأقصى كثيراً منهم، فعظم على بعضهم من شيعة الإمام فشكى له.

(٥) غيبوبة النجم: كناية عن الضعف. وطلوعه: كناية عن القوة.

(٦) الوَغم ـ بفتح فسكون ـ : الحرب والتِّرة، والأوْغام: التِّرات. أي لم يسبقهم أحد في البأس، ولم يُهْدَر لهم دمٌ في جاهليّة ولا إسلام، يصفُهم بالشجاعة والحَمِيّة.

(٧) كان بين بني تميم وهاشم مصاهرة وهي تستلزم القرابة بالنسل.

عَلَى قَطِيعَتِهَا. فَارْبَعْ[1] أَبَا ٱلْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ ٱللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ. وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ[2]، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ،[3] وَٱلسَّلَامُ.

١٩ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى بعض عمّاله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ[4] أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَٱحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ[5]، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَٱلْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ ٱللِّينِ تَشُوبُهُ[6] بِطَرَفٍ مِنَ ٱلشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلْقَسْوَةِ وَٱلرَّأْفَةِ[7]، وَٱمْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلْإِدْنَاءِ، وَٱلْإِبْعَادِ وَٱلْإِقْصَاءِ. إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

(*) رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ١٦١، وابن واضح في (تاريخه) ج ٢ ص ١٩٢.

---

(١) «أربع أبا العباس»: أرفق وقف عند حدّ ما تعرف، وتثبّت في جميع ما تعتمدُه فعلاً وقولاً من خيْر وشر، ولا تعجل به فإنّي شريكك فيه إذ أنت عاملي والنائب عنّي. ويعني بالشرّ هنا الضررَ فقط، لا الظلم والفعل القبيح.

(٢) كن عند صالح ظنّي فيك: كن واقفاً عنده كأنّك تشاهِدُه، لتمنعَك مشاهَدَتُه عن فعل ما لا يجوز.

(٣) فال الرأي يفيل، أي ضَعُفَ وأخطأ.

(٤) الدّهاقين: الأكابر والزعماء، أربابُ الأملاك بالسواد، يأمرون مَنْ دونهم ولا يأتمرون، واحدُهم دِهقان، بكسر الدال، ولفظه معرّب.

(٥) لأنْ يُدْنَوْا: لأن يقرّبوا فإنّهم مشركون، ولا لأن يبعدوا فإنّهم معاهدون «ويُجْفَوْا»: يعاملوا بخشونة.

(٦) تشوبه: تخلطه.

(٧) داوِلْ بينهم، أي مرّة هكذا ومرّة هكذا، أمره أن يسلك معهم منهجاً متوسطاً. ويعاملهم معاملةً آخِذةً من كلّ واحدٍ من القسمين بنصيب.

٢٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى زيادِ بن أبيه وهو خليفةُ عاملِه عبدِ اللهِ بن عبّاسٍ على البصرةِ، وعبدُ اللهِ عاملُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام يومئذٍ عليها وعلى كُوَرِ[1] الأهوازِ وفارسَ وكرمانَ

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللّٰهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ[2] الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ[3]، ثَقِيلَ الظَّهْرِ[4]، ضَئِيلَ الْأَمْرِ[5]، وَالسَّلَامُ.

٢١ ـ ومن كتاب له عليه السلام(*)

إلى زيادٍ أيضاً

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ

(*) رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ص١٦٩.

---

(١) كُوَر: جمع كُورة، وهي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان. والأهواز: تسع كُوَر بين البصرة وفارس.

(٢) فيئهم: مالهم من غنيمة أو خراج.

(٣) «لأشدّنّ عليك شدّة» مثلُ قوله: «لأحملنّ عليك حملةً»، والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال. ثم وصف تلك الشدة فقال: «إنّها تتركك قليل الوَفْر» أي أفقرتُ بأخذ ما احتجنت من بيت مال المسلمين، والوفر: المال.

(٤) ثقيل الظهر: أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك.

(٥) الضئيل: الضعيف النحيف، وضئيل الأمر، أي حقير، لأنك إنّما كنت نبيهاً بين الناس بالغنى والثروة، فإذا افتقرت صغرت عندهم، واقتحمتك أعينهم.

ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ[1].

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللَّهُ أَجْرَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي ٱلنَّعِيمِ[2] تَمْنَعُهُ ٱلضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ! وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ[3]، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَٱلسَّلَامُ[4].

٢٢ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عبدِ اللّهِ بن العبّاس ﵁ وكانَ ابنُ عبّاسٍ يقولُ: «ما انتفعْتُ بكلامٍ بعدَ كلامِ رسولِ اللّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كانتفاعي بهذا الكلام»

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ[5]، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ[6]، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ

(*) رواه ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص١٠٧، والكليني في (روضة الكافي) ص٢٤٠، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٢ ص١٤٢، وغيرهم الكثير.

(١) الفضل: ما يفضل من المال فقدّمْهُ ليوم الحاجة كالإعداد ليوم الحرب مثلاً. أو قدّم فضل الاستقامة للحاجة يوم القيامة.

(٢) المتمرّغ في النعيم: المتقلّب فيه.

(٣) أسلف: قدّم في سالف أيامه.

(٤) قلتُ: قبّح الله زياداً فإنّه كافأ إنعام عليّ ﵇ وإحسانه إليه بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبّيه والإسراف في لعنه.

(٥) *يفوته الشيء: يذهب عنه إلى غير رجعة.*

(٦) يقول: كلّ ما يصيب الإنسانَ من نفع وضَرّ فبقضاء من الله وقدره، لكنّ الإنسان يُسَرّ بما يصيبه من النّفع، ويُساء بفوت ما يفوته منه، غير عالم أنّ النفع الذي أصابه كان لابدّ أن يصيبه، وما ←

مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ[1] جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ.

٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام*

قَالَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الوَصِيَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ[2]، أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ[3] أَنَا بِٱلْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ. إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَٱلْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَٱلْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ[4]، فَٱعْفُوا: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

(*) رواه المسعودي في (مروج الذهب) ج ٢ ص ٤٣٦، وفي (إثبات الوصية) ص ١٠٣.

← فاته كان لابد أن يفوته، ولو عرف ذلك حقّ المعرفة لم يفرح ولم يحزن؛ لأنّ المقطوع بحصوله لا يصح الفرح به كالمقطوع بفواته لا يصحّ الحزن له؛ لعدم الفائدة في الثاني ونفي الغائلة في الأول. وبطركه: بناله ويصيبه.

(١) لا تأس: أي لا تحزن.

(٢) أرادﷺ أن يبيّن لأهله وشيعته وقت الوصيّة أنّ المهمّ الأعظم هو التّوحيد، والقيام بما يُعلم من دين محمدﷺ أنّه واجب. ولا عليكم بالإخلال بما عدا ذلك.

(٣) وخلاكم ذمّ: لفظة تقال على سبيل المثل، أي قد أعذرتم، وسَقَطَ عنكم الذم، فعداكم وجاوزكم بعد قيامكم بالوصيّة.

(٤) أومأ إلى أنّه إن سلم عفا، وأومأ أيضاً إلى أنّ العفو منهم ـ أي من الورثة ـ أحسن. ويحمل أمره بالعفو هنا على النّدب.

وَاللّٰهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ ٱلْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ[1]، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ[2]، وَطَالِبٍ وَجَدَ: ﴿وَمَا عِنْدَ ٱللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى: أَقُولُ وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هٰذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطَبِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ هَا هُنَا زِيَادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ.

٢٤ ـ ومن وصية له عليه السلام*

بِمَا يُعْمَلُ فِي أَموالِهِ، كَتَبَهَا بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللّٰهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ[3] ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ اللّٰهِ لِيُولِجَهُ[4] بِهِ ٱلْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ ٱلْأَمَنَةَ[5].

مِنْهَا: فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ[6] يَأْكُلُ مِنْهُ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ

(*) رواها الكليني في (فروع الكافي) ج٧ ص٤٩، وابن شبّة في (تاريخ المدينة المنورة) ص٢٢٥.

(١) أقسم عليه السلام أنّه ما فجأه من الموت أمرٌ أنكرَه، ولا كَرِهه، وفجأني الشيء: أتاني بغتةً.

(٢) القارب: الذي يسير إلى الماء وقد بقي بينه وبين الماء ليلة واحدة، وقال الخليل: «القارب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال لطالبه نهاراً» يُريد عليه السلام أنّه مستعد للموت راغب في لقاء الله، وليس يكره ما يقبل عليه منه.

(٣) استخرج عليٌّ عليه السلام عيوناً بكدّ يده بالمدينة وينبع، وأحيا بها مواتاً كثيراً، ثم أخرجها عن ملكه، وتصدّق بها على المسلمين، ولم يُورِّث بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلّا عبيده وإماءه، وسبعمائة درهم من عطائه، تركها ليشتريَ بها خادماً لأهله.

(٤) يولجه: يدخله.

(٥) الأمَنَة ـ بالتحريك ـ: الأمن، وروي: «ويعطيني به الأمنة».

(٦) جعل للحسن ابنه عليه السلام ولاية صدقات أمواله، وأذن له أن يأكل منه بالمعروف، أي لا يُسرف.

بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ. وَإِنَّ لِابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ. وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّٰهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ[1]. وَيَشْتَرِطُ[2] عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ[3]، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هٰذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً[4] حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.[5] وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي ـ اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ[6] ـ لَهَا وَلَدٌ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا[7] وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ[8].

---

(١) الوصلة ـ بالضم ـ: الصلة، وهي هنا القرابة، وفي هذا رَمْز وازراء بمن صَرَفَ الأمر عن أهل بيت رسول الله ﷺ، مع وجود مَن يصلُح للأمر، أي كان الأليق بالمسلمين أن يجعلوا الرياسة بعده لأهله.

(٢) ضمير الفعل إلى علي أو الحسن، والذي يجعله إليه هو من يتولى المال بعد علي أو الحسن بوصيته.

(٣) ترك المال على أُصوله: أن لا يباع منه شيء، ولا يقطع منه غرس، فيفضي الأمرُ الى خراب الضياع وعُطلة العقار.

(٤) أولاد النخيل: الفُسلان الصِّغار، سمّاها أولاداً، والوَدِيَّة ـ كهَدِيّة ـ: الفَسِيلة، واحدة الودي، أي صغار النخل وهو هنا الفسيل، والسرّ في النهي أنّ النخلة في صغرها لم يستحكم جذعها في الأرض فقلع فسيلها يَضرُّ بها.

(٥) تُشكِلَ أرضها: تمتلئ بالغِراس حتى لا يَبقى فيه طريقة واضحة.

(٦) «أطوفُ عليهن» كناية لطيفة عن غِشْيان النساء.

(٧) «فتمسك على ولدها» أي تقوّم عليه بقيمة الوقت الحاضر، وهي من حظّه،أي من نصيبه من التركة، فإذا بِيعتْ عليه عتقتْ عليه، لأنَّ الولد إذا اشترى الوالدَ عتق الوالدُ عنه.

(٨) قال: فإن مات ولدها وهي حيّة بعد أن تقوّم عليه فلا يجوز بيعها لأنّها خرجت عن الرّق بانتقالها إلى ولدها، فلا يجوز بيعُها.

قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّضِيُّ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى: قوله عليه السلام في هٰذِهِ ٱلوَصِيَّةِ «وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّةً» ٱلْوَدِيَّةُ: ٱلْفَسِيلَةُ، وَجَمْعُهَا وَدِيٌّ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً» هُوَ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ، وَٱلْمُرَادُ بِهِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ ٱلنَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ ٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي عَرَفَهَا بِهَا، فَيُشْكِلَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسَبُهَا غَيْرَهَا.

٢٥ - ومن وصية له عليه السلام*

كان يكتُبُها لمَنْ يستعمِلُهُ على الصَّدَقاتِ
وإنّما ذكرنا هنا جُمَلاً منها ليُعلمَ بها أنّه عليه السلام كـان يُقيمُ عِمادَ الحَقِّ ويَشْرَعُ أمثلةَ العَدْلِ في صَغيرِ الأُمورِ وكَبيرِها ودَقيقِهَا وجَليلِها

أَنْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى ٱللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً[1]، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً[2]، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ ٱللهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى ٱلْحَيِّ فَٱنْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ[3]، ثُمَّ ٱمْضِ إِلَيْهِمْ بِٱلسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ[4]، وَلَا تُخْدِجْ[5] بِٱلتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ ٱللهِ،

(*) رواها الكليني في (فروع الكافي) ج٣ ص٥٣٦، والثقفي في (الغارات)، والمفيد في (المقنعة) ص٢٥٤.

---

(١) لا تُرَوِّعَنَّ: أي لا تُفَزِّعَنّ، والرَّوع: الفَزَع، روّعته ترويعاً: خوّفته.

(٢) الاجتياز: المرور، أي لا تَمُرَّنَّ ببيوت أحدٍ من المسلمين بكره مُرورك، والهاء في «عليه» ترجع إلى «مُسلماً».

(٣) لأنّ الغريبَ يُحمَد منه الانقباض، ويُستهجَن في القادم أن يُخالط بيوت الحيّ الذي قدم عليه.

(٤) أمره أن يمضيَ إليهم غير متسرّع ولا عجل ولا طائش نزِق.

(٥) غير مخدَجة: أي غير ناقصة، أخدجَتِ الناقةُ إذا جاءت بولَدها ناقصَ الخَلْق وإن كانت←

أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ ٱللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ ٱللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ(١)، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ(٢) مُنْعِمٌ فَٱنْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ، أَوْ تَعْسِفَهُ(٣) أَوْ تُرْهِقَهُ. فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ. فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ(٤)، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ، وَلَا عَنِيفٍ بِهِ. وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا(٥)، وَٱصْدَعِ ٱلْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ(٦)، فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ. ثُمَّ ٱصْدَعِ ٱلْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ(٧). فَلَا تَزَالُ كَذَٰلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ ٱللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَٱقْبِضْ حَقَّ ٱللَّهِ مِنْهُ. فَإِنِ ٱسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ ٱخْلِطْهُمَا ثُمَّ ٱصْنَعْ مِثْلَ ٱلَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ ٱللَّهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ

← أيامه تامّة، وخَدَجتْ: ألقت الولدَ قبل تمام أيّامه، وأخدَجتِ السحابةُ: قلّ مطرها، والمراد من قوله: «لا تُخدِج بالتحية لهم» لا تبخل بها عليهم، وحيِّهم تحيّة كاملةً.

(١) لأنّ القولَ قولُ ربِّ المال، فلعلّه قد أخرج الزكاة قبل وصول المصدِّق إليه.

(٢) وأنعمَ لك: أي قال: نعم.

(٣) تعسفه: تأخذه بشدة، وأصل العَسْف: الأخذ على غير الطريق. «ولا تُرهِقَهُ» لا تكلّفه العُسْرَ والمشقّة.

(٤) «فإنّ أكثرَها له» كلام لا مزيدَ عليه من الفصاحة والرّياسة والدّين، وذلك لأنّ الصدقة المستَحَقّة جزءٌ يسيرٌ من النّصاب، والشريك إذا كان له الأكثر حَرُم عليه أن يدخل ويتصرّف إلّا بإذن شريكه، فكيف إذا كان له الأقلّ.

(٥) «ولا تسوءنّ صاحبَها فيها» أي لا تغمّوه ولا تُحزنوه.

(٦) اقسمه قسمين ثم خيِّر صاحب المال في أيّهما، فإذا اختار أحد القسمين فلا تعرّضنّ لما اختار.

(٧) أي فإن ظنّ في نفسه سوء الاختيار وأنّ ما أخذت منه الزكاة أكرم مما في يده، وطلب الإعفاء من هذه القسمة، فأعفه منها واخلط وأعد القسمة.

عَوْداً[1] وَلاَ هَرِمَةً وَلاَ مَكْسُورَةً[2] وَلاَ مَهْلُوسَةً[3]، وَلاَ ذَاتَ عَوَارٍ[4]، وَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقاً بِمَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّفٍ[5] وَلاَ مُجْحِفٍ[6]، وَلاَمُلْغِبٍ[7] وَلاَ مُتْعِبٍ. ثُمَّ ٱحْدُرْ إِلَيْنَا مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ[8]، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللّٰهُ. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا[9]، وَلاَ يَمْصُرَ[10] لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذٰلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذٰلِكَ[11] وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى ٱللاَّغِبِ[12]، وَلْيَسْتَأْنِ[13] بِالنَّقِبِ[14] وَٱلظَّالِعِ[15]، وَلْيُورِدْهَا مَا

(١) العَوْد: المُسِنّ من الإبل، والهرمة: المسنّة أيضاً، بل أسنّ من العود.

(٢) المكسورة: التي أحد قوائمها مكسورة العظم أو ظهرها مكسور.

(٣) المهْلوسة: الضعيفة المريضة، قد هَلَسها المرض وأفنى لحمها، هلسه المرض: أضعفه، والهُلاس: السلّ.

(٤) العَوار ـ بفتح العين ـ: العَيْب، وقد جاء بالضمّ.

(٥) المعنِّف: ذو العُنْف ـ بالضم ـ وهو ضد الرِّفق.

(٦) المجْحِف: الذي يسوق المال ـ أي الإبل ـ سوْقاً عنيفاً فيجحف به، أي يهلكه، أو يذهب كثيراً من لحْمه.

(٧) المُلْغِب: المُتعِب، الذي يعني غيره ويتعبه، واللُّغوب: الإعياء.

(٨) حَدَرَ يَحْدُر ـ كنصر ويضرب ـ: أسرع، والمراد: سُقْ إلينا سريعاً.

(٩) فَصيل الناقة: ولدها وهو رضيع.

(١٠) المَصْر: حَلْب ما في الضرع جميعه، نهاه من أن يحلب اللّبن كلّه فيبقى الفصيلُ جائعاً.

(١١) أمَرَه أن يعدل بين الركاب في ذلك، لا يخص بالركوب واحدةً بعينها؛ ليكون ذلك أرْوَح لهنّ.

(١٢) ليُرَفِّهْ على اللاّغب: أي ليرح ما أُلْغِب، أي أعياه التعب، فيتركه ويعفه عن الركوب ليستريح. والرفاهيَة: الدّعَة والراحَة.

(١٣) ليستأن: أي يرفق، من «الأناة» بمعنى الرفق والمُهلة.

(١٤) النَّقِب: ذو النَّقَب، وهو رقّة خُفّ البعير حتى تكاد الأرضُ تَجرحه.

(١٥) الضالع: الذي ضَلَعَ، أي غمز في مَشْيه.

تَمُرُّ بِهِ مِنَ ٱلْغُدُرِ[1]، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ ٱلْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ ٱلطُّرُقِ[2]، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي ٱلسَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ ٱلنِّطَافِ[3] وَٱلْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ ٱللَّهِ بُدَّناً[4] مُنْقِيَاتٍ[5]، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ ٱللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ. إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

٢٦ ـ ومن عهد له عليه السلام

إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ، وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَا شَاهِدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ.

وَآمُرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ[6] إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى ٱلْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ

---

(١) الغُدُر: جمع غدير الماء، وهو ما غادره السيل من المياه.

(٢) جوادَّ الطريق: حيث لا ينبت المرعَى.

(٣) النِّطاف: جمع نطفة، وهي الماء الصافي القليل، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل.

(٤) البُدّن ـ بالتشديد ـ: السِّمان، واحدها بادن.

(٥) المُنْقِيات: ذواتُ نِقْي، وهو المُخّ في العَظْم، والشحم في العَين من السِّمن، وأنقَت الإبلُ وغيرُها: سَمِنَتْ وصار فيها نِقْيٌ.

(٦) «فيخالف» هو منصبٌ النهي، أي لا ينافق فيعْمَل الطاعة في الظاهر، والمعصية في الباطن.

ٱلْعِبَادَةَ. وَآمُرُهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ[1]، وَلَا يَعْضَهَهُمْ[2]، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ[3] تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ ٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلْأَعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ[4]. وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ ٱلصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ. وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَبُؤْسَى[5] لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلْفُقَرَاءُ وَٱلْمَسَاكِينُ، وَٱلسَّائِلُونَ وَٱلْمَدْفُوعُونَ[6]، وَٱلْغَارِمُونَ[7] وَٱبْنُ ٱلسَّبِيلِ[8]! وَمَنِ ٱسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي ٱلْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ ٱلذُّلَّ وَٱلْخِزْيَ فِي ٱلدُّنْيَا[9]، وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى. وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيَانَةِ خِيَانَةُ ٱلْأُمَّةِ[10]، وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ ٱلْأَئِمَّةِ، وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) وألّا يجبَهَهم: لا يواجههم بما يكرهونه، وأصل الجَبْهِ لقاءُ الجَبْهة أو ضَرْبُها، فلمّا كان المواجِه غيرَه بالكلام القبيح كالضارب جبهتَه به سُمّي بذلك جَبْهاً.

(٢) ولا يعضههم: أي لا يرميهم بالبهتان والكذب، يقال: عَضِهتَ يا فلان، أي جئتَ بالبهتان.

(٣) أي لا يتجافى، يقال: «فلان يرغَب عن القوم» أي يأنف من الانتماء إليهم أو من مخالطتهم.

(٤) لأنّ الحق إنّما يمكن استيفاؤه بمعاونة ربِّ المال واعترافه به، ودفعه الى العامل.

(٥) بُؤْسَى، على وزن فُعْلَى، (وفي نسخة عبده: بؤساً) وبَئِسَ ـ كسَمِعَ ـ بؤساً: اشتدت حاجته، ومن كان خصمه الفقراء فلابد أن ييأس: لأنّهم لا يعفون ولا يتسامحون في حقهم لتقرّح قلوبهم من المنع عند الحاجة.

(٦) المدفوع: الفقير؛ لأنّ كلّ أحد يكرَهه ويَدفعه عن نفسه، وقيل: هم الحجيج المنقطع بهم، دُفِعوا عن إتمام حجّهم، أو عن العَوْد إلى أهلهم.

(٧) الغارمونَ: الذين ركبتْهم الدّيونُ.

(٨) ابنُ السبيل: المسافر المنقطع عن ماله.

(٩) أي جعل نفسه محلّاً لهما، *والخِزْي: أشدّ الذّلّ*، جمع خَزية ـ بفتح الخاء ـ أي بليّة.

(١٠) لأنّ الساعيَ إذا خان فقد خان الأمّة كلّها، وإذا غشّ في الصدقة فقد غشّ الإمام.

٢٧ ـ ومن عهد له عليه السلام*

إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ قَلَّدَهُ مِصْرَ

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[1] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ. حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ[2]، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ[3]، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ. فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ. فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ[4]. وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ

(*) رواه الثقفي في (الغارات) ص ٢٣٢، وابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٧٦، والمفيد في (المجالس) ص ١٣٧، وابن ورام في (مجموعته) ص ١٢ وص ٤٨٩.

---

(١) آسِ: أمر من آسى ـ بمد الهمزة ـ أي سوّى، يريد اجعل بعضهم أُسوة ببعض، أي مستوين، لا تفضّل بعضهم على بعض في اللّحظة والنظرة فضلاً عن العطاء والإنعام والتقريب.

(٢) حَيْفِكَ لهم: أي ظلمك؛ لأنّهم يطمعون في ذلك إذا خصصتهم بشيء من الرعاية.

(٣) فإن يعذب فأنتم أظلم: أفعل هنا بمعنى الصفة، لا بمعنى التفضيل، وإنّما يراد فأنتم الظالمون.

(٤) المترفون: المنعّمون، فإنّ المتقي يؤدي حقّ الله وحقوق العباد، ويتلذذ بما آتاه الله من النعمة، وينفق ماله فيما يرفع شأنه، ويعلي كلمته، فيعيش سعيداً مترفاً كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذي يبلغه سعادة الآخرة، جزاء على رعاية حقّ نفسه، ومنفعتها الصحيحة فيما أتي من الدنيا، وهو بهذا يكون زاهداً في الدنيا وهي مغدقة عليه.

ٱلْمُبَلِّغِ، وَٱلْمَتْجَرِ ٱلرَّابِحِ. أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ ٱلدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللَّهِ(١) غَداً فِي آخِرَتِهِمْ. لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ. فَٱحْذَرُوا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ. فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً. فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا!(٢) وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلنَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ ٱلْمَوْتِ(٣)، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ. ٱلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ(٤)؛ وَٱلدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ. فَٱحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ. وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ ٱللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَٱجْمَعُوا بَيْنَهُمَا(٥)، فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ(٦)، وَإِنَّ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ ظَنّاً بِٱللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ.

---

(١) ظاهر اللفظ غيرُ مراد، لأنَّ الباريْ تعالى ليس لي مكان وجهة ليكونوا جيرانَه، ولكن لمّا كان الجار يُكرِم جاره سمّاهم جيران الله، لإكرامه لهم.

(٢) استفهام بمعنى النفي، أي لا أقرب الى الجنة ممن يعمل لما ألخ. و«من عاملها» أي من العامل لها.

(٣) طُرداء الموت: جمع طَريد، أي يطردكم عن أوطانكم ويُخرجكم منها.

(٤) معقودٌ بنواصيكم: أي ملازمٌ لكم، كالشيء المعقود بناصية الإنسان أين ذهب ذهبَ معه. والنواصي: جمع ناصية، مقدّم شعر الرأس.

(٥) الجمع بين حُسن الظن بالله وبين الخوف منه مقامٌ جليل لا يصل إليه إلّا كلُّ ضامر مهزول. قال علي بن الحسين عليه السلام: لو أنزل الله عزّوجلّ كتاباً أنّه معذِّب رجلاً واحداً لخفتُ أن أكونه، وأنّه راحمٌ رجلاً لرجوتُ أن أكونَه، أو أنّه معذِّبي لا محالة ما ازددتُ إلّا اجتهاداً لئلّا أرجع الى نفسي بلائمة.

(٦) فإنّ من خاف ربّه وعمل لطاعته وانتهى عن معصيته فرجا ثوابه بخلاف مَنْ لم يخفه، فإنّ رجاءه يكون طمعاً في غير مطمع، نعوذ بالله منه.

وَاعْلَمْ - يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي[1] فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ. فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ[2]، وَأَنْ تُنَافِحَ[3] عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ. وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.[4]

صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ.

وَمِنْ هذا الْعَهْدِ: فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى[5]، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ. وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ[6]، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ. وَلٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ[7]، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

---

(١) يقال للأقاليم والأطراف: أجناد، تقول: وَلِيَ جُندَ الشام، وولي جندَ مصر.

(٢) «فأنت محقوقٌ أن تُخالِفَ على نفسك» كقولك: حَقِيق وجَدير وخَلِيق، أي مطالب بحق بمخالفتك شهوة نفسك.

(٣) تُنافِح: تُجالِد نافحتُ بالسيف أي خاصمتُ به، والمنافحة: المضاربة والمجالدة.

(٤) إذا فقدت مخلوقاً ففي فضل الله عوض عنه، وليس في خلق الله عوض عن الله.

(٥) الإشارة بإمام الهُدى إليه نفسه، وبإمام الرَّدى إلى معاوية، وسمّاه إماماً كما سمّى الله تعالى أهل الضَّلال أئمّة، فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ القصص ٤١، ثم وصفه بأنّه عدوّ النبي ﷺ، لقوله ﷺ له ﷺ: عدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله.

(٦) أي يمنعه الله بإيمانه أن يُضِلّ الناس. والمشرك يقمعه الله ويقهره بإظهار شِركه ويَخذُله، أي يقهره لعلم الناس أنّه مشرك فيحذرونه.

(٧) منافق الجَنان: من أسرّ النفاق في قلبه. وعالم اللسان: مَن يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها، فيقول حقاً يعرفه المؤمنون، ويفعل منكراً ينكرونه.

٢٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَةَ جَوَاباً، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ ٱصْطِفَاءَ ٱللَّهِ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً[1]؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا[2]، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا. فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ ٱلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ[3]، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى ٱلنِّضَالِ[4].

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ[5]؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ[6]، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ. وَمَا أَنْتَ وَٱلْفَاضِلَ وَٱلْمَفْضُولَ، وَٱلسَّائِسَ وَٱلْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ ٱلطُّلَقَاءِ، وَٱلتَّمْيِيزَ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ

(*) رواه القلقشندي في (صبح الأعشى) ج ١ ص ٢٢٩، والنويري في (نهاية الإرب) ج ٧ ص ٢٣٣.

(١) خبّأ عجباً: أخفى أمراً عجيباً ثم أظهره، وموضع التعجّب أنّ معاوية يُخبر علياً عليه السلام باصطفاء الله تعالى محمداً وتشريفه، وهذا طريف، إذ كان النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام كالشيء الواحد.

(٢) طَفِقْت: أخذت. وبلاءُ الله تعالى: إنعامُه وإحسانه، وعطفُ «النعمة» على «البلاء» تفسير.

(٣) «كناقِلِ التمر الى هَجَر» مثلٌ قديم لناقل الشيء الى معدنه، وهَجَر: مدينة بالبحرين كثيرة النخل يُحمل منها التمر الى غيرها.

(٤) المُسدِّد: معلّم رمي السهام، وسدَّدتُ فلاناً: علّمته النِّضال، وسهمٌ سَديد: مصيب، والنضال: المراماة، أي كمن يدعو أستاذه في فن المناضلة، وهو مثل للمتعالم على معلّمه

(٥) أي أبو بكر وعمر.

(٦) إن صحَّ ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه فأنت عنه بمعزل. وثلمه: عيبه.

ٱلْأَوَّلِينَ(١)، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا(٢)، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمُ لَهَا!(٣) أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ(٤)، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ(٥)، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ ٱلْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ ٱلْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ ٱلظَّافِرِ؛ فَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي ٱلتِّيهِ(٦)، رَوَّاغٌ عَنِ ٱلْقَصْدِ(٧).

---

(١) يريد أيّ حقيقة تكون لك مع هؤلاء، أي ليست لك ماهية تذكر بينهم. والطلقاء: الذين أُسروا بالحرب ثم أُطلقوا، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية، والمهاجرون: من نصروا الدين.

(٢) وهيهات، حنَّ قِدْحٌ ليس منها، هذا مَثَلٌ يضرَب لمن يُدخل نفسه بين قوم ليس له أن يَدخُل بينهم، وأصله القِداح من عودٍ واحد يجعَل فيها قِدْح من غير ذلك الخشب، فيصوّت بينها إذا أرادها المفيض، فذلك الصوت حنينُه. وحنَّ: صوَّت. والقِدح ـ بالكسر ـ: السهم. وإذا كان السهم يخالف السهام كان له صوت عند الرمي يخالف أصواتها* يضرب لمن يفتخر بقوم وليس منهم. وأصل المثل لعمر بن الخطاب، قال له عقبة بن أبي مُعيط: «أأقتل من بين قريش؟» فأجابه: «حنّ قدح ليس منها».

(٣) أي وطفق يحكُم في هذه القضية مَنْ يجب أن يكون الحكم لها عليه لا له فيها.

(٤) أي ألَا ترْفُق بنفسك، ولا تحمل عليها ما لا تطيقُه، يقال: أربع على ظَلْعك، أي قف عند حدّك. والظَّلْع: مصدر «ظَلَع البعير يظلَع» أي غمز في مشيته.

(٥) أصل الذرْع: بسْط اليد، ويقال للمقدار.

(٦) «ذهّاب» فعّال، للتكثير، أي كثير الذهاب، ويحتمل قولهﷺ في التّيه معنيين: أحدهما بمعنى الكِبر، والآخر التيه، من قولك: «تاه فلان في البيداء» والثاني أحسن، يقول: إنّك شديد الإيغال في الضلال. يقال: أرض متيهة، أي يُتاهُ فيها.

(٧) الروّاغ: الميّال. والقصد: الاعتدال، أي تترك مايلزمك فعلُه وتعدل عمّا يجب عليك أن تجيب عنه إلى حديث الصحابة.

---

* قال النيسابوري في مجمع الأمثال: «القِدْح أحد قداح الميسر. وإذا كان أحد القِداح من غير جوهر أخواته ثم أجاله المفيض (الضارب بالأقداح) خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف أنّه ليس من جملة القداح. وتمثّل عمر به...». ويظهر من ذلك أن شارح محمد عبده ـ ودعاه شارحاً ـ في معنى المثل. وكذلك في أصل المثل، إذ أنّ عمر تمثّل به لا أنّه الأصل يعود إليه.

أَلَا تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ ٱللّٰهِ أُحَدِّثُ[1] ـ أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ تَعَالَى مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ ٱلشُّهَدَاءِ[2]، وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ! أَوَ لَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا[3] مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: ٱلطَّيَّارُ فِي ٱلْجَنَّةِ وَذُو ٱلْجَنَاحَيْنِ! وَلَوْلَا مَا نَهَى ٱللّٰهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً[4]، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ ٱلسَّامِعِينَ[5].

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ ٱلرَّمِيَّةُ[6]، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَٱلنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا[7].

---

(١) لستَ عندي أهلاً لأن أخبرك بذلك أيضاً؛ فإنك تعلمه، ولكن أذكر ذلك لأنه تحدُّثٌ بنعمة الله علينا.

(٢) المراد هنا سيّد الشهداء حمزة ﷺ، استشهد في أُحد، والقائل رسول الله ﷺ، وينبغي أن يُحمَل قول النبي ﷺ فيه إنّه سيد الشهداء على أنه سيّد الشهداء في حياة النبي ﷺ؛ لأنّ علياً ﷺ مات شهيداً، ولا يجوز أن يقال: حمزة سيّده، بل هو سيّد المسلمين كلُّهم

(٣) واحدنا هو جعفر بن أبي طالب أخو الإمام، استشهد في مؤتة.

(٤) قوله: «ولولا ما نهى الله عنه» هذا إشارة إلى نفسه ﷺ. جمّة: أي كثيرة.

(٥) لا تمجُّها: أي لا تقذفها، يقال: «مَجَّ الرجل من فيه» أي قذفه.

(٦) الرمية: الصيد يرميه الصائد. ومالت به: خالفت قصده فاتبعها، مَثَل يضرب لمن اعوجّ غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه، والمعنى: دَعْ ذِكْر من مالَ الى الدنيا ومالت به، أي أمالته إليها.

(٧) قوله: «فإنّا صنائع ربِّنا، والناس بعدُ صنائعُ لنا»: هذا الكلام عظيم، عالٍ عن الكلام، ومعناه عالٍ على المعاني، وصنيعة الملك: من يصطنعُه الملك ويرفع قدرَه، وأصل الصنيع من تصنعه لنفسك بالإحسان حتى خصصته بك كأنّه عمل يدك. يقول ﷺ: ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقامٌ جليل ظاهره ماسمعت، وباطنه أنّهم عبيد الله، وأنّ الناس عبيدهم؛ إذ أنّ آل النبي أسراء إحسان الله عليهم، والناس أسراء فضلهم بعد ذلك.

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ(1) عِزِّنَا، وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا(2) عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا(3)، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ ٱلْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ(4). وَأَنَّى يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ وَمِنَّا ٱلنَّبِيُّ وَمِنْكُمُ ٱلْمُكَذِّبُ(5)، وَمِنَّا أَسَدُ ٱللّٰهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ ٱلْأَحْلَافِ(6)، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ(7) وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ ٱلنَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ(8)، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!(9) فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ(10)، وَكِتَابُ

---

(١) «قديم» مفعول «يمنع».

(٢) العادي: القديم، ومنه بئرٌ عاديّة. والطَّوْل ـ بفتح فسكون ـ: الفضل.

(٣) «أن خالطناكم» فاعل يمنع.

(٤) الأكفاء: جمع كفؤ ـ بالضم ـ: النظير في الشرف، يقول (ع): تزوّجنا فيكم وتزوّجتم فينا كما يفعل الأكفاء، ولستم أكفاءنا.

(٥) المكذِّب يعني أبا سفيانَ بن حرب*.

(٦) «أسد الله» يعني حمزة، و«أسد الأحلاف» يعني عُتبة بن ربيعة.

(٧) «سيّدا شباب أهل الجنّة» يعني حَسَناً وحسيناً (ع)، و«صبية النار» هذه الكلمة قالها النبي ﷺ لعُقْبة بن أبي مُعَيط حين قتله صَبْراً يوم بَدْر، وقد قال كالمستعطف له: مَنْ للصبية يامحمّد؟ قال: النار**.

(٨) «خير نساء العالمين» يعني فاطمة (ع)، نصّ رسولُ اللّه ﷺ على ذلك؛ لا خلاف فيه. و«حمّالة الحطب» هي أمّ جميل بنت حَرْب بن أميّة، امرأة أبي لهب.

(٩) أي هذه الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليل في كثير ممّا لنا وعليكم، وأنا قادر على أن أذكر من هذا شيئاً كثيراً، ولكنّي أكتفي بما ذكرت.

(١٠) أي شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد.

---

* قال الشيخ محمد عبده وتبعه الصالح: «المكذّب» أبو جهل، وهو قول عارٍ عن الصحة؛ لأنّ أبا جهل بن هشام من بني مخزوم وليس من بني أميّة.

** قال الشيخ عبده وتبعه الصالح ـ كلاهما ـ: «صبية النار» قيل هم أولاد مروان بن الحكم. وقد عاب ابن أبي الحديد على الراوندي هذا الرأي. وقال التستري: ولا ريب أنّ المراد ما قاله ابن أبي الحديد.

اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَجُوا عَلَيْهِم[1]، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا *[2]

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ[3]؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[4] فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ!

---

(١) يوم السقيفة عندما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبيﷺ ليختاروا خليفة له، وطلب الأنصار أن يكون لهم نصيب في الخلافة، فاحتج المهاجرون عليهم بأنهم شجرة الرسول ففلجوا، أي ظفروا بهم، فظفر المهاجرين بهذه الحجّة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية، لأنّ الإمام من ثمرة شجرة الرسول، فإن لم تكن حجّة المهاجرين بالنبيّ صحيحة فالأنصار قائمون على دعواهم من حقّ الخلافة، فليس لمثل معاوية حقّ فيها؛ لأنّه أجنبي عنهم.

(٢) شكاة ـ بالفتح ـ: أي نقيصة، وأصلها المرض. وظاهر: من ظهره إذا صار ظهراً، إي خلفاً، أي بعيد. والشطر لأبي ذؤيب، وأول البيت: وعيّرها الواشون أنّي أحبّها.

(٣) الخِشاش ـ ككتاب ـ: ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد، وخششت البعير: جعلت في أنفه الخشاش، طعن معاوية على الإمام بأنه كان يُجْبَر على مبايعة السابقين من الخلفاء.

(٤) الغضاضة: النقص.

وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا[1]، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ[2] مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ[3]. فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ[4]، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمْ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ[5] وَاسْتَكَفَّهُ[6]، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ[7]، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ! كَلَّا وَاللهِ لَـ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ[8] مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾. وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً[9]؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ: فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ *[10]

وَمَا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

---

(١) يحتجّ الإمام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق، أمّا معاوية فهو منقطع عن جرثومة الأمر، فلا حاجة للاحتجاج عليه.

(٢) سنح: أي ظهر وعرض.

(٣) لِرَحِمِكَ منه: لقرابتك منه يصحّ الجدال معك فيه.

(٤) أعدى: أشدّ عدواناً. والمَقاتل: وجوه القتل.

(٥) من بذل النصرة هو الإمام، واستقعده عثمان: أي طلب قعوده ولم يقبل نصره.

(٦) استكفّه: طلب كفّه عن النصرة.

(٧) استنصر عثمان بعشيرته من بني أميّة كمعاوية فخذلوه وخلّوا بينه وبين الموت، فكأنّما بثوا المَنون: أي أفضوا بها إليه.

(٨) المعوّقين: المانعون من النصرة.

(٩) نقمَ عليه ـ كضرَبَ ـ: عاب عليه، والأحداث: جمع حدث، البدعة.

(١٠) الظِّنّة ـ بالكسر ـ: التهمة. والمتنصّح: المبالغ في النصح لمن لا ينتصح، أي ربما تنشأ التهمة من إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها. وصدر البيت: وكم سقت في آثاركم من نصيحة.

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا ٱلسَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ ٱسْتِعْبَارٍ![1] مَتَى أَلْفَيْتَ[2] بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ[3]، وَبِٱلسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ ؟!

فَ « لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ ٱلْهَيْجَا حَمَلْ »[4]

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ[5] فِي جَحْفَلٍ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَٱلتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ[6]، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ[7]، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ ٱلْمَوْتِ[8]؛ أَحَبُّ ٱللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ. وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ[9]، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ[10] ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

---

(١) الاستعبار: البكاء، فقوله «يُبكي» من جهة أنه إصرار على غير الحق وتفريق في الدين. ويُضحك لتهديد من لا يُهدَّد.

(٢) ألفيت: وجدت.

(٣) ناكلين: متأخرين.

(٤) لَبِّث ـ بتشديد الباء ـ: فعل أمر من «لَبَّث» إذا استزاد لبثه، أي مكثه، يريد أمهل. والهَيْجاء: الحرب. وحَمَل ـ بالتحريك ـ: هو ابن بدر، رجل من قشير أُغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها، وقال:

لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ ٱلْهَيْجَا حَمَلْ ... لا بَأْسَ بِالموتِ إِذَا ٱلْمَوْتُ نَزَلْ

فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب.

(٥) مُرْقِل: مسرع. والجَحْفَل: الجيش العظيم.

(٦) «شديد زحامهم» صفة لجحفل.

(٧) الساطع: المنتشر. والقَتام ـ بالفتح ـ: الغبار.

(٨) متسربلين: لابسين لباس الموت كأنّهم في أكفانهم.

(٩) بدْرِيّة: من ذراري أهل بدر.

(١٠) أخوه: حنظلة، وخاله: الوليد بن عتبة، وجدّه: عتبة بن ربيعة.

٢٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام (*)

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ (١) وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوا عَنْهُ (٢)، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ (٣)، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ (٤)، وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ (٥)، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي (٦)، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي (٧)، وَرَحَلْتُ رِكَابِي (٨). وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ (٩)؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ

(*) ذكره ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) ص ٤٠٣.

---

(١) انتشار الحبل: تفرّق طاقاته وانحلال فتله، مجاز عن التفرّق.

(٢) غبا عنه: جهله، وما لم تغبوا عنه؛ أي لم تسهوا ولم تغفلوا، يقول لهم: «قد كان من خروجكم يومَ الجمل عن الطاعة ونشرِكم حبلَ الجماعة، وشقاقِكم لي ما لستم أغبياء عنه، فغفرت ورفعت السيف، وقبلت التوبة والإنابة».

(٣) المُدْبِر هنا: الهارب، والمُقْبِل: الذي لم يفرّ؛ لكن جاءنا فاعتذر وتنصّل.

(٤) خَطَتْ: تجاوزت. والمردية: المهلكة.

(٥) سفه الآراء: ضعفها. والجائرة: العادلة عن الصواب المائلة عن الحقّ.

(٦) المنابذة: المخالفة، مفاعلة، من نبذتُ إليه عهدَه، أي ألقيتُه وعدلت من السِّلم الى الحرب، أو من نبذت زيداً، أي اطّرحته ولم أحفل به.

(٧) قرّبت جيادي: أي أمرت بتقريب خيلي إليّ لأركب وأسير إليكم.

(٨) الركاب: الإبل. ورحلتها: اشددت على ظهرها الرّحل.

(٩) هي في السهولة وسرعة الانتهاء كلَعقة لاعق، وهو مثل يضرب للشيء الحقير التافه، ويُروى بضم اللام، وهي ما تأخذه الملعقة، أي اللحسة.

فَضْلَهُ، وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ(١).

٣٠ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَة

فَاتَّقِ ٱللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً(٢)، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً(٣)، يَرِدُهَا ٱلْأَكْيَاسُ(٤)، وَيُخَالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ(٥)؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ ٱلْحَقِّ(٦)، وَخَبَطَ فِي ٱلتِّيهِ(٧)، وَغَيَّرَ ٱللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ.

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ ٱللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ(٨)، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ(٩)، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً(١٠)، وَأَقْحَمَتْكَ

(*) رواه السيد العلوي في (الطراز) ج ٢ ص ١٢٣.

---

(١) الناكث: ناقض عهده، أي عاقبت لما عاقبت البريء بالسقيم، ولأخذت الوفيّ بالناكث.

(٢) المحجّة: الطريق الواضحة. والنهجة: الواضحة كذلك.

(٣) غاية مُطَّلَبَة: أي مساعفة لطالبها بما يطلبه.

(٤) الأكياس: العقلاء، جمع كَيِّس، كسيِّد.

(٥) الأنكاس: جمع نِكْس، وهو الدنيء الخسيس من الرجال.

(٦) نكب عنها: عَدَل. وجار: مال.

(٧) خبط: مشى على غير هداية. والتيه: الضلال.

(٨) كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف: حيث أنت، أي قف حيث أنت.

(٩) أجريت مطيتك مسرعاً الى غاية الخسران، يقال: فلان قد أجرى بكلامه الى كذا، أي الغاية التي يقصدها هي كذا، مأخوذ من إجراء الخيل للمسابقة.

(١٠) أولجتك: أدخلتك. ويُروى: «أوحلتك» أي أورطتك في الوحل.

غَيّاً[1]، وَأَوْرَدَتْكَ ٱلْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَسَالِكَ[2].

٣١ - ومن وصيته عليه السلام*

لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ[3] كَتَبَهَا إِلَيهِ بِحَاضِرِينَ[4] عِنْدَ انْصِرافِهِ مِنْ صِفِّينَ

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ، ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[5]، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ[6]، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ،

(*) رواه الكليني في كتاب (الرسائل)، وابن عبد ربّه في (العقد الفريد) ج ٣ص ١٥٥ و١٥٦.

---

(١) الغيّ: ضد الرشاد، وأقحمتك غيّاً: رمت بك في الغي وجعلتك مقتحماً له.

(٢) أوعرت: أخشنت وصعّبت وجعلتها وعرة.

(٣) ولد الحسن بن علي عليه السلام للنصف من شهر رمضان، السنة الثالثة من الهجرة، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله حسناً. روت زينب بنت أبي رافع، قالت: أتت فاطمة عليها السلام بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكوه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك، فورّثهما شيئاً، فقال: أمّا حسن فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين فإنّ له جراءتي وجودي.
حجّ الحسن عليه السلام خمس عشرة حجّة ماشياً تقاد الجنائب معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عزّوجل ثلاث مرّات ماله، حتى إنّه كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً.
قال المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوماً، وكان سنّه سبعاً وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن عليه السلام.
قال ابن عباس رضي الله عنه: أوّل ذلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام.

(٤) حاضرين: اسم بلدة في نواحي صفّين، وكنّا نقرؤه قديماً «بالحاضرَيْن» يعني حاضر حلب وحاضر قِنّسرين، أما «حاضِرين» فلم أجدها في الكتب المصنّفة.

(٥) المقرّ للزمان: المعترف له بالشدّة المقرّ له بالغلبة، كأنّه جعل نفسه فيما مضى خصماً للزمان بالقهر.

(٦) المدبر العمر: لأنّه كان قد جاوز الستين، وهي نصف العمر الطبيعي الذي قلّ أن يبلغه أحدٌ، فعلى تقدير أنّه يبلغه، فكلّ ما بعد الستين أقلّ مما مضى، فلا جرم يكون العمر قد أدبر.

ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا*، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى(١)، ٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً(٢)، إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرَكُ(٣)، ٱلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ(٤)، وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ(٥)، وَرَمِيَّةِ(٦) ٱلْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا، وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ، وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا، وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ، وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ، وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ ٱلْآفَاتِ(٧)، وَصَرِيعِ(٨) ٱلشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ(٩)، وَإِقْبَالِ ٱلْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي(١٠) عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَٱلِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي(١١)، غَيْرَ أَنِّي

---

(١) «الساكن مساكن الموتى» إشعار بأنّه سيموت.

(٢) لا يريد الغدَ بعينه، بل يريد قُرْب الرّحيل والظّعْن.

(٣) أي يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد، وإنّما أراد جنس البشر لا خصوص الحسن ﵇، وكذلك سائر الأوصاف التي تلي هذه اللفظة.

(٤) غرض الأسقام: هدفها ترمي إليه سهامها؛ لأنّ الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأعراضها. والأسقام الأمراض.

(٥) رهينة الأيام الرهينة ههنا: المهزول، ويجوز أن يريد بالرهينة واحدة الرهائن، أي أنه في قبضتها وحكمها.

(٦) الرمية: ما أصابه السهم.

(٧) نُصُب الآفات: *لا تفارقه العلل*، من قولهم: فلان نُصب عيني ـ بالضم ـ أي لا يفارقني.

(٨) الصريع: الطريح.

(٩) جُموح الدهر: استعصاؤه وتغلبه.

(١٠) يزعني: يكفّني ويصدّني، و«ما» مفعول تبينت.

(١١) إنّ فيما قد بان لي من إدبار الدنيا وإقبال الآخرة شاغلاً عن الاهتمام بأحد غيري والاهتمام في أمر الولد وغيره ممن أخلفه ورائي، أو يريد بما ورائي من أمر الآخرة.

---

* عند الصالح «المستسلم للدنيا» ويظهر سقوط كلمتي «للدهر. الذام» فجاءت العبارة لا تتناسب وشأن علي ﵇ مع الدنيا.

حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ ٱلنَّاسِ[1] هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي[2]، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي[3]. فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ[4] كِتَابِي هٰذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَٱلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِٱلْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِٱلزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِٱلْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِٱلْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِٱلْفَنَاءِ[5]، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ ٱلدُّنْيَا[6]، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ ٱلدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامِ. وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ. فَٱنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ ٱلْغُرْبَةِ. وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ؛ وَدَعِ ٱلْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَٱلْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ،

---

(١) أي دون الهموم التي كانت تعتريني لأجل أحوال الناس.

(٢) صدفه: صرفه، والضمير في صرفني للرأي. [و]في نسخة ابن أبي الحديد: «صدَّقني رأيي».

(٣) صرَح: كشف أو انكشف. ومحّض الأمر: خلَصه.

(٤) مفعول كَتَبَ هو قوله: «فإنّي أُوصيكَ...» وقوله: «مُسْتَظْهِراً به»: أي مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك.

(٥) قرِّزه بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء.

(٦) بصِّرْه: أي اجعله بصيراً بالفجائع، جمع فجيعة: وهي المصيبة تفزع بحلولها.

فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ ٱلضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلْأَهْوَالِ. وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ(1). وَجَاهِدْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي ٱللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَخُضِ ٱلْغَمَرَاتِ إِلَى ٱلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ(2). وَتَفَقَّهْ فِي ٱلدِّينِ. وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلصَّبْرَ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ ٱلْخُلُقُ ٱلتَّصَبُّرُ فِي ٱلْحَقِّ! وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ(3)، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ. وَأَخْلِصْ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ: فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطَاءَ وَٱلْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِخَارَةَ(4). وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً(5)، فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ(6).

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً(7)، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي(8)، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ(9) فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي

---

(1) باين: أي باعِدْ وجانِب الذي يفعل المنكر.

(2) الغمرات: الشدائد. ولا شبهة أنّ الحسن ﷺ لو تمكّن لخاضها، إلّا أنّ مَنْ فقد الأنصار لا حيلة له، وهل ينهض البازي بغير جَناحٍ.

(3) الكهف: الملجأ. والحريز: الحافظ.

(4) «وأكثر الاستخارة»: ليس يعني بها ما يفعله اليوم قوم من الناس من سَطْر الرقاع وجعلها في بنادق، وإنّما المراد أمره إياه بأن يطلب الخيرة من الله فيما يأتي ويذر. والاستخارة أيضاً: إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه.

(5) صفحاً: أي جانباً، أي لا تعرض عنها.

(6) لا يحِقّ ـ بكسر الحاء وضمها ـ: أي لا يكون من الحقّ كالسحر ونحوه.

(7) أي وصلت النهاية من جهة السنّ، لقد كتب ﷺ هذه الوصية بعد أن تجاوز الستين.

(8) أُفضي: ألقي إليك.

(9) «أن أُنْقَصَ» عطف على «أن يعجل».

إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ ٱلْهَوَى[1] وَفِتَنِ ٱلدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ ٱلنَّفُورِ[2]. وَإِنَّمَا قَلْبُ ٱلْحَدَثِ كَٱلْأَرْضِ ٱلْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ ٱلتَّجَارُبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ[3]، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ ٱلطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ ٱلتَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ[4]، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ[5].

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ؛ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ: بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَٱسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ[6]، وَتَوَخَّيْتُ[7] لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي[8] مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي ٱلْوَالِدَ

---

(١) أي يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الأهواء فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ الى قلبك.

(٢) «فتكون كالصّعب النّفور» أي كالبعير الصعب الذي لا يُمكّن راكباً، وهو مع ذلك نفور عن الأنس.

(٣) ليكون جدّ رأيك ـ أي محققه وثابته ـ مستعداً لقبول الحقائق التي وقف عليها أهل التجارب وكفوك طلبها. والبغية ـ بالكسر ـ: الطلب.

(٤) «فأتاك من ذلك ما كنّا نأتيه» أي الذي كنّا نحن نتجشّم المشقّة في اكتسابه، ونتكلّف طلبه، يأتيك أنت الآن صَفواً عَفواً.

(٥) استبان: ظهر، إذا انضمّ رأيه الى آراء أهل التجارب فربما يظهر له ما لم يكن ظهر لهم، فإنّ رأيه يأتي بأمر جديد لم يكونوا أتوا به.

(٦) النخيل: المختار المصطفى.

(٧) توخّيت: أي تحرّيت.

(٨) عناني: أهمني.

السِّنِّ. وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ(١) أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ(٢)، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ(٣). ثُمَّ أَشْفَقْتُ(٤) أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ(٥)، فَكَانَ إِحْكَامُ ذٰلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِن تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَةَ(٦)، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللّٰهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللّٰهِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللّٰهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ(٧)، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا

---

(١) أجمعت: عزَمت، عطف على «يعني الوالد»، و«أن يكون» مفعول «رأيت».

(٢) مُقْتَبَل الدهر، يقال: اقتبل الغلام فهو مقتبَل ـ بالفتح ـ وهو من الشواذ، *والقياس مُقتبِل بكسر الباء؛ لأنه اسم فاعل، ومُقتبَل الإنسان: أول عمره.*

(٣) لا أتعدى بك كتاب الله الى غيره، بل أقف بك عنده.

(٤) أشفقت: أي خشيت وخفت.

(٥) مثل: صفة لمفعول مطلق محذوف، أي التباساً مثل الذي كان لهم.

(٦) أي أنك وإن كنت تكره أن ينبهك أحد لما ذكرت لك، فإني أعدّ إتقان التنبيه على كراهتك له، أحبّ إليّ من إسلامك ـ أي إلقائك ـ الى أمر أخشى عليك به الهَلَكَة. *وهي الهلاك.*

(٧) لأنهم إذا تأملوا الأدلة وفكروا فيها نظروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخلّصها من مضرّة عظيمة، وهم لم يتركوا النظر لأنفسهم في أول أمرهم بعين لاترى نقصاً، ولا تحذر خطراً، ثم ردتهم آلام التجربة الى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته، وإمساك أنفسهم عن عمل لم يكلّفهم الله إتيانه.

لَمْ يُكَلَّفُوا. فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ[1]، لَا بِتَوَرُّطِ ٱلشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ ٱلْخُصُومَاتِ. وَٱبْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ بِٱلِاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ، وَٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ[2]، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ. فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَٱجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَٱنْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ ٱلْعَشْوَاءَ[3]، وَتَتَوَرَّطُ ٱلظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ ٱلدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَٱلْإِمْسَاكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ[4].

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَيَاةِ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِيَ هُوَ ٱلْمُعِيدُ، وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعَافِي، وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا ٱللّٰهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ[5] وَٱلِابْتِلَاءِ وَٱلْجَزَاءِ فِي

(١) أي فإنْ كرهت التقليد المحض، وأحببت أن تسلك مسلكهم في النظر، فينبغي أنْ تنظر وأنت مجتمع الهمّ خالٍ من الشبهة، وتكون طالباً للحقّ، غير قاصد الى الجدل والمراء.

(٢) الشائبة: ما يشوب الفكر من شك وحيرة، وأولجتك: أدخلتك.

(٣) قال: فإذا اجتمع لك كلّ ذلك فانظر، وإن لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت كالناقة العَشْواء الخابطة لا تهتدي، والعَشْواء: الضعيفة البصر، أي تخبط عشواء لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه. أو تكون كمن يتورّط في الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه. وتورّط الأمر: دخل فيه على صعوبة في التخلّص منه.

(٤) ليس طالب الدين مَنْ كان خابطاً أو خالطاً، وحبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن، والإمساك عن ذلك أمثل وأفضل.

(٥) لا تثبت الدنيا إلّا على ما أودع الله في طبيعتها من التلوّن بالنعماء تارة، والاختبار بالبلاء تارة، وإعقابها للجزاء في المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشرّ شرّاً.

ٱلْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ. فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ ٱلْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ! فَاعْتَصِمْ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، فَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[1].

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَٱرْضَ بِهِ رَائِداً[2]، وَإِلَى ٱلنَّجَاةِ قَائِداً. فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[3]. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي ٱلنَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ ٱجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ. أَوَّلٌ قَبْلَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ[4]، وَآخِرٌ بَعْدَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ[5]. عَظُمَ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَٱفْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[6]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَٱلرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَٱلْخَشْيَةِ مِنْ

---

(١) شفقتك: أي خوفك.

(٢) الرائد: من ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه. والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا، فهو رائد سعادتنا.

(٣) فلم آلك نصحاً: لم أقصر في نصحك. ألى الرجل في كذا يألو، أي قصّر فهو آلٍ، وهذه امرأة آلية، أي مقصّرة، وجمعها أوالٍ.

(٤) فهو أوّل بالنسبة الى الأشياء لكونه قبلها إلا أنّه لا أوّليّة له أي لا ابتداء له.

(٥) أي آخرية مطلقة ليس تنتهي الى غاية معينة.

(٦) خطره: أي قدره.

عُقُوبَتِهِ، وَٱلشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَٱنْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا ٱلْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا[1]. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ ٱلدُّنْيَا[2] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ[3]، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ[4]، فَأَمُّوا[5] مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً[6]، فَٱحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ ٱلطَّرِيقِ[7]، وَفِرَاقَ ٱلصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ ٱلسَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ ٱلْمَطْعَمِ[8]، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ. فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[9]، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ[10].

---

(١) حذا عليه يحذو، واحتذى مثاله يحتذي، أي اقتدى به.

(٢) خَبَر الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها.

(٣) قوم سَفْر ـ بالتسكين ـ: أي مسافرون.

(٤) نَبَا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لوخامته، والمنزل الجديب: المُقحِط لا خير فيه، ضدّ المنزل الخصيب.

(٥) أمّوا: قصدوا.

(٦) الجناب المَريع: ذو الكلأ والعشب، والجناب: الفِناء والناحية.

(٧) وَعْثاء الطريق: مشقّتها.

(٨) جُشُوبة المطعم: غِلَظه، طعام جَشِيب، ومَجشوب، ويقال إنّه الذي لا أُدْمَ معه*.

(٩) هجم عليه: انتهى إليه بغتة.

(١٠) يقول: مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة كمن سافر من منزل جدب الى منزل خصيب، فلقي في طريقه مشقّة، فإنّه لا يكترث بذلك في جنب مايطلب، وبالعكس مَن عمل للدنيا←

---

* الأُدْم: الإدام، ما يستمرأ به الخبز.

يَا بُنَيَّ، ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَٱكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا. وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ[1]، وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ. وَٱرْضَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[2]، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلإِعْجَابَ ضِدُّ ٱلصَّوَابِ، وَآفَةُ ٱلأَلْبَابِ[3]. فَٱسْعَ فِي كَدْحِكَ[4]، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[5]، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[6]، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ ٱلارْتِيَادِ[7]، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ[8] مِنَ ٱلزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ ٱلظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ

← وأهمل أمر الآخرة، فإنّه كمن يسافر الى منزل ضنك ويهجر منزلاً رحياً طيباً، وهذا من قول رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر».

(١) قوله: «وأحسن» من قول الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

(٢) يقول ﷺ: إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك، ولا تطلب منهم أزيد مما تقدّم لهم. وروي: «وارض من الناس لك» وهو أحسن.

(٣) الإعجاب: استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً. وهو خُلُقٌ من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه، ومن أشدّ الآفات ضرراً لقلبه.

(٤) الكدح: أشدّ السعي، والكدح ههنا: هو المال الذي كدح في حصوله، والسعي فيه إنفاقه، وقوله: «واسع في كدحك» أي أذهب ما اكتسبت بالإنفاق.

(٥) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك، بل أنفق فيما يجلب رضاء الله عنك.

(٦) هو طريق السعادة الأبدية.

(٧) الارتياد: الطلب، وحسنه: إتيانه من وجهه.

(٨) البلاغ -بالفتح-: الكفاية، يقول ﷺ: مَنْ سلك طريقاً فلا غنىً له عن أن يرتاد لنفسه، و يتزوّد من الزاد قدر ما يبلغه الغاية، وأن يكون خفيف الظهر في سفره ذلك.

عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ. وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ(١)، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ. وَاغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً(٢)، ٱلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ ٱلْمُثْقِلِ(٣)، وَٱلْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ أَمْراً مِنَ ٱلْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ لَا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ(٤)، وَوَطِّئِ ٱلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ(٥)، وَلَا إِلَى ٱلدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ(٦).

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِٱلْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِٱلنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تَعَرَّضْتَ لِلْفَضِيحَةِ،

---

(١) الفاقة: الفقر. وإذا أسعفت الفقراء بالمال كان أجر الإسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك، يؤدّونه إليك وقت الحاجة. وهذا الكلام من أفصح ما قيل في الحث على الصدقة.

(٢) كؤوداً: صعبة المرتقى.

(٣) المُخِفّ ـ بضم فكسر ـ: الذي خفّ حمله، والمُثقِل بعكسه، وهو من أثقل ظهره بالأوزار.

(٤) ابعث رائداً من طيبات الأعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل.

(٥) المُستَعتَب: مصدر ميمي من استعتب، والاستعتاب: الاسترضاء، والمراد أن الله لا يسترضى بعد إغضابه إلا باستئناف العمل.

(٦) المُنصَرَف: مصدر ميمي من انصرفه والمراد إلى الدنيا بعد الموت.

وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ[1]، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً[2]، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً[3]. وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الِاسْتِعْتَابِ؛ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[4]، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ[5]، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ[6]، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[7]، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ[8]، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ[9]. فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُعْطَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ

---

(١) الإنابة: الرجوع الى الله، لم يعيّر الراجع إليه برجوعه.

(٢) نزوعك: رجوعك.

(٣) إشارة الى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

(٤) المناجاة: المكالمة سراً، والله يعلم السر كما يعلم العلن.

(٥) أفضيت: ألقيت.

(٦) وأبثثته: كاشفته. وذات النفس: حالتها وحاجتها.

(٧) استكشفته كروبك: طلبت كشفها.

(٨) شآبيب: جمع الشؤبوب - بالضم -: الدفعة من المطر، وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها، وما أشبه نوباتها بدفعات المطر.

(٩) القنوط: اليأس.

لَكَ. فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ، وَلَا تَبْقَى لَهُ[1].

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ؛ وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[2]، وَدَارِ بُلْغَةٍ[3]، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ. فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ. قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ. فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[4]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ[5]، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[6]. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا[7]، وَتَكَالُبِهِمْ[8] عَلَيْهَا. فَقَدْ نَبَّأَكَ اللّٰهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا[9]، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا،

---

(١) قوله: «فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له» لفظ شريف فصيح، ومعنى صادق محقّق فيه عظة بالغة.

(٢) يقول: هذا منزل قُلْعَة، أي ليس بمستوطَن، لا يُمَلَّك لنازله، أو لا يدري متى يتحوّل عنه، ويقال: هذا مجلس قُلْعَة، إذا كان صاحبه يحتاج الى أن يقوم مرّة بعد مرّة، ويقال أيضاً: هم على قُلْعَة أي رحلة، والقُلْعَة أيضاً: هو المال العارية.

(٣) البُلْغَة: الكفاية وما يُتَبَلَّغ به من العيش، أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة.

(٤) الحِذْر ـ بالكسر ـ: الاحتراز و الاحتراس.

(٥) الأزر: القوة.

(٦) بَهَرَ: غلب، أي يغلبك على أمرك.

(٧) إخلاد أهل الدنيا: سكونهم إليها.

(٨) التكالب: التواثب.

(٩) نعاه: أخبر بموته. والدنيا تخبر بحالها عن فنائها. [وعند ابن أبي الحديد: «ونعتت»]

فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ(١)، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ(٢)، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ(٣)، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا(٤)، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا. سُرُوحُ عَاهَةٍ(٥) بِوَادٍ وَعْثٍ(٦)، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا(٧). سَلَكَتْ بِهِمُ ٱلدُّنْيَا طَرِيقَ ٱلْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ ٱلْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَٱتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ ٱلظَّلَامُ(٨)، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ ٱلْأَظْعَانُ(٩)، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ

(١) ضارية: مولعة بالافتراس.

(٢) يهرّ ـ بكسر الهاء وضمها ـ: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً. ويهرّ: يعوي وينبح، وأصلها هرير الكلب، شبه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاوية.

(٣) مُعَقَّلَة ـ من عَقَّل البعير بالتشديد ـ: شدّ وَظيفَهُ* إلى ذراعه. والنَعَم ـ بالتحريك ـ: الإبل، أي إبل منعها عن الشرّ عقالها، وهم الضعفاء، وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء، وهم الأقوياء.

(٤) أضلّت: أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها.

(٥) السُّروح: جمع سَرْح، وهو المال السارح السائم من الإبل ونحوها. والعاهة: الآفة، أعاه القومُ: أصابت ماشيتهم العاهة، أي أنهم يسرحون لرعي الآفات في وادي المتاعب.

(٦) وادٍ وَعْث: رخو، لا يثبت الحافر والخفّ فيه ; بل يغيب فيه، ويشقّ على مَنْ يمشي فيه، وأوعث القوم: وقعوا في الوَعْث.

(٧) مُسِيمٌ يُسيمها: راعٍ يرعاها، أسام الدابة: سرحها الى المرعى.

(٨) يُسْفِر: أي يكشف ظلام الجهل عمّا خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية.

(٩) الأظعان: جمع ظعينة، وهي الهودج تركب فيه المرأة، عبّر به عن المسافرين في طريق الدنيا الى الآخرة كأنّ حالهم أن وردوا على غاية سيرهم

* الوَظيفُ: مُسْتَدَقُّ الذِّراع والسَّاق من الخيل والإبل وغيرها.

وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ ٱلْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً(١).

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِي ٱلطَّلَبِ(٢)، وَأَجْمِلْ فِي ٱلْمُكْتَسَبِ(٣)، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ(٤)؛ وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ(٥) وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى ٱلرَّغَائِبِ(٦)، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً(٧). وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ ٱللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ(٨)، وَيُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ(٩). وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا ٱلطَّمَعِ(١٠)، فَتُورِدَكَ

---

(١) الوادع: الساكن المستريح.

(٢) خَفِّضْ: أمرٌ من خَفَّضَ ـ بالتشديد ـ أي رفق.

(٣) أجمل في كَسْبِهِ: أي سعى سعياً جميلاً، لا يحرص فيمنع الحقّ ولا يطمع فيتناول ما لا يستحقّ.

(٤) الحَرَب ـ بالتحريك ـ: سلب المال.

(٥) *الدنيّة: الشيء الحقير المبتذل.*

(٦) إن رغائب المال إنّما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيّع ما هو المقصود من المال، فكان جمع المال عبثاً ولا عوض لما ضيّع، *والرغائب: جمع رغيبة، وهي ما يرغب في اقتنائه من المال وغيره.*

(٧) *عِوَضاً: بدلاً.*

(٨) يريد أي خير في شيء سمّاه الناس خيراً وهو ممّا لا يناله الإنسان إلّا بالشرّ، فإن كان طريقه شرّاً فكيف يكون هو خيراً؟

(٩) *اليُسْر: السهولة والمراد سعة العيش، والعُسْر: الصعوبة، والمراد ضيق العيش،* والمعنى: أنّ العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يتنفّره لرذيل الفعال فهو يسعى كلّ جهده ليتحاشى الوقوع فيه، فإنْ جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر ـ أي السعة ـ فقد وقع أوّل الأمر فيما يهرب منه، فما الفائدة في يسره وهو لا يحسبه من النقيصة؟

(١٠) تُوجِف: تسرع. *والمَطَايا: جمع مطيّة، وهي ما يركب ويمتطى من الدواب ونحوها.*

مَنَاهِلَ ٱلْهَلَكَةِ[1]. وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ ذُو نِعْمَةٍ فَٱفْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ. وَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ. وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ[2] أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ[3]. وَحِفْظُ مَا فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ[4]، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ[5]. وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَى ٱلنَّاسِ، وَٱلْحِرْفَةُ مَعَ ٱلْعِفَّةِ[6] خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنَى مَعَ ٱلْفُجُورِ. وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ[7]، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ![8] مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[9]، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ ٱلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ. بِئْسَ ٱلطَّعَامُ ٱلْحَرَامُ! وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ

---

(١) المناهل: ما ترده الإبل ونحوها للشرب، *والهلكة: الهلاك والموت.*

(٢) التلافي: التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد، وما فرط: أي قصر عن إقامة الغرض أو إنالة الوطر.

(٣) إدراك مافات: هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفاتـه أي سبق الى غير صواب، وسابق الكلام لا يدرك فيسترجع بخلاف مقصّر السكوت فسهل تداركه.

(٤) إنّما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشدّ وكائها: أي رباطها، وإنْ لم يشدّ الوكاء صبّ ما في الوعاء ولم يمكن إرجاعه، فكذلك اللسان.

(٥) ليس مراد أمير المؤمنين ﷺ وصايته بالإمساك والبخل، بل نهيه عن التفريط والتبذير، فهو إرشاد للاقتصاد في المال.

(٦) الحِرْفة ـ بالكسر ـ مثل الحُرف بالضم، وهو نقصان الحظ وعدم المال، ومنه «رجل محارَف»، يقول: لأن يكون المرء هكذا وهو عفيف الفَرْج واليد، خير من الغنى مع الفجور.

(٧) أي الأَوْلى ألّا تبوح بسرّك الى أحد، فأنت أحفظ له من غيرك، فإن أذعته فانتشر فلا تَلُمْ إلّا نفسك.

(٨) قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر لجهله أو سوء قصده.

(٩) أهْجَرَ إهجاراً وهُجْراً ـ بالضم ـ: هَذا في كلامه، وكثير الكلام لا يخلو من الإهجار، وأهجر الرجل، إذا أفحش في المنطق السوء والخنا.

أَفْحَشُ الظُّلْمِ! إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً، كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً[1]. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً. وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ[2].

وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى[3]. وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ[4]. بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ[5]، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ. التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ[6]، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ[7]، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ[8]. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ

---

(١) الخرق ـ بالضم ـ: العنف. يقول ﷺ: إذا كان استعمال الرفق مفسدة وزيادة في الشرّ فلا تستعمله؛ فإنّه حينئذٍ ليس برفقٍ بل هو خرق، ولكن استعمل الخرق؛ فإنّه يكون رفقاً والحالة هذه؛ لأنّ الشرّ لا يلقى إلّا بشرّ مثله، وذلك كمقام التأديب وإجراء الحدود مثلاً.

(٢) المستنصح ـ اسم مفعول ـ: المطلوب منه النصح، فيلزم التفكّر والتروّي في جميع الأحوال لئلا يروج غشّ أو تنبذ نصيحة.

(٣) المُنى: جمع مُنية ـ بضم فسكون ـ مايتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه، وهي بضائع الموتى (وأثبت عبده: فإنّها بضائع النوكى) لأنّ المتجر بها يموت ولا يصل إلى شيء، فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك. والنَّوْكَى: جمع أنْوَك وهو الأحمق وزناً ومعنى.

(٤) أفضل التجربة ما زجرت عن سيئة، وحملت على حسنة، وذلك الموعظة.

(٥) لا ريب أنّ مَنْ كان في سفر وأضاع زاده وأفسد الحال التي يعود إليها فإنّه أحمق، وهذا مثل ضربه للإنسان في حالتي دنياه وآخرته. والزاد زاد الصالحات والتقوى، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالإسراف في الشهوات، وهو أظهر.

(٦) «التاجر مخاطر» لأنّه يتعجّل بإخراج الثمن ولا يعلم هل يعود أم لا! وباطن هذا الكلام أنّه مخاطر لأنّه لا يأمن أن تحبط سيئاته أعماله الصالحة.

(٧) مَهين إمّا بفتح الميم بمعنى حقير لا يصلح لأن يكون معيناً، أو بضمها بمعنى فاعل الإهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح.

(٨) الظنين ـ بالظاء ـ: المتهم، وبالضاد: البخيل.

قَعُودَهُ[1]، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ[2].

أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ[3]، وَعِنْدَ صُدُودِهِ[4] عَلَى اللَّطَفِ[5] وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ[6]، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ[7] فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً[8]. وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ[9] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ.[10]

---

(١) «ساهل الدهر ماذلّ لك قعوده» هذا استعارة، والقَعُود: البَكْر حين يمكّن ظهره من الركوب الى أن يثني، أي ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده.

(٢) المَطِيّة: مايركب ويمتطى، واللّجاج ـ بالفتح ـ: الخصومة، أي أحذرك من أن تغليك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارّها.

(٣) صَرْمه: قطيعته، أي ألزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك. والوصلة: الوصال، وهو ضد القطيعة.

(٤) الصُّدود: الهجر.

(٥) اللُّطَف ـ بفتح اللام والطاء ـ: الاسم من «ألطفه بكذا» أي برّه به، وجاءتنا لُطفة من فلان، أي هديّة. ويروي «من اللّطف» [كما أثبته عبده في المتن] وهو الرفق للأمر، والمعنى أنّه أوصاه إذا قطعه أخوه أن يصله، وإذا جفاه أن يبرّه، وإذا بخل عليه أن يجود عليه.

(٦) جموده: بخله. والبَذْل: العطاء.

(٧) الغيظ: الغضب الشديد.

(٨) المَغَبّة: بمعنى العاقبة، وكظم الغيظ وانْ صعب على النفس في وقته إلّا أنّ لذته عند الإفاقة من الغيظ، فللعفو لذّة إن كان في محلّه، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى.

(٩) لِنْ: أمرٌ من اللين ضد الغلظ والخشونة. وغالظك: عاملك بغلظ وخشونة.

(١٠) ظفر الانتقام والتملّك بالإحسان، والثاني أحلى وأربح فائدة [وعند ابن أبي الحديد: أحد الظفرين].

وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَا[1]. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[2]، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ. وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ[3]، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ. وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ[4].

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[5]، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ[6] فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ؛ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ

---

(١) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة.

(٢) صدّقه بلزوم ماظنّ بك من الخير.

(٣) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه، ولا يصلح أن يكون أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة، وهذا أبلغ قول في لزوم حفظ الصداقة.

(٤) يقول: لا تنتقم ممّن ظلمك فإنّه قد نفعك في الآخرة بظلمه لك، وليس جزاء مَنْ ينفع إنساناً أن يسيء إليه، وهذا مقام جليل لا يقدر عليه إلّا الأفراد من الأولياء الأبرار.

(٥) مثواك: مقامك، من ثوى يثوي: أقام يقيم، والمراد ـ هنا ـ: منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة.

(٦) تفلّت ـ بتشديد اللام ـ: أي تملّص من اليد فلم تحفظه، فالذي يجزع على ما فاته كالذي يجزع على ما لم يصله، والثاني لا ينحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول.

يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، وَٱلْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِٱلضَّرْبِ. ٱطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُومِ بِعَزَائِمِ ٱلصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ. مَنْ تَرَكَ ٱلْقَصْدَ جَارَ[1]. وَٱلصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[2]، وَٱلصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[3]. وَٱلْهَوَى شَرِيكُ ٱلْعَمَى[4]. وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَٱلْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ[5]. مَنْ تَعَدَّى ٱلْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ[6]، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ[7]. قَدْ يَكُونُ ٱلْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ ٱلطَّمَعُ هَلَاكاً[8]. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ[9]، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ٱلْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ ٱلْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ ٱلشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ[10]،

---

(١) القصد: الطريق المعتدل، وجار: مال عن الصواب. و«مَنْ ترك القصد جار» يعني أنّ خير الأُمور أوسطها.

(٢) يراعي فيهما يراعي في قرابة النسب.

(٣) الغَيب: ضد الحضور، أي مَنْ حفظ لك حقّك وهو غائب عنك.

(٤) هذا مثل قولهم: «حُبُّك الشيء يُعمي ويُصِمّ» والهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب. [أثبت عبده في المتن: «والهوى شريكُ العَنَاء»] والعناء: الشقاء.

(٥) يريد بالحبيب ههنا المحبّ لا المحبوب.

(٦) يريد بمذهبه ههنا طريقته، وهذه استعارة، ومعناه أنّ طريق الحقّ لا مشقّة فيها لسالكيها، وطرق الباطل فيها المشاقّ والمضار، وكأنّ سالكها سالك طريقة ضيّقة يتعثّر فيها، ويتخبّط في سلوكها.

(٧) لم يبالك: أي لم يهتم بأمرك، ولم يكترث بك، باليته وباليت به: أي راعيت واعتنيت به.

(٨) المعنى: ربّما كان بلوغ الأمل في الدنيا والفوز بالمطلوب منها سبباً للهلاك فيها، وإذا كان كذلك كان الحرمان خيراً من الظفر.

(٩) «ليس كلّ عورة تظهر، ولا كلّ فرصة تصاب» يقول: قد تكون عورة العدوّ مستترة عنك فلا تظهر، وقد تظهر لك ولا يمكنك إصابتها.

(١٠) لأنّ فرص الشرّ لا تنقضي لكثرة طرقه، وطريق الخير واحد وهو الحقّ. وتعجلته: استعجلت حصوله.

وَقَطِيعَةُ ٱلجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ ٱلعَاقِلِ[1]. مَنْ أَمِنَ ٱلزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ[2]. لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ. إِذَا تَغَيَّرَ ٱلسُّلْطَانُ، تَغَيَّرَ ٱلزَّمَانُ. سَلْ عَنِ ٱلرَّفِيقِ قَبْلَ ٱلطَّرِيقِ، وَعَنِ ٱلجَارِ قَبْلَ ٱلدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ ٱلكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ[3].

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ[4]، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ[5]، وَٱكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ ٱلحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ[6]، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَٱفْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ ٱلمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ ٱلمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ.[7] وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا[8]، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَٱلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ[9]، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو ٱلصَّحِيحَةَ إِلَى ٱلسَّقَمِ،

---

(١) لأنَّ الجاهل إذا قطعك انتفعت ببعده عنك، كما تنتفع بمواصلة الصديق العاقل لك.

(٢) أعظمه: هابَهُ واكبر من قدره، ومَنْ هابَ شيئاً سلّطه على نفسه.

(٣) نهاه أنْ يذكر من الكلام ماكان مضحكاً؛ لأنّ ذلك مِنْ شغل أرباب الهزل والبطالة، وقلّ أنْ يخلوَ ذلك من غيبة أو سخرية.

(٤) الأفْن ـ بالسكون ـ: النقص، والمتأفّن: المتنقّص، يقال: فلان يتأفّن فلاناً، أي يتنقصه ويعيبه. ومن رواه: «إلى أفَن» بالتحريك فهو ضعف الرأي، أفِن الرجلُ يأفَنُ أفَناً، أي ضعف رأيه.

(٥) الوهن: الضعف.

(٦) نهاه أن يَدخِل عليهنّ من لا يُوثق به، وقال: إنّ خروجهنّ أهون من ذلك، وذلك لأنّ مَنْ تلك صفتُه يتمكّن من الخلوة ما لا يتمكّن منه مَنْ يراهنّ في الطرقات.

(٧) القهرمان: الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره.

(٨) ولا تَعْدُ ـ بفتح فسكون ـ أي لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها. أين هذه الوصية من حال الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة، بل ومَنْ يختص بخدمتهن كرامة لهن؟!

(٩) التغاير: إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب.

وَٱلْبَرِيئَةَ إِلَى ٱلرِّيَبِ. وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ[1]. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ ٱلَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ ٱلَّتِي بِهَا تَصُولُ.

ٱسْتَوْدِعِ ٱللّٰهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَٱسْأَلْهُ خَيْرَ ٱلْقَضَاءِ لَكَ فِي ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلْآجِلَةِ، وَٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، وَٱلسَّلَامُ.

٣٢ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً[2] مِنَ ٱلنَّاسِ كَثِيراً؛ خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ[3]، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ ٱلظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ[4]، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ[5]، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ[6]، إِلَّا مَنْ

(*) رواه أبو الحسن المدائني في كتابه (الفتوح).

---

(١) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.

(٢) أرديت: أهلكت، وجيلاً من الناس، أي قبيلاً وصنفاً من الناس.

(٣) الغيّ: الضَلال ضد الرشاد.

(٤) جازُوا: تعدّوا عن وِجهتهم، أي جهة قصدهم يقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه، والاسم الوِجه بالكسر ويجوز بالضم، يقولعليه السلام: كانوا يقصدون حقاً فمالوا الى باطل. وجاروا[كما أثبته ابن أبي الحديد]: عدلوا عن القصد.

(٥) نكصوا: رجعوا.

(٦) عوّلوا على أحسابهم: أي لم يعتمدوا على الدين، وإنّما أردتهم الحمية ونخوة الجاهلية، فأخلدوا إليها وتركوا الدين، والإشارة الى بني أُميّة وحلفائهم الذين اتّهموهعليه السلام بدم عثمان، فحاموا عن الحسب، ولم يأخذوا بموجب الشرع في تلك الواقعة.

فاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصائِرِ[1]، فَإِنَّهُمْ فارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى ٱللّٰهِ مِنْ مُوازَرَتِكَ[2]، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى ٱلصَّعْبِ[3]، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ.

فَاتَّقِ ٱللّٰهَ يا مُعاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجاذِبِ ٱلشَّيْطانَ قِيادَكَ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَٱلآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَٱلسَّلامُ.

٣٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى قُثَم بْنِ ٱلْعَبّاسِ وَهُوَ عامِلُهُ عَلى مَكَّةَ

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بِٱلْمَغْرِبِ[4] كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى ٱلْمَوْسِمِ أُناسٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشّامِ[5]، ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ، ٱلصُّمِّ ٱلأَسْماعِ، ٱلْكُمْهِ ٱلأَبْصارِ[6]، ٱلَّذِينَ يَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْباطِلِ[7]، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخالِقِ،

(*) رواه قبل النهج الثقفي في (الغارات) ص ٥٠٩.

---

(١) إلّا من فاء: أي رجع الى الحقّ، استثنى قوماً فاءوا: أي رجعوا عن نُصرة معاوية.

(٢) الموازرة: المعاضدة.

(٣) أي على الأمر الشاقّ، والأصل في ذلك البعير المستصعب يركبه الإنسان فيغرّر بنفسه.

(٤) عيني: أي رقيبي في البلاد الغربيّة، وهم أصحاب أخباره عند معاوية، وسمّى الشام مغرباً لأنّه من الأقاليم المغربيّة.

(٥) وُجِّه ـ مبني للمجهول، أي وجّههم معاوية. والموسم: الأيام التي يقام فيها الحجّ، وكان معاوية قد بثّ الى مكة دعاةً في السرّ يدعون الى طاعته، ويثبّطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب الى عامله بمكّة ينبّهه على ذلك.

(٦) الكُمه: جمع أكمه، وهو من ولد أعمى.

(٧) يلبسون: يخلطون، وروي: «الذين يلتمسون الحقّ بالباطل» أي يتبعون معاوية وهو على الباطل التماساً وطلباً للحقّ، ولا يعلمون أنهم قد ضلّوا.

وَيَخْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ[1]، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ؛ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ[2]، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ[3]، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً[4]، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً[5]، وَالسَّلَامُ.

٣٤ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُحَمَّدِ بنِ أَبي بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزْلِهِ[6] بالأَشْتَرِ عَنْ مِصْرَ. ثُمَّ تُوفِّيَ الأَشْتَرُ في تَوَجُّهِهِ إلى مِصْرَ قبلَ وُصُولِهِ إليها

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ[7] مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ[8]. وَإِنِّي لَمْ

(*) رواه الطبري في (التاريخ) في حوادث سنة ٣٨، والبلاذري في (الأنساب) في ترجمة علي عليه السلام.

---

(١) أي يستخلصون خيرها، والدَّرّ ـ بالفتح ـ: اللبن. ودرَّها منصوب بالبدل من «الدنيا»، والمعنى: يجعلون الدينَ وسيلة لما ينالون من حطامها فيظهرون سَمْت الدين، وناموس العبادة.

(٢) الصليب: الشديد. (وفي نسخة ابن أبي الحديد: الحازم الأريب)

(٣) «وإيّاكَ وما يُعْتَذَرُ منهُ» من الكلمات الشريفة الجليلة الموقع، معناها: احذر أن تفعل شيئاً يحتاج الى الاعتذار منه.

(٤) النعماء: الرخاء والسعة، *والبطر: الشديد الفرح*، والبَطَر: شدّة الفرح مع ثقة بدوام النعمة.

(٥) البَأساء: الشدّة، *وفشلاً: جباناً ضعيفاً.*

(٦) توجُّدُهُ: تكدّره.

(٧) مَوْجِدتك: أي غيظك وغضبك، وجدت على فلان مَوْجِدة، ووِجداناً لغة قليلة.

(٨) التسريح: الإرسال، والعمل ـ هنا ـ الولاية.

أَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجَهْدِ(١)، وَلَا ٱزْدِيَاداً لَكَ فِي ٱلْجِدِّ(٢)، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً(٣).

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً(٤)، فَرَحِمَهُ ٱللّٰهُ! فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ(٥)، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ؛ أَوْلَاهُ ٱللّٰهُ رِضْوَانَهُ(٦)، وَضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ(٧)، وَٱمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ(٨)، وَٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِعَانَةَ بِٱللّٰهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ.

---

(١) الجَهْد: الطاقة، أي استبطئك في بذل طاقتك ووسعك.

(٢) أي ما رأيت منك تقصيراً فأردت أن أعاقبك بعزلك لتزداد جِدّاً.

(٣) طيّبﷺ نفسه بأن قال له: لو تمّ الأمر الذي شرعت فيه من ولاية الأشتر مصرَ لعوّضتك بما هو أخفّ عليك مؤونة وثقلاً؛ لأنّه كان في مصرَ بإزاء معاوية من الشام وهو مدفوع الى حربه.

(٤) ناقماً: أي كارهاً، من نقمت على فلان كذا، إذا أنكرته عليه وكرهته منه.

(٥) الحِمام ـ بالكسر ـ: الموت.

(٦) دعا له بالرضوان. ولست أشك بأنّ الأشتر بهذه الدعوة يغفر اللّهُ له ويكفّر ذنوبه ويدخله الجنّة، ولا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول الله ﷺ، ويا طُوبى لمن حصل له مَن عليﷺ بعض هذا!

(٧) «وأَصْحِر لعدوّك» أي ابرزْ له ولا تستتر عنه بالمدينة التي أنت فيها، أصحر الأسدُ من خِيسه*، إذا خرج الى الصحراء.

(٨) شمّر فلانٌ للحرب: إذا أخذ لها أُهبتَها.

---

* الخِيس: موضع الأسد، جمعه أخياس.

٣٥ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عَبْدِ اللّهِ بْنِ الْعَبّاسِ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ رَحِمَهُ ٱللّهُ ـ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ ٱللّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً[1]، وَعَامِلاً كَادِحاً[2]، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً. وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ ٱلآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ ٱلْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ ٱلْقَاعِدُ خَاذِلاً[3]. أَسْأَلُ ٱللّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً؛ فَوَٱللّهِ لَوْلاَ طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي ٱلشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ، لأَحْبَبْتُ أَلاَّ أَبْقَى مَعَ هٰؤُلاَءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلاَ أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً.

(*) رواه الطبري في (تاريخه) في حوادث سنة ٣٨، والثقفي في (الغارات) ص ٢٩٩، وابن الأثير في (الكامل) ج ٣ ص ١٧٨.

---

(١) احتسبه عند الله: أسأل الأجر على الرزية فيه، يقال: احتسب ولده، إذا مات كبيراً، وافترط ولده، إذا مات صغيراً، وسمّاه ولداً لأنه كان ربيباً له، وأمّه أسماء بنت عميس كانت مع جعفر بن أبي طالب، وولدت له محمداً وعوناً وعرفاً وعبد الله بالحبشة أيام هجرتها معه إليها، وبعد قتله تزوّجها أبو بكر فولدت له محمداً هذا، وبعد وفاته تزوّجها عليّ عليه السلام فولدت له يحيى.

(٢) الكادح: المبالغ في سعيه.

(٣) قسّم جنده أقساماً، فمنهم مَنْ أجابه وخرج كارهاً للخروج، ومنهم مَنْ قعد واعتلّ بعلّة كاذبة، ومنهم مَنْ تأخّر وصرّح بالقعود والخذلان.

٣٦ - ومن كتاب له عليه السلام(*)

إلى أخيه عقيل بن أبي طالب

في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ(١) ٱلشَّمْسُ لِلْإِيَابِ(٢)، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا(٣)، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً(٤)، بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِٱلْمُخَنَّقِ(٥)،

(*) رواه الثقفي في (الغارات)، والأصفهاني في (الأغاني) ج ١٥ ص ٤٤، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٤٤.

---

(١) يقال: طفّلت الشمس ـ بالتشديد ـ إذا مالت للغروب ودنت وقربت، وطَفَّل الليل، إذا أقبل ظلامه، والطَّفَل ـ بالتحريك ـ: بعد العصر حين تطفُل الشمس للغروب.

(٢) الإيابة: الرجوع الى مغربها، «للإياب» أي للرجوع الى ما كانت عليه في الليلة التي قبلها، يعني غيبوبتها تحت الأرض، وهذا الخطاب إنّما هو على قَدْر أفهام العرب؛ كانوا يعتقدون أنَّ الشمس منزلها ومقرّها تحت الأرض، وأنّها تخرج كلّ يوم فتسير على العالم، ثم تعود الى منزلها، فتأوي اليه كما يأوي الناس ليلاً الى منازلهم.

(٣) «فاقتتلوا شيئاً كلا ولا» أي شيئاً قليلاً، كناية عن السرعة التامة، فإنّ حرفين ثانيهما حرف لين سريعا الانقضاء عند السمع، والمعروف عند أهل اللغة: «كلا وذا» قال ابن المعتز:

وأسرعُ في العين من لحظةٍ　　　وأقصرُ في السمع من لا، وذا

(٤) أي قد غصّ بالريق من شدّة الجهد والكرب، يقال: جَرَضَ بريقه يجرِض بالكسر، مثال كسر يكسر، ويجوز أن يريد بقوله: «لنجا جريضاً» أي ذا جريض، والجريض: الغصّة نفسها.

(٥) المُخَنَّق: موضع الخنق من الحيوان، وكذلك الخُناق، بالضمّ، يقال أخذ بخُناقه، فأمّا الخِناق بالكسر، فالحبل يُخنق به الشاة.

وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ ٱلرَّمَقِ(١)، فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا(٢).

فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً(٣) وَتَرْكَاضَهُمْ فِي ٱلضَّلَالِ(٤)، وَتَجْوَالَهُمْ فِي ٱلشِّقَاقِ(٥)، وَجِمَاحَهُمْ فِي ٱلتِّيهِ(٦). فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ ٱللَّهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي ٱلْجَوَازِي(٧)! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي.(٨)

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي ٱلْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ ٱلْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى ٱللَّهَ(٩)، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ ٱلنَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ

---

(١) الرَّمق: بقية الروح.

(٢) «فلأياً بلأيٍ مانجا» أي بعد بطء وشدّة، وما زائدة أو مصدرية، وانتصب «لأياً» على المصدر القائم مقام الحال، أي نجا مبطئاً، والعامل في المصدر محذوف أي أبطأ بطئاً، والفائدة في تكرير اللفظة المبالغة في وصف البطء الذي نجا موصوله به، أي لأياً مقروناً بلأيٍ.

(٣) قوله: «فدع عنك قريشاً» الى قوله: «على حرب رسول اللهﷺ» هذا الكلام حقّ، فإنّ قريشاً اجتمعت على حربه منذ يوم بويع بغضاً له وحسداً وحقداً عليه. فأصفقوا كلّهم يداً واحدة على شقاقه وحَرْبه، كما كانت حالهم في ابتداء الإسلام مع رسول اللهﷺ، لم تخرم حاله من حاله أبداً إلّا أنّ ذاك عصمه الله من القتل، فمات موتاً طبيعياً، وهٰذا اغتاله إنسان لقتله.

(٤) التركاض: مبالغة في الركض، واستعارة لسرعة خواطرهم في الضلال.

(٥) التجْوال: مبالغة في الجول والجولان. والشقاق: الخلاف.

(٦) جماحهم: استعصاؤهم على سايق الحقّ. والتيه: الضلال والغواية.

(٧) «فجزت قريشاً عنّي الجوازي» هٰذه كلمة تجري مجرى المثل، تقول لمن يسيء إليك وتدعو عليه: جزتك عنّي الجوازي! والجوازي: جمع جازية، بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

(٨) «سلطان ابن أمّي» يعني به الخلافة، وابن أمّه رسول اللهﷺ لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم، أمّ عبد الله و أبي طالب، أو لأنّ فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين ربّت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها: «فاطمة أمّي بعد أمّي».

(٩) المحلّون: الذين يحلّون القتال ويجوّزونه، الخارجون من الميثاق والبيعة، يعني البغاة ←

ٱبْنَ أَبِيكَ -وَلَوْ أَسْلَمَهُ ٱلنَّاسُ- مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً[1]، وَلَا سَلِسَ ٱلزِّمَامِ لِلْقَائِدِ[2]، وَلَا وَطِيءَ ٱلظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ ٱلْمُتَقَعِّدِ[3]، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ[4]:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبُ[5]
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ[6] ... فَيَشْمَتَ عَادٍ[7] أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

٣٧ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَة

فَسُبْحَانَ ٱللّٰهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ ٱلْمُبْتَدَعَةِ، وَٱلْحَيْرَةِ ٱلْمُتَّبَعَةِ[8]، مَعَ تَضْيِيعِ ٱلْحَقَائِقِ، وَٱطِّرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ، ٱلَّتِي هِيَ لِلّٰهِ تَعَالَى طِلْبَةٌ[9]، وَعَلَى عِبَادِهِ

(*) رواه ابن ميثم البحراني في (شرح النهج).

← ومخالفي الإمام، ويقال لكلّ مَنْ خرج من إسلام أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحُرُم: مُحلّ.

(١) مقرّاً للضيم وبالضيم، أي هو راضٍ به، صابرٌ عليه. وواهناً، أي ضعيفاً.

(٢) السَّلِس: السهل.

(٣) الوطيء: اللين. والمتقعد: الذي يتخذ الظهر -أي الدابة- قعوداً يستعمله للركوب في كلّ حاجاته.

(٤) الشعر ينسب الى العباس بن مرّداس السُّلَميّ، ولم أجده في ديوانه، ومعناه ظاهر.

(٥) صليب: شديد.

(٦) يعزّ عليّ: يشقّ عليّ. والكآبة: ما يظهر على الوجه من أثر الحزن.

(٧) عادٍ: أي عدوّ.

(٨) *الحَيْرة المُتّبعة: اسم مفعول من اتّبعه، والحَيْرة -هنا- بمعنى الهوى الذي يتردد الإنسان في قبوله.*

(٩) طِلْبَة -بالكسر وبفتح فكسر-: مطلوبة.

حُجَّةٌ.

فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ[1] عَلَى عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ[2]، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلامُ.

٣٨- ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى أَهْلِ مِصْرَ، لَمَّا وَلَّى عَلَيْهِمُ الأَشْتَرَ

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ[3] سُرَادِقَهُ[4] عَلَى الْبَرِّ[5] وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ[6]، فَلا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ[7]، وَلا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ، لا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلا يَنْكُلُ

(*) رواه الطبري في (تاريخه) ج ٦ حوادث سنة ٣٨، والمفيد في (الاختصاص) ص ٨٠ و (الأمالي) ص ٤٥.

(١) الحجاج - بالكسر -: الجدال.

(٢) حيث كان للانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس الى غرضك، أمّا وهو حيّ وكان النصر يفيده، فقد خذلته وأبطأت عنه.

(٣) الجَوْر: الظلم والبغي.

(٤) السُّرادِق - بضم السين -: الغطاء الذي يمدّ فوق صحن البيت، والغبار والدخان.

(٥) البَرّ - بفتح الباء -: التقي.

(٦) الظاعن: المسافر.

(٧) يستراح إليه: يعمل به، وأصله استراح إليه: بمعنى سكن إليه واطمأنّ، والسكون الى المعروف يستلزم العمل به.

عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ ٱلرَّوْعِ[1]، أَشَدُّ عَلَى ٱلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ ٱلنَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ[2]، فَٱسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ ٱلْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللَّهِ[3]، لَا كَلِيلُ[4] ٱلظُّبَةِ[5]، وَلَا نَابِي[6] ٱلضَّرِيبَةِ[7]، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَٱنْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي[8] لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ[9].

---

(١) نكل عنه ـ كضرب ونصر وعلم ـ: نكص وجبن. والروع: الخوف.

(٢) مَذْحِج ـ كمَجْلِس ـ: قبيلة مالك، وأصله اسم أكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيء، ومالك لسميت قبيلتاهما به.

(٣) «فإنّه سيفٌ من سيوف الله» هٰذا لقبٌ خالد بن الوليد، واختُلف فيمن لقّبه به، فـقيل: لقّـبه بـه رسـول الله ﷺ، والصحيح أنّه لقّبه به أبو بكر؛ لقتاله أهلَ الردّة، وقتله مسيلمة.

(٤) الكليل: الذي لا يقطع.

(٥) الظُّبَة: حدُّ السيف والسنان ونحوهما.

(٦) النابي من السـيوف: الذي لا يقطع، وأصله نبا أي ارتفع، فلمّا لم يقطع كان مرتفعاً، فـسمي نابياً، يقال: نبا عنها السيف: لم يؤثّر فيها.

(٧) الضريبة: الشيء المضروبُ بالسيف، وإنّما دخلته التاءُ وإن كان بمعنى «مفعول» لأنّه صار في عداد الأسماء، كالنطيحة والأكيلة.

(٨) آثرتكم به: خصصتكم به، وأنا في حاجة إليه، تقديماً لنفعكم على نفسي، وقد كـان ﷺ يـصول على الأعداء بالأشتر، ويقوّي أنفسَ جيوشه بمقامه بينهم، فلمّا بعثه الى مصرَ كان مؤثراً لأهل مصرَ به على نفسه.

(٩) الشكيمة في اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس، ويعبَّر بشدّتها عن قوّة النفس، وشدّة البأس.

٣٩ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ(١)، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ(٢)، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ(٣)، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ(٤) يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ. فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ(٥). فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا، فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا(٦). وَالسَّلَامُ.

(*) رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين)، والسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ٨٤

---

(١) قوله ﷺ في معاوية: «ظاهرٌ غيُّه» فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه، وكلُّ باغٍ غاوٍ.

(٢) مَهْتُوك سِتْرُه: لأنّه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جُلَساء وسمّار، لم يتوقّر إلّا عندما خرج على أمير المؤمنين، واحتاج إلى السكينة، وإلّا فقد كان في أيام عثمانَ شديد التهتّك، موسوماً بكلّ قبيح.

(٣) «يشين الكريمَ بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته» لأنّه لم يكن في مجلسه إلّا شتم بني هاشم وقذفهم، والتعرّض بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهر الانتماء إليه.

(٤) الضرغام: الأسد، ولم يقل: الثعلب، غضّاً من قدر عمرو، وتشبيهاً له بما هو أبلغُ في الإهانة والاستخفاف.

(٥) أي لو قعدتَ عن نصره ولم تشخص إليه ممالئاً به على الحقّ لوَصَل إليك من بيت المال قدر كفايتك.

(٦) وإن تعجزاني عن الإيقاع بكما وتبقيا في الدنيا بعدي، فما أمامكما شرّ لكم من عقوبة الدنيا، لأنّ عذاب الدنيا منقطع، وعذاب الآخرة غيرُ منقطع.

٤٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى بعض عُمّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ[1]. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ[2] فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ.

٤١ ـ ومن كتاب له عليه السلام**

إلى بعض عُمّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي[3]، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي[4] وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ

(*) رواه قبل الشريف الرضي ابنُ عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٤ ص ٣٥٥.

(**) رواه ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ١ ص ٥٧، والهندي في (كنز العمال) ج ١ ص ٤١٠.

---

(١) أخزيْت أمانتك: أذللْتها وأهنْتها، والصقت بأمانتك خَربة ـ بالفتح ـ أي رزيّة أفسدتها، وكأن هذا العامل أخذ ما عنده من مخزون بيت المال.

(٢) جرّدت الأرض: قشرتَها، والمعنى أنّه نسبه إلى الخيانة في المال، وإلى إخراب الضِّياع.

(٣) أشركتك في أمانتي: جعلتك شريكاً فيما قمتُ فيه من الأمر.

(٤) المواساة: من «آساه» إذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل أو مطلقاً، وقالوا: ليست مصدراً لواساه فإنّه غير فصيح، وتقدّم للإمام استعماله وهو حجّة. والموازرة: المناصرة.

إِنِّي؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ[1]، وَٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ[2]، وَأَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ[3]، وَهٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ[4] وَشَغَرَتْ[5]، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ[6]، فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ، فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ[7]، وَلَا ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللّٰهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ[8]، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ[9]، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ[10] فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ[11]، وَعَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ

---

(١) كَلِبَ ـ كفرِحَ ـ: اشتدّ وخشن، وكذلك: كَلِب البردُ، والكُلْبة ـ بالضم ـ: الشدّة والضيق.

(٢) حَرِبَ العدوّ ـ كفَرِحَ ـ: اشتدّ غضبه واستأسد في القتال، أو تَطلّب بمعنى سَلَبَ مالنا.

(٣) خَزِيَتْ ـ كرَضِيتْ ـ: ذلّت وهانت، ووقعت في بليّة الفساد والفاضح.

(٤) من «فَنَكَت الجارية» إذا صارت ماجنة، ومجون الأمّة أخذها بغير الحزم في أمرها كأنّها هازلة.

[وأثبت ابن أبي الحديد في المتن: «وهذه الأمّة قد فُتِكَتْ»]

(٥) شَغَرَت الأمّة: خلت من الخير أو لم يبق فيها مَنْ يحميها، وشَغَرَ البلد: خلا من الناس.

(٦) المِجَنّ: الترس، وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه، قلبتُ له ظهر المِجَنّ: إذا كنت معه فصرت عليه، وأصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت مجانّهم إلى وجه العدوّ، وبطون مجانّهم إلى وجه عسكرهم، فإذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدوّ كان وضع مجانّهم بدلاً من الوضع الذي كان من قبل، وذلك أنّ ظهور الترسة لا يمكن أن تكون إلّا في وجوه الأعداء، لأنّها مَرمى سهامهم.

(٧) آسَيْتَ: ساعدت وشاركت في الملمات.

(٨) كادَه عن الأمر: خدعه حتى ناله منه.

(٩) الغِرّة: الغفلة. والفيء: مال الغنيمة والخراج، *وأصله ما وقع للمؤمنين صلحاً من غير قتال*.

(١٠) أمكنتك الشدّة: أي الحملة.

(١١) أسرعت الكرّة: لا يجوز أن يقال: الكرّة إلّا بعد فرّة، فكأنّه لمّا كان مقدماً في ابتداء الحال عن التعرّض لأموالهم، كان كالفارّ منها، فلذلك قال: أسرعت الكرّة.

لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ[1] دَامِيَةَ[2] الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ[3]، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ[4]، كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ[5] ـ حَدَرْتَ[6] إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ.

فَسُبْحَانَ اللّٰهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ[7]! أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا[8] مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ[9] شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ، وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ الْبِلَادَ! فَاتَّقِ اللّٰهَ وَارْدُدْ إِلَى هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللّٰهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللّٰهِ فِيكَ[10]، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ.

وَوَاللّٰهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي

---

(١) الذئب الأزلّ: السريع الجري، أو الخفيف لحم الوركين، وذلك أشدّ لعدْوه، وأسرع لوثبته.

(٢) الدامية: المجروحة.

(٣) الكسيرة: المكسورة. والمعزى: أخت الضأن، اسم جنس كالمعز والمعيز، وإن اتفق أنْ تكون شاةٌ من المِعزى كسيرة ودامية أيضاً كان الذئب على اختطافها أقدر.

(٤) التأثّم: التحرّز من الإثم بمعنى الذنب.

(٥) «لا أبا لغيرك» تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء عليه.

(٦) حدرت: أسرعت إليهم بتراث، أي ميراث، أو هو من «حدره» بمعنى حطّه من أعلى لأسفل.

(٧) نقاش الحساب: مناقشته، بمعنى الاستقصاء في الحساب.

(٨) «كان» ههنا زائدة لإفادة معنى المضي فقط لا تامة ولا ناقصة.

(٩) سغت الشراب أسيغه ـ كبعته أبيعه ـ: بلعته بسهولة.

(١٠) لأعذرنّ إلى الله فيك: أي لأعاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله في فعلتك هذه.

هَوَادَةً[1]، وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ ٱلْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا. وَأُقْسِمُ بِٱللهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي[2]، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً[3]، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ ٱلْمَدَى[4]، وَدُفِنْتَ تَحْتَ ٱلثَّرَى[5]، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِٱلْمَحَلِّ ٱلَّذِي يُنَادِي ٱلظَّالِمُ فِيهِ بِٱلْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى ٱلْمُضَيِّعُ فِيهِ ٱلرَّجْعَةَ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[6]﴾![7]

---

(١) الهَوَادة ـ بالفتح ـ: الصلح واختصاص شخص ما بميلٍ إليه وملاطفة له.

(٢) أي لا تعتمد على قرابتك مني فإنّي لا أُسَرّ بأن يكون لي فضلاً عن ذوي قرابتي.

(٣) «فضحّ رُويداً» كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكون، وأصلها الرّجل يطعم إبله ضحىً، ويسيّرها مسرعاً ليسير، فلا يشبعها، فيقال له: ضحِّ رويداً، وهنا يريد عليه السلام: فارغْ نفسك على مهل فإنّما أنت على شرف الموت.

(٤) المَدى ـ بالفتح ـ: مفرد بمعنى الغاية.

(٥) الثرى: التراب.

(٦) لاتَ حين مناص: أي ليس الوقت وقت فرار.

(٧) اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب، فقال الأكثرون: إنّه عبد الله بن العباس رضي الله عنه، ورَوَوْا في ذلك روايات، واستدلّوا بألفاظ هذا الكتاب كقوله «ابن عمك» في غير موضع، وقوله: «لو أنّ الحسن والحسين»، وهذا يدلّ على أنّ المكتوب إليه قريب من أن يجري مجراهما عنده. وقال آخرون وهم الأقلّون: هذا لم يكن، ولا فارق عبدُ الله بن عباس عليّاً عليه السلام ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل عليّ عليه السلام، وهذا عندي هو الأمثل والأصوب، وقد قال الراوندي: «المكتوب إليه هو عبيد الله بن العباس، لا عبد الله» وليس ذلك بصحيح، لأنّ عبيد الله كان عامله على اليمن. وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإن كذّبت النقل خالفتُ الرواة، وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى مَن أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام، والكلامُ يشعرُ بأنّ الرجل المخاطَب من أهله وبني عمّه، فأنا في هذا الموضع من المتوقّفين!

٤٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيّ(١)، و كانَ عامِلَهُ على الْبَحْرَيْنِ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلانَ الزُّرَقِيَّ(٢) مَكانَهُ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ(٣)؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ(٤) وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ(٥)، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ(٦) بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

(*) رواه ابن واضح في (تاريخه) ج ٢ ص ١٩٠، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ١٥٩.

---

(١) عُمَرُ بن أبي سَلَمة هو ربيبُ رسول الله ﷺ، وُلد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وقيل: إنّه كان يوم قُبِض رسول الله ﷺ ابن تسع سنين، وتوفّي في المدينة في خلافة عبد الملك سنة ثلاثٍ وثمانين، وقد حَفظ عن رسول الله ﷺ الحديث، وروى عنه سعيد بن المسيّب وغيره.

(٢) النعمان بن عجلان الزُّرَقيّ من الأنصار، ثم من بني زُرَيق، خَلَفَ على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب ﷺ بعد قتله، كان لسان الأنصار وشاعرهم.

(٣) «ولا تثريب عليك»، التثريب الاستقصاء في اللّوم، ويقال ثرّبت عليه، وعرّبت عليه، إذا قبّحت عليه فعله.

(٤) الظَّنين: المتّهم، والظِّنّة: التهمة، والجمع الظِّنَن.

(٥) الظَّلَمة ـ بالتحريك ـ: جمع ظالم.

(٦) أستظهر به: أستعين.

٤٣ - ومن كتاب له عليه السلام *

إلى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ وَ كانَ عامِلَهُ على أَرْدَشِيرَ خُرَّة[١]

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ[٢] فَيْءَ[٣] ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ أَعْتَامَكَ[٤] مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ[٥]، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ[٦] دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً.

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا[٧] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا ٱلْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

(*) رواه البلاذري (أنساب الأشراف) ص ١٦٠، وابن واضح في (التاريخ) ج ٢ ص ١٩٠.

---

(١) أردشير خُرّة - بضم الخاء وتشديد الراء -: بلدة من بلاد فارس.

(٢) «إنّك...» بدل من «أمر».

(٣) الفيء: مال الغنيمة والخراج، وأصله ما وقع للمؤمنين صلحاً من غير قتال.

(٤) اعْتَامَكَ: اختارك من بين الناس، أصلُه من العيمة بالكسر، وهي خيارُ المال.

(٥) النَّسمة - محرّكة -: الروح، وهي في البشر أرجح، وبرأها: خلقها.

(٦) المَحْق: الإهلاك.

(٧) قِبَل - بكسر الفتح -: ظرف بمعنى عند.

٤٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ،

وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُرِيدُ خَدِيعَتَهُ بِاسْتِلْحَاقِهِ

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ(١)، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ(٢)، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ(٣)، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ(٤). وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ(٥)، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ(٦)، لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ(٧)، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

(*) رواه ابن الأثير في (الكامل) ج٣ ص ٢٢٠ في حوادث سنة ٤٤، وفي (أسد الغابة) ج٢ ص ٢١٧.

---

(١) يستزلّ لبّك: يطلب زلّته وخطأه، أي يحاول أن تزلّ، واللبّ: العقل أو القلب.

(٢) يستفلّ غربك: يحاول أن يفلّ حدّك أي عزمك. *والغرب أيضاً: الحدّة والنشاط.*

(٣) ليقتحم غفلته: أي ليلج ويهجم عليه وهو غافل، جعل اقتحامه إياه اقتحاماً للغِرّة نفسها لما كانت غالبةً عليه، وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن أنواع التشبيه.

(٤) الغِرّة ـ بالكسر ـ: خلو العقل عن مضارب الحيل، المراد منها العقل الغِرّ، أي يسلب العقل الساذج، وليس معنى استلابه الغرّة أن يرفعها ويأخذها، وإلّا صار ذلك الغافل المغترّ فاقداً للغفلة والغِرّة، وكان لبيباً فطناً، فلا يبقى له سبيل عليه، وإنّما المعنى ما يعنيه الناس بقولهم: أخذ فلانٌ غفلتي وفعل كذا.

(٥) فلتة: أمرٌ وقع من غير تثبت ولا رويّة، وفلتة أبي سفيان قوله في شأن زياد: «إني أعلم من وضعه في رحم أمّه» يريد نفسه.

(٦) نَزْغَة: كلمة فاسدة، من نزغات الشيطان أي من حركاته القبيحة المفسدة.

(٧) لأنّ المقرّ بالزنا لا يلحقه النسب ولا يرثه المولود؛ لقوله ﷺ: الولد للفراش، وللعاهر الحجر.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ.

قالَ الرَّضِيُّ رَحمهُ اللَّهُ تعالى: قَوْله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْوَاغِلُ»: هو الذي يَهجُمُ على الشُّرْبِ ليشربَ معهمْ، وليس منهمْ، فلا يَزَالُ مُدَفَّعاً مُحاجَزاً. و«النَّوْطُ المُذَبْذَبُ»: هو ما يُناطُ برَحْلِ الرَّاكِبِ من قَعْبٍ أوْ قَدَحٍ، أو ما أشبهَ ذلك، فهوَ أبداً يتقلقلُ إذا حثَّ ظهرَهُ، واستعجلَ سيرَهُ.

٤٥ - ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ(١)، وكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا

أَمَّا بَعْدُ يَابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ(٢) أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ(٣) فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ(٤)، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ(٥). وَمَا ظَنَنْتُ

(*) رواه الصدوق في (الأمالي).

---

(١) عثمان بن حُنَيف الأنصاري ثم الأوسيّ أخو سهل بن حُنَيف، ولاه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق، وولاه عليّ عليه السلام على البصرة، فأخرجه طلحة والزُّبير منها حين قدِماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة عليّ عليه السلام، ومات في زمن معاوية.

(٢) من فِتية البَصرة: أي من فتيانها، أي من شبابها أو من أسخيائها؛ يقال للسخيّ: هذا فتى، ويروى: «أنّ رجلاً من قُطّان البصرة» أي سكانها.

(٣) المأدُبة ـ بضم الدال أو فتحها ـ: الطعام يُدعى إليه القوم، يُصنع لدعوة أو عرس، والآداب: الدّاعي إليه.

(٤) تستطاب لك: يطلب لك طيبها. والألوان ـ هنا ـ: أصناف الطعام.

(٥) الجفان ـ بكسر الجيم ـ: جمع جفنة، وهي القصعة، ويروى: «وكثرت عليك الجفان فكَرِعْتَ وأكلت أكلَ ذئبٍ نَهِمٍ، أو ضَبُعٍ قَرِمٍ».

أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ[1]، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ[2]، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[3]، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ[4] فَنَلْ مِنْهُ.

أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ[5]، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ[6]. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ[7]، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ[8]. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً[9]، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً[10]، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً[11]، وَلاَ حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا[12] شِبْراً، وَلاَ أَخَذْتُ مِنْهُ إِلاَّ كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ[13]، وَلَهِيَ فِي

---

(١) عائلُهُم: فقيرهم ومحتاجهم. مجفوّ: مطرود، من الجفاء. وروي: «ما حَسِبتك تأكل طعامَ قوم».

(٢) المقضم: المأكل. و سمّي ذلك قَضْماً ومقضماً لأنّه عنده ليس مما يستحق أن يسمّى بأسماء المرغوب فيه؛ وذلك لأنّ القضم يطلق على معنيين: أحدُهما على أكل الشيء اليابس، والثاني على ما يؤكل ببعض الفم، وكلاهما يدلّان على أنّ ذلك المقضم مرغوب عنه، لا فيه.

(٣) الفِظه: اطرحه حيث اشتبه عليك حلّه من حرمته.

(٤) بطيب وجوهه: بالحِلّ في طرق كسبه.

(٥) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالي.

(٦) قُرْصيه: أي قرصان، *تثنية قرص، وهو الرغيف*، يفطر عليهما لا ثالث لهما.

(٧) إنّ ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية.

(٨) *السداد: التصرف الرشيد، وأصله الاحتراز من الخطأ.*

(٩) التبر ـ بكسر فسكون ـ: فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

(١٠) الوفر: المال.

(١١) أي ما كان يهيئ لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإنّ مجموع الرداء والإزار يعدّ ثوباً واحداً فبهما يكسو البدن لا بأحدهما.

(١٢) الضمير في «أراضيها» يرجع إلى «دنياكم».

(١٣) أتانٍ دَبِرة: هي التي عُقِر ظهرُها فقلّ أكلها.

عَيْنِي أَوْهَى مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ[١].

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ[٢] مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ[٣]، وَنِعْمَ ٱلْحَكَمُ ٱللَّهُ[٤]. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ، وَٱلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ[٥]، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا[٦] ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ[٧]، وَسَدَّ فُرَجَهَا[٨] ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَرَاكِمُ؛ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى[٩] لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ ٱلْخَوْفِ ٱلْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ ٱلْمَزْلَقِ[١٠]. وَلَوْ شِئْتُ

---

(١) عفصة * مَقِرة: أي مرّة، مقِر الشيءُ ـ بالكسر ـ أي صار مرّاً.

(٢) فَدَك ـ بالتحريك ـ: قرية لرسول الله ﷺ كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر، وإجماع الشيعة على أنّه كان أعطاها لفاطمة رضي الله عنها قبل وفاته إلّا أنّ أبا بكر ردّها لبيت المال قائلاً: «إنّها كانت مالاً في يد النبيّ يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله، وأنا إليه كما كان عليه».

(٣) القوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم، وسخت: أي سامحت وأغضت، وليس يعني هنا بالسخاء إلّا هذا، لا السخاء الحقيقي، لأنّه ﷺ وأهله لم يسمحوا بفَدَك إلّا غصباً وقسراً.

(٤) الحَكَم: الحاكم، وهذا الكلام كلامُ شاكٍ متظلّم.

(٥) المظانّ: جمع مَظِنّة، وهو موضع الشيء ومألفه الذي يكون فيه ويُظَنّ فيه وجوده. وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه في غدٍ جَدَث ـ بالتحريك ـ أي قبر.

(٦) أضغطها: جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحالّ فيها.

(٧) *المَدَر ـ جمع مَدَرة مثل قَصَب وقَصَبة ـ: وهو التراب المتلبد أو قطع الطين.*

(٨) *فُرَجها ـ جمع فُرجة مثل غُرف وغُرفة ـ: كلّ منفرج بين شيئين.*

(٩) أروضها: أُذلّلها.

(١٠) *المزلق ومثله المزلقة: موضع الزلل، وهو المكان الذي يخشى فيه أن تنزل القدمان، والمراد: الصراط.*

---

* عفص الطعام: كان فيه مرارة.

لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ[1] إِلَى مُصَفَّى هٰذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هٰذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هٰذَا الْقَزِّ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي[2] إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ[3] مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ - أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى[4]، وَأَكْبَادٌ حَرَّى[5]، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[6] وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ[7]

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ[8]! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا[9]، تَكْتَرِشُ

---

(١) كان كرم الله وجهه إماماً عالي السلطان واسع الإمكان فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع، وهو قوله: «لو شئت لاهتديت ـــ». والقمح: الحنطة، والقزّ: الحرير.

(٢) الجشع: أشدّ الحرص.

(٣) جملة «ولعلّ... » حاليّة، عمل فيها «تخيّر الأطعمة» أي هيهات أن يتخيّر الأطعمة لنفسه والحال أنّه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص: أي الرغيف، ولا طمع له في وجوده؛ لشدّة الفقر، ولا يعرف الشبع.

(٤) هيهات أن يبيت مبطاناً: أي ممتلىء البطن، والحال أنّ حوله بطوناً غرثى: أي جائعة. والمبطان: الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل، فأمّا المبطن: فالظامر البطن؛ وأمّا المبطون، فالعليل البطن؛ وأمّا البطين، فالعظيم البطن لا من الأكل؛ وأمّا البطن، فهو الذي لا يهمّه إلّا بطنه؛ ولمّا المبطون فالعليل البطن.

(٥) أكباد حرّى: مؤنث حران، أي عطشان.

(٦) البِطْنة: البطر والأشر والكظّة، وذلك أن يمتلئ الإنسان من الطعام امتلاءً شديداً.

(٧) القِدّ ـ بالكسر ـ: سير من جلد غير مدبوغ، أي أنّها تطلب أكله ولا تجده.

(٨) الجشوبة: الخشونة، وتقول: جشب الطعام ـ كنصر وسمع ـ فهو جَشِب وجَشِيب كشهم وبطرٍ، وجشيب ومِجْشاب ومجشوب، أي غلظ فهو غليظ.

(٩) تقممها: التقاطها للقمامة، أي الكناسة، والتقمّم: أكل الشاة ما بين يديها بمقمّتها أي بشفتها، وكلّ ذي ظلف كالثور وغيره فهو ذو مقمّة.

مِنْ أَعْلاَفِهَا(١)، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ(٢) طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ(٣)!

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ». أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ(٤) أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً(٥)، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ(٦) أَقْوَى وَقُوداً(٧)، وَأَبْطَأُ خُمُوداً.

وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ(٨)، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ(٩). وَاللهِ لَوْ

---

(١) تكترش من أعلافها: تملأ كرشها من العَلَف، والأعلاف: جمع علف، ما يهيأ للدابة لتأكله.

(٢) الاعتساف: السلوك في غير طريق واضح، واعتسف: ركب الطريق على غير قصد.

(٣) المتاهة: الأرض يُتاه فيها، أي يتحيّر.

(٤) الشجرة البريّة: التي تنبت في البرّ الذي لا ماء فيه.

(٥) الرواتع الخضرة: الأشجار والأعشاب الغضّة الناعمة الحسنة التي تنبت في الأرض الندية.

(٦) النابتات العِذْيَة: التي تنبت عِذْياً، والعِذْي ـ بسكون الذال ـ: الزرع لا يسقيه إلّا ماء المطر، ويكون أقلّ أخذاً من الماء من النبت سقياً. [وفي نسخة عبده: النابتات البدوية]

(٧) الوقود: اشتعال النار، أي إذا وقدت بها النار تكون أقوى اشتعالاً من النباتات غير البدوية وأبطأ منها خموداً.

(٨) «كالضوء من الضوء» شبه ﷺ نفسه بالضوء الثاني، وشبه رسولَ الله ﷺ بالضَّوْء الأوّل، وشبه منبع الأضواء سبحانه بالشمس التي توجب الضوء الأوّل ثم الضوء الأوّل يوجب الضوء الثاني. [وأثبت عبده في المتن: كالصِّنْوِ من الصِّنْوِ] والصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد، فهو من جرثومة * الرسول، يكون في حاله كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة.

(٩) شبه ﷺ نفسه بالنسبة إلى رسول الله ﷺ بالذراع الذي أصله العضد، كناية عن شدّة الامتزاج والقرب بينهما.

---

* الجرثومة: الأصل.

تَظَاهَرَتِ ٱلْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ ٱلْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا(١)، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ ٱلْأَرْضَ مِنْ هٰذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْمَعْكُوسِ(٢)، وَٱلْجِسْمِ ٱلْمَرْكُوسِ(٣)، حَتَّى تَخْرُجَ ٱلْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ ٱلْحَصِيدِ(٤).

وَمِنْ هٰذا الكِتابِ، وَهُوَ آخِرُهُ:

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا(٥)، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ(٦)، قَدِ ٱنْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ(٧)، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ(٨)، وَٱجْتَنَبْتُ ٱلذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ(٩). أَيْنَ ٱلْقُرُونُ ٱلَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ(١٠)! أَيْنَ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ ٱلْقُبُورِ،

---

١) غرضه أن يقرّر في نفوس أصحابه أنّه يحارب على حقّ، وأنّ حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله ﷺ، وأنّ من يجهاد الكفّار يجب عليه أن يُغْلِظ عليهم.

٢) جَهَدَ ـ كمنع ـ: جدّ، والإشارة في هذا الى معاوية، سمّاه شخصاً معكوساً، والمراد انعكاس عقيدته، وأنّها ليست عقيدة هدىً، بل هي معاكسة للحق والصواب.

٣) المركوس: من قولهم: «ارتكس في الضلال» والرّكس: ردّ الشيء مقلوباً، وقلبُ آخره على أوله، والمراد مقلوب الفكر.

٤) المَدَرَة ـ بالتحريك ـ: قطعة الطين اليابس. وحبّ النباتات المحصود كالقمح ونحوه، شبّه معاوية بالمَدَر ونحوه من مفسدات الحبّ، وشبّه الدين بالحَبّ الذي هو ثمرة الزرع، والمعنى: حتى يتطهّر وأهله منه.

٥) إليكِ عنّي: أي ابعدي.

٦) حبلُكِ على غاربك: أي اذهبي حيث شئتِ، لأنّ الناقة إذا أُلقي حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت. والغارب: ما بين السَّنام والعنق.

٧) انسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها.

٨) الحبائل: جمع حبالة، وهي شبكة الصياد، وأفلت منها: خلص.

٩) المداحض: المزالق والمساقط.

١٠) المَدَاعب: جمع مدعبة، من «الدعابة» وهي المزاح، والثاءات والكافات كلها بالكسر خطاباً للدنيا.

وَمَضَامِينَ اللُّحُودِ[1]. وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً[2]، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي[3]، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ[4]! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ[5]، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ[6] عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ[7]، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ[8].

اعْزُبِي عَنِّي[9]! فَوَاللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي[10]. وَايْمُ اللهِ ـ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ ـ لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ[11] إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً[12]، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا[13]، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا

---

(1) مضامين اللحود: أي الذين تضمنتهم القبور.

(2) أي لو كنتِ أيتها الدنيا إنساناً محسوساً كالواحد من البشر لأقمتُ عليكِ الحدّ كما فعلتِ بالناس.

(3) المهاوي: جمع مهوى، مكان السقوط، وهو من هوى يهوي.

(4) الوِرد ـ بكسر الواو ـ: ورود الماء. والصدر ـ بالتحريك ـ: الصدور عنه بعد الشرب.

(5) مكان دَحْض ـ بفتح فسكون ـ: أي زلق لا تثبت فيه الأرجل.

(6) ازورّ: مال وتنكّب.

(7) مُناخه: أصله مبرك الإبل، من أناخ ينيخ، والمراد به هنا: مُقامه.

(8) حان: حضر. وانسلاخه: زواله، يقول: والدنيا عند من قد سَلِم منها كيومٍ قرب انقضاؤه وفناؤه.

(9) اعزبي: ابعدي، يقال عَزَب الرجل، أي بَعُد.

(10) لا أسلس: أي لا أنقاد لك، سلِس الرجل يسلَس، أي سهل قياده.

(11) تهشّ إلى القرص: أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدّة ما حرمها.

(12) مطعوماً: حال من القرص، كما أنّ مأدوماً من الملح، أي مأدوماً به الطعام

(13) أي لأتركن مقلتي ـ أي عيني ـ وهي كعينِ ماءٍ نضب، أي غار مَعينُها، ومعينها ماؤها←

فَتَبْرُكَ(١)؟ وَتَشْبَعُ ٱلرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ(٢)؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ(٣)! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ(٤) إِذَا ٱقْتَدَى بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ(٥)، وَٱلسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ! طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا(٦)، وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَهَا(٧)، حَتَّى إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَى عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا(٨). فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ(٩)، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ(١٠)، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ(١١). ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

فَٱتَّقِ ٱللَّهَ يَا بْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ(١٢)، لِيَكُونَ مِنَ ٱلنَّارِ خَلَاصُكَ.

← الجاري، والمعنى: أبكي حتى لا يبقى دمع.

(١) السائمة: الأنعام التي تسرح، ورِعْيها ـ بكسر الراء ـ: الكلأ.

(٢) الربيضة: جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها، والربوض للغنم كالبروك للإبل.

(٣) يهجع: أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.

(٤) دعاءٌ على نفسه ببرود العين ـ أي جمودها ـ من فقد الحياة، وهو تعبير باللازم.

(٥) الهامِلَة: المسترسلة المتروكة، والهَمَل من الغنم ترعى نهاراً بلا راعٍ.

(٦) البؤس: الضر، وعرك البؤس بالجنب: الصبر عليه كأنّه شوك فيسحقه بجنبه، يقال: قد عرك فلانٌ بجنبه الأذى أي أغضى عنه، وصبر عليه.

(٧) الغُمْض ـ بالضم ـ: النوم. والكرى ـ بالفتح ـ: كذلك، أو النعاس.

(٨) أي لم يكن لها فراش ألّا الأرض، «وتوسّدت كفّها» لم يكن لها وسادة إلّا الكفّ.

(٩) تجافت: تباعدت ونأت. والمضاجع: جمع مضجع، موضع النوم.

(١٠) همهمت: تكلّمت كلاماً خفياً، والهمهمة: الصوت يردد في الصدر وأراد منه الأعم.

(١١) تقشّعت ذنوبهم: زالت وذهبت كما يتقشّع السحاب، وتقشّع الغمام: انجلى.

(١٢) «ولتكفف أقراصك» كان الإمام يأمر الأقراص ـ أي الأرغفة ـ بالكفّ ـ أي الانقطاع ـ عن ابن حنيف، وإنّما هو نهيٌ لابن حُنيف أن يكفّ عن الأقراص استغناءً، ورفع «أقراصك» على الفاعلية أبلغ من نصبها على المفعولية.

٤٦ـ ومن كتاب له عليه السلام(*)

إلى بَعْضِ عُمَّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ(١) بِهِ عَلَى إِقَامَةِ ٱلدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ ٱلأَثِيمِ(٢)، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ(٣) ٱلثَّغْرِ ٱلْمَخُوفِ(٤). فَٱسْتَعِنْ بِٱللّٰهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَٱخْلِطِ ٱلشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ ٱللِّينِ(٥)، وَٱرْفُقْ مَا كَانَ ٱلرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَٱعْتَزِمْ بِٱلشِّدَّةِ(٦) حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا ٱلشِّدَّةُ، وَٱخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ(٧) فِي ٱللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ، وَٱلإِشَارَةِ وَٱلتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ(٨)، وَلَا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَٱلسَّلَامُ.

(*) رواه الثقفي في كتاب (الغارات)، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٣٦٨، والطبري في(التاريخ) حوادث سنة ٣٨.

---

(١) أستظهِرُ به: أجعلُه كالظَّهر، أي أستعين به.

(٢) أقمعُ: أي أكسرُ. والنخوة: الكبرياء والكِبْر. والأثيم: المخطئ المذنبُ، أي فاعل الخطايا والآثام.

(٣) اللهاة: قطعة اللحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان.

(٤) الثَّغْر: مظنة طروق الأعداء في حدود الممالك، والمخوف: الذي يخشى جانبه ويرهب.

(٥) الضغث في الأصل: قبضة حشيش مختلط يابسها بشيء من الرَّطْب، والمراد: امزُج الشدّة بشيء من اللين فاجعلهما كالضِّغْث.

(٦) «فاعتزم بالشدّة» أي إذا جدّ بك الجِدّ فدَع اللّين، فإنّ في حال الشدّة لا تغني إلّا الشدّة.

(٧) آسِ: أي شارك وسوّ بينهم أي واجعلهم سواء.

(٨) «حتى لا يطمع العظماء في حَيْفك» أي حتّى لا يطمع العظماء في أن تمالئهم على حَيْف الضعفاء، وقد تقدّم مثل هذا فيما سبق.

٤٧ ـ ومن وصية له عليه السلام*

لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا[١]، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا[٢]، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ[٣]، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ، فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ[٤]، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ[٥].

(*) رواها الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) ص ٣٨، والسجستاني في كتابه (المعمرون والوصايا) ص ١٤٩.

---

(١) «لا تَبْغِيا الدنيا وإنْ بَغَتْكُما»: لا تطلباها وإن طلبتكما.

(٢) وروي: «ولا تأسيا» وكلاهما بمعنى واحد، أي لا تحزنا. وزُوِيَ : أي قُبِضَ ونُحِّيَ عنكما.

(٣) روي: «واعملا للآخرة».

(٤) أغبَّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غِبّاً، صلوا أفواههم بالإطعام ولا تقطعوه عنها، وروي: «فلا تغيّروا أفواههم» لأنَّ الجائع يتغيّر فمُه.

(٥) يورّثهم: يجعل لهم حقاً من الميراث.

وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا(١).

وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ(٢)، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُلْفِيَنَّكُمْ(٣) تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً(٤)، تَقُولُونَ: «قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ» أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي. انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ(٥)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ(٦) وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

---

(١) لم تناظروا ـ مبني للمجهول ـ: أي لا يُنظَر إليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس، لإهمالكم فرض دينه، أو بمعنى يتعجّل الانتقام منكم.

(٢) التباذل: مداولة البذل، أي العطاء.

(٣) لا ألفينكم: لا أجدنكم، نفي في معنى النهي، أي لا تخوضوا دماء المسلمين بالسفك انتقاماً منهم بقتلي.

(٤) *تخوضون دماء المسلمين: تسفكون دماءهم، أصله خوض الماء: الدخول والمشي فيه.*

(٥) أي لا تمثلوا به. والتمثيل: التنكيل والتعذيب، أو هو التشويه بعد القتل أو قبله بقطع الأطراف مثلاً.

(٦) *المثلة: الاسم من التمثيل، وهو التشوية الذي سبق شرحه.*

٤٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى معاوية

فَإِنَّ ٱلْبَغْيَ وَٱلزُّورَ يُوتِغَانِ(١) ٱلْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ(٢)، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، فَتَأَلَّوْا عَلَى ٱللهِ(٣) فَأَكْذَبَهُمْ(٤)، فَاحْذَرْ يَوْماً يُغْتَبَطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ(٥)، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ ٱلشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ(٦)، وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ ٱلْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلٰكِنَّا أَجَبْنَا ٱلْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَٱلسَّلَامُ.

(*) رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفّين) ص ٤٩٣، وابن الأعثم في (الفتوح) ج٣ ص ٣٢٢.

---

(١) يُوتغان: يُهلِكان، الوتَغ: الهلاك. [وفي نسخة عبده بذيعان بالمرء] أي يشهرانه ويفضحانه.

(٢) ما قضي فواته: [أي ما فات منه لا يدرك]، والمراد دم عثمان والانتصار له، ومعاوية يعلم أنّه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان.

(٣) أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان يريد بهم أصحاب الجمل. وقوله: «فتألّوا على الله»، أي حلفوا، من الألِيّة وهي اليمين، وروي: «تأوّلوا على الله» [كما في نسخة عبده] أي تطاولوا على أحكامه بالتأويل، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، والأول أصح.

(٤) أكذبهم: حكم بكذبهم، أو أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم.

(٥) يغتبط: يفرح ويُسرّ، والغبطة: السرور، أي يفرح مَنْ جعل عاقبة عمله محمودة بإحسان العمل، أو مَن وجد العاقبة حميدة.

(٦) أمكن الشيطان من قياده: أي مكّنه من زمامه ولم ينازعه.

٤٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَةَ أيضاً

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا[1]، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ، وَلَوِ ٱعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ[2]، وَٱلسَّلَامُ.

٥٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام**

إلى أُمَرَائِهِ عَلَى ٱلْجُيُوشِ

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْمَسَالِحِ[3]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى ٱلْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ

(*) رواه ابن أعثم في (الفتوح) ج٣ ص ٣٢٣، والدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٥٤.

(**) رواه ابن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٠٧، والطوسي في (الأمالي) ج١ ص ٢٢١.

(١) لَهَجاً: أي ولوعاً وشدّة حرص، تقول: لهَ تهج بالشيء ـ من باب طرب ـ إذا أُغري به فثابر عليه.

(٢) معنى قوله: «لو اعتبرت بما مضى حفظتَ ما بقي» أي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه في الضلال وطلب الدنيا ونظيته.

(٣) المسالح ـ جمع مَسْلَحة ـ: أي الثغور، لأنّها مواضع السلاح، وأصلُ المَسْلَحة: قوم ذوو سلاح.

بِهِ[١]، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ.

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ[٢]، وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ[٣]، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ[٤]، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً. فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَلَيْكُمُ ٱلنِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ ٱلطَّاعَةُ، وَأَلَّا تَنْكِصُوا عَنْ دَعْوَةٍ[٥]، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا ٱلْغَمَرَاتِ إِلَى ٱلْحَقِّ[٦]. فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذٰلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ ٱعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ ٱلْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً.

فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ ٱللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ[٧].

وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) الطَّوْل ـ بفتح الطاء ـ: عظيم الفضل، أي من الواجب على الوالي إذا خصّه الله بفضل أن يزيده فضله قرباً من العباد وعطفاً على الإخوان، وليس من حقّه أن يتغيّر.

(٢) «لا أحتجز دونكم بسرٍّ» أي لا أستتر، قال: «إلّا في حرب»، وذلك لأنّ الحرب يحمد فيها طيّ الأسرار، والحرب خُدعة، وكان النبي ﷺ إذا أراد حرباً ورّى بغيرها.

(٣) طواه عنه: لم يجعل له نصيباً فيه، أي لا أدع مشاورتكم في أمر إلّا في حكم صرّح به الشرع في حدّ من الحدود مثلاً فحكمُ الله النافذ دون مشورتكم، أو يريد لا أعلمكم بحكم القضاء على أحد الخَصْمين قبل وقوعه.

(٤) دون مَقْطَعِهِ: دون الحدّ الذي قطع به أن يكون لكم.

(٥) لا تَنْكِصُوا عن دَعْوَة: أي لا تتأخروا ولا تتقاعسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه.

(٦) الغمرات: المشاقّ العظيمة والشدائد.

(٧) أي خذوا حقّكم من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم، وهو ما يصلح الله به أمركم.

٥١ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عُمّالِهِ علَى الْخَرَاجِ

مِنْ عَبْدِ ٱللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْخَرَاجِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ سَائِرٌ إِلَيْهِ، لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا(١). وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى ٱللَّهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ ٱجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ، فَأَنْصِفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَٱصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ ٱلرَّعِيَّةِ(٢)، وَوُكَلَاءُ ٱلْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ ٱلْأَئِمَّةِ، وَلَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ(٣)، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ(٤)، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي ٱلْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ(٥)، وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ(٦)،

(*) رواه ابن مزاحم في كتاب (صِفّين) ص ١٠٨ وص ١٣٢.

---

(١) مَن لم يحذر العاقبة التي يصير إليها لم يعمل عملاً لنفسه يحفظها من سوء المصير.

(٢) الخُزّان: جمع خازن، والخُزّان يخزنون أموال الرعيّة في بيت المال لتنفق في مصالحها.

(٣) لا تُحشِموا: أي لا تغضبوا طالب حاجة فتقطعوه عن طلبها. [وأثبت عبده في المتن] ولا تَحْسِمُوا: أي لا تقطعوا.

(٤) الطِلبة ـ بالكسر ـ: المطلوب.

(٥) أي لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم ولا من الدواب اللازمة لأعمالهم في الزرع والحمل مثلاً، ولا تضربوهم لأجل الدراهم.

(٦) ولا تمسّوا مال أحد من المصلين أي المسلمين، أو المعاهدين بالمصادرة، إلّا ما كان عدّة للخارجين على الإسلام يصولون بها على أهله.

مُصَلٌّ وَلاَ مُعَاهَدٍ[1]، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ ٱلإِسْلامِ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ ٱلإِسْلامِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ. وَلاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً[2]، وَلاَ ٱلْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلاَ ٱلرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلاَ دِينَ ٱللّٰهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ مَا ٱسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ[3]، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا[4]، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللّٰهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ.

٥٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى أمَرَاءِ ٱلْبِلاَدِ في مَعْنَى ٱلصَّلاَةِ

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِٱلنَّاسِ ٱلظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ ٱلشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ ٱلْعَنْزِ[5]، وَصَلُّوا

(*) رواه الثعالبي المعاصر للشريف الرضي في (الإعجاز والإيجاز) ص ٣٣.

---

(١) المعاهد ههنا هو الذمي *الذي لابد من الوفاء بعهده*، أو مَن يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد، لتجارة ونحوها، ثم يعود إلى بلاده.

(٢) ادّخر الشيء: استبقاه لا يبذل منه لوقت الحاجة. وضمن «ادخر» هنا معنى «منع» فعدّاه بنفسه لمفعولين، أي لا تمنعوا أنفسكم شيئاً من النصيحة بدعوى تأخيره لوقت الحاجة، بل حاسبوا أنفسكم على أعمالها كلّ وقت، ومثل هذا يقال في المعطوفات.

(٣) أبلوا: أدّوا. يقال أبليته عذراً، أديته إليه. يقول عليه السلام: اصطنعوا من المعروف في سبيل الله ما استوجب عليكم.

(٤) يقال اصطنعت عنده، أي طلبت منه أن يصنع لي شيئاً، فالله سبحانه طلب منّا أن نصنع له الشكر بطاعتنا له ورعاية حقوق عباده وفاء بحق ما له علينا من النعمة.

(٥) تفيء: أي تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فيء ـ أي ظل ـ من حائط المربض على قدر طوله، وذلك حيث يكون ظل كلّ شيء مثله. *ومربض العنز: المكان الذي تربض فيه وتبرك*

بِهِمُ ٱلْعَصْرَ وَٱلشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عِضْوٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ[1]، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ ٱلصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ ٱلْحَاجُّ[2] إِلَى مِنىً، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى ٱلشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ ٱللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْغَدَاةَ وَٱلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ[3]، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ[4]، وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ[5].

٥٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

كَتَبَهُ لِلْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا وَلَّاهُ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ أَمِيرِهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ أَطْوَلُ عَهْدٍ كَتَبَهُ وَأَجْمَعُهُ لِلْمَحَاسِنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَٱسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

(*) رواه النويري في (نهاية الأرب) ج٦ ص ١٩، والقاضي النعمان في (دعائم الإسلام) ج١ ص ٣٥٠.

---

(١) أي لا تزالوا تصلّون بهم العصر من نهاية وقت الظهر ما دامت الشمس بيضاء حيّة لم تصفر، وذلك في جزء من النهار يسع السير فرسخين، والضمير في «فيها» للعضو باعتبار كونه مدّة.

(٢) يدفع الحاجّ: يفيض من عرفات.

(٣) قوله: «والرجل يعرف وجه صاحبه» معناه الإسفار.

(٤) «وصلّوا بهم صلاة أضعفهم» أي لا تطيلوا بالقراءة الكثيرة والدعوات الطويلة. *بل صلّوا مثل ما يطيقه أضعف القوم.*

(٥) «ولا تكونوا فتّانين» أي لا تفتنوا الناس بإتعابهم، وإدخال المشقّة عليهم بإطالة الصلاة.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَٱتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ٱلَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِٱتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ ٱسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا[1] عِنْدَ ٱلْجَمَحَاتِ[2]، فَإِنَّ ٱلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِٱلسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ ٱللّٰهُ.

ثُمَّ ٱعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ ٱلنَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْوُلَاةِ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللّٰهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ، فَٱمْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ[3]، فَإِنَّ ٱلشُّحَّ بِٱلنَّفْسِ ٱلْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ ٱلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ[4]، وَٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَٱللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي ٱلدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ، يَفْرُطُ[5] مِنْهُمُ

---

(١) يَزَعَها: أي يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح، والشرع الصحيح.

(٢) الجَمحات: منازعة النَّفس إلى شهواتها ومآربها.

(٣) شُحّ: أبخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل، فليس الحرص على النفس إيفاءها كلّ ما تحب، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحقّ، فربَّ محبوب يعقب هلاكاً ومكروه يحمد عاقبة.

(٤) وأشعر قلبك الرحمة، أي اجعلها كالشّعار له، وهو الثوب الملاصق للجسد.

(٥) يَفْرُط: يسبق.

ٱلزَّلَلُ[1]، وَتَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ[2]. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ. فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ. وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ[3]، وَٱبْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللَّهِ[4]، فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ[5]، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ[6]، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ[7] وَجَدْتَ عَنْهَا مَنْدُوحَةً. وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ[8]، فَإِنَّ ذَٰلِكَ إِدْغَالٌ[9] فِي ٱلْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ[10]، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ[11]. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً[12] أَوْ مَخِيلَةً[13]، فَٱنْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللَّهِ فَوْقَكَ،

---

(١) الزلل: الخطأ.

(٢) «ويؤتى على أيديهم» أي يهذّبون، أو تأتي السيئات على أيديهم... «ويؤتى» مبني للمجهول نائب فاعله «على أيديهم».

(٣) استكفاك: طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم.

(٤) أراد «بحرب الله» مخالفة شريعته بالظلم والجور.

(٥) لا يدَ لك بنقمته: أي ليس لك يد أن تدفع نقمته، أي لا طاقة لك بها.

(٦) بجح به: كفَرِحَ لفظاً ومعنى.

(٧) البادرة: ما يبدر من الحدّة عند الغضب في قولٍ أو فعل.

(٨) «ولا تقولنّ إنّي مُؤَمَّر» أي لا تقل: إنّي أمير ووالٍ آمرُ بالشيء فأطاع.

(٩) الإدغال: الإفساد.

(١٠) منهكة للدين: ضعف وسقم، تقول «نهكه» أي أضعفه، *ونهكه السلطان - من باب فهم - أي: بالغ في عقوبته.*

(١١) الغِيَر: حادثات الدهر بتبدّل الدول، والاغترار بالسلطة تقرّب منها، أي تعرّض للوقوع فيها.

(١٢) الأبّهة: العظمة والكبرياء.

(١٣) المَخِيلة: الخيلاء والعجب.

وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ[1] إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ[2]، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ[3]، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ[4].

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ[5]، وَٱلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ!

أَنْصِفِ ٱللهَ[6] وَأَنْصِفِ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ[7]، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللهِ كَانَ ٱللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ[8] حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلهِ حَرْباً[9] حَتَّى يَنْزِعَ[10] أَوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ ٱللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِٱلْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي ٱلْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي ٱلْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا ٱلرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا ٱلْخَاصَّةِ[11]، وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ

---

(١) يُطامِنُ: أي يخفض منه.

(٢) الطِماح: النشوز والجماح.

(٣) الغَرْب: في الأصل حدّ السيف، وهنا الحدّة.

(٤) يفيءُ: أي يرجع بما بَعُدَ عنك من عقلك، وعزب أي غاب.

(٥) مساماة الله تعالى: مباراته في السموّ، وهو العلوّ.

(٦) أنصف الله: أي قُم له، بما فُرِض عليك من العبادة والواجبات.

(٧) من لك فيه هوى: أي لك إليه ميل خاص.

(٨) أدحض: أبطل.

(٩) كان لله حرباً: أي محارباً.

(١٠) ينزع: أي يقلع عن ظلمه.

(١١) يجحف أي يذهب برضا الخاصة فلا ينفع الثاني معه، أما لوسخط الخاصة ورضي العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر.

يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا ٱلْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي ٱلرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِٱلْإِلْحَافِ[1]، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ ٱلدَّهْرِ، مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ[2]. وَإِنَّمَا عَمُودُ ٱلدِّينِ، وَجِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ[3]، وَٱلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلْأُمَّةِ. فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ[4] لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ[5]، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ ٱلنَّاسِ[6]، فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ عُيُوباً، ٱلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا[7]. فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَٱللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَٱسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ مَا ٱسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ ٱللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِن رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ ٱلنَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ[8]، وَٱقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ[9]، وَتَغَابَ[10] عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ[11]، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ ٱلسَّاعِيَ[12] غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِٱلنَّاصِحِينَ.

---

(١) الإلحاف: الإلحاح والشدة في السؤال.

(٢) من أهل الخاصة متعلق بأثقل وما بعده من أفعال التفضيل.

(٣) جماع الشيء ـ بالكسر ـ: جمعه، أي جماعة الإسلام، والعامة خبر عماد وما بعده.

(٤) الصغو ـ بالكسر والفتح ـ: الميل.

(٥) أشنأهم عندك: أبغضهم إليك.

(٦) الأطلب للمعائب: الأشد طلباً لها.

(٧) ستر: فعل ماض صلة «مَن» أي أحق الساترين لها بالستر.

(٨) أطلق عقدة كلّ حقد: أي أحلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم.

(٩) الوتر: العداوة، أي اقطع عنك أسباب الأوتار ـ أي العداوات ـ بترك الإساءة إلى الرعية.

(١٠) تغاب: تغافل، يقال: تغابى فلانٌ عن كذا.

(١١) يضِح: يظهر، والماضي وَضَحَ.

(١٢) الساعي: هو النمّام بمعائب الناس.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ ٱلْفَضْلِ(١)، وَيَعِدُكَ ٱلْفَقْرَ(٢)، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ ٱلْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ ٱلشَّرَهَ(٣) بِٱلْجَوْرِ، فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى(٤) يَجْمَعُهَا سُوءُ ٱلظَّنِّ بِٱللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي ٱلْآثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً(٥)، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ ٱلْأَثَمَةِ(٦)، وَإِخْوَانُ ٱلظَّلَمَةِ(٧)، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ ٱلْخَلَفِ(٨) مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ(٩) وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ: أُولٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً(١٠)، فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ(١١)، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ(١٢).

---

(١) الفضل ـ هنا ـ: الإحسان بالبذل.

(٢) يَعِدُك الفقرَ: يخوّفك من الفقر لو بذلت.

(٣) الشَّرَه ـ بالتحريك ـ: أشدّ الحرص.

(٤) غرائز: طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله.

(٥) بِطانة الرجل: خاصته، وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته.

(٦) الأثمة: جمع آثم، فاعل الإثم أي الذنب.

(٧) الظَّلَمَة: جمع ظالم.

(٨) «منهم» متعلق بالخلف أو متعلق بواجد، و«من» مستعملة في المعنى الاسمي بمعنى بدل.

(٩) الآصار: جمع إصر، وهو الذنب والإثم، وكذلك الأوزار.

(١٠) الإلف: الإلفة والمحبة.

(١١) ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المرّ، ومرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(١٢) «واقعاً» حال «مما كره الله» أي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك إليه منزلة، ←

وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ[1]، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ[2] وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ[3]، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ[4]، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ[5].

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ[6]. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ[7]. وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ[8]. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً[9]، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ[10].

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ،

← أي وإن كان من أشد مرغوباتك.

(١) «والصق بأهل الورع»، كلمة فصيحة، يقول: اجعلهم خاصّتك وخُلصاءك.

(٢) رُضهم: أي عوّدهم على أن لا يطروك، أي يزيدوا في مدحك.

(٣) لا يبجحوك بباطل: لا يجعلوك ممن يبجح ـ أي يفخر ـ بباطل لم يفعله.

(٤) الزهو: العُجب.

(٥) تدني: أي تقرّب من العزة، أي الكبر.

(٦) فإنّ المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة.

(٧) إذا أحسنَ الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له، فإنّ الإحسان قياد الإنسان فيحسن ظنّه بهم بخلاف ما لو أساء إليهم فإنّ الإساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنّه بهم.

(٨) قِبَلَهم: أي عندهم.

(٩) النَّصَب ـ بالتحريك ـ: التعب.

(١٠) البلاء ـ هنا ـ: الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً.

وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا ٱلرَّعِيَّةُ. وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ ٱلسُّنَنِ، فَيَكُونَ ٱلأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ ٱلْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ ٱلنَّاسُ قَبْلَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ(١)، وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ ٱلْإِنْصَافِ وَٱلرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ وَٱلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ ٱلنَّاسِ، وَمِنْهَا ٱلتُّجَّارُ وَأَهْلُ ٱلصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلَى مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَاتِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى ٱللهُ لَهُ سَهْمَهُ(٢)، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَٱلْجُنُودُ بِإِذْنِ ٱللهِ حُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ ٱلْوُلَاةِ، وَعِزُّ ٱلدِّينِ، وَسُبُلُ ٱلأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ؛ ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ(٣)، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهٰذَيْنِ ٱلصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِٱلصِّنْفِ ٱلثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ(٤)، وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ

(١) كتّاب: جمع كاتب. والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة، كالخراج والمظالم، ومنهم مختصون بالحاكم يفضي إليهم بأسراره ويوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً.

(٢) سَهْمَه: نصيبه من الحق.

(٣) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

(٤) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف. والمعاقد: العقود في البيع والشراء وما شابهها ممّا هو←

عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[1]، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ ٱلتَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ، مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلَى مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ[2]. وَفِي ٱللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَٱلِاسْتِعَانَةِ بِٱللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ ٱلْحَقِّ وَٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَطْهَرَهُمْ جَيْباً[3]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً[4]، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ ٱلْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلْعُذْرِ[5] وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى ٱلْأَقْوِيَاءِ[6]، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ[7]، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ ٱلضَّعْفُ.

← من شأن القضاة وجمع المنافع من حفظ الأمن وجباية الخراج وتصريف الناس في منافعهم العامة ذلك شأن العمال. والمؤتمنون: هم الكتّاب.

(١) الضمير للتجار وذوي الصناعات، أي أنهم قوّام لمن قبلهم بسبب المرافق، أي المنافع التي يجتمعون لأجلها، ولها يقيمون الأسواق ويكفون سائر الطبقات من الترفّق ـ أي التكسّب ـ بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.

(٢) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(٣) أطهرهم جيباً: أي عفيفاً أميناً، ويُكنّى عن العفة والأمانة بطهارة الجَيْب، لأنّ الذي يسرق يجعل المسروق في جَيْبه. وجيب القميص: طوقه، [وأثبت عبده والصالح في المتن: «وأنقاهم جيباً»] يقال «نقيّ الثوب» أي طاهر الصدر والقلب.

(٤) الحِلْم ـ هنا ـ: العقل.

(٥) يستريح إلى العذر: أي يقبل أدنى عذر، ويستريح إليه.

(٦) يَنْبو عن الأقوياء: يتجافى ويبعد، أي لا يُمكّنهم من الظلم والتعدّي على الضعفاء.

(٧) لا يثيره العُنْف: لا يهيج غضبه عُنْفٌ وقسوة، ولا يَقعد به الضَّعف، أي ليس عاجزاً.

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ وَٱلْأَحْسَابِ[1] وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ ٱلصَّالِحَةِ وَٱلسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ ٱلنَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ، وَٱلسَّخَاءِ وَٱلسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ[2]، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ[3]. ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ[4]، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ[5] وَإِنْ قَلَّ: فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ ٱلنَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِكَ.

وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ ٱتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ[6] مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ[7] مِنْ جِدَتِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ[8]، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ

---

(١) ثم ألصق...: تبين للقَبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه وشرح لأوصافهم.

(٢) جماع من الكرم: مجموع منه.

(٣) العُرْف: المعروف، «وشُعَب من العُرْف»، أي هي أقسامه وأجزاؤه.

(٤) تفاقم الأمر: عظم، أي لا تعدّ شيئاً قوّيتهم به غاية في العظم زائداً عمّا يستحقون، فكلّ شيء قوّيتهم به واجب عليك إتيانه وهم مستحقون لنيله.

(٥) أي لا تعدّ شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته، بل كلّ تلطف وإن قلّ فله موقع من قلوبهم.

(٦) آثر: أي أفضل وأعلى منزلة، فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند، أي ساعدهم بمعونته لهم.

(٧) أفضل عليهم: أي أفاض وجاد من جدته. والجِدَة ـ بكسر ففتح ـ الغنى، والمراد ما بيده من أرزاق الجند وما سلم إليه من وظائف المجاهدين لا يقتّر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئاً مما فرض لهم، بل يجعل العطاء شاملاً لمن تركوهم في الديار.

(٨) «من خُلُوف أهليهم»، أي ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم من النساء والعجزة في الحيّ.

هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ[1] يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ. * وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ أُمُورِهِمْ[2]، وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ[3]، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَٱفْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ مِنْ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو ٱلْبَلَاءِ[4] مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ ٱلشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ ٱلنَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ ٱمْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ[5]، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ. وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلَا ضَعَةُ ٱمْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً. وَٱرْدُدْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ[6]، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ. فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ

---

(١) «عليهم» أي على الرؤساء.

(٢) حِيطة ـ بكسر الحاء ـ: من مصادر حاطه بمعنى حفظه وصانه، أي بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم، بل يعدّون ؤمنهم قصيراً يطلبون طوله.

(٣) «قلة استثقال دُوَلهم» أي لا تصحّ نصيحة الجُنْد لك إلّا إذا أحبّوا أُمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم، ولم يتمنّوا زوالَها.

(٤) أمره أن يذكر في المجالس والمحافل بلاءَ ذوي البلاء منهم؛ فإنّ ذلك مما يُرهِف عزْم الشجاع ويهزّه أي يحرّكه للإقدام، ويحرّض الناكل أي المتأخر القاعد.

(٥) «ولا تضُمَّنَّ بلاء امرئٍ إلى غيره» أي اذكر كلَّ من أبلى منهم مفرداً غير مضموم إلى غيره، كي لا يكون مغموراً في جَنْب ذكر غيره. وبلاء امرئٍ: صنيعه الذي أبلاه.

(٦) «ما يُضلعك من الخطوب» المراد ما يشكل عليك ويؤودك ويُميلك لثقله من الأمور الجسام؛ ضلع فلاناً: ضربه في ضلعه.

---

* وفي نسخة عبده والصالح: وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ ٱلْوُلَاةِ ٱسْتِقَامَةُ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ ٱلرَّعِيَّةِ. وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ. وَلَا تَصِحُّ...

وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فَٱلرَّدُّ إِلَى ٱللَّهِ: ٱلْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ[1]، وَٱلرَّدُّ إِلَى ٱلرَّسُولِ: ٱلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ[2].

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ[3] فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ ٱلْخُصُومُ[4]، وَلَا يَتَمَادَى فِي ٱلزَّلَّةِ[5]، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ ٱلْفَيْءِ إِلَى ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ[6]، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ[7]، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ[8]؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي ٱلشُّبُهَاتِ[9]، وَآخَذَهُمْ بِٱلْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً[10]

---

(١) محكم الكتاب: نصّه الصريح.

(٢) سنّة الرسول كلّها جامعة ولكن رويت عنه سُنن افترقت بها الآراء، فإذا أُخذت فخذ بما أُجمع عليه مما لا يختلف في نسبته إليه.

(٣) «ثم اختر...» انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة.

(٤) تُمَحِّكه الخصوم: تجعله ماحكاً، أي لجوجاً، مَحَك الرّجل، أي لجّ في الخصومة. [وعند عبده: لا تُمْحِكُهُ] من «أمحكه» جعله محكان، أي عسر الخلق، أو أغضبه، أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه. [وعند الصالح: لا تُمَحِّكُهُ بالتشديد].

(٥) الزلّة: السقطة في الخطأ. «ولا يتمادى في الزلّة»، أي إن ذلّ رجع وأناب.

(٦) الفيء: الرجوع، ولا يحصر، أي لا يعيا في المنطق، لأنّ من الناس إذا زلّ حصِر عن أن يرجع. وحصر: ضاق صدره أي لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(٧) لا تُشرِفُ نفسه: أي لا تشفق، والإشراف: الإشفاق والخوف، والإشراف على الشيء: الاطّلاع عليه من فوق، فالطمع من سافلات الأمور، من نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة، فما ظنّك بمن هبط إليه وتناوله!.

(٨) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأوّل فهم، وأقربه، ولا يكون قانعاً بما يخطر له بادئ الرأي في أمر الخصوم، بل يستقصي ويبحث أشدّ البحث، ويأتي على أقصى الفهم بعد التأمّل.

(٩) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص، فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح.

(١٠) التبرّم: التضجّر والملل.

بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ ٱلْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ(١) عِنْدَ ٱتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ(٢)، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ(٣)، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ(٤)، وَأَفْسِحْ لَهُ فِي ٱلْبَذْلِ مَا يُزِيحُ عِلَّتَهُ(٥)، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى ٱلنَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ(٦)، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ ٱغْتِيَالَ ٱلرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هَذَا ٱلدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِٱلْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ ٱلدُّنْيَا(٧).

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَٱسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً(٨)، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً(٩)، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ(١٠) مِنْهُمْ أَهْلَ ٱلتَّجْرِبَةِ وَٱلْحَيَاءِ مِنَ

---

(١) أصرمهم: أقطعهم للخصومة وأمضاهم.

(٢) لا يزدهيه: لا يستخفه زيادةُ الثناء عليه، والإطراء: المدح.

(٣) الإغراء: التحريض.

(٤) تعاهده: تتبعه بالاستكشاف والتعرّف، وضمير قضائه لأفضل الرعية الموصوف بالأوصاف السابقة.

(٥) البذل: العطاء، أي أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته.

(٦) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك، خوفاً منك، وإجلالاً لمن أجللته.

(٧) هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحقّ عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا.

(٨) لمّا فرغ ﷺ من أمر القضاء، شرع في أمر العمّال، فأمَرَ أن يستعملهم بعد اختبارهم وتجربتهم وألّا يولّيهم محاباةً، أي اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم. [وأثبت عبده والصالح في المتن: فاستعملهم اختباراً].

(٩) أثَرَة: أي استبداداً بلا مشورة فإنهما ـ أي المحاباة والأثرة ـ يجمعان الجور والخيانة.

(١٠) توخّ: أي اطلب وتحرّ أهل التجربة..

أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ ٱلصَّالِحَةِ وَٱلْقَدَمِ[1] فِي ٱلْإِسْلَامِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ نَظَراً. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْزَاقَ[2]، فَإِنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[3]. ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ[4] مِنْ أَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي ٱلسِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[5] عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَمَانَةِ، وَٱلرِّفْقِ بِٱلرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوَانِ: فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ[6] ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِٱلْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ ٱلتُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ[7]، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ: لِأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى ٱلْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلَابِ ٱلْخَرَاجِ ؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِٱلْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ

---

(١) القَدَم ـ بالتحريك ـ: واحدة الأقدام، أي الخطوة السابقة، وأهلها هم الأولون.

(٢) أسبغ عليه الرزق: أكمله وأوسع له فيه، فإنّ الجائع لا أمانةَ له.

(٣) ثلموا أمانتك: نقصوا في أدائها أو خانوا.

(٤) العيون: الرقباء.

(٥) حَدْوَة: أي سَوق لهم وحثّ، وأصله سَوْق الإبل، ويقال للشمال حَدْواء؛ لأنّها تسوق السحاب.

(٦) اجتمعت... : أي اتفقت عليها أخبار الرقباء.

(٧) انتقل ﷺ من ذكر العمال إلى ذكر أرباب الخراج، فقال: تفقّد أمرهم، فإنّ الناس عيال عليهم.

ٱلْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً[١] أَوْ عِلَّةً[٢]، أَوِ ٱنْقِطَاعَ شِرْبٍ[٣]، أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَرَهَا غَرَقٌ[٤]، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ[٥]، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ ٱسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ[٦] بِٱسْتِفَاضَةِ ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ[٧]، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ[٨] لَهُمْ، وَٱلثِّقَةَ[٩] مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ ٱلْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ ٱحْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ[١٠]؛ فَإِنَّ ٱلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا[١١]. وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلَاةِ عَلَى ٱلْجَمْعِ[١٢]، وَسُوءِ

---

(١) «فإن شكَوْا ثِقلاً»، أي ثقل الخراج المضروب عليهم، أو ثقل وطأة العامل.

(٢) «أو علة» كالجراد أو البرق أو البرد.

(٣) انقطاع شِرب: أي ماء في بلاد تسقى بالأنهار.

(٤) إحالة أرض: أي تحويلها البذور إلى فساد بالتعفن؛ لأنّ الغرق غمرها وأفسد زرعها.

(٥) أي أتلفها وذهب بمادّة الغذاء من الأرض فلم ينبت، فعليك عند الشكوى أن تخفّف عنهم.

(٦) التبجّح: السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

(٧) معتمداً فضل قوتهم: أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة.

(٨) الإجمام: الترفيه والإراحة.

(٩) «الثقة» منصوب بالعطف على «فضل».

(١٠) [أثبت عبده: «طيبة أنفسهم به» ونحن أثبتنا ما أثبته ابن أبي الحديد والصالح] وطيبة - بكسر الطاء - : مصدر «طاب» وهو علّة لاحتملوه، أي لطيب أنفسهم باحتماله، فإنّ العمران ما دام قائماً ونامياً فكلّ ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا.

(١١) الإعواز: الفقر والحاجة.

(١٢) أي لتطلّع أنفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عُزلوا، ويحتمل أن يريد به ←

ظَنِّهِمْ بِٱلْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِٱلْعِبَرِ.

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ[1]، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ ٱلَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ ٱلْأَخْلَاقِ[2]، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ ٱلْكَرَامَةُ[3]، فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ. وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ[4] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى ٱلصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ. وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ. وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ[5]. وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلْأُمُورِ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لَا يَكُنْ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ[6] وَٱسْتِنَامَتِكَ[7] وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ. فَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ ٱلْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ[8] وَحُسْنِ حَدِيثِهِمْ،

= أنهم يظنّون طول البقاء وينسَوْن الموتَ والزوال.

(١) «ثم انظر..» انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتّاب، جمع كاتب.

(٢) «بأجمعهم» متعلق بـ «اخصص» أي ما يكون من رسائلك حاوياً لشيء من المكائد للأعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة.

(٣) لا تبطره: أي لا تطغيه الكرامة فيجرؤ على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضرّ ذلك بمنزلتك منهم.

(٤) لا تكون غفلته لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من أعمالك، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب، بل يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك.

(٥) أي يكون خبيراً بطرق المعاملات، فإن عَقَد لك عقداً قوّاه وأحكمه، وإن عقد عليك عقداً اجتهد في نقضه وحلّه.

(٦) الفراسة ـ بالكسر ـ: قوة الظن وحسن النظر في الأمور، نهاه أن يكون مستند اختياره هؤلاء فراستُه فيهم وميله الخاص، فإنّ للتدليس يتمّ في ذلك كثيراً.

(٧) الاستنامة: السكون والثقة.

(٨) يتعرّضون للفراسات: أي يتوسلون إليها لتعرفهم، وبتصنّعهم: أي بتكلّفهم إجادة الصنعة.

وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَٱعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلْأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ، وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ. وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ[١]، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ،فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ[٢].

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِٱلتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ[٣]، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ[٤]، وَٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ[٥]. فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ، وَجُلَّابُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ[٦]، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ ٱلنَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا[٧]، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ[٨]، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ[٩]. وَٱعْلَمْ ـ مَعَ

---

(١) أي اجعل لرئاسة كلّ دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتّاب مقتدراً على ضبطها، لا يقهره عظيم تلك الأعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها.

(٢) إذا تغابيت: أي تغافلت عن عيب في كتّابك كان ذلك العيب لاصقاً بك.

(٣) انتقال من الكلام في الكتّاب إلى الكلام في التجّار والصنّاع. وقوله «استوصِ بالتجار خيراً» أي أوصِ نفسك بذلك، ويجوز أن يكون «استوصِ» أي اقبل الوصيّة منّي بهم. وأوصي بهم غيرك.

(٤) المضطرب بماله: المسافر المتردد به بين البلدان، والضرب: السير في الأرض.

(٥) المترفّق: المكتسب.

(٦) المطارح: الأماكن البعيدة.

(٧) «وحيث لا يلتئم الناس» لا يجتمعون، أي يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

(٨) «فإنّهم ــ إلخ»: علّة لاستوصِ وأوصِ. والبائقة: الداهية. والتجّار والصنّاع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان.

(٩) حواشي البلاد: أطرافها.

ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً[1]، وَشُحّاً قَبِيحاً[2]، وَٱحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ[3]، وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلَاةِ. فَٱمْنَعْ مِنَ ٱلِاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ[4]، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ[5] فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ ٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلسُّفْلَى مِنَ ٱلَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ[6]، مِنَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَى وَٱلزَّمْنَى[7]، فَإِنَّ فِي هٰذِهِ ٱلطَّبَقَةِ قَانِعاً[8] وَمُعْتَرّاً[9].

وَٱحْفَظِ ٱللّٰهَ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي ٱلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ[10]، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ ٱلَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ[11]، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ

---

(١) الضيق: عسر المعاملة.

(٢) الشح: البخل.

(٣) الاحتكار: حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلّا بأثمان فاحشة.

(٤) المبتاع: المشتري.

(٥) قارَف حُكْرة: واقعها، والحُكرة: الاحتكار، أمره أن يؤدّب فاعل ذلك من غير إسراف، ولا تجاوز عن حدّ العدل فيها. ونَكِّل به: أي أوقع به النكال والعقاب.

(٦) انتقل الى ذكر فقراء الرعية ومَغْموريها، فقال: وأهل البؤسى، وهي البؤس. والبؤسى: شدّة الفقر.

(٧) الزمنى: جمع زَمِن، وهو المصاب بالزمانة، أي العاهة، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

(٨) القانع: السائل، من «قنع» أي سأل وخضع وذلّ، وقد تبدل القاف كافاً فيقال: كنع.

(٩) المعترّ: المتعرّض للعطاء بلا سؤال، الذي يعرض لك ولا يسألك.

(١٠) صوافي الإسلام: جمع صافية، وهي أرض الغنيمة، وغلاتها: ثمراتها.

(١١) بطَر: طغيان بالنعمة.

بِتَضْيِيعِكَ ٱلتَّافِهَ(١) لِإِحْكَامِكَ ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ(٢)، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ(٣)، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ ٱلْعُيُونُ(٤)، وَتَحْقِرُهُ ٱلرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ(٥) مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَٱلتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِٱلْإِعْذَارِ إِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ(٦)؛ فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ ٱلرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى ٱلْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ(٧)، وَذَوِي ٱلرِّقَّةِ فِي ٱلسِّنِّ(٨)، مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذٰلِكَ عَلَى ٱلْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللَّهِ لَهُمْ. وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً(٩) تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ(١٠) مِنْ أَحْرَاسِكَ(١١)

---

(١) التافه: الحقير القليل لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت وأتقنت الكثير المهم.

(٢) لا تُشخص همّك: أي لا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم.

(٣) صعّر خدّه: أماله إعجاباً وكبراً.

(٤) تقتحمه العيون: تزدريه وتحتقره، وتكره أن تنظر إليه احتقاراً وازدراءً.

(٥) فرّغ لأولئك ثقتك: أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرّغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم، يخافون الله ويتواضعون لعظمته، لا يأنفون من تعرّف حال الفقراء ليرفعوها إليك.

(٦) الإعذار إلى الله: الاجتهاد والمبالغة في تأدية حقّه والقيام بفرائضه، أي بما يقدّم لك عذراً عنده.

(٧) أهل اليتم: الأيتام.

(٨) ذوو الرقة في السن: المتقدمون فيه.

(٩) لذوي الحاجات: أي المتظلّمين، تتفرّغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

(١٠) تُقعد عنهم جندك: تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرّض لهم جندك.

(١١) الأحراس: جمع حَرَس، مَنْ يحرس الحاكم من وصول المكروه.

شُرَطِكَ(١)، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ(٢)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ(٣): «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ(٤) لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ، غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ(٥) مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ(٦)، وَنَحِّ(٧) عَنْهُمُ ٱلضِّيقَ(٨) وَٱلْأَنَفَ(٩)، يَبْسُطِ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ(١٠)، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً(١١)، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ(١٢)، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ ٱلنَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ(١٣). وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا

---

(١) الشُرَط ـ بضم ففتح ـ: طائفة من أعوان الحاكم، وهم المعروفون بالضابطة، واحده شُرْطة ـ بضم فسكون ـ.

(٢) غير متتعتع: غير مزعج ولا مقلق، والتعتعة في الكلام: التردّد فيه من عجز أو عيّ، والمراد غير خائف، تعبيراً باللازم.

(٣) في غير موطن: أي في مواطن كثيرة.

(٤) التقديس: التطهير، أي لا يطهر الله أمّة...

(٥) الخُرق: الجهل أو العنف ضد الرفق.

(٦) العِيّ ـ بالكسر ـ: العجز عن النطق، أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك.

(٧) نَحِّ: فعل أمر من نحّى ينحّيه أي أبعد عنهم

(٨) الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.

(٩) الأَنَف ـ محرّكة ـ: الاستنكاف والاستكبار.

(١٠) أكناف الرحمة: أطرافها.

(١١) هنيئاً: سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمنّ به، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

(١٢) يعيا: يعجز.

(١٣) حرِجَ يَحْرَج ـ من باب تعب ـ: ضاق، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبّون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهاراً للجبروت.

بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ ٱلأَقْسَامِ[1]، وَإِنْ كَانَ كُلُّهَا لِلّٰهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا ٱلنِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا ٱلرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلّٰهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ ٱلَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ[2]، فَأَعْطِ ٱللّٰهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ[3] وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ[4]. وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً[5]، فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ، وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ - صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى ٱلْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعْدَ هٰذَا، فَلَا تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ ٱحْتِجَابَ ٱلْوُلاَةِ عَنِ ٱلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ ٱلضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِٱلأُمُورِ؛ وَٱلاِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ ٱلصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ، وَيُشَابُ ٱلْحَقُّ بِٱلْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ ٱلنَّاسُ

---

(١) أجزلها: أعظمها.

(٢) لما فرغ عليه السلام من وصيته بأمور رعيته، شرع في وصيته بأداء الفرائض.

(٣) كاملاً غير مثلوم: أي غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء، يقول: لا يحملنّك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصاراً بل صلّها بفرائضها وسُننها وشعائرها في نهارك وليلك، وإن أتعبك ذلك ونالَ من بَدَنك وقوّتك.

(٤) «بالغاً» حال بعد الأحوال السابقة، أي وإن بلغ من إتعاب بدنك أي مبلغ.

(٥) أمَرَه إذا صلّى بالناس جماعة ألّا يُطيل فينفّرهم عنها، وألّا ينقصها فيضيعها، والمطلوب التوسط

مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ[1] تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ كَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ تِجَابُكَ[2] مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ! أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ، فَمَا رَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ[3]، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ بِلَكَ مَا لَا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ[4]، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ[5]، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي عَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ[6]، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ اشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً[7]، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ[8] تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ

---

١) سمات: جمع سِمة، وهي العلامة، أي ليس للحقّ علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب، وإنما يعرف ذلك بالامتحان، ولا يكون إلّا بالمحافظة.

٢) فلأي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم أو في عمل تمنحه إيّاهم.

٣) أيِسوا: قنطوا ويئسوا. والبذل: العطاء، فإن قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب.

٤) شَكَاة ـ بالفتح ـ: شكاية.

٥) نهاه عليه السلام عن أن يَحمِل أقاربه وحاشيته وخواصّه على رقاب الناس، وأن يمكّنهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإذلال.

(٦) فاحسم: أي اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعدّيهم، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرّف في شؤون العامة.

(٧) الإقطاع: المنحة من الأرض، والقطيعة: الممنوح منها. والحامّة: الخاصة والقرابة، حامّة الرجل: أقاربه وبطانته.

(٨) الاعتقاد: الامتلاك، والعُقدة: الضيعة، واعتقاد الضيعة: اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعة فربّما أضرّوا بمن يليها، أي يقرب منها من الناس.

ٱلنَّاسِ، فِي شِرْبٍ[1] أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ[2] ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ ٱلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَٱلْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَوَاصِّكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ[3].

وَإِنْ ظَنَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ[4]، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ[5] بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ[6]، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً[7] تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلّٰهِ فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي ٱلصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ[8]، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ، وَلٰكِنِ ٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ[9]، فَخُذْ بِٱلْحَزْمِ، وَٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ

---

(١) الشِّرب ـ بالكسر ـ: هو النصيب في الماء.

(٢) مهنؤه: منفعته الهنيئة، ومصدر هنأه كذا.

(٣) المغبّة: العاقبة، ومغبّة الشيء: عاقبتهُ. وإلزام الحقّ لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة.

(٤) وإن فعلتَ فعلاً ظنّت الرعية أنّ فيه حيفاً ـ أي ظُلماً ـ فأصْحِرْ لهم بعذرك: أي أبرز لهم، وبيّن عذرك فيه، يقال: أصحرتُ بكذا، أي كشفته؛ مأخوذ من الإصحار، وهو الخروج إلى الصحراء.

(٥) اعدل عنك ظنونهم: نحّها.

(٦) رياضةً: تعويداً لنفسك على العدل.

(٧) الإعذار: إقامة العذر، وتقديمه أو إبداؤه.

(٨) الدَّعَة ـ محرّكة ـ: الراحة.

(٩) قارب ليتغفّل: أي يطلب غفلتك، فتقرّب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

ٱلظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً(١)، فَحُطْ عَهْدَكَ بِٱلْوَفَاءِ(٢)، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِٱلْأَمَانَةِ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ(٣)، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللّٰهِ شَيْءٌ ٱلنَّاسُ(٤) أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ ٱلْوَفَاءِ بِٱلْعُهُودِ(٥). وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ ٱلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ(٦) لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ ٱلْغَدْرِ(٧)؛ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ(٨)، وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ(٩)، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى ٱللّٰهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً(١٠) أَفْضَاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ(١١)، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى

---

(١) أصل معنى الذمة: وجدان مودَع في جِبِلَّة الإنسان ينبّهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه، ويدفعه لأداء ما يجب عليه فيها، ثم أُطلقت على معنى العهد. وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الوقاية من الضرر.

(٢) حُطْ عهدك: أمر من حاطه يحوطه، بمعنى حفظه وصانه.

(٣) قال عليه السلام: واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت، أي ولو ذهبت نفسك فلا تَغدِر. والجُنّة: الوقاية.

(٤) «الناس» مبتدأ و«أشدّ» خبر، والجملة خبر ليس.

(٥) يعني أنّ الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشدّ من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم، حتى أنّ المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون.

(٦) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد.

(٧) استَوْبلوا: وجدوه وَبيلاً، أي ثقيلاً. استوبلتُ البلدَ، أي استوخمته واستثقلته، ولم يوافق مزاجَك. والمعنى: أنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة، و«ما» والفعل بعدها في تأويل مصدر، أي استيبالهم.

(٨) لا تخيسَنّ بعهدك: أي لا تغدِرنّ. خاس فلانٌ بذمته وعهده: غَدَر ونَكَث وخان.

(٩) لا تختلنّ عدوك: أي لا تمكُرنّ به، خَتَلَهُ أي خدعَهُ، والخَتْل: الخداع.

(١٠) الأمن: الأمان.

(١١) أفضاه ـ هنا ـ: بمعنى أفشاه، وجعله مشتركاً بينهم، لا يختصّ به فريق دون فريق، وأصل أفضى من «فضا فَضْواً» أي اتسع، والسعة مجازية يراد بها الإفشاء والانتشار.

مَنَعَتِهِ[1]، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ[2]؛ فَلَا إِدْغَالَ[3] وَلَا مُدَالَسَةَ[4] وَلَا خِدَاعَ فِيهِ. وَلَا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ[5]، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ[6]. وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ[7] لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلَا عُذْرَ

(١) الحريم: ما تحرم عليك أن تمسه، والمَنَعَة: ما تمتنع به من القوة.

(٢) يستفيضون إلى جواره: أي ينتشرون في طلب حاجاتهم ومآربهم، ساكنين إلى جواره.

(٣) لا إدغال: أي لا إفساد، والدَّغَل: الفساد.

(٤) لا مُدالسة: أي لا خديعة، يقال: فُلان لا يوالس ولا يُدالس، أي لا يخادع ولا يخون، وأصلُ الدَّلَس: الظلمة، والتدليس في البَيْع: كتمانُ عيبِ السِّلعة عن المشتري.

(٥) العِلَل: جمع علّة، وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه، ويحوله إلى غير المراد، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته.

(٦) لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض، يقول: إذا تعلل المعاقِدُ لك بهفذ وطلب شيئاً لا يوافق ما أكدته، وأخذت عليه الميثاق فلا تعوّل عليه، وكذلك لو رأيت ثقلاً من التزام العهد فلا تركن إلى لحن القول لتتملّص منه، فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك.

(٧) «وأن تحيط» عطف على «تبعته»: أي وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته، ويأخذ الطلب بجميع أطرافك، فلا يمكنك التخلص منه، ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض.

لَكَ عِندَ ٱللهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ ٱلْبَدَنِ[1]، وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ[2] أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِٱلْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ[3] فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ[4] بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَٱلثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ ٱلْإِطْرَاءِ[5]، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ ٱلشَّيْطَانِ[6] فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ ٱلتَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ[7]، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلْإِحْسَانَ، وَٱلتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ[8] عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ، قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

---

(١) القَوَد ـ بالتحريك ـ: القصاص، وإضافته للبدن لأنّه يقع عليه، والمراد إرهابه بهذه اللفظة فإنّها أبلغ من أن يقول له: «فإنّ فيه القَوَد».

(٢) أفرط عليك سوطُك: عَجّلَ بما لم تكن تريده، أردت تأديباً فأعقب قتلاً.

(٣) الوَكْزة: الضربة بجمع الكف، أي قبضته، وهي المعروفة باللكمة. وقوله «فإنّ في الوكْزة» تعليلٌ لأفرط.

(٤) لا تطمحنّ: أي لا يترفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ، وقوله «فلا تطمحن» جواب الشرط.

(٥) الإطراء: المبالغة في الثناء.

(٦) الفُرصة: حادث يمكّنك ـ لو سعيت ـ من الوصول لمقصدك والعُجب في الإنسان من أشدّ الفرص لتمكين الشيطان من قصده، وهو محق الإحسان بما يتبعه من الغرور والتعالي بالفضل على مَن وصل إليه أثره.

(٧) التزيّد: إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار، مثل أن يعدّ ثلاثة أجزاء من الجميل فيذّعي في المجالس والمحافل أنه أسدى عشرةً، فإنّ ذلك يذهب بنور الحقّ؛ لأنّ الحق إذا خالط الكذبُ أذهب نورَه.

(٨) المَقْت: البُغض والسخط.

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ بِٱلْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ ٱلتَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا[1]، أَوِ ٱللَّجَاجَةَ[2] فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[3]، أَوِ ٱلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ[4]، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَٱلِاسْتِئْثَارَ بِمَا ٱلنَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[5]، وَٱلتَّغَابِيَ[6] عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ. ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[7]، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ[8]، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ[9]، وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ ٱلْبَادِرَةِ[10]، وَتَأْخِيرِ ٱلسَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلِاخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ

---

(١) التسقُّط: من قولهم «تسقَّط في الخبر يتسقَّطه إذا أخذه قليلاً قليلاً». يريد به هنا التهاون. وفي نسخة إكسافي نسخة ابن أبي الحديد) التساقط، من «ساقط الفرس عدوه» إذا جاء مسترخياً.

(٢) اللَّجاجة: الإصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه.

(٣) تنكَّرت: لم يُعرف وجه الصواب فيها.

(٤) استوضحت، أي وَضَحتْ وانكشفتْ. والوَهْن فيها إهمالُها وتركُ انتهاز الفرصة فيها، والوهن في الأصل: الضعف.

(٥) إياك والاستئثار: أي احذر أن تخصَّ نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو مما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة، *والناس فيه أسوة*، *أي متساوون*.

(٦) التغابي: التغافل. و«ما تُعنى به» مبني للمجهول، أي يُهتم به.

(٧) يقال «فلان حميّ الأنف»: إذا كان أبيّاً يأنف الضيم، أي املك نفسك عند الغضب.

(٨) السَّوْرة: الحِدة. والحَدّ ـ بالفتح ـ: البأس.

(٩) الغَرْب: الحدّ تشبيهاً له بحدّ السيف ونحوه.

(١٠) البادرة: ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه، وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً والسكوت يطفئ من لهبه.

بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ، مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ[1] فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

ومن هذا العَهْدِ وهو آخِرُهُ

وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ[2]، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ، مِنَ ٱلْإِقَامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ[3] إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ، وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ فِي ٱلْبِلَادِ، وَتَمَامِ ٱلنِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ[4]، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِٱلسَّعَادَةِ وَٱلشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَى ٱللّٰهِ رَاغِبُونَ، وَٱلسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) ضمير «فيها» يعود إلى جميع ما تقدّم، أي تذكّر كلّ ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل، واحذر التأويل حسب الهوى.

(٢) «على» متعلقة بقدرة، وروي: «كلّ رَغِيبة»، والرغيبةُ: ما يُرغَب فيه؛ فأمّا الرغبة فمصدرُ رَغِبَ في كذا.

(٣) معنى قوله: «من الإقامة على العُذر» أي أسأل الله أن يوفقني للإقامة على الاجتهاد وبَذْل الوُسْع في الطاعة، وذلك لأنّه إذا بذل جهدَه فقد أعذَر، أو يريد من العذر الواضح العدلَ، فإنّه عذر لك عند مَنْ قضيتَ عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

(٤) تضعيف الكرامة: أي زيادة الكرامة أضعافاً.

٥٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي[1] وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي[2] في كتاب «المقامات» في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا ـ وَإِنْ كَتَمْتُمَا ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ ٱلنَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي[3]، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي. وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي[4]، وَإِنَّ ٱلْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ[5]. فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَٱرْجِعَا وَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا ٱلسَّبِيلَ[6]

(*) رواه ـ بإطالة ـ أبو جعفر الإسكافي في (المقامات) ـ ابنُ الأعثم الكوفي في (تاريخه) ص ١٧٣، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٠.

---

(١) عمران بنُ الحُصَين الخزاعي، أسلم هو وأبو هريرة عامَ خَيْبر، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، ومات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين في أيّام معاوية.

(٢) أبو جعفر الإسكافيّ، من المعتزلة، كان فاضلاً عالماً، صنّف سبعين كتاباً في علم الكلام، ونقض كتاب «العثمانية» على الجاحظ في حياته، وكان يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد، ويبالغ في ذلك، وكان عَلَوِيَّ الرأي، محقّقاً مُنصِفاً، قليلَ العصبيّة.

(٣) أي لم أُرِدْ الولايةَ عليهم حتّى أرادوا هم منّي ذلك.

(٤) لم أمدُدْ يدي إليهم مدَّ الطّلَب والحرْص على الأمر، ولم أمدُدها إلّا بعد أن خاطَبُوني بالإمْرَة والخلافة.

(٥) «ولا لِعَرَضٍ حاضر» أي مالٍ موجود فرّقته عليهم. [وفي نسخة عبده والصالح: ولا لِحَرْصٍ حاضرٍ] والعَرَض: هو المتاع، وما سوى النقدين من المال، أي ولا طمع في مالٍ حاضر.

(٦) السبيل: الحجّة، أي قد جعلتُما لي على أنفسكما السّبيل بإظهاركم الطاعة، والدخول فيما دخل فيه الناس، ولا اعتبار بما أسررتما من كراهية ذلك.

بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ(١)، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا الْأَمْرَ(٢) مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ(٣). وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ(٤). فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ(٥)، وَالسَّلَامُ.

٥٥ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى مُعَاوِيَةَ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا(٦)، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا،

(*) رواه السيد اليماني في (الطراز) ج ٢ ص ٣٩٣، والآمدي في (غرر الحكم) ص ١١٩.

---

(١) أي لو كان عندي ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون في كراهية ذلك سواء؛ فما الذي جعلكما أحقّ المهاجرين بالكتمان والتقيّة!

(٢) الأمر هو الخلافة.

(٣) يقول: إنّ امتناعكما عن البيعة في مبدأ الأمر أجمل من دخولكما فيها ثم نكثها.

(٤) أي نرجع في الحكم لمن تقاعد عن نصري ونصركما من أهل المدينة، كمحمّد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، فإن حكموا قبلنا حكمهم، ثم ألزمت الشريعة كلّ واحد منّا بقدر مداخلته في قتل عثمان، ولا شبهةَ أنّهم لو حكموا لحكموا ببراءة عليّ عليه السلام من دم عثمان، وبأنّ طلحة كان هو الجملة والتفصيل في أمره وحصره وقتله، وكان الزبير مساعداً له في ذلك، وإن لم يكن مكاشفاً مكاشفة طلحة.

(٥) قوله: «من قبل أن يجتمع» متعلق بفعل محذوف، أي ارجعا من قبل...

(٦) أي جعلها طريقاً إلى الآخرة.

لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا(١)، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابْتَلاَنِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلاَكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ(٢)، وَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي(٣)، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ(٤)، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ. فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ(٥)، وَاصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ. وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ(٦) تَمَسُّ الأَصْلَ(٧)، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ(٨)، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ(٩)، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ(١٠). ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

---

(١) يقول: لم نؤمر بالسعي فيها لها، بل أمرنا بالسعي فيها لغيرها.

(٢) فعدوت: أي وثبت أو تعديت وظلمت، ويريد ﷺ بقوله: «بتأويل القرآن» ما كان معاوية يموّه به على أهل الشام فيقول لهم: أنا وليّ عثمان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ [الاسراء: ٣٣].

(٣) أي أنك وأهل الشام عصبتم - أي ربطتم - دم عثمان بي، كما تلزم العصابة الرأس، وألزمتموني ثأره.

(٤) ألّب: حرّض. قالوا: يريد بالعالم أبا هريرة، وبالقائم: عمرو بن العاص.

(٥) القياد: حبل تقاد به الدابّة، ونازعه القياد إذا لم يسترسل معه.

(٦) القارعة: البلية والمصيبة.

(٧) تمسّ الأصل: أي تصيبه، فتقتله، ومنه ماء ممسوس، أي يقطع الغُلّة.

(٨) الدابر هو الآخِر أو العقب والنسل، ويقال للأصل أيضاً، أي لا تبقي لك أصلاً ولا فرعاً.

(٩) الأَلِيّة: اليمين، أُولي أليّة: أي أحلف بالله حِلفة غير حانثة.

(١٠) باحة الدار: وَسَطها، وكذلك ساحَتُها، ورُوِي بناحيتك.

٥٦ ـ ومن كلام له عليه السلام*

وَصَّى بِهِ شُرَيْحَ بْنَ هَانِئٍ[1] لَمَّا جَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ إِلَى الشَّامِ

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ[2] إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً[3]، وَلِنَزَوَاتِكَ[4] عِنْدَ الْحَفِيظَةِ[5] وَاقِماً قَامِعاً[6].

٥٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام**

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ عَنْ حَيِّي هٰذَا[7]: إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا

(*) رواها ابن مزاحم في كتاب (صفّين) ص ١٢١.

(**) رواه الطبري في (تاريخه) ج٦ ص ١٧٣ في حوادث سنه ٣٦.

---

(١) شُرَيح بن هانئ يكنى أبا المِقدام، من أجلّة أصحاب عليّ عليه السلام، شهد معه المشاهد كلّها، وعاش حتى قُتِل بسجستان في زمن الحجّاج، وشُرَيح جاهليّ إسلاميّ.

(٢) سمت: أي ارتفعت، والأهواء: جمع هوى، وهو الميل مع الشهوة حيث مالت.

(٣) الرادع: الكاف المانع.

(٤) النزوات: الوَثَبات، من «نزا ينزو نزواً» أي وثب.

(٥) الحفيظة: الغضب.

(٦) الواقِم: فاعلٌ من «وقَمْتُه» أي رددتُه أقبحَ الردّ وقهرتُه. وقمعه: ردّه وكسره.

(٧) الحي: موطن القبيلة ومنزلها.

مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَأَنَا أُذَكِّرُ ٱللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ(١)، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ٱسْتَعْتَبَنِي(٢).

٥٨ـ ومن كتاب له عليه السلام

كَتَبَهُ إلى أهلِ الأمصارِ يَقُصُّ فيه ما جرَى بينَهُ وبينَ أهلِ صِفِّين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا بِٱلْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَٱلظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ(٣)، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي ٱلْإِيمَانِ بِٱللّٰهِ(٤) وَٱلتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا، ٱلْأَمْرُ وَاحِدٌ(٥) إِلَّا مَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ ا فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِي مَا لَا يُدْرَكُ ٱلْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ ٱلنَّائِرَةِ(٦)، وَتَسْكِينِ ٱلْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ ٱلْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ ٱلْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ * .

(١) «من بلغه» مفعول «أذكّر» وقوله: «لما نفر إليّ» إن كانت مشدّدة فلمّا بمعنى إلّا، وإن كانت مخفّفة فهي زائدة، واللام للتأكيد.

(٢) استعتبني: طلب مني العتبى، أي الرضا، أي طلب منّي أن أرضيه بالخروج عن إساءتي. وما أحسنَ هذا التقسيم وما أبلغه في عطف القلوب عليه، واستمالة النفوس إليه!

(٣) والظاهر... : الواو للحال، أي كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلّا في دم عثمان.

(٤) لا نستزيدهم: أي لا نطلب منهم زيادة في الإيمان لأنّهم كانوا مؤمنين.

(٥) قوله: «والأمر واحد» جملة مستأنفة لبيان الاتحاد في كلّ شيء إلّا دم عثمان.

(٦) النائرة: اسم فاعل من «نارت الفتنة تنور» إذا انتشرت، والنائرة أيضاً العداوة والشحناء.

* في نسخة عبده والصالح: وَضْعِ الحقِّ مَوَاضِعَهُ

فَقَالُوا: «بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ»[1] فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ[2] الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ[3]، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا[4] وَحَمِشَتْ[5]. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ[6]، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا[7]، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ[8] الَّذِي رَانَ[9] اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ[10] السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

---

(١) المكابرة: المعاندة، أي دعاهم للصلح حتى يسكن الاضطراب ثم يوفيهم طلبهم فأبوا إلّا الإصرار على دعواهم.

(٢) جنحت: أقبلت، ومنهُ: قد جَنَحَ الليلُ أي أقبل، أو جنحت الحرب: بمعنى مالت، أي مال رجالُها لايقادها.

(٣) رَكَدت: دامت وثَبَتت واستقرت.

(٤) وَقَدتْ نيرانُها: أي التهبت واتّقدت.

(٥) حَمِشَتْ: أي استعرت وشَبَّت، ومن رواها «حَمَسَتْ» [كما أثبته عبده في المتن] أراد اشتدّت وصَلُبت.

(٦) ضَرَّستنا: أي عضّتنا بأضراسها، ويقال: ضَرَّسهم الدهر، أي اشتدّ عليهم.

(٧) قوله: «وسارعْنا إلى ما طلبوا» كلمةٌ فصيحة، وهي تَعدِيَة الفعل اللّازم كأنّما لمّا كانت في معنى المُسابقَة، والمسابقة متعدِّية عدّى المُسارعةَ.

(٨) قال قومٌ: الراكس ـ هنا ـ: المَرْكوس، وعندي أنّه يعني أنّ مَنْ لجّ فقد رَكَس نفسه، فهو الراكس، وهو المَرْكوس. والراكس: الناكث الذي قلب عهده ونكثه، والراكس أيضاً: الثور الذي يكون في وسط البيدر حين يداس والثيران حواليه، وهو يرتكس: أي يدور مكانه.

(٩) رانَ: غَلَب وغطّى.

(١٠) الدائرة ـ هنا ـ: الهزيمة، والدوائر: الدُّوَل، والدوائر أيضاً: الدواهي.

٥٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى الأسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ(١) صاحِبِ جُنْدِ حُلْوانَ(٢)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ هَوَاهُ(٣) مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَٱجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ(٤)، وَٱبْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ(٥) عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً. وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَٱلِاحْتِسَابُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ(٦). فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ

(*) نقله السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ١٧٠.

---

(١) الأسود بن قُطْبة: لم أقف على نَسَبه، والذي يغلب على ظنّي أنّه الأسود بنُ زيد بن قُطبة الأنصاري، يقال: إنه ممن شهد بَدْراً.

(٢) حُلْوان: إيالة من إيالات فارس.

(٣) اختلاف الهوى: جريانه مع الأغراض النفسية حيث تذهب، ووحدة الهوى: ت. جهه إلى أمر واحد، وهو تنفيذ الشريعة العادلة على مَنْ يصيب حكمها.

(٤) أي ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك.

(٥) الفَرْغَة: وهي المرّة الواحدة من الفَرَاغ، ومراده ﷺ ههنا: الفراغ من عمل الآخرة خاصة، والفراغ الذي يعقب حسرة يوم القيامة: هو خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة، فعلى الإنسان أن يكون عاملاً دائماً فيما ينفع أمّته، ويصلح رعيته، إن كان راعياً.

(٦) الاحتساب على الرعية: مراقبة أعماله، وتقويم ما اعوجّ منها وإصلاح ما فسد، والأجر الذي يصل إليه العامل من الله، والكرامة التي ينالها من الخليفة، هما أفضل وأعظم من الصلاح الذي يصل إلى الرعية بسببه، أو معناه: إنّ الذي يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعية، وحفظ نفسك ←

فْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَٱلسَّلَامُ.

٦٠ـ ومن كتاب له عليه السلام (*)

إلى العُمّالِ الَّذِينَ يَطأُ الجَيْشُ عَمَلَهُمْ[1]

مِنْ عَبْدِ ٱللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ ٱلْخَرَاجِ[2] وَعُمَّالِ ٱلْبِلَادِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ ٱلْأَذَى، وَصَرْفِ ٱلشَّذَى[3]، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ[4] مِنْ مَعَرَّةِ ٱلْجَيْشِ[5]، إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ ٱلْمُضْطَرِّ[6] لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ، فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ، وَٱلتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْجَيْشِ، فَٱرْفَعُوا إِلَيَّ

(*) روى مثل هذا الكتاب ابن مزاحم في كتابه (صفّين) ص ١٢٥ مع زيادة واختلاف في بعض الفقرات.

← من مظالمهم، أفضل من الذي يصل بك من حراسة دمائهم وأعراضهم وأموالهم لأنّ النفع الدائم أفضلُ من المنقطع.

(١) يَطأُ الجيشُ عملَهم: أي يمرّ بأراضيهم.

(٢) جُباة الخَراج: الذين يجمعونه، جَبيتُ الماءَ في الحوض، أي جمعتُ.

(٣) الشَّذَى: الضرب والشرّ، تقول: لقد أشذَيتُ وآذَيتُ.

(٤) وإلى ذمّتكم: أي إلى اليهود والنصارى الذين بينكم.

(٥) مَعَرّة الجيش: أذاه و مَضَرّته، والإمام يتبرأ منها لأنّها من غير رضاه.

(٦) جوعة: الواحدة من مصدر جاع، يستثني حالة الجوع المهلك فإنّ للجيش فيها حقّاً أن يتناول سدَّ رمَقِه؛ لأنّ المضطرّ تباح له الميتة فضلاً عن غيرها.

مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللّٰهِ وَبِي، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللّٰهِ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ.

٦١ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ(١)، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى هِيتَ، يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَرْكَهُ دَفْعَ مَنْ يَجْتَازُ بِهِ مِنْ جَيْشِ العَدُوِّ طَالِباً لِلغَارَةِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ ٱلْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ(٢)، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ(٣). وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ ٱلْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قَرْقِيسِيَا(٤)، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ(٥) ٱلَّتِي وَلَّيْنَاكَ ـ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، وَلَا يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْهَا ـ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ(٦). فَقَدْ صِرْتَ

(*) رواه البلاذري في كتاب (أنساب الأشراف) ص ٤٧٣، بأخصر من رواية الرضي.

---

(١) كُمَيل بنُ زياد النَخَعي، كان من أصحاب عليٍّ ﷺ وشيعته وخاصّته، وقتله الحجّاج على المَذهب فيمن قَتَل من الشيعة.

(٢) تضييع الإنسان الشأن الذي تولّى حفظه، وتجشّمه الأمر الذي لم يطلب منه، وكفاه الغير ثقله، عجزٌ عن القيام بما تولّاه، وكان كميل بن زياد تمرّ عليه سرايا معاوية تنهَبُ أطرافَ العِراق ولا يردُّها، ويحاول أن يجبُرَ ضعفَه بالإغارة على أطراف أعمال معاوية مثل قَرْقيسيا، فأنكر ﷺ ذلك من فِعْله.

(٣) المتبَّر: الهالك، من «تبره تتبيراً» إذا أهلكه، أي هالكٌ صاحبه.

(٤) قرقيسيا: بلد على الفرات.

(٥) المسالح: جمعُ مَسْلَحة، وهي المواضع التي يقام فيها طائفةٌ من الجند لحمايتها.

(٦) رأيٌ شعاع ـ بالفتح ـ : أي متفرّق، أمّا الرأي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح، ومنع العدوّ من دخول البلاد.

جِسْراً[1] لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمَنْكِبِ[2]، وَلَا مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ، وَلَا سَادٍّ ثُغْرَةً[3]، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ[4]، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ[5].

٦٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى أَهْلِ مِصْرَ مَعَ مَالِكٍ الأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللّهُ لَمَّا وَلَّاهُ إِمَارَتَهَا

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ[6]. فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تَنَازَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ. فَوَٱللّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[7] وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ ٱلْعَرَبَ تُزْعِجُ

(*) رواه ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات)، وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٥٤.

---

(١) وقد صرتَ جِسْراً أي يَعْبُر عليك العدوّ كما يعبر الناس على الجُسور، وكما أنّ الجسر لا يَمنع من يَعْبُر به ويمرّ عليه فكذلك أنت.

(٢) المنكِب: مجتمع الكَتِف والعَضُد، وشدته كناية عن القوة والمنعة.

(٣) الثُغْرَة: الثُلْمة والفرجة يدخل منها العدوّ.

(٤) أغنى عنه: ناب منابه، وقائد المسالح ينبغي أن ينوب عن أهل المصر في كفايتهم غارة عدوّهم.

(٥) مُجْزٍ: كافٍ ومُغْنٍ؛ والأصل «مُجزِئ» بالهمز، فخفّف، وأجزى عنه: قام مقامه وكفى عنه.

(٦) المُهيمِن: الشاهد، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأوّلين.

(٧) الرُّوع: الخَلَد*، أو القلب، أو موضع الرَّوْع منه ـ بفتح الراء ـ أي الفزع، أي ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر، وهو أنّ العرب تزعج ـ أي تنقل ـ هذا الأمر ـ أي الخلافة ـ عن آل بيت النبي عموماً، ولا أنّهم ينحّونه ـ أي يبعدونه ـ عنّي خصوصاً.

---

* الخَلَد: البال والنَّفْس، ومنه يقال: لم يَدُر في خَلَدِي كذا.

هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا ٱنْثِيَالُ ٱلنَّاسِ عَلَى فُلَانٍ[1] يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي[2] حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ[3] ٱلنَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ[4] مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ ٱلْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً[5] أَوْ هَدْماً، تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ ٱلَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ ٱلسَّرَابُ، وَكَمَا يَتَقَشَّعُ ٱلسَّحَابُ. فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ ٱلْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ ٱلْبَاطِلُ[6] وَزَهَقَ[7]، وَٱطْمَأَنَّ ٱلدِّينُ وَتَنَهْنَهَ[8].

(١) قال: «فما راعني إلّا انثيال الناس» تقول للشيء يفجؤك بغتةً: ما راعني إلّا كذا، والرَّوع ـ بالفتح ـ: الفَزَع، كأنّه يقول: ما أفزعني شيءٌ إلّا ما وقع من انثيال الناس ـ أي انصبابهم من كلّ وجه كما ينثال التراب ـ على أبي بكر.

(٢) فأمسكتُ يدي: أي امتنعتُ عن بيعته، أو كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم.

(٣) راجعة الناس: يعني أهل الردّة كمسيلمة وسَجَاح، أو الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله، وإهمالهم حدوده، وعدولهم عن شريعته، يريد بهم عمّال عثمان وولاته على البلاد.

(٤) محقُ الدِّين: إبطاله ومحوه وإزالته.

(٥) ثَلْماً: أي خرقاً، ولو لم ينصر الإسلامَ بإزالة أولئك الولاة، وكشف بدعهم، لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالمطالب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية في الأمصار، فالولاية يتمتع بها أيّاماً قلائل ثمّ تزول كما يزول السراب، فنهض الإمام بين تلك البدع فبددها.

(٦) زاح الباطلُ: ذَهَبَ.

(٧) زَهَقَ: خَرَجَ وزال أو خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام.

(٨) تنهنَه: سكن، وأصله الكفّ، تقول: نهنهت السَّبُعَ فتنهنَه، أي كَفَّ عن حركته وإقدامه، فكأنّ الدِّين كان متحرّكاً مضطرباً منزعجاً من تصرّف هؤلاء نازعاً إلى الزوال فكفّه أميرُ المؤمنين ومنعه فاطمأنّ وثبت وكفّ عن ذلك الاضطراب.

وَمِنْ هٰذَا الْكِتَابِ: إِنِّي وَٱللّٰهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلَاعُ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا[1] مَا بَالَيْتُ وَلَا ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَى ٱلَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ ٱللّٰهِ لَمُشْتَاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلٰكِنَّنِي آسَى[2] أَنْ يَلِيَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ ٱللّٰهِ دُوَلاً[3]، وَعِبَادَهُ خَوَلاً[4]، وَٱلصَّالِحِينَ حَرْباً[5]، وَٱلْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ ٱلَّذِي شَرِبَ فِيكُمُ ٱلْحَرَامَ[6]، وَجُلِدَ حَدّاً فِي ٱلْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ ٱلرَّضَائِخُ[7]. فَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[8] وَتَأْنِيبَكُمْ وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ[9].

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ[10] قَدِ ٱنْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَإِلَى

---

(١) وهم طلاع: حال من مفعول لقيتهم، والطلاع: ملء الشيء، طِلاع الأرض: ملؤها، أي لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم.

(٢) آسى: أحزن، مضارع أسيت عليه، أي حزنت، أي أنه يحزن لأن يتولّى أمرَ الأمّة سفهاؤها.

(٣) الدُّوَل: جمع دُولَة، أي شيئاً يتداولونه بينهم يتصرّفون فيه بغير حقّ الله.

(٤) الخَوَل: العبيد.

(٥) حَرْباً: أي محاربين.

(٦) شَرِبَ الحرام: يريد الخمر، والذي شَرِب الحرام، وجُلِد في حدّ الإسلام هو الوليدُ بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، وقالوا: عتبة بن أبي سفيان حدّه خالد بن عبد الله في الطائف.

(٧) رَضِخَتْ له: أُعطِيَتْ له، والرَّضائخ: جمع رضيخة، وهي شيء قليل، يُعطاه الإنسان يُصانَع به عن شيء يُطلَب منه كالأجر. والذي رُضِخت له على الإسلام الرَّضائخ، فمعاوية، لأنّه من المؤلّفة قلوبُهم الذين رَغِبوا في الإسلام والطاعة بجمالٍ وشاء دُفِعَتْ إليهم.

(٨) تأليبكم: تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم، والتأنيب: أشدّ اللوم.

(٩) وَنَيْتم: ضعُفتم وفَتَرْتُم، وأبطأتم عن إجابتي.

(١٠) أطراف البلاد: جوانبها، وانتقصت: حصل فيها النقص باستيلاء العدوّ عليها.

مَسَالِكِكُمْ[١] تُزْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى! اِنْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى ٱلْأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِٱلْخَسْفِ[٢]، وَتَبُوءُوا بِٱلذُّلِّ[٣] وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلْأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلْأَرِقُ[٤]، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَٱلسَّلَامُ.

٦٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى ٱلْكُوفَةِ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ تَثْبِيطُهُ[٥] ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ إِلَيْهِ لَمَّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ[٦]، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فَٱرْفَعْ ذَيْلَكَ[٧]، وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ[٨]، وَٱنْدُبْ مَنْ

(*) رواه الطوسي في (أماليه) ص ٤٣.

---

(١) ومسالككم تُزْوَى، أي تُقْبَض، تزوى مبني للمجهول من «زواه» إذا قبضه عنه.

(٢) تُقِرّوا بالخسف: تعترفوا بالضَّيم وتصبروا له.

(٣) تبوؤا بالذلّ: ترجعوا به.

(٤) الأرِق: الساهر الذي لا ينام، وصاحبُ الحرب لا ينام، والذي ينام لا ينام الناس عنه.

(٥) التثبيط: الترغيب في القعود والتخلّف.

(٦) المراد بقوله: «قولٌ هوَ لك وعليك»: أنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: «إنّ علياً إمامُ هُدىً، وبيّعته صحيحة، إلّا أنّه لا يجوز القِتال معه لأهل القِبْلة» وهذا القولُ بعضُه حقٌ، وبعضه باطل.

(٧) فارفَع ذَيْلك: أي شمِّر للنهوض معي واللّحاق بي، لِتشهَد حربَ أهل البصرة، وكذلك قوله: «واشدُدْ مِئزرَك» وكلتاهما كنايتان عن الجدّ والتشمير في الأمر.

(٨) اخرج من جُحْرك: أمرٌ له بالخروج من منزله للّحاق به، كنّى به عن مقرّه، استهانة به.

مَعَكَ[1]، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ[2]، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ[3]! وَأَيْمُ ٱللَّهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ[4]، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ[5]، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ، كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ[6]. وَمَا هِيَ بِٱلْهُوَيْنَى[7] ٱلَّتِي تَرْجُو، وَلَكِنَّهَا ٱلدَّاهِيَةُ ٱلْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَٱعْقِلْ عَقْلَكَ[8]، وَٱمْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ. فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ[9]، وَلَا فِي نَجَاةٍ، فَبِٱلْحَرِيِّ[10] لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ[11]، حَتَّى لَا يُقَالُ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَٱللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ[12] وَمَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ٱلْمُلْحِدُونَ، وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) انْدُبْ من معك: أي وانْدُبْ رعيَّتك من أهل الكوفة إلى الخروج معي واللَّحاق بي.

(٢) إن حَقَّقت: أي أخذت بالحق والعزيمة وحقَّقتَ لزومَ طاعتي لك فانفذ، أي سِرْ حتى تقدم عليّ.

(٣) وإنْ تفشَّلت: أي جبنت فابعد عنّا، أو إنْ أقمتَ على الشكِّ فاعتزلِ العمل، فقد عزلتُك.

(٤) الخاثِر: اللبن الغليظ، والزُّبد: خلاصة اللبن وصَفْوَته، فإذا ألخثتَ الإنسانَ ضرباً كنت كأنّك خلطت ما رَقَّ من أخلاطه بما غَلُظَ منها. والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة، وأصل المثل «لا يدري أيخثر أم يذيب». قالوا: إنّ المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع في حيرة: إن أوقدت النار حتى يصفو احترق، وإن تركته بقي كَدِراً.

(٥) القِعْدة: هيئة القعود. وأعجله عن الأمر: حال دون إدراكه، أي يحال بينك وبين جلستك في الولاية.

(٦) يحيط الخوف بك حتى تخشاه من أمام كما تخشاه من خلف.

(٧) الهُوَيْنى: تصغير «الهونى» مؤنث «أهْوَن» أي ليست هذه الداهية التي أذكرها لك بالشيء الهيِّن الذي ترجو اندفاعه وسهولته.

(٨) اعْقِل عقلك: قيِّده بالعزيمة، ولا تدعه يذهب مذاهب التردُّد من الخوف.

(٩) فتنحَّ عن العمل فقد عزلتُك، وابعُد عنّا لا في رحْبٍ، أي لا في سَعَة، وهذا ضدّ قولهم: مَرْحباً.

(١٠) بالحريِّ: أي بالوجه الجدير بنا أن نفعله.

(١١) لَتُكْفَيَنَّ ـ بلام التأكيد ونونه ـ أي إنّا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا اسم لك ولا يُسأل عنك.

(١٢) أي إنّي في حرب هؤلاء لَعَلَى حقّ، وإن مَنْ أطاعني مع إمام مُحِقّ، وهذا إشارةٌ إلى قول النبي ﷺ: «اللهمّ أدِرِ الحقّ معه حيثما دار».

٦٤ - ومن كتاب له عليه السلام*

إلى معاوية جواباً عن كتابه

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ ٱلْأُلْفَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ[١]، وَٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً[٢]، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ ٱلْإِسْلَامِ[٣] كُلُّهُ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِزْباً.

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ[٤] بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ ٱلْمِصْرَيْنِ[٥]، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ[٦].

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي جَمْعِ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَقَدِ ٱنْقَطَعَتِ ٱلْهِجْرَةُ يَوْمَ

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٧٠ مختصراً، والطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٦٣.

---

(١) قال ﷺ: لعمري إنّا كنّا بيتاً واحداً في الجاهلية، لأنّا بنو عبد مناف، إلّا أنّ الفرقة بيننا وبينكم حصلتْ منذ بعث الله محمداً ﷺ، فإنّا آمنا وكفرتُم، ثمّ تأكدت الفُرقة اليومَ بأنّا استقمنا على منهاج الحقّ وفُتنتم.

(٢) كرهاً: أي من غير رغبة، فإنّ أبا سفيان إنّما أسلم قبل فتح مكّة بليلة، خوف القتل، وخشية من جيش النبيّ ﷺ البالغ عشرة آلاف ونيفاً.

(٣) أنف الإسلام: كناية عن أشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح، أو في أوّل الإسلام، يقال: كان ذلك في أنف دولة بني فلان، أي في أوّلها. وأنف كلّ شيء أوّله وطَرَفه.

(٤) شرّدَ به: سمّع الناس بعيوبه، أو طرده وفرّق أمره.

(٥) المِصْرانِ: الكوفة والبصرة.

(٦) أي هذا أمرٌ غبتَ عنه، فليس عليك كان العدوان الذي تزْعُم، ولا العذرُ إليك لو وجب عليّ العذرُ عنه.

أُسِرَ أَخُوكَ[1]، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ[2]، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللّٰهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ[3]، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ   بِحَاصِبٍ[4] بَيْنَ أَغْوَارٍ[5] وَجُلْمُودِ[6]

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ[7] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ. فَإِنَّكَ وَاللّٰهِ مَا عَلِمْتُ[8] الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ[9]، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ[10]، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ[11]،

---

(١) يقول ﷺ: ليس معك مهاجر لأنَّ أكثرَ مَنْ معك ممّن رأى رسول الله ﷺ هم أبناء الطُّلَقاء، ومن أسلَم بعد الفتح، وقد قال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح». وأخوه يزيد بن أبي سُفيان أُسِرَ يوم الفتح، أمّا أخوه عمرو بن أبي سفيان فقد أُسر يوم بدر.

(٢) فاسترفِهْ: فعل أمر، أي استرِحْ وكن ذا رَفاهية، ولا تستعجل.

(٣) أي إن غَزَوتُك في بلادك فخليق أن يكون الله بعثني للانتقام منك، وإن زُرْتَني - أي إنْ غَزَوتني - في بلادي كنتم كما قال أخو بني أسد...

(٤) ريحٌ حاصب: تحمل الحصباء، وهي صغارُ الحَصَى.

(٥) الأغوار: جمع غَوْر، وهو ما سَفُل من الأرض. وإذا كانت الريح الحاصب بين أغوار، وكانت مع ذلك ريح صيف كانت أعظمَ مشقّة.

(٦) الجُلْمُود - بالضم -: الصخر.

(٧) أعضضْتُه: أي أعضضْتُ رؤوس أهلك به، وجدُّهُ عُتبة بن ربيعة، وخاله الوليدُ بن عتبة، وأخوه حنظلة، قتلهم عليٌّ ﵁ يوم بدر.

(٨) «ما» خبر إنّ، أي أنت الذي أعرفه.

(٩) الأغلف القلب: الذي لا بصيرة له، كأنّ قلبه في غِلاف، لا يدرك ولا تنفذ إليه المعاني. والأغلف خبر بعد خبر.

(١٠) مقارِب العقل: ناقصُهُ ضعيفُهُ، ليس عَقْله بجيد، كأنّه يكاد أن يكون عاقلاً وليس به.

(١١) الضالة: ما فقدته من مالٍ ونحوه، ونشد الضالة: طلبها ليردها، مثل يضرب لطالب غير حقّه.

وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ[1]، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ[2] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ[3] حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى[4]، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى[5].

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ[6]، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالَى: وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ[7] فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ[8]، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

٦٥ - ومن كتاب له عليه السلام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ[9]، فَلَقَدْ سَلَكْتَ

(١) السائمة: الماشية من الحيوان.

(٢) «ما» في قوله: «وقريب ما أشبهت» مصدرية، أي وقريب شبهك بأعمام وأخوال.

(٣) أي سقطوا قتلى في مطارحهم حيث تعلم أي في بدر وحُنين وغيرهما من المواطن.

(٤) الوغى: الحرب، أي لم تزل تلك السيوف تلمع في الحروب ما خلت منها.

(٥) أي لم تصحبها ولم ترافقها المُسَاهَلَة، يصفها بالسرعة والمضيّ في الرؤوس والأعناق.

(٦) وهو البيعة.

(٧) من إبقائك والياً في الشام وتسليمك قتلة عثمان.

(٨) الخُدْعَة - مثلثة الخاء -: ما تصرف به الصبي عن اللبن وطلبه في أول فطامه، وما تصرف به عدوّك عن قصدك به في الحروب ونحوها.

(٩) يقال: لأريناك لمحاً باصراً أي أمراً واضحاً، أي ظهر الحق فلك أن تنتفع بوضوحه من←

مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ ٱلْأَبَاطِيلَ[1]، وَٱقْتِحَامِكَ غُرُورَ ٱلْمَيْنِ[2] وَٱلْأَكَاذِيبِ، بِٱنْتِحَالِكَ[3] مَا قَدْ عَلَا[4] عَنْكَ، وَٱبْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ ٱخْتُزِنَ دُونَكَ[5]؛ فِرَاراً مِنَ ٱلْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ[6]؛ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ. فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ ٱلْمُبِينُ، وَبَعْدَ ٱلْبَيَانِ إِلَّا ٱللَّبْسُ[7]؟ فَٱحْذَرِ ٱلشُّبْهَةَ وَٱشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا[8]، فَإِنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا[9]، وَأَعْشَتِ ٱلْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا[10].

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ ٱلْقَوْلِ[11] ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ

← مشاهدة الأمور ومعاينتها.

(١) الأباطيل: جمع باطل على غير قياس، كأنهم جمعوا إبطيلاً.

(٢) الاقتحام: إلقاء النفس في الأمر من غير رويّة. والمَيْن: الكذب.

(٣) انتحالك: ادعاؤك لنفسك ما هو أرفع من مقامك. انتحلت القصيدة: أي ادّعيتها كذباً.

(٤) *ما قد علا عنك: ما هو أرفع من مقامك*، أي أنت دونَ الخلافة، ولست من أهلها.

(٥) ابتزازك، أي سلبك أمراً اختزن، أي مُنِعَ دون الوصول إليك، وهو التسمّي بإمرة المؤمنين، أو هو أمر الطلب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام فإنهما من حقوق الإمام لا من حقوق معاوية.

(٦) المراد بالذي هو ألزم له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين.

(٧) اللَّبس: مصدر «لبس عليه الأمر يَلبِس» أي خلطه.

(٨) اللُّبسة ـ بالضم ـ: الإشكال، يقال: في الأمر لُبسة، أي اشتباه وليس بواضح.

(٩) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها، وأغدف الليلُ، أي أرخى سُدوله، أي أغطيَتَهُ من الظلام، وأصل الكلمة التغطية. والجلابيب: جمع جلباب، وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته، أي طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة.

(١٠) أعشت الأبصار: أي أكسبتها العَشى، وهو ظلمة العين، فأضعفتها ومنعتها النفوذ إلى المرئيات الحقيقية. وروي «وأغشتْ الأبصارَ ظلمتَها» [كما في نسخة الصالح] أي جعلت الفتنةُ ظلمتَها غِشاوةً للأبصار.

(١١) الأفانين: الأساليب المختلفة، أفانين القول: ضروبه وطرائقه.

ٱلسِّلْمِ(١)، وَأَسَاطِيرَ(٢) لَمْ يَحُكْهَا(٣) عَنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ(٤)؛ أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي ٱلدَّهَاسِ(٥)، وَٱلْخَابِطِ(٦) فِي ٱلدِّيمَاسِ(٧)، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ(٨)، نَازِحَةِ ٱلْأَعْلَامِ(٩) تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلْأَنُوقُ(١٠)، وَيُحَاذَى بِهَا ٱلْعَيُّوقُ(١١). وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً(١٢)، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ

---

(١) عن السِّلم: أي عن الإسلام، أي لا تصدر تلك الأفانين المختلطة عن مُسْلِم. وكان كتب إليه يَطَّلب منه أن يفرده بالشام، وأن يولّيه العهد من بعده، [وفي نسخة عبده والصالح: السَّلْم - بكسر السين -] وهو ضد الحرب. ومعنى «ضَعُفَتْ قُواها» أي ليس لتلك الطلبات التي تضمّنها كتابُك من القوة ما يقتضي أن يكون المتمسّك به مسلماً.

(٢) الأساطير: الأباطيل، واحدها أُسْطُورة، بمعنى الخرافة لا يعرف لها منشأ.

(٣) حاكه يحوكه: نسجه، وحَوْكُ الكلام: صَنْعتُه ونَظْمُه، ونسج الكلام، تأليفه.

(٤) الحِلم - بالكسر -: العقل، يقول له: ما صدر هذا الكلام والهجر الفاسد عن عالِم ولا عاقل.

(٥) الدِّهاس - بالكسر - جمع دَهْس، والدَّهاس - بالفتح - مُفْرَد، يقول: هذا دَهْس ودَهاس، للأرض الرِّخْوَة والمكان السّهل الذي لا يَبْلُغ أن يكون رملاً. وليس هو بتراب وطين، يعسر فيه السير.

(٦) خبط في سيره: لم يهتد الطريق.

(٧) الدِّيماس - بالكسر -: المكان المُظْلِم تحتَ الأرض، وكان للحجّاج سِجنٌ اسمه الدِّيماس لظُلْمته، وأصله من دَمَس الظلام يَدمُس أي اشتدّ، وليلٌ دامِسٌ وداموس: أي مظلم.

(٨) المَرْقَبة: مكان الارتقاب، وهو العلو والإشراف، أي رفعت نفسك إلى منزلة بعيدٍ عنك مطلبها. وهي دعوى الخلافة.

(٩) نازحة: بعيدة. والأعلام: جمع عَلَم، ما يُهتَدى به في الطُرقات من المَنار، أي خفية المسالك.

(١٠) الأنوق: طائر أصلع الرأس أصفر المنقار، وفي المثل: «أعزّ من بَيْضِ الأنوق»؛ لأنّها تُحرز، ولا يكاد أحدٌ يظفَر به، وذلك لأنّ أوكارَها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة، ولهذا الطائر خصال عدّها صاحب القاموس.

(١١) العَيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدّمها. وهذه أمثالٌ ضرَبها في بُعدِ معاوية عن الخلافة.

(١٢) الصَّدَر: الرجوع بعد الشرب. والوِرْد: الإشراف على الماء.

عَهْداً! فَمِنَ ٱلآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللّٰهِ[1] أُرْتِجَتْ[2] عَلَيْكَ ٱلأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً[3] هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَٱلسَّلَامُ.

٦٦ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

كَتَبَهُ إِلَى عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِخِلَافِ هٰذِهِ ٱلرِّوَايَةِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيَفْرَحُ بِٱلشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ[4]، وَيَحْزَنُ عَلَى ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، وَلٰكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ، وَإِحْيَاءُ حَقٍّ. وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ.

(*) رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في أحوال علي ﷺ.

---

(١) ينهد: ينهض عباد الله لحربك.

(٢) أرتجت: أغلقت، أرتجَ الباب كرتجه: أي أغلقه.

(٣) ذلك الأمر هو حقن دمه بإظهار الطاعة.

(٤) إذا وصل إليك شيء، ممّا كُتِبَ لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذّة أو شفاء غيظ، بل عدّ ذلك في عداد الحرمان، وإنّما نفرح بما كان إحياء حقّ وإبطال باطل، وعليك الأسف والحزن بما خلّفت ـ أي تركت ـ من أعمال الخير، والفرح بما قدمت منها لآخرتك.

٦٧ - ومن كتاب له عليه السلام *

كَتَبَهُ إِلَى قُثَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ[١]. وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ[٢]، فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى ٱلنَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ. وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا[٣] إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا[٤] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وَٱنْظُرْ إِلَى مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ فَٱصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ[٥] مِنْ ذَوِي ٱلْعِيَالِ وَٱلْمَجَاعَةِ، مُصِيباً[٦] بِهِ مَوَاضِعَ ٱلْمَفَاقِرِ[٧] وَٱلْخَلَّاتِ[٨]، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ

(*) رواه القطب الراوندي في كتاب (فقه القرآن) بصورة تدلّ على أنّه لم ينقله عن (نهج البلاغة).

---

(١) أيّام الله: وهي أيّام الإنعام، وأيّام الانتقام، التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم.

(٢) العَصْرَان: الغَداة والعَشيّ، على سبيل التغليب.

(٣) فإنّها ـ أي الحاجة ـ إن ذِيدت أي طُردت ودُفعت ومُنِعت ـ مبنيّ للمجهول ـ من «ذاده يذوده» إذا طرده ودفعه.

(٤) وِرْدِها: ورودها، وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأنّ حسنة القضاء لا تذكر في جانب سيئة المنع.

(٥) قِبَلَكَ: أي عندك.

(٦) مصيباً: حال.

(٧) المفاقر: الحاجات؛ يقال: سدّ الله مفاقره، أي أغنى الله فقره، [وعند عبده والصالح: مواضع الفاقة] والفاقة: الفقر الشديد.

(٨) الخَلّة ـ بالفتح ـ: الحاجة.

احْمِلَهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ فَٱلْعَاكِفُ: ٱلْمُقِيمُ بِهِ، وَٱلْبَادِي: ٱلَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. وَفَّقَنَا ٱللّٰهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ، وَٱلسَّلَامُ.

٦٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى سلمان الفارسيّ(١) رحمهُ اللّٰهُ قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا، وَكُنْ آنَسَ(٢) مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ(٣) إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ، وَٱلسَّلَامُ.

(*) رواه الكليني في (أصول الكافي) ج ٢ ص ١٣٦، والمفيد في (الإرشاد) ص ١٢٤.

---

(١) سَلمان، رجلٌ من فارِس من رَامَهُرْمُز، وقيل: بل من أصبهانَ، من قرية يقال لها جَيّ، وهو معدود من مَوالي رسول الله ﷺ ؛ وكُنيتُه أبو عبد الله، وكان إذا قيل: ابنُ مَن أنت؟ يقول: أنا سَلْمان، ابنُ الإسلام، أنا مِن بني آدم. كان سَلْمان خيّراً، فاضِلاً، حَبْراً، عالماً، زاهداً، متقشّفاً. وأوّل مشاهده الخَندق، توفّي في آخِر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين، على الأكثر.

(٢) آنَسَ: أفعَل تفضيل من الأُنس، أي أشدّ أُنساً، وهي هنا حال من اسم «كن» أو من الضمير في إحذر، وأحْذَرَ: خبر، والمراد فليكن أشدّ حذرك منها في حال شدّة أُنسك بها.

(٣) أشْخَصَتْه أي: أذهبَتْه.

٦٩ - ومن كتاب له عليه السلام(*)

كَتَبَهُ إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ(١)

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصِحْهُ(٢)، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ . وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا(٣)، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ(٤). وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ(٥)، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ(٦). وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ. وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَاعْتَذَرَ مِنْهُ. وَلاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْمِ، وَلاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ كَذِباً، وَلاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ

(*) نثر الآمدي هذا الكتاب في مواضع من كتابه (غرر الحكم).

---

(١) هو الحارث الأعور الهَمْدَانيّ صاحبُ أمير المؤمنين عليه السلام، كان أحد الفُقهاء، له قولٌ في الفُتيا.

(٢) انتصحه: أي عُدّه ناصحاً لك فيما أمرك به ونهاك عنه. [وفي نسخة عبده والصالح: واستنصحه].

(٣) ما بقي: مفعول «اعتبر» بمعنى قِسْ، أي قِس الباقي بالماضي.

(٤) حائل: أي زائل.

(٥) لا تحلف به إلّا على الحق تعظيماً له وإجلالاً لعظمته.

(٦) «ولا تتمنّ الموت إلّا بشرط وثيق» أي مُتحكِّم قويّ، وهذه كلمة شريفة عظيمة القدر، أي لا تتمنّ الموتَ إلّا وأنت واثق من أعمالك الصالحة أنّها تؤدّيك إلى الجنّة، وتُنقذك من النار.

بِهِ، فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلاً. وَاكْظِمِ الْغَيْظَ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ(١) تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللّٰهُ عَلَيْكَ(٢)، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللّٰهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللّٰهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ(٣) وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ. وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ(٤)، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللّٰهِ، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ. وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ(٥). وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ(٦)، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ. وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللّٰهِ(٧)، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ اللّٰهَ فِي جُمَلِ أُمُورِكَ(٨)، فَإِنَّ طَاعَةَ اللّٰهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا. وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا

---

(١) اصفح مع الدَّوْلَة: أي عندما تكون لك السلطة.

(٢) استصلحها: استبقها، لأنّه إذا استدامها فقد أصلحها، فإنّ بقاءها صلاحٌ لها، واستدامتها بالشكر.

(٣) تَقْدِمَة ـ كتَجْرِبَة ـ: مصدر قدّم ـ بالتشديد ـ أي بذلاً وإنفاقاً.

(٤) الصَّحابة ـ هنا ـ: مصدر صحبتُ، وفالَ رأيُه يَفيلُ: ضَعُفَ وفَسَد.

(٥) المَعَارِيض: جمع مِعْرَاض ـ كمِحْرَاب ـ، وهو سهمٌ بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حدّه، والأسواق كذلك لكثرة ما يمرّ على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات.

(٦) من فُضِّلْت عليه: أي مَن دونك ممّن فضّلك الله عليه.

(٧) فاصلاً: أي خارجاً ذاهباً.

(٨) في جُمَل أُمورك: أي في جُملتها أي كلّها، وليس يعني في جُملتها دونَ تفاصيلها. [وعند صبحي الصالح: في جميع أمورك]

وَنَشَاطَهَا[1]، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا، وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ[2] مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ ٱلشَّرَّ بِٱلشَّرِّ مُلْحَقٌ. وَوَقِّرِ ٱللَّهَ، وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ[3]، وَٱلسَّلَامُ.

٧٠- ومن كتاب له عليه السلام*

إِلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ٱلْأَنْصَارِيِّ

وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ، فِي مَعْنَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا لَحِقُوا بِمُعَاوِيَةَ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ[4]، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ. فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً[5] وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً

(*) رواه البلاذري في (انساب الأشراف)، ص ١٥٧، وابن واضح في (تاريخه) ج ٢ ص ١٩٢.

(١) خُذْ عَفْوَهَا: أي وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة، وأصله العفو بمعنى ما لا أثر فيه لأحد بملك، عبّر به عن الوقت الذي لا شاغل للنفس فيه.

(٢) آبق: أي هارب منه متحوّل عنه إلى طلب الدنيا، وهذه وصيّة شريفة جداً، جَعَلَ طالبَ الدّنيا المُعرِضَ عن الله عند موته كالعَبْد الآبِق يقدم به على مَوْلاه أسيراً مكتوفاً ناكِسَ الرأس، فما ظنُّك به حينئذٍ!

(٣) إنّ الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل ويدفع النفس للانتقام أيّاً كان طريقه، وهذا أكبر عون للمضلّ على إضلاله.

(٤) قِبَلك: أي عندك. ويتسلّلون: يخرجون واحداً بعد واحد إلى معاوية هاربين في خِفْية واستتار.

(٥) الغيّ: الضلال، وفرارهم كافٍ في الدّلالة على ضلالهم، والضالّون مرض شديد في بنية الجماعة ربما يسري سرره فيفسدها، ففرارهم كاف في شفاها من مرضهم، ورئيس الجماعة كأنّه كلّها لهذا نسب الشفاء إليه.

فِرَارُهُمْ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ(١) إِلَى ٱلْعَمَى وَٱلْجَهْلِ: فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ(٢) إِلَيْهَا، قَدْ عَرَفُوا ٱلْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلنَّاسَ عِنْدَنَا فِي ٱلْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى ٱلْأَثَرَةِ(٣)، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً(٤)! إِنَّهُمْ وَٱللَّهِ لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ(٥)، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

٧١ ـ ومن كتاب له عليه السلام (●)

إِلَى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ ٱلْجَارُودِ ٱلْعَبْدِيِّ(٦)

وَقَدْ كَانَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى بَعْضِ النَّوَاحِي، فَخَانَ الْأَمَانَةَ فِي بَعْضِ مَا وَلَّاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ(٧)، وَتَسْلُكُ

(●) رواه ابن الواضح في (تاريخه)، ج ٢، ص ١٩٢، والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص١٣.

---

(١) الإيضاع: الإسراع، وَضَعَ البعيرُ أي أسرَعَ، وأوْضَعَهُ صاحبُه.

(٢) مهطعون: مُسرعون.

(٣) الأَثَرَة: الاستئثار واختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة. يقول ﷺ: قد عرفوا أنّي لا أقسم إلّا بالسّويّة، ولا أعطي على الأحساب والأنساب كما فعل غيري، فتركوني وهربوا إلى مَنْ يستأثر ويُؤثِر.

(٤) فبُعْداً لهم وسُحْقاً: دعاءٌ عليهم بالبُعْد والهلاك. والسُّحق: البُعد أيضاً.

(٥) الحَزْن: ما غَلُظ من الأرض، وضدّه السَّهل.

(٦) هو المُنذِر بن الجارود من عبد القيس، كان شريفاً، وابنُه الحكم بن المنذر يتلوه في الشرف، والمنذر غير معدود في الصحابة، ولا رأى رسول الله ﷺ، وكان تائهاً معجباً بنفسه، أبوه الجارود وفد على النبيّ ﷺ في سنة تسع، ويقول ابنُ عبد البرّ في «الاستيعاب»: إنّ الجارود كان نصرانيّاً فأسلم وحَسُن إسلامُه، وقُتِل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين.

(٧) الهَدْي: الطريقة والسيرة.

سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ(١) لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً(٢)، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ(٣). وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ(٤) وَشِسْعُ نَعْلِكَ(٥) خَيْرٌ مِنْكَ. وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ(٦). فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ.

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: الْمُنْذِرُ بنِ الْجَارُودِ هٰذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ(٧) مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ(٨)، تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ(٩).

---

(١) «فيما رُقِّيَ إليّ» أي فيما رُفِع وأُنهي إليّ.

(٢) العَتاد: الذَّخِيرة المُعدَّة لوقت الحاجة.

(٣) أي أنّه كان يقتطع المال ويُفيضه على رَهْطه وقومه ويُخرج بعضه في لذاته ومآربه.

(٤) قوله: «لَجَمَلُ أهلِك» العرب تضرب بالجمل المَثل في الهوان والذلّة والجهل، قال الشاعر:

لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍّ ... ولم يستغنِ بالعِظَم البعيرُ
يُصرِّفُهُ الصَّبيُّ بكلِّ وجهٍ ... ويحبسه على الخَسْفِ الجريرُ
وتضربُهُ الوليدةُ بالهراوى ... فلا غَيْرٌ لديهِ ولا نكيرُ

(٥) الشِّسع: سير بين الإصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي، كأنّه زمام، ويسمّى قِبالاً. وضَرْبُ المثل بها في الاستهانة مشهور، لابتذالها ووطئها الأقدام في التراب.

(٦) جِبَايَة أي: تحصيل أموال الخراج ونحوه عمل من أعمال الدولة. ثمّ أمره أن يُقبل إليه، وهذه كناية عن العَزْل.

(٧) نظّار: كثير النظر. والعِطف ـ بالكسر ـ: الجانب، أي كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء.

(٨) المختال: المُعجَب، والبُرْدان: تثنية بُرْد، وهو ثوب مخطّط، أي يمشي الخُيلاء عُجْباً.

(٩) التَّفْل ـ بالسكون ـ: مصدر تَفَل أي بَصَق، والتَّفَل ـ محرّكاً ـ: البُصاق نفسه، وإنّما يفعله المُعجب بشراكيه ليذهب عنهما الغُبار والوسخ، يَتْفُل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين. والشِراكان: تثنية شِراك، وهو السَّيْر الذي يكون في النعل على ظَهْر القدم.

٧٢ـ ومن كتاب له عليه السلام*

إلى عَبْدِ اللّهِ بْنِ العَبَّاسِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ؛ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ(١)، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

٧٣ـ ومن كتاب له عليه السلام**

إلى مُعَاوِيَةَ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ(٢)، وَالاِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي،

(*) رواه ابن شعبة في (تحف العقول) ص ٢٠٧.

(**) رواه اليماني في كتاب (الطراز) ج ٢، ص ٢٩٤ بتفاوت مع رواية الشريف الرضيّ يدلّ على اختلاف المصدر.

---

(١) دُوَل: جمع دُولة ـ بالضم ـ: ما يُتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد.

(٢) من قولك: «ترددت إلى فلان» رجعت إليه مرة بعد أخرى، أي أنّي في ارتكابي للرجوع إلى مجاوبتك واستماع ما تكتبه موهِّن ـ أي مضعِّف ـ رأيي ومخطئ فراستي ـ أي صدق ظنّي ـ، وكان الأجدر بي السكوت عن إجابتك لهوانك.

وَمُخَطِّئُ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ[1]، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ[2]، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ[3]، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ[4] يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ[5]، لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ[6]، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ.

وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ[7] لَوَصَلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ[8]، وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ[9]. وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ[10]، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

---

(١) حاوَل الأمر: طلبه ورامَهُ، أي تطالبني ببعض غاياتك كولاية الشام ونحوها.

(٢) تراجعني السطور: أي تطلب منّي أن أرجع إلى جوابك بالسطور.

(٣) كالمُستثقِل النائم: يقول أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه، يحلم أنّه نال شيئاً، فإذا انتبه وجد الرؤيا كذبته، أي كذبت عليه، فأمانيك فيما تطلبه شبيهة بالأحلام إن هي إلّا خيالات باطلة.

(٤) أي وأنت أيضاً كالمتحيّر في أمره، القائم في شكّه، لا يخطو إلى قصده.

(٥) يَبهظه: أي يُثقِله ويشقّ عليه مقامه من الحيرة.

(٦) أي وإنّك لست بالمتحيّر لمعرفتك الحقّ معنا، ولكن المتحيّر شبيه بك فأنت أشدّ منه عناء وتعباً.

(٧) الاستبقاء: الإبقاء، والمراد: إبقائي لك، وعدم إرادتي لإهلاكك.

(٨) قوارع: أي دواهي تقرع العظم تَصْدِمه فتكسره.

(٩) تهلِسُ اللحم: تذيبه وتنهكه حتى يصير كبدنٍ به الهُلاس، وهو السلّ، وأمّا «تَنْهَس» [كما نسخه ابن أبي الحديد في المتن] فمعناه يعترق.

(١٠) ثبّطك: أي أقعدك عن مراجعة أحسن الأمور لك وهو الطاعة لنا، وعن أن تأذن ـ أي تسمع ـ لمقالنا في نصيحتك.

٧٤ ـ ومن حلف[1] له عليه السلام*

كتبه بين ربيعة[2] واليمن[3]، ونُقِل من خطّ هشام ابن الكلبيّ[4]

هٰذَا مَا ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا[5]، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللّٰهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ وَتَرَكَهُ، وَأَنَّهُمْ أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ[6]، وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً، وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً، عَلَى ذٰلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ عَهْدَ ٱللّٰهِ وَمِيثَاقَهُ، «وإِنَّ عَهْدَ ٱللّٰهِ كَانَ مَسْئُولاً».

وكَتَبَ: عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

(*) ذكر الرضي أنّه نقل مصدر هذا الحلف من خط هشام ابن الكلبي.

---

(١) الحِلْف: العهد، أي ومن كتاب حِلْف، فحذف المضاف.

(٢) ربيعة: هو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، وهم بكرٌ وتغلب وعبد القيس.

(٣) اليمن: كلّ من وَلَدَهُ قحطان؛ نحو حِمْيَر وعكّ وجُذام وكِنْدة والأزد، وغيرهم.

(٤) هو هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، نسّابة ابن نسّابة، عالِم بأيّام العرب وأخبارها، وأبوه أعلم منه، وهو يروي عن أبيه.

(٥) الحاضر: ساكنو الحَضَر، أي المدينة. والبادي: ساكنو البادية، واللفظ لفظ المفرد والمعنى الجمع.

(٦) لمَعْتَبة عاتب: أي لا يؤثّر في العهد والحلف أن يعتب أحدٌ منهم على بعضهم، ولا يعودون للتقاتل عند غضب بعضهم من بعض، أو استذلال بعضهم لبعض، أو سبّ بعضهم لبعض.

٧٥- ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ فِي أَوَّلِ مَا بُويِعَ لَهُ بِالخِلافَةِ ذَكَرَهُ الوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ «الجَمَل»

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ[1]:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ[2]، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ[3]، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَٱلْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ[4]، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ[5] مِنْ أَصْحَابِكَ، وَٱلسَّلَامُ.

٧٦- ومن وصية له عليه السلام*

لِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ العَبَّاسِ عِنْدَ اسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ عَلَى البَصْرَةِ

سَعِ ٱلنَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ

(*) رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، ج ١، ص ١٨٥، واليماني في (الطراز)، ج ٢ ص ٢٩٣.

---

(١) كتابه إلى معاوية ومخاطبته لبني أمية جميعاً.

(٢) إعذاري فيكم: أي كوني ذا عذر لو نلتكم أو ذممتكم، يعني في أيام عثمان.

(٣) إعراضي عنكم: أي مع كوني ذا عذر لو فعلت ذلك فلم أفعله، بل أعرضت عن إساءتكم إليّ وضربت عنكم صفحاً حتى كان ما لا بدّ منه، يعني قتل عثمان وما جرى في المدينة.

(٤) أي ذهب ما ذهب من أمر عثمان وأقبل علينا من أمر الخلافة ما استقبلناه فبايع الذين لديك، أي عندك.

(٥) الوَفْد: الجماعة الوافدون، أي القادمون.

ٱلشَّيْطَانِ[1]. وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ ٱلنَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ ٱلنَّارِ.

٧٧ـ ومن وصية له عليه السلام*

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ العَبَّاسِ أَيضاً لَمَّا بَعَثَهُ لِلاِحْتِجَاجِ عَلَى ٱلْخَوَارِجِ

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِٱلْقُرْآنِ فَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ حَمَّالٌ[2] ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلٰكِنْ حَاجِجْهُمْ بِٱلسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً[3].

٧٨ـ ومن كتاب له عليه السلام

إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ

نَعَرَهُ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الأُمَوِيُّ فِي كِتَابِ «المَغَازِي»

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ[4]. فَمَالُوا مَعَ ٱلدُّنْيَا، وَنَطَقُوا

(*) رواها الزمخشري في الجزء الثاني من (ربيع الأبرار) باب الجوابات المسكتة.

(١) طَيْرَة من الشيطان: أي خِفّة وطيش، وعلى رواية «طِيَرَة» [كما أثبتها عبده في المتن] وهي: الفأل الشؤم، والغضب يتفاءل به الشيطان في نيل مأربه من الغضبان.

(٢) حمّال: أي يحمل معاني كثيرة إن أخذت بأحدها احتجّ الخصم بالآخر.

(٣) مَحِيصاً: أي مهرباً.

(٤) أي أنّ كثيراً من الناس قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية، وهي حظوظ السعادة الأبدية بنصرة الحقّ.

بِٱلْهَوَى. وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً[1]، ٱجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنَا أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً[2] أَخَافُ أَنْ يَعُودَ عَلَقاً[3]، وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ[4] ٱلنَّاسِ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ ٱلثَّوَابِ، وَكَرَمَ ٱلْمَآبِ[5]. وَسَأَفِي بِٱلَّذِي وَأَيْتُ[6] عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ[7]، فَإِنَّ ٱلشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ[8]، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللّٰهُ[9].

---

(١) مُعْجِباً: أي موجباً للتعجّب، والأمر هو الخلافة. ومنزله من الخلافة: بيعة الناس له ثمّ خروج طائفة منهم عليه.

(٢) القرح: في الأصل الجرح، وهو ـ هنا ـ مجاز عن فساد بواطنهم.

(٣) العَلَق: الدم الغليظ الجامد، ومتى صار في الجرح الدم الغليظ الجامد صعبت مداواته وضرب فساده في البدن كلّه.

(٤) أحرصَ: خبر ليس، وجملة «فاعلم» معترضة.

(٥) المآب: المَرْجِع إلى الله.

(٦) سأوفي بما وأيتُ: أي سوف أفي بما وعدتُ وأخذت على نفسي. تقول: وأيتُ وأياً، أي وعدت وعداً.

(٧) تغيّرتَ: خطاب لأبي موسى، يقول إذا انقلبت عن الرأي الصالح الذي تفارقنا عليه وهو الأخذ بالحذر، والوقوف عند الحقّ الصريح، فإنّك تكون شقيّاً، لأنّ الشقيّ: من حرمه الله نفع التجربة فأخذه الناس بالخديعة.

(٨) وإنّي لأَعْبَدُ: أي آنَف، من «عَبِد يَعْبَدُ»، والمراد: إنّي لآنف من أن يقول غيري قولاً باطلاً، فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسي.

(٩) الأمر: هو الخلافة، أصلحه اللهُ بالبيعة، ونسبة الإفساد لنفسه لأنّ أبا موسى نائب عنه، وما يقع عن النائب كما يقع عن الأصيل.

فَدَعْ عَنْكَ مَا لَا تَعْرِفُ[1]، فَإِنَّ شِرَارَ ٱلنَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ ٱلسُّوءِ، وَٱلسَّلَامُ.

٧٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام*

لَمَّا اسْتُخْلِفَ، إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا ٱلنَّاسَ ٱلْحَقَّ فَٱشْتَرَوْهُ[2]، وَأَخَذُوهُمْ بِٱلْبَاطِلِ فَٱقْتَدَوْهُ[3].

(*) رواه ابن عبد البر في (بهجة المجالس) ج ١ ص ٢٣١.

---

(١) أي ما فيه الريبة والشبهة فاتركه، ولا تبن أمرك إلّا على اليقين والعلم القطعيّ، ولا تُصْغِ إلى أقوال الوشاة ونقلة الحديث؛ فإنّ الكذب يخالط أقوالهم كثيراً، فلا تصدّق ما عساه يبلغك عنّي شرار الناس فإنّهم سِراع إلى أقاويل السوء؛ ولقد أحسن القائل فيهم:

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوه وإنْ سَمِعُوا ... شرّاً أذاعوا وإن لم يسمعوا كَذَبُوا

ونحو قول الآخر:

إنْ يَسْمَعُوا ريبةً طاروا بها فَرَحاً ... وإن ذُكِرْتُ بخيرٍ عندهم دَفَنُوا

(٢) أي منعوا الناس الحقّ فاشتروا الحقّ منهم بالرّشا والأموال، أي لم يضعوا الأمور مواضعها، ولا ولّوا الولايات مستحقّيها، وكانت أُمورهم الدينيّة والدنيويّة تجري على وفق الهوى والغرض الفاسد، فاشترى الناس منهم الميراث والحقوق كما تشترى السلع بالمال. فانقلبت الدولة عن أولئك المانعين فهلكوا. و«أنّهم منعوا» فاعل «أهلك». ويروى: «فاستروه» أي اختاروه، يقال: استريتُ خيار المال، أي اخترته، ويكون المعنى حينئذ: أنّهم منعوا الناسَ حقّهم من المال واختاروه لأنفسهم واستأثروا به.

(٣) أي كلّفوهم بإتيان الباطل فأتوه، وصار قدوة يتّبعها الأبناء بعد الآباء.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حكم

أمير المؤمنين عليه السلام

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله

والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

١ ـ قال عليه السلام: كُنْ فِي ٱلْفِتْنَةِ(١) كَٱبْنِ ٱللَّبُونِ(٢)، لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.

[رواها أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ج٢ ص ٣١]

٢ ـ وقال عليه السلام: أَزْرَى بِنَفْسِهِ(٣) مَنِ ٱسْتَشْعَرَ ٱلطَّمَعَ(٤)، وَرَضِيَ بِٱلذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ(٥)، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ(٦).

[روى ابن شعبة في تحف العقول ص ٢٠١ هذه الحكمة إلى الحكمة ٧]

٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْبُخْلُ عَارٌ، وَٱلْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَٱلْفَقْرُ يُخْرِسُ ٱلْفَطِنَ عَنْ حَاجَتِهِ، وَٱلْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ(٧).

---

(١) أيام الفتنة هي أيّام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالّين يدعوان كلاهما إلى ضلالة، كفتنة عبدالملك وابن الزبير، وفتنة مروان والضحّاك، فأمّا إذا كان أحدهما صاحب حقّ فليست أيام فتنة كالجمل وصفّين ونحوهما، بل يجب الجهاد مع صاحب الحقّ.

(٢) ابن اللّبون: ولد النّاقة الذّكر إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة؛ ولا يقال للأنثى: ابنة اللّبون، واللّبون من الإبل والشاة: ذات اللّبن، وابن اللّبون لا يكون قد كمل وقويَ ظهره على أن يركب، وليس أنثى ذات ضرع فيُحلب، وهو مطّرح لا ينتفع به. يريد: تجنّب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك.

(٣) أزرى بنفسه: قصّر بها وحقّرها.

(٤) استشعر الطمع: جعله شعاره، أي لازمه وتبطّنه وتخلّق به.

(٥) أي مَنْ شكى إليهم بؤسه وفقره فقد رضي بالذل؛ لأنّه دعاهم للتهاون به.

(٦) أمّر لسانه: جعله أميراً.

(٧) المُقِلّ: الفقير. ومثل قوله ﷺ: «والمقلّ غريب في بلدته» قول خلف الأحمر:

لا تظنّي أنّ الغريبَ هو النّا ... ئي ولكنّما الغريب المُقِلُّ

٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَجْزُ آفَةٌ[١]، وَٱلصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَٱلزُّهْدُ ثَرْوَةٌ[٢]، وَٱلْوَرَعُ جُنَّةٌ[٣]، وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ ٱلرِّضَا.

٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ[٤]، وَٱلْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ.

٦ ـ وقال عليه السلام: صَدْرُ ٱلْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ[٥]، وَٱلْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ ٱلْمَوَدَّةِ[٦]، وَٱلِاحْتِمَالُ قَبْرُ ٱلْعُيُوبِ[٧].

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي ٱلْعِبَارَةِ عَنْ هٰذَا ٱلْمَعْنَى أَيْضاً: ٱلْمُسَالَمَةُ خَبْءُ ٱلْعُيُوبِ[٨]، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ ٱلسَّاخِطُ عَلَيْهِ.

٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ ٱلْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.

---

(١) «العجز آفة» وهذا حق لأنّ الآفة هي النقص أو ما يوجب النقص، والعجز كذلك.

(٢) «الزهد ثروة» لأنّ الثروة ما استغنى به الإنسان عن النّاس، ولا غناء عنهم كالزهد عن دنياهم، فالزّهد على الحقيقة هو الغِنَى الأكبر.

(٣) الجُنّة: الوقاية.

(٤) إنّما قال: «العلم وراثة» لأنّ كلّ عالِم إنّما يكتسب علمه من أستاذٍ يهذّبه، فكأنّه ورث العلم عنه كما يرث الابنُ المالَ من أبيه.

(٥) لا يفتح الصندوق ليطلع الغير على ما فيه.

(٦) الحِبالة: شَبَكة الصيد، *ومثله الأُحبول والأُحبولة ـ بضم الهمزة فيهما ـ* ، والبشوش يصيد مودات القلوب.

(٧) الاحتمال: تحمل الأذى، ومن تحمّل الأذى خفيت عيوبه، كأنّما دفنت في قبر، وهذا مثل قولهم في الجود: كلّ عيبٍ فالكرم يغطّيه.

(٨) الخَبْءُ: مصدر خبأته أخبؤه، والمعنى في الروايتن واحد.

٨ ـ وقال عليه السلام: اَعْجَبُوا لِهٰذَا ٱلْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ[(١)]، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ[(٢)]، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ[(٣)]، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ.

[غرر الحكم ص ٧٠]

٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ.

[مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٤]

١٠ ـ وقال عليه السلام: خَالِطُوا ٱلنَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ[(٤)].

[تذكرة الخواص ص ١٤٢]

١١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ ٱلْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

[المحاضرات للراغب الأصفهاني ج ١ ص ١١١]

١٢ ـ وقال عليه السلام: أَعْجَزُ ٱلنَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ ٱكْتِسَابِ ٱلْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ[(٥)].

[ذيل أمالي القالي ص ١١٠]

١٣ ـ وقال عليه السلام: إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ ٱلنِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ[(٦)].

[المئة المختارة للجاحظ]

---

(١) ينظر بشحم: يريد بالشحم شحم الحدقة.

(٢) يتكلّم بلحم: يريد باللحم اللسان.

(٣) يسمع بعظم: يريد عظام الأذان يضربها الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع.

(٤) «إلى» تتعلق بمحذوف، أي حنُّوا شوقاً إليكم. وقد روي: «خَنُّوا»، من الخنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء.

(٥) في الحديث المرفوع أنّ النبي ﷺ بكى لما قُتل جعفر بمؤته، وقال: «المرء كثير بأخيه». وقال جعفر بن محمد عليه السلام: «لكلّ شيء حِلْيَة وحِلْيَةُ الرجلِ أوداؤه». وأنشد ابن الأعرابي:

لَعمْرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ ولكنّ إخوانَ الصّفاءِ الذخائرُ

(٦) أطراف النعم: أوائلها، فإذا بطرتم ولم تشكروها بأداء الحقوق منها نفرت عنكم أقاصيها ـ أي أواخرها ـ فحرمتموها.

١٤ - وقال عليه السلام: مَنْ ضَيَّعَهُ ٱلأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ ٱلأَبْعَدُ(١). [نهاية الأرب ج ٣ ص ٦

١٥ - وقال عليه السلام: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ(٢). [الجمل للمفيد

١٦ - وقال عليه السلام: تَذِلُّ ٱلأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّى يَكُونَ ٱلْحَتْفُ فِي ٱلتَّدْبِيرِ(٣).

[تحف العقول ص ٢٢٣

١٧ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: غَيِّرُوا ٱلشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِٱلْيَهُودِ(٤)، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنَّمَا قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذٰلِكَ وَٱلدِّينُ قُلٌّ(٥)، فَأَمَّا ٱلآنَ وَقَدِ ٱتَّسَعَ نِطَاقُهُ(٦)، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ(٧)، فَٱمْرُؤٌ وَمَا ٱخْتَارَ. [البديع لابن المعتز، ص ٢٠]

---

(١) أُتيح له: قُدِّر له، وكم شخص أضاعه أقاربه فقدّر الله له من الأباعد من يحفظه ويساعده، فرسول الله ﷺ ضيّعه أهلُه ورهطه من قريش، فقام بنصره الأوس والخزرج، وهم أبعد الناس نسباً منه؛ لأنّه من عدنان وهم من قحطان، وقامت ربيعة بنصر عليٍّ ﵇ في صفّين، وهم أعداء مُضَر الذين هم أهله ورهطه.

(٢) أي لا يتوجه العتاب واللوم على كلّ داخل في فتنة، فقد يدخل فيها مَنْ لا محيص له عنها لأمر اضطره فلا لوم عليه، وهذه الكلمة قالها عليٌّ ﵇ لسعد بن أبي وقّاص، ومحمد بن مَسلَمة وعبد الله بن عمر لمّا امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجَمَل.

(٣) الحَتْف: الهلاك.

(٤) اليهودُ لا تَخضِب، وكان النبيّ ﷺ أمر أصحابه بالخضاب ليكونوا في مَرْأى العين شباباً فيَجْبنَ المشركون عنهم حال الحرب، فإنّ الشيخ مَظِنّة الضعف.

(٥) وكان ذلك والإسلام قُلٌّ، أي قليلٌ أهله، وأمّا الآن وقد اتّسع نطاقُه وضَرَب بجرانه فقد سقط ذلك الأمرُ وصار الخضاب مُباحاً غيرَ مندوب، فالإنسان بعد قوة الإسلام مع اختياره إن شاء خضب وإن شاء ترك.

(٦) النِّطاق: الحزام العريض، واتّساعه كناية عن العظم والانتشار.

(٧) الجِران: مُقدَّم عُنُق البعير يضرب به على الأرض إذا استراح وتمكّن.

١٨ ـ وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه: خَذَلُوا ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا ٱلْبَاطِلَ(١). [تلبيس إبليس ص ١٠٩]

١٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ(٢). [المئة المختارة للجاحظ]

٢٠ ـ وقال عليه السلام: أَقِيلُوا ذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ(٣) فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُهُ بِيَدِ ٱللَّهِ يَرْفَعُهُ(٤). [عيون الأخبار لابن قتيبة]

٢١ ـ وقال عليه السلام: قُرِنَتْ ٱلْهَيْبَةُ بِٱلْخَيْبَةِ(٥)، وَٱلْحَيَاءُ بِٱلْحِرْمَانِ(٦)، وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ، فَٱنْتَهِزُوا فُرَصَ ٱلْخَيْرِ. [العقد الفريد، ج ٢ ص ٤١٤]

٢٢ ـ وقال عليه السلام: لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ ٱلْإِبِلِ، وَإِنْ طَالَ ٱلسُّرَى(٧). [تهذيب اللغة للأزهري ج١ ص ٣٤١]

---

(١) أي خذلوني ولم يحاربوا معي معاوية، وهؤلاء هم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن عمرو بن نُفَيل، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وأنس بن مالك، وجماعة غيرهم.

(٢) العِنان: سير اللجام تُمسك به الدابة، أي من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل، يُمنّي نفسه بلوغ مطالبه بلا عمل، سقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئاً مما تريد.

(٣) العثرة: السقطة، وأقالَهُ العثرةَ: رفعه من سقطته. والمُرُوءة: صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير.

(٤) قوله: «يرفعه» جملة حاليّة من لفظ الجلالة وإن كان مضافاً إليه لوجود شرطه.

(٥) أي مَنْ تهيّب أمراً خابَ من إدراكه، وكانت العربُ إذا أولدتْ ولداً قالت له: إيّاكَ والهَيْبة، فإنّها خَيْبة، ولا تبتْ عند ذنَب الأمر وبتْ عند رأسه.

(٦) الحياء بالحِرْمان: أي مَنْ أفرط به الخجل من طلب شيء حُرِم منه، والإفراط في الحياء مذموم كطرح الحياء، والمحمود الوسط.

(٧) هذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يومَ السّقيفة أو في تلك الأيام، ويذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واجتماع الجماعة لاختيار واحد من الستة.

قَالَ الرَّضيُّ ﷺ: وهذا القولُ مِنْ لطيفِ الكلامِ وفصيحِهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّا إِنْ لَمْ نُعطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّاءَ[1]، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ الْبَعِيرِ. كَالْعَبْدِ وَالْأَسِيرِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا.

٢٣ - وقال عليه السلام: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ[2]. [العقد الفريد ج ٢: ٢٩٠]

٢٤ - وقال عليه السلام: مِنْ كَفَّارَاتِ ٱلذُّنُوبِ ٱلْعِظَامِ إِغَاثَةُ ٱلْمَلْهُوفِ، وَٱلتَّنْفِيسُ عَنِ ٱلْمَكْرُوبِ.

[دستور معالم الحكم ص ٢٥]

٢٥ - وقال عليه السلام: يَاْبْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ[3].

[تذكرة الخواص ص ١٣٢]

٢٦ - وقال عليه السلام: مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ[4].

[المئة المختارة للجاحظ، ودستور معالم الحكم ص ٢٣]

٢٧ - وقال عليه السلام: أَمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ[5]. [غرر الحكم ص ٦٢]

٢٨ - وقال عليه السلام: أَفْضَلُ ٱلزُّهْدِ إِخْفَاءُ ٱلزُّهْدِ[6]. [تذكرة الخواص ص ١٣٦]

---

(١) وقد يكون المعنى إن لم نُعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طالت المشقة، وركوب مؤخرات الإبل مما يشق احتماله والصبر عليه.

(٢) هذا مثل قول النبي ﷺ: يا فاطمة بنت محمّد، إنّي لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، يا عبّاس بن عبدالمطلب، إنّي لا أُغني عنك من الله شيئاً: ﴿إنّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣].

(٣) هذا الكلام تخويف وتحذير من الاستدراج: وذلك لأنّ العبد بغروره يعتقد أنّ موالاة النِّعَم عليه وهو عاصٍ من باب الرِّضا عنه، ولا يعلم أنّه استدراج له ونقمةٌ عليه.

(٤) قالوا: والعين والوجه واللّسان أصحاب أخبار على القلب، وقال زُهير بنُ أبي سُلمى:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالَها تَخفَى على الناس تُعلَمِ

(٥) أي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل، فإن أعياك فاسترحْ له.

(٦) لأنّ الجهر بالعبادة والزّهادة قلّ أن يسلم من مخالطة الرِّياء. رأى المنصورُ رجلاً واقفاً ببابه، فقال: مثل هذا الدرهم بين عينيك وأنتَ واقفٌ ببابنا! فقال الربيع: نعم لأنّه ضُرِب على غير السِّكَّة.

٢٩ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَٱلْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ ٱلْمُلْتَقَى![1]

[دستور معالم الحكم ص ١٢١]

٣٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ، فَوَٱللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ[2].

[المئة المختارة للجاحظ]

٣١ ـ وسُئل عليه السلام عن الإيمان فقال:

ٱلإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى ٱلصَّبْرِ، وَٱلْيَقِينِ، وَٱلْعَدْلِ، وَٱلْجِهَادِ. وَٱلصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى ٱلشَّوْقِ، وَٱلشَّفَقِ[3]، وَٱلزُّهْدِ، وَٱلتَّرَقُّبِ؛ فَمَنِ ٱشْتَاقَ إِلَى ٱلْجَنَّةِ سَلَا عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ؛ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ ٱلنَّارِ ٱجْتَنَبَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ؛ وَمَنْ زَهِدَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱسْتَهَانَ بِٱلْمُصِيبَاتِ؛ وَمَنِ ٱرْتَقَبَ ٱلْمَوْتَ سَارَعَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ.

وَٱلْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ ٱلْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ[4]، وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ[5]، وَسُنَّةِ ٱلأَوَّلِينَ[6]، فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي ٱلْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي ٱلأَوَّلِينَ.

وَٱلْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَائِصِ ٱلْفَهْمِ، وَغَوْرِ ٱلْعِلْمِ[7]، وَزُهْرَةِ

(١) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر إليه لقرب عليه المسافة.

(٢) الضمير له، ستر معاصي عباده حتى ظنّ أنه غفرها لهم ويوشك أن يأخذهم بمكره، وهذا هو الاستدراج.

(٣) الشَّفَق ـ بالتحريك ـ: الخوف.

(٤) تأوُّل الحكمة: الوصول إلى دقائقها.

(٥) العبرة: الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأوّلين وما رزئوا به [illegible] الغفلة وما حلّوا به عند الانتباه.

(٦) سنة الأولين: طريقتهم وسيرتهم.

(٧) غَوْر العلم: سرّه وباطنه.

ٱلْحُكْمِ[1]، وَرَسَاخَةِ ٱلْحِلْمِ، فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ؛ وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ ٱلْحُكْمِ[2]؛ وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ، وَعَاشَ فِي ٱلنَّاسِ حَمِيداً. وَٱلْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ[3]، وَشَنَآنِ ٱلْفَاسِقِينَ[4]؛ فَمَنْ أَمَرَ بِٱلْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؛ وَمَنْ نَهَى عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْمُنَافِقِينَ؛ وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ؛ وَمَنْ شَنِئَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ ٱللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

وَٱلْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى ٱلتَّعَمُّقِ[5]، وَٱلتَّنَازُعِ، وَٱلزَّيْغِ[6]، وَٱلشِّقَاقِ[7]؛ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ[8] إِلَى ٱلْحَقِّ؛ وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِٱلْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ ٱلْحَقِّ؛ وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ ٱلسَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرَ ٱلضَّلَالَةِ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ[9]، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ[10]، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ.

---

(١) زُهرة الحُكم ـ بضم الزاي ـ: أي حُسْنه.

(٢) الشرائع: جمع شريعة، أصلها مورد الشاربة، والمراد ـ هنا ـ الظاهر المستقيم من المذاهب، وصدر عنها: أي رجع عنها بعدما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه.

(٣) الصدق في المواطن: مواطن القتال في سبيل الحق.

(٤) الشنآن ـ بالتحريك ـ: البغض.

(٥) التعمق: الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار.

(٦) الزيغ: الحَيَدان عن مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيواني.

(٧) الشقاق: العناد.

(٨) لم يُنِبْ: أي لم يرجع، أناب ينيب: يرجع.

(٩) وَعُرَ الطريق: خشُنَ ولم يسهل السير فيه.

(١٠) أعضلَ: اشتدّ وأعجزت صعوبته.

وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي[1]، وَالْهَوْلِ[2]، وَالتَّرَدُّدِ[3]، وَالِاسْتِسْلَامِ[4]؛ فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ[5] دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ[6]؛ وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ؛ وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ[7]؛ وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا[8].

قَالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى: وَبَعْدَ هٰذَا كَلَامٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ الإِطَالَةِ وَالخُرُوجِ عَنِ الغَرَضِ المَقْصُودِ فِي هٰذَا الكِتَابِ.

٣٢ ـ وقال عليه السلام: فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ. [ربيع الأبرار، ج ١]

٣٣ ـ وقال عليه السلام: كُنْ سَمْحاً وَلَا تَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً[9] وَلَا تَكُنْ مُقَتِّراً[10]. [روض الأخيار، ص ٣٨]

٣٤ ـ وقال عليه السلام: أَشْرَفُ الْغِنَى، تَرْكُ الْمُنَى[11]. [تحف العقول ص ٩٧]

---

(١) التماري: التجادل لإظهار قوة الجدل لا لإحقاق الحق.

(٢) الهَوْل: مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك فتندهش.

(٣) التردّد: انتقاض العزيمة وانفساخها ثم عودها ثم انفساخها.

(٤) الاستسلام: إلقاء النفس في تيار الحادثات، أي ما أتى عليها يأتي.

(٥) المِراء ـ بكسر الميم ـ: الجَدَل.

(٦) الدَّيْدَن: العادة. وقوله: «لم يصبح ليله»: أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين.

(٧) الريب: الظن، أي الذي يتردّد في ظنه ولا يعقد العزيمة في أمره تطؤه سنابك الشياطين: جمع سُنبك، وهو طَرَف الحافر، أي تستزلّه شياطين الهوى فتطرحه في الهلكة.

(٨) من هذا الفصل أخذت الصوفية وأصحاب الطريقة والحقيقة كثيراً من فنونهم في علومهم.

(٩) المُقَدِّر: المقتصد كأنه يقدّر كل شيء بقيمته فينفق على قدره.

(١٠) المُقَتِّر: المضيّق في النفقة كأنه لا يعطي إلا القتر، أي الرمقة من العيش.

(١١) المُنى: جمع مُنية، وهي ما يتمناه الإنسان لنفسه، وفي تركها غنى كامل، لأنّ من زهد شيئاً استغنى عنه.

٣٥ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى ٱلنَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

[غرر الحكم ص ٢٨٩]

٣٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَطَالَ ٱلْأَمَلَ أَسَاءَ ٱلْعَمَلَ(١). [التحف ص ٢١٦، والمئة المختارة]

٣٧ ـ وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار(٢) فترجّلوا(٣) له واشتدّوا بين يديه(٤): مَا هٰذَا ٱلَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خُلُقٌ مِنّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنا؛ فقال: وَٱللّٰهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهٰذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ(٥) بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ(٦) بِهِ فِي أُخْرَاكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ ٱلْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا ٱلْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ ٱلدَّعَةَ(٧) مَعَهَا ٱلْأَمَانُ مِنَ ٱلنَّارِ!

[كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٤٤]

٣٨ ـ قال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: يَا بُنَيَّ ٱحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وَأَرْبَعاً، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى ٱلْغِنَى ٱلْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ ٱلْفَقْرِ ٱلْحُمْقُ، وَأَوْحَشَ ٱلْوَحْشَةِ ٱلْعُجْبُ(٨)، وَأَكْرَمَ ٱلْحَسَبِ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ؛ وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ(٩) مَا تَكُونُ إِلَيْهِ؛ وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ

---

(١) طول الأمل: الثقة بحصول الأماني بدون عمل لها أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير.

(٢) الدهاقين: جمع دِهقان، وهو زعيم الفلاحين في العَجَم، والأنبار: من بلاد العراق.

(٣) ترجّلوا: أي نزلوا عن خيولهم مُشاة.

(٤) اشتدّوا بين يديه: أسرعوا.

(٥) تَشُقُّون: من المشقّة.

(٦) تَشْقَون الثانية ـ بسكون الشين ـ من الشقاوة.

(٧) الدَّعَة: الراحة.

(٨) العُجب: الإعجاب بالنفس، ومن أُعجب بنفسه مقته الناس، فلم يكن له أنيس وبات في وحشة دائمة.

(٩) «أحوجَ» حال من الكاف في «عنك».

يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ(1)؛ وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ(2): يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ. [ربيع الأبرار ج1]

٣٩ ـ وقال عليه السلام: لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ(3). [غرر الحكم ص ٣٤٥]

٤٠ ـ وقال عليه السلام: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

قالَ الرضيُّ ﷺ: وَهٰذا مِنَ الْمَعَانِي الْعَجِيبَةِ الشَّرِيفَةِ، والمُرَادُ بِهِ أَنَّ العَاقِلَ لا يُطْلِقُ لِسانَهُ إِلَّا بَعْدَ مُشاوَرَةِ الرَّوِيَّةِ، ومُؤامَرَةِ الْفِكْرَةِ، والأَحْمَقُ تَسْبِقُ حَذَفاتُ لِسانِهِ(4)، وَفَلَتاتُ كَلامِهِ، مُراجَعَةَ فِكْرِهِ(5)، وَمُماخَضَةَ رَأْيِهِ(6)، فَكَأَنَّ لِسانَ الْعاقِلِ تابِعٌ لِقَلْبِهِ، وَكَأَنَّ قَلْبَ الأَحْمَقِ تابِعٌ لِلِسانِهِ.

٤١ ـ وقَدْ رُوِيَ عنهُ عَلَيْهِ السَّلامُ هٰذا المَعْنَى بِلَفْظٍ آخَرَ، وهُوَ قَوْلُهُ:
قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ. ومَعْناهُما واحِدٌ.

[رواهما الجاحظ في المئة المختارة]

٤٢ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلّها:
جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ(7)، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ

---

(١) التافه: القليل.

(٢) السراب: ما يراه السائر الظمآن في الصحراء فيحسبه ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

(٣) النوافل: جمع نافلة، وهي ما يتطوّع به من الأعمال الصالحات زيادة على الفرائض المكتو
والمراد أنّ المتطوّع بما لم يكتب عليه لا يقرّبه الى الله تطوّعه إذا قصّر في أداء الواجبة كـ
ينقطع للصلاة والذكر ويفرّ من الجهاد.

(٤) حذفات اللسان: ما يقذفه الأحمق من العبارات المخجلة بدون رويّة ولا تفكير.

(٥) مراجعة الفكر: أي التروّي فيما سينطق به اللسان. و «مراجعة» وما بعده مفعول تسبق، وحذفات فاع

(٦) مُماخضة الرأي: تحريكه حتى يظهر زُبْده، وهو الصواب.

(٧) حَتّ الورق عن الشجرة: قَشْرُهُ والصبر على العلّة: رجوع إلى الله واستسلام لقدره، وفي

بِٱللِّسَانِ، وَٱلْعَمَلِ بِٱلْأَيْدِي وَٱلْأَقْدَامِ، وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ ٱلنِّيَّةِ وَٱلسَّرِيرَةِ ٱلصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْجَنَّةَ.

[كتاب صفين ص ٥٢٨]

قال الرضيّ ﷺ: وأقولُ: صدَق عَلَيْهِ السَّلامُ، إنَّ المرَضَ لا أجرَ فيه، لأنَّهُ مِنْ قَبِيلِ ما يُستحقُّ عَلَيهِ العِوَضُ؛ لأنَّ العِوَضَ (١) يُستحقُّ على ما كانَ في مُقابَلَةِ فِعْلِ اللّٰهِ تَعالَى بالعَبدِ مِنَ الآلامِ وَالأمراضِ وَما يجْري مَجرَى ذلِكَ، وَالأجْرُ والثوابُ يُستحقَّانِ على ما كانَ في مُقابِلِ فِعْلِ العَبْدِ، فَبَينَهُما فَرقٌ قَدْ بيَّنَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَمَا يَقتضيهِ عِلمُهُ الثَّاقِبُ ورأيُهُ الصَّائِبُ.

٤٣ ـ وقال عليه السلام في ذِكْرِ خبّاب (٢): رَحِمَ ٱللّٰهُ خَبَّابَ بْنَ ٱلْأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ (٣)، وَرَضِيَ عَنِ ٱللّٰهِ، وَعَاشَ مُجَاهِداً.

[أسد الغابة ج ٢ ص ١٠٠]

٤٤ ـ وقال عليه السلام: طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ،

← ذلك خروج اليه من جميع السيئات وتوبة منها، لهذا كان يَحُتّ الذنوب.

(١) الضمير في «لأنه» للمرض، أي أنّ المرض ليس من أعمال العبد لله حتى يؤجر عليها، وإنّما هو من أفعال الله بالعبد التي ينبغي لنّ الله يعوّضها عن آلامها والذي قلناه في المعنى أظهر من كلام الرضي.

(٢) هو خبّاب بن الأرتّ التميمي، كان من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان به مرض، وكان في الجاهلية حداداً يَعْمل السيوف، وهو قديمُ الإسلام؛ قيل إنّه كان سادس ستة، وشهد بَدْراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدودٌ في المعذّبين في الله؛ سأله عمرُ أيام خلافته: ما لقيت من أهل مكة؟ فقال: انظُر إلى ظهري؛ فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظَهرَ رجلٍ! فقال خبّاب: أوقدوا لي ناراً وسُحِبت عليها، فما أطفأها إلاّ وَدَكُ ظَهري.

نزل خبّابُ إلى الكوفة، ومات بها في سنة سبع وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين، بعد أن شهد مع أمير المؤمنين ﷺ صِفّين ونَهْرَوان، وصلّى عليه عليٌّ ﷺ، وكانت سنّه يومَ مات ثلاثاً وسبعين سنة، ودُفِن بظَهْر الكوفة، وهو أوّل من دُفِن بظَهْر الكوفة، وعبد الله بن خبّاب هو الذي قتله الخوارج، فاحتجّ عليّ ﷺ به وطالبهم بدمه.

(٣) الكفاف: العيش الوسط الذي يكفي الإنسان حاجاته الأصلية.

وَرَضِيَ عَنِ ٱللّٰهِ. [كتاب صِفّين ص ٥٣١]

٤٥ ـ وقال عليه السلام: لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ ٱلْمُؤْمِنِ(١) بِسَيْفِي هٰذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ ٱلدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا(٢) عَلَى ٱلْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَٱنْقَضَى عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»(٣).

[ربيع الأبرار ج ١ ص ١٣٨]

٤٦ ـ وقال عليه السلام: سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ خَيْرٌ عِنْدَ ٱللّٰهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ(٤).

[العقد الفريد ج ١ ص ١٤٧]

٤٧ ـ وقال عليه السلام: قَدْرُ ٱلرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ. [مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٥٠]

٤٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلظَّفَرُ بِٱلْحَزْمِ، وَٱلْحَزْمُ بِإِجَالَةِ ٱلرَّأْيِ، وَٱلرَّأْيُ بِتَحْصِينِ ٱلْأَسْرَارِ. [نهاية الإرب ج ٦ ص ٦٢]

٤٩ ـ وقال عليه السلام: ٱحْذَرُوا صَوْلَةَ ٱلْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَٱللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ(٥). [غرر الحكم]

---

(١) الخيشوم: أقصى الأنف وأصله.

(٢) جَمَّاتها: جمع جَمَّة، وهي المكان يجتمع فيه الماء، والجمّة من السفينة مُجْتَمَعُ الماء المترشّح من ألواحها، وهذه استعارة، أي لو كفأتُ عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها.

(٣) وهذا الخبرُ مَرْويٌّ في الصحاح بغير هذا اللفظ: «لا يُحبُّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق».

(٤) لأنّ الحسنة المعجبة ربما جرّ الإعجاب بها إلى سيئات، والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها إلى حسنات.

(٥) ليس يعني بالجوع والشّبع ما يتعارفه الناس، وإنما المراد، احذروا صَوْلة الكريم إذا ضِيم وامتُهن، واحذَرُوا صَوْلة اللئيم إذا أُكرم. ومثل المعنى الأوّل قول الشاعر:

لا يصبرُ الحُرُّ تحت ضَيْمٍ ... وإنّما يَصبِرُ الحِمارُ ←

٥٠ - وقال عليه السلام: قُلُوبُ ٱلرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ[١].

[ربيع الأبرار، باب المحبة ج ١]

٥١ - وقال عليه السلام: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ[٢]. [ربيع الأبرار ج ١]

٥٢ - وقال عليه السلام: أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى ٱلْعُقُوبَةِ. [نهاية الإرب ج ٣: ٢٥٨]

٥٣ - وقال عليه السلام: ٱلسَّخَاءُ مَا كَانَ ٱبْتِدَاءً، فَإِذَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ[٣].

[أدب الدنيا والدين ص ١٦٥]

٥٤ - وقال عليه السلام: لَا غِنَى كَٱلْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَٱلْجَهْلِ، وَلَا مِيرَاثَ كَٱلْأَدَبِ، وَلَا ظَهِيرَ كَٱلْمُشَاوَرَةِ.

[تحف العقول ص ٢٠١]

← ومثل المعنى الثاني قولُ أبي الطيب:

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَهُ ... وإن أنتَ أكرمْتَ اللئيم تَمرّدا

(١) هذا مثل قولهم: من لانَ استمال، ومن قسا نفر، وما استُعبِد الحُرّ بمثل الإحسان إليه. وقال الشاعر:

ولَّني لوَحْشيٌ إذا ما زجرتَني ... وإنـــي إذا ألــفْتَني لألوفُ

(٢) الجَدّ - بالفتح -: الحظ، أي ما دامت الدنيا مقبلة عليك. وقد سُمع من امرأةٍ من الأعراب تُرقص ابناً لها تقول له: رَزَقك الله جَدّاً يَخدمُك عليه ذَوُو العقول، ولا رَزَقَك عقلاً تَخْدُم به ذوي الجدُود.

(٣) التذمّم: الفرار من الذمّ، كالتأثّم والتحرّج. ويعجبني في هذا المعنى قولُ ابن حَيّوس *:

إني دعوتُ نَدَى الكرام فلم يُجِبْ ... فلأشكُرَنَّ نَدىً أجابَ وما دُعِي

ومــن العجائبِ والعجائبُ جَمّةٌ ... شكــرُ بطيءٍ عن نَدَى المتسرّعِ

---

* وهو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس، الشاعر الشامي المشهور، له ديوان شعر كبير، مدح بني مرداس في حلب بقصائد أنيقة.

٥٥ ـ وقال عليه السلام: اَلصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ[١].

[أصول الكافي ج٢ ص ٩٠]

٥٦ ـ وقال عليه السلام: اَلْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ. [الغرر، ص ٣٣]

٥٧ ـ وقال عليه السلام: اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ[٢]. [روضة الكافي ١٨]

قال الرضي رحمه الله: وَقَدْ رُوِيَ هٰذَا الْكَلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٥٨ ـ وقال عليه السلام: إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، وَالْفَضْلُ مَعَ ذٰلِكَ لِلْبَادِئِ. [نهاية الإرب ج٦ ص ٢٥]

٥٩ ـ وقال عليه السلام: اَلْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ. [مطالب السؤول ج١ ص ١٦٤]

٦٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ حَذَّرَكَ[٣] كَمَنْ بَشَّرَكَ[٤]. [سراج الملوك للطرطوشي ص ٣٨٣]

٦١ ـ وقال عليه السلام: اَللِّسَانُ سَبُعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ[٥]. [الاختصاص للمفيد ص ٢٢٩]

٦٢ ـ وقال عليه السلام: اَلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّبْسَةِ[٦]. [ربيع الأبرار باب المحبة]

---

(١) النوع الأول أشق من النوع الثاني، لأنّ الأول صبرٌ على مضرّة نازلة، والثاني صبرٌ على محبوب متوقّع لم يحصل.

(٢) وكان يقال: الناسُ رجلان واجدٌ لا يكتفي، وطالِبٌ لا يَجِد، أخَذَه الشاعر فقال:

وما الناسُ إلّا واجدٌ غيرُ قانعٍ … بأرزاقِه أو طالبٌ غيرُ واجدِ

قال رجلٌ لبقراط ورآه يأكل العُشب: لو خدمتَ المَلِك لم تحتجْ إلى أن تأكل الحشيش، فقال له: وأنتَ إنْ أكلتَ الحشيش لم تحتجْ أن تخدم المَلِك!

(٣) التحذير هو النّصح، والنّصح واجب، وهو تعريفُ الإنسان ما فيه صلاحُه، وقد جاء في الخبر الصحيح: «الدين النصيحة»، فقيل: يا رسوله، لمن؟ فقال: «لعامّة المسلمين».

(٤) أي ينبغي لك أن تُسَرّ بتحذيره لك، كما تُسَرّ لو بشّرك بأمرٍ تحبه.

(٥) عقر: عَضَّ، ومنه الكلب العَقور

(٦) اللَّبْسَة: اللَّسعة، لَسَبَتْه العقرب ـ بالفتح ـ: لسعته، ولَسِبْتُ العسل ـ بالكسر ـ، أي لعقْتُه. [وفي نسخة عبده: «حلوة اللِّبسة»] واللِّبسة بالكسر: حالة من حالات اللُّبس بالضم، يقال: لبست فلانة، أي ←

٦٣ - وقال عليه السلام: اَلشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ. [المئة المختارة للجاحظ]

٦٤ - وقال عليه السلام: أَهْلُ ٱلدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ. [تحف العقول ص ٥٢]

٦٥ - وقال عليه السلام: فَقْدُ ٱلأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ(١). [مجمع الأمثال ج٢ ص ٨٣]

٦٦ - وقال عليه السلام: فَوْتُ ٱلحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا. [التحف. ٣٥٩]

٦٧ - وقال عليه السلام: لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ ٱلقَلِيلِ، فَإِنَّ ٱلحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ(٢).

[نهاية الإرب ج٣ ص ٢٠٤]

٦٨ - وقال عليه السلام: اَلعَفَافُ زِينَةُ ٱلفَقْرِ(٣)، وَٱلشُّكْرُ زِينَةُ ٱلغِنَى. [تحف العقول ص ٩٠]

٦٩ - وقال عليه السلام: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ كَيْفَ كُنْتَ(٤). [الغرر، ص ١٤٠]

← عاشرتها زمناً طويلاً، والعقرب لا تحلو لسعتها، أمّا المرأة فهي هي في الإيذاء لكنها حلوة اللسعة.

(١) قال الشاعر:

أُسرة المرءِ والدهُ وفيما ... بين جفنيهما الحياةُ تطيبُ

وإذا ولّيا عن المرءِ يوماً ... فهوَ في الناس أجنبيٌّ غريبُ

وقال آخر:

إذا مضى القرنُ الذي كنتَ فيهمُ ... وخُلِّفتَ في قرنٍ فأنتَ غريبُ*

(٢) هذا نوعٌ من الحثّ على الإفضال والجود لطيف، وقد استُعمل كثيراً في الهدية والاعتذار لقلّتها، وسُئل أرسطو: هل من جودٍ يستطاع أن يُتناول به كلّ أحد؟ قال: نعم، أن تنوي الخيرَ لكلّ أحد.

(٣) ومن أمثالهم المشهورة: «تجوعُ الحُرّة ولا تأكل بثدييها». وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أُقسِم بالله لَمَصُّ النوى ... وشربُ ماءِ القُلُبِ المالحَهْ

أحسنُ بالإنسان مِن ذُلِّهِ ... ومن سؤالِ الأوجهِ الكالحَهْ

(٤) مرادُه: إذا لم يكن ما تُريد فلا تُبَلْ لذلك، أي لا تكترثْ بفوتْ مُرادِك ولا تبتئِس بالحرمان، وإذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كلّ مذهب ولا تبالِ إنْ حقروك أو عظّموك فإنْ محطّ ←

---

* القرن: الجيل من الناس.

٧٠ ـ وقال عليه السلام: لَا يُرَى ٱلْجَاهِلُ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً. [نهاية ابن الأثير ج٣ ص ٤٣٥]

٧١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا تَمَّ ٱلْعَقْلُ نَقَصَ ٱلْكَلَامُ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٧٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلدَّهْرُ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ(١)، وَيُجَدِّدُ ٱلْآمَالَ، وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ ٱلْأُمْنِيَّةَ(٢). مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ(٣)، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ. [تذكرة الخواص ص ١٣٣]

٧٣ ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ ٱلنَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ. [المستطرف ج١ ص ٢٠]

٧٤ ـ وقال عليه السلام: نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ(٤). [غرر الحكم ص ٣٢٢]

٧٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ. [غرر الحكم ص ٢٣٧]

٧٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱشْتَبَهَتِ ٱعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا(٥).

[كتاب صِفّين لابن مزاحم ص ٤٧٦]

٧٧ ـ ومن خبر ضِرارِ بْنِ ضَمْرَةَ الضِّبابيِّ عند دخوله على معاوية، ومسألته له عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فأشهد لقد رَأيتُهُ في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيلُ

← السير الغاية وما دونها فداء لها، وقد يكون المعنى إذا عجزت عن مرادك فارض بأي حال، على رأي القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

(١) يُخْلِقُ الأبدان: أي يبليها.

(٢) يباعد الأمنية: أي يجعلها بعيدة صعبة المنال.

(٣) نَصِبَ: أعيى، ومن ظفر بالدهر لزمته حقوق وحفّت به شؤون يعييه ويعجزه مراعاتها وأداؤها، هذا إلى ما يتجدّد له من الآمال التي لا نهاية لها وكلّها تحتاج إلى طلب ونصَب.

(٤) نفَسُ المرء خُطاهُ إلى أجله: كأنّ كلّ نَفَس يتنفسه الإنسان خطوة يقطعها إلى الأجل.

(٥) اعتُبر آخرها بأوّلها: أي يقاس آخرها على أولها، فعلى حسب البدايات تكون النهايات. وروي: «إذا استبهمت»، والمعنى واحد.

سُدوله[1] وهو قائم في محرابه قابض على لحيته، يتململ تململ[2] السليم[3]، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول:

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ[4]؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لَا حَانَ حِينُكِ[5]، هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً، لَا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ. آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ[6]!

[مروج الذهب ج٢ ص ٤٣٣]

٧٨ ـ ومن كلامه عليه السلام للسائل الشامي لمّا سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً[7] لَازِماً، وَقَدَراً[8] حَاتِماً[9]، لَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. إِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ

---

(١) السُّدُول: جمعُ سَدِيل، وهو ما أُسدل على الهَودَج، ويجوز في جَمعه أيضاً أسْدال وسدائل، وهو ههنا استعارة، أرخى سُدُوله: أي حجبَ ظلامه.

(٢) التَّململ والتَّملمُل أيضاً: عدم الاستقرار من المرض، كأنّه على مَلّة، وهي الرَّماد الحارّ.

(٣) السليم: الملدوغ من حيّة ونحوها.

(٤) تعرّض به ـ كتعرّضه ـ: تصدّى له وطلبه.

(٥) «لا حان حينُكِ» دعاء عليها، أي لا حَضَر وقتك، كما تقول: لا كنت، يقول عليه السلام: لا جاء وقت وصولك لقلبي وتمكّن حبك منه.

(٦) المَوْرِد: موقف الورود على الله في الحساب.

(٧) القضاء: علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها.

(٨) القدر: إيجاد الله للأشياء عند وجود أسبابها، ولا شيء منهما يضطرّ العبد لفعل من أفعاله، فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص إلّا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل، والله يعلمه فاعلاً باختياره إمّا شقياً به وإمّا سعيداً، والدليل ما ذكره الإمام.

(٩) الحاتم: الذي لا مفرّ من وقوعه حتماً.

كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ ٱلْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلَا خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـاطِلاً: ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ﴾. [أصول الكافي ج ١ ص ١٩٥]

٧٩ ـ وقال عليه السلام: خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ(١) فِـي صَـدْرِهِ حَـتَّى تَـخْرُجَ فَـتَسْكُنَ إِلَـى صَـوَاحِـبِهَا فِـي صَـدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ. [البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٤]

٨٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِكْمَةُ ضَـالَّةُ ٱلْـمُؤْمِنِ، فَـخُذِ ٱلْـحِكْمَةَ وَلَـوْ مِـنْ أَهْـلِ ٱلنِّفَاقِ(٢). [عيون الأخبار، ج٢ ص ١٢٢]

٨١ ـ وقال عليه السلام: قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ. [عيون الأخبار، ج٢ ص ١٠]

قَالَ ٱلرَّضِيُّ ﷺ: وَهٰذِهِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا قِيمَةٌ، وَلَا تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ، وَلَا تُقْرَنُ إِلَيْهَا كَلِمَةٌ.

٨٢ ـ وقال عليه السلام: أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ ٱلْإِبِلِ(٣) لَكَانَتْ لِذٰلِكَ أَهْلاً: لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ ٱلشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِٱلصَّبْرِ، فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ كَٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِـي جَسَـدٍ لَا رَأْسَ مَـعَهُ، وَلَا خَـيْرَ فِـي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ. [عيون الأخبار، ج٢ ص ١١٩]

---

(١) تَلَجْلَج ـ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً ـ: أي تتحرك.

(٢) خَطَبَ الحجّاج فقال: «إنّ الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤونة الدنيا، فليتنا كُفينا مؤونة الآخرة وأُمرنا بطلب الدنيا» فسمعها الحسن فقال: هذه ضالّة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

(٣) الآباط: جمع إبْط، وضرب الآباط كناية عن شدّ الرحال وحثّ المسير.

٨٣ـ وقال عليه السلام لرجلٍ أفرطَ في الثناء عليه، وكان له مُتَّهِماً: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

[محاضرات الراغب ج ١ ص ١٧٥]

٨٤ـ وقال عليه السلام: بَقِيَّةُ ٱلسَّيْفِ أَنْمَى عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً[1]. [العقد الفريد ج ١ ص ١٠٢]

٨٥ـ وقال عليه السلام: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لَا أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ[2].

[قوت القلوب ج ١ ص ٢٧٧]

٨٦ـ وقال عليه السلام: رَأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلَامِ[3].

ويُرْوَى: «مِنْ مَشْهَدِ ٱلْغُلَامِ»[4].

[غرر الحكم ص ١٨٧]

٨٧ـ وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ ٱلاِسْتِغْفَارُ[5]. [الكامل ج ١ ص ١٧٧]

٨٨ـ وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام أنّه كان عليه السلام قال:

كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللهِ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ ٱلْآخَرَ

---

(١) بقية السيف: هم الذين يبقون بعد الذين قُتلوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم، وفضّلوا الموت على الذلّ، فيكون الباقون شرفاء نجداء، فعددهم أبقى وولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء فإنّ مصيرهم إلى المحو والفناء.

(٢) مقاتله: مواضع قتله؛ لأنّ مَنْ قال ما لا يعلم عُرِف بالجهل، ومن عرفه الناس بالجهل مقتوه فحرم خيره كلّه فهلك. وقال بعض الفُضَلاء: إذا قال لنا إنسانٌ: ولا أدري، علّمناه حتى يَدْري، وإن قال: أدري، امتحنّاه حتى لا يدري.

(٣) جَلَد الغلام: صبره على القتال.

(٤) مَشْهَد الغلام: إيقاعه بالأعداء. والرأي في الحرب أشدّ فعلاً في الإقدام، وإنّما قال كذلك لأنّ الشيخ كثيرُ التجربة، فيبلغ من العَدُوّ برأيه ما لا يبلُغ بشجاعته الغلامُ الحَدَث غير المجرَّب. ولذلك قال أبو الطيّب:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ	هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني
وإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ	بلغتْ من العلياءِ كلَّ مكانِ
ولرُبما طَعَنَ الفتى أقرانَه	بالرَّأيِ قبلَ تطاعنِ الأقرانِ

(٥) أي التوبة.

فَتَمَسَّكُوا بِهِ، أَمَّا ٱلْأَمَانُ ٱلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَمَّا ٱلْأَمَانُ ٱلْبَاقِي فَٱلِاسْتِغْفَارُ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. [تذكرة الخواص ص ١٣٣]

قال الرّضي رحمه الله: وهذا مِن محاسنِ الاستخراج، ولطائفِ الاستنباط.

٨٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللَّهِ أَصْلَحَ ٱللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ ٱللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ. وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱللَّهِ حَافِظٌ. [تذكرة الخواص ص ١٣٣]

٩٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفَقِيهُ كُلُّ ٱلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ ٱلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ[١]، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللَّهِ[٢]. [حلية الأولياء، ج١ ص ٧٧]

٩١ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ ٱلْأَبْدَانُ، فَٱبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكَمِ[٣]. [العقد الفريد، ج٦ ص ٢٧٩]

٩٢ ـ وقال عليه السلام: أَوْضَعُ ٱلْعِلْمِ[٤] مَا وُقِفَ عَلَى ٱللِّسَانِ[٥]، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَرْكَانِ[٦]. [روض الأخيار، ص ١٥]

٩٣ ـ وقال عليه السلام: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ[٧]» لِأَنَّهُ

---

(١) رَوْح الله: لطفه ورأفته.

(٢) مَكْرُ الله: أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر.

(٣) طرائف الحِكَم: غرائبها المستطرفة، لتنبسط إليها القلوب كما تنبسط الأبدان لغرائب المناظر.

(٤) أوضَع العلم: أي أدناه.

(٥) ما وقف على اللسان: أي لم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال.

(٦) أركان البدن: أعضاؤه الرئيسية كالقلب والمخ.

(٧) الفتنة: أصل اللفظة الاختبار والامتحان، يقال: فتنت الذهب، إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، ودينار مفتون.

لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلٰكِنْ مَنِ ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ ٱلْفِتَنِ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ ٱلسَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، وَٱلرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلٰكِنْ لِتَظْهَرَ ٱلْأَفْعَالُ ٱلَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ ٱلثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ ٱلذُّكُورَ وَيَكْرَهُ ٱلْإِنَاثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ ٱلْمَالِ[1]، وَيَكْرَهُ ٱنْثِلَامَ ٱلْحَالِ[2].

[أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٩٣]

قَالَ الرَّضِيُّ ﷺ: وهٰذَا مِنْ غَرِيبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّفْسِيرِ.

٩٤- وسُئِلَ عنِ الخيرِ ما هُوَ؟ فقالَ: لَيْسَ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلٰكِنَّ ٱلْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ ٱلنَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ ٱللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ ٱللهَ. وَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِٱلتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي ٱلْخَيْرَاتِ.

[حلية الأولياء، ج ١ ص ٧٥]

٩٥- وقال عليه السلام: لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ ٱلتَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

[تنبيه الخواطر، ص ٢٣]

٩٦- وقال عليه السلام: إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ[3] بِمَا جَاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تلا عليه

---

(١) تثمير المال: إنماؤه بالربح.

(٢) انثلام الحال: نقصه.

(٣) هكذا الرواية «أعلمهم»، والصحيح «أعملهم»، لأنّ استدلاله بالآية يقتضي ذلك، وكذا قوله فيما بعدُ، فلم يذكر العلم، وإنّما ذكر العمل.

السَّلام: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا..﴾، ثُمَّ قال عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ(١)، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى ٱللَّهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ(٢).

[ربيع الأبرار باب التفاضل]

٩٧ ـ وَسَمِعَ عَلَيْهِ ٱلسَّلام رَجُلاً مِنَ ٱلْحَرُورِيَّةِ(٣) يَتَهَجَّدُ(٤) وَيَقْرَأُ، فَقالَ:

نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ عَلَى شَكٍّ. [مطالب السؤول ج١ ص ١٦٤]

٩٨ ـ وقال عليه السلام: اَعْقِلُوا ٱلْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ(٥)، فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ. [محاضرات الأدباء ج١ ص ١٤]

٩٩ ـ وَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ قَوْلَنَا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِٱلْمُلْكِ(٦)، وَقَوْلَنَا: ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى

---

(١) اللُّحمة ـ بالضم ـ: النسب والقرابة.

(٢) وهذا مثلُ الحديث المرفوع: «ائتوني بأعمالكم، ولا تأتوني بأنسابكم، ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]» وفي الحديث الصحيح: «يا فاطمة بنت محمد، إنّي لا أغني عنك من الله شيئاً».

(٣) الحرورية: الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء*.

(٤) يتهجد: أي يصلي الليل.

(٥) أمرهم ﷺ أن يعقلوا ما يسمعونه عقل رعاية، أي معرفة وفهم، ونهاهم عن أن يقتصروا على روايته.

(٦) قوله: «إنّا لله» اعتراف بأنّا مملوكون لله، وعبيدٌ له، لأن هذه اللامَ لامُ التمليك، كما تقول: الدارُ لزيد.

---

* حروراء: قرية بظاهر الكوفة، نزل بها الذين خالفوا علي بن أبي طالب (ع)، ونُسبوا إليها.

أَنْفُسِنَا بِٱلْهُلْكِ[1].

[تحف العقول ص ٢٠٩]

١٠٠ ـ وقال عليه السلام وقد مَدَحَهُ قومٌ في وجهه: اَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ. اَللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ!

[غرر الحكم ص ٥٧]

١٠١ ـ وقال عليه السلام: لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ ٱلْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِٱسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ[2]، وَبِٱسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ[3]، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ[4].

[قوت القلوب ج٢ ص ٢٢٢]

١٠٢ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمَاحِلُ[5]، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْفَاجِرُ[6]، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمُنْصِفُ[7]، يَعُدُّونَ ٱلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً[8]، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنّاً[9]، وَٱلْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَى ٱلنَّاسِ[10]، فَعِنْدَ ذٰلِكَ

---

(١) الهُلك ـ بالضم ـ: الهلاك.

(٢) المراد استصغارها في الطلب لتعظم بالقضاء.

(٣) استكتامها: *أي الحرص على كتمانها* عند محاولتها لتظهر بعد قضائها، فلا تُعلَم إلّا مقضيّة، وقد جاء في الحديث المرفوع: فاستعينوا على حاجاتكم بالكتمان؛ فإنّ كلّ ذي نِعْمَةٍ محسود.

(٤) وتعجيلها للتمكّن من التمتع بها فتكون هنيئة، ولو عظمت عند الطلب أو ظهرت قبل القضاء خيف الحرمان منها، ولو أُخّرت خيف النقصان.

(٥) الماحِل: الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان، يقال: مَحَل به إذا سَعَى به إلى السلطان فهو ماحِلٌ ومَحُول: والمَحْل: المكر والكيْد: والمُماحَلة: المماكَرة والمكايدة.

(٦) «ولا يُظرَّف فيه إلّا الفاجر» لا يَعُدّ الناسُ الإنسانَ ظريفاً إلّا إذا كان خليعاً ماجناً متظاهراً بالفِسق.

(٧) «ولا يُضعَّف فيه إلّا المنصِف» أي إذا رأوا إنساناً عنده وَرَع وإنصاف في معاملة الناس عدُّوه ضعيفاً، ونَسَبوه إلى الرِّكّة والرخاوة، وليس الشَّهم عندهم إلّا الظالم.

(٨) الغُرْم: الخسارة والغرامة.

(٩) المَنّ: ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه.

(١٠) الاستطالة على الناس: التفوّق عليهم والتزيّد عليهم في الفضل.

يَكُونُ ٱلسُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ ٱلإِمَاءِ، وَإِمَارَةِ ٱلصِّبْيَانِ، وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيَانِ.

[الكامل للمبرد، ج١ ص ١٧٧]

١٠٣ ـ وَرُئِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:

يَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ ٱلنَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ. [الطبقات ج٣ ص ٨٩]

١٠٤ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ ٱلدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ ٱلآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ.

[حلية الأولياء، ج١ ص ٨٣]

١٠٥ ـ وَعَنْ نَوْفٍ ٱلْبَكَالِيِّ[(١)] قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَام ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى ٱلنُّجُومِ، فَقَالَ: يَا نَوْفُ، أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ[(٢)]؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ:

يَا نَوْفُ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا، ٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلآخِرَةِ، أُولَـٰئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا ٱلأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَٱلْقُرْآنَ شِعَاراً[(٣)]، وَٱلدُّعَاءَ دِثَاراً[(٤)]، ثُمَّ قَرَضُوا ٱلدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ ٱلْمَسِيحِ[(٥)].

---

(١) قال صاحبُ الصّحاح: نَوْف البَكاليّ كان صاحب عليّ ﷺ. وقال ثعلب: هو منسوبٌ إلى قبيلة تُدعَى بكالة، ولم يذكر من أيّ العرب هي، والظاهر أنّها من اليَمَن، وأمّا بكيل فحيّ من هَمْدان.

(٢) قوله: «أم رامق» أي مستيقظٌ منتبه العين، ترمُق السماء والنجومَ ببصرك، في مقابلة الراقد بمعنى النائم يقال: «رمقه» إذا لحظه لحظاً خفيفاً.

(٣) شعاراً: يقرأونه سرّاً للاعتبار بمواعظه والتفكير في دقائقه. وأصل الشعار: ما يلي البدن من الثياب.

(٤) والدُّعاء دِثاراً: يجهرون به إظهاراً للذلّة والخضوع لله، وأصل الدِّثار: ما علا من الثياب.

(٥) قَرَضوا الدّنيا: أي تركوها وخلّفوها وراء ظهورهم، قال تعالى: ﴿وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ﴾ [سورة الكهف: ١٧] أي تتركهم وتُخلفهم شمالاً، يقول الرجل لصاحبه: هل مررت ـ

يَا نَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً[1]، أَوْ عَرِيفاً[2]، أَوْ شُرْطِياً[3]، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ ـ وَهِيَ الطُّنْبُورُ ـ أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ.

[تاريخ بغداد ج٧ ١٦٢]

قال الرضيّ: وَهِيَ الطَّبْلُ، وَقَدْ قِيلَ أَيضاً: إِنَّ العَرطَبَةَ: الطَّبلُ، والكُوبَةَ: الطُّنبُورُ[4].

١٠٦ـ وقال عليه السلام: إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا[5]، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا[6].

[المجالس للمفيد، ص ٩٤]

١٠٧ـ وقال عليه السلام: لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.

[غرر الحكم ص ٣٥١]

١٠٨ـ وقال عليه السلام: رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ[7].

[الجمل لأبي مخنف]

← بمكان كذا، يقول: نَعَم قَرَضته ليلاً ذات اليمين، أو يريد من «قرضوا الدنيا»: مزّقوها كما يمزّق الثوب بالمقراض على طريقة المسيح في الزهادة.

(١) العشّار: مَن يتولّى أخذ أعشار الأموال، وهو المَكّاس.

(٢) العريف: مَن يتجسس على أحوال الناس وأسرارهم فيكشفها لأميرها مثلاً.

(٣) الشُرطي: نسبة إلى الشُرطة، واحد الشُرَط وهم أعوان الحاكم.

(٤) لم نرَ هذا في ما وقفنا عليه من كتب اللغة، والمنقول أن الكُوبة ـ بالضم ـ الطبل الصغير، وهو المعروف بالدربكة.

(٥) أي لا تنتهكوا نهيه عنها بإتيانها، والانتهاك: الإهانة والإضعاف.

(٦) لا تتكلّفوها: أي لا تكلّفوا أنفسكم بها بعد ما سكت الله عنها.

(٧) وهذا هو العالِم الذي يحفظ ولا يدري، أو يعلم ولا يعمل، أو ينقل ولا بصيرة له.

١٠٩ ـ وقال عليه السلام: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ[1] هٰذَا ٱلإِنْسَانِ بَضْعَةٌ[2] هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَهُوَ ٱلْقَلْبُ. وَذٰلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَأَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ ٱلرَّجَاءُ[3] أَذَلَّهُ ٱلطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ ٱلطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلَهُ ٱلأَسَفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ ٱلرِّضَا نَسِيَ ٱلتَّحَفُّظَ[4]، وَإِنْ غَالَهُ ٱلْخَوْفُ شَغَلَهُ ٱلْحَذَرُ، وَإِنِ ٱتَّسَعَ لَهُ ٱلأَمْرُ ٱسْتَلَبَتْهُ ٱلْغِرَّةُ[5]، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ ٱلْجَزَعُ، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً[6] أَطْغَاهُ ٱلْغِنَى، وَإِنْ عَضَّتْهُ ٱلْفَاقَةُ[7] شَغَلَهُ ٱلْبَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ ٱلْجُوعُ[8] قَعَدَتْ بِهِ ٱلضَّعْفَةُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ ٱلشِّبَعُ كَظَّتْهُ[9] ٱلْبِطْنَةُ[10]، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

[تاريخ ابن عساكر ترجمة علي ﷺ]

١١٠ ـ وقال عليه السلام: نَحْنُ ٱلنُّمْرُقَةُ ٱلْوُسْطَى ٱلَّتِي يَلْحَقُ بِهَا ٱلتَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ ٱلْغَالِي[11].

[الاشتقاق ص ٤٦٢]

---

(١) النِّيَاط: عِرْق معلّق به القلب إذا قُطِع مات صاحبُه، ويقال له النَّيط أيضاً.

(٢) البَضْعَة: القِطْعة من اللحم، والمراد بها ههنا القلب.

(٣) سنح له: بدا وظهر.

(٤) التحفّظ: هو التّوقّي والتّحرّز من المضرّات.

(٥) الغِرّة: الغفلة، واستلبته: أي سلبته وذهبت به عن رشده.

(٦) أفاد المال: استفاده.

(٧) الفاقة: الفقر.

(٨) *جهده: أتعبه وأنهكه.*

(٩) كظّته: أي كربته وآلمته.

(١٠) البِطْنة: امتلاء البطن حتى يضيق النَّفَس.

(١١) النُّمرُق والنُّمرُقة ـ بالضم فيهما ـ: وِسادة صغيرة، ويجوز النِّمرِقة بالكسر فيهما، والمعنى

١١١ـ وقال عليه السلام: لَا يُقِيمُ أَمْرَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ(١)، وَلَا يُضَارِعُ(٢)، وَلَا يَتَّبِعُ ٱلْمَطَامِعَ(٣).

[غرر الحكم ص ٣٥١]

١١٢ـ وقال عليه السلام وقد تُوُفِّيَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ ٱلأَنصاريُّ بِٱلْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنْ صِفِّينَ مَعَهُ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ ٱلنَّاسِ إِلَيهِ: لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ(٤).

[الغرر والدرر ص ٢٦١]

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ ٱلْمِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ، فَتُسْرِعُ ٱلْمَصَائِبُ إِلَيْهِ، وَلَا يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالأَتْقِيَاءِ ٱلأَبْرَارِ، ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ.

١١٣ـ وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً» وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنًى آخَرَ(٥) لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

[أمالي المرتضى ج ١ ص ١٧]

١١٤ـ وقال عليه السلام: لَا مَالَ أَعْوَدُ(٦) مِنَ ٱلْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ ٱلْعُجْبِ، وَلَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ، وَلَا كَرَمَ كَٱلتَّقْوَى، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ، وَلَا مِيرَاثَ

← أنّ كلّ فضيلة فإنّها مجنّحة بطرَفَين معدودين من الرذائل، والمراد أنّ آل محمّد عليه وعليهم السلام هم الأمر المتوسط بين الطرفين، فكلّ من جاوَزَهم فالواجب أن يَرجعَ إليهم، وكلّ من قصّر عنهم فالواجبُ أن يَلحَق بهم، أو شبه آل البيت بالوسادة للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء. ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها، فكأنّ الكلّ يعتمد عليها، إمّا مباشرة، أو بواسطة ما بجانبه، وآل البيت على الصراط الوسط العدل، يلحق بهم مَن قصّر، ويرجع إليهم مَن علا وتجاوز.

(١) لا يصانع: أي لا يداري في الحقّ.

(٢) يضارع: يتعرّض لطلب الحاجة؛ ويجوز أن يكون من الضَراعة وهي الخُضوع؛ ويجوز أن يكون من المضارعة بمعنى المشابهة، والمعنى أنّه لا يشتبه في عمله بالمبطلين.

(٣) اتباع المطامع: الميل معها وإن ضاع الحقّ.

(٤) تهافت: تساقط بعد ما تصدّع.

(٥) هو أنّ مَنْ أحبهم فليخلص لله حبّهم فليست الدنيا تطلب عندهم.

(٦) أعود: أنفع.

كَالْأَدَبِ، وَلَا قَائِدَ كَالتَّوفِيقِ، وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا زَرْعَ كَالثَّوَابِ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَلَا عِزَّ كَالْحِلْمِ، وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

[البصائر والذخائر ص ٢٥]

١١٥ ـ وقال عليه السلام: إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ على الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ(١) فَقَدْ ظَلَمَ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.

[غرر الحكم ١٤٣]

١١٦ ـ وقيل له عليه السلام: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال: كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ(٢)، وَيَسْقَمُ(٣) بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ(٤).

[أمالي الطوسي ج٢ ص ٢٥٤]

١١٧ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ(٥)، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ(٦) لَهُ.

[تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٨٢]

١١٨ ـ وقال عليه السلام: هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ(٧)، وَمُبْغِضٌ قَالٍ(٨).

[الحيوان للجاحظ ج٢ ص ٩٠]

---

(١) الحَوْبة: المعصية والإثم. [وعد عبده: لم تظهر منه خِزْية] والخزية: البلية تصيب الإنسان فتذلّه وتفضحه.

(٢) كلّما طال عمره ـ وهو البقاء ـ تقدّم إلى الفناء، وكلّما مدّت عليه الصحة تقرّب من مرض الهرم.

(٣) سَقِم: مرض.

(٤) يأتيه الموت من مأمنه: أي الجهة التي يأمن إتيانه منها، فإنّ أسبابه كامنة في نفس البدن.

(٥) استدرجه الله: تابع نعمته عليه وهو مقيم في عصيانه، إبلاغاً للحجّة، وإقامة للمعذرة في أخذه.

(٦) الإملاء: الإمهال.

(٧) الغالي: المتجاوز الحدّ في حبّه بسبب غيره أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك.

(٨) القالي: المبغض الشديد البغض.

١١٩ - وقال عليه السلام: إِضَاعَةُ ٱلْفُرْصَةِ غُصَّةٌ. [غرر الحكم ص ٢٤]

١٢٠ - وقال عليه السلام: مَثَلُ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَٱلسُّمُّ ٱلنَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا ٱلْغِرُّ ٱلْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو ٱللُّبِّ ٱلْعَاقِلُ. [تحف العقول ص ٩٠]

١٢١ - وقد سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، تُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَٱلنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ[١]. وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ[٢] فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَأَسْمَحُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا[٣]، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

[العقد الفريد ج٣ ص ٣١٥]

١٢٢ - وقال عليه السلام: شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ[٤]: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ[٥]،

---

(١) إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل هذا الكلام احتقاراً لهم، ولا استصغاراً لشأنهم، ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر همّه يوم المُفاخرة أن يفاخر بني عبد شمس لما بينه وبينهم، فلمّا ذكَرَ مخزوماً بالعَرَض قال فيهم ما قال، ولو كان يريد مفاخرتهم لما اقتصر لهم على ما ذكره عنهم.

(٢) ومنهم بنو أميّة.

(٣) لا مناقضة بين قوله في بني عبد شمس: إنّهم أمْنَع لما وراء ظهورهم، وقوله في بني هاشم: إنّهم أسمحُ عند الموت بنفوسهم؛ لأنّه أراد كثرة بني عبد شمس، فبالكثْرَة تمنع ما وراء ظهورها، وكان بنو هاشم أقلّ عدداً منهم، إلّا أنّ كلّ واحد على انفراده أشجع وأسمح بنفسه عند الموت من كلّ واحد على انفراده من بني عبد شمس.

(٤) الأوّل عمل في شهوات النفس، والثاني عمل في طاعة الله.

(٥) أخذ هذا المعنى بعضُ الشعراء، فقال:

تَفْنى اللَّذاذةُ مِمَّنْ نالَ بُغْيَتَهُ ... من الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ

تُبقِي عواقِبَ سوءٍ في مَغَبَّتِها* ... لا خيرَ في لذَّةٍ من بعدها نارُ

---

* مغبة الشيء: عاقبته.

وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ. [ربيع الأبرار للزمخشري]

١٢٣ ـ وقال عليه السلام وَقَدْ تَبِعَ جنازةً فسمعَ رَجلاً يضحكُ، فقالَ:

كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي نَرَى مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ سَفْرٌ(١) عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ(٢) أَجْدَاثَهُمْ(٣)، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ(٤)، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ(٥). [قوت القلوب ج١ ص ١٦٠]

١٢٤ ـ وقال عليه السلام: طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ(٦)، وَأَنْفَقَ ٱلْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ ٱلنَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ ٱلسُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ. [تاريخ ابن واضح ج٢: ٨٩]

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: أقولُ: ومِنَ النَّاسِ مَن يَنسُبُ هذا الكلامَ إلى رسولِ اللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

١٢٥ ـ وقال عليه السلام: غَيْرَةُ ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ(٧)، وَغَيْرَةُ ٱلرَّجُلِ إِيمَانٌ. [غرر الحكم: ٢٢٣]

١٢٦ ـ وقال عليه السلام: لَأَنْسُبَنَّ ٱلْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي. ٱلْإِسْلَامُ هُوَ

---

(١) سَفْر: أي مسافرون.

(٢) نُبوّئهم: ننزلهم.

(٣) أجداثهم: قبورهم.

(٤) التراث: الميراث.

(٥) الجائحة: الآفة تهلك الأصل والفرع.

(٦) الخليقة: الخلق والطبيعة.

(٧) سمّاها عليه السلام كفراً لمشاركتها الكفر في القُبح فأجرى عليها اسمه، وأيضاً فإنّ المرأة قد تؤدّي بها الغيرة إلى ما يكون كُفراً على الحقيقة كالسّحر، أو أنّها تحرّم على الرجل ما أحلّ الله له من أزواج متعددات، أمّا غيرة الرجل فتحريم لما حرّمه الله وهو الزنا.

ٱلتَّسْلِيمُ، وَٱلتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ، وَٱلْيَقِينُ هُوَ ٱلتَّصْدِيقُ، وَٱلتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلْإِقْرَارُ، وَٱلْإِقْرَارُ هُوَ ٱلْأَدَاءُ، وَٱلْأَدَاءُ هُوَ ٱلْعَمَلُ. [المحاسن ج١ ص ٢٢٢]

١٢٧ ـ وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ[١] ٱلَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ ٱلْغِنَى ٱلَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي ٱلدُّنْيَا عَيْشَ ٱلْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي ٱلآخِرَةِ حِسَابَ ٱلْأَغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ ٱلَّذِي كَانَ بِٱلْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي ٱللّٰهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ ٱللّٰهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ ٱلْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَى، وَعَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارَ ٱلْفَنَاءِ، وَتَارِكِ دَارَ ٱلْبَقَاءِ. [روض الأخيار: ٢٢٤]

١٢٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ قَصَّرَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِٱلْهَمِّ[٢]. [غرر الحكم: ص ٢٩٥]

١٢٩ ـ وقال عليه السلام: لَا حَاجَةَ لِلّٰهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّٰهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ.

[غرر الحكم ص ٢٩٥]

١٣٠ ـ وقال عليه السلام: تَوَقَّوْا ٱلْبَرْدَ[٣] فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ[٤]؛ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي ٱلْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي ٱلْأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وَآخِرُهُ يُورِقُ. [نهاية الإرب ج١ ص ١٧٦]

---

(١) الفقر ما قصّر بك عن درك حاجتك. والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها ويكون عليه الحقّ فلا يؤدّيه، فحاله حال الفقراء يحتمل ما يحتملون، فقد استعجل بالفقر وهو يهرب منه بجميع المال.

(٢) الهمّ همّ الحسرة على فوات ثمراته، ومن لم يجعل لله نصيبه في ماله بالبذل في سبيله، ولا روحه باحتمال المتاعب في إعزاز دينه، فلا يكون له رجاء في فضل الله؛ فإنّه لا يكون في الحقيقة عبد الله بل عبد نفسه والشيطان.

(٣) *توقّوا البرد: أي احفظوا أنفسكم من أذاه.*

(٤) لأنّه في أوّله يأتي على عهد من الأبدان بالحر فيؤذيها، أمّا في آخره فيمسّها بعد تعوّدها عليه وهو إذ ذاك أخفّ.

١٣١ ـ وقال عليه السلام: عُظْمُ ٱلْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ ٱلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

١٣٢ ـ وقال عليه السلام وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْقُبُورِ بِظَاهِرِ ٱلْكُوفَةِ:

يَا أَهْلَ ٱلدِّيَارِ ٱلْمُوحِشَةِ(١)، وَٱلْمَحَالِّ ٱلْمُقْفِرَةِ(٢)، وَٱلْقُبُورِ ٱلْمُظْلِمَةِ. يَا أَهْلَ ٱلتُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ ٱلْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ(٣) سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ(٤) لَاحِقٌ. أَمَّا ٱلدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ(٥)، وَأَمَّا ٱلْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا ٱلْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِّمَتْ. هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا وَٱللّٰهِ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي ٱلْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى﴾. [البيان والتبيين ج٦ ص ٢١٩]

١٣٣ ـ وقال عليه السلام وقد سَمِعَ رجلاً يذمّ الدنيا: أَيُّهَا ٱلذَّامُّ لِلدُّنْيَا، ٱلْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، ٱلْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَفْتَتِنُ بِهَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ ٱلْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا(٦) أَمْ هِيَ ٱلْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى ٱسْتَهْوَتْكَ(٧)، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ(٨) آبَائِكَ مِنَ ٱلْبِلَى(٩)، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ ٱلثَّرَى(١٠)؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ(١١)، وَكَمْ

---

(١) الموحشة: الموجبة للوحشة، ضد الأنس.

(٢) المحال: جمع محل، أي الأماكن المقفرة، من «أقفر المكان» إذا لم يكن به ساكن ولا نابت.

(٣) الفَرَط: المتقدم إلى الماء، للواحد والجمع، والكلام هنا على الإطلاق، أي المتقدمون.

(٤) التَبَع: التابع.

(٥) أي أنّ دياركم سكنها غيركم، ونساؤكم تزوجت، وأموالكم قسّمت، فهذه أخبارنا إليكم.

(٦) تُجَرّم عليه: ادّعى عليه الجُرْم ـ بالضم ـ أي الذنب.

(٧) استهواه: ذهب بعقله وأذلّه فحيّره.

(٨) المَصارع: جمع المَصْرَع، وهو مكان الانصراع، أي السقوط، أي مكان سقوط آبائك من الفناء.

(٩) البِلى: الفناء بالتحلل.

(١٠) الثرى: التراب.

(١١) عَلَّل المريض: خدمه في علّته، كمرّضه أي خدمه في مرضه.

مَرِضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ[1] الْأَطِبَّاءَ[2]، غَدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ! لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ[3]، وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ[4]، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ، وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ[5]، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا[6]، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللّٰهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللّٰهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللّٰهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللّٰهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا[7]، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا[8] وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ[9]، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ[10]، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ[11]، تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً

---

(١) الضمير في «لهم» يعود على الكثير المفهوم من «كم».

(٢) اسْتَوْصَفَ الطبيبَ: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء.

(٣) إشفاقك: خوفك.

(٤) الطِلْبة ـ بالكسر وبفتح فكسر ـ: المطلوب، وأسعفه بمطلوبه: أعطاه إيّاه على ضرورة إليه.

(٥) «مَثَّلَتْ لك به الدنيا نَفْسَك» أي أنّ الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالاً لنفسك تقيسها إليه.

(٦) تزوّد: أي أخذ منها زاده للآخرة.

(٧) آذنت: أي علمت أهلها ببينها، أي ببعدها وزوالها عنهم.

(٨) نعاه: إذا أخبر بفقده، والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما ظهر من أحوالها.

(٩) «فمثّلت لهم ببلائها البلاء» أي بلاء الآخرة وعذاب جهنّم، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور، أي إلى سرورِ الآخرة ونعيم الجنّة.

(١٠) راح إليه: وافاه وقت العشي، أي أنها تمشي بعافية.

(١١) تبتكر: أي تصبح بفجيعة، أي بمصيبة فاجعة.

وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ ٱلنَّدَامَةِ[1]، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا[2]، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَٱتَّعَظُوا[3].

[عيون الأخبار، ج٢ ص ٣٢٩]

١٣٤ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ[4]، وَٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ.

[الاختصاص ص ٢٣٢]

١٣٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ، لَا دَارُ مَقَرٍّ، وَٱلنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[5]، وَرَجُلٌ ٱبْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا[6].

[نهاية الارب ج٧ ص ٦٦]

١٣٦ ـ وقال عليه السلام: لَا يَكُونُ ٱلصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ[7]: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ.

[روض الأخيار، ص ٨٦]

١٣٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ ٱلدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْإِجَابَةَ[8]، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلتَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلِاسْتِغْفَارَ لَمْ

---

(١) أي ذمّوها عندما أصبحوا نادمين على ما فرّطوا فيها، أمّا الذين حمدوها فهم الذين عملوا فجنوا ثمرة أعمالهم.

(٢) ذكرتهم بحوادثها فانتبهوا لما يجب عليهم، وكأنّها بتقلّبها تحدّثهم بما فيه العبرة وتحكي لهم ما به العظة.

(٣) وهذا الفصل كلّه في مدح الدنيا، وهو ينبئ عن اقتداره ﷺ على ما يريد من المعاني؛ لأنّ كلامه كلّه في ذمّ الدنيا، وهو الآن يمدحها، وهو صادق في ذلك وفي هذا.

(٤) لِدُوا: فعل أمر من الولادة لجماعة المخاطبين، واللام في «للموت» لامُ العاقبة.

(٥) أي باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها: أي أهلكها.

(٦) ابتاع نفسه: أي اشتراها وخلّصها من أسر الشهوات.

(٧) أي لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة.

(٨) المراد بالدعاء المجاب ما كان مقروناً باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب.←

يُحْرَمِ ٱلْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلزِّيَادَةَ. [تذكرة الخواص ص ١٣٣]

قال الرَّضيُّ: وتَصْديقُ ذٰلِكَ في كتابِ اللّٰهِ تعالى؛ قالَ في الدُّعاءِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وقالَ في الاستِغْفارِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾. وقالَ في الشُّكْرِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. وقالَ في التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

١٣٨ - وقال عليه السلام: ٱلصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَٱلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ ٱلصَّوْمُ، وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ ٱلتَّبَعُّلِ(١). [التحف: ٢٢١]

١٣٩ - وقال عليه السلام: ٱسْتَنْزِلُوا ٱلرِّزْقَ بِٱلصَّدَقَةِ. [غرر الحكم ص ١٤٤]

١٤٠ - وقال عليه السلام: مَنْ أَيْقَنَ بِٱلْخَلَفِ جَادَ بِٱلْعَطِيَّةِ. [زهر الآداب ج١ ص ٤٣]

١٤١ - وقال عليه السلام: تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ. [غرر الحكم ص ١٥٢]

١٤٢ - وقال عليه السلام: مَا عَالَ(٢) مَنِ ٱقْتَصَدَ(٣). [تحف العقول ص ١٠٠]

١٤٣ - وقال عليه السلام: قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ(٤). [البيان والتبيين ج١ ص ٣٥]

١٤٤ - وقال عليه السلام: ٱلتَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ. [البيان والتبيين ج١ ص ٣٥]

← والتوبة والاستغفار ما كانا ندماً على الذنب يمنع من العود إليه. والشكر تصريف النعم في وجوهها المشروعة.

(١) حسن التبعُّل: إطاعة الزوج وحسنُ معاشرته وحفظ ماله وعرضه.

(٢) ما عال: ما افتقر.

(٣) مَن اقتصد: أي من أنفق في غير إسراف.

(٤) اليسار الثاني كثرة المال.

١٤٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ(١). [الخصال ص ١٥٦]

١٤٦ ـ وقال عليه السلام: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ(٢). [ربيع الأبرار للزمخشري]

١٤٧ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلْجُوعُ وَٱلظَّمَأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا ٱلسَّهَرُ وَٱلْعَنَاءُ، حَبَّذَا نَوْمُ ٱلْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ(٣). [تاريخ أصفهان ج١ ص ٢٥٥]

١٤٨ ـ وقال عليه السلام: سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِٱلصَّدَقَةِ(٤)، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِٱلزَّكَاةِ، وَٱدْفَعُوا أَمْوَاجَ ٱلْبَلَاءِ بِٱلدُّعَاءِ. [تحف العقول ص ١١٢]

١٤٩ ـ قال كُمَيل بنُ زياد: أخذ بيدي أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ عَلَيْهِ السَّلام فأخرجني إلى الجَبَّانِ(٥)، فلمّا أصحرَ(٦) تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ(٧)، ثمّ قال:

---

(١) قال أبو تمّام:

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيبَ الرّأسِ ... إلّا من فضلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاكَ القلوبُ في كلِّ بؤسٍ ... ونعيمٍ طلائعُ الأجسادِ
طالَ إنكاريَ البياضَ ولو عُمِّرْ ... تُ شيئاً أنكرتُ لونَ السّوادِ

(٢) حَبِطَ عمله: أي حُرِمَ من ثواب أعماله فكأنها بطلت.

(٣) الأكياس: جمع كيّس ـ بتشديد الياء ـ أي العقلاء العارفون يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمقى وقيامهم، وذلك لأنّ عباداتهم تقع مطابقةً لعقائدهم الصحيحة، فتكون فروعاً راجعة إلى أصلٍ ثابت، وليس كذلك الجاهلون بالله تعالى.

(٤) سوسوا: أمر من السياسة، وهي حفظ الشيء بما يحوطه من غيره، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة الرأي والأخذ بالحدود، والصدقة تستحفظ الشفقة، والشفقة تستزيد الإيمان وتذكر الله.

(٥) الجَبّان والجبّانة: الصحراء أو المقبرة.

(٦) أصحرَ: أي صار في الصحراء.

(٧) تنفّس الصّعَداء: أي تنفّس تنفساً ممدوداً طويلاً.

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ[1]، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا[2]، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ:

ٱلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ[3]، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ[4]، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ[5] أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ[6] يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ ٱلْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كُمَيْلُ، ٱلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ، ٱلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ. وَٱلْمَالُ تَنْقُصُهُ ٱلنَّفَقَةُ، وَٱلْعِلْمُ يَزْكُو[7] عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ ٱلْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ[8].

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ ٱلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ ٱلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ[9]. وَٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ ٱلْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَٱلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ ٱلدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَا هُنَا لَعِلْماً جَمّاً

---

(١) أوعية: جمع وعاء، وهو الإناء وما أشبهه.

(٢) أوعاها: أحفظها.

(٣) العالم الربّاني: المتألّه العارف بالله، المنسوب إلى الربّ.

(٤) المتعلّم على طريق النجاة إذا أتمّ علمه نجا.

(٥) الهمج: الحمقى من الناس. والرّعاع: الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس.

(٦) الناعق: مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق.

(٧) يزكو: يزداد نماءً.

(٨) من كان صنيعاً لك متحبباً إليك لمالك زال ما تراه منه بزوال مالك. أمّا صنيع العلم فيبقى ما بقي العلم، فإنّما العالم في قومه كالنبيّ في أمّته، فالعلم أشبه شيء بالدِّين - بكسر الدال - يوجب على المتدينين طاعة صاحبه في حياته والثناء عليه بعد موته.

(٩) «وجميل الأحدوثة بعد وفاته» أي الذّكر الجميل بعد موته.

ـ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ـ[1] لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً[2]! بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً[3] غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ ٱلدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ ٱللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ؛ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ ٱلْحَقِّ[4]، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ ٱلشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ[5]! أَوْ مَنْهُوماً بِٱللَّذَّةِ[6]، سَلِسَ ٱلْقِيَادِ[7] لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِٱلْجَمْعِ وَٱلِادِّخَارِ[8]، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ ٱلدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا ٱلْأَنْعَامُ[9] ٱلسَّائِمَةُ[10]، كَذَلِكَ يَمُوتُ ٱلْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ[11].

---

(١) قوله ﷺ: «ها إنّ ههنا لَعِلْماً جمّاً» هذا عندي إشارةٌ إلى العِرْفان والوصول إلى المقام الأشرف الذي لا يصل إليه إلّا الواحد الفذّ من العالم ممّن لله تعالى فيه سرّ، وله به اتّصال.

(٢) الحمَلة: جمع حامل. و«أصبت» بمعنى وجدت، أي لو وجدت له حاملين لأبرزته وبثثته، ولكن مَن الذي يُطيق حَمْله! بل مَنْ الذي يُطيق فهمَه فضلاً عن حَمله!

(٣) اللَّقِن: مَن يفهم بسرعة، إلّا أنّ العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا، ويستعين بنعم الله على إيذاء عباده.

(٤) المُنْقاد لحاملي الحقّ: وهو السّاذج المُقلّد في القول والعمل، ولا بصيرة له في دقائق الحقّ وخفاياه، فذاك يسرع الشكّ إلى قلبه لأقلّ شبهة.

(٥) أي لا يصلح لحمل العلم واحدٌ منهما.

(٦) المنهوم: المفرط في شهوة الطعام.

(٧) سَلِس القِياد: سَهلُه.

(٨) المغرم بالجمع: المولع بكسب المال واكتنازه.

(٩) الأنعام: أي البهائم السائمة أقرب شبهاً بهذين، فهما أحطّ درجة من راعية البهائم لأنّها لم تسقط عن منزلة أعدّتها لها الفطرة، أمّا هما فقد سقطا واختارا الأدنى على الأعلى.

(١٠) السائمة: التي ترسل لترعى من غير أن تُعلف.

(١١) قال ﷺ: «وكذلك يموت العلمُ بموت حامليه» أي إذا متُّ مات العلمُ الذي في صدري، لأنّي لم أجد أحداً أدفعه إليه، وأورّثه إيّاه»، ثم استدرك فقال: «اللّهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم ←

اَللّٰهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُو ٱلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّٰهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً[1]، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللّٰهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا؟[2] وَأَيْنَ أُولٰئِكَ؟ أُولٰئِكَ -وَٱللّٰهِ- ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَٱلْأَعْظَمُونَ عِنْدَ ٱللّٰهِ قَدْراً، يَحْفَظُ ٱللّٰهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. هَجَمَ بِهِمُ ٱلْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ ٱلْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رَوْحَ ٱلْيَقِينِ، وَٱسْتَلَانُوا[3] مَا ٱسْتَوْعَرَهُ[4] ٱلْمُتْرَفُونَ[5]، وَأَنِسُوا بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ ٱلْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا ٱلدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِٱلْمَحَلِّ ٱلْأَعْلَى. أُولٰئِكَ خُلَفَاءُ ٱللّٰهِ فِي أَرْضِهِ، وَٱلدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ!

ٱنْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ[6].

[العقد الفريد، ج ١ ص ٢٦٥]

١٥٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ[7].

[الأمالي للطوسي]

← لله تعالى»، وهذا يكاد يكونُ تصريحاً بمذهب الإمامية، إلّا أنّ أصحابنا يحملونه على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبويّة عنهم أنهم في الأرض سائحون، فمنهم من يُعرَف، ومنهم مَن لا يُعرَف.

(١) مغموراً: غَمَرَه الظلم حتى غطّاه فهو لا يظهر.

(٢) استفهام عن عدد القائمين لله بحجّته، واستقلالٌ له. وقوله «وأين أُولئك»: استفهام عن أمكنتهم وتنبيه على خفائها.

(٣) استلانوا: عَدّوا الشيء ليناً.

(٤) استوعره: عدّه وَعْراً خشناً.

(٥) المترفون: أهل الترف والنعيم؛ أي عدّوا ما استخشنه المنعمون ليناً، وهو الزهد.

(٦) قال ﷺ لكميل: «انصرف إذا شئت»، وهذه الكلمة من محاسن الآداب، ومن لطائف الكلم، لأنّه لم يقتصر على أن قال: «انصرف» فيكون فيه نوعُ عُلُوٍ عليه، فأتْبع ذلك بقوله: «إذا شئت».

(٧) قد تكرّر هذا المعنى مراراً؛ فأمّا هذه اللفظة فلا نظير لها في الإيجاز والدلالة على المعنى، وهي من ألفاظه ﷺ المعدودة، يقول: إنّما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه فكأنّه←

١٥١ ـ وقال عليه السلام: هَلَكَ آمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ[١]. [الطراز لليمني]

١٥٢ ـ وقال عليه السلام لرجلٍ سألهُ ان يعظهُ: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو ٱلْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُرَجِّي ٱلتَّوْبَةَ[٢] بِطُولِ ٱلْأَمَلِ، يَقُولُ فِي ٱلدُّنْيَا بِقَوْلِ ٱلزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ ٱلرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ؛ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي ٱلزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ؛ يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ ٱلنَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِي؛ يُحِبُّ ٱلصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ ٱلْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ؛ يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ[٣] مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً[٤]، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً؛ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ٱبْتُلِيَ؛ إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ[٥]؛ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ؛ إِنِ ٱسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ[٦]، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ قَنَطَ[٧]

← قد خبئ تحت لسانه فإذا تحرّك اللسان انكشف.

(١) هذه الكلمة من كلماته الممدودة.

(٢) يرجّي: أي يؤخّر التوبة.

(٣) الذي يُكره الموت لأجله هو الذنوب. وأقام عليها: داوم على إتيانها.

(٤) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة، فإذا عادت له الصحة غرّه الأمن وغرق في اللهو. وسَقِمَ: مَرِضَ.

(٥) قال عليه السلام: «تغلبهُ نفسُه على ما يَظُنّ، ولا يغلبها على ما يستيقن» هذه كلمة جارية جليلةٌ عظيمة يقول: هو يستيقن ـ أي يكون على ثقة ويقين ـ الحساب إلى ذلك الخَطَر العظيم، وتغلبُه نفسه على السعي إلى ما يَظُنّ أنّ فيه لَذّةً عاجلة، وما ذلك إلّا لضعف يقين الناس وحب العاجل.

(٦) بَطِرَ: اغترّ بالنعمة، والغرور فتنة.

(٧) القنوط: اليأس.

وَوَهَنَ(١)، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ؛ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ(٢) ٱلْمَعْصِيَةَ، وَسَوَّفَ(٣) ٱلتَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ(٤) ٱنْفَرَجَ(٥) عَنْ شَرَائِطِ ٱلْمِلَّةِ(٦). يَصِفُ ٱلْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ(٧)، وَيُبَالِغُ ٱلْمَوْعِظَةَ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِٱلْقَوْلِ مُدِلٌّ(٨) وَمِنَ ٱلْعَمَلِ مُقِلٌّ. يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى. يَرَى ٱلْغُنْمَ مَغْرَماً(٩)، وَٱلْغُرْمَ مَغْنَماً؛ يَخْشَى ٱلْمَوْتَ، وَلَا يُبَادِرُ ٱلْفَوْتَ(١٠)؛ يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى ٱلنَّاسِ طَاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ؛ ٱللَّغْوُ مَعَ ٱلْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلذِّكْرِ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ؛ يُرْشِدُ نَفْسَهُ وَيُغْوِي غَيْرَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، وَيَخْشَى ٱلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ(١١)، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ. [تحف العقول ص ١٥٧]

قال الرضيّ ﷺ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ إِلَّا هٰذَا ٱلْكَلَامُ لَكَفَى بِهِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً، وَحِكْمَةً بَالِغَةً، وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ، وَعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ.

---

(١) الوهن: الضعف، وَهَنَ الرجلُ يَهِن، أي ضَعُفَ.

(٢) أسْلَفَ: قدّم.

(٣) سوّف: أخّر.

(٤) عرته محنة: تعرضت له مصيبة ونزلت به.

(٥) انفرج عنها: انخلع وبَعُدَ.

(٦) شرائط المِلّة: الثبات والصبر واستعانة الله على الخلاص عند غزو المحن، أي طروق البلايا.

(٧) العبرة تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان أسبابه.

(٨) أدلّ على أقرانه: استعلى عليهم.

(٩) الغُنم: الغنيمة. والمغرم: الغرامة، والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء، والشهوات خسارة الأعمار.

(١٠) بادره: عاجله قبل أن يذهب. والفَوْت: فوات الفرصة وانقضاؤها.

(١١) أي يخشى الخلق فيعمل لغير الله خوفاً منه، ولكنّه لا يخاف الله فيضرّ عباده، ولا ينفع خلقه.

١٥٣ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ ٱمْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ(١). [الغرر، حرف اللام]

١٥٤ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ فَكَأَنْ لَمْ يَكُنْ(٢).

[دستور معالم الحكم ص ٢٥١]

١٥٥ ـ وقال عليه السلام: لَا يَعْدَمُ ٱلصَّبُورُ ٱلظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ ٱلزَّمَانُ.

[ربيع الأبرار للزمخشري]

١٥٦ ـ وقال عليه السلام: ٱلرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَٱلدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ ٱلْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ ٱلرِّضَا بِهِ. [غرر الحكم ص ٤٥]

١٥٧ ـ وقال عليه السلام: ٱسْتَعْصِمُوا بِٱلذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا(٣). [غرر الحكم ص ٤٦]

١٥٨ ـ وقال عليه السلام: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ فِي جَهَالَتِهِ(٤).

[دعائم الإسلام ص ٣٥٣]

١٥٩ ـ وقال عليه السلام: قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ(٥)، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ ٱسْتَمَعْتُمْ. [عيون الأخبار، ج٢ ص ١٢٣]

١٦٠ ـ وقال عليه السلام: عَاتِبْ أَخَاكَ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَٱرْدُدْ شَرَّهُ بِٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ.

[أسرار الحكماء، ص ٨٦]

---

(١) هكذا قرأناه ووجدناه في كثير من النُّسخ، ووجدْنا في كثير منها «لكلّ أمرٍ عاقبة»، وهو الأليق.

(٢) قال الشاعر:

في هذه الدّار في هذا الرّواقِ على هذي الوسادة كان العزُّ فانقرضا

(٣) تحصّنوا بالذمم: أي العهود، واعقدوها بأوتادها أي الرجال أهل النجدة الذين يوفون بها، وإيّاك والركون لعهد من لا عهد له.

(٤) يعني نفسه عليه السلام. يقول: عليكم بطاعة عاقل لا تكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عهدة السقوط في مخاطر أعماله فيقبل عذركم في اتّباعه.

(٥) كشف الله لكم عن الخير والشرّ فإن كانت لكم أبصاراً فأبصروا، وكذا يقال فيما بعده.

١٦١ ـ وقال عليه السلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ ٱلتُّهَمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ.

[الاختصاص ص ٢٢٦]

١٦٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ مَلَكَ ٱسْتَأْثَرَ(١).

[تحف العقول ص ٧]

١٦٣ ـ وقال عليه السلام: مَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ ٱلرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.

[ربيع الأبرار باب العقل والفطنة]

١٦٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ ٱلْخِيَرَةُ فِي يَدِهِ(٢). [أمالي الصدوق ص ١٨٣]

١٦٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفَقْرُ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ.

[ربيع الأبرار، ج ١]

١٦٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَّدَهُ(٣).

١٦٧ ـ وقال عليه السلام: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ. [صحيفة الرضا ص ٣٤]

١٦٨ ـ وقال عليه السلام: لَا يُعَابُ ٱلْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ(٤).

[كتاب الرسائل للكليني]

١٦٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ ٱلِازْدِيَادِ(٥).

[غرر الحكم ص ٢١]

١٧٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْأَمْرُ قَرِيبٌ وَٱلِاصْطِحَابُ قَلِيلٌ(٦).

[الغرر، حرف الألف]

---

(١) استأثر: استبد، والمعنى أنّ الأغلب في كلّ مَلِكٍ يستأثر على الرعية بالمال والعزّ والجاه.

(٢) مثلاً لو أسرّ عزيمةً فله الخيار في إنفاذها أو فسخها، بخلاف ما لو أفشاها فربّما ألزمته البواعث على فعلها، أو أجبرته العوائق التي تعرض له من إفشائها على فسخها، وعلى هذا القياس.

(٣) عَبّده ـ بالتشديد ـ: أي اتخذه عَبْداً. يقال: عبّده واستعبده بمعنى واحد؛ والمعنى بهذا الكلام مَدْحُ مَنْ لا يقضي حقّهُ، أي من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك الإنسان؛ لأنّه لم يفعلْ ذلك مكافأةً له عن حقّ قضاه إيّاه، بل فعل ذلك إنعاماً مبتدأً، فقد استعبده بذلك.

(٤) المتسامح في حقّه لا يعاب وإنّما يعاب سالب حق غيره.

(٥) من أعجب بنفسه وَثِقَ بكمالها فلم يطلب لها الزيادة في الكمال فلا يزيد بل ينقص، وإنّما يَطْلُب الزيادة مَنْ يستشعر التقصير لا مَنْ يتخيّل الكمال.

(٦) أمر الآخرة قريب، والاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليل.

١٧١ ـ وقال عليه السلام: قَدْ أَضَاءَ ٱلصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ. [دستور معالم الحكم ص ٢٣]

١٧٢ ـ وقال عليه السلام: تَرْكُ ٱلذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ ٱلتَّوْبَةِ. [الكافي ج ٢ ص ٤٥١]

١٧٣ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ(١)! [البخلاء ص ١٨٨]

١٧٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا. [زهر الآداب ج ١ ص ٤٣]

١٧٥ ـ وقال عليه السلام: مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَإِ(٢). [التحف: ٩٠]

١٧٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَحَدَّ(٣) سِنَانَ(٤) ٱلْغَضَبِ لِلّٰهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ ٱلْبَاطِلِ(٥). [الطراز: ج ١ ص ١٦٨]

١٧٧ ـ وقال عليه السلام: إِذَا هِبْتَ أَمْراً(٦) فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ(٧) أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ(٨). [غرر الحكم]

١٧٨ ـ وقال عليه السلام: آلَةُ ٱلرِّيَاسَةِ سَعَةُ ٱلصَّدْرِ(٩). [الطراز لليماني]

١٧٩ ـ وقال عليه السلام: أَزْجُرِ ٱلْمُسِيءَ بِثَوَابِ ٱلْمُحْسِنِ(١٠). [روض الأخيار ص ٤١]

---

(١) ربّ شخص أكلَ مرة فأفرط فابتلي بالتخمة ومرض المعدة وامتنع عليه الأكل أياماً. وهذا المعنى أخذه الحريريُّ بلفظه فقال في المقامات: «رُبَّ أَكْلَةٍ هاضَتِ الآكِلَ، ومنعته مآكِلَ».

(٢) من طلب الآراء من وجوهها الصحيحة انكشف له موقع الخطأ فاحترس منه.

(٣) أحَدَّ: شَحَذَ.

(٤) السِنان: نصل الرمح.

(٥) أي مَن اشتدّ غضبه لله اقتدر على قهر أهل الباطل وإن كانوا أشداء.

(٦) هِبتَ أمراً: خفت منه.

(٧) توقّيه: الاحتراز منه.

(٨) أي اذا تخوّفت من أمر فادخل فيه، فإنّ ألم الخوف منه، أشدّ من مصيبة الوقوع فيه.

(٩) الرئيس محتاجٌ إلى أمور، منها الجود، ومنها الشجاعة، ومنها ـ وهو الأهمّ ـ سَعَةُ الصدر، فإنّه لا تتمّ الرئاسة إلّا بذلك.

(١٠) إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن إساءته طلباً للمكافأة، قال أبو العتاهية:←

١٨٠ ـ وقال عليه السلام: أَحْصُدِ ٱلشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ، بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ[١].

[سراج الملوك ص ٣٨٤]

١٨١ ـ وقال عليه السلام: ٱللَّجَاجَةُ تَسُلُّ ٱلرَّأْيَ[٢]. [كنز الفوائد]

١٨٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ. [ربيع الأبرار، باب الطمع]

١٨٣ ـ وقال عليه السلام: ثَمَرَةُ ٱلتَّفْرِيطِ ٱلنَّدَامَةُ، وَثَمَرَةُ ٱلْحَزْمِ ٱلسَّلَامَةُ.

[الطراز ج١ ص ١٦٨]

١٨٤ ـ وقال عليه السلام: لَا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ.

[ربيع الأبرار]

١٨٥ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً[٣].

[غرر الحكم ص ٣١٠]

١٨٦ ـ وقال عليه السلام: مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُنْذُ أُرِيتُهُ[٤]

← إذا جازيتَ بالإحسانِ قوماً زجرتَ المذنبينَ عن الذّنوبِ
فما لَك والتناوُل من بعيدٍ ويمكنك التناوُل من قريبِ

(١) أي لا تضمر لأخيك سوءً فيضمر لك مثله؛ لأنّ القلوب يشعرُ بعضها ببعض، أو يريد: لا تَعِظ الناس ولا تنهَهُم عن منكر إلّا وأنت مُقلِعٌ عنه.

(٢) اللّجاجة: شدّة الخصام تعصّباً لا للحقّ، وهي تَسُلّ الرأيَ، أي تُذهِبُ به وتنزِعه.

(٣) لأنّ الحق واحد.

(٤) أي منذ أعلِمتُه، وقد رُوي أنّ النبي ﷺ لمّا بعثه إلى اليمن قاضياً ضرب على صدره وقال: «اللّهم اهدِ قلبه، وثبّت لسانه» فكان يقول: ما شككتُ بعدَها في قضاءٍ بين اثنين. ورُوي أنّ رسول الله ﷺ لما قرأ: ﴿وتعيها أذنٌ واعيةٌ﴾[الحاقة: ١٢] قال: «اللّهم اجعلها أذُنَ عليٍّ»، وقيل له: «قد أُجيبت دعوتُك».

١٨٧ ـ وقال عليه السلام: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ(١)، وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِي(٢).

[تاريخ الطبري حوادث سنة ٣٧]

١٨٨ ـ وقال عليه السلام: لِلظَّالِمِ ٱلْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ(٣). [تفسير القمي، سورة الفرقان]

١٨٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلرَّحِيلُ وَشِيكٌ(٤). [تفسير القمي]

١٩٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ(٥).

١٩١ ـ وقال عليه السلام: مَنْ لَمْ يُنْجِهِ ٱلصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ(٦). [الغرر، ص ٢٧٤]

١٩٢ ـ وقال عليه السلام: وَاعَجَبَا أَنْ تَكُونَ ٱلْخِلَافَةُ بِٱلصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونُ بِٱلصَّحَابَةِ وَٱلْقَرَابَةِ(٧)*.

[خصائص الأئمة ص ٨٥]

---

(١) هذه كلمة قد قالها مراراً، إحداهن في وقعة النهروان. وكُذِبت ـ بالضم ـ أُخبِرتُ بخبر كاذب، أي لم يخبرني رسول الله ﷺ عن المخدَج ** خبراً كاذباً؛ لأنّ أخباره ﷺ كلها صادقة.

(٢) ضُلّ بي ـ بالضم ـ أي لم يُضللني مضلّل عن الصدق والحقّ؛ لأنّه كان يَستند في أخباره عن الغيوب الى رسول الله ﷺ.

(٣) بكفّه عضّة: أي يعضّ الظالم على يده ندماً يوم القيامة، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] وإنّما قال: «للبادي» لأنّ من انتصر بعد ظُلمه فلا سبيل عليه، ومن أمثالهم: البادي أظلم.

(٤) الوشيك: السريع والقريب، أي أنّ الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب.

(٥) من ظهر بمقاومة الحقّ هلك، وإبداء الصفحة: إظهار الوجه. وقد يكون المعنى من أعرض عن الحقّ، والصفحة تظهر عند الإعراض بالجانب.

(٦) لأنّه إذا لم يصبر فلا شكّ أنّه يجزع، وكلّ جازع آثم والإثم مهلكة.

(٧) حديثه ؑ في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النثر فتوجيهه إلى عمر لأنّ أبا بكر قال لعمر: امدد يدك، فقال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدّتها ورخائها، ←

---

* العبارة عند عبده والصالح: «وا عجباه أتكونُ الخلافةُ بالصحابة والقرابة».

** المخدَج: هو ذو الثدية، وكان مخدج اليد، أي ناقص اليد.

قال الرضيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وقد رُوِي له شِعرٌ قريبٌ من هذا المعنى وهو:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ
فَكَيْفَ بِهٰذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ!(1)

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ
فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

١٩٣ - وقال عليه السلام: إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ(2) تَنْتَضِلُ فِيهِ(3) ٱلْمَنَايَا(4)، وَنَهْبٌ(5) تُبَادِرُهُ ٱلْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ(6)، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، وَلَا يَنَالُ ٱلْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَنَحْنُ أَعْوَانُ ٱلْمَنُونِ(7)، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ ٱلْحُتُوفِ(8)؛ فَمِنْ أَيْنَ

← فامدد أنت يدك. فقال علي ﷺ: إذا احتججت لاستحقاق الأمر بصحبته إيّاه في المواطن كلّها، فهلا سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وزاد عليه «بالقرابة»!

وأما النظم فموجّه إلى أبي بكر، لأنّ أبا بكر حاجّ الأنصار فقال: نحن عِترة رسول الله ﷺ، وبيضته التي تفقّأت عنه، فلما بويع احتجّ على الأنصار بالبيعة، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقد، فقال علي ﷺ: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ﷺ ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأما احتجاجك بالاختيار، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت!

(١) غُيَّبُ: جمع غائب.

(٢) الغَرَض: ما يُنْصَب ليصيبه الرامي.

(٣) تَنْتَضِل فيه: أي تصيبه وتثبت فيه، والنَّصْل: شيءٌ يرمى.

(٤) المنايا: جمع مَنِيَّة، وهي الموت.

(٥) النَّهْب: المال المنهوب غنيمة، وجمعه نِهاب.

(٦) الشَّرَق: وقوف الماء في الحلق. أي مع كلّ لذّة ألم.

(٧) المَنُون: الموت، وكلّما تقدّمنا في العمر تقرّبنا منه، فنحن بمعيشتنا أعوانه على أنفسنا.

(٨) أنفسنا نَصْب الحُتُوف: أي تجاهها. والحتوف: جمع حتف، أي هلاك.

نَرْجُو ٱلْبَقَاءَ وَهٰذَا ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً[1]، إِلَّا أَسْرَعَا ٱلْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا! [أمالي القالي ج٢ ص ٥٣]

١٩٤ ـ وقال عليه السلام: يَابْنَ آدَمَ، مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ. [مروج الذهب ج٢ ص ٢٦٤]

١٩٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ. [الكامل ج٢ ص ٢]

١٩٦ ـ وكان عليه السلام يقول: مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجَزُ عَنِ ٱلانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ! أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ[2]!

[سراج الملوك ص ١٥٩]

١٩٧ ـ وقال عليه السلام وقد مرّ بقذَرٍ على مَزْبلةٍ: هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ ٱلْبَاخِلُونَ[3].

وفي خبر آخر أنّه قال: هٰذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِٱلْأَمْسِ! [أنساب الأشراف: ١٣٤]

١٩٨ ـ وقال عليه السلام: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ[4]. [الكامل ج١ ص ١٢١]

١٩٩ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ ٱلْأَبْدَانُ، فَٱبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكْمَةِ. [نهاية الإرب ج١ ص ١٨١]

---

(١) الشرف: المكان العالي، والمراد به هنا كُلّ ما علا من مكان وغيره.

(٢) لا يصحّ التشفّي على أيّ حال، أمّا في حال العجز فالصبر أشفى، وأمّا عند القدرة فالعفو أجمل.

(٣) تلك الأقذار هي للذائذ الأطعمة التي كانت يبخل ببذلها البخلاء، وهي ما كان الناس يتنافسون فيه كلّ بطلبه.

(٤) إذا أحدث فيك ضياع المال بصيرةً وحذراً فما اكتسبته خير ممّا ضاع. ومثل هذا قولهم: إنّ المصائب أثمانُ التجارب.

٢٠٠ ـ وقال عليه السلام لمّا سَمِعَ قولَ الخوارج: «لا حُكْمَ إلاّ لِلّهِ»: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ[١].
[الاشتقاق ص ٢١٩]

٢٠١ ـ وقال عليه السلام في صفة الغوغاء[٢]: هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وقيل: بل قال عليه السلام: هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا. فقيل: قد علمنا مَضَرَّةَ ٱجتماعِهِمْ، فما مَنْفَعَةُ ٱفتراقِهِم؟ فقال عليه السلام: يَرْجِعُ أَهْلُ ٱلْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ ٱلنَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ ٱلْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَٱلنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَٱلْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ.
[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٤]

٢٠٢ ـ وقال عليه السلام وقد أُتِيَ بِجانٍ ومعه غوغاءُ: لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.
[تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٤]

٢٠٣ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ ٱلْأَجَلَ[٣] جُنَّةٌ حَصِينَةٌ[٤].
[الطبقات ج ٣ ص ٤٣]

٢٠٤ ـ وقال عليه السلام وقد قال له طلحةُ والزُّبيرُ: نُبايعُكَ على أنّا شُركاؤُك في هذا الأمر: لَا، وَلٰكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَٱلِاسْتِعَانَةِ[٥]، وَعَوْنَانِ عَلَى ٱلْعَجْزِ وَٱلْأَوَدِ[٦].
[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥١]

---

(١) فإنّهم قصدوا بها الاحتجاج على خروجهم من طاعة الخليفة.

(٢) الغوغاء: أوباش الناس يجتمعون على غير ترتيب، وهم يغلبون على ما اجتمعوا عليه، ولكنهم إذا تفرّقوا لا يعرفهم أحد لانحطاط درجة كلّ منهم.

(٣) الأجل: ما قدّره الله للحي من مدة العمر.

(٤) حصينة: وقاية منيعة من الهلكة.

(٥) الاستعانة ههنا الفوزُ والظَّفَر، كانوا يقولون للمقامر يفوز قِدْحه: قد جَرَى ابنا عِنان، وهما خطّان يُخطّان في الأرض يُزجر بهما الطير، واستعانَ الإنسانُ، إذا قال وقتَ الظَّفَر والغَلَبة هذه الكلمة.

(٦) الأوَد: بلوغ الأمر من الإنسان مجهوده لشدّته وصعوبة احتماله. يقول: إنّما تشركاني في ←

٢٠٥ ـ وقال عليه السلام: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ.
[الكامل للمبرد، ج١ ص ٢٢٣]

٢٠٦ ـ وقال عليه السلام: لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ يُدْرَكُ مِنْ شُكْرِ ٱلشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ ٱلْكَافِرُ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
[أمالي الصدوق ص ١٣٤]

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءُ ٱلْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ[1] بِهِ.
[غرر الحكم ص ٢٣٩]

٢٠٨ ـ وقال عليه السلام: أَوَّلُ عِوَضِ ٱلْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ ٱلنَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى ٱلْجَاهِلِ.
[عيون الأخبار، ج١ ص ٢٨٥]

٢٠٩ ـ وقال عليه السلام: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ[2]، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.
[أعلام الدين للديلمي]

٢١٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ[3]، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.
[غرر الحكم وكنز الفوائد ص ٢٥٥]

← القوة والاستعانة، أي إذا قوي أمري وأمرُ الإسلام بي قويتما أنتما أيضاً وإذا عجزتُ عن أمر، أو تأوّد عليّ أمر ـ أي اعوجّ ـ كنتما عونين لي ومساعدَين على إصلاحه.

(١) وعاء العلم هو العقل، وهو يتسع بكثرة العلم.

(٢) التحلّم: تكلّف الحِلْم.

(٣) قوله: «ومن خاف أمِن» أي مَن اتقى الله أمِنَ مِنْ عذابه يوم القيامة.

٢١١ ـ وقال عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ ٱلدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا(١) عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ(٢) عَلَى وَلَدِهَا، وَتَلا عَقِيبَ ذلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾. [ربيع الأبرار]

٢١٢ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقُوا ٱللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَجَدَّ تَشْمِيراً، وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ(٣)، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ(٤)، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ ٱلْمَوْئِلِ(٥)، وَعَاقِبَةِ ٱلْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ(٦) ٱلْمَرْجِعِ(٧). [تحف العقول ص ٢١١]

٢١٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْجُودُ حَارِسُ ٱلأَعْرَاضِ، وَٱلْحِلْمُ فِدَامُ ٱلسَّفِيهِ(٨)، وَٱلْعَفْوُ

---

(١) الشِماس: امتناع ظهر الفرس من الركوب، مصدر شَمس الفرسُ إذا منع ظهره.

(٢) الضَروس: الناقة السيئة الخلُق تعضُّ حالبها،أي أنّ الدنيا ستنقاد لنا بعد جُمُوحها، وتلين بعد خشونتها، كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبَتْ على الحالب.

والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان، وأصحابنا يقولون: إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض، ولا يلزم من ذلك أنه لابدّ أن يكون موجوداً. بل يكفي في صحّة هذه الكلام أن يُخلق في آخر الوقت.

(٣) كمّش: جدّ في السوق، [وفي نسخة ابن أبي الحديد: أكمش] أي جدَّ وأسرع، ورجل كميش، أي جادٌّ، أي: بالغ في حثّ نفسه على المسير إلى الله لكن مع تمهل البصيرة، أو في مهلة العمل قبل أن يضيق عليه وقتُه بدنوّ الأجل.

(٤) الوجل: الخوف.

(٥) الموئل: مستقر السير، يريد به ـ هنا ـ ما ينتهي إليه الإنسان من سعادة وشقاء، وكرّته: حملته وإقباله.

(٦) المغبّة: العاقبة، إلا أنّه يلاحظ فيها مجرّد كونها بعد الأمر، أمّا العاقبة ففيها أنّها مسببة عنه. والمصدر: عملك الذي يكون عنه ثوابك وعقابك.

(٧) المرجع: ما ترجع إليه بعد الموت، ويتبعه إمّا السعادة أو الشقاء.

(٨) الفِدام: شيء تشده العجم على أفواهها عند السَقي، وخرقة تجعل على فَمِ الابريق، فشبّه الحلم بها، يقول: إذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام لمنعته عن الكلام.

زَكَاةُ ٱلظَّفَرِ، وَٱلسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ[١]، وَٱلاِسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَٱلصَّبْرُ يُنَاضِلُ ٱلْحِدْثَانَ[٢]، وَٱلْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ ٱلزَّمَانِ[٣]، وَأَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى[٤]. وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوىً أَمِيرٍ[٥]! وَمِنَ ٱلتَّوْفِيقِ حِفْظُ ٱلتَّجْرِبَةِ، وَٱلْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً[٦]. [روضة الكافي ص ١٦]

٢١٤ ـ وقال عليه السلام: عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ[٧]. [روض الأخيار، ص ٢٠٠]

٢١٥ ـ وقال عليه السلام: أَغْضِ[٨] عَلَى ٱلْقَذَى[٩] وَٱلْأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً[١٠]. [الغرر، ص ٦٢]

٢١٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ[١١]. [المئة المختارة للجاحظ]

---

(١) أي مَن غدرك فلك خلف عنه وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن.

(٢) الحِدْثان: نوائب الدهر. والصبر يناضلها: أي يدافعها.

(٣) الجَزَع ـ وهو شدّة الفزع ـ يعين الزمان على الإضرار بصاحبه.

(٤) المُنى: جمع منية، وهي ما يتمناه الإنسان، وإذا لم تتمنَّ شيئاً فقد استغنيت عنه.

(٥) كثير من الناس جعلوا أهواءهم مسلّطة على عقولهم، فعقولهم أسرى تحت حكمها.

(٦) المَلول: السريع الملل والسآمة، وهو لا يؤمن، إذ قد يملّ عند حاجتك إليه فيفسد عليك عملك.

(٧) العُجب: *إعجاب المرء بنفسه*، فهو حجاب بين العقل وعيوب النفس، فإذا لم يدركها سقط بل أوغل فيها فيعود عليه بالنقص، فكأنّ العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال.

(٨) الإغضاء على الشيء: كناية عن تحمّله.

(٩) القَذَى: الشيء يسقط من العين.

(١٠) يقول: من لم يحتمل يعش ساخطاً لأنّ الحياة لا تخلو من أذى، ونظير هذا قول الشاعر:

وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عن صَديقِهِ ... وعَنْ بعضِ ما فيهِ يمتْ وهو عاتبُ

ومَن يتتبَّعْ جاهداً كلَّ عثرة ... يجدها ولا يسلمْ له الدهرَ صاحبُ

(١١) يريد من «لين العود» طراوة الجثمان الإنساني ونضارته بحياة الفضل وماء الهمة. وكثافة الأغصان: كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه، أو يريد بها كثرة الأعوان.

٢١٧ - وقال عليه السلام: ٱلْخِلَافُ يَهْدِمُ ٱلرَّأْيَ. [سراج الملوك ص ٣٨٤]

٢١٨ - وقال عليه السلام: مَنْ نَالَ ٱسْتَطَالَ[1]. [تحف العقول ص ٩٨]

٢١٩ - وقال عليه السلام: فِي تَقَلُّبِ ٱلْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ ٱلرِّجَالِ[2]. [التحف ص ٩٧]

٢٢٠ - وقال عليه السلام: حَسَدُ ٱلصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ ٱلْمَوَدَّةِ[3]. [ربيع الأبرار]

٢٢١ - وقال عليه السلام: أَكْثَرُ مَصَارِعِ ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطَامِعِ.

[محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٥١]

٢٢٢ - وقال عليه السلام: لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلثِّقَةِ بِٱلظَّنِّ[4]. [ربيع الأبرار]

٢٢٣ - وقال عليه السلام: بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَى ٱلْمَعَادِ ٱلْعُدْوَانُ عَلَى ٱلْعِبَادِ. [التحف ص ٩١]

٢٢٤ - وقال عليه السلام: مِنْ أَشْرَفِ أَفْعَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ[5]. [دعوات الراوندي]

٢٢٥ - وقال عليه السلام: مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ ٱلنَّاسُ عَيْبَهُ.

[ربيع الأبرار باب السكوت]

---

(١) نال: أي أعطى، يقال نُلته، أي أعطيته، ورجلٌ نالٌ أي جوادٌ ذو نائل، وهذا مثل قولهم: «من جاد ساد» فإنّ الاستطالة الاستعلاء بالفضل. ويجوز أن يريد به، مَنْ أثرى ونال من الدنيا حظّاً استطال على الناس.

(٢) معناه: لا تُعلَم أخلاق الإنسان إلّا بالتجربة، واختلاف الأحوال عليه. وقديماً قيل: ترى الفتيان كالنُّخل، وما يدريك ما الدُّخل.

(٣) لولا ضعف المودة ما كان الحسد، وأول الصداقة انصراف النظر عن رؤية التفاوت. فإذا حسدك صديقُك على نعمة أُعطيتَها لم تكن صداقته صحيحة، فإنّ الصديق حقّاً من يجري مجرى نفسك، والإنسان لا يحسد نفسه.

(٤) الواثق بظنه واهمٌ فلا بدّ لمريد العدل من طلب اليقين بموجب الحكم.

(٥) أي عدم التفاته لعيوب الناس وإشاعتها وإن علمها. وكان يقال: التغافل من السُّؤدد، وقال أبو تمام:

ليس الغبيّ بسيّدٍ في قومه ... لكنّ سيّدَ قومِهِ المتغابي

٢٢٦ ـ وقال عليه السلام: بِكَثْرَةِ ٱلصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ، وَبِٱلنَّصَفَةِ[١] يَكْثُرُ ٱلْمُوَاصِلُونَ، وَبِٱلْإِفْضَالِ تَعْظُمُ ٱلْأَقْدَارُ، وَبِٱلتَّوَاضُعِ تَتِمُّ ٱلنِّعْمَةُ، وَبِٱحْتِمَالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ ٱلسُّؤْدَدُ[٢]، وَبِٱلسِّيرَةِ ٱلْعَادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُنَاوِئُ[٣] وَبِٱلْحِلْمِ عَنِ ٱلسَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَيْهِ. [عيون الأخبار، ج١ ص٢٨٤]

٢٢٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ ٱلْأَجْسَادِ[٤] [الغرر، ص٢١٩]

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلطَّامِعُ فِي وِثَاقِ ٱلذُّلِّ. [المئة المختارة للجاحظ]

٢٢٩ ـ وقد سئل عن الإيمان، فقال: ٱلْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِٱلْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِٱللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِٱلْأَرْكَانِ. [تاريخ بغداد، ج١٠ ص٣٤٤]

٢٣٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى ٱلدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللَّهِ سَاخِطاً، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ[٥]. وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ ٱلدُّنْيَا ٱلْتَاطَ[٦] قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هَمٌّ لَا يُغِبُّهُ[٧]، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ. [كنز الفوائد: ١٦٠]

---

(١) النَّصَفَة: الإنصاف: ومتى أنصف الإنسان كثر مواصلوه، أي محبوه.

(٢) المُؤَن: جمع مؤونة، وهي القوت، أي أنّ السؤدد والشرف باحتمال المؤونات عن الناس.

(٣) المناوئ: المخالف المعاند.

(٤) أي من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلاً ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم مع أنها من أجلّ النعم.

(٥) لأنّ استعظام المال ضعف في اليقين بالله، والخضوع أداء عمل لغير الله فلم يبق إلّا الإقرار باللسان.

(٦) التاط: التصق.

(٧) لا يُغِبُّهُ: لا يأخذه غِبّاً، بل يلازمه دائماً.

٢٣١ ـ وقال عليه السلام: كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً. وسُئِلَ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، فقال: هِيَ الْقَنَاعَةُ. [الكشاف ج ٢: ٣٦٦]

٢٣٢ ـ وقال عليه السلام: شَارِكُوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى، وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ(١). [غرر الحكم ص ٢٠٠]

٢٣٣ ـ وقال عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾: الْعَدْلُ: الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ. [عيون الأخبار، ج ٣ ص ١٩]

٢٣٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ. [ربيع الأبرار، ج ٢]

قالَ الرَّضيّ ﷺ: ومَعْنى ذٰلِكَ أَنَّ ما يُنْفِقُهُ المَرْءُ من مالِهِ في سَبيلِ الخيرِ والبِرِّ وإنْ كانَ يَسيراً فإنَّ اللّهَ تعالى يَجْعَلُ الجزاءَ عَلَيه عظيماً كثيراً، واليَدانِ ها هنا عِبارَةٌ عَنِ النِّعْمَتَيْنِ، فَفَرَّقَ عليه السلامُ بَيْنَ نِعْمَةِ العَبْدِ ونِعْمَةِ الرَّبِّ تعالى ذِكْرُهُ بالقَصِيرَةِ والطَّويلَةِ. فجعلَ تِلْكَ قَصيرَةً وهٰذِهِ طَويلَةً، لأنَّ نِعَمَ اللّهِ أبداً تُضعَفُ(٢) على نِعَمِ المخلوقينَ أضعافاً كثيرةً، إذْ كانتْ نِعَمُ اللّهِ أصْلَ النِّعَمِ كُلِّها، فكُلُّ نِعْمَةٍ إليها تَرْجِعُ، ومنها تُنْزَعُ.

٢٣٥ ـ وقال عليه السلام لابنِهِ الحسنِ: لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ(٣)، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ، وَالْبَاغِي مَصْرُوعٌ(٤). [عيون الأخبار، ج ١ ص ١٢٨]

٢٣٦ ـ وقال عليه السلام: خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ(٥)

---

(١) أي إذا رأيتم شخصاً أقبل عليه الرزق فاشركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة، أو غيرها فإنّه مظنة الربح.

(٢) تُضعف: مجهول من «أضعفه» ـ: إذا جعله ضِعفَين.

(٣) المُبارزة: بروز كلٍّ لآخر ليقتتلا.

(٤) مصروع: مغلوب مطروح.

(٥) الزَّهْو: الكِبْر، ومنه مَزْهُوّ: أي متكبرة.

وَٱلْجُبْنُ وَٱلْبُخْلُ. فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ[1] مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا. [نور الثقلين ج٢ ص ٥٢٢]

٢٣٧ ـ وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: صِفْ لَنَا ٱلْعَاقِلَ. فَقَالَ: هُوَ ٱلَّذِي يَضَعُ ٱلشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ. فَقِيلَ: فَصِفْ لَنَا ٱلْجَاهِلَ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. [غرر الحكم ص ٤٨]

قَالَ الرَّضِيُّ ﷺ: يَعْنِي أَنَّ الجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ. فَكَأَنَّ تَرْكَ صِفَتِهِ صِفَةٌ لَهُ. إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ العَاقِلِ.

٢٣٨ ـ وقال عليه السلام: وَٱللّٰهِ لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ[2]. [غرر الخصائص الواضحة ص ٧١]

٢٣٩ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللّٰهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلتُّجَّارِ[3]، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللّٰهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلْعَبِيدِ[4]، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللّٰهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلْأَحْرَارِ[5]. [روض الأخيار ص ١٠]

٢٤٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهَا. [غرر الحكم ص ٤٧]

٢٤١ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَطَاعَ ٱلتَّوَانِيَ ضَيَّعَ ٱلْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ. [غرر الحكم ص ٢٧٩]

---

(١) فَرِقَتْ: خافت وفزعت، والفَرَق: الخوف.

(٢) العِراق ـ بكسر العين ـ: هو من الحَشَا ما فوق السرة مُعْترِضاً البطن. المجذوم: المصاب بمرض الجذام، وما أقذر كرش الخنزير وأمعاءه إذا كانت في يد شوّهها الجذام. [وفي نسخة ابن أبي الحديد: «عُراق خنزير»] والعُراق: جمع عَرْق، وهو العَظْم عليه شيءٌ من اللَّحم، وهذا من الجموع النادرة.

(٣) لأنّهم يعبدون لطلب عوض.

(٤) لأنّهم ذلّوا للخوف، وتلك ليست عبادةً نافعة، وهي كمن يعتذر إلى إنسان خوفَ أذاه ونقمته، لا لأنّ ما يعتذر منه قبيحٌ لا ينبغي فعله.

(٥) لأنّهم عرفوا حقّاً عليهم فأدوه، وتلك شيمة الأحرار.

٢٤٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحَجَرُ ٱلْغَصْبُ(١) فِي ٱلدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.

[زهر الآداب ج١ ص١٣]

قال الرضي ﷺ: وَقَدْ رُوِيَ مَا يُنَاسِبُ هٰذَا الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَاهُمَا مِنْ قَلِيبٍ(٢)، وَمُفْرَغَهُمَا مِنْ ذَنُوبٍ(٣)!.

٢٤٣ ـ وقال عليه السلام: يَوْمُ ٱلْمَظْلُومِ عَلَى ٱلظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلظَّالِمِ عَلَى ٱلْمَظْلُومِ.

[الغرر والدرر، ص ٤٠]

٢٤٤ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقِ ٱللَّهَ بَعْضَ ٱلتُّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ.

[ربيع الأبرار، باب الخير والصلاح]

٢٤٥ ـ وقال عليه السلام: إِذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْجَوَابُ خَفِيَ ٱلصَّوَابُ(٤). [سراج الملوك ص ٣٧٢]

٢٤٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ.

[تحف العقول ص ٢٠٦]

٢٤٧ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَثُرَتِ ٱلْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ ٱلشَّهْوَةُ(٥). [غرر الحكم ص ١٣٩]

---

(١) في نسخة عبده والصالح: الغصيب أي المغصوب.

(٢) القَلِيب: البئر.

(٣) الذَّنُوب: الدلو الكبيرة المَلأَى، ولا يقال لها وهي فارغة: ذنوب، ومعنى الكلمة أنّ الدار المبنيّة بالحجارة المغصوبة ولو بحجرٍ واحد، لابدّ أن يتعجّل خرابها.

ومما قاله ابن بسّام لأبي عليّ بن مُقْلة عندما بنى داره بالزّاهر ببغداد من الغَصْب وظُلم الرعيّة:

قُلْ لابن مُقْلَة مهلاً لا تكن عَجِلاً ... فإنّما أنتَ في أضغاثِ أحلامِ
تَبْني بأنقاضِ دُورِ الناسِ مجتهداً ... داراً ستُنْقَضُ بعد أيّامِ

وكان ما تفرّسه ابنُ بسّام فيه حقّاً، فإنّ داره نُقِضَتْ حتى سوّيت بالأرض في أيّام الراضي بالله.

(٤) ازدحام الجواب: تشابه المعاني حتى لا يدرى أيّها أوفق بالسؤال، وهو مما يوجب خفاء الصواب.

(٥) فإنّ من مَلَك زهد.

٢٤٨ ـ وقال عليه السلام: احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ(١)، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ. [المئة المختارة]

٢٤٩ ـ وقال عليه السلام: الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ(٢).

٢٥٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ(٣). [ربيع الأبرار، باب الظن والفراسة]

٢٥١ ـ وقال عليه السلام: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ(٤). [تذكرة الخواص: ١٣٥]

٢٥٢ ـ وقال عليه السلام: عَرَفْتُ اللّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ(٥)، وَحَلِّ الْعُقُودِ(٦)، وَنَقْضِ الْهِمَمِ. [توحيد الصدوق ص ٢٠٩]

٢٥٣ ـ وقال عليه السلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ(٧). [روضة الواعظين ص ٤٤١]

٢٥٤ ـ وقال عليه السلام: فَرَضَ اللّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً

---

(١) نِفار النعم: نفورها، ونفورها بعدم أداء الحق منها فتزول. وهذا أمرٌ بالشُّكر على النعمة وترك المعاصي، فإنّ المعاصي تُزيلُ النِّعَم كما قيل:

إذا كنتَ في نِعمةٍ فارْعَها ... فإنّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ

(٢) الرحِم ـ هنا ـ: كناية عن القرابة، والمراد أنّ الكريم ينعطف للإحسان بكرمه أكثر مما ينعطف القريب لقرابته، وهي كلمة من أعلى الكلام.

(٣) بعمل الخير الذي ظنّه بك.

(٤) «ما أكرهتَ نفسَكَ عليه» هو ما خالفت فيه الشهوة، ولا ريب أنه أفضل الأعمال لأنّ الثواب على قدر المَشقّة، ولهذا قال ﷺ: «أفضل العبادة أحمَزُها» أي أشقّها.

(٥) العزائم: جمع عزيمة، وهي ما يصمم الإنسان على فعله. وفسخها: نقضها.

(٦) العقود: جمع عقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر. ولولا أنّ هناك قدرة سامية فوق إرادة البشر وهي قدرة الله لكان الإنسان كلّما عزم على شيء أمضاه، لكنّه قد يعزم والله يفسخ.

(٧) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها، وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة وفي الثانية حلاوة الثواب فيها.

لِلدِّينِ[1]، وَٱلْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلَامِ، وَٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ[2]، وَٱلْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ ٱلْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ ٱلسَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ ٱلزِّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ ٱللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَٱلشَّهَادَاتِ[3] ٱسْتِظْهَاراً[4] عَلَى ٱلْمُجَاحَدَاتِ[5]، وَتَرْكَ ٱلْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَٱلسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ، وَٱلإِمَامَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ[6]، وَٱلطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ.

[نهاية الإرب ج٨ ص ١٨٢]

٢٥٥ - وكان عليه السلام يقول: أَحْلِفُوا ٱلظَّالِمَ - إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ - بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ ٱللَّهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ، وَإِذَا حَلَفَ بِٱللَّهِ ٱلَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[مقاتل الطالبيين ص ٤٧٧]

---

(١) تَقْرِبةً للدين: أي سبباً لتقرّب أهل الدين بعضهم من بعض، إذ يجتمعون من جميع الأقطار، في مقام واحد لغرض واحد وفي نسخة [كما عند ابن أبي الحديد] «تقوية»، فإنّ تجديد الإلفة بين المسلمين في كلّ عام بالاجتماع والتعارف ممّا يقوّي الإسلام.

(٢) مَنْماة: إكثار وتنمية، فإنّه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار.

(٣) الشهادات: هي ما يلتي به الشهداء على حقوق الناس. [وعند عبده: الشهادة] وهي الموت في نصر الحقّ، وإنّما فرضت ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له، فيبطل جحوده.

(٤) استظهاراً: إسناداً وتقوية.

(٥) المجاحدات: جمع مجاحدة، وهي الإنكار والجحود.

(٦) فُرِضت الإمامة نظاماً للأمة، وذلك لأنّ الخَلق لابدّ لهم من سلطان قاهر ينظّم مصالحهم، وفي نسخة الصالح: «والأمانة نِظاماً للأُمّة» وعند عبده: «والأمانات ...» لأنّه إذا روعيت الأمانة في الأعمال، أدّى كلّ عامل ما يجب عليه، فتنتظم شؤون الأمّة، أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت الأعمال، وكثر الإهمال فاختلّ النظام.

٢٥٦ ـ وقال عليه السلام: يَٰابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ[1]. [غرر الحكم ص ٢٤٦]

٢٥٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ. [غرر الحكم ص ٥٢]

٢٥٨ ـ وقال عليه السلام: صِحَّةُ ٱلْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ ٱلْحَسَدِ. [غرر الحكم]

٢٥٩ ـ وقال عليه السلام لكُمَيْلِ بنِ زِيادٍ النَّخَعيّ: يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا[2] فِي كَسْبِ ٱلْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ[3]. فَوَٱلَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ ٱلْأَصْوَاتَ، مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ ٱللَّهُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلسُّرُورِ لُطْفاً. فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ[4] جَرَى إِلَيْهَا[5] كَٱلْمَاءِ فِي ٱنْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلْإِبِلِ[6]. [المستطرف ج١ ص ١١٤]

٢٦٠ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا ٱللَّهَ بِٱلصَّدَقَةِ[7]. [النمنة المختارة للجاحظ]

٢٦١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْوَفَاءُ لِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ ٱللَّهِ، وَٱلْغَدْرُ بِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ وَفَاءٌ

---

(١) أي إعمل في مالك وأنت حيّ ما تؤثِرُ ـ أي تحب ـ أن يعمل فيه خلفاؤك، ولا حاجة أن تدّخر ثم توصي ورثتك أن يعملوا خيراً بعدك.

(٢) الرواح: السير من بعد الظهر، والمراد من المكارم المحامد، وكسبها بعمل المعروف.

(٣) الإدلاج: السير من أوّل الليل، وكأنّه يقول: أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير، فرواحهم في الإحسان، وإدلاجهم في قضاء الحوائج، وإن نام عنها أربابها.

(٤) نائبة: مصيبة.

(٥) الضمير في «جرى» للطف، وفي «إليها» للنائبة.

(٦) غريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعى فيطردها من بين ماله.

(٧) إذا أملقتم: أي إذا أفتقرتم فتصدّقوا، فإنّ الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة، فكأنّكم عاملتم الله بالتجارة.

عِنْدَ ٱللَّهِ.

[غرر الخصائص الواضحة ص ٣٩]

٢٦٢ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِٱلسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ٱبْتَلَى ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلْإِمْلَاءِ لَهُ.

[أمالي الطوسي ج ٢ ص ٥٨]

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: وَقَدْ مَضَى هَذَا الكلامُ فيما تقدَّمَ، إِلَّا أَنَّ فيه ها هنا زِيادَةً جَيِّدَةً.

فَصْلٌ نَذْكُرُ فِيهِ شَيْئاً مِن غَرِيبِ كَلَامِهِ المُحْتاجِ إلى التَّفْسِيرِ

١ ـ في حديثه عليه السلام: فَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ ٱلدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ[1].

[تهذيب اللغة، مادة قزع]

قَالَ الرَّضِيُّ رحمه الله: يَعْسُوبُ الدِّينِ: السَّيِّدُ العَظِيمُ المالِكُ لِأُمُورِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ؛ والقَزَعُ: قِطَعُ الغَيْمِ الَّتِي لا مَاءَ فيها[2].

٢ ـ في حديثه عليه السلام: هَٰذَا ٱلْخَطِيبُ ٱلشَّحْشَحُ[3]

[النهاية، مادة سلق].

قَالَ الرَّضِيُّ: يُرِيدُ المَاهِرَ بالخُطْبَةِ، المَاضِيَ فِيهَا، وكُلُّ مَاضٍ في كَلامٍ أَوْ سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ، والشَّحْشَحُ في غيرِ هذا المَوْضِعِ: البَخِيلُ المُمْسِكُ.

---

(١) هذا الخبر من أخبار المَلاحِم التي كان يُخبِر بها ﷺ وهو يَذكُر فيه المهديَّ، ومعنى قوله: «ضَرَب بذَنَبه» أقام وثبت بعد اضطرابه، وذلك لأنَّ اليعسوب فَحْل النَّحْل وسيِّدها، وهو أكثر زمانه طائرٌ بجناحيه، فإذا ضَرَب بذَنَبه الأرضَ فقد أقام وتَرَك الطَّيران والحركة.

(٢) أصاب في اليَعْسوب، فأمّا القَزَع فلا يشترط فيها أن تكون خاليةً من الماء، بل القَزَع: قطع من السحاب رقيقة، سواء كان فيها ماء أو لم يكن، الواحدة قَزَعة.

(٣) هذه الكلمة قالها عليٌّ ﷺ لصَعْصَعة بن صُوحان العبديّ رحمه الله، وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل عليٍّ ﷺ يُثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس.

٣ - وفي حديثه عليه السلام: إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً[1]. [الجمع بين الغريبين]

قال: يُرِيدُ بِالْقُحَمِ ٱلْمَهَالِكَ، لأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي ٱلْمَهَالِكِ وَٱلْمَتَالِفِ فِي ٱلأَكْثَرِ. فَمِنْ ذٰلِكَ قُحْمَةُ ٱلأَعْرَابِ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ ٱلسَّنَةُ فَتَتَعَرَّقَ أَمْوَالَهُمْ[2]، فَذٰلِكَ تَقَحُّمُهَا فِيهِمْ. وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحِمُهُمْ بِلَادَ ٱلرِّيفِ، أَيْ تُحْوِجُهُمْ إِلَى دُخُولِ ٱلْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ ٱلْبَدْوِ.

٤ - وفي حديثه عليه السلام: إِذَا بَلَغَ ٱلنِّسَاءُ نَصَّ ٱلْحِقَاقِ فَٱلْعَصَبَةُ أَوْلَى. [النهاية ١: ٤١٤]

قال الرضيّ: ويروى «نصَّ ٱلحقائقِ»، وٱلنصُّ: مُنتهى الأشياءِ ومَبلغُ أقصاها كالنصِّ في ٱلسير لأنّه أقصى مَا تقدرُ عليه ٱلدابّةُ؛ ويقال: نصصتُ ٱلرجلَ عن الأمرِ إذا استقصيتَ مسألتَهُ لتستخرجَ مَا عِندَهُ فيه، ونصُّ ٱلحقاقِ يريدُ به ٱلإدراكَ؛ لأنّهُ منتهى ٱلصِّغرِ، وٱلوقتُ ٱلذي يخرجُ منه ٱلصغيرُ إلى حدِّ ٱلكبيرِ، وهو من أفصحِ ٱلكناياتِ عن هذا الأمرِ وأغربِها؛ يقولُ: فإذا بلغَ ٱلنساءُ ذلك فالعصبةُ أولى بالمرأةِ من أمِّها إذا كانوا محرماً مثلَ ٱلإخوةِ والأعمامِ، وبتزويجِها إنْ أرادوا ذلك. وٱلحقاقُ: مُحاقَّةُ الأمِّ للعصبةِ في ٱلمرأةِ، وهو ٱلجدالُ، وٱلخُصُومةُ، وقولُ كلِّ واحدٍ منهما لِلآخرِ: أنا أحقُّ منك بهذا، يُقالُ منهُ: حاقَقْتُهُ حِقاقاً، مثْلُ جادلْتُهُ جِدالاً. وقد قِيلَ: إنَّ نصَّ ٱلحِقاقِ بُلوغُ ٱلعقلِ وهو ٱلإدراكُ، لأنّه عليه ٱلسَّلَامُ إنما أرادَ مُنتهى الأمرِ ٱلذي تجبُ به ٱلحُقوقُ والأحكامُ، ومَنْ رواهُ «نصُّ ٱلحقائِقِ» فإنما أرادَ جَمْعَ حقيقةٍ. هذا معنى مَا ذكرهُ أبو عُبَيْدٍ ٱلقاسمُ بنُ سلَّامٍ. وٱلذي عندي أنَّ ٱلمرادَ بنصِّ ٱلحقاقِ ها هنا بُلوغُ ٱلمرأةِ إلى ٱلحدِّ ٱلذي يجوزُ فيه تزويجُها وتصرُّفُها في حقوقِها، تشبيهاً بالحِقاقِ مِنَ ٱلإبلِ، وهي جَمْعُ حِقَّةٍ وحِقٍّ[3]، وهو ٱلذي استكملَ ثلاثَ سنينَ ودخلَ في ٱلرابعةِ. وعندَ ذلك

---

(١) هذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وَكَّل عبدَ الله بن جعفرٍ في الخصومة عنه، وهو شاهد.

(٢) تتعرق أموالهم: من قولهم «تَعَرَّقَ فلان العظمَ» أي أكل جميع ما عليه من اللحم.

(٣) بكسر الحاء فيهما.

يبلغ إلى الحدّ الذي يمكن فيه من ركوب ظهره ونصّه في سيره. والحقائق أيضاً: جمع حِقّة؛ فالروايتان جميعاً ترجعان إلى مسمّى واحد؛ وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولاً.

٥ - وفي حديثه عليه السلام: إِنَّ ٱلْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ، كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ ٱللُّمْظَةُ(١).

[قوت القلوب ج٢ ص ٢٧٥]

قال الرضيّ: ٱللُّمْظَةُ مِثْلُ ٱلنُّكْتَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ ٱلْبَيَاضِ. وَمِنْهُ قِيلَ: فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ بِجَحْفَلَتِهِ(٢) شَيْءٌ مِنَ ٱلْبَيَاضِ.

٦ - وفي حديثه عليه السلام: إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ ٱلدَّيْنُ ٱلظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى، إِذَا قَبَضَهُ.

[رواه قبل الرضيّ أبو عُبيد القاسم بن سلام]

قَالَ: ٱلظَّنُونُ: ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيَقْضِيهِ مِنَ ٱلَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا، فَكَأَنَّهُ ٱلَّذِي يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ، وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ، وهو مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ، فَهُوَ ظَنُونٌ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ ٱلْأَعْشَى:

مَا يُجْعَلُ ٱلْجُدُّ ٱلظَّنُونُ ٱلَّذِي ... جُنِّبَ صَوْبَ ٱللَّجِبِ ٱلْمَاطِرِ

مِثْلَ ٱلْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِٱلْبُوصِيِّ وَٱلْمَاهِرِ

وَٱلْجُدُّ(٣): ٱلْبِئْرُ ٱلْعَادِيَةُ فِي ٱلصَّحْرَاءِ. وَٱلظَّنُونُ: ٱلَّتِي لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا.

٧ - وفي حديثه عليه السلام: أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ فَقَالَ: أَعْذِبُوا(٤) عَنِ ٱلنِّسَاءِ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ.

[النهاية، مادة عذب]

---

(١) اللُّمظة بضم اللام وسكون الميم.

(٢) الجحفلة: للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان.

(٣) الجُدّ بضم الجيم، وتقدّم تفسير الأبيات في الخطبة الشّقشقية.

(٤) اعذِبوا واعذبوا: أي أعرضوا واتركوا.

i

وَمَعْنَاهُ: أَصْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ ٱلنِّسَاءِ وَشُغْلِ ٱلْقَلْبِ بِهِنَّ، وَٱمْتَنِعُوا مِنَ ٱلْمُقَارَبَةِ لَهُنَّ. لِأَنَّ ذٰلِكَ يَفُتُّ[1] فِي عَضُدِ ٱلْحَمِيَّةِ، وَيَقْدَحُ فِي مَعَاقِدِ ٱلْعَزِيمَةِ[2]، وَيَكْسِرُ عَنِ ٱلْعَدْوِ[3]، وَيَلْفِتُ عَنِ ٱلْإِبْعَادِ فِي ٱلْغَزْوِ. فَكُلُّ مَنِ ٱمْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعْذَبَ عَنْهُ، وَٱلْعَاذِبُ وَٱلْعَذُوبُ: ٱلْمُمْتَنِعُ مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ.

٨ـ وفي حديثه عليه السلام: **كَٱلْيَاسِرِ ٱلْفَالِجِ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ.**

[النهاية، مادة فلج]

قَالَ ٱلرَّضِيُّ: ٱلْيَاسِرُونَ[4] هُمُ ٱلَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِٱلْقِدَاحِ[5] عَلَى ٱلْجَزُورِ[6]، وَٱلْفَالِجُ: ٱلْقَاهِرُ ٱلْغَالِبُ. يُقَالُ: قَدْ فَلَجَ[7] عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ. قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

لَمَّا رَأَيْتُ فَالِجاً قَدْ فَلَجَا

٩ـ وفي حديثه عليه السلام: **كُنَّا إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ ٱتَّقَيْنَا بِرَسُولِ ٱللّٰهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى ٱلْعَدُوِّ مِنْهُ.**

[النهاية، مادة حمر]

قَالَ ٱلرَّضِيُّ: مَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ ٱلْخَوْفُ مِنَ ٱلْعَدُوِّ، وَٱشْتَدَّ عِضَاضُ ٱلْحَرْبِ[8] فَزِعَ ٱلْمُسْلِمُونَ[9] إِلَى قِتَالِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ، فَيُنْزِلُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ٱلنَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَيَأْمَنُونَ مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ» كِنَايَةٌ عَنِ ٱشْتِدَادِ ٱلْأَمْرِ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذٰلِكَ أَقْوَالٌ.

---

(١) الفتّ: الدقّ والكسر، وفتّ في ساعده ـ من باب نصر ـ: أي أضعفه كأنّه كسره.

(٢) معاقد العزيمة: مواضع انعقادها في القلوب، والقدح فيها: بمعنى خرقها، كناية عن أوهنها.

(٣) العَدْو: الجري. ويكسر عنه: أي يقعد عنه.

(٤) *الياسرون: اللاعبون بالميسر، وهو القمار.*

(٥) *يتضاربون بالقداح: أي يقامرون،* والمضاربة بالسهام: المقامرة على النصيب من الناقة.

(٦) الجزور: الناقة المجزورة، أي المنحورة.

(٧) فلج ـ من باب ضرب ونصر ـ: *فاز وانتصر.*

(٨) العِضاض: أصله عضّ الفرس، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين.

(٩) فزع المسلمون: لجأوا إلى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه.

أحسنها أنّه شبّه حَمْيَ[1] الحرب بالنّار التي تجمع الحرارة والحُمرة بفعلها ولونها. وممّا يقوّي ذلك قول الرّسول صلّى الله عليه وآله وقد رأى مُجْتَلَدَ[2] النّاس يوم حُنين وهي حرب هوازن: «الآن حَمِيَ الوطيس». والوطيس: مُستوقد النّار، فشبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ما استحرّ[3] من جِلادِ القوم باحتدام النّار وشدّة التهابها.

انقضى هذا الفصل، ورجعنا إلى سَنَنِ الغرض الأوّل في هذا الباب.

٢٦٣ ـ وقال عليه السلام لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النُّخَيْلة[4]، وأدركه النّاس، وقالوا: يا أمير المؤمنين، نحن نكفيكهم، فقال ﷺ:

وَاللهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، فَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ[5] رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ[6]، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ[7]! [البيان والتبيين ج١ ص ١٧٠]

قال: فلمّا قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مُختاره في جملة الخُطب، تقدّم إليه رجلان من أصحابه، فقال أحدهما: إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي، فمُرنا بأمرك يا أمير المؤمنين نُنفذه، فقال: وأين تقعان ممّا أريد[8]؟

---

(١) الحَمْي: مصدر «حَمِيَت النار» اشتدّ حرّها.

(٢) مُجْتَلَد: مصدر ميمي من «الاجتلاد» أي الاقتتال.

(٣) استحرّ: اشتدّ، والجِلاد: القتال.

(٤) النُّخَيْلَة: موضع بالعراق بظاهر الكوفة، اقتتل فيه الإمام مع الخوارج بعد صِفّين.

(٥) الحيف: الظلم.

(٦) المَقود: اسم المفعول، والقادة: جمع قائد.

(٧) الوَزَعة: جمع وازع، وهو الدافع الكافّ، أو الوازع بمعنى الحاكم، والموزوع: المحكوم.

(٨) أين تقعان ممّا أريد: أي أين أنتما؟ وما هي منزلتكما من الأمر الذي أريده؟ وهو يحتاج إلى قوة عظيمة، فلا موقع لكما منه.

٢٦٤ ـ وقيل: إنّ الحارث بن حوط أتاهُ عليه السلام، فقال لهُ: أتُراني[1] أظنُّ أنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السّلام:

يَا حَارِ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ[2] فَحِرْتَ[3]، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ[4].

فقال الحارث: فإنّي أعتزِلُ مع سعد بن مالك* وعبد الله بن عمر. فقال عليه السّلام:

إِنَّ سَعْداً وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.

[تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٥٢]

٢٦٥ ـ وقال عليه السلام: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ[5].

[سراج الملوك ص ٢٢٢]

٢٦٦ ـ وقال عليه السلام: أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ[6]. [تاريخ ابن عساكر]

٢٦٧ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً[7].

[غرر الحكم]

---

(١) أتُراني ـ بضم التاء ـ: مبني للمجهول، أي أتظنني.

(٢) «نظرت تحتك ولم تنظر فوقك»، أي أصاب فكره أدنى الرأي ولم يصب أعلاه.

(٣) حِرْتَ: من «حار» أي تحيّر.

(٤) أتى الحق: أخذ به.

(٥) يُغْبَط ـ مبني للمجهول ـ أي: يغبطه الناس، ويتمنون منزلته لعزته، ولكنّه أعلم بموضعه من الخوف والحذر، فهو وإن أخاف بمركوبه إلّا أنّه يخشى أن يغتاله.

(٦) «أحسنوا في عَقِب غيركم...»، أي: كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيرُكم أبناءكم، فالعَقِب هنا يراد به النسل والأبناء.

(٧) لشدة تصرفه بالعقول في الحالين.

---

* في نسخة عبده والصالح: «سعيد بن مالك».

٢٦٨ - وقال عليه السلام حين سأله رجلٌ أنْ يُعَرِّفَهُ ما الإيمانُ: إِذَا كَانَ غَدٌ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ ٱلنَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ كَٱلشَّارِدَةِ⁽¹⁾ يَثْقَفُهَا⁽²⁾ هٰذَا وَيُخْطِئُهَا هٰذَا. [تحف العقول ص ١٦٢]

قال الرّضيّ: وقد ذكرنا مَا أجابَه به عليهِ ٱلسَّلَامُ فيما تقدَّم من هذا الباب، وهو قوله: «ٱلإيمانُ على أربَعِ شُعَبٍ».

٢٦٩ - وقال عليه السلام: يَٱبْنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ ٱلَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ ٱلَّذِي أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ ٱللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ. [عيون الأخبار: ٢ / ٣٧١]

٢٧٠ - وقال عليه السلام: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا⁽³⁾.

[أنساب الأشراف ج٥ ص ٩٥]

٢٧١ - وقال عليه السلام: ٱلنَّاسُ فِي ٱلدُّنْيَا عَامِلَانِ: عَامِلٌ فِي ٱلدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ ٱلْفَقْرَ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ⁽⁴⁾. فَيُفْنِي

---

(١) الشاردة: الضالة.

(٢) يثقفها: يَجدها، ثَقِفتُ كذا، أي وجدته وصادفته، [وفي نسخة عبده والصالح] «يَنْقُفُها» من «نَقَفَهُ» أي ضربه، أي يصيبها واحد فيصيدها، ويخطئها الآخر فتنفلت منه.

(٣) الهَوْن: التأني، أو الحقير، والمراد منه هنا الخفيف، لا مبالغة فيه، أي لا تبالغ في الحب، ولا في البغض، فعسى أن ينقلب كلّ إلى ضده، فلا تعظم ندامتك على ما قدمت منه. والبَغيض: المبغَض. قال الشاعر:

وأحبِبْ إذا أحبَبْتَ حُبّاً مقارباً ... فإنّكَ لا تَدْري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضتَ غيرَ مُباينٍ ... فإنّك لا تدري متى أنت راجعُ

(٤) معنى قوله: «ويأمنه على نفسه»، أي ولا يبالي أن يكون هو فقيراً: لأنّه يعيش عيشَ الفقراء وإن كان ذا مالٍ، لكنّه يدخر المال لولده فيفني عمرَه في منفعة غيره. ويجوز أن يكون معناه: إنّه لكثرة ماله قد أمن الفقر على نفسه ما دام حيّاً، ولكنّه لا يأمَن الفقرَ على ولده.

عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ. وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ ٱلَّذِي لَهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ ٱلْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ ٱلدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ ٱللَّهِ[1]، لَا يَسْأَلُ ٱللَّهَ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ. [أعلام الدين للديلمي]

٢٧٢ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ ٱلْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ، فَقَالَ قَوْمٌ: لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ ٱلْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ، وَمَا تَصْنَعُ ٱلْكَعْبَةُ بِٱلْحَلْيِ! فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ، وَسَأَلَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَقَالَ:

إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَٱلْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ ٱلْوَرَثَةِ فِي ٱلْفَرَائِضِ؛ وَٱلْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ؛ وَٱلْخُمُسُ فَوَضَعَهُ ٱللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ؛ وَٱلصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا ٱللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا. وَكَانَ حَلْيُ ٱلْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ ٱللَّهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً[2]، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا! وَتَرَكَ ٱلْحَلْيَ بِحَالِهِ. [بهذا المضمون في صحيح البخاري ج ٣ ص ٨١]

٢٧٣ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ ٱللَّهِ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ، وَٱلْآخَرُ مِنْ عُرُوضِ ٱلنَّاسِ[3]. فَقَالَ:

أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ ٱللَّهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَعَلَيْهِ ٱلْحَدُّ ٱلشَّدِيدُ. فَقَطَعَ يَدَهُ. [دعائم الإسلام ج ٢ ص ٤٧١]

---

(١) وجيهاً: أي ذا منزلة عليّة من القرب إليه سبحانه.

(٢) لم يخف عليه مكاناً: أي لم يكن مكان حلي الكعبة خافياً على الله، «فمكاناً» تمييز نسبة الخفاء إلى الحلي.

(٣) أي أنّ السارقَين كانا عبدين: أحدهما عبد لبيت المال، والآخر عبد لأحد الناس، من عروضهم، جمع عَرَض، وهو المتاع غير الذهب والفضة، وكلاهما سرق من بيت المال.

٢٧٤ ـ وقال عليه السلام: لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ(١).

[غرر الحكم]

٢٧٥ ـ وقال عليه السلام: ٱعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ ٱللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ(٢). وَٱلْعَارِفُ لِهٰذَا، ٱلْعَامِلُ بِهِ، أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَٱلتَّارِكُ لَهُ ٱلشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ شُغْلاً فِي مَضَرَّةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِٱلنُّعْمَى(٣)، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِٱلْبَلْوَى(٤)! فَزِدْ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ(٥)، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ. [التحف ص ١٥٤]

٢٧٦ ـ وقال عليه السلام: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً(٦). إِذَا عَلِمْتُمْ فَٱعْمَلُوا،

---

(١) المَدَاحِض: المَزَالِق، يريد الفتن التي ثارت عليه، ويقول: إنه لو ثبت قدماه في الأمر، وتفرغ لغيّر أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع الصحيح، ولهذا قال لقضاته: «اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكونَ للناس جماعةٌ».

(٢) الذكر الحكيم: القرآن، وليس لإنسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نصّ عليه القرآن، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عيّن في القرآن وإن اشتدّ طلب الأوّل وقويت مكيدته وضعف حال الثاني، فكلّ مكلّف مستطيع أن يؤدي ما فرض الله في كتابه، وينال الكرامة المحدودة له، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله، أي ما قدّر لك فلن تعدوه، ولن تقصر عنه.

(٣) *المُسْتَدْرَج: الذي يُمهله الله ويمدّ له في النعمة مدّاً*، والمعنى: لا يغترّ المنعَم عليه بالنعمة فربّما تكون استدراجاً من الله له يمتحن بها قلبه ثم يأخذه من حيث لا يشعر.

(٤) *المُبْتَلَى: المُمْتَحَن بالبلايا*، أي لا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعاً من الله له يرفع بها منزلته عنده.

(٥) أي قصّر من العجلة في طلب الدنيا.

(٦) من لم يظهر أثر علمه فكأنّه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل، ومن لم يظهر أثر يقينه←

وإذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا. [غرر الحكم ص ٣٣٧]

٢٧٧ ـ وقال عليه السلام: إِنّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ[1]، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ[2]؛ وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

[نهاية الإرب ج٣ ص ٣٣٦]

٢٧٨ ـ وقال عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَتَقْبُحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي[3]، مُحَافِظاً عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ[4] مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ. [العقد الفريد، ج٣: ٢٢٢]

٢٧٩ ـ وقال عليه السلام: لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ[5] لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ[6]، تَكْشِرُ[7] عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ[8]، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

← في عزيمته وفعله فكأنه شاكٌّ متردّد، إذ لو صحّ اليقين ما مرض الحزم.

(١) «مُورِدٌ غيرُ مُصْدِرٍ»: أي مَن ورده هلك فيه ولم يصدر عنه.

(٢) شَرِقَ: أي غصّ، تمثيل لحالة الطامع بحال الظمآن فربّما يشرق بالماء عند الشرب قبل أن يرتوي به، وربّما هلك الطامع في الطلب قبل الانتفاع بالمطلوب.

(٣) يستعيذ بالله من حسن ما يظهر منه للناس، وقبح ما يبطنه لله من السريرة، وقوله «محافظاً» حال من الياء في «سريرتي».

(٤) رياء الناس: إظهار العمل لهم ليحمدوه. وقوله «بجميع» متعلق بـ «رياء».

(٥) غُبْر الليلة: بقيتها، والغُبْر: البقايا، وكذلك الأغبار.

(٦) الدَهْماء: السوداء.

(٧) كَشَرَ: أي بَسم، وأصلُه الكَشف، «كشر عن أسنانه» أبداها في الضحك ونحوه.

(٨) الأغرّ: أبيض الوجه، يحلف ﷺ بالله الذي أمسى بتقديره في ليلة سوداء تنفجر عن فجر ساطع الضياء، ووجه التشبيه ظاهر.

٢٨٠ ـ وقال عليه السلام: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ(١) مِنْهُ.

[روض الأخيار، ص ٢٠٢]

٢٨١ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَضَرَّتِ ٱلنَّوَافِلُ بِٱلْفَرَائِضِ فَٱرْفُضُوهَا. [غرر الحكم]

٢٨٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ ٱلسَّفَرِ ٱسْتَعَدَّ. [غرر الحكم]

٢٨٣ ـ وقال عليه السلام: لَيْسَتِ ٱلرَّوِيَّةُ كَٱلْمُعَايَنَةِ مَعَ ٱلإِبْصَارِ(٢)، فَقَدْ تَكْذِبُ ٱلْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلاَ يَغُشُّ ٱلْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ. [غرر الحكم]

٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ ٱلْغِرَّةِ(٣). [التحف ص ١٦٧]

٢٨٥ ـ وقال عليه السلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ(٤).

٢٨٦ ـ وقال عليه السلام: قَطَعَ ٱلْعِلْمُ عُذْرَ ٱلْمُتَعَلِّلِينَ.(٥) [غرر الحكم]

٢٨٧ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ ٱلإِنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِٱلتَّسْوِيفِ(٦).

[غرر الحكم ص ٣٨]

---

(١) مَمْلُول: يُسأم منه ويُضجر، يقول: إعمل قليلاً وداوم عليه، فهو أفضل من كثير تسأم منه فتتركه.

(٢) الرويّة: إعمال العقل في طلب الصواب، وهي أهدى إليه من المعاينة بالبصر، فإنّ البصر قد يكذب صاحبه فيريه العظيم البعيد صغيراً، وقد يريه المستقيم معوجّاً كما في الماء، أمّا العقل فلا يغشّ من طلب نصيحته. وفي نسخة «الرُّؤْية ـ بضم فهمز ـ [كما في نسخة ابن أبي الحديد]، أي أنّ الرؤية الصحيحة ليست هي رؤية البصر، وليس العلم قاصراً على شهود المحسوس، فإنّ البصر قد يغش، إذ ليس العَمَى عَمَى العين، بل عَمَى القلب.

(٣) الغِرّة: الغفلة.

(٤) جاهلكم مزداد: أي يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة، وعالمكم يسوّف بعمله، أي يؤخّره عن أوقاته.

(٥) يقول: قَطَع العِلْم عُذرَ الذين يُعلّلون أنفسهم بالباطل، ويقولون: إنّ الربّ كريم رحيم، فلا حاجة إلى إتعاب أنفسنا بالعبادة.

(٦) [في نسخة عبده] «كلٌ» بالتنوين في الموضعين: فيكون «كلٌ» مبتدأ خبره معاجَلٌ في الأوّل، ومؤجّلٌ في الثاني، أي كلُ واحد من الناس يستعجله أجله ولكنّه يطلب الإنظار، أي التأخير، وكلّ منهم ←

٢٨٨ ـ وقال عليه السلام: مَا قَالَ ٱلنَّاسُ لِشَيْءٍ: «طُوبَى لَهُ» إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ ٱلدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ. [تذكرة الخواص ص ١٥٦]

٢٨٩ ـ وقال عليه السلام وقد سُئل عن القدر: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، ثم سُئل ثانياً فقال: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ، ثم سُئل ثالثاً فقال: سِرُّ ٱللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ. [توحيد الصدوق ص ٣٧٤]

٢٩٠ ـ وقال عليه السلام: إِذَا أَرْذَلَ ٱللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ ٱلْعِلْمَ[1]. [غرر الحكم]

٢٩١ ـ وقال عليه السلام: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي ٱللهِ[2] وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ ٱلْقَائِلِينَ[3]، وَنَقَعَ غَلِيلَ ٱلسَّائِلِينَ[4]، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جَاءَ ٱلْجِدُّ[5] فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ[6]، وَصِلُّ

← قد أجّل الله عمره وهو لا يعمل؛ تعلّلاً بتأخير الأجل والفسحة في مدته وتمكّنه من تدارك الفائت في المستقبل.

(١) أرذله: جعله رذيلاً، وحظره عليه: أي حرمه منه، وكان يقال: من علامة بُغض الله تعالى للعبد أن يُبَغِّض إليه العِلْم.

(٢) اختلف الناس في المعنيّ بهذا الكلام، فقال قوم: هو رسول الله ﷺ، واستبعده قوم لقوله: «وكان ضعيفاً مستضعفاً»، وقال قوم: هو أبو ذر الغفاري، وقال آخرون: هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود. وقيل: إنّه ليس بإشارة إلى أخ مُعيّن، ولكنّه كلام خارج مخرج المثل، وعادةُ العرب جارية بمثل ذلك، مثل قولهم في الشعر: فقلت لصاحبي؛ ويا صاحبي وهذا عندي أقوى الوجوه.

(٣) بذّهم: أي كفّهم عن القول ومنعهم.

(٤) نقع الغليل: أزال العطش.

(٥) الجِدّ: ضدّ الهزل.

(٦) الليث: الأسد. والغاب: جمع غابة، وهي الشجر الكثير الملتفّ يستوكر فيه الأسد.

وَادٍ[1]، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ[2] حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً. كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا لَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ[3]؛ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ؛ وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ، وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ؛ وَكَانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ[4] نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا، وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

[تاريخ بغداد، ج١٢ ص ٣١٤]

٢٩٢ ـ وقال عليه السلام: لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ[5] لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ.

[غرر الحكم ص ٢٦٢]

٢٩٣ ـ وقال عليه السلام للأشعث بن قيس وقد عزاه عن ابنٍ له:

يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذٰلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللّٰهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ. يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ[6]. يَا أَشْعَثُ، ابْنُكَ

---

(١) الصِّلّ: الحيّة. والوادي معروف.

(٢) أدلى بحجّته: أحضرها.

(٣) أي كان لا يلوم في فعلٍ يصحّ في مثله الاعتذار إلّا بعد سماع العذر.

(٤) بَدَهَهُ الأمرُ: فجاءه وبغته.

(٥) التوعّد: الوعيد، أي لو لم يوعد على معصيته بالعقاب.

(٦) مأزور: مُقْتَرِف للوِزْر، وهو الذنب. وقد روي هذه الكلام عنه عليه السلام على وجوهٍ مختلفة وروايات متنوّعة، هذا الوجهُ أحدها، وأخذ أبو العتاهية ألفاظه عليه السلام فقال لمن يعزّيه على وَلَد:

ولا بدّ من جَرَيان القضاءِ — إمّا مُثاباً وإمّا أثيمًا

سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وفِتْنَةٌ(١)، وَحَزَنَكَ(٢) وهُوَ ثَوَابٌ ورَحْمَةٌ. [العقد الفريد ج٣ ص ٣٠٤]

٢٩٤ ـ وقال عليه السلام عند وقوفه على قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله ساعة دُفِن:
إِنَّ ٱلصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَإِنَّ ٱلْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَإِنَّ ٱلْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ(٣). [دستور معالم الحكم ص ١٩٨]

٢٩٥ ـ وقال عليه السلام: لَا تَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ(٤) فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ. [عيون الأخبار، ج٣ ص ٧٩]

٢٩٦ ـ وقال عليه السلام وقد سُئِل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب، فقال: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ. [تاريخ ابن واضح ج٢ ص ١٥١]

٢٩٧ ـ وقال عليه السلام: أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ. وَأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ. [العقد الفريد، ج٢ ص ٣٠٦]

٢٩٨ ـ وقال عليه السلام لرجلٍ رآه يسعى على عدوٍّ له بما فيه إضرارٌ بنفسه: إِنَّمَا أَنْتَ

---

(١) سَرَّكَ: أي أكسبك سروراً، وذلك عند ولادته وهو إذ ذاك بلاء بتكاليف تربيته، وفتنة بشاغل محبته.

(٢) حَزَنَكَ: أكسبك الحزن وذلك عند الموت.

(٣) أي أنّ المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة. والجَلَل: الهيّن الصغير، وقد يطلق على العظيم وليس مراداً هنا. وقد أخذتْ هذا المعنى الشعراء، فقال بعضهم:

أمستْ بجفني للدُّموع كُلُومُ ... حزناً عليك وفي الخُدودِ رُسومُ
والصبرُ يُحمد في المَواطِن كلّها ... إلّا عليك فإنّه مذمومُ

وقال أبو الطيّب:

أجِدُ الجَفاءَ على سِواكَ مُروءةً ... والصّبرَ إلّا في نواكَ جميلا

(٤) المائق: الشديد الحُمْق، والمُوق: شدة الحُمْق.

كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ[1]. [تاريخ الطبري حوادث سنة ٣٠]

٢٩٩ ـ وقال عليه السلام: مَا أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ وَأَقَلَّ ٱلاعْتِبَارَ[2]! [تذكرة الخواص ص ١٤٤]

٣٠٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ بَالَغَ فِي ٱلْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ ٱللَّهَ مَنْ خَاصَمَ. [نهاية الارب ج٣ ص ٦]

٣٠١ ـ وقال عليه السلام: مَا أَهَمَّنِي أَمْرٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ ٱللَّهَ ٱلْعَافِيَةَ[3]. [سراج الملوك ص ٣/٢]

٣٠٢ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ: كيف يُحاسِبُ اللهُ الخلقَ على كثرتِهِم؟ فقال: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ. فقيل: كيفَ يُحاسِبُهُمْ ولا يَرَوْنَهُ؟ فقال: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ.

[العقد الفريد ج ٤ ص ٢٠٦]

٣٠٣ ـ وقال عليه السلام: رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ.

[مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٥٤]

٣٠٤ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱلْمُبْتَلَى ٱلَّذِي قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلاَءُ بِأَحْوَجَ إِلَى ٱلدُّعَاءِ مِنَ ٱلْمُعَافَى ٱلَّذِي لاَ يَأْمَنُ ٱلْبَلاَءَ. [دستور معالم الحكم ص ٢٤]

٣٠٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلنَّاسُ أَبْنَاءُ ٱلدُّنْيَا، وَلاَ يُلاَمُ ٱلرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.

[محاضرات الأدباء ج ٢ ص ١٦٩]

---

(١) الرِّدف: الرجل الذي تَرْتدِفه خلفك على فرس أو ناقة أو غيرهما.

(٢) ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها! ولا ريب أن العِبرَ كثيرة جداً، ولكنّ المعتبرين بها قليلون.

(٣) المعنى: أنّ الذَّنب الذي لا يعاجَل الإنسانُ عقيبه بالموت ينبغي للإنسان ألا يهتم به، أي لا ينقطع رجاؤه عن العفو وتأميله الغفران، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً، ويستغفر الله، ويسأله العافية من الذنوب.

٣٠٦ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللّٰهِ[1]، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللّٰهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللّٰهَ. [دعائم الإسلام ج١ ص ٢٤٣]

٣٠٧ ـ وقال عليه السلام: مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٢٩٠]

٣٠٨ ـ وقال عليه السلام: كَفَى بِٱلْأَجَلِ حَارِساً! [التوحيد، ص ٣٦٤]

٣٠٩ ـ وقال عليه السلام: يَنَامُ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلثُّكْلِ[2]، وَلَا يَنَامُ عَلَى ٱلْحَرَبِ[3].

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

قال ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّضِيُّ: ومَعْنى ذٰلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلى قَتْلِ الأَوْلادِ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ ٱلْأَمْوالِ.

٣١٠ ـ وقال عليه السلام: مَوَدَّةُ ٱلْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ ٱلْأَبْنَاءِ، وَٱلْقَرَابَةُ أَحْوَجُ إِلَى ٱلْمَوَدَّةِ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ إِلَى ٱلْقَرَابَةِ[4]. [مطالب السؤول ج١ ص ١٦٢]

٣١١ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ. [غرر الحكم ص ٦٨]

٣١٢ ـ وقال عليه السلام: لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ[5]. [مروج الذهب ج٤ ص ٤٣٤]

٣١٣ ـ وقال عليه السلام لأنس بْنِ مَالِكٍ، وقد كان بَعَثَهُ إلى طلحة والزُّبير لما جاء إلى البصرة

---

(١) لأنّ الله هو الذي حرمه الرزق فكأنّه أرسله إلى الغني ليمتحنه به.

(٢) الثُّكل: فقد الأولاد.

(٣) الحَرَب ـ بالتحريك ـ: سلب الأموال.

(٤) إذا كان بين الآباء مودة كان أثرها في الأبناء أثر القرابة من التعاون والمرافقة والمودة أصل في المعاونة، والقرابة من أسبابها، وقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة، فالأقرباء في حاجة إلى المودة، أمّا الأوِدّاء فلا حاجة بهم إلى القرابة.

(٥) أي حتى تكون ثقته بما عند الله، من ثواب وفضل، أشدّ من ثقته بما في يده.

يُذَكِّرُهُما شيئاً قد سمِعَهُ مِنْ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيهِ وآلِهِ في معناهُما فلوى عن ذلك فرجَعَ إليه[1]، فقالَ: إنّي أُنْسِيتُ ذلكَ الأمرَ. فقال عليه السّلام: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللّهُ بِهَا بَيْضَاءَ لامِعَةً لا تُوَارِيهَا العِمَامَةُ. [حلية الأولياء، ج ٥ ص ٢٦]

قالَ الرَّضيُّ: يعني البَرَصَ. فأصابَ أنساً هذا الدّاءُ فيما بَعْدُ في وجهِهِ. فكانَ لا يُرى إلا مُتَبَرْقِعاً.

٣١٤ ـ وقال عليه السلام: إنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً[2]، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الفَرَائِضِ. [غرر الحكم ص ١١٣]

٣١٥ ـ وقال عليه السلام: فِي القُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ[3].

[تفسير الرازي ج ٢ ص ٤]

٣١٦ ـ وقال عليه السلام: رُدُّوا الحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ[4]، فَإِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.

[نهاية الإرب ج ٦ ص ٦٥]

٣١٧ ـ وقال عليه السلام لِكاتِبِهِ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ أبي رافِعٍ:

أَلِقْ دَوَاتَكَ[5]، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ[6]، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ

---

(١) الضمير في «قال» و «رجع» و «لوى» لأنس. وقد رُوي أنّ أنس كان في حضرة النبي ﷺ وهو يقول لطلحة والزبير: إنكما تحاربان علياً، وأنتما له ظالمان.

(٢) إقبال القلوب: رغبتها في العمل. وإدبارها: مللها منه.

(٣) «نبأ ما قبلنا»: أي خبرهم في قصص القرآن، «ونبأ ما بعدنا»: الخبر عن مصير أمورهم، وهو يُعلَم من سنّة الله فيمن قبلنا. «وحُكْم ما بيننا»: في الأحكام التي نصّ عليها.

(٤) رَدّ الحجر: كناية عن مقابلة الشرّ بالدفع على فاعله ليرتدع عنه، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن. قال الشاعر:

ولا أُلسنى الشَّر والشرُّ تاركي ... ولكن متى أُحمَلْ على الشرِّ أركبُ

(٥) لاقَ الحبرُ بالكاغد يليق، أي التصق، وهذه دواة مليقة: أي قد أُصلح مدادُها، وجاء ألق الدّواة إلاقةً فهي مُليقة، وهي لغة قليلة وعليها وردتْ كلمة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) جِلفة القلم: ما بين مَبراه وسنّه، وأصل الجَلف القَشْر، والجِلْفة: هيئة فتحة القلم التي يستمدّ ←

ٱلْحُرُوفِ(١) فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ ٱلْخَطِّ. [الوزراء والكتاب ص ١٤]

٣١٨ ـ وقال عليه السلام: أَنَا يَعْسُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَٱلْمَالُ يَعْسُوبُ ٱلْفُجَّارِ(٢).

[كنز العمال ج٦ ص ٣٩٤]

قالَ الرّضيّ: مَعْنى ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَتْبَعُونَني، وٱلْفُجّار يَتْبَعُونَ ٱلْمالَ، كما تَتْبَعُ ٱلنَّحْلُ يَعْسُوبَها، وهُوَ رَئيسُها.

٣١٩ ـ وقالَ لَه بعضُ اليهودِ: مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى ٱخْتَلَفْتُمْ فيه، فقالَ لهُ عليه السلام: إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ(٣)، وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ ٱلْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. [الكشاف ج٢ ص ١٥٠]

٣٢٠ ـ وقيلَ لَهُ عليهِ السّلامُ: بأيِّ شَيءٍ غَلَبْتَ الأقرانَ؟ قالَ: مَا لَقِيتُ أَحَداً إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ. [البصائر والذخائر ص ١١١]

قالَ الرّضيُّ عليه السلام: يُومِئُ بِذٰلِكَ إِلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ في القُلُوبِ.

٣٢١ ـ وقال عليه السلام لابْنِهِ محمد بن الحنفية: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ ٱلْفَقْرَ، فَٱسْتَعِذْ بِٱللّٰهِ مِنْهُ، فَإِنَّ ٱلْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ(٤)، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.
[غرر الخصائص الواضحة: ٢١١]

← بها المداد.

(١) القَرْمطة بين الحروف: المقاربة بينها وتضييق فواصلها، تقول: قرمط فلانٌ خطوه، إذا مشى مشياً فيه ضيق وتقارُب.

(٢) هذه كلمة قالها رسول الله ﷺ بلفظين مختلفين، تارةً: «أنت يعسوب الدِّين»، وتارةً: «أنت يعسوب المؤمنين»، والكلّ راجع إلى معنىً واحد، كأنّه جعله رئيس المؤمنين وسيِّدهم، أو جعل الدِّين يتبعه، ويقفو أثرَه حيث سلك كما يتبع النحلُ اليعسوبَ.

(٣) ما أحسن قوله: «اختلفنا عنه لا فيه»، وذلك لأنّ الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوّة، بل في فروع خارجة عن ذلك، نحو الإمامة والميراث، واليهود لم يختلفوا كذلك. بل اختلفوا في التوحيد الذي هو الأصل.

(٤) منقصة: نقص وعيب، فإذا اشتدّ الفقر فربما يحمل على الخيانة، أو الكذب، أو احتمال الذلّ. ←

٣٢٢ - وقال لسائل سأله عن معضلة[١]: سَلْ تَفَقُّهاً، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ.

[مجمع الأمثال ٢: ٤٥٤]

٣٢٣ - وقال عليه السلام لعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ:

لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي[٢]. [مروج الذهب ج٢ ص ٢٦٥]

٣٢٤ - وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشِّبَامِيِّينَ[٣]، فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الشِّبَامِيُّ؛ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ[٤]؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هٰذَا الرَّنِينِ[٥]؟ وَأَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ[٦]. [كتاب صفين لابن مزاحم: ٥٣١]

٣٢٥ - وقال عليه السلام وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ:

بُؤْساً لَكُمْ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.

فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ:

← أو القعود عن نصرة الحق، وكلّها نقص في الدين.

(١) مُعْضِلة: أي أحجية بقصد المُغَاياة لا بقصد الاستفادة.

(٢) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة، ولابن الزبير بولاية الكوفة، ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام، حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقي الخلافة بواتيها، فقال أمير المؤمنين: لا أفسد ديني بدنيا غيري، ولك أن تشير...

(٣) شِبام: اسم حي.

(٤) على ما أسمع: أي من البكاء، وتغلبكم عليه: أي يأتينه قهراً عنكم.

(٥) الرنين: صوت البكاء.

(٦) أي مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنا راكب فتنة للحاكم، تنفخ فيه روح الكبر، ومذلة: أي موجب لذل المؤمن، ينزلونه منزلة العبد والخادم.

ٱلشَّيْطَانُ ٱلْمُضِلُّ، وَٱلنَّفْسُ ٱلْأَمَّارَةُ بِٱلسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِٱلْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ فِي ٱلْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ ٱلْإِظْهَارَ[1]، فَٱقْتَحَمَتْ بِهِمُ ٱلنَّارَ. [مروج الذهب ج ٢: ٤١٨]

٣٢٦ ـ وقال عليه السلام: ٱتَّقُوا مَعَاصِيَ ٱللّٰهِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ ٱلشَّاهِدَ هُوَ ٱلْحَاكِمُ.

[ربيع الأبرار باب الخير والصلاح]

٣٢٧ ـ وقال عليه السلام لما بلغه قتلُ محمّدِ بن أبي بكرٍ: إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً، وَنَقَصْنَا حَبِيباً. [الموفقيات ص ٣٤٧]

٣٢٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعُمُرُ ٱلَّذِي أَعْذَرَ ٱللّٰهُ فِيهِ إِلَى ٱبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً[2].

[غرر الحكم، ص ٣٥]

٣٢٩ ـ وقال عليه السلام: مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ ٱلْإِثْمُ بِهِ، وَٱلْغَالِبُ بِٱلشَّرِّ مَغْلُوبٌ[3].

[زهر الآداب ج ١ ص ٤٣]

٣٣٠ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ ٱلْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ ٱلْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَٱللّٰهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ.

[دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٤٥]

٣٣١ ـ وقال عليه السلام: ٱلِٱسْتِغْنَاءُ عَنِ ٱلْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ ٱلصِّدْقِ بِهِ[4].

---

(١) الإظهار: مصدر أظهرته على زيد، أي جعلته ظاهراً عليه غالباً له، أي وعدتهم الانتصار والظفر.

(٢) أعذَرَ الله فيه: أي سَوَّغَ لابن آدم أن يَعتذر، يعني أنَّ ما قبل الستين هي أيام الصِّبا والشبيبة والكهولة، وقد يُمكن أن يُعذر الإنسانُ فيه على اتّباع هَوَى النفس لغَلَبة الشهوة وشَرِه الحداثة، فإذا تجاوز الستين دخل في سِنّ الشيخوخة، وذهبتْ عنه غُلَواء شِرَّته، فلا عُذرَ له في الجهل.

(٣) إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم، واقتراف معصية، فإنّك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: «الغالب بالشرّ مغلوب».

(٤) العذر وإن صدق لا يخلو من تصاغر عند الموجَّه إليه، فإنّه اعتراف بالتقصير في حقّه، فالعبد ←

٣٣٢ ـ وقال عليه السلام: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

[روض الأخيار، ص ١٤٦]

٣٣٣ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ ٱلطَّاعَةَ غَنِيمَةَ ٱلْأَكْيَاسِ[١] عِنْدَ تَفْرِيطِ ٱلْعَجَزَةِ[٢].

[روض الأخيار، ص ٤٢]

٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلسُّلْطَانُ وَزَعَةُ ٱللّٰهِ فِي أَرْضِهِ[٣]. [النهاية، مادة وزع]

٣٣٥ ـ وقال عليه السلام في صفة المؤمن:

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ[٤]، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً[٥]. يَكْرَهُ ٱلرِّفْعَةَ[٦]، وَيَشْنَأُ ٱلسُّمْعَةَ. طَوِيلٌ غَمُّهُ[٧]. بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ. مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ[٨]، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ[٩].

← عمّا يوجب الاعتذار أعزّ.

(١) الأكياس ـ جمع كيّس ـ: العقلاء أولو الألباب.

(٢) العجزة ـ جمع عاجز ـ: المقصّرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم، فإذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلاً، كان ذلك غنيمة للعاقل في الإحسان إليه، وعلى ذلك بقية الأعمال الخيريّة.

(٣) الوَزَعة: جمع وازع، والوازع عن الشيء: الكافّ عنه، والمانع منه، والوازع: الحاكم، يمنع من مخالفة الشريعة، والإخبار بالجمع لأنّ «ال» في السلطان للجنس.

(٤) البِشر: البشاشة والطلاقة، أي لا يظهر عليه إلّا السرور وإن كان في قلبه حزيناً، كناية عن الصبر والتحمّل.

(٥) ذلّ نفسه لعظمة ربّه، وللمتضعين من خلقه، وللحقّ إذا جرى عليه.

(٦) كراهته للرفعة: بغضه للتكبّر على الضعفاء، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو يشنأ ـ أي يبغض ـ السمعة.

(٧) طول غمّه خوفاً مما بعد الموت، وبُعْدُ همّه لأنّه لا يطلب إلّا معالي الأمور.

(٨) مَغْمُور: أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه ومِلّته.

(٩) الخَلّة: الحاجة، وضنين بخلّته: أي بخيل بإظهار فقره للناس.

سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ(١)، لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ(٢)، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ ٱلصَّلْدِ(٣)، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ ٱلْعَبْدِ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٣٣٦ ـ وقال عليه السلام: لَوْ رَأَى ٱلْعَبْدُ ٱلأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لأَبْغَضَ ٱلأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

[أمالي الطوسي ج١ ص ٣٦]

٣٣٧ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ ٱمْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: ٱلْوَارِثُ وَٱلْحَوَادِثُ(٤).

[عين الأدب والسياسة ص ١١]

٣٣٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ. [المئة المختارة للجاحظ]

٣٣٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَٱلرَّامِي بِلَا وَتَرٍ(٥). [التحف ص ١٥٨]

٣٤٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ ٱلْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَطْبُوعُ(٦). [كشف الغمة ج٣ ص ١٣٩]

٣٤١ ـ وقال عليه السلام: صَوَابُ ٱلرَّأْيِ بِٱلدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيُدْبِرُ بِإِدْبَارِهَا(٧).

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

---

(١) الخليقة: الطبيعة.

(٢) العريكة: النفس.

(٣) الصَّلْد: الحجر الصلب، ونفس المؤمن أصلب منه في الحقّ، وإن كان في تواضعه أذلّ من العبد.

(٤) أخذه الرَّضِيُّ فقال:

خُذْ تراثك ما استطعتَ فإنّما ... شُركاؤك الأيامُ والوُرّاثُ

لم يقضِ حَقَّ المالِ إلّا مَعشَرٌ ... نظروا الزمانَ يعيثُ فيه فعاثُوا

(٥) الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب، والذي يدعو الله ولا يعمل لا يجيب الله دعاءه.

(٦) مَطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعماله، ومسموعه: منقوله ومحفوظه، والأوّل هو العلم حقاً.

(٧) إقبال الدولة: كناية عن سلامتها وعلوّها، كأنّها مقبلة على صاحبها تطلبه للأخذ بزمامها، وإن لم يطلبها، وعلو الدولة يعطي العقل مكنة الفكر، ويفتح له باب الرشاد، وإدبارها يقع بالعقل في الحيرة والارتباك، فيذهب عنه صائب الرأي.

٣٤٢ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَفَافُ زِينَةُ ٱلْفَقْرِ(١)، وَٱلشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَى. [التحف ص ٧٥]

٣٤٣ ـ وقال عليه السلام: يَوْمُ ٱلْعَدْلِ عَلَى ٱلظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلْجَوْرِ عَلَى ٱلْمَظْلُومِ.

[الغرر والدرر، ص ٤١]

٣٤٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِنَى ٱلْأَكْبَرُ ٱلْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ.

٣٤٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، وَٱلسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ(٢)، وَ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. وَٱلنَّاسُ مَنْقُوصُونَ(٣) مَدْخُولُونَ(٤) إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللَّـهُ: سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطُ(٥)، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً(٦) تَنْكَؤُهُ ٱللَّحْظَةُ(٧)، وَتَسْتَحِيلُهُ ٱلْكَلِمَةُ ٱلْوَاحِدَةُ(٨). [غرر الحكم ص ٥٧]

---

(١) ومن أمثالهم المشهورة: «تجوعُ الحُرّة ولا تأكل بثديَيها».

وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أقسِم بالله لَمَصُّ النَّوَى ... وشربُ ماءِ القُلُبِ المالِحَهْ

أحسنُ بالإنسان من ذُلِّهِ ... ومن سؤالِ الأوجُهِ الكالِحَهْ

(٢) السرائر ـ هاهنا: ـ ما أُسِرَّ في القلوب من النيّات والعقائد وغيرها، وما يخفى من أعمال الجوارح أيضاً، وبلاؤها: تعرُّفها وتصفُّحها، بلاها الله واختبرها وعلمها، يريد أنّ ظاهر الأعمال وخفيّها معلوم لله، والأنفس مرهونة بأعمالها، فإن كانت خيراً خلّصتها، وإن كانت شرّاً حبستها.

(٣) المنقوص: المأخوذ عن رُشدِه وكماله كأنّه نقص منه بعض جوهره.

(٤) المدخول: المغشوش مصاب بالدَّخَل، وهو مرض العقل والقلب.

(٥) لو كان فيهم ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه فإذا رضي حكم لمن استرضاه بغير حق، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل.

(٦) أصلبهم عوداً: أشدّهم بدينه تمسّكاً.

(٧) اللحظة: النظرة إلى مشتهى. وتنكؤه: أي تسيل جرحه، وتأخذ بقلبه. تقول: نكأتُ القَرحة إذا صدمتَها بشيء لتقشِرها.

(٨) قال: «وتستحيله الكلمة الواحدة» أي تحيله وتغيّره عن مقتضى طبعه، يصفهم بسرعة التقلّب ←

٣٤٦ـ وقال عليه السلام: مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ، ٱتَّقُوا ٱللَّهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَٱحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ، آسِفاً لَاهِفاً، قَدْ ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾. [تذكرة السبط: ١٣٥]

٣٤٧ـ وقال عليه السلام: مِنَ ٱلْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ ٱلْمَعَاصِي (١). [غرر الحكم ص ١٠١]

٣٤٨ـ وقال عليه السلام: مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ ٱلسُّؤَالُ، فَٱنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

[ربيع الأبرار، ج ١]

٣٤٩ـ وقال عليه السلام: ٱلثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ ٱلِاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ (٢)، وَٱلتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلِاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ (٣) أَوْ حَسَدٌ. [محاضرات الأدباء، ج ١ ص ١٧٥]

٣٥٠ـ وقال عليه السلام: أَشَدُّ ٱلذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ. [ربيع الأبرار، باب الخطايا]

٣٥١ـ وقال عليه السلام: مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ ٱشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ ٱللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ ٱلْأُمُورَ (٤) عَطِبَ (٥)، وَمَنِ ٱقْتَحَمَ ٱللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ ٱتُّهِمَ.

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ

← والتلوّن، فنظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقع الشهوة، وكلمة من عظيم تميله إلى موافقة الباطل.

(١) هو من قبيل قولهم: «إنّ من العصمة أن لا تجد» وروي حديثاً.

(٢) مَلَق: تَمَلّق.

(٣) العَيّ: العجز.

(٤) كابدها: قاساها بلا إعداد أسبابها، فكأنّه يجاذبها ونطارده.

(٥) عَطِبَ: انكسر، والمراد خسِر.

وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، ومَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ ٱلنَّارَ. وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذٰلِكَ ٱلأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ(١). وَٱلقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ. وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ ٱلمَوْتِ رَضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِٱليَسِيرِ. وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ. [تحف العقول ص ٦٤]

٣٥٢ ـ وقال عليه السلام: لِلظَّالِمِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِٱلمَعْصِيَةِ(٢)، وَمَنْ دُونَهُ بِٱلغَلَبَةِ(٣)، وَيُظَاهِرُ ٱلقَوْمَ ٱلظَّلَمَةَ(٤). [معدن الجواهر ٢٢٣]

٣٥٣ ـ وقال عليه السلام: عِنْدَ تَنَاهِي ٱلشِّدَّةِ تَكُونُ ٱلفَرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ ٱلبَلَاءِ يَكُونُ ٱلرَّخَاءُ. [الفرج بعد الشدة ج١ ص ٤٣]

٣٥٤ ـ وقال عليه السلام لبعض أصحابه: لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُضَيِّعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ ٱللهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ ٱللهِ؟! [ربيع الأبرار]

٣٥٥ ـ وقال عليه السلام: أَكْبَرُ ٱلعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ. [غرر الحكم ص ٧٠]

٣٥٦ ـ وهنّأ بحضرته رجلٌ رجلاً آخر بغلامٍ وُلِدَ لهُ فقال له: لِيَهْنِئْكَ الفارسُ(٥)؛ فقال عليه السلام: لَا تَقُلْ ذٰلِكَ، وَلٰكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ ٱلوَاهِبَ، وبُورِكَ لكَ فِي ٱلمَوْهُوبِ، وبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ.

---

(١) لأنّه قد أقام الحجة لغيره على نفسه ورضي برجوع عيبه على ذاته.

(٢) معصية أوامره ونواهيه أو خروجه عليه ورفضه لسلطته وذلك ظلم؛ لأنّه عدوان على الحقّ.

(٣) الغلبة: القهر.

(٤) يُظاهر: أي يعاون، والظلمة: جمع ظالم.

(٥) «لِيَهْنِئْكَ الفارسُ»: كلمة كانت من شِعار الجاهلية، فنُهيَ عنها كما نُهيَ عن تحيّة الجاهلية: «أبيتَ اللعنَ»، وجُعلَ عِوضها «سلام عليكم».

٣٥٧ـ وبنى رَجُلٌ مِن عُمّالِهِ بِناءً فَخْماً[1] فقال عليه السلام: أَطْلَعَتِ ٱلْوَرِقُ رُؤُوسَهَا[2]! إِنَّ ٱلْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ ٱلْغِنَى.

٣٥٨ ـ وقيل له عليه السلام: لَوْ سُدَّ على رَجُلٍ بابُ بَيْتٍ وتُرِكَ فيه، مِنْ أَيْنَ كانَ يأتيهِ رِزْقُهُ؟

فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ. [ربيع الأبرار باب اليأس والقناعة]

٣٥٩ ـ وعَزّى قَوْماً عن مَيّتٍ ماتَ لَهُمْ، فقال عليه السلام:

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلَا إِلَيْكُمُ ٱنْتَهَى[3]، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هٰذَا يُسَافِرُ؟ فقالوا: نَعَم، قال: فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ. [غرر الحكم ص ٧٧]

٣٦٠ـ وقال عليه السلام: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، لِيَرَكُمُ ٱللهُ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ وَجِلِينَ[4]، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ ٱلنِّقْمَةِ فَرِقِينَ[5]! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱخْتِبَاراً، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً. [تحف العقول ص ١٤٦]

---

(١) فخماً: أي عظيماً ضخماً.

(٢) الوَرِق: الفِضّة، أي ظهرت الفضة، فأطلعت رؤوسها كناية عن الظهور، ووضّح هذا بقوله: «إنّ البناء يصف لك الغنى» أي يدل عليه.

(٣) هذا الأمر: أي الموت، لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل له، ولا آخر فعل له، بل سبقه ميّتون، وسيكون بعده، وقد كان ميّتكم هذا يسافر لبعض حاجاته فاحسبوه مسافراً، فإذا طال زمن سفره فإنّكم ستلاقون معه وتقدمون عليه عند موتكم.

(٤) وَجِلين: خائفين.

(٥) فرقين: فزعين. يقول: كونوا بحيث يراكم الله خائفين من مَكْرِه عند النعمة كما يراكم فزعين من بلائه عند النقمة، فإنّ صاحب النعمة إذا لم يظن نعمته استدراجاً من الله فقد أمن من مكر الله، ومن كان في ضيق فلم يحسب ذلك امتحاناً من الله فقد أيس من رحمة الله وضيّع أجراً مأمولاً.

٣٦١ ـ وقال عليه السلام: يَا أَسْرَى ٱلرَّغْبَةِ(١) أَقْصِرُوا(٢)، فَإِنَّ ٱلْمُعَرِّجَ(٣) عَلَى ٱلدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ(٤) مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ(٥) أَنْيَابِ ٱلْحِدْثَانِ(٦). أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا(٧)، وَٱعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا(٨). [النهاية ج ٣ ص ٣٥]

٣٦٢ ـ وقال عليه السلام: لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي ٱلْخَيْرِ مُحْتَمَلاً. [تحف العقول ص ٢٢٠]

٣٦٣ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَٱبْدَأْ بِمَسْأَلَةِ ٱلصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ(٩)، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ ٱلْأُخْرَى. [غرر الحكم ص ٤٣]

٣٦٤ ـ وقال عليه السلام: مَنْ ضَنَّ(١٠) بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ ٱلْمِرَاءَ(١١).

٣٦٥ ـ وقال عليه السلام: مِنَ ٱلْخُرْقِ(١٢) ٱلْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ ٱلْإِمْكَانِ، وَٱلْأَنَاةُ(١٣) بَعْدَ

---

(١) أسرى: جمع أسير، والرغبة: الطمع.

(٢) أَقْصِرُوا: كُفّوا.

(٣) المُعَرِّج: المائل إليها أو المعوّل عليها أو المقيم بها.

(٤) يَرُوعُهُ: يفزعه.

(٥) الصريف: صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك.

(٦) الحِدْثان: النوائب.

(٧) تولّي الشيء: تحمّل ولايته ليقوم به.

(٨) الضَراوة: اللَّهَج بالشيء والولوع به، أي: كُفّوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع اليه عاداتها.

(٩) الحاجتان: الصلاة على النبي وحاجتك، والأولى مقبوله مجابة قطعاً.

(١٠) ضنّ: بخل.

(١١) المراء: الجدال في غير حقّ، وفي تركه صون للعرض عن الطعن.

(١٢) الخُرْق: الحُمْق، وضده الرفق.

(١٣) الأناة: التأنّي.

ٱلْفُرْصَةِ[1]. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٣٦٦ ـ وقال عليه السلام: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَفِي ٱلَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ[2].

[غرر الحكم ص ٢٥٠]

٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَٱلاِعْتِبَارُ[3] مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ. [تحف العقول ص ١٤٣]

٣٦٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِٱلْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَٱلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِٱلْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَ وَإِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ[4]. [الكافي ج١ ص ٤٠]

٣٦٩ ـ وقال عليه السلام: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا حُطَامٌ[5] مُوبِئٌ[6]، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ[7] قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا[8]، وَبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا[9]. حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِيهَا بِٱلْفَاقَةِ[10]، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِٱلرَّاحَةِ[11]. مَنْ

---

(١) الفرصة: ما يمكّنك من مطلوبك، ومن الحِكم أن لا تتعجّل حتى تتمكّن، وإذا تمكّنت فلا تمهل.

(٢) أي لا تتمنَّ من الأمور بعيدها فكفاك من قريبها ما يشغلك.

(٣) الاعتبار: الاتّعاظ بما يحصل للغير ويترتّب على أعماله.

(٤) العلم يطلب العمل ويناديه فإن وافق العملُ العلمَ وإلّا ذهب العلم، فحافظُ العلمِ العملُ.

(٥) متاع الدنيا: أموالها وقُنْيَاتها. والحطام: ما تكسّر من الحشيش واليبس، وشبّه متاع الدنيا بذلك لحقارته.

(٦) موبئ: أي ذو وباء مُهلِك.

(٧) مَرْعاة: بقعة تُرعى، كقولك مَأسَدة، فيها الأسد.

(٨) القُلْعَة: عدم سكونك للتوطّن، وأحظى: أسعد، وطُمأنينتها: سكونها وهدوؤها، أي كون الإنسان فيها منزعجاً متهيّئاً للرحيل عنها خيرٌ له من أن يكون ساكناً إليها مطمئناً بالمُقام فيها.

(٩) البُلْغة: مقدار ما يُتَبلَّغ به من القوت، والثروة: اليسار والغنى.

(١٠) المُكْثِر بالدنيا حكمَ الله عليه بالفقر، لأنه كلّما أكثر زاد طمعه وطلبه فهو في فقر دائم إلى ما يطمع فيه.

(١١) غَنِيَ: استغنى، وغنيّ القلب عن الدنيا في راحة تامة.

رَاقَهُ(١) زِبْرِجُهَا(٢) أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً(٣)، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ(٤) بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً(٥)، لَهُنَّ رَقَصٌ(٦) عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ(٧): هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ يُحْزِنُهُ، كَذٰلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ(٨)، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ(٩)، هَيِّناً عَلَى اللّٰهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ(١٠). وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاِعْتِبَارِ(١١)، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاِضْطِرَارِ(١٢)، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ(١٣) وَالإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى(١٤)! وَإِنْ فُرِحَ له بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ! هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ(١٥).

(١) راقه: أعجبَه وحَسُنَ في عينه.
(٢) الزِّبْرِج: الزِّينة.
(٣) الكَمَه: العمى الشديد، وقيل: هو أن يولد أعمى، فمن نظر لزينتها بعين الاستحسان أعمت عينيه عن الحقّ.
(٤) الشَّغَف: الولوع وشدّة التعلّق.
(٥) الأشجان: الأحزان.
(٦) الرَّقَص - بفتح القاف -: الاضطراب والحركة.
(٧) سويداء القلب: حبّته، والهنّ، أي للأشجان، فهي تلعب بقلبه.
(٨) الكظَم: مجرى النَّفَس، أي حتى يخنقه الموت فيُطرح ويُلْقَى بالفضاء.
(٩) الأَبْهَران: وَرِيدا العنق، وانقطاعهما كناية عن الهلاك، يقال للميِّت: قد انقطع أبهَراه.
(١٠) إلقاؤه: المراد - هنا - طرحه في قبره.
(١١) الاعتبار: أخذ العبرة والعظة.
(١٢) أي ويأخذ من القوت ما يكفي بطن المضطر، وهو ما يزيل الضرورة.
(١٣) المَقت: الكره والسخط.
(١٤) بيان لحال الإنسان في الدنيا فلا يقال فلان أثرى - أي استغنى - حتى يسمع بعد مدة بأنه أكدى - أي افتقر - وصف لقلب الحال.
(١٥) أبلس: يئس وتحيّر، يقال: أبلس الرجلُ يُبلِسُ إبلاساً أي قَنِط ويئس. ويوم الحيرة: يوم القيامة.

٣٧٠ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ ٱلثَّوابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَٱلْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ[١]، وَحِيَاشَةً[٢] لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. [الغرر، ص ٧٧]

٣٧١ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ ٱلْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ ٱلإِسْلامِ إِلَّا ٱسْمُهُ. مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ ٱلْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ ٱلْهُدَى. سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ ٱلأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ ٱلْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي ٱلْخَطِيئَةُ. يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا. يَقُولُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولٰئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ فِيهَا ٱلْحَلِيمَ حَيْرَانَ. وَقَدْ فَعَلَ. وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ ٱللّٰهَ عَثْرَةَ ٱلْغَفْلَةِ. [ميزان الاعتدال ج٤ ص ٤١٧]

٣٧٢ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ عليه السَّلامُ قَلَّمَا اعْتَدَلَ بِهِ المِنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ خُطْبَتِهِ:

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ، فَمَا خُلِقَ ٱمْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُو[٣]، وَلَا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُو[٤]. وَمَا دُنْيَاهُ ٱلَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ[٥] مِنَ ٱلآخِرَةِ ٱلَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ ٱلنَّظَرِ عِنْدَهُ وَمَا ٱلْمَغْرُورُ ٱلَّذِي ظَفِرَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَٱلآخَرِ ٱلَّذِي ظَفِرَ مِنَ ٱلآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ[٦]. [دستور معالم الحكم ص ٤٨]

---

(١) ذيادة: أي دفعاً ومنعاً لهم عن المعاصي الجالبة للنقم.

(٢) حياشة: مصدر حُشْتُ الصَّيد، أحوشه، إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، وقد احتوش القوم الصيد إذا نفّره بعضهم إلى بعض.

(٣) لَها: تلَهّى بلذاته.

(٤) لَغَا: أتى باللغو، وهو ما لا فائدة فيه.

(٥) *خلف: ما يخلف الشيء ويأتي بعده.*

(٦) السهمة: النصيب. وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه في الدنيا، والفرق بين الباقي والفاني ـ وإن كان الأول قليلاً والثاني كثيراً ـ لا يخفى.

٣٧٣ - وقال عليه السلام: لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ ٱلتَّقْوَى، وَلَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ ٱلْقَنَاعَةِ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ ٱلرِّضَى بِٱلْقُوتِ. وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ ٱلْكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ ٱلرَّاحَةَ[1]، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ ٱلدَّعَةِ[2]. وَٱلرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ ٱلنَّصَبِ[3]، وَمَطِيَّةُ ٱلتَّعَبِ[4]، وَٱلْحِرْصُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى ٱلتَّقَحُّمِ فِي ٱلذُّنُوبِ، وَٱلشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ ٱلْعُيُوبِ.

[تحف العقول ص ٦٧]

٣٧٤ - وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري:

يَا جَابِرُ، قِوَامُ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ يَسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ، فَإِذَا ضَيَّعَ ٱلْعَالِمُ عِلْمَهُ ٱسْتَنْكَفَ ٱلْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ[5]، وَإِذَا بَخِلَ ٱلْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ ٱلْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ[6].

يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ ٱللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لِلهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَٱلْبَقَاءِ[7]، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَٱلْفَنَاءِ.

[تحف العقول ص ١٢٩]

---

(١) ٱنْتَظَمَ الراحةَ: من قولك فانتظمه بالرمح، أي أنفذه فيه، كأنه ظَفِرَ بالراحة.

(٢) تبوّأ: نزل الخفض، أي السعة، والدَّعة كالخفض، والإضافة على حدّ ذكرى النوم.

(٣) الرغبة: الطمع. والنَّصَب: أشدّ التعب.

(٤) المطيّة: ما يُمتطى ويُركب من دابّة ونحوها.

(٥) لاستواء العلم والجهل في نظره.

(٦) لأنه يضطرّ للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغنى شيئاً.

(٧) عَرَّضَها: أي جعلها عُرْضَةً، أي نَصَبَها له.

٣٧٥ ـ وَرَوى ابْنُ جريرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ، عَنْ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي ليلى الفَقِيهِ، وكانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الحَجَّاجِ مع ابْنِ الأَشْعَثِ، أَنَّهُ قالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ به النَّاسَ عَلَى الجِهادِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ، وَأَثَابَهُ ثَوَابَ الشُّهداءِ وَالصِّدِّيقِينَ، يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ[1]، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذٰلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ. [الطبري في حوادث سنة ٨٢]

٣٧٦ ـ وقال عليه السلام في كلام له يجري هذا المجرى:

فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، فَذٰلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ؛ وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذٰلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً؛ وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَذَاكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ[2]، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ؛ وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ، فَذٰلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ. وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

---

(١) بريء من الإثم وسلم من العقاب إن كان عاجزاً.

(٢) أشرف الخصلتين: من إضافة الصفة للموصوف، أي الخصلتين الفائقتين في الشرف عن الثالث وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدّد.

ٱلْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ(1) فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ(2)، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

[قوت القلوب، ج1 ص 381]

377 - وروى أبو جُحَيْفَةَ قال: سَمِعْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَقُولُ:

أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ(3) مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ.

[دستور معالم الحكم ص 152]

378 - وقال عليه السلام: إِنَّ ٱلْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ(4).

[أنساب الأشراف، ج5 ص 44]

379 - وقال عليه السلام: لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَذَابَ ٱللّٰهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللّٰهِ(5) لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾.

[العقد الفريد، ج2 ص 139]

---

(1) النفثة: يُراد ما يمازج النَّفَس من الريق عند النفخ، والنَّفْثَة: الفعلة الواحدة من نفثت الماء من فمي، أي قذفته بقوة.

(2) لُجَّة الماء: أعظمُه، وبحر لُجِّيّ: ذو ماء عظيم، كثير الموج.

(3) تُغلبون عليه: بمعنى يُصبح أمراً شديداً عليكم إذا فعلتموه.

(4) مريء: من «مَرَأَ الطعام» - مثلثة الراء - مَرَاءة فهو مريء، أي هنيء حميد العاقبة. والحقّ وإن ثقل إلا أنه حميد العاقبة، والباطل وإن خفّ فهو وبيء وخيم العاقبة، وتقول: أرض وبيئة، أي كثيرة الوَبَاء، وهو المرض العام.

(5) رَوْحُ الله: رحمته.

٣٨٠ـ وقال عليه السلام: اَلْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ اَلْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ. [تحف العقول ص ٦٦]

٣٨١ـ وقال عليه السلام: يَاٱبْنَ آدَمَ، اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ. كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ اَلسَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اَللّٰهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ اَلسَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ. [قوت القلوب ج١ ص ٣١ وص ١٥٨]

قالَ الرَّضيّ: وقدْ مَضى هٰذَا ٱلْكلامُ فيما تقدَّمَ مِنْ هذَا ٱلْبابِ، إلّا أنّهُ ها هنا أوضحُ وأشرحُ، فلذلكَ كرَّرْناه على ٱلقاعدةِ ٱلْمُقرَّرَةِ في أَوَّلِ هذَا ٱلْكتابِ.

٣٨٢ـ وقال عليه السلام: رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ[1]، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ[2]. [تذكرة الخواص ص ١٣٥]

٣٨٣ـ وقال عليه السلام: اَلْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ[3]، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ[4] ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ[5]، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ

---

(١) أي ربّما يستقبل شخص يوماً فيموت ولا يستدبره أي لا يعيش بعده فيخلفه وراءه.

(٢) المغبوط: المنظور إلى نعمته، وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في آخره فتقوم بواكيه، جمع باكية. ومثل هذا قول الشاعر:

يـا راقـدَ الليل مسروراً بأوّله ... إنّ الحوادث قد يَطرُقن أسحارا

(٣) الوثاق: ما يشدّ به ويربط، أي أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك، فإذا تكلّمت به صرت مملوكاً له فإمّا نفعك أو ضرّك.

(٤) خزَنَ: حفظ ومنع الغير من الوصول إلى محزونه.

(٥) الوَرِق: الفضّة.

نِعْمَةٌ وَجَلَبَتْ نِقْمَةً. [الفقيه ج٤ ص ٢٧٧]

٣٨٤ - وقال عليه السلام: لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

[الاختصاص ص ٣٣١]

٣٨٥ - وقال عليه السلام: أَحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ ٱللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ (١)، فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ ٱللَّهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَٱضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ. [غرر الحكم ص ٧٧]

٣٨٦ - وقال عليه السلام: ٱلرُّكُونُ إِلَى ٱلدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ (٢)، وَٱلتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ ٱلْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِٱلثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ (٣)، وَٱلطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ ٱلِاخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٣٨٧ - وقال عليه السلام: مِنْ هَوَانِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا (٤). [غرر الحكم ص ٣٠٤]

٣٨٨ - وقال عليه السلام: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ (٥). [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

---

(١) فقده يفقده: أي عدمه فلم يجده، والكلام من الكناية، أي أنّ الله يراك في الحالين فاحذر أن تعصيه ولا تطيعه.

(٢) تُعَاين: أي ترى بعينك من الدّنيا تقلّباً وتحوّلاً، لا يتقطع ولا يختص بخيّرٍ ولا شرير، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها.

(٣) الغَبْن: الخسارة الفاحشة. وعند اليقين بثواب الله لا خسارة أفحش من الحرمان بالتقصير في العمل مع القدرة عليه.

(٤) هذا الكلام نسبه الغزاليّ في كتاب «إحياء علوم الدين» إلى أبي الدّرداء، والصحيح أنّه من كلام عليّ ﷺ، ذكره الجاحظ في غير موضع من كُتُبه، وهو أعرف بكلام الرجال.

(٥) أي أنّ الذي يطلب ويعمل لما يطلبه ويداوم على ذلك لابدّ أن يناله أو ينال بعضاً منه.

٣٨٩ ـ وقال عليه السلام: مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ ٱلنَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ[١]، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ مَحْقُورٌ[٢]، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ ٱلنَّارِ عَافِيَةٌ. [تحف العقول ص ٧١]

٣٩٠ ـ وقال عليه السلام: أَلَا وَ إِنَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلْفَاقَةَ[٣]، وَأَشَدُّ مِنَ ٱلْفَاقَةِ مَرَضُ ٱلْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ ٱلْبَدَنِ مَرَضُ ٱلْقَلْبِ. أَلَا وَإِنَّ مِنَ ٱلنِّعَمِ سَعَةَ ٱلْمَالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ ٱلْمَالِ صِحَّةُ ٱلْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ ٱلْبَدَنِ تَقْوَى ٱلْقَلْبِ.

[أمالي الطوسي ج ١ ص ١٤٥]

٣٩١ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

وفي رواية أخرى: مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ، لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِهِ.

٣٩٢ ـ وقال عليه السلام: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ[٤]، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً[٥] إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ[٦]، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ[٧]، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ. [المحاسن ص ٣٤٥]

---

(١) دماء استفهامية إنكارية، أي لا خير فيما يسمّيه أهل الشهوة خيراً من الكسب بغير الحقّ والتغلّب بغير الشرع، حيث أن وراء ذلك النار. ولا شرّ فيما يدعوه الجهلة شرّاً من الفقر أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة فوراء ذلك الجنّة.

(٢) المَحْقُور: الحقير المحقّر.

(٣) الفاقة: الفقر.

(٤) يَرُمّ معاشه: يُصلحه.

(٥) شاخصاً: راحلاً.

(٦) المَرَمّة: الإصلاح.

(٧) المَعَاد: ما نعود إليه في القيامة.

٣٩٣ ـ وقال عليه السلام: أَزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ ٱللّٰهُ عَوْرَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

٣٩٤ ـ وقال عليه السلام: تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ(١).

٣٩٥ ـ وقال عليه السلام: خُذْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي ٱلطَّلَبِ(٢). [غرر الحكم ص ١١٧]

٣٩٦ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ(٣). [مجمع الأمثال ج ١ حرف الراء]

٣٩٧ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ(٤). [مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٠٤]

٣٩٨ ـ وقال عليه السلام: ٱلْمَنِيَّةُ وَلَا ٱلدَّنِيَّةُ(٥)، وَٱلتَّقَلُّلُ وَلَا ٱلتَّوَسُّلُ(٦).

٣٩٩ ـ وقال عليه السلام: مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً، لَمْ يُعْطَ قَائِماً(٧).

٤٠٠ ـ وقال عليه السلام: ٱلدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ. [تحف العقول ص ٢٠٧]

---

(١) هذه إحدى كلماته ﷺ التي لا قيمة لها، ولا يقدّر قدرها، والمعنى قد تداوله الناس، قال:

وكائن ترى من صامت لك معجب | زيــادته أو نــقصه فــي التكــلّم
لسانُ الفتى نصفٌ ونـصفٌ فـؤادهُ | فـلم يَبقَ إلّا صورةُ اللحمِ والدمِ

(٢) أجمِلْ في الطَّلَب أي: فإن رغبت في طلب ما تولّى وذهب عنك منها فليكن طلبك جميلاً، وافقاً بك عند الحقّ.

(٣) الصَّوْل: السَّطْوَة.

(٤) مقتصَر: اسم مفعول، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك.

(٥) المنيّة: أي الموت، يكون ولا يكون ارتكاب الدنيّة كالتذلّل والنفاق.

(٦) التقلّل: أي الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف، ولا يرضى بالتوسّل إلى الناس.

(٧) مراده أنَّ الرزق قد قسمه الله تعالى، فمن لم يرزقه قاعداً لم يجب عليه القيام والحركة، كنّى «بالقعود» عن سهولة الطلب، و«بالقيام» عن التعسّف به.

٤٠١ ـ وقال عليه السلام: نِعْمَ ٱلطِّيبُ ٱلْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.

٤٠٢ ـ وقال عليه السلام: ضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ. [التحف ص ١٥٦]

٤٠٣ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى ٱلْوَلَدِ حَقّاً، وَإِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ حَقّاً، فَحَقُّ ٱلْوَالِدِ عَلَى ٱلْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ ٱسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ ٱلْقُرْآنَ.

[محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٥٧]

٤٠٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَيْنُ حَقٌّ، وَٱلرُّقَى حَقٌّ، وَٱلسِّحْرُ حَقٌّ، وَٱلْفَأْلُ حَقٌّ[1] وَٱلطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ[2]، وَٱلْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ. وَٱلطِّيبُ نُشْرَةٌ[3]، وَٱلْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَٱلرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ. [صحيفة الرضا]

٤٠٥ ـ وقال عليه السلام: مُقَارَبَةُ ٱلنَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ[4]. [الغرر: ١٧١]

٤٠٦ ـ وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها[5]:

لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وَهَدَرْتَ سَقْباً[6]. [غرر الحكم]

قَالَ ٱلرَّضِيُّ: ٱلشَّكِيرُ هَا هُنَا: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ ٱلطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ. وَٱلسَّقْبُ: ٱلصَّغِيرُ مِنَ ٱلْإِبِلِ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ.

---

(١) الفأل: الكلمة الحسنة يتفاءل بها.

(٢) الطيرة: التشاؤم.

(٣) النُشرة في اللغة: العُوذة والرُّقية، نَشّرت فلاناً تنشيراً، أي رَقَيْته وعوّذته. وفي رواية: «والغسل نُشرة» أي التطهير بالماء.

(٤) المقاربة في الأخلاق والمباعدة فيها مجلبة للعداوات، ومن عاداه الناس وقع في غوائلهم والمقاربة لهم في أخلاقهم حافظة لمودتهم لكن لا تجوز الموافقة في غير حق.

(٥) أي قال كلمة عظيمة، ومثله في صغره قاصرٌ عن قول مثلها.

(٦) كأنه عليه السلام قال: لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض.

٤٠٧ ـ قال عليه السلام: مَنْ أَوْمَأَ[1] إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ ٱلْحِيَلُ[2]. [تحف العقول ص ١٤٣]

٤٠٨ ـ وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عن معنى قولِهِم: «لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله»:

إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ ٱللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا. فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا[3]، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا. [تحف العقول ص ٢٤٥]

٤٠٩ ـ وقال عليه السلام لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ[4] رَحِمَهُ اللّٰهُ تعالى وقد سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كلاماً: دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ ٱلدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا[5]، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ[6]، لِيَجْعَلَ ٱلشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ.

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٠]

---

(١) أومأ: أشار، والمراد طَلَبَ وأراد.

(٢) المُتَفاوِت: المتباعد، أي من طلب تحصيل المتباعدات وضم بعضها إلى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه.

(٣) أي متى ملكنا القوة على العمل وهي في قبضته أكثر مما هي في قبضته فرض علينا العمل.

(٤) هو عمّار بن ياسر العَنسي المذحجي، قدِم أباه ياسر من اليمن إلى مكّة مع أخوين له، فأقام هو بمكّة وحالف أبا حذيفة المخزومي، وزوّجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سميّة بنت خياط، فولدت عمّار بن ياسر فأعتقه أبو حذيفة، فصار ولاؤه لبني مخزوم.

أسلم عمّار وأخوه وأبواهما، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام فعُذّبوا في الله عذاباً عظيماً، وكان الرسول ﷺ يمرّ بهم وهم يعذّبون فيقول: «صبراً يا آلَ ياسر، فإنّ موعدكم الجنّة».

هاجر عمار وأخوه إلى أرض الحبشة وصلّى القِبلَتين، وشهد بدراً والمشاهد كلّها وأبلى بلاءً حسناً، ثم شَهِد اليمامة، فأبلى فيها أيضاً، ويومئذ قُطعتْ أُذنه. واستُشهد مع عليٍّ ؑ في صفّين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، والخبر المرفوع مشهور في حقّه: «تقتلك الفئة الباغية».

(٥) كان إسلامُ المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونيّة جميلة، كان قد صَحِب قوماً في بعض الطُرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفاً أن يُلحَق فيُقتل، فقَدِم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله ﷺ لا يردّ على أحدٍ إسلامَه، ذكر حديثه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني». [ج١٦ ص ٨٠ ـ ٨٢].

(٦) على عمْدٍ: متعلق «بلَبّس»، أي أوقع نفسه في الشبهة عامداً؛ لتكون الشبهة عذراً له في زلّاته.

[وعند الصالح: لَبَّسَ على نفسه]

٤١٠ ـ وقال عليه السلام: مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ ٱلْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ ٱللهِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ ٱلْفُقَرَاءِ عَلَى ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱتِّكَالاً عَلَى ٱللهِ(١). [قوت القلوب ج٢: ١٠١]

٤١١ ـ وقال عليه السلام: مَا ٱسْتَوْدَعَ ٱللهُ ٱمْرَأً عَقْلاً إِلَّا لِيَسْتَنْقِذَهُ بِهِ يَوْماً مَا(٢). [غرر الحكم ص ٢٣٢]

٤١٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ صَارَعَ ٱلْحَقَّ صَرَعَهُ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤١٣ ـ وقال عليه السلام: ٱلْقَلْبُ مُصْحَفُ ٱلْبَصَرِ(٣). [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤١٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلتُّقَى رَئِيسُ ٱلْأَخْلَاقِ. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤١٥ ـ وقال عليه السلام: لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ(٤) لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ(٥). [غرر الحكم ص ٢٥٣]

٤١٦ ـ وقال عليه السلام: كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ ٱجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ. [التحف: ٧٠]

٤١٧ ـ وقال عليه السلام يعزّي قوماً: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ ٱلْأَحْرَارِ، وَإِلَّا سَلَا(٦) سُلُوَّ

---

(١) لأنّ تيه الفقير وأنفته على الغني أدلّ على كمال اليقين بالله، فإنه بذلك قد أمات طمعاً، ومحا خسوفاً، وصابر في يأس شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني.

(٢) أي أنّ الله لا يهب العقل، إلّا حيث يريد النجاة، فمتى أعطى شخصاً عقلاً خلّصه به من شقاء الدّارَيْن.

(٣) القلبُ مُصحَفُ البصر: أي ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنّه يكتب فيه، أو يريد: أنّ الإنسانَ إذا أبصر صاحبه فإنّه يَرى قلبه بواسطة رؤية وجهه، ثم يعلم ما في قلبه من حُبّ وبُغض وغيرهما، كما يعلم برؤية الخطّ الذي في المصحف ما يدلّ الخطّ عليه، قال الشاعر:

إنّ العيونَ لَتُبدي في تقلّبِها ... ما في الضمائر من وُدّ ومِنْ حَنَقِ

(٤) الذَرَب: الحِدّة.

(٥) التسديد: التقويم والتثقيف، أي لا تطل لسانك على مَن علّمك النطق، ولا تظهر بلاغتك على من ثقّفك وقوّم عقلك.

(٦) سَلا: نسي.

ٱلْأَغْمَارِ (١).

وفي خبرٍ آخَرَ أنَّهُ عليهِ ٱلسَّلامُ قالَ لِلأَشْعَثِ بْنِ قيسٍ مُعَزِّياً عن ٱبْنٍ لَهُ:

إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ ٱلْأَكَارِمِ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ ٱلْبَهَائِمِ (٢). [الغرر: ص ١٢١ وص ١٢٢]

٤١٨ ـ وقال عليه السلام في صفة الدُّنيا: ٱلدُّنْيَا تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَٱرْتَحَلُوا (٣). [المحاضرات ج ٢ ص ٣٩٠]

٤١٩ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: يَا بُنَيَّ، لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ ٱلدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ؛ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ. [الغرر: ص ٢٥٧]

قال الرَّضيّ: وَيُرْوَى هذا ٱلكلامُ على وجهٍ آخَرَ، وهو:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ؛ أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِمَعْصِيَةِ ٱللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، أَوْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى

---

(١) الأغمار: جمع غُمْر ـ مثلث الأول ـ وهو الجاهل لم يجرب الأمور، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بد يوماً أن يسلو بطول المدة، فالصبر أولى.

(٢) حكى أبو تمّام هذا المعنى فقال:

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ ... وخاف عليه بعضَ تلك المآثِمِ

أتصبرُ للبلوى عَزاءً وحِسْبَةً ... فتؤجَرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ

(٣) صاحَ بِهِم سائِقُهُم فارْتَحلوا: أي بينما هم قد حلّوا فاجأهم صائح الأجل ـ وهو سائقهم ـ بالرحيل فارتحلوا.

ظَهْرِكَ. فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ ٱللّٰهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ ٱللّٰهِ.

٤٢٠ ـ وقال عليه السلام لقائلٍ قال بحضرته: «أستغفرُ اللّٰه»:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَتَدْرِي مَا ٱلاِسْتِغْفَارُ؟ ٱلاِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ ٱسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا ٱلنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَٱلثَّانِي ٱلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَٱلثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَٱلرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَٱلْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى ٱللَّحْمِ ٱلَّذِي نَبَتَ عَلَى ٱلسُّحْتِ[1] فَتُذِيبَهُ بِٱلأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ ٱلْجِلْدَ بِٱلْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَٱلسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ ٱلْجِسْمَ أَلَمَ ٱلطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاوَةَ ٱلْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ». [تحف العقول ص ١٣٨]

٤٢١ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ[2].

٤٢٢ ـ وقال عليه السلام: مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ! مَكْتُومُ ٱلأَجَلِ، مَكْنُونُ ٱلْعِلَلِ، مَحْفُوظُ ٱلْعَمَلِ. تُؤْلِمُهُ ٱلْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ ٱلشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ ٱلْعَرْقَةُ[3]. [المائة المختارة للجاحظ]

٤٢٣ ـ وَيُرْوَى أنهُ عليهِ ٱلسَّلامُ كانَ جالساً في أصحابِهِ إذ مرَّتْ بهمْ امرأةٌ جميلةٌ فرمَقَها ٱلقومُ بأبصارِهم، فقالَ عليهِ ٱلسَّلامُ:

---

(١) قوله: «نَبَتَ على السُّحْت» أي على الحرام، يقال: سُحْت، بالسكون، وسُحُت بالضم، وأسحَتَ الرجل في تجارته، أي اكتسب السُّحْت.

(٢) خُلُق الحِلْم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة، لأنه يوليك محبّة الناس فكأنه عشيرة. وقال عليه السلام: وجدتُ الاحتمالَ أنصَرَ لي من الرّجال، وقال الشاعر:

وَلَلْكَفُّ عن شَتْمِ اللئيم تكرُّماً ... أضرُّ له من شَتْمه حين يُشْتَمُ

(٣) مَكْنُون: أي مستور العلل والأمراض لا يعلم من أين تأتيه، إذا عضّته بقّة تألّم، وقد يموت بجرعة ماء إذا شرق بها، وتنتن ريحه إذا عَرِق عَرَقه. والعَرْقة: الواحد من العرق يتصبّب من الإنسان.

إنَّ أَبْصَارَ هٰذِهِ ٱلْفُحُولِ طَوَامِحُ[1]، وَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ ٱمْرَأَةٌ كَٱمْرَأَتِهِ.

فقالَ رَجُلٌ مِنَ الخوارِجِ: «قاتَلَهُ اللَّهُ كافِراً، ما أفْقَهَهُ!» فَوَثَبَ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ؛ فَقالَ عليه السلام:

رُوَيْداً[2]، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ[3]. [تحف العقول ص ٨٩]

٤٢٤ ـ وقال عليه السلام: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.

[غرر الحكم ص ١٧٧]

٤٢٥ ـ وقال عليه السلام: ٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَٱللّٰهِ كَذٰلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ[4].

[غرر الحكم، ص ٢٥٣]

٤٢٦ ـ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ ٱللّٰهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ ٱللّٰهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ أَحْسَنَ ٱللّٰهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ.

٤٢٧ ـ وقال عليه السلام: ٱلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَٱلْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَٱسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ

---

(١) طوامح: جمع طامح أو طامحة، طمح البصر: إذا ارتفع، وطَمّح: أبعد في الطلب، وإنَّ ذلك أي طموح الأبصار سبب هَبَابِها ـ بالفتح ـ: أي هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى.

(٢) رُوَيداً: أي مَهْلاً.

(٣) إنَّ الخارجي سبَّ أمير المؤمنين بالكفر في الكلمات السابقة، فأمير المؤمنين لم يسمح بقتله، ويقول: إمّا أن أسبّه أو أعفو عن ذنبه.

(٤) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله، فلا تختاروا أن تكونوا للشرّ أهلاً، ولا أن يكون عنكم في الخير بدل.

بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ. [الكافي ج١ ص ٢٠]

٤٢٨ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا(١) فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا؛ فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ. [الغرر: ٧٦]

٤٢٩ ـ وقال عليه السلام: لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ وَالْغِنَى. بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافَىً إِذْ سَقِمَ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ(٢).

٤٣٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللَّهَ. [غرر الحكم ص ٢١٢]

٤٣١ ـ وقال عليه السلام في بعض الأعياد: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهُ صِيَامَهُ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ*.

٤٣٢ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلاً فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

٤٣٣ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً(٣)، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا

---

(١) يقرّها: أي يبقيها ويحفظها مدّة بذلهم لها.

(٢) قال الشاعر:

وربّ غنيّ عظيم الثراء ... أمسى ثقيلاً عديماً فقيرا
وكم بات من مُترفٍ في القصور ... فعوّض في الصّبح عنها القبورا

(٣) الصّفقة: أي البيعة، أي أخسرهم بيعاً، وأشدّهم خيبة في سعيه، ذلك الرجل الذي أخلق بدنه، أي أبلاه، ونهكه في طلب المال، ولم يحصّله.

---

* وعند ابن أبي الحديد: «وكُلُّ يومٍ لا نَعصي اللهَ فيه فهو يومُ عيدٍ»

بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى ٱلآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ[1]. [غرر الحكم ص ٨٢]

٤٣٤ ـ وقال عليه السلام: ٱلرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ. فَمَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا طَلَبَهُ ٱلْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ ٱلآخِرَةَ طَلَبَتْهُ ٱلدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ. [غرر الحكم ص ١٥٠]

٤٣٥ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ هُمُ ٱلَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ ٱلدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ ٱلنَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا[2] إِذَا ٱشْتَغَلَ ٱلنَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ[3] وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ. وَرَأَوْا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلاَلاً، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً. أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ ٱلنَّاسُ، وَسَلْمٌ مَا عَادَى ٱلنَّاسُ[4]! بِهِمْ عُلِمَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ[5].

[حلية الأولياء ج ١ ص ١٠]

٤٣٦ ـ وقال عليه السلام: اُذْكُرُوا ٱنْقِطَاعَ ٱللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ ٱلتَّبِعَاتِ. [غرر الحكم ص ٤٨]

٤٣٧ ـ وقال عليه السلام: أُخْبُرْ تَقْلِهْ[6]. [غرر النصائح الواضحة ص ٣٢٠]

---

(١) التَّبِعة: حقّ الله، وحقّ للناس عنده يُطالب به.

(٢) إضافة «الأجل» إلى «الدنيا» لأنه يأتي بعدها، أو لأنه عاقبة الأعمال فيها، والمراد منه ما بعد الموت.

(٣) «أماتوا فيها ما خشوا أن يميتهم»: أي أماتوا قوة الشهوة والغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم، وتركوا اللّذات العاجلة التي ستتركهم، ورأوا أنّ الكثير من هذه اللّذات قليل في جانب الأجر على تركه، وإدراكه فوات لأنه يعقب حسرات العقاب.

(٤) *سَلْمٌ مصدر بمعنى المسالمة أي مسالمتهم* ومعنى كلامه: الناس يسالمون الشهوات وأولياء الله يحاربونها، والناس يحاربون العِفّة والعدالة، وأولياء الله يسالمونهما وينصرونهما.

(٥) أيّ مرجوّ فوق ثواب الله، وأيّ مخوف أعظم من غضب الله.

(٦) أُخْبُرْ: أمرٌ من «خبرته»، أي علمته، و«تَقْلِهْ» مضارع مجزوم بعد الأمر، من «قلاه يَقْلِيه» بمعنى أبغضه، أي: إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربّما وجدت فيه ما لا يسرّك فتبغضه، فإنّ←

قالَ الرَّضيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى: ومنَ النَّاسِ مَنْ يرْوِي هـذا لرسولِ اللّـهِ صلى اللهُ عليه وآله. وَمِمّا يُقَوِّي أنَّهُ مِن كلامِ أميرِ المؤمنين عليه السلامُ ما حَكَاهُ ثعلبٌ قالَ: حدَّثنا ابنِ الأعرابيّ قالَ: قال المأمونُ: لولا أنَّ عَليّاً عليه السلامُ قالَ: اُخْبُرْ تَقْلِهْ، لقلتُ أنا: اُقْلِهْ تَخْبُرْ.

٤٣٨ ـ وقال عليه السلام: مَا كَانَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ ٱلشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلزِّيَادَةِ، وَلاَ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ ٱلدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلْإِجَابَةِ(١)، وَلاَ لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلْمَغْفِرَةِ. [الغرر: ٢٣٠]

٤٣٩ ـ وقال عليه السلام: أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلْكَرَمِ مَنْ عُرِّقَتْ(٢) فِيهِ ٱلْكِرَامُ.

٤٤٠ ـ وسُئِلَ عليه السلام: أيُّما أفضلُ: العَدْلُ أوِ الجُودُ؟ فقالَ:

ٱلْعَدْلُ يَضَعُ ٱلْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَٱلْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَٱلْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَٱلْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَٱلْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا(٣).

= التجربة تكشف لك مساوئ الناس وسوء أخلاقهم، فضرب مثلاً لمن يُظَنّ به الخير وليس هناك. وأمّا المأمون فليس يريد حقيقة القِلى، وهو البُغض، بل المراد الهجر والقطيعة، يقول: قاطِعْ أخاك مجرِّباً له هل يبقى على عهدك أم ينقضه ويحوّله عنك. يقول أبو العلاء:

جرَّبتُ دهري وأهليه فما تركتْ لِيَ التجاربُ في وُدّ امرئٍ غَرَضا

(١) تكرر الكلام في أنّ الدعاء والإجابة والاستغفار والمغفرة إنما صدقت النيّات، وطابق الرجاء العمل، وإلا فليست من جانب الله في شيء، إلّا أن تخرق سعة فضله سوابق سنته.

(٢) عَرَّقَتْ: أي ضربت عروقُه في الكَرَم، أي له سَلَف وآباءٌ كرامٌ.

(٣) هذا كلامٌ شريفٌ جليلُ القَدْر، فضَّل ﷺ العَدْلَ بأمرين: أحدهما: أنّ العدل وضعُ الأمور مواضعها، وهكذا العدالة في الاصطلاح الحُكْميّ، لأنّها المرتبة المتوسطة بين طَرَفي الإفراط والتفريط، والجود يُخرج الأمر من موضعه، لأنّ الجُود الحقيقيّ ليس يُخرج الأمر من جهته، نحو جود الباريّ تعالى. والوجه الثاني: أنّ العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية والدنيويّة، وبه نظام العالَم وقِوام الوجود؛ وأمّا الجود فأمرٌ عارضٌ خاصّ، ليس عموم نفعه كعموم نفع العَدْل.

٤٤١ـ وقال عليه السلام: ٱلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا(١). [المئة المختارة للجاحظ]

٤٤٢ـ وقال عليه السلام: ٱلزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ: قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى ٱلْمَاضِي(٢)، وَلَمْ يَفْرَحْ بِٱلْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ ٱلزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ. [ربيع الأبرار، ج ١]

٤٤٣ـ وقال عليه السلام: مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ!(٣)

٤٤٤ـ وقال عليه السلام: ٱلْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ ٱلرِّجَالِ(٤). [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٣]

٤٤٥ـ وقال عليه السلام: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ(٥). خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٣]

٤٤٦ـ وقال عليه السلام وقد جاءهُ نَعْيُ الأشتر رحمهُ اللهُ:

مَالِكٌ(٦)، وَمَا مَالِكٌ! وَٱللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً(٧)، أَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لَا يَرْتَقِيهِ ٱلْحَافِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ ٱلطَّائِرُ(٨). [ربيع الأبرار، باب الأرض والجبال]

---

(١) هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها. وكان يقال: مَن جَهِل شيئاً عاداه. وقال الشاعر:

جهلتَ أمراً فأبدَيْتَ النَّكيرَ له ... والجاهلون لأهلِ العِلْمِ أعداءُ

(٢) لم يأسَ: لم يحزن على ما نفذ به القضاء.

(٣) أي قد يجمع العازم على أمرٍ فإذا نام وقام وَجَد انحلالاً في عزيمته، أو ثم يغلبه النوم عن إمضاء عزيمته.

(٤) المضامير: جمع مِضْمار، وهو الموضع أو المُدّة التي تُضمَّر فيها الخيل، والولايات أشبه بالمضامير إذ يتبيّن فيها الجواد من البِرْذَون.

(٥) يقول: كلّ البلاد تصلح سكناً، وإنّما أفضلها ما حملك، أي كنت فيه على راحة فكأنّك محمول عليه.

(٦) مالك: هو الأشتر النَّخَعيّ.

(٧) الفِنْد: الجبل العظيم. والجملتان بعده كناية عن رفعته وامتناع همّته.

(٨) لا يُوفي عليه الطائر: أي لا يصعد عليه، يقال: أوفى فلانٌ على الجبل: أشرف.

قالَ الرَّضيّ رَحِمهُ اللّهُ تعالى: الْفِنْدُ: المُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبالِ.

٤٤٧ ـ وقال عليه السلام: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

[روض الأخيار، ص ٢٠٣]

٤٤٨ ـ وقال عليه السلام: إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ(١)، فَٱنْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا.

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤٤٩ ـ وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما:

مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيرَةُ؟ قال: ذَعْذَعَتْهَا الحُقُوقُ(٢) يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: ذٰلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا(٣). [النهاية ج٣ ص ١٦٢]

٤٥٠ ـ وقال عليه السلام: مَنِ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ فِي ٱلرِّبَا(٤). [الفقيه ج٣ ص ١٢٠]

٤٥١ ـ وقال عليه السلام: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ ٱلْمَصَائِبِ ٱبْتَلَاهُ ٱللّٰهُ بِكِبَارِهَا(٥).

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٣]

٤٥٢ ـ وقال عليه السلام: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ.

[مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٣]

٤٥٣ ـ وقال عليه السلام: مَا مَزَحَ ٱمْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً(٦). [الغرر، ص ٣٣٢]

---

(١) الخَلَّة: الخصلة. [عند الصالح: «رائعة»، وعند عبده: «نائمة»] أي إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه وانتظر سائر الخلال.

(٢) ذعذعتها: فرّقتها، ذعذع المال: فرّقه وبدده، أي فرّق إبلي حقوق الزكاة والصدقات.

(٣) ذلك أحمد سُبُلها: جمع سبيل، أي أفضل طرق إفنائها.

(٤) ارتطم: وقع في الوَرْطة فلم يمكنه الخلاص، والتاجر إذا لم يكن على علم بالفقه لا يأمن الوقوع في الربا جهلاً.

(٥) مَن تفاقم به الجزع ولم يجمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حمله الهمّ إلى ما هو أعظم منها.

(٦) المزح والمزاحة والمزاح بمعنى واحد: وهو المضاحكة بقول أو فعل، وأغلبه لا يخلو عن سخرية، وقيل: إنّما سُمّي المِزاحُ مِزاحاً لأنّه أُزيح عن الحقّ. ومجّ الماء من فيه: رماه←

٤٥٤ ـ وقال عليه السلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ(١). [غرر الحكم ص ١٣٩]

٤٥٥ ـ وقال عليه السلام: ٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرُ بَعْدَ ٱلْعَرْضِ عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَى(٢). [الغرر، ص ٢٣]

٤٥٦ ـ وقال عليه السلام: مَا زَالَ ٱلزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ٱبْنُهُ ٱلْمَشْؤُومُ عَبْدُ ٱللَّهِ(٣). [العقد الفريد ج ٣ ص ٩٦]

٤٥٧ ـ وقال عليه السلام: مَا لِابْنِ آدَمَ وَٱلْفَخْرِ! أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ. لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ. [مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٥٤]

٤٥٨ ـ وسُئِلَ عَنْ أَشْعَرِ ٱلشُّعَرَاءِ. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

إِنَّ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ(٤) تُعْرَفُ ٱلْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا(٥)، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ

← وكأنّ المازح يرمي بعقله، ويقذف به في مطارح الضياع.

(١) بعدك عمّن يتقرّب منك ويلتمس مودتك تضييع لحظّ من الخير يصادفك وأنت تنوي عنه، وتقرّبك لمن يبتعد عنك ذلّ ظاهر. قال العباس بن الأحنف:

مازلتُ أزهَـد في مودّة راغبٍ	حتّى ابتليتُ برغبةٍ في زاهدِ
هذا هو الدّاءُ الذي ضاقَت بـه	حِيلُ الطبيب وطال يأسُ العائدِ

(٢) العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية، والفقر بالشقاء الحقيقي.

(٣) قال أبو عمر بن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب» في ترجمة عبد الله بن الزبير: أنّه أوّل مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة، هاجرت أمّه أسماء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به، فولدته في سنة اثنتين من الهجرة، وقيل: في السنة الأولى.

شهد عبدُ الله «الجَمَل» مع أبيه وخالته، وكان له لَسَنٌ وفصاحة، وكان كثير الصلاة والصيام. إلّا أنّه كان فيه خلال لا تَصلُح فيها للخلافة، فإنّه كان بخيلاً، سيّء الخُلُق، حسوداً، كثيرَ الخلاف، أخرج محمد بن الحنفية من مكّة إلى المدينة، ونفى عبدَ الله بنَ عباس إلى الطائف.

(٤) الحَلْبة: القِطعة من الخيل تجتمع للسباق عبّر بها عن الطريقة الواحدة.

(٥) القصبة: ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم أنه السابق بلا نزاع، وكانوا ←

فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ(١). [العمدة ج١ ص ٤١]

قال الرّضيّ: يُرِيدُ امْرَأَ الْقَيْس.

٤٥٩ ـ وقال عليه السلام: أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا(٢)! إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا. [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٣]

٤٦٠ ـ وقال عليه السلام: مَنْهُومَانِ(٣) لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا. [الكافي ج١ ص ٤٦]

٤٦١ ـ وقال عليه السلام: عَلَامَةُ الْإِيمَانِ: أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ(٤)، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللّٰهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ(٥). [الآداب ص ٤]

٤٦٢ ـ وقال عليه السلام: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ(٦)، حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ. [المئة المختارة للجاحظ]

قال الرّضيّ: وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْمَعْنَى فيما تَقَدَّمَ بِرِوايَةٍ تُخالِفُ بَعْضَ هٰذِهِ الأَلْفاظِ.

← يجعلون هذا من قصب، أي لم يكن كلامهم في مقصد واحد، بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب، وآخر مذهب الترهيب، وثالث مذهب الغزل والتشبيب.

(١) الضِّلّيل: من الضلال؛ لأنّه كان فاسقاً.

(٢) اللُّماظة: ما تبقّى في الفم من الطّعام يريد بها الدنيا، أي ألا يوجد حرّ بترك هذا الشيء الدنيء لأهله.

(٣) تقول: نَهِم فلانٌ بكذا فهو مَنهوم، أي مُولع به، والنَّهَم: إفراط الشهوة في الطعام.

(٤) قال ﷺ: «وألّا يكونَ في حديثِك فَضْلٌ عن علمِك»؛ متى زاد مَنطِقُ الرجل على عِلْمِه فقد لغا وظهر نقصُه، والفاضل من كان عِلْمُه أكثرَ من مَنطِقِه. [وعند عبده والصالح: عن عملك].

(٥) حديث الغير: الرواية عنه. والتقوى فيه: عدم الافتراء، أو حديث الغير: التكلّم في صفاته، فهو نهي عن الغيبة.

(٦) المِقدار: القدر الإلٰهي. والتقدير: القياس.

٤٦٣ ـ وقال عليه السلام: **ٱلْحِلْمُ(١) وَٱلْأَنَاةُ(٢) تَوْأَمَانِ(٣)، يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ.**

[البديع لابن المعتز، ص ٢١]

٤٦٤ ـ وقال عليه السلام: **ٱلْغِيبَةُ جُهْدُ ٱلْعَاجِزِ(٤).** [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤٦٥ ـ وقال عليه السلام: **رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ.** [مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٥٤]

٤٦٦ ـ وقال عليه السلام: **ٱلدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا(٥).** [الغرر، ص ٨٩]

٤٦٧ ـ وقال عليه السلام: **إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ ٱلضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ(٦).**

قَالَ الرضيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الكلامِ وَأَغْرَبِهِ. وَالمِرْوَدُ هاهنا مِفْعَلٌ مِنَ الإِرْوَادِ، وَهُوَ الإِمهالُ وَالإِنظَارُ، فَكأَنَّهُ عليهِ السلامُ شَبَّهَ المُهْلَةَ الَّتي هم فيها بالمِضْمارِ الَّذِي يجْرُونَ فيه إلى الغايةِ. فإذا بلغوا مُنْقَطَعَهَا انْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بعدَها.

٤٦٨ ـ وقال عليه السلام في مدحِ الأنصارِ: **هُمْ وَٱللَّهِ رَبَّوُا(٧) ٱلْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى ٱلْفَلُوُّ(٨)**

---

(١) الحِلْم: حبس النفس عند الغضب.

(٢) الأناة: يريد بها التأنّي.

(٣) التوأمان: المولودان في بطن واحد، والتشبيه في الاقتران والتوالد من أصل واحد.

(٤) الغيبة: ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب، وهي سلاح العاجز ينتقم به من عدوّه، وهي جهده: أي غاية ما يمكنه.

(٥) خلقت الدنيا سبيلاً للآخرة، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد.

(٦) مِرْوَد: فسّره صاحب الكتاب بالمُهْلَة وهي مدّة اتحادهم فلو اختلفوا ثم كادتهم ـ أي مَكَرَت بهم ـ أو حاربتهم الضّباع دون الأسود لقهرتهم.

(٧) ربّوا: من التربية والإنماء.

(٨) الفَلُوّ والفِلْو [كما في نسخة عبده والصالح]: المُهْر إذا فطم أو بلغ السنة.

مَعَ غَنَائِهِمْ(١)، بِأَيْدِيهِمُ ٱلسِّبَاطِ(٢)، وَأَلْسِنَتِهِمُ ٱلسِّلَاطِ(٣). [ربيع الأبرار]

٤٦٩ ـ وقال عليه السلام: ٱلْعَيْنُ وِكَاءُ ٱلسَّتَهِ(٤). [المقتضب للمبرد]

قالَ الرَّضيُّ رَحمهُ اللّهُ تعالى: وهٰذِهِ مِنَ الاستِعاراتِ العَجيبَةِ، كأنَّهُ شَبَّهَ السَّتَهَ بالوِعاءِ، والعَيْنَ بالوِكاءِ، فإذَا أُطْلِقَ الوِكَاءُ لَمْ يَنْضَبِطِ الوِعاءُ. وهٰذَا القَوْلُ في الأشْهَرِ الأظْهَرِ مِنْ كلامِ النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وآله. وقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لأميرِ المُؤمِنِين عَلَيْهِ السلامُ؛ وذَكَرَ ذٰلِكَ المُبرِّدُ في كتاب «المُقْتَضَبِ» في بابِ اللَّفظِ المعرُوفِ *. قالَ الرَّضيّ: وقَدْ تَكَلَّمْنا على هٰذِهِ الاستعارَةِ في كِتابِنا المَوْسُومِ بِمَجازاتِ الآثارِ النبويَّةِ.

٤٧٠ ـ وقال عليه السلام في كلامٍ لهُ: وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَٱسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ ٱلدِّينُ بِجِرَانِهِ(٥).

---

(١) الغَناء: الغِنى، أي مع استغنائهم.

(٢) السِباط: جمع سَبِط، يعني السَّماح، ويقال: رجلٌ سَبِط اليدين: أي سخي، ويروى: «بأيديهم البِساطة» أي الباسطة.

(٣) ألسنتهم السِّلاط: يعني الفصيحة، والسلاط: جمع سليط وهو الشديد، واللسان الطويل.

(٤) السَّتَه: الاسْتُ، والسَّهِ ـ بفتح السين وتخفيف الهاء ـ [كما في نسخة عبده والصالح]: العجز ومؤخر الإنسان، والعين: الباصرة. وإنما جعل العجز وعاء؛ لأنَّ الشخص إذا حفظ من خلفه، لم يُصَب من أمامه في الأغلب، فكأنه وعاء الحياة والسلامة إذا حفظ حفظتا. والباصرة وكاء ذلك الوعاء: أي رباطه؛ لأنها تلحظ ما عساه يصل إليه فتنبه العزيمة لدفعه والتوقي منه، فإذا أهمل الإنسان النظر إلى مؤخرات أحواله أدركه العطب. والكلام تمثيل لفائدة العين في حفظ الشخص مما قد يعرض عليه من خلفه، وأنها لا تختلف عن فائدتها في حفظه مما يستقبله من أمامه، وإرشاد إلى وجوب التبصّر في مظنّات الغفلة وهذا هو المحمل اللائق بمقام النبي ﷺ أو مقام أمير المؤمنين.

(٥) الجِران: مقدّم عُنُق البعير، يضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكّن. والوالي: يريد ←

---

* عند عبده والصالح: في باب اللفظ بالحروف.

٤٧١ ـ وقال عليه السلام: يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ (١)، يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ (٢) فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ، قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ يَنْهَدُ فِيهِ ٱلْأَشْرَارُ (٣)، وَيُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيَارُ، وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بِيَعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ (٤). [الكافي ج٥ ص٣١٠]

٤٧٢ ـ وقال عليه السلام: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ (٥).

قالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وهٰذا مِثْلُ قولِه عليهِ السلامُ: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غالٍ، ومُبْغِضٌ قالٍ.

٤٧٣ ـ وسُئل عن التوحيدِ والعدْلِ، فقال:

ٱلتَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ، وَٱلْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ (٦). [غرر الحكم ص ١٤]

٤٧٤ ـ وقال عليه السلام: لَا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ. [ربيع الأبرار]

← به النبي ﷺ، ووليهم: أي تولّى أمورهم وسياسة الشريعة فيهم، وقال قائل: يريد به عمر بن الخطّاب

(١) زمانٌ عَضُوض، أي كلِبٌ على الناس، كأنّه يَعَضُّهم، ويجوز أن يكون من قولهم بئرٌ عَضُوض، أي بعيدة القَعْر ضَيِّقة.

(٢) الموسر: الغني، ويعضّ على ما في يده: يمسكه بخلاً على خلاف ما أمره الله في قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي الإحسان.

(٣) ينهدُ فيه الأشرار: ينهضون إلى الولايات والرّياسات، وترتفع أقدارهم في الدنيا، ويُستذَلّ فيه أهل الخير والدِّين، ويكون فيه بَيْع على وجه الاضطرار والإلجاء، كمن يبيعُ ضيعته، وهو ذليل ضعيف.

(٤) بِيَع: جمع بِيعة، هيئة البيع، كالجِلْسة لهيئة الجلوس.

(٥) بهته: قال عليه ما لم يفعل. ومفتر: اسم فاعل من الافتراء.

(٦) الضمير المنصوب لله، فمن توحيده أن لا تتوهمه: أي لا تصوّره بوهمك، فكلُّ موهوم محدود، والله لا يُحدّ بوهم، واعتقادك بعدله أن لا تتهمه في أفعاله بظن عدم الحكمة فيها.

٤٧٥ ـ وقال عليه السلام في دعاءٍ استسقى به: اَللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا.

[النهاية ج٢ ص ١٦٦]

قَالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللّهُ تعالى: وهٰذَا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الفصاحةِ، وذلك أنهُ عليهِ السلامُ شبّهَ السُّحُبَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ والبَوَارِقِ، والرِّيَاحِ والصَّوَاعِقِ، بالإبِلِ الصِّعابِ الَّتي تَقْمُصُ بِرِحَالِهَا[1]، وَتَتَوَقَّصُ[2] بِرُكْبَانِهَا، وشبّهَ السَّحَابَ الخاليَةَ مِن تِلْكَ الرَّوَابِعِ[3] بالإبِلِ الذُّلُلِ الَّتي تُحْتَلَبُ[4] طَيِّعَةً[5]، وتُقْتَعَدُ[6] مُسْمِحَةً[7].

٤٧٦ ـ وقيل لهُ عليه السلام: لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يا أميرَ المُؤْمِنِينَ! فقال: اَلْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ.

قال الرّضيّ: يريد وفاةَ رَسُولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ.

٤٧٧ ـ وقال عليه السلام: مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ؛ لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

٤٧٨ ـ وقال عليه السلام: اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ.

قال الرّضيّ: وقد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله ﷺ.

---

(١) قَمَصَ الفرَسُ وغيرُه: رفع يديه وطرحهما معاً وعجن برجليه. والرِّحال: جمع رحل، أي أنّها تمتنع حتى على رحالها فتَقْمُصُ لتلقيها.

(٢) وقصت به راحلته: تقحّمت به فكسرت عنقه.

(٣) [وفي نسخة عبده والصالح: «الروائع»] جمع رائعة، أي مُفْزِعة.

(٤) الاحتلاب: استخراج اللبن من الضرع.

(٥) طيّعة: شديدة الطاعة.

(٦) تُقتعد: مبني للمجهول من «اقتعده» اتخذه قُعْدة ـ بالضم ـ يركبه في جميع حالاته.

(٧) مسمحة: اسم فاعل من «أسْمَحَ» أي سمح، بمعنى جاد، وسماحها مجاز عن إتيان ما يريده الراكب من حسن السير.

١٧٩ ـ وقال عليه السلام لزيادِ بْنِ أبيهِ وقد استخلفهُ لعبدِ اللّهِ بنِ العبّاسِ على فارسٍ وأعمالِها، في كلامٍ طويلٍ كانَ بَيْنَهُما، نَهاهُ فيهِ عنْ تَقْديمِ الخَراجِ[١]:

اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، وَاحْذَرِ الْعَسْفَ[٢] وَالْحَيْفَ، فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ[٣]، وَالْحَيْفَ[٤] يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ. [غرر الحكم ص ٤٩]

١٨٠ ـ وقال عليه السلام: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ.

١٨١ ـ وقال عليه السلام: مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا[٥]. [الكافي ج ١ ص ٤١]

١٨٢ ـ وقال عليه السلام: شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ. [عيون الأخبار، ج ٤ ص ٢٣١]

قال الرّضيّ: لِأنّ التّكليفَ مُستلزِمٌ للمشقّةِ، وهو شرٌّ لازِمٌ عن الأخِ المُتَكلَّفِ له، فهو شرُّ الإخوانِ.

١٨٣ ـ وقال عليه السلام: إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ[٦]. [محاضرات الأدباء، ج ٢، ٢٨]

قال الرضي: يُقال حَشَمَهُ وأحشمهُ إذا أغضَبَهُ، وقيل: أخجَلَهُ. واحتَشَمَهُ طلَبَ ذلك له، وهو مَظِنَّةُ مفارقتِه.

---

(١) كانت عادة أهل فارس في أيّام عثمان أن يطلُب الوالي منهم خراجَ أملاكِهم قبل بيْع الثّمار على وَجْه الاستِسْلاف، فنهاه أمير المؤمنين عن ذلك.

(٢) العسف: الشدّة في غير حقّ.

(٣) الجلاء: التفرّق والتشتّت.

(٤) الحيف: الميل عن العدل إلى الظلم، وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لإنقاذ أنفسهم.

(٥) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلّم أوجب على العالِم أن يُعلِّم.

(٦) أي أنّ الاحتشام دلالة وأمارة على الفرقة، لأنّه لو لم يُحْدِث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى، فالانقباض أمارة المباينة.

وهذا حين انتهاءِ ٱلغايَةِ بِنَا إلى قَطْعِ ٱلـمُخْتَارِ مِنْ كـلامِ أميرِ ٱلمُؤمنينَ عَليهِ ٱلسلامُ، حَامِدينَ للهِ سُبْحَانَهُ على مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَوفيقِنا لِضَمِّ مَا ٱنْتَشرَ مِنْ أطْرافِهِ، وتَقْرِيبِ مَا بَعُدَ مِنْ أقْطَارِهِ. وَتَقَرَّرَ ٱلعَزْمُ كَمَا شَرَطْنَا أولاً عَلى تَفْضِيلِ أوْراقٍ مِنَ ٱلبياضِ في آخرِ كـلِّ بـابٍ مِـنَ الأبوابِ ليكونَ لاقتناصِ ٱلشَّارِدِ، وٱسْتِلْحَاقِ ٱلـوارِدِ، وَمَا عسى أنْ يَظْهرَ لَنَا بَعْدَ ٱلغُمُوضِ. وَيَقَعَ إلَيْنا بَعْدَ ٱلشُّذُوذِ. وَمَا تَوفِيقُنَا إلاَّ بِاللهِ، وهوَ حَسْبُنا، وَنِعْمَ ٱلوكيلُ. وذلكَ في رجبِ سنةَ أربعمائةٍ من ٱلهجرةِ، وصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتمِ ٱلرُّسُلِ، وٱلـهَادي إلى خَيْرِ ٱلـسُّبُلِ، وآلِهِ ٱلطَّاهرينَ، وأصحَابِهِ نُجُومِ ٱليَقِينِ.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهارس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١)

فهرس الآيات القرآنية

منذكر في هذا الفهرس الجزء من الآية الذي اقتبس منه الإمام

﴿اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس﴾ البقرة: ٣٤ ... ٣٢
﴿فإنك من المنظرين ٭ إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الحجر: ٣٧ و ٣٨ ... ٣٣
﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين﴾ آل عمران: ٩٧ ... ٣٨
﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ القصص: ٨٣ ... ٤٩
﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ الأنعام: ٣٨ ... ٧٣
﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ النساء: ٨٢ ... ٧٣
﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ إبراهيم: ٣٠ ... ٩٣
﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ الأنفال: ٦ ... ١١٢
﴿قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾ الأنعام: ٥٦ ... ١٣٤
﴿وأنتم الاعلون . والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم﴾ محمد: ٣٥ ... ١٤٥
﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ص: ٨٨ ... ١٥١
﴿وكل نفس معها سائق وشهيد﴾ ق: ٢١ ... ١٨٧

﴿فأين تذهبون؟﴾ التكوير: ٢٦ .... ١٩٤

﴿أنى تؤفكون؟﴾ الأنعام: ٩٥ .... ١٩٤

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين • إذ نسويكم برب العالمين﴾ الشعراء: ٩٧ و٩٨ .... ٢٠٩

﴿بل عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ الأنبياء: ٢٦ و٢٧ .... ٢١٤

﴿إنك على كل شيء قدير﴾ آل عمران: ٢٦ .... ٢٣٢

﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ المؤمنون: ٣٠ .... ٢٥٥

﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ الكهف: ٤٥ .... ٢٧٩

﴿من أشد منا قوة﴾ فصلت: ١٥ .... ٢٨٣

﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ الأنبياء: ١٠٤ .... ٢٨٤

﴿اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ آل عمران: ١٠٢ .... ٢٩٠

﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ النساء: ٥٩ .... ٣٠٩

﴿إن الله عنده علم الساعة ويُنزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ لقمان: ٥٦ .... ٣١٦

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ البقرة: ١٥٦ .... ٣١٧

﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ نوح: ١٠-١٢ .... ٣٢٥

﴿ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا﴾ الأعراف: ١٥٥ .... ٣٣٦

﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ الكهف: ٧ ....

﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ فاطر: ١٤ .... ٣٥٧

﴿الم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ العنكبوت: ١ و٢ .... ٣٦٥

﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ القصص: ٢٤ .... ٣٧٤

﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، إن الله عليم بما يصنعون﴾ فاطر: ٨ .... ٣٨٢

﴿من سلالة من طين﴾ المؤمنون: ١٢ .... ٣٨٥

﴿في قرار مكين • إلى قدر معلوم﴾ المرسلات: ٢١ و٢٢ .... ٣٨٥

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألَّا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فصلت: ٣٠ .. ...٤١٦
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ النساء: ٤٨ .... ٤١٩
﴿من يتق الله يجعل له فرجا﴾ الطلاق ٢ ....
﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ محمد: ٧ .... ٤٤٠
﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ الحديد: ١١ .... ٤٤٠
﴿ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما﴾ الفتح ٧ .... ٤٤٠
﴿له ما في السموات وما في الارض وإن الله لهو الغني الحميد﴾ الحج: ٦٤ .... ٤٤٠
﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ هود ٦١ .... ٤٤٠
﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ الجمعة: ٤ .... ٤٤١
﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾ الرعد: ١٥ ....
﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾ الزمر: ٧٣ .... ٤٦١
﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ الفتح ٢٦ .... ٤٦١
﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ سبأ: ١٣ .... ٤٦٤
﴿ولات حين مناص﴾ ص: ٣ .... ٤٦٧
﴿فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين﴾ الدخان: ٢٩ .... ٤٦٧
﴿قال إني خالق بشرا من طين ٭ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون ٭ إلا إبليس﴾ ص: ٧١-٧٤ .... ٦٩.
﴿قال رب بما أغويتني لأزيّنن لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين﴾ الحجر: ٣٩ .... ٧٠
﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ٭ نسارع لهم في الخيرات بل
لا يشعرون﴾ المؤمنون: ٥٥و٥٦ .... ٧٦.
﴿البيت الحرام قياما للناس﴾ المائدة: ٩٧ .... ٧٨
﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ سبأ: ٣٥ .... ٨٣
﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ النحل: ١٢٨ .... ٩٣
﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ المجادلة: ١٩ .... ٠١

﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إبراهيم: ٤٢ .... ٥٠٣

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ النساء: ١٠٣ .... ٥١٤

﴿ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين﴾ المدثر: ٤٢ و٤٣ .... ٥١٤

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ النور: ٣٧ .... ٥١٥

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ طه: ١٣٢ .... ٥١٥

﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ الأحزاب: ٧٢ .... ٥١٥

﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ الشعراء: ١٥٧ .... ٥١٧

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ البقرة: ١٥٦ .... ٥١٨

﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ النازعات: ٢٦ .... ٥٣٠

﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر﴾ التكاثر: ١ و٢ .... ٥٤٤

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ النور: ٣٦ و٣٧ .... ٥٥٣

﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ الانفطار: ٦ .... ٥٥٥

﴿إنك على كل شيء قدير﴾ آل عمران: ٢٦ .... ٥٦٢

﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، وردوا إلى الله مولاهم الحق، وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يونس: ٣٠ .... ٥٦٤

﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ غافر: ٧٨ .... ٥٩٦

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الأعراف: ٨٩ .... ٦٠٦

﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ النور: ٢٢ .... ٦١٣

﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ آل عمران: ١٩٨ .... ٦١٤

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ الأنفال: ٧٥ .... ٦٢٨

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ آل عمران: ٦٨ .... ٦٢٨

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾ الأحزاب: ١٨ .... ٦٢٩

﴿إن أريد إلاّ الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ هود: ٨٨ .... ٦٢٩

﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ هود. ٨٣ .... ٦٣٠

﴿ولات حين مناص﴾ ص: ٣ .... ٦٦٨

﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ المجادلة: ٢٢ .... ٦٧٩

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ النساء: ٥٩ .... ٦٩٨

﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ الصف: ٣ .... ٧١٤

﴿حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ الأعراف: ٨٧ .... ٧١٨

﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ الحج: ٢٥ .... ٧٣٧

﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ الأحزاب: ١٥ .... ٧٤٥

﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ ص: ٢٧ .... ٧٦٩

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ الأنفال: ٣٣ .... ٧٧١

﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ الأنفال: ٢٨ .... ٧٧٢

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا..﴾ آل عمران: ٦٨ .... ٧٧٣

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ البقرة: ١٥٦ .... ٧٧٣

﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ البقرة: ١٩٧ .... ٧٨٣

﴿ادعوني أستجب لكم﴾ غافر: ٦٠ .... ٧٨٦

﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ النساء: ١١٠ .... ٧٨٦

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ إبراهيم: ٧ .... ٧٨٦

﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾ النساء: ١٧ .... ٧٨٦

﴿والله يحب المحسنين﴾ آل عمران: ١٣٤ .... ٨٠١

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ القصص: ٥ .... ٨٠٢

﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ النحل: ٩٧ ..... ٨٠٦
﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ النحل: ٩٠ ..... ٨٠٦
﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ الأعراف: ٣٨ ..... ٨٢٩
﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ المدثر: ٣٨ ..... ٨٣٤
﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ الحج: ١١ ..... ٨٣٥
﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ الأعراف: ٩٩ ..... ٨٤٤
﴿إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون﴾ يوسف: ٨٧ ..... ٨٤٤
﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ الحديد: ٢٣ ..... ٨٥٨
﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ البقرة: ٢٣٧ ..... ٨٦٤

(٢)
فهرس الابيات الشعرية

صفحة ٤٤:

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيان أخي جابر

صفحة ٨٣:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني ... على وضر من ذا الاناء قليل

صفحة ٨٤:

هنالك لو دعوت أتاك منهم ... فوارس مثل أرمية الحميم

صفحة ١٠٣:

أدمت لعمري شربك المحض صابحا ... وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن ... عليا، وحطنا حولك الجرد والسمرا

صفحة ١٠٧:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى ... فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

صفحة ٣٨١:

ودع عنك نهبا صيح في حجراته ... ولكن حديثا ما حديث الرواحل

صفحة ٦٢٨:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

صفحة ٦٢٩:

وقد يستفيد الظنة المتنصح

صفحة ٦٣٠:

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل

صفحة ٦٦١:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

صفحة ٦٧٥:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

صفحة ٧٣١:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود

صفحة ٨٠٠:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب ا
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

صفحة ٨١٦:

من يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

صفحة ٨١٧:

لما رأيت فالعجا قد فلجا

(٣)

فهرس الأعلام من الرجال والنساء والقبائل والطوائف والشعوب

(أ)

آدم ﷺ، ٣١، ٣٢، ٤٦٩، ٤٧٨، ٤٨٣

آل النبي ﷺ، ٤١

آل فرعون، ٣٥٠

آل محمد ﷺ، ٤١، ٢٤٩، ٥٨١

إبراهيم الخليل ﷺ، ٦٢٨

ابن التيهان (مالك، أبو الهيثم، الصحابي)، ٤٣٥

ابن الأشعث، ٨٤٥

ابن الأعرابي، ٨٥٩

ابن ملجم (لعنه الله)، ٤٣٦، ٦١٣، ٦٨١

ابن النابغة، (أنظر عمرو بن العاص)

إسحاق ﷺ، ٤٨٦

إسماعيل ﷺ، ٤٨٦

الأسود بن قطبة، ٧٢٢

الأشتر النخعي يأتي في (مالك بن الحارث)

الأشعث، ٧٤، ٧٥، ٥٩٢، ٨٥٤

الأعاجم، ٣٤١

الأعشى (الشاعر الجاهلي)، ٤٤

الأكاسرة، ٤٨٦

الأنصار، ١٤٦، ٢٩٧، ٤٨٩، ٥٧٩، ٥٩٢، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٠، ٧٣٠، ٨٦٤

أبو أيوب الأنصاري، ٤٣٦

أبو بكر، ٢٨٦، ٥٩٣

أبو جُحَيْفَة، ٨٤٦

أبو جعفر الإسكافي، ٧١٦

أبو ذر الغفاري، ٣١٨

أبو سفيان بن حرب، ٥٤، ٣٨١، ٥١٧، ٦٠٨، ٦٧١

أبو طالب (عم النبي)، ٦٠٨

أبو موسى الأشعري، ٧٢٨، ٧٤٧

أحمد بن قتيبة، ٥٧٥

أسد الأحلاف، ٦٢٧

أسد الله، ٦٢٧

أسد (قبيلة)، ٢٨٠، ٧٣١

أصحاب الجمل، ٥٨، ٦٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٧٢٨

أصحاب محمد ﷺ، ٢٤٣، ٥٠٥، ٥٢٨

أصحاب مدائن الرسّ، ٤٣٣

أصحاب معاوية، ٨٢، ١٢٥، ٨١٨

أنس بن مالك (الصحابي)، ٨٢٩

امرؤ القيس، ٨٦٣

أهل البيت ﷺ، ٢٤٣، ٤٦٢، ٥٨٨، ٥٩٧، ٧٢٦

(ب)

بدرية، ٦٣٠

البرج بن مسهر الطائي (من الخوارج)، ٤٤١

بسر بن أبي أرطاة، ٨٢، ٨٤

بنو إسرائيل، ٣٩٩، ٤٨٦
بـنـو أمـية، ١٥٧، ١٥٩، ١٩٥، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٩٧، ٦٠٨، ٨٦٤

(ت)

التابعون، ٦٣٠
تبع، ٥٩٠
تميم (بنو)، ٦٠٩

(ث)

ثعلب (أبو العباس)، ٨٥٩
ثمود، ٤٢٧، ٥١٨

(ج)

جابر بن عبد الله الأنصاري، ٨٤٢
الجاحظ، ١٠١
جرير بن عبد الله البجلي، ١١٦، ٥٩٥
جعفر بن محمد الصادق، ٢٠٤
جعدة بن هبيرة المخزومي، ٤٢٨
جمح (بنو)، ٥٤٤

(ح)

الحارث بن حوط، ٨١٩
الحارث الهمداني، ٧٢٨
الحجاج بن يوسف الثقفي، ٢٩٥، ٨٤٥
حرب بن أمية، ٦٠٨
حرب بن شرحبيل الشبامي، ٨٣٢
الحسنان (الحسن والحسين) عليهما السلام، ٤٩، ١٥٦، ٥٢٤، ٦١٥، ٦٦٧، ٦٨١
الحسن بن علي عليهما السلام، ٥٢٣، ٦١٤، ٦٢٣،
الحكمان، ٣١٣، ٤٢٠، ٥٧٩
حمالة الحطب، ٦٢٧
حمزة (عم النبي)، ٥٩٧
حسان بن حسان البكري، ٨٨
الحرورية (من الخوارج)، ٧٧٥
جذيمة، ٥٩٠

(خ)

خالد بن الوليد، ٧٥
خباب بن الأرت، ٧٦٤
خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين)، ٤٩١
الخـــوارج، ٨٢، ١١٣، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٦١، ٣٠٣، ٣١٢، ٤٢٧، ٤٤١، ٧٤٧

(د)

داوود عليه السلام، ٣٧٤، ٧٧٨
دهاقين الأنبار، ٧٦٢

(ذ)

ذعلب اليماني، ٤٢٣، ٥٧٥
ذو الشهادتين (خزيمة بن ثابت الأنصاري)، ٤٣٥

(ر)

ربيعة (قبيلة)، ٤٩٠، ٧٤٥
الروم، ٣٢٥

(ز)

الزبير بن العوام، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٩٦، ٩٧، ٣٢٨، ٥٢١، ٥٨٧، ٧١٦، ٧٣٠، ٨٢٩

الزنج، ٣١٤

زياد بن أبيه، ٦١١، ٦٧١، ٨٦٨

(س)

بنو سليم، ٦٦١

سبأ، ٢٤٢

سعد (سعيد) بن مالك، ٨١٩

سعيد بن نمران، ٨٢

سعيد بن يحيى الأموي، ٧٤٧

سلمان الفارسي، ٧٣٧

سليمان بن داود ﷺ، ٤٣٢

سهل بن حنيف الأنصاري، ٧٤٠، ٧٨٠

(ش)

الشباميون، ٨٣٢

شريح بن الحارث (قاضي علي)، ٥٨٩

شريح بن هانئ، ٧١٩

شيطان الردهة (ذو الثدية من الخوارج)، ٤٨٩

(ض)

ضرار بن ضمرة الضبابي، ٧٦٩

(ط)

الطبري (ابن جرير، المؤرخ)، ٨٤٥

طلحة بن عبيد الله، ٥١، ٥٦، ٩٧، ٣٢٨، ٤١٠، ٥٢١، ٥٤٣، ٥٨٧، ٧١٦، ٧٣٠، ٨٢٩

الطلقاء، ٦٢٤

(ع)

عائشة (أم المؤمنين)، ٥٨٨، ٧٣٠

عاصم بن زياد، ٥٢٥

العباس (عم النبي)، ٥٤

عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ٥٤٣

عبد الرحمن بن أبي ليلى، ٨٤٥

عبد شمس (قبيلة)، ٧٨٢

عبد الله بن زمعة (من شيعة علي)، ٥٧٣

عبد الله بن عباس، ٥٠، ٩٦، ١٠١، ٥٨١، ٥٨٣، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٥٨، ٧٣٥، ٧٤٣، ٧٤٦، ٧٤٧، ٨٣٢، ٨٦٨

عبد الله بن عمر بن الخطاب، ٨١٩

عبد الله بن قيس، ٥٨٠، ٧٢٨

عبد الله بن يزيد، ٥٧٥

عبد المطلب (جد النبي)، ٦٠٨

عبد مناف (بنو)، ٥٤٣، ٦٠٨

عبيد الله بن أبي رافع (كاتب الإمام علي)، ٨٣٠

عبيد الله بن العباس، ٨٢

عبيدة بن الحارث، ٥٩٧

عثمان بن حنيف الأنصاري، ٦٧٢

عثمان بن عفان، ٦٤، ٧٨، ٩٥، ١٥٦، ١٥٧، ٢٣٢، ٣٢٦، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠١، ٤١٠، ٤٢١، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٢٩، ٦٦٢، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٣٢

العرب، ٨٥، ١٠١، ٢٥٦، ٢٦٤، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥١، ٤٨٣، ٤٩٠، ٥٨٧، ٦٠٨، ٦٧٧، ٧٢٥

عقيل بن أبي طالب، ٥٦١، ٦٥٩

العلاء بن زياد الحارثي، ٥٢٥

علي بن أبي طالب ﷺ . ٥٥، ٩٠، ١٠٥، ١٥١، ٢٤٣،
٣٠٥، ٤٠٦، ٥٦٢، ٥٨٧، ٦١٤، ٦١٥، ٦٦٢، ٦٧٦،
٦٧٩، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٨، ٧٢٣، ٧٢٨، ٧٤٦، ٧٦٣

عمار بن ياسر، ٤٣٥، ٨٥٢

العمالقة، ٤٣٣

عمران بن الحصين الخزاعي، ٧١٦

عمر بن الخطاب. ٣٢٥، ٣٤٠، ٣٨٦، ٥٩٣، ٦٧١،
٨٢١

عمر بن أبي سلمة المخزومي، ٦٦٩

عمرو بن العاص، ١٨٥، ٤٢٦، ٥٨١، ٦٦٤

عيسى ابن مريم ﷺ، ٣٧٥، ٧٧٧

(غ)

غالب بن صعصعة (أبو الفرزدق)، ٨٦١

غامد (قبيلة)، ٨٨

(ف)

فاطمة (سيدة النساء)، ٥١٨، ٦١٥

فراس بن غنم، ٨٤

الفراعنة، ٤٣٣، ٥٩٠

الفرزدق (الشاعر) . ٨٦١

الفرس، ٣٤٠

فرعون، ٤٧٦

(ق)

قثم بن العباس، ٦٥٥، ٧٣٦

قريش، ٩٠، ١٠٣، ١٤٦، ٢٣٦، ٣٣٨، ٤٠٧، ٤٩١،
٥٤٢، ٥٤٣، ٥٩٧، ٦٦٠، ٧٨٢

قيس بن سعد، ٤٣٦

قيصر = القياصرة، ٤٨٦، ٥٩٠

(ك)

كسرى، ٥٩٠

كُلَيْب الجرمي، ٤٠٤

كميل بن زياد النخعي، ٧٢٤، ٧٨٩، ٨٠٠، ٨١٣

(م)

مالك بن الحارث (الأشتر النخعي)، ٦٠٤، ٦٥٦،
٦٦٢، ٦٦٣، ٦٨٨، ٧٢٥، ٨٦٠

مالك بن دحية، ٥٧٥

المأمون (الخليفة)، ٨٥٩

محمد بن أبي بكر، ١٤٧، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٥٦، ٦٥٨،
٦٨٨، ٨٣٣

محمد بن الحنفية، ٦٠،

محمد رسول الله ﷺ . ٣٥، ٣٨، ٨٥، ١٠١، ١٠٦،
١١٧، ١٢٩، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٥، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٣،
٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٢١، ٣٤١،
٣٤٥، ٣٥٠، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٧، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٤٣،
٤٥٩، ٤٦٣، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥١١، ٥٢٥،
٥٣٢، ٥٧٥، ٥٨٣، ٦١٣، ٦٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٣٢،
٧٤٨، ٧٧٥، ٨٢١

مخزوم (بنو)، ٧٨٢

مذحج (قبيلة)، ٦٦٣

مروان بن الحكم، ١٥٦، ٣٨٧

مسعدة بن صدقة، ٢٠٤
المسيح ﷺ = سبق في (عيسى بن مريم)
مصقلة بن هبيرة الشيباني، ١١٧، ٦٧٠
مضر (قبيلة)، ٤٩٠
معاوية، ١٠٠، ١٠١، ١١٦، ١١٧، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٩، ١٨٦، ٢٤٢، ٤٢٦، ٥١٧، ٥٩٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٣٢، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٧٢، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٧١٧، ٧٣٠، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٤٦، ٧٦٩
معقل بن قيس الرياحي، ٦٠٣
المغيرة بن الأخنس، ٣٢٦
المغيرة بن شعبة، ٨٥٢
المنذر بن الجارود العبدي، ٧٤١، ٧٤٢
موسى بن عمران ﷺ، ٥٣، ٣٧٤، ٤٣١، ٤٧٦
المهاجرون، ٤٨٩، ٥٨٠، ٥٨٧، ٥٩٣، ٦٠٨، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٠، ٧١٧، ٧٣٠

(ن)

ناجية (بنو)، ١١٧
نعمان بن عجلان الزرقي، ٦٦٩
نوف البكالي، ٤٢٨، ٤٣٦، ٧٧٧، ٧٧٨

(هـ)

هارون بن عمران ﷺ، ٤٧٦
هاشم بن عتبة، ١٤٧
هاشم (جد النبي)، ٢٣٨، ٦٠٨
هشام ابن الكلبي، ٧٤٥
همام (من أصحاب علي)، ٤٩٣، ٤٩٨
هوازن (قبيلة)، ١٠٧

(و)

الواقدي (المؤرخ)، ٥٧٢، ٧٤٦

(ي)

اليهود، ٧٥٦، ٨٣١

(٤)

فهرس الحيوان

(أ)

الآنة (الشاة)، ٢٩١

الإبل، ٤٨، ١٢٩، ٢٦٥، ٥٦٨، ٧٥٧، ٧٧١، ٨١٣، ٨١٥، ٨٥١، ٨٦١، ٨٦٧

الأتان، ٦٧٣

الأسد، ٨١٩

الأنوق (طير أصلع الرأس)، ٧٣٤

(ب)

البعوض، ٢٢٩، ٤٣١، ٤٥٢

البعير، ٤٥٥، ٧٥٨

البكار، ١٤٨

(ث)

الثور، ٩٧

(ج)

الجرادة، ٤٤٦، ٥٦٢

الجزور (الناقة المجزورة)، ٢٣٦

الجمل، ١١٢، ٦٢٨

(ح)

الحاتة (من الإبل)، ٢٩١

الحقاق (من الإبل)، ٨١٥

الحمار، ٢٧٦

الحمام، ٣٧، ١٢٧، ٢٩٥

حمر الوحش، ٣٤٢

الحوت (الحيتان)، ٣٩٤

الحية، ٧٨٢

(خ)

الخفاش (الخفافيش)، ٣٦١

الخيل، ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٥

(د)

الديكة، ٣٩٠، ٣٩٢

(ذ)

الذئب (الذئاب)، ٢٧٠، ٣١٣، ٤٣٦، ٦٦٧

الذر (صغار النمل)، ٢٢٨، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٣١

(ر)

الربيضة (الغنم في مرابضها)، ٦٧٩

(س)

السائمة (الأنعام التي تسرح)، ٦٧٨، ٦٧٩، ٧٣٢

السبع (السباع)، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٥٨، ٦٤٦، ٦٨٩

السقب (الصغير من الإبل)، ٨٥١

(ض)

الضبع (الضباع)، ٤٩، ٥٦، ١٤٨، ٨٦٤

الضبة (الضباب)، ١٤٨، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٦٢

الضروس (الناقة)، ٢٣٥، ٢٣١

(ط)

الطاووس، ٣٨٨، ٣٨٩

الطير، ٢٦٨، ٣٦٢، ٤٤٦، ٤٧٨، ٤٩٢، ٨٦٠

(ع)

العجال (من النوق)، ١٢٧

العقاب، ٤٤٦

العنز، ٥٠، ٦٨٧

العوذ، ٦١٨

العوذ (الإبل)، ٢٣٠

(غ)

الغراب، ٣٩١، ٤٤٦

الغنم (الأغنام)، ٤٩، ٣١٣، ٤٣٦

(ف)

الفحول (من الإبل)، ٣٩١

الفصيل (ولد الناقة)، ٤٩٢، ٦١٨

الفلو، ٨٦٤

الفنيق (الفحل من الإبل)، ٢٦٩

الفيل (الفيلة)، ٣١٥، ٣٩٥

(ك)

الكلب، ٦٤٦، ٦٦٤، ٦٨٢

(ل)

اللبون (الناقة)، ٧٥٣

اللقاح (الإبل)، ٣٠١

(م)

المطافيل (الإبل)، ٢٣٠

المعزى (الماعز)، ٢٤٤، ٣١٩، ٤٤١، ٦٦٧

(ن)

الناب (الناقة المسنة)، ٢٣٥

الناقة، ٥١، ١٦٠، ٦١٨

النحل، ٨٣١

النعامة، ٦٢، ٣٦٤، ٤٤٧

النعم (الأنعام)، ٤٠٦، ٤١٣، ٦٤٦

النمل، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٦٣

النينان (الحيتان)، ٥٠٩

(هـ)

الهاملة (الغنم المتروكة)، ٦٧٩

الهمجة (ذبابة صغيرة)، ٣٩٥

الهوام، ٤٠٩، ٥٥١

الهيم (الإبل)، ١٢٩، ١٩٤، ٢٦٥، ٥٦٨

(و)

الوحش (الوحوش)، ٤٧٨، ٥٠٩

الوذحة (الخنفساء)، ٢٩٥

(ي)

يعسوب النحل (رئيسها)، ٨٣١

(٥)
فهرس النبات

الأزاهير، ٣٩٣

الأقحوان، ٣٩٣

البَذْر، ٥٣٤

البُرّ، ٤٨٠

التمر، ٦٢٤

حب الحصيد، ٦٧٧

الحسك (حسك السعدان: نبات ذو شوك)، ٥٥١، ٥٦٠

الخوص، ٣٧٤

الريحان، ٣٧٥، ٦٥٣، ٧٨٢

الشعير، ٣٧٤، ٥٦٢

الشيح، ٤٨٦

الصبر، ٣٧٠

العشب (الأعشاب)، ٦١٩، ٦٧٩

العنصة، ٦٧٤

العلقم، ٣٧٠، ٥٤٢

الكلأ، ٤٠٤

الليف، ٤٢٨

النخلة، ٤٤٥، ٦١٥

الوديّة (الفسيلة من النخل)، ٦١٥

الوسمة (نبات يختضب به)، ٣٩٢

(٦)
فهرس الكواكب والأفلاك

أطباق السماء، ٢١٩

الجو المكفوف، ٤٠٤

الدراري، ٢١٢

الشمس، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٢، ٣٦١، ٣٨٣، ٤٠٥، ٤٤٥، ٥٥٧، ٦٥٩، ٦٨٧، ٨٢٧

الشهب الثواقب، ٢١٢

العيوق (نجم أحمر مضيء في طرف المجرة)، ٧٢٤

الفضاء، ٣٨٨

الفلك، ٢٩، ٢١٢

القمر، ٢٩، ٢٠٢، ٢١٢، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤٠٥، ٤٣٠، ٤٤٥

الكوكب، ٢٩، ٢٦٣

النجم، ١٢١، ١٦١، ٣١١، ٤٠٥، ٦٠٩

(٧)
فهرس المعادن والجواهر

الدر، ٢٠٥

الذهب، ٤٧٦، ٨٤٧

الزبرجد، ٣٩١، ٣٩٤

الزمرد، ٤٨١

العسجد، ٣٩٤

العقيان، ٢٠٥، ٣٩١، ٤٧٧

الفضة، ٣٩١

الكحل، ٣٢١

اللؤلؤ، ٣٩٥

اللجين، ٢٠٥، ٣٩١

المرجان، ٢٠٥

الوَرِق (الفضة)، ٨٣٩، ٨٤٧

الوشاح (نظامان من لؤلؤ وجوهر)، ٣٩٢

الياقوت، ٤٨١

(٨)
فهرس الوقائع التاريخية

أحد، ٥٩٧

الأحزاب (يوم الخندق)، ٤٩٢

بدر، ٥٩٧، ٦٠٠

الجمل (وقعة)، ٦٠، ٩٩، ١٥٦، ١٦٢، ٥٤٣، ٦٣١

حُنَيْن (غزوة)، ٨١٨

السقيفة (يوم)، ١٤٦، ٦٢٨

صفين، ٣٨، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٤٣، ٢٦٤، ٣٠٣، ٤٠٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٥٢٣، ٥٣٧، ٦٠٥، ٦١٤، ٦٣٣، ٧٢٠، ٧٨٠، ٧٨٥، ٨٣٢

القليب (قليب بدر)، ٤٩٢

مؤتة، ٥٩٧

النهروان (يوم)، ٨٣٢

الهجرة، ٣٧٨، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٨٨، ٥٧٧، ٥٨٨، ٦٣٠

الهرير، ٣٠٠

هوازن (غزوة)، ٨١٨

(٩)
فهرس الأماكن والبلدان

أذربيجان، ٥٩٢

أردشير خرة، ٦٧٠

الأقاليم السبعة، ٥٦٢

الأنبار، ٨٨، ٧٦٢، ٨١٨

الأهواز، ٦١١

البحرين، ٦٦٩

البصرة، ٦١، ١٠١، ١٥٦، ٢٥٣، ٣١٤، ٣٤٤، ٣٦٣، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٥٢٥، ٥٤٣، ٥٧٢، ٥٨٧، ٥٨٨، ٦٠٩، ٦١١، ٦٣١، ٦٧٢، ٧١٩، ٧٤٦، ٨٢٩

حاضرين، ٦٣٣

الحجاز، ٩٧، ٦٦٧، ٦٧٥

حراء، ٤٩١

حلوان، ٧٢٢

ذو قار، ٥٧٢

الربذة، ٣١٨

سقيفة بني ساعدة، ١٤٦، ٦٢٨

السواد (سواد العراق)، ٥٠

شاطئ الفرات، ١٢٢

لشام، ١٠٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٣٠، ١٤٨، ١٨٠، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٤، ٣٣١، ٥٢٣، ٥٣١، ٥٧٩، ٦٠٢، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٥٥، ٦٦٩، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٦٠، ٧٧٠، ٨٤٥

لبة (المدينة)، ٢٩٢، ٣٧٨

مراق، ٩٧، ١٥٠، ٤٨٦، ٦٠٨

مرج، ٥٧٧

فارس، ٦١١، ٨٦٨

فدك، ٦٧٤

الفرات، ١٢٢، ١٢٥

قرقيسيا، ٧٢٤

كرمان، ٦١١

الكمية، ٦٧٢، ٨١٩

الكوفة، ٧٤، ٨٣، ١٢٠، ٢٠٤، ٢٤٢، ٢٥١، ٤٢٧، ٤٢٨، ٥٨٧، ٧١٩، ٧٨٠، ٧٨٥، ٨٣٢

مدائن الرس، ٤٣٣

المدينة، ٦٤، ٣٨٧، ٥٨٧، ٧١٧، ٧١٩، ٧٤٠

مصر، ١٤٧، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٦٢، ٦٨٨، ٧٢٥

المصران (الكوفة والبصرة)، ٧٢٠

المغرب، ٦٥٥

مكة، ٢٧٨، ٦٥٥، ٧٣٦، ٧٣٧

منعرج اللوى، ١٠٧

منى، ٦٨٨

النخيلة، ٨١٨

النهروان، ١٠٨، ١٢٤

هَجَر، ٦٢٤

هيت، ٧٢٤

اليمامة، ٧٥، ٦٧٥

اليمن، ٨٣، ٨٤، ٧٠٨، ٧١٥

(١٠)

جدول اختلاف ارقام الخطب، الرسائل، الحكم

جدول لختلاف لرقام خطبه عليه السلام

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
الحمد لله الذي لا يبلغ	١	١	١	١
أحمده استتماماً لنعمه	٢	٢	٢	٢
أما والله لقد	٢	٣	٣	٣
بنا اهتديتم	٤	٤	٤	٤
أيها الناس شقوا	٥	٥	٥	٥
والله لا أكون	٦	٦	٦	٦
اتخذوا الشيطان	٧	٧	٧	٧
يزعم إنّه قد بايع	٨	٨	٨	٧
وقد ارعدوا	٩	٩	٩	٨
ألا وإنّ الشيطان	١٠	١٠	١٠	٩
تزول الجبال	١١	١١	١١	١٠
أهوى أخيك	١٢	١٢	١٢	١١
كنتم جند المرأة	١٣	١٣	١٣	١٢
أرضكم قريبة	١٤	١٤	١٤	١٣
والله لو وجدته	١٥	١٥	١٥	١٤
ذمّتي بما أقول	١٩	١٦	١٦	١٥
إنّ أبغض الخلائق	١٧	١٧	١٧	١٦
ترد على أحدهم	١٨	١٨	١٨	١٧
ما يدريك ما عليّ	١٩	١٩	١٩	١٨
فإنكم لو قد عاينتم	٢٠	٢٠	٢٠	١٩
فإنّ الغاية أمامكم	٢١	٢١	٢١	٢٠
ألا وإنّ الشيطان	٢٢	٢٢	٢٢	٢١
أما بعد فإنّ الأمر	٢٣	٢٣	٢٣	٢٢
ولعمري ما عليّ	٢٤	٢٤	٢٤	٢٣
ما هي إلّا الكوفة	٢٥	٢٥	٢٥	٢٤
إنّ الله بعث محمّداً	٢٦	٢٦	٢٦	٢٥
أمّا بعد فإنّ الجهاد	٢٧	٢٧	٢٧	٢٦
أمّا بعد فإنّ الدّنيا	٢٨	٢٨	٢٨	٣٧
أيّها النّاس	٢٩	٢٩	٢٩	٢٨
لو أمرت به لكنت	٣٠	٣٠	٣٠	٢٩
لا تلقينّ طلحة	٣١	٣١	٣١	٣٠
أيّها النّاس إنّا قد	٣٢	٣٢	٣٢	٣١
إنّ الله بعث محمّداً	٣٣	٣٣	٣٣	٣٢
أفّ لكم	٣٤	٣٤	٣٤	٣٣
الحمد لله وإن أتى	٣٥	٣٥	٣٥	٣٤
فأنا نذيرٌ لكم	٣٦	٣٦	٣٦	٣٥
فقمت بالأمر حين	٣٧	٣٧	٣٧	٣٦
وإنّما سمّيت الشّبهة	٣٨	٣٨	٣٨	٣٧
منيت بمن لا يطيع	٣٩	٣٩	٣٩	٣٨
كلمة حق يراد بها	٤٠	٤٠	٤٠	٣٩
أيّها النّاس إنّ الوفاء	٤١	٤١	٤١	٤٠
أيّها النّاس إنّ أخوف	٤٢	٤٢	٤٢	٤١
إنّ استعدادي لحرب	٤٣	٤٣	٤٣	٤٢
قبّح الله مصقلة	٤٤	٤٤	٤٤	٤٣
الحمد لله غير مقنوط	٤٥	٤٥	٤٥	٤٤
اللّهمّ إنّي أعوذ بك	٤٦	٤٦	٤٦	٤٥
كأنّي بك يا كوفة	٤٧	٤٧	٤٧	٤٦
الحمد لله كلّما وقب	٤٨	٤٨	٤٨	٤٧
الحمد لله الّذي بطن	٤٩	٤٩	٤٩	٤٨
إنّما بدء وقوع الفتن	٥٠	٥٠	٥٠	٤٩
قد استطعموكم القتال	٥١	٥١	٥١	٥٠
ألا وإنّ الدّنيا	٥٢	٥٢	٥٢	٥١
ومن تمام الأضحية	٥٣	٥٣	٥٢	٥١
فتداكّوا عليّ	٥٤	٥٤	٥٣	٥٢

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
أمّا قولكم أكلّ	٥٥	٥٥	٥٤	٥٣
ولقد كنّا مع رسول الله	٥٦	٥٦	٥٥	٥٤
أمّا إنّه سيظهر عليكم	٥٧	٥٧	٥٦	٥٥
أصابكم حاصب	٥٨	٥٨	٥٧	٥٦
مصارعهم دون	٥٩	٥٩	٥٨	٥٧
كلاّ والله إنّهم	٦٠	٦٠	٥٩	٥٧
لا تقاتلوا الخوارج	٦١	٦١	٦٠	٥٧
وإنّ عليّ من الله	٦٢	٦٢	٦١	٥٨
ألا وإنّ الدّنيا	٦٣	٦٣	٦٢	٥٩
فاتّقوا الله عباد الله	٦٤	٦٤	٦٣	٦٠
الحمد لله الّذي لم	٦٥	٦٥	٦٤	٦١
معاشر المسلمين	٦٦	٦٦	٦٥	٦٢
فهلاّ احتججتم	٦٧	٦٧	٦٦	٦٣
ولقد أردت تولية	٦٨	٦٨	٦٧	٦٤
كم أداريكم كما تدارى	٦٩	٦٩	٦٨	٦٥
ملكتني عيني	٧٠	٧٠	٦٩	٦٦
أمّا بعد يا أهل العراق	٧١	٧١	٧٠	٦٧
اللّهمّ داحي المدحوّات	٧٢	٧٢	٧١	٦٨
أولم يبايعني	٧٣	٧٣	٧٢	٦٩
ولقد علمتم أنّي أحقّ	٧٤	٧٤	٧٣	٧٠
أولم ينه بني أميّة	٧٥	٧٥	٧٤	٧١
رحم الله امرأ	٧٦	٧٦	٧٥	٧٢
إنّ بني أميّة	٧٧	٧٧	٧٦	٧٣
اللّهمّ اغفر لي	٧٨	٧٨	٧٧	٧٤
أتزعم أنّك تهدي	٧٩	٧٩	٧٨	٧٥
معاشر النّاس	٨٠	٨٠	٧٩	٧٦
أيّها النّاس الزّهادة	٨١	٨١	٨٠	٧٧
ما أصف من دار أوّلها	٨٢	٨٢	٨١	٧٨
الحمد لله الّذي علا	٨٣	٨٣	٨٢	٧٩

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
عجباً لابن النّابغة	٨٤	٨٤	٨٣	٨٠
وأشهد أن لا إله إلاّ الله	٨٥	٨٥	٨٤	٨١
قد علم السّرائر	٨٦	٨٦	٨٥	٨٢
عباد الله إنّ من	٨٧	٨٧	٨٦	٨٣
أمّا بعد فإنّ الله	٨٨	٨٨	٨٧	٨٤
أرسله على حين	٨٩	٨٩	٨٨	٨٥
الحمد لله المعروف	٩٠	٩٠	٨٩	٨٦
الحمد لله الّذي لا يفره	٩١	٩١	٩٠	٨٧
دعوني والتمسوا غيري	٩٢	٩٢	٩١	٨٨
أمّا بعد حمد الله	٩٣	٩٣	٩٢	٨٩
فتبارك الله الّذي	٩٤	٩٤	٩٣	٩٠
بعثه والنّاس	٩٥	٩٥	٩٤	٩١
الحمد لله الأوّل	٩٦	٩٦	٩٥	٩١
ولئن أمهل الظّالم	٩٧	٩٧	٩٦	٩٢
والله لا يزالون	٩٨	٩٨	٩٧	٩٣
نحمده على ما كان	٩٩	٩٩	٩٨	٩٤
الحمد لله النّاشر	١٠٠	١٠٠	٩٩	٩٤
الحمد لله الأوّل	١٠١	١٠١	١٠٠	٩٥
وذلك يوم	١٠٢	١٠٢	١٠١	٩٦
أيّها النّاس انظروا	١٠٣	١٠٣	١٠٢	٩٧
أمّا بعد فإنّ الله سبحانه	١٠٤	١٠٤	١٠٣	٩٨
حتّى بعث محمّداً	١٠٥	١٠٥	١٠٤	٩٩
الحمد لله الّذي شرع	١٠٦	١٠٦	١٠٥	١٠٠
ولقد رأيت جولتكم	١٠٧	١٠٧	١٠٦	١٠١
الحمد لله المتجلّي	١٠٨	١٠٨	١٠٧	١٠٢
كلّ شيء خاشع له	١٠٩	١٠٩	١٠٨	١٠٣
إنّ أفضل ما توسّل	١١٠	١١٠	١٠٩	١٠٤
أمّا بعد فإنّي أحذّركم	١١١	١١١	١١٠	١٠٥
هل تحسّ به إذا دخل	١١٢	١١٢	١١١	١٠٦

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
واحذّركم الدنيا	١١٣	١١٣	١١٢	١٠٧
الحمد لله الواصل	١١٤	١١٤	١١٣	١٠٨
اللّهم قد انصاحت	١١٥	١١٥	١١٤	١٠٩
أرسله داعياً	١١٦	١١٦	١١٥	١١٠
فلا أموال	١١٧	١١٧	١١٦	١١١
أنتم الأنصار	١١٨	١١٨	١١٧	١١٢
ما بالكم أمخرسون	١١٩	١١٩	١١٨	١١٣
تا الله لقد عُلّمت	١٢٠	١٢٠	١١٩	١١٤
هذا جزاء من ترك	١٢١	١٢١	١٢٠	١١٥
اكلكم شهد معنا	١٢٢	١٢٢	١٢١	١١٦
وأيّ أمريّ منكم	١٢٣	١٢٣	١٢٢	١١٧
وكأنّي انظر	١٢٣	١٢٣	١٢٣	١١٧
فقدّموا الدّارع	١٢٤	١٢٤	١٢٤	١١٨
انّا لم نحكّم الرجال	١٢٥	١٢٥	١٢٥	١١٩
أتأمرونّي ان اطلب	١٢٦	١٢٦	١٢٦	١٢٠
فان ابيتم الّا	١٢٧	١٢٧	١٢٧	١٢١
يا أحنف	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٢٢
عباد الله انكم	١٢٩	١٢٩	١٢٩	١٢٣
يا ابا ذر	١٣٠	١٣٠	١٣٠	١٢٤
أيتها النّفوس	١٣١	١٣١	١٣١	١٢٥
نحمده على ما أخذ	١٣٢	١٣٢	١٣٢	١٢٦
وانقادت	١٣٣	١٣٣	١٣٣	١٢٧
وقد توكّل الله	١٣٤	١٣٤	١٣٤	١٢٨
يابن اللعين الأبتر	١٣٥	١٣٥	١٣٥	١٢٩
لم تكن بيعتكم	١٣٦	١٣٦	١٣٦	١٣٠
والله ما أنكروا	١٣٧	١٣٧	١٣٧	١٣١
يعطف الهوى	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٢
لم يسرع احد قبلي	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٣
وانّما ينبغي	١٤٠	١٤٠	١٤٠	١٣٤

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
أيها النّاس من	١٤١	١٤١	١٤١	١٣٥
وليس لواضع المعروف	١٤٢	١٤٢	١٤٢	١٣٦
الا وانّ الارض	١٤٣	١٤٣	١٤٣	١٣٦
بعث الله رسله	١٤٤	١٤٤	١٤٤	١٣٧
أيها النّاس انّما انتم	١٤٥	١٤٥	١٤٥	١٣٨
انّ هذا الأمر لم يكن	١٤٦	١٤٦	١٤٦	١٣٩
ابعث الله محمّداً	١٤٧	١٤٧	١٤٧	١٤٠
كلّ واحدٍ منهما	١٤٨	١٤٨	١٤٨	١٤١
أيها النّاس كلّ امرئ	١٤٩	١٤٩	١٤٩	١٤٢
وأخذوا يميناً	١٥٠	١٥٠	١٥٠	١٤٣
وأحمد الله وأستعينه	١٥١	١٥١	١٥١	١٤٤
الحمد لله الدّالّ	١٥٢	١٥٢	١٥٢	١٤٥
فهو في مهلة من الله	١٥٣	١٥٣	١٥٣	١٤٦
وناظر قلب اللّبيب	١٥٤	١٥٤	١٥٤	١٤٧
الحمد لله الّذي انحسرت	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٤٨
لمن استطاع عنده	١٥٦	١٥٦	١٥٧	١٤٩
الحمد لله الّذي جعل	١٥٧	١٥٧	١٥٨	١٥٠
أرسله على حين	١٥٨	١٥٨	١٥٩	١٥١
ولقد أحسنت	١٥٩	١٥٩	١٦٠	١٥٢
امره قضاء	١٦٠	١٦٠	١٦١	١٥٣
بعثه بالنّور المضيء	١٦١	١٦١	١٦٢	١٥٤
يا أخا بني اسد	١٦٢	١٦٢	١٦٣	١٥٥
الحمد لله خالق العباد	١٦٣	١٦٣	١٦٤	١٥٦
انّ النّاس وراني	١٦٤	١٦٤	١٦٥	١٥٧
ابتدعهم خلقاً	١٦٥	١٦٥	١٦٦	١٥٨
ليتأسّ صغيركم	١٦٦	١٦٦	١٦٧	١٥٩
ان الله تعالى انزل	١٦٧	١٦٧	١٦٨	١٦٠
يا اخوتاه	١٦٨	١٦٨	١٦٩	١٦١
انّ الله بعث رسولاً	١٦٩	١٦٩	١٧٠	١٦٢

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
لرأيت لو لن الذين	١٧٠	١٧٠	١٧١	١٦٣
اللهم رب السقف	١٧١	١٧١	١٧٢	١٦٤
الحمد لله الذي لا توارى	١٧٢	١٧٢	١٧٣	١٦٥
امين وحيه	١٧٣	١٧٣	١٧٤	١٦٦
قد كنت وما اهدد	١٧٤	١٧٤	١٧٥	١٦٧
أيها الناس غير المغفول	١٧٥	١٧٥	١٧٦	١٦٨
انتفعوا ببيان الله	١٧٦	١٧٦	١٧٧	١٦٩
فأجمع رأي ملئكم	١٧٧	١٧٧	١٧٨	١٧٠
لا يشغله شأن	١٧٨	١٧٨	١٧٩	١٧١
لا تدركه العيون	١٧٩	١٧٩	١٨٠	١٧٢
أحمد الله على ما قضى	١٨٠	١٨٠	١٨١	١٧٣
بعداً لهم كما بعدت	١٨١	١٨١	١٨٢	١٧٤
الحمد لله الذي اليه	١٨٢	١٨٢	١٨٣	١٧٥
الحمد لله المعروف	١٨٣	١٨٣	١٨٤	١٧٦
أسكت قبحك الله	١٨٤	١٨٤	١٨٥	١٧٧
الحمد لله الذي لا تدركه	١٨٥	١٨٥	٢٣١	١٧٨
ما وحدّه من كيّفه	١٨٦	١٨٦	٢٣٢	١٧٩
ألا بأبي وأمّي	١٨٧	١٨٧	٢٣٣	١٨٠
أوصيكم أيها الناس	١٨٨	١٨٨	٢٣٤	١٨١
فمن الايمان	١٨٩	١٨٩	٢٣٥	١٨٢
أحمده شكراً	١٩٠	١٩٠	٢٣٦	١٨٣
الحمد لله الفاشي	١٩١	١٩١	٢٣٧	١٨٤
الحمد لله الذي لبس	١٩٢	١٩٢	٢٣٨	١٨٥
أمّا بعد فان الله	١٩٣	١٩٣	١٨٦	١٨٦
نحمده على ما	١٩٤	١٩٤	١٨٧	١٨٧
الحمد لله الذي اظهر	١٩٥	١٩٥	١٨٨	١٨٨
بعثه حين علم	١٩٦	١٩٦	١٨٩	١٨٩
ولقد علم المستحفظون	١٩٧	١٩٧	١٩٠	١٩٠
يعلم عجيج الوحوش	١٩٨	١٩٨	١٩١	١٩١
تعاهدوا امر الصلوة	١٩٩	١٩٩	١٩٢	١٩٢

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
والله ما معاوية بأدهى	٢٠٠	٢٠٠	١٩٣	١٩٣
أيها الناس لا	٢٠١	٢٠١	١٩٤	١٩٤
السلام عليك يا رسول الله	٢٠٢	٢٠٢	١٩٥	١٩٥
أيها الناس انما الدنيا	٢٠٣	٢٠٣	١٩٦	١٩٦
تجهزوا رحمكم الله	٢٠٤	٢٠٤	١٩٧	١٩٧
لقد نقمتما يسيراً	٢٠٥	٢٠٥	١٩٨	١٩٨
اني اكره لكم	٢٠٦	٢٠٦	١٩٩	١٩٩
املكوا عني هذا	٢٠٧	٢٠٧	٢٠٠	٢٠٠
ايها الناس انه لم يزل	٢٠٨	٢٠٨	٢٠١	٢٠١
ما كنت تصنع	٢٠٩	٢٠٩	٢٠٢	٢٠٢
ان في ايدي الناس	٢١٠	٢١٠	٢٠٣	٢٠٣
وكان من اقتدار	٢١١	٢١١	٢٠٤	٢٠٤
اللهم ايما عبد	٢١٢	٢١٢	٢٠٥	٢٠٥
الحمد لله العلي	٢١٣	٢١٣	٢٠٦	٢٠٦
واشهد انه عدل	٢١٤	٢١٤	٢٠٧	٢٠٧
الحمد لله الذي لم يصبح	٢١٥	٢١٥	٢٠٨	٢٠٨
امّا بعد فقد جعل الله	٢١٦	٢١٦	٢٠٩ و٢١٠	٢٠٩
اللهم اني استعديك	٢١٧	٢١٧	٢١١	٢١٠
لقدّموا على عشائي	٢١٨	٢١٨	٢١٢	٢١٠
لقد أصبح ابو محمد	٢١٩	٢١٩	٢١٣	٢١١
قد أحيا عقله	٢٢٠	٢٢٠	٢١٤	٢١٢
يا له مراماً	٢٢١	٢٢١	٢١٦	٢١٣
ان الله سبحانه وتعالى	٢٢٢	٢٢٢	٢١٧	٢١٤
أدحض مسؤول	٢٢٢	٢٢٣	٢١٨	٢١٥
والله لأن أبيت على	٢٢٤	٢٢٤	٢١٩	٢١٦
اللهم صن وجهي	٢٢٥	٢٢٥	٢٢٠	٢١٧
دار بالبلاء محفوفة	٢٢٦	٢٢٦	٢٢١	٢١٨
اللهم انك آنس	٢٢٧	٢٢٧	٢٢٢	٢١٩
لله بلاء فلان	٢٢٨	٢٢٨	٢٢٣	٢٢٠

فواتح الخطب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
وسطتم بعدي	٢٢٩	٢٢٩	٢٢٤	٢٢١
انّ تقوى الله	٢٣٠	٢٣٠	٢٢٥	٢٢٢
فصدع بما أمر به	٢٣١	٢٣١	٢٢٦	٢٢٣
انّ هذا المال	٢٣٢	٢٣٢	٢٢٧	٢٢٤
ألا ان اللّسان	٢٣٣	٢٣٣	٢٢٨	٢٢٥
انّما فرّق بينهم	٢٣٤	٢٣٤	٢٢٩	٢٢٦
بابي أنت وامّي	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٠	٢٢٧
فجعلت اتبع مأخذ	٢٣٦	٢٣٦	٢٤٠	٢٢٨
فاعملوا وانتم	٢٣٧	٢٣٧	٢٤١	٢٢٩
جفاة طغام	٢٣٨	٢٣٨	٢٤٢	٢٣٠
هم عيش العلم	٢٣٩	٢٣٩	٢٤٣	٢٣١
يابن عبّاس	٢٤٠	٢٤٠	٢٣٩	٢٣٢
والله مستأديكم	٢٤١	٢٤١	٢١٥	٢٣٣

جدول اختلاف ارقام كتبه ﷺ

فواتح الكتب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
من عبد الله عليّ	١	١	١	١
وجزاكم الله	٢	٢	٢	٢
بلغني انّك	٣	٣	٣	٣
فان عادوا	٤	٤	٤	٤
وانّ عملك	٥	٥	٥	٥
انّه بايعني	٦	٦	٦	٦
امّا بعد فقد أتتني	٧	٧	٧	٧
امّا بعد فاذا اتاك	٨	٨	٨	٨
فاراد قومنا	٩	٩	٩	٩
وكيف انت صانع	١٠	١٠	١٠	١٠
فاذا نزلتم	١١	١١	١١	١١
اتق الله الذي	١٢	١٢	١٢	١٢
وقد أمرت عليكما	١٢	١٣	١٣	١٣
لا تقاتلوهم	١٤	١٤	١٤	١٤
اللّهم انّك	١٥	١٥	١٥	١٥
لا تشتدّنّ عليكم	١٦	١٦	١٦	١٦
وامّا طلبك اليّ	١٧	١٧	١٧	١٧
اعلم انّ البصرة	١٨	١٨	١٨	١٨
امّا بعد فانّ دهاقين	١٩	١٩	١٩	١٩
وانّي اقسم بالله	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
فدع الاسراف	٢١	٢١	٢١	٢١
امّا بعد فانّ المرء	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
وصيّتي لكم	٢٣	٢٣	٢٣	٣٣
هذا ما أمر به	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
انطلق على تقوى الله	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
آمره بتقوى الله	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
فاخفض لهم	٣٧	٣٧	٢٧	٢٧
امّا بعد فقد اتاني	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
وقد كان من انتشار	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
فاتق الله في ما	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
من الوالد الفان	٣١	٣١	٣١	٣١
ولو رديت جيلاً	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
اما بعد فانّ عيني	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
أما بعد فقد بلغني	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
امّا بعد فانّ مصر	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
فسرّحت اليه	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
فسبحان الله	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
من عبد الله علي	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
فانّك جعلت دينك	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
امّا بعد فقد بلغني	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
امّا بعد فانّي كنت	٤١	٤١	٤١	٤١
امّا بعد فانّي ولّيت	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢

فواتح الكتب	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
بلغني عنك	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
وقد عرفت	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
أما بعد يا ابن حنيف	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
أمّا بعد فإنك ممن	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
أوصيكما بتقوى الله	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
وإنّ البغي	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
أمّا بعد فإنّ الدنيا	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
أما بعد فإن حقا	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
أما بعد فإنّ من	٥١	٥١	٥١	٥١
أما بعد فصلّوا	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
هذا ما أمر به	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
أما بعد فقد علمتما	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
أمّا بعد فإنّ الله سبحانه	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
اتّق الله في كل	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
أمّا بعد فإنّي خرجت	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
وكان بدء أمرنا	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
أمّا بعد فإنّ الوالي	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
أمّا بعد فإنّي قد سيّرت	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
أمّا بعد فإنّ تضييع	٦١	٦١	٦١	٦١
أمّا بعد فإنّ الله سبحانه	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
أمّا بعد فقد بلغني عنك	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
أمّا بعد فإنا كنا نحن	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
أمّا بعد فقد آن لك	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
أمّا بعد فإنّ المرء ليفرح	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
أمّا بعد فأقم للناس الحج	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
أمّا بعد فإنّما مثل الدّنيا	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
وتمسّك بحبل القرآن	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
أمّا بعد فقد بلغني	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
أمّا بعد فإنّ صلاح	٧١	٧١	٧١	٧١
أمّا بعد فإنك لست	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
أمّا بعد فإنّي على التردد	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
هذا ما اجتمع عليه	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
أما بعد فقد علمت	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
سع النّاس	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
لا تخاصمهم	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
فإن النّاس	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
أما بعد فإنما أهلك	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩

جدول اختلاف ارقام حكمه ؑ

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
كن في الفتنة	١	١	١	١
أزرى بنفسه	٢	٢	٢	٢
البخل عار	٣	٣	٣	٣
العجز آفة	٤	٤	٤	٣
العلم وراثة	٥	٥	٥	٤
صدر العاقل	٦	٦	٦	٥
الصدقة دواء	٧	٧	٧	٦
اعجبوا لهذا الانسان	٨	٨	٨	٧
اذا أقبلت	٩	٩	٩	٨
خالطوا النّاس	١٠	١٠	١٠	٩
اذا قدرت	١١	١١	١١	١٠
أعجز النّاس	١٢	١٢	١٢	١١
اذا وصلت	١٣	١٣	١٤	١٢
من ضيّعه الأقرب	١٤	١٤	١٥	١٣
ما كلّ مفتون	١٥	١٥	١٦	١٤
تذلّ الأمور	١٦	١٦	١٧	١٥
غيّروا الشيب	١٧	١٧	١٨	١٦

لواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
خذلوا الحق	١٨	١٨	١٣	١٧
من جرى في عنان	١٩	١٩	١٩	١٨
اقيلوا ذوي المرؤات	٢٠	٢٠	٢٠	١٩
قرنت الهيبة	٢١	٢١	٢١	٢٠
لنا حق	٢٢	٢٢	٢٢	٢١
من ابطأ به	٢٣	٢٣	٢٣	٢٢
من كفارات الذنوب	٢٤	٢٤	٢٤	٢٣
يا بن آدم	٢٥	٢٥	٢٥	٢٤
ما اضمر أحد	٢٦	٢٦	٢٦	٢٥
امش بدائك	٢٧	٢٧	٢٧	٢٦
افضل الزهد	٢٨	٢٨	٢٨	٢٧
اذا كنت في ادبار	٢٩	٢٩	٢٩	٢٨
الحذر الحذر	٣٠	٣٠	٣٠	٢٩
الايمان على اربع	٣١	٣١	٣١	٣٠
الكفر على اربع	٣١	٣١	٣١	٣١
فاعل الخير	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
كن سمحاً	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
اشرف الغنى	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
من أسرع الى الناس	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
من أطال الأمل	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
والله ما ينتفع	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
يا بني احفظ	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
لا قربة بالنوافل	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
لسان العاقل	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
قلب الأحمق	٤١	٤١	٤٠	٤١
جعل الله	٤٢	٤٢	٤١	٤٢
يرحم الله خبّاب	٤٣	٤٣	٤٢	٤٣
طوبى لمن	٤٤	٤٤		٤٤
لو ضربت	٤٥	٤٥	٤٣	٤٥
سيّئة تسوؤك	٤٦	٤٦	٤٤	٤٦

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
قدر الرّجل	٤٧	٤٧	٤٥	٤٧
الظفر بالحزم	٤٨	٤٨	٤٦	٤٨
احذروا	٤٩	٤٩	٤٧	٤٩
قلوب الرجال	٥٠	٥٠	٤٨	٥٠
عيبك مستور	٥١	٥١	٤٩	٥١
أولى الناس	٥٢	٥٢	٥٠	٥٢
السخاء ما كان	٥٣	٥٣	٥١	٥٣
لا غنى كالعقل	٥٤	٥٤	٥٢	٥٤
الصبر صبران	٥٥	٥٥	٥٣	٥٥
الغنى في الغربة	٥٦	٥٦	٥٤	٥٦
القناعة	٥٧	٥٧	٥٥	٥٧
المال مادة	٥٨	٥٨	٥٦	٥٩
من حذّرك	٥٩	٥٩	٥٧	٦٠
اللّسان سبع	٦٠	٦٠	٥٨	٦١
المرأة	٦١	٦١	٥٩	٦٢
اذا حييت	٦٢	٦٢	٦٠	٥٨
الشفيع جناح	٦٣	٦٣	٦١	٦٣
اهل الدنيا	٦٤	٦٤	٦٢	٦٤
فقد الأحبة	٦٥	٦٥	٦٣	٦٥
فوت الحاجة	٦٦	٦٦	٦٤	٦٦
لا تستح من اعطاء	٦٧	٦٧	٦٥	٦٧
العفاف	٦٨	٦٨	٦٦	٦٨
اذا لم يكن	٦٩	٦٩	٦٧	٦٩
لا ترى الجاهل	٧٠	٧٠	٦٨	٧٠
اذا تمّ العقل	٧١	٧١	٦٩	٧١
الدّهر يخلق	٧٢	٧٢	٧٠	٧٢
من نصب نفسه	٧٣	٧٣	٧١	٧٣
نفس المرء	٧٤	٧٤	٧٢	٧٤
كلّ معدود	٧٥	٧٥	٧٣	٧٥
انّ الأمور	٧٦	٧٦	٧٤	٧٦

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
يا دنيا يا دنيا	٧٧	٧٧	٧٥	٧٧
ويحك	٧٨	٧٨	٧٦	٧٨
خذ الحكمة	٧٩	٧٩	٧٧	٧٩
الحكمة ضالة المؤمن	٨٠	٨٠	٧٧	٨٠
قيمة كل امرئ	٨١	٨١	٧٨	٨١
اوصيكم بخمس	٨٢	٨٢	٧٩	٨٢
انا دون ما تقول	٨٣	٨٣	٨٠	٨٣
بقية السيف	٨٤	٨٤	٨١	٨٤
من ترك قول	٨٥	٨٥	٨٢	٨٥
رأي الشيخ	٨٦	٨٦	٨٣	٨٦
عجبت لمن	٨٧	٨٧	٨٤	٨٧
كان في الأرض	٨٨	٨٨	٨٥	٨٨
من أصلح	٨٩	٨٩	٨٦	٨٩
الفقيه	٩٠	٩٠	٨٧	٩٠
انّ هذه القلوب	٩١	٩١	٨٨	٩١
اوضع العلم	٩٢	٩٢	٨٩	٩٢
لا يقولنّ احدكم	٩٣	٩٣	٩٠	٩٣
ليس الخير	٩٤	٩٤	٩١	٩٤
لا يقلّ	٩٥	٩٥	٩١	٩٥
انّ اولى الناس	٩٦	٩٦	٩١	٩٦
انّ وليّ محمّد (ص)	٩٦	٩٦	٩٢	٩٦
نوم على يقين	٩٧	٩٧	٩٣	٩٧
اعقلوا الخبر	٩٨	٩٨	٩٤	٩٨
انّ قولنا	٩٩	٩٩	٩٥	٩٩
اللّهم انّك	١٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠
لا يستقيم قضاء	١٠١	١٠١	٩٧	١٠١
يأتي على الناس	١٠٢	١٠٢	٩٨	١٠٢
يطلع له القلب	١٠٣	١٠٣	٩٩	١٠٣
انّ الدنيا والآخرة	١٠٤	١٠٣	١٠٠	١٠٣

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
طوبى للزاهدين	١٠٥	١٠٤	١٠١	١٠٥
انّ الله افترض	١٠٦	١٠٥	١٠٢	١٠٦
لا يترك الناس	١٠٧	١٠٦	١٠٣	١٠٧
ربّ عالم	١٠٨	١٠٧	١٠٤	١٠٨
لقد علّق	١٠٩	١٠٨	١٠٥	١٠٩
نحن النمرقة	١١٠	١٠٩	١٠٦	١١٠
لا يقيم امر الله	١١١	١١٠	١٠٧	١١١
لو أحبّني	١١٢	١١١	١٠٨	١١٢
من أحبّنا	١١٣	١١٢	١٠٨	١١٣
لا مال أعود	١١٤	١١٣	١٠٩	١١٤
اذا استولى	١١٥	١١٤	١١٠	١١٥
كيف يكون	١١٦	١١٥	١١١	١١٦
كم من مستدرج	١١٧	١١٦	١١٢	١١٧
هلك فيّ رجلان	١١٨	١١٧	١١٣	١١٨
اضاعة الفرصة	١١٩	١١٨	١١٤	١١٩
مثل الدنيا	١٢٠	١١٩	١١٥	١٢٠
انا بنو مخزوم	١٢١	١٢٠	١١٦	١٢١
شتّان ما بين العملين	١٢٢	١٢١	١١٧	١٢٢
كأنّ الموت	١٢٣	١٢٢	١١٨	١٢٣
طوبى لمن ذلّ	١٢٤	١٢٣	١١٨	١٢٤
غيرة المرأة	١٢٥	١٢٤	١١٩	١٢٥
لأنسبنّ الاسلام	١٢٦	١٢٥	١٢٠	١٢٦
عجبت للبخيل	١٢٧	١٢٦	١٢١	١٢٧
من قصّر في العمل	١٢٨	١٢٧	١٢٢	١٢٨
لا حاجة لله	١٢٩	١٢٧	١٢٣	١٢٨
توقّوا البرد	١٣٠	١٢٨	١٢٤	١٢٩
عظم الخالق	١٣١	١٢٩	١٢٥	١٣٠
يا اهل الدّيار	١٣٢	١٣٠	١٢٦	١٣١
أيّها الذّام	١٣٣	١٣١	١٢٧	١٣٢

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
إن له ملكاً	١٣٤	١٣٢	١٢٨	١٣٣
الدُّنيا دار ممر	١٣٥	١٣٣	١٢٩	١٣٤
لا يكون الصّديق	١٣٦	١٣٤	١٣٠	١٣٥
من أُعطي أربعاً	١٣٧	١٣٥	١٣١	١٣٦
الصلوة قربان	١٣٨	١٣٦	١٣٢	١٣٧
استنزلوا الرزق	١٣٩	١٣٧	١٣٣	١٣٨
من أيقن	١٤٠	١٣٨	١٣٤	١٣٩
تنزل المعونة	١٤١	١٣٩	١٣٥	١٤٠
ما عال	١٤٢	١٤٠	١٣٦	١٤١
قلّة العيال	١٤٣	١٤١	١٣٧	١٤٢
التودد	١٤٤	١٤٢	١٣٨	١٤٢
الهمّ نصف الهرم	١٤٥	١٤٣	١٣٩	١٤٣
ينزل الصّبر	١٤٦	١٤٤	١٤٠	١٤٤
كم من صائم	١٤٧	١٤٥	١٤١	١٤٥
سوسوا إيمانكم	١٤٨	١٤٦	١٤٢	٤٦
يا كميل	١٤٩	١٤٧	١٤٣	١٤٧
المرء مخبوء	١٥٠	١٤٨	١٤٤	١٤٨
هلك امرؤ	١٥١	١٤٩	١٤٥	١٤٩
لا تكن	١٥٢	١٥٠	١٤٦	١٥٠
لكلّ امرئٍ	١٥٣	١٥١	١٤٧	١٥١
لكلّ مقبل	١٥٤	١٥٢	١٤٩	١٥٢
لا يَعْدَمُ الصّبور	١٥٥	١٥٣	١٥٠	١٥٣
الراضي بفعل قوم	١٥٦	١٥٤	١٤٨	١٥٤
اعتصموا	١٥٧	١٥٥	١٥٦	١٥٥
عليكم بطاعة	١٥٨	١٥٦	١٥٧	١٥٦
وقد بُصّرتم	١٥٩	١٥٧	١٥٩	١٥٧
عاتب أخاك	١٦٠	١٥٨	١٦٠	١٥٨
من وضع	١٦١	١٥٩	١٦١	١٥٩
من ملك	١٦٢	١٦٠	١٦٢	١٦٠

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
من استبدّ	١٦٣	١٦١	١٦٣	١٦١
من كتم	١٦٤	١٦٢	١٦٤	١٦٢
الفقر	١٦٥	١٦٣	١٦٥	١٦٣
من قضى	١٦٦	١٦٤	١٦٦	١٦٤
لا طاعة	١٦٧	١٦٥	١٦٧	١٦٥
لا يعاب المرء	١٦٨	١٦٦	١٦٨	١٦٦
الإعجاب	١٦٩	١٦٧	١٦٩	١٦٧
الأمر قريب	١٧٠	١٦٨	١٧٠	١٦٨
قد أضاء	١٧١	١٦٩	١٧١	١٦٩
ترك الذّنب	١٧٢	١٧٠	١٧٢	١٧٠
كم من أكلة	١٧٣	١٧١	١٧٣	١٧١
النّاس أعداء	١٧٤	١٧٢	١٧٤	١٧٢
من استقبل	١٧٥	١٧٣	١٧٥	١٧٣
من أحدّ	١٧٦	١٧٤	١٧٦	١٧٤
اذا هبت	١٧٧	١٧٥	١٧٧	١٧٥
آلة الرياسة	١٧٨	١٧٦	١٧٨	١٧٦
ازجر المسيء	١٧٩	١٧٧	١٧٩	١٧٧
احصدُ الشر	١٨٠	١٧٨	١٨٠	١٧٨
اللّجاجة	١٨١	١٧٩	١٨١	١٧٩
الطمع	١٨٢	١٨٠	١٨٢	١٨٠
ثمرة التفريط	١٨٣	١٨١	١٨٣	١٨١
لا خير في الصّمت	١٨٤	١٨٢	١٨٧	١٨٢
ما اختلفت	١٨٥	١٨٣	١٥١	١٨٣
ما شككت	١٨٦	١٨٤	١٥٨	١٨٤
ما كذبت	١٨٧	١٨٥	١٥٢	١٨٥
للظالم البادي	١٨٨	١٨٦	١٥٣	١٨٦
الرّحيل	١٨٩	١٨٧	١٥٤	١٨٧
من أبدى	١٩٠	١٨٨	١٥٥	١٨٨
من لم يُنجه	١٩١	١٨٩	١٨٤	١٨٩

قوائم الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
وإعجابه	١٩٢	١٩٠	١٨٥	١٩٠
إنّما المرء	١٩٣	١٩١	١٨٦	١٩١
يابن آدم	١٩٤	١٩٢	١٨٨	١٩٢
إنّ للقلوب	١٩٥	١٩٣	١٨٩	١٩٣
متى أشفي	١٩٦	١٩٤	١٩٠	١٩٤
هذا ما بخل	١٩٧	١٩٥	١٩١	١٩٥
لم يذهب	١٩٨	١٩٦	١٩٢	١٩٧
إنّ هذه القلوب	١٩٩	١٩٧	١٩٣	١٩٨
كلمة حق	٢٠٠	١٩٨	١٩٤	١٩٩
هم الّذين	٢٠١	١٩٩	١٩٥	٢٠٠
لا مرحباً	٢٠٢	٢٠٠	١٩٦	٢٠١
إنّ مع كلّ انسان	٢٠٣	٢٠١	١٩٧	٢٠٢
لا ولكنّكما	٢٠٤	٢٠٢	١٩٨	٢٠٣
أيّها النّاس	٢٠٥	٢٠٣	١٩٩	٢٠٤
لا يزهدنك	٢٠٦	٢٠٤	٢٠٠	٢٠٥
كلّ وعاء	٢٠٧	٢٠٥	٢٠١	٢٠٦
أول عوض	٢٠٨	٢٠٦	٢٠٢	٢٠٧
إن لم يكن حليماً	٢٠٩	٢٠٧	٢٠٣	٢٠٨
من حاسب نفسه	٢١٠	٢٠٨	٢٠٤	٢٠٩
لتعطفن	٢١١	٢٠٩	٢٠٥	٢١٠
اتقوا الله	٢١٢	٢١٠	٢٠٦	٢١١
الجود	٢١٣	٢١١	٢٠٧	٢١٢
عجب المرء	٢١٤	٢١٢	٢٠٨	٢١٣
أغض على	٢١٥	٢١٣	٢٠٩	٢١٤
من لان عوده	٢١٦	٢١٤	٢١٠	٢١٥
الخلاف	٢١٧	٢١٥	٢١١	٢١٦
من نال	٢١٨	٢١٦	٢١٢	٢١٧
في تقلّب	٢١٩	٢١٧	٢١٣	٢١٨
حسد الصّديق	٢٢٠	٢١٨	٢١٤	٢١٩

قوائم الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
أكثر مصارع	٢٢١	٢١٩	٢١٥	٢٢٠
ليس من العدل	٢٢٢	٢٢٠	٢١٦	٢٢١
بئس الزّاد	٢٢٣	٢٢١	٢١٧	٢٢٢
من أشرف	٢٢٤	٢٢٢	٢١٨	٢٢٣
من كساهُ	٢٢٥	٢٢٣	٢١٩	٢٢٤
بكثرة الصّمت	٢٢٦	٢٢٤	٢٢٠	٢٢٥
العيب	٢٢٧	٢٢٥	٢٢١	٢٢٦
الطامع	٢٢٨	٢٢٦	٢٢٢	٢٢٧
الايمان	٢٢٩	٢٢٧	٢٢٣	٢٢٨
من أصبح	٢٣٠	٢٢٨	٢٢٤	٢٢٩
كفى بالقناعة	٢٣١	٢٢٩	٢٢٥و٢٢٦	٢٣٠
شاركوا	٢٣٢	٢٣٠	٢٢٧	٢٣٢
إنّ الله	٢٣٣	٢٣١	٢٢٨	٢٣٣
من يعط	٢٣٤	٢٣٢	٢٢٩	٢٣٤
لا تدعون	٢٣٥	٢٣٣	٢٣٠	٢٣٥
خيار خصال	٢٣٦	٢٣٤	٢٣١	٢٣٦
هو الّذي	٢٣٧	٢٣٥	٢٣٢	٢٣٧
والله لدنياكم	٢٣٨	٢٣٦	٢٣٣	٢٣٨
إنّ قوماً	٢٣٩	٢٣٧	٢٣٤	٢٣٩
المرأة	٢٤٠	٢٣٨	٢٣٥	٢٤٠
من أطاع	٢٤١	٢٣٩	٢٣٦	٢٤١
الحجر الغصيب	٢٤٢	٢٤٠	٢٣٧	٢٤٢
يوم المظلوم	٢٤٣	٢٤١	٢٣٨	٢٤٣
إتّق الله	٢٤٤	٢٤٢	٢٣٩	٢٤٤
إذا ازدحم	٢٤٥	٢٤٣	٢٤٠	٢٤٥
إنّ لله	٢٤٦	٢٤٤	٢٤١	٢٤٦
اذا كثرت	٢٤٧	٢٤٥	٢٤٢	٢٤٧
احذروا	٢٤٨	٢٤٦	٢٤٣	٢٤٨
الكرم	٢٤٩	٢٤٧	٢٤٤	٢٤٩

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
من ظنّ	٢٥٠	٢٤٨	٢٤٥	٢٥٠
أفضل الاعمال	٢٥١	٢٤٩	٢٤٦	٢٥١
عرفت	٢٥٢	٢٥٠	٢٤٧	٢٥٢
مرارة الدّنيا	٢٥٣	٢٥١	٢٤٨	٢٥٣
فرض الله	٢٥٤	٢٥٢	٢٤٩	٢٥٤
أحلفوا الظالم	٢٥٥	٢٥٣	٢٥٠	٢٥٥
يابن آدم	٢٥٦	٢٥٤	٢٥١	٢٥٦
الحدّة	٢٥٧	٢٥٥	٢٥٢	٢٥٧
صحّة الجسد	٢٥٨	٢٥٦	٢٥٣	٢٥٨
يا كميل	٢٥٩	٢٥٧	٢٥٤	٢٥٩
انا لملكم	٢٦٠	٢٥٨	٢٥٥	٢٦٠
الوفاء	٢٦١	٢٥٩	٢٥٦	٢٦١
كم من	٢٦٢	٢٦٠	٢٥٧	٢٦٢

جدول اختلاف ارقام غريب كلامه ﷺ

فواتح غريب كلامه ﷺ	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
فاذا كان ذلك	١	١	٢٥٨	١
هذا الخطيب	٢	٢	٢٥٩	٢
ان للخصومة	٣	٣	٢٦٠	٣
اذا بلغ النساء	٤	٤	٢٦١	٤
انّ الايمان	٥	٥	٢٦٢	٥
انّ الرجل	٦	٦	٢٦٣	٦
اعزبوا عن النساء	٧	٧	٢٦٤	٧
كالياسر	٨	٨	٢٦٥	٨
كنّا اذا أحمرّ	٩	٩	٢٦٦	٩

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
والله ما تكفرتي	٢٦٢	٢٦١	٢٦٧	٢٦٣

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن ابي الحديد	محمد عبده
يا حارث	٢٦٤	٢٦٢	٢٦٨	٢٦٤
صاحب السلطان	٢٦٥	٢٦٣	٢٦٩	٢٦٥
أحسنوا	٢٦٦	٢٦٤	٢٧٠	٢٦٦
انّ كلام	٢٦٧	٢٦٥	٢٧١	٢٦٧
اذا كان	٢٦٨	٢٦٦	٢٧٢	٢٦٨
يابن آدم	٢٦٩	٢٦٧	٢٧٣	٢٦٩
أحبب حبيبك	٢٧٠	٢٦٨	٢٧٤	٢٧٠
النّاس في الدّنيا	٢٧١	٢٦٩	٢٧٥	٢٧١
انّ هذا القرآن	٢٧٢	٢٧٠	٢٧٦	٢٧٢
انّ هذا لهو من	٢٧٣	٢٧١	٢٧٧	٢٧٣
لو قد استوت	٢٧٤	٢٧٢	٢٧٨	٢٧٤
اعلموا علماً	٢٧٥	٢٧٣	٢٧٩	٢٧٥
لا تجعلوا	٢٧٦	٢٧٤	٢٨٠	٢٧٦
انّ الطمع	٢٧٧	٢٧٥	٢٨١	٢٧٧
اللّهم انّي أعوذ	٢٧٨	٢٧٦	٢٨٢	٢٧٨
لا والّذي	٢٧٩	٢٧٧	٢٨٣	٢٧٩
قليل تدوم	٢٨٠	٢٧٨	٢٨٤	٢٨٠
اذا اضرت	٢٨١	٢٧٩	٢٨٥	٢٨١
من تذكّر	٢٨٢	٢٨٠	٢٨٦	٢٨٢
ليست الرّوية	٢٨٣	٢٨١	٢٨٧	٢٨٣
بينكم وبين	٢٨٤	٢٨٢	٢٨٨	٢٨٣
جاهلكم	٢٨٥	٢٨٣	٢٨٩	٢٨٤
قطع العلم	٢٨٦	٢٨٤	٢٩٠	٢٨٥
كلّ معالج	٢٨٧	٢٨٥	٢٩١	٢٨٦
ما قال النّاس	٢٨٨	٢٨٦	٢٩٢	٢٨٧
طريق مظلم	٢٨٩	٢٨٧	٢٩٣	٢٨٨
اذا أرذل	٢٩٠	٢٨٨	٢٩٤	٢٨٩
كان لي فيما مضى	٢٩١	٢٨٩	٢٩٥	٢٩٠
لو لم يتوعّد	٢٩٢	٢٩٠	٢٩٦	٢٩١
يا أشعث	٢٩٣	٢٩١	٢٩٧	٢٩٢
انّ الصّبر	٢٩٤	٢٩٢	٢٩٨	٢٩٣

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
لا تصحب	٢٩٥	٢٩٣	٢٩٩	٢٩٤
مسيرة	٢٩٦	٢٩٤	٣٠٠	٢٩٥
أصدقاؤك	٢٩٧	٢٩٥	٣٠١	٢٩٦
الساعات	٢٩٨	٢٩٦	٣٠٢	٢٩٧
ما أكثر العبر	٢٩٩	٢٩٧	٣٠٣	٢٩٨
من بالغ	٣٠٠	٢٩٨	٣٠٤	٢٩٩
ما أهمّني	٣٠١	٢٩٩	٣٠٥	٣٠٠
كما يرزقهم	٣٠٢	٣٠٠	٣٠٦	٣٠١
رسولك	٣٠٣	٣٠١	٣٠٧	٣٠٢
ما المبتلى	٣٠٤	٣٠٢	٣٠٨	٣٠٣
الناس	٣٠٥	٣٠٣	٣٠٩	٣٠٤
إن المسكين	٣٠٦	٣٠٤	٣١٠	٣٠٥
مازني	٣٠٧	٣٠٥	٣١١	٣٠٦
كفى بالأجل	٣٠٨	٣٠٦	٣١٢	٣٠٧
ينام الرجل	٣٠٩	٣٠٧	٣١٣	٣٠٨
مودّة	٣١٠	٣٠٨	٣١٤	٣٠٩
اتقوا ظنون	٣١١	٣٠٩	٣١٥	٣١٠
لا يصدق	٣١٢	٣١٠	٣١٦	٣١١
أني أنسيت	٣١٣	٣١١	٣١٧	٣١٢
إنّ للقلوب	٣١٤	٣١٢	٣١٨	٣١٣
وفي القرآن	٣١٥	٣١٣	٣١٩	٣١٤
رُدّوا الحجر	٣١٦	٣١٤	٣٢٠	٣١٥
ألق دواتك	٣١٧	٣١٥	٣٢١	٣١٦
أنا يعسوب	٣١٨	٣١٦	٣٢٢	٣١٧
أنّا اختلفنا	٣١٩	٣١٧	٣٢٣	٣١٨
ما لقيتُ	٣٢٠	٣١٨	٣٢٤	٣١٩
يا بُنيّ	٣٢١	٣١٩	٣٢٥	٣٢٠
سل تفقّهاً	٣٢٢	٣٢٠	٣٢٦	٣٢١
لله لن تشير	٣٢٣	٣٢١	٣٢٧	٣٢٢
أتغلبكم نساؤكم	٣٢٤	٣٢٢	٣٢٨	٣٢٣
بؤساً لكم	٣٢٥	٣٢٣	٣٢٩	٣٢٤
اتقوا معاصي	٣٢٦	٣٢٤	٣٣٠	٣٢٥
إنّ حقّنا	٣٢٧	٣٢٥	٣٣١	٣٢٦
العمر الذي	٣٢٨	٣٢٦	٣٣٢	٣٢٧
ما ظفر	٣٢٩	٣٢٧	٣٣٣	٣٢٨
إنّ الله سبحانه	٣٣٠	٣٢٨	٣٣٤	٣٢٩
الاستغناء	٣٣١	٣٢٩	٣٣٥	٣٣٠
أقلّ ما يلزمكم	٣٣٢	٣٣٠	٣٣٦	٣٣١
إنّ الله سبحانه	٣٣٣	٣٣١	٣٣٧	٣٣٢
السلطان	٣٣٤	٣٣٢	٣٣٨	٣٣٣
المؤمن بشره في	٣٣٥	٣٣٣	٣٣٩	٣٣٤
لو رأى العبد	٣٣٦	٣٣٤	٣٤٢	٣٣٥
لكلّ امرئ	٣٣٧	٣٣٥	٣٤٣	٣٣٦
المسؤول حُرّ	٣٣٨	٣٣٦	٣٤١	
الداعي	٣٣٩	٣٣٧	٣٤٤	٣٣٧
العلم علمان	٣٤٠	٣٣٨	٣٤٥	٣٣٨
صواب الرأي	٣٤١	٣٣٩	٣٤٦	٣٣٩
العفاف	٣٤٢	٣٤٠	٣٤٧	٣٤٠
يوم العدل	٣٤٣	٣٤١	٣٤٨	٣٤١
الغنى	٣٤٤	٣٤٢	٣٤٠	٣٤٢
الأقاويل	٣٤٥	٣٤٣	٣٤٩	
معاشر الناس	٣٤٦	٣٤٤	٣٥٠	٣٤٣
من العصمة	٣٤٧	٣٤٥	٣٥١	
ماء وجهك	٣٤٨	٣٤٦	٣٥٢	٣٤٤
الثناء بأكثر	٣٤٩	٣٤٧	٣٥٣	٣٤٥
أشدّ الذنوب	٣٥٠	٣٤٨	٣٥٤	٣٤٦
من نظر	٣٥١	٣٤٩	٣٥٥	٣٤٧
للظالم	٣٥٢	٣٥٠	٣٥٦	٣٤٨
عند تناهي	٣٥٣	٣٥١	٣٥٧	٣٤٩
لا تجعلن	٣٥٤	٣٥٢	٣٥٨	٣٥٠
أكبر العيب	٣٥٥	٣٥٣	٣٥٩	٣٥١
لا تقل ذلك	٣٥٦	٣٥٤	٣٦٠	٣٥٢

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
أطلعت	٣٥٧	٣٥٥	٣٦١	٣٥٣
من جهل	٣٥٨	٣٥٦	٣٦٢	٣٥٤
انّ هذا الأمر	٣٥٩	٣٥٧	٣٦٣	٣٥٦
أيها النّاس	٣٦٠	٣٥٨	٣٦٤	٣٥٧
يا أسرى الرّغبة	٣٦١	٣٥٩	٣٦٥	٣٥٨
لا تظنّن	٣٦٢	٣٦٠	٣٦٦	٣٥٩
لما كانت	٣٦٣	٣٦١	٣٦٧	٣٦٠
من ضنّ	٣٦٤	٣٦٢	٣٦٨	٣٦١
من الخرق	٣٦٥	٣٦٣	٣٦٩	٣٦٢
لا تسأل	٣٦٦	٣٦٤	٣٧٠	٣٦٣
الفكر مرآة	٣٦٧	٣٦٥	٣٧١	٣٦٤
العلم مقرون	٣٦٨	٣٦٦	٣٧٢	٣٦٥
يا أيها النّاس	٣٦٩	٣٦٧	٣٧٣	٣٦٦
ان الله سبحانه	٣٧٠	٣٦٨	٣٧٤	٣٦٧
يأتي على النّاس	٣٧١	٣٦٩	٣٧٥	٣٦٨
أيها النّاس	٣٧٢	٣٧٠	٣٧٦	٣٦٩
لا شرف أعلى	٣٧٣	٣٧١	٣٧٧	٣٧٠
يا جابر	٣٧٤	٣٧٢	٣٧٨	٣٧١
أيها المؤمنون	٣٧٥	٣٧٣	٣٧٩	٣٧٢
فمنهم المنكر	٣٧٦	٣٧٤	٣٨٠	٣٧٣
أوّل ما تغلبون	٣٧٧	٣٧٥	٣٨١	٣٧٤
انّ الحق	٣٧٨	٣٧٦	٣٨٢	٣٧٥
لا تأمننّ	٣٧٩	٣٧٧	٣٨٣	٣٧٦
البخل	٣٨٠	٣٧٨	٣٨٤	٣٧٧
يابن آدم الرّزق	٣٨١	٣٧٩	٣٨٥	٣٧٨
ربّ مستقبل	٣٨٢	٣٨٠	٣٨٦	٣٧٩
الكلام	٣٨٣	٣٨١	٣٨٧	٣٨٠
لا تقل	٣٨٤	٣٨٢	٣٨٨	٣٨١
احذر	٣٨٥	٣٨٣	٣٨٩	٣٨٢
الرّكون	٣٨٦	٣٨٤	٣٩٠	٣٨٣
من هوان	٣٨٧	٣٨٥	٣٩١	٣٨٤
من طلب	٣٨٨	٣٨٦	٣٩٣	٣٨٥

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
ما خير بخير	٣٨٩	٣٨٧	٣٩٤	٣٨٦
ألا وانّ	٣٩٠	٣٨٨	٣٩٥	٣٨٧
من أبطأ	٣٩١	٣٨٩	٣٩٢	
للمؤمن ثلاث	٣٩٢	٣٩٠	٣٩٦	٣٨٨
ازهد	٣٩٣	٣٩١	٣٩٧	٣٨٩
تكلّموا	٣٩٤	٣٩٢	٣٩٨	٣٩٠
خذ من الدّنيا	٣٩٥	٣٩٣	٤٠١	٣٩١
رُبّ قول	٣٩٦	٣٩٤	٤٠٢	٣٩٢
كلّ مقتصر	٣٩٧	٣٩٥	٤٠٣	٣٩٣
المنيّة	٣٩٨	٣٩٦	٤٠٤	٣٩٤
من لم يعط	٣٩٩	٣٩٦	٤٠٥	٣٩٤
الدهر يومان	٤٠٠	٣٩٦	٤٠٦	٣٩٤
نعم الطيب	٤٠١	٣٩٧	٣٩٩	
ضع فخرك	٤٠٢	٣٩٨	٤٠٠	
انّ للوالد	٤٠٣	٣٩٩	٤٠٧	
العين حقّ	٤٠٤	٤٠٠	٤٠٨	
مقاربة النّاس	٤٠٥	٤٠١	٤٠٩	٣٩٥
لقد طرت	٤٠٦	٤٠٢	٤١٠	٣٩٦
من أومأ	٤٠٧	٤٠٣	٤١١	٣٩٧
انّا لا نملك	٤٠٨	٤٠٤	٤١٢	٣٩٨
دعه يا عمار	٤٠٩	٤٠٥	٤١٣	٣٩٩
ما أحسن	٤١٠	٤٠٦	٤١٤	٤٠٠
ما المستودع	٤١١	٤٠٧	٤١٥	٤٠١
من صارع	٤١٢	٤٠٨	٤١٦	٤٠٢
القلب	٤١٣	٤٠٩	٤١٧	٤٠٣
النّفس	٤١٤	٤١٠	٤١٨	٤٠٤
لا تجعلنّ	٤١٥	٤١١	٤١٩	٤٠٥
كفاك	٤١٦	٤١٢	٤٢٠	٤٠٦
من صبر	٤١٧	٤١٣	٤٢١	٤٠٧
لو صبرت	٤١٧	٤١٤	٤٢١	٤٠٨
تعزّ وتعزّ	٤١٨	٤١٥	٤٢٢و٤٢٣	٤٠٩
يا بنيّ	٤١٩	٤١٦	٤٢٤	٤١٠

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
ثكلتك أمّك	٤٢٠	٤١٧	٤٢٥	٤١٢
الحلم	٤٢١	٤١٨	٤٢٦	٤١٣
مسكين ابن آدم	٤٢٢	٤١٩	٤٢٧	٤١٤
انّ الابصار	٤٢٣	٤٢٠	٤٢٨	٤١٥
كفاك	٤٢٤	٤٢١	٤٢٩	٤١٦
الخطرا	٤٢٥	٤٢٢	٤٣٠	٤١٧
من أصلح	٤٢٦	٤٢٣	٤٣٢	٤١٨
العلم غطاء	٤٢٧	٤٢٤	٤٣٣	٤١٩
انّ لله عباداً	٤٢٨	٤٢٥	٤٣٤	٤٢٠
لا ينبغي	٤٢٩	٤٢٦	٤٣٥	٤٢١
من شكا	٤٣٠	٤٢٧	٤٣٦	٤٢٢
انّما هو عبد	٤٣١	٤٢٨	٤٣٧	٤٢٣
انّ اعظم	٤٣٢	٤٢٩	٤٣٨	٤٢٤
انّ أخسر	٤٣٣	٤٣٠	٤٣٩	٤٢٥
الرّزق رزقان	٤٣٤	٤٣١	٤٤٠	٤٢٦
انّ أولياء الله	٤٣٥	٤٣٢	٤٤١	٤٢٧
اذكروا	٤٣٦	٤٣٣	٤٤٢	٤٢٨
اخبر تقله	٤٣٧	٤٣٤	٤٤٣	٤٢٩
ما كان لله	٤٣٨	٤٣٥	٤٤٤	٤٣٠
أولى النّاس	٤٣٩	٤٣٦	٤٤٥	
العدل	٤٤٠	٤٣٧	٤٤٦	٤٣١
النّاس أعداء	٤٤١	٤٣٨	٤٤٧	٤٣٢
الزّهد كلّه	٤٤٢	٤٣٩	٤٤٨	٤٣٣
ما أنقض	٤٤٣	٤٤٠	٤٤٩	٤٣٤
الولايات	٤٤٤	٤٤١	٤٥٠	٤٣٥
ليس بلد	٤٤٥	٤٤٢	٤٥١	٤٣٦
مالك وما مالك	٤٤٦	٤٤٣	٤٥٢	٤٣٧
قليل مدوم	٤٤٧	٤٤٤	٤٥٣	٤٣٨
اذا كان	٤٤٨	٤٤٥	٤٥٤	٤٣٩
ما لقلت	٤٤٩	٤٤٦	٤٥٥	٤٤٠
من الجر	٤٥٠	٤٤٧	٤٥٦	٤٤١
من عظّم	٤٥١	٤٤٨	٤٥٧	٤٤٢

فواتح الحكم	صفوة الشروح	صبحي الصالح	ابن أبي الحديد	محمد عبده
من كرمت	٤٥٢	٤٤٩	٤٥٨	٤٤٣
ما مزح	٤٥٣	٤٥٠	٤٥٩	٤٤٤
زهدك	٤٥٤	٤٥١	٤٦٠	٤٤٥
الفتن	٤٥٥	٤٥٢	٤٦٣	٤٤٦
ما زال الزّبير	٤٥٦	٤٥٣	٤٦١	
ما لابن آدم	٤٥٧	٤٥٤	٤٦٢	٤٤٧
انّ الفرم	٤٥٨	٤٥٥	٤٦٤	٤٤٨
ألا حرّ	٤٥٩	٤٥٦	٤٦٥	٤٤٩
منهومان	٤٦٠	٤٥٧	٤٦٦	٤٥٠
علامة الايمان	٤٦١	٤٥٨	٤٦٧	٤٥١
يغلب المقدار	٤٦٢	٤٥٩	٤٦٨	٤٥٢
الحلم والأناة	٤٦٣	٤٦٠	٤٦٩	٤٥٣
الغيبة	٤٦٤	٤٦١	٤٧٠	٤٥٤
ربّ مفتون	٤٦٥	٤٦٢	٤٧١	٤٥٥
الدّنيا	٤٦٦	٤٦٣	٤٧٢	٤٥٦
انّ لبني أميّة	٤٦٧	٤٦٤	٤٧٣	٤٥٧
هم والله	٤٦٨	٤٦٥	٤٧٤	٤٥٨
العين	٤٦٩	٤٦٦	٤٧٥	٤٥٩
ووليهم وال	٤٧٠	٤٦٧	٤٧٦	٤٦٠
يأتي على النّاس	٤٧١	٤٦٨	٤٧٧	٤٦١
يهلك فيّ	٤٧٢	٤٦٩	٤٧٨	٤٦٢
التّوحيد	٤٧٣	٤٧٠	٤٧٩	٤٦٤
لا خير في	٤٧٤	٤٧١		٤٦٥
اللّهمّ اسقنا	٤٧٥	٤٧٢	٤٨٠	٤٦٦
الخضاب	٤٧٦	٤٧٣	٤٨١	٤٦٧
ما المجاهد	٤٧٧	٤٧٤	٤٨٢	
القناعة	٤٧٨	٤٧٥	٤٨٣	٤٦٨
استعمل	٤٧٩	٤٧٦	٤٨٤	٤٦٩
أشدّ الذنوب	٤٨٠	٤٧٧	٤٨٥	٤٧٠
ما أخذ الله	٤٨١	٤٧٨	٤٨٦	٤٧١
شرّ الاخوان	٤٨٢	٤٧٩	٤٨٧	٤٧٢
اذا احتشم	٤٨٣	٤٨٠	٤٨٨	٤٧٣

الفهرس التفصيلي

● المقدمة ٥
نبذة عن حياة الشريف الرضي ١١
مقدمة السيد الشريف الرضي ١٥

● خطب أمير المؤمنين ﷺ ٢١

رقم ١ ـ من خطبة له ﷺ يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم وفيها في ذكر
الحج ٢٣
رقم ٢ ـ ومن خطبة له ﷺ بعد انصرافه من صفين ٣٨
رقم ٣ ـ ومن خطبة له ﷺ وهي المعروفة بالشقشقية ٤٣
رقم ٤ ـ ومن خطبة له ﷺ بعد مقتل طلحة والزبير في هداية الناس وكمال يقينه ٥١
رقم ٥ ـ ومن خطبة له ﷺ لما قبض رسول الله ﷺ وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن
يبايعا له بالخلافة ٥٤
رقم ٦ ـ ومن خطبة له ﷺ لما أشير عليه بألاّ يتبع طلحة والزبير، ولا يرصد لهما القتال ٥٦
رقم ٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم اتباع الشيطان ٥٧
رقم ٨ ـ ومن كلام له ﷺ يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ٥٨
رقم ٩ ـ ومن كلام له ﷺ في صفته وصفة خصومه، ويقال: إنها في أصحاب الجمل ٥٨
رقم ١٠ ـ ومن كلام له ﷺ يريد الشيطان، أو يكني به عن قوم ٥٩
رقم ١١ ـ ومن كلام له ﷺ لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل ٦٠

رقم ١٢ ـ ومن كلام له ﷺ لما أظفره الله بأصحاب الجمل ٦٠
رقم ١٣ ـ ومن كلام له ﷺ في ذم أهل البصرة........................ ٦١
رقم ١٤ ـ ومن كلام له ﷺ في مثل ذلك ٦٣
رقم ١٥ ـ ومن كلام له ﷺ فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ٦٤
رقم ١٦ ـ ومن كلام له ﷺ لما بويع بالمدينة ٦٤
رقم ١٧ ـ ومن كلام له ﷺ في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك بأهل........................ ٦٩
رقم ١٨ ـ ومن كلام له ﷺ في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ٧٣
رقم ١٩ ـ ومن كلام له ﷺ قاله للاشعث بن قيس ، وهو على منبر الكوفة ٧٤
رقم ٢٠ ـ ومن كلام له ﷺ في تهويل ما بعد الموت وتعظيمه ٧٦
رقم ٢١ ـ ومن كلام له ﷺ في موعظة الناس........................ ٧٧
رقم ٢٢ ـ ومن كلام له ﷺ بعدما اتهموه بقتل عثمان ٧٨
رقم ٢٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في قسمة الارزاق بين الناس........................ ٧٩
رقم ٢٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في الحث على قتال الخوارج على الحق ٨٢
رقم ٢٥ ـ ومن خطبة له ﷺ وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ٨٢
رقم ٢٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم من بايعه بشروط ٨٥
رقم ٢٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في الحث على الجهاد وذم القاعدين ٨٧
رقم ٢٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في الحث على التزود للآخرة ٩١
رقم ٢٩ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم المتخاذلين ٩٣
رقم ٣٠ ـ ومن كلام له ﷺ في معنى قتل عثمان........................ ٩٥
رقم ٣١ ـ ومن كلام له ﷺ لابن العباس ٩٦
رقم ٣٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في جور الزمان ٩٧
رقم ٣٣ ـ ومن خطبة له ﷺ عند خروجه لقتال أهل البصرة........................ ١٠١
رقم ٣٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في استنفار الناس إلى أهل الشام ١٠٣
رقم ٣٥ ـ ومن خطبة له ﷺ بعد التحكيم ١٠٦
رقم ٣٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في تخويف أهل النهروان........................ ١٠٨

رقم ٣٧ ـ ومن كلام له ﷺ يجري مجرى الخطبة ١٠٩
رقم ٣٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في معنى الشبهة ١١١
رقم ٣٩ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم المتقاعدين عن القتال ١١٢
رقم ٤٠ ـ ومن كلام له ﷺ في الخوارج لما سمع قولهم «لا حكم إلا لله» ١١٣
رقم ٤١ ـ ومن خطبة له ﷺ في الوفاء والصدق ١١٤
رقم ٤٢ ـ ومن كلام له ﷺ في اتباع الهوى وطول الأمل ١١٥
رقم ٤٣ ـ ومن كلام له ﷺ وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية ١١٦
رقم ٤٤ ـ ومن كلام له ﷺ لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ١١٧
رقم ٤٥ ـ ومن خطبة له ﷺ وهي من خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها ذم الدنيا ١١٨
رقم ٤٦ ـ ومن كلام له ﷺ عند عزمه على المسير إلى الشام ١١٩
رقم ٤٧ ـ ومن كلام له ﷺ في ذكر الكوفة ١٢٠
رقم ٤٨ ـ ومن خطبة له ﷺ عند المسير إلى الشام ١٢١
رقم ٤٩ ـ ومن كلام له ﷺ في صفات الربوبية والعلم الالهي ١٢٢
رقم ٥٠ ـ ومن كلام له ﷺ في وقوع الفتن ١٢٤
رقم ٥١ ـ ومن خطبة له ﷺ لما غلب أصحاب معاوية أصحابه ﷺ على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء ٢٥
رقم ٥٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في الزهد في الدنيا ٢٦
رقم ٥٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية ٢٨
رقم ٥٤ ـ ومن خطبة له ﷺ عند تزاحم الناس لبيعته ٢٩
رقم ٥٥ ـ ومن كلام له ﷺ وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين ٣٠
رقم ٥٦ ـ ومن كلام له ﷺ يوم صفين حين أمر الناس بالصلح ٣١
رقم ٥٧ ـ ومن كلام له ﷺ يخبر به عمن يأمر بسبه ٣٢
رقم ٥٨ ـ ومن كلام له ﷺ كلم به الخوارج ٣٣
رقم ٥٩ ـ وقال ﷺ لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهروان ٣٤

رقم ٦٠ـ وقال ﷺ لما قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم ١٣٥
رقم ٦١ ـ وقال ﷺ في الخوارج ١٣٥
رقم ٦٢ ـ ومن كلام له ﷺ لما خوف من الغيلة ١٣٦
رقم ٦٣ ـ ومن كلام له ﷺ يحذر من فتنة الدنيا ١٣٦
رقم ٦٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في الاستعداد للموت ١٣٧
رقم ٦٥ ـ ومن خطبة له ﷺ في تنزيه الله تعالى....... ١٤٠
رقم ٦٦ ـ ومن كلام له ﷺ يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين ١٤٣
رقم ٦٧ ـ ومن كلام له ﷺ لما انتهت إليه ﷺ أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ ١٤٦
رقم ٦٨ ـ ومن كلام له ﷺ لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل ١٤٧
رقم ٦٩ ـ ومن كلام له ﷺ في ذم أصحابه.................. .... ١٤٨
رقم ٧٠ ـ وقال ﷺ في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ١٤٩
رقم ٧١ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم أهل العراق.......... ... ١٥٠
رقم ٧٢ ـ ومن خطبة له ﷺ علم فيها الناس الصلاة على رسول الله ﷺ ١٥٢
رقم ٧٣ ـ ومن كلام له ﷺ قاله لمروان بن الحكم بالبصرة......... .... ١٥٦
رقم ٧٤ ـ ومن كلام له ﷺ لما عزموا على بيعة عثمان ١٥٧
رقم ٧٥ ـ ومن كلام له ﷺ لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان.......... .... ١٥٧
رقم ٧٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في الزهد ١٥٨
رقم ٧٧ ـ ومن كلام له ﷺ في بني أمية ١٥٩
رقم ٧٨ ـ ومن كلمات له ﷺ كان يدعو بها........... ١٦٠
رقم ٧٩ ـ ومن كلام له ﷺ قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ١٦١
رقم ٨٠ ـ ومن خطبة له ﷺ بعد حرب الجمل في ذم النساء.......... .... ١٦٢
رقم ٨١ ـ ومن كلام له ﷺ في الزهد........ ١٦٣
رقم ٨٢ ـ ومن كلام له ﷺ في صفة الدنيا ١٦٤
رقم ٨٣ ـ ومن خطبة له ﷺ وتسمى بالغراء، وهي من الخطب العجيبة ١٦٥
رقم ٨٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذكر عمرو بن العاص ١٨٥

رقم ٨٥ ـ ومن خطبة له (ع) ١٨٦
رقم ٨٦ ـ ومن خطبة له (ع) في الوعظ ١٨٨
رقم ٨٧ ـ ومن خطبة له (ع) في صفات من يحبه الله تعالى ١٩١
رقم ٨٨ ـ ومن خطبة له (ع) في وصف ما عليه الناس من الخطأ ١٩٦
رقم ٨٩ ـ ومن خطبة له (ع) يذكر حال الناس قبل البعثة ١٩٨
رقم ٩٠ ـ ومن خطبة له (ع) في بعض صفات الخالق ٢٠١
رقم ٩١ ـ ومن خطبة له (ع) تعرف بخطبة الاشباح، وهي من جلائل الخطب ٢٠٤
رقم ٩٢ ـ ومن خطبة له (ع) لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان ٢٣٢
رقم ٩٣ ـ ومن خطبة له (ع) وفيها ينبه أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أمية ٢٣٣
رقم ٩٤ ـ ومن خطبة له (ع) في صفة الأنبياء ٢٣٧
رقم ٩٥ ـ ومن خطبة له (ع) يصف فيها حال الناس عند البعثة ٢٣٩
رقم ٩٦ ـ ومن خطبة له (ع) في الله وفي الرسول الاكرم (ص) ٢٤٠
رقم ٩٧ ـ ومن كلام له (ع) في توبيخ أصحابه ٢٤١
رقم ٩٨ ـ ومن كلام له (ع) في ظلم بني أمية ٢٤٤
رقم ٩٩ ـ ومن خطبة له (ع) في وصف الدنيا ٢٤٥
رقم ١٠٠ ـ ومن خطبة له (ع) في رسول الله (ص) وأهل بيته ٢٤٧
رقم ١٠١ ـ ومن خطبة له (ع) وهي إحدى الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم ٤٩
رقم ١٠٢ ـ ومن خطبة له (ع) تجري هذا المجرى ٥٢
رقم ١٠٣ ـ ومن خطبة له (ع) في التزهيد في الدنيا ٥٤
رقم ١٠٤ ـ ومن خطبة له (ع) في البعثة النبوية ٥٦
رقم ١٠٥ ـ ومن خطبة له (ع) في بعض صفات النبي الكريم وتهديد بني أمية ٥٧
رقم ١٠٦ ـ ومن خطبة له (ع) وفيها يبين فضل الإسلام ويذكر الرسول الكريم (ص) ١٠
رقم ١٠٧ ـ ومن خطبة له (ع) في بعض أيام صفين ١٤
رقم ١٠٨ ـ ومن خطبة له (ع) وهي من خطب الملاحم ٥
رقم ١٠٩ ـ ومن خطبة له (ع) في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث ٠

رقم ١١٠ ـ ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها فرائض الإسلام ٢٧٧
رقم ١١١ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم الدنيا ٢٧٩
رقم ١١٢ ـ ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس ٢٨٤
رقم ١١٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في التحذير من الدنيا ٢٨٥
رقم ١١٤ ـ ومن خطبة له ﷺ وفيها مواعظ للناس ٢٨٧
رقم ١١٥ ـ ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء ٢٩٠
رقم ١١٦ ـ ومن خطبة له ﷺ ينصح أصحابه ٢٩٤
رقم ١١٧ ـ ومن كلام له ﷺ يوبخ البخلاء بالمال والنفس ٢٩٦
رقم ١١٨ ـ ومن كلام له ﷺ في الصالحين من أصحابه ٢٩٧
رقم ١١٩ ـ ومن كلام له ﷺ وقد جمع الناس، وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً ٢٩٨
رقم ١٢٠ ـ ومن كلام له ﷺ في عظة الناس ٢٩٩
رقم ١٢١ ـ ومن كلام له ﷺ بعد ليلة الهرير ٣٠٠
رقم ١٢٢ ـ ومن كلام له ﷺ قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم ٣٠٣
رقم ١٢٣ ـ ومن كلام له ﷺ قاله لأصحابه في ساحة الحرب ٣٠٤
رقم ١٢٤ ـ ومن كلام له ﷺ في حث أصحابه على القتال ٣٠٦
رقم ١٢٥ ـ ومن كلام له ﷺ في التحكيم ٣٠٩
رقم ١٢٦ ـ ومن كلام له ﷺ لما عوتب على التسوية في العطاء ٣١١
رقم ١٢٧ ـ ومن كلام له ﷺ للخوارج أيضاً ٣١٢
رقم ١٢٨ ـ ومن كلام له ﷺ فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة ٣١٤
رقم ١٢٩ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذكر المكاييل والموازين ٣١٦
رقم ١٣٠ ـ ومن كلام له ﷺ لأبي ذرٍّ رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة ٣١٨
رقم ١٣١ ـ ومن كلام له ﷺ في وصف الإمام الحق ٣١٩
رقم ١٣٢ ـ ومن خطبة له ﷺ يعظ فيها ويزهد في الدنيا ٣٢٠
رقم ١٣٣ ـ ومن كلام له ﷺ في صفة القرآن والنبي ٣٢٣
رقم ١٣٤ ـ ومن كلام له ﷺ وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم بنفسه ٣٢٥

رقم ١٣٥ ـ ومن كلام له ﷺ وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه ٣٢٦
رقم ١٣٦ ـ ومن كلام له ﷺ في أمر البيعة ٣٢٧
رقم ١٣٧ ـ ومن كلام له ﷺ في شأن طلحة والزبير ٣٢٨
رقم ١٣٨ ـ ومن خطبة له ﷺ يومي فيها إلى ذكر الملاحم ٣٣٠
رقم ١٣٩ ـ ومن كلام له ﷺ في وقت الشورى ٣٣٢
رقم ١٤٠ ـ ومن كلام له ﷺ في النهي عن عيب الناس ٣٣٢
رقم ١٤١ ـ ومن كلام له ﷺ في النهي عن سماع الغيبة ٣٣٣
رقم ١٤٢ ـ ومن كلام له ﷺ في وضع المعروف في غير أهله ٣٣٤
رقم ١٤٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء ٣٣٥
رقم ١٤٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في بعثة الأنبياء ٣٣٧
رقم ١٤٥ ـ ومن كلام له ﷺ في شؤون الدنيا والناس ٣٣٩
رقم ١٤٦ ـ ومن كلام له ﷺ وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٣٤٠
رقم ١٤٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في الغاية من بعثة الرسول ٣٤١
رقم ١٤٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذكر أهل البصرة ٣٤٤
رقم ١٤٩ ـ ومن كلام له ﷺ قبل موته ٣٤٥
رقم ١٥٠ ـ ومن خطبة له ﷺ ويومئ فيها إلى الملاحم ٣٤٧
رقم ١٥١ ـ ومن خطبة له ﷺ في التحذير من الفتن ٣٥٠
رقم ١٥٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في صفات الله وصفات أئمة الدين ٣٥٤
رقم ١٥٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في صفة الضال ٣٥٦
رقم ١٥٤ ـ ومن خطبة له ﷺ في فضائل أهل البيت ٣٥٨
رقم ١٥٥ ـ ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها بديع خلقة الخفاش ٣٦٠
رقم ١٥٦ ـ ومن كلام له ﷺ خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم ٣٦٢
رقم ١٥٧ ـ ومن خطبة له ﷺ للحث على التقوى ٣٦٦
رقم ١٥٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في فضل الرسول والقرآن ٣٦٩

رقم ١٥٩ ـ ومن خطبة له ﷺ في حسن معاملة الرعية ٣٧١

رقم ١٦٠ ـ ومن خطبة له ﷺ في عظمة الله.. ٣٧١

رقم ١٦١ ـ ومن خطبة له ﷺ في صفة النبي وأهل بيته واتباع دينه ٣٧٧

رقم ١٦٢ ـ ومن كلام له ﷺ لبعض أصحابه، وقد سأله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟» ٣٨٠

رقم ١٦٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في الخالق جل جلاله ٣٨٣

رقم ١٦٤ ـ ومن كلام له ﷺ لما اجتمع الناس إليه، وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم، واستعتابه لهم ٣٨٦

رقم ١٦٥ ـ ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس.......................... ٣٨٨

رقم ١٦٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في الحث على التآلف ٣٩٧

رقم ١٦٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في أول خلافته ٣٩٩

رقم ١٦٨ ـ ومن كلام له ﷺ بعد ما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: «لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟» ٤٠١

رقم ١٦٩ ـ ومن خطبة له ﷺ عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة ٤٠٢

رقم ١٧٠ ـ ومن كلام له ﷺ في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة ٤٠٣

رقم ١٧١ ـ ومن كلام له ﷺ لما عزم على لقاء القوم بصفين.............................. ٤٠٤

رقم ١٧٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في من رماه بالحرص ٤٠٦

رقم ١٧٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في رسول الله والأجدر بالخلافة بعده ٤٠٨

رقم ١٧٤ ـ ومن كلام له ﷺ في معنى طلحة بن عبيد الله ٤١٠

رقم ١٧٥ ـ من خطبة له ﷺ في الموعظة.. ٤١١

رقم ١٧٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في النهي عن البدعة ٤١٣

رقم ١٧٧ ـ ومن كلام له ﷺ في معنى الحكمين.. ٤٢٠

رقم ١٧٨ ـ ومن خطبة له ﷺ خطبها بعد مقتل عثمان.................................. ٤٢٦

رقم ١٧٩ ـ ومن كلام له ﷺ وقد سأله ذعلب اليماني فقال: «هل رأيت ربك ٤٣٣

رقم ١٨٠ ـ ومن كلام له ﷺ في ذم العاصين من أصحابه ٤٣٤

رقم ١٨١ ـ ومن كلام له ﷺ وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد همّوا باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه ﷺ ٤٢٧
رقم ١٨٢ ـ ومن خطبة له ﷺ روي عن نوف البكالي. قال خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ ﷺ بالكوفة. وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ٤٢٨
رقم ١٨٣ ـ من خطبة له ﷺ في قدرة الله وفضل القرآن........ ٤٣٦
رقم ١٨٤ ـ ومن كلام له ﷺ قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له: «لا حكم إلا لله»........ ٤٤١
رقم ١٨٥ ـ ومن خطبة له ﷺ في صفة خلق بعض الحيوانات ٤٤٢
رقم ١٨٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في التوحيد ٤٤٧
رقم ١٨٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذكر الملاحم........ ٤٥٤
رقم ١٨٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في الوصية بالتقوى ٤٥٦
رقم ١٨٩ ـ ومن كلام له ﷺ في الإيمان ووجوب الهجرة........ ٤٥٧
رقم ١٩٠ ـ ومن خطبة له ﷺ في الأمر بالتقوى ٤٥٩
رقم ١٩١ ـ ومن خطبة له ﷺ في وصيه بالزهد........ ٤٦٢
رقم ١٩٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في ذم الكبر وتسمى هذه الخطبة بالقاصعة ٤٦٨
رقم ١٩٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في وصف المتقين ٤٩٣
رقم ١٩٤ ـ ومن خطبة له ﷺ يصف فيها المنافقين........ ٤٩٨
رقم ١٩٥ ـ ومن خطبة له ﷺ في حمد الله والثناء على نبيه ٥٠١
رقم ١٩٦ ـ ومن خطبة له ﷺ ٥٠٤
رقم ١٩٧ ـ ومن كلام له ﷺ في بيان اختصاصه بالنبي........ ٥٠٥
رقم ١٩٨ ـ ومن خطبة له ﷺ في فضل الإسلام والقرآن ٥٠٧
رقم ١٩٩ ـ ومن كلام له ﷺ كان يوصي به أصحابه ٥١٤
رقم ٢٠٠ ـ ومن كلام له ﷺ في معاوية بن أبي سفيان ٥١٦
رقم ٢٠١ ـ ومن كلام له ﷺ في النهي عن الاعوجاج ٥١٧
رقم ٢٠٢ ـ ومن كلام له ﷺ عند دفن سيدة النساء فاطمة ﷺ........ ٥١٨
رقم ٢٠٣ ـ ومن كلام له ﷺ في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة........ ٥١٩

رقم ٢٠٤ ـ ومن كلام له ﷺ كان كثيراً ما ينادي به أصحابه ٥٢٠
رقم ٢٠٥ ـ ومن كلام له ﷺ كلم به طلحة والزبير وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ٥٢١
رقم ٢٠٦ ـ ومن كلام له ﷺ وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين ٥٢٢
رقم ٢٠٧ ـ وقال ﷺ في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ﷺ يتسرع إلى الحرب ٥٢٣
رقم ٢٠٨ ـ ومن كلام له ﷺ قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة........................ ٥٢٣
رقم ٢٠٩ ـ ومن كلام له ﷺ بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده ٥٢٤
رقم ٢١٠ ـ ومن كلام له ﷺ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ٥٢٥
رقم ٢١١ ـ ومن خطبة له ﷺ في عجيب صنعة الكون ٥٢٨
رقم ٢١٢ ـ ومن خطبة له ﷺ في استنهاض أصحابه إلى جهاد أهل الشام ٥٣٠
رقم ٢١٣ ـ ومن خطبة له ﷺ في تمجيد الله وتعظيمه ٥٣١
رقم ٢١٤ ـ ومن كلام له ﷺ في صفة الرسول والعلماء.. ٥٣٢
رقم ٢١٥ ـ ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به كثيراً ٥٣٥
رقم ٢١٦ ـ ومن خطبة له ﷺ خطبها بصفين.. ٥٣٦
رقم ٢١٧ ـ ومن كلام له ﷺ في التظلم من قريش.. ٥٤١
رقم ٢١٨ ـ ومن كلام له ﷺ في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه.. ٥٤٢
رقم ٢١٩ ـ ومن كلام له ﷺ لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب وهما قتيلان يوم الجمل........ ٥٤٢
رقم ٢٢٠ ـ ومن كلام له ﷺ في وصف السالك إلى الله تعالى.. ٥٤٣
رقم ٢٢١ ـ ومن كلام له ﷺ قاله بعد تلاوته: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ٥٤٤
رقم ٢٢٢ ـ ومن كلام له ﷺ قاله عند تلاوته: (يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ٥٥٣
رقم ٢٢٣ ـ ومن كلام له ﷺ قاله عند تلاوته: (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) ٥٥٥
رقم ٢٢٤ ـ ومن كلام له ﷺ في التبرؤ من الظلم.. ٥٥٩
رقم ٢٢٥ ـ ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به.. ٥٦٢
رقم ٢٢٦ ـ ومن خطبة له ﷺ في التنفير من الدنيا ٥٦٢

رقم ٢٢٧ ـ ومن دعاء له ﷺ يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد ٥٦٤
رقم ٢٢٨ ـ ومن كلام له ﷺ يريد به بعض أصحابه ٥٦٦
رقم ٢٢٩ ـ ومن كلام له ﷺ في وصف بيعته بالخلافة ، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة ٥٦٧
رقم ٢٣٠ ـ ومن خطبة له ﷺ في الوصية بالتقوى ٥٦٧
رقم ٢٣١ ـ ومن خطبة له ﷺ خطبها بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة ٥٧١
رقم ٢٣٢ ـ ومن كلام له ﷺ كلم به عبد الله بن زمعة، وهو من شيعته وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ٥٧٢
رقم ٢٣٣ ـ ومن كلام له ﷺ في إحجام اللسان عن الكلام ٥٧٢
رقم ٢٣٤ ـ ومن كلام له ﷺ روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية ٥٧٤
رقم ٢٣٥ ـ ومن كلام له ﷺ قاله وهو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه ٥٧٥
رقم ٢٣٦ ـ من كلام له ﷺ اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ ثم لحاقه به ٥٧٦
رقم ٢٣٧ ـ ومن خطبة له ﷺ في المسارعة إلى العمل ٥٧٧
رقم ٢٣٨ ـ ومن كلام له ﷺ في شأن الحكمين وذم أهل الشام ٥٧٨
رقم ٢٣٩ ـ ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها آل محمد ﷺ ٥٨١
رقم ٢٤٠ ـ ومن كلام له ﷺ قاله لعبد الله بن عباس ٥٨٢
رقم ٢٤١ ـ ومن كلام له ﷺ يحث فيه أصحابه على الجهاد ٥٨٣

● رسائل أمير المؤمنين ﷺ ... ٥٨٥

رقم ١ ـ من كتاب له ﷺ إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة ٥٨٧
رقم ٢ ـ ومن كتاب له ﷺ إليهم بعد فتح البصرة ٥٨٨
رقم ٣ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه لشريح بن الحارث قاضيه ٥٨٩
رقم ٤ ـ ومن كتاب له ﷺ الى بعض أمراء جيشه ٥٩١
رقم ٥ ـ ومن كتاب له ﷺ الى الاشعث بن قيس، وهو عامل أذربيجان ٥٩٢

رقم ٦ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية ٥٩٣

رقم ٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا ٥٩٤

رقم ٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام ٥٩٥

رقم ٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية ٥٩٦

رقم ١٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية أيضا ٥٩٩

رقم ١١ ـ ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه الى العدوّ ٦٠١

رقم ١٢ ـ ومن وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي ٦٠٣

رقم ١٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى أميرين من أمراء جيشه ٦٠٤

رقم ١٤ ـ ومن وصية له عليه السلام لعسكره بصفّين قبل لقاء العدوّ ٦٠٥

رقم ١٥ ـ وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محاربا ٦٠٦

رقم ١٦ ـ وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب ٦٠٦

رقم ١٧ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه ٦٠٧

رقم ١٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة ٦٠٩

رقم ١٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله ٦١٠

رقم ٢٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن أبيه ٦١١

رقم ٢١ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى زياد أيضا ٦١١

رقم ٢٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس ٦١٢

رقم ٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ٦١٣

رقم ٢٤ ـ ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله . كتبها بعد منصرفه من صفّين ٦١٤

رقم ٢٥ ـ ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ٦١٦

رقم ٢٦ ـ ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة ٦١٩

رقم ٢٧ ـ ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ٦٢١

رقم ٢٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا . وهو من محاسن الكتب ٦٢٤

رقم ٢٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى أهل البصرة ٦٣١

رقم ٣٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية ٦٣٢

رقم ٣١ ـ ومن وصية له ﷺ للحسن ﷺ كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين ٦٣٣
رقم ٣٢ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية ٦٥٤
رقم ٣٣ ـ ومن كتاب له ﷺ الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة ٦٥٥
رقم ٣٤ ـ ومن كتاب له ﷺ الى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ٦٥٦
رقم ٣٥ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عبد الله بن العبّاس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر ٦٥٨
رقم ٣٦ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه الى بعض الأعداء ٦٥٩
رقم ٣٧ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية ٦٦١
رقم ٣٨ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أهل مصر. لما ولى عليهم الأشتر ٦٦٢
رقم ٣٩ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عمرو بن العاص ٦٦٤
رقم ٤٠ ـ ومن كتاب له ﷺ الى بعض عماله ٦٦٥
رقم ٤١ ـ ومن كتاب له ﷺ الى بعض عماله ٦٦٥
رقم ٤٢ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عمر بن أبي سلمة المخزومي ٦٦٩
رقم ٤٣ ـ ومن كتاب له ﷺ الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عامله على أردشير خرة ٦٧٠
رقم ٤٤. ومن كتاب له ﷺ وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه ٦٧١
رقم ٤٥ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عثمان بن حنيف الانصاريّ. وكان عامله على البصرة ٦٧٢
رقم ٤٦ ـ ومن كتاب له ﷺ الى بعض عماله ٦٨٠
رقم ٤٧ ـ ومن وصية له ﷺ للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ٦٨١
رقم ٤٨ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية ٦٨٣
رقم ٤٩ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية أيضاً ٦٨٤
رقم ٥٠ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أمرائه على الجيوش ٦٨٤
رقم ٥١ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عماله على الخراج ٦٨٦
رقم ٥٢ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٦٨٧
رقم ٥٣ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه للأشتر النخعيّ رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها ٦٨٨
رقم ٥٤ ـ ومن كتاب له ﷺ الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ٧١٦
رقم ٥٥ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية ٧١٧

رقم ٥٦ ـ ومن كلام له ﷺ وصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدّمته الى الشام ٧١٩
رقم ٥٧ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة: ٧١٩
رقم ٥٨ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه الى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين...... ... ... ٧٢٠
رقم ٥٩ ـ ومن كتاب له ﷺ الى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان.......... .... ٧٢٢
رقم ٦٠ ـ ومن كتاب له ﷺ الى العمال الذين يطأ الجيش عملهم....... .... ٧٢٣
رقم ٦١ ـ ومن كتاب له ﷺ الى كميل بن زياد النخعيّ، وهو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع
من يجتاز به من جيش العدوّ طالبا للغارة.............. .... ٧٢٤
رقم ٦٢ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لمّا ولّاه إمارتها ٧٢٥
رقم ٦٣ ـ ومن كتاب له ﷺ الى أبي موسى الاشعريّ وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه ٧٢٨
رقم ٦٤ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية جوابا عن كتابه ٧٣٠
رقم ٦٥ ـ ومن كتاب له ﷺ إليه أيضا ٧٣٢
رقم ٦٦ ـ ومن كتاب له ﷺ وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرّواية ٧٣٥
رقم ٦٧ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه الى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة ٧٣٦
رقم ٦٨ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه الى سلمان الفارسيّ رحمه الله قبل أيّام خلافته ٧٣٧
رقم ٦٩ ـ ومن كتاب له ﷺ كتبه الى الحارث الهمدانيّ ٧٣٨
رقم ٧٠ ـ ومن كتاب له ﷺ وهو عامله على المدينة، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية ٧٤٠
رقم ٧١ ـ ومن كتاب له ﷺ وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة ٧٤١
رقم ٧٢ ـ ومن كتاب له ﷺ الى عبد الله بن العباس.................................. ٧٤٣
رقم ٧٣ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية.............. .... ٧٤٣
رقم ٧٤ ـ ومن حلف له ﷺ كتبه بين ربيعة واليمن، ونقل من خطّ هشام ابن الكلبيّ.................. ٧٤٥
رقم ٧٥ ـ ومن كتاب له ﷺ الى معاوية في أول ما بويع له بالخلافة ٧٤٦
رقم ٧٦ ـ ومن وصية له ﷺ لعبد الله بن العبّاس عند استخلافه إياه على البصرة ٧٤٦
رقم ٧٧ ـ ومن وصية له ﷺ لعبد الله بن العبّاس أيضا لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج ٧٤٧
رقم ٧٨ ـ ومن كتاب له ﷺ ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي» ٧٤٧
رقم ٧٩ ـ ومن كتاب له ﷺ لما استخلف، الى أمراء الاجناد.............................. ٧٤٩
● حكم أمير المؤمنين ﷺ........ .... ٧٥١

فهارس صفوة شروح نهج البلاغة

(١) فهرس الآيات القرآنية ٨٧٣
(٢) فهرس الابيات الشعرية ٨٧٩
(٣) فهرس الأعلام من الرجال والنساء والقبائل والطوائف والشعوب ٨٨١
(٤) فهرس الحيوان ٨٨٦
(٥) فهرس النبات ٨٨٨
(٦) فهرس الكواكب والأفلاك ٨٨٨
(٧) فهرس المعادن والجواهر ٨٨٩
(٨) فهرس الوقائع التاريخية ٨٨٩
(٩) فهرس الأماكن والبلدان ٨٩٠
(١٠) جدول اختلاف أرقام الخطب والرسائل والحِكَم ٨٩١
(١١) الفهرس التفصيلي ٩٠٥